
العرب


السلام


الجنوب العربي

اسبوعية قومية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها : السيد حسين الفقيه

مستشارها القانوني : شجاع الحبشي المحامي

العنوان (س ر ك ٤١ ، عدن)

الاشتراكات
في الداخل ٢٥ شلنا
« الخارج ٣٠ »

عدن : ٢٣ شوال ١٣٧٤


AL-TARAB Journal.

ASSALAM

السيد

أحمد عمر بافقيه

من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين

صفحات من حياته ونماذج من مقالاته

بقلم

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

السيد

أحمد عمر بافقيه

□ السيد أحمد عمر بافقيه، صفحات من حياته ونماذج من مقالاته
تأليف: محمد أبو بكر عبد الله باذيب
الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م
جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد ©
عدد الصفحات: ٧٢٠
قياس القطع: ١٧×٢٤
الرقم المعياري الدولي: ٧-٠٦٤-٢٣-٩٩٥٧-٩٧٨ :ISBN

صورة الغلاف: ميناء مدينة المكلا وصورة السيد أحمد عمر بافقيه وأغلفة الجرائد التي أصدرها.

للمراسلة والتواصل مع مؤلف الكتاب:
ص.ب ١٣٠٢٧٠ جدة ٢١٣٧٢ المملكة العربية السعودية
جوال: ٥٠٦٦١٠٥٢١(٠٠٩٦٦)، فاكس: ٦٣٣١٨٠٧(٠٠٩٦٦٢)
البريد الإلكتروني: maasbatheeb@hotmail.com

دار الفتح للدراسات والنشر

جوال ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)
فاكس ٦٢٠١ ٥١٥ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن
البريد الإلكتروني: info@alfathonline.com
الموقع على شبكة الإنترنت: www.alfathonline.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing the publisher.
جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من الناشر.

السيد

أحمد عمر بافقيه

من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين

صفحات من حياته ونماذج من مقالاته

بقلم

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

قرظه وقدم له:

السلطان علي عبد الكريم العبدلي

الأستاذ جعفر محمد السقاف

الدكتور محمد علي البار

الدكتور عمر عبد الله بامحسون

السيد حامد أحمد مشهور الحداد

الدكتور حامد حسين بافقيه

الأستاذان زيد وعمر أحمد عمر بافقيه

المناضل محمد أبوبكر بن عجرومة

AHMAD UMAR BAFAQIH

a pioneer of Arab Journalism in the 20th century
glimpses of his life and excerpts from his articles

دار الفتح للدراسات والنشر

2008

بسم الله الرحمن الرحيم



الأستاذ أحمد بن عمر بافقيه

ولد بمدينة كلكتا سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)

وتوفي بمدينة جدة سنة ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)



التقريظ الأول

بقلم فخامة السلطان علي عبدالكريم العبدلي (*)

(سلطان لحج السابق)

(١)

لقد اطلعتُ على هذا المؤلَّفِ الرَّائِع، وهو ترجمةٌ لحياةِ صديقٍ حميم، ومن أعزِّ الأصدقاء الذين زاملتهم، وقد دامت زمالتنا هذه نيِّفاً وخمسين عاماً، ما وجدتُ فيها منه إلا الإخلاصَ والمودةَ والأمانةَ والصدقَ، والإيمانَ العميق بالمبادئ والمعتقدات التي اعتنقها، والتي عانى فيها الكثيرَ من الجهد واحتمالِ المكَاره النفسيةِ والجسمانية، من: تهديدات، ووعيد، ونفي، وهجرةٍ متكررة، ومع كل هذا؛ لم يكن لينثنيَ أو يلينَ، بل ظل صابراً مثابراً، ومناضلاً من أجلها.

(*) السلطان علي بن عبدالكريم بن فضل العبدلي، آخر سلاطين منطقة لحج الواقعة بقرب مدينة عدن، جنوب اليمن، والتي كانت تعرف بالمحمية الغربية في عهد الاستعمار البريطاني، تبعد لحج عن عدن مسافة (٢٤ ميلاً) إلى الشمال الغربي.

ولد في أكتوبر ١٩٢٢م (= صفر ١٣٤٠هـ)، تخرج في كلية الملكة فكتوريا (كلية الأمراء) بالقاهرة، وكان متفوقا في دراسته، تولى الحكم في لحج سنة ١٩٥٢م (= ١٣٧٢هـ)، وهو السلطان الخامس عشر من سلاطين لحج العبادلة، وظل في الحكم إلى أن نفاه الإنجليز من بلاده وسحبوا الاعتراف به في يوليو ١٩٥٨م (= ذو الحجة ١٣٧٧هـ)، يسكن حالياً مدينة جدة، وينتقل إلى القاهرة في كل صيف.

التقريظ الأول

بقلم فخامة السلطان علي عبدالكريم العبدلي(*)

(سلطان لحج السابق)

(١)

لقد اطلعتُ على هذا المؤلَّفِ الرَّائِع، وهو ترجمةٌ لحياةِ صديقٍ حميم، ومن أعزِّ الأصدقاء الذين زاملتهم، وقد دامت زمالتنا هذه نيِّفاً وخمسين عاماً، ما وجدتُ فيها منه إلا الإخلاصَ والمودةَ والأمانةَ والصدقَ، والإيمانَ العميق بالمبادئ والمعتقدات التي اعتنقها، والتي عانى فيها الكثيرَ من الجهد واحتمالِ المكَاره النفسيةِ والجسمانية، من: تهديدات، ووعيد، ونفي، وهجرةٍ متكررة، ومع كل هذا؛ لم يكن لينثنيَ أو يلينَ، بل ظل صابراً مثابراً، ومناضلاً من أجلها.

(*) السلطان علي بن عبدالكريم بن فضل العبدلي، آخر سلاطين منطقة لحج الواقعة بقرب مدينة عدن، جنوب اليمن، والتي كانت تعرف بالمحمية الغربية في عهد الاستعمار البريطاني، تبعد لحج عن عدن مسافة (٢٤ ميلاً) إلى الشمال الغربي.

ولد في أكتوبر ١٩٢٢م (= صفر ١٣٤٠هـ)، تخرج في كلية الملكة فكتوريا (كلية الأمراء) بالقاهرة، وكان متفوقا في دراسته، تولى الحكم في لحج سنة ١٩٥٢م (= ١٣٧٢هـ)، وهو السلطان الخامس عشر من سلاطين لحج العبادلة، وظل في الحكم إلى أن نفاه الإنجليز من بلاده وسحبوا الاعتراف به في يوليو ١٩٥٨م (= ذو الحجة ١٣٧٧هـ)، يسكن حالياً مدينة جدة، وينتقل إلى القاهرة في كل صيف.

على أنني أود أن أنوِّه عن إعجابي الشديد بغزارة اطلاع المؤلف، واقتداره في اقتناص المعلومات وجمع الوثائق، والبحث الحثيث للحصول عليها، مع أمانة في النقل والتوثيق، مثله في ذلك مثل خبير الجواهر الذي ينتقي الأحجار الكريمة فيختار منها أصدق أنواعها وأجودها، والشخص موضوع هذا الكتاب يدل على حسن الاختيار، فقد اختار المحرر أن يقدم لنا تاريخ جوهر فريد من الجواهر اختاره عن دراية ومعرفة مما اطلع عليه من سير الرجال وتاريخهم وسلوكهم.

(٢)

لقد عرفت صاحب هذه السيرة معرفة وثيقة طوال زمالة أربع وخمسين سنةً، فعرفت فيه الإخلاص، والمثابرة، وغزارة المعلومات، والصبر على المكاره واحتمالها، فقد كان إيمانه بقوميته العربية واضحاً مما اختاره عند أول اختبار له (في هجرته الأولى إلى سنغافورا)، فقد اختار اسما لجريدته التي أصدرها هناك، فسماها (العرب)، تأكيداً لانتمائه، وإبرازاً لقومه هناك، ونصرةً لقوميته التي آمن بها.

وأذكر فيما أذكر: أننا لما كنا في القاهرة بعد نفي الإنجليز لنا، أننا زرنا الحاج **أمين الحسيني** القائد والزعيم الفلسطيني الذائع الصيت، مفتي فلسطين، فلما قدمت إليه الأخ أحمد **عمر بافقيه** تذكره فورا، وقال: ألست أنت من كان يصدر «**صحيفة العرب**» في سنغافورا؟ لقد كنت أقرؤها كثيراً، وأقرأ دفاعك عن قضية فلسطين، وكانت في وقتها معلومةً جديدةً لي، رغم زمالتنا في العمل الوطني، ودليلاً على عدم اهتمام زميلنا طيب السيرة على التفاخر بما عمل أمام الناس.

(٣)

وأما صبره على المكاره؛ فقد تحمل السجن ثلاث مرات، مرةً على عهد الهولنديين في إندونيسيا، ومرةً على الاحتلال الياباني في تلك البلاد، ومرةً ثالثةً عندما عاد إلى وطنه مسقط

رأسه حضرموت، وفي كل المرات لم يتزعزع، ولم ينحرف عما آمن به، فقد كانت الحرية هي هدفه الأسمى.

لكنه بعد هذه السجون اكتسب غريزة عدم الاستسلام، وعدم العودة إلى السجون مهما كان الأمر، فحين حاول الاستعمار اعتقال زعيمَ (الرابطة) السيد محمد علي الجفري ـ اعتُقِلَ أخوه السيد عبدالله علي ـ واحتل الجيش البريطاني سلطنة لحج، آثر زميلنا صاحب السيرة عدم تسليم نفسه حين بلغه نية الاحتلال البريطاني اعتقاله، فشد الرحال متجهاً إلى (تعز)، وقد جاء ليخبرني بما علّق النية عليه، واستعان بي لتدبير أمور سفره في هجرته إلى (تعز)، والتي رافقه فيها الزميل قحطان الشعبي، وقد استعنت بكوادر (الرابطة) في لحج لترتيب أمور الرحلة، والتي تمت بكل سرية وكفاءة.

(٤)

لكن الأمور في (تعز) لم تناسبه هناك، حيث إنه تعود على أن يعيش في بلاد تتحكم فيها قوانين وأنظمة وضوابط لم يجدها متوفرة له في (تعز)، فهاجر هجرته الثالثة إلى القاهرة، حيث كان للرابطة مكتب يتولى شؤونها السياسية، وشؤون بعثاتها الطلابية والإعلامية، فتولى شؤون الإعلام فيه، وأصدر نشرة إعلامية، وكانت تصدر حسب ورود المعلومات من مناطق الجنوب، كما تولى نشر البيانات الرابطية.

وساهم في إلقاء الأحاديث من ركن الخليج والجنوب، الذي يذاع من إذاعة صوت العرب، وشارك في الاجتماعات والندوات الرابطية، وكذلك في الندوات والمؤتمرات العربية التي تدعى إليها (الرابطة) في مصر أو غيرها من الأقطار العربية أو غير العربية.

وهكذا ؛ قضى حياته: مناضلاً، مؤمناً، صادقاً، دؤوباً، يكره التضليل، وينفر من الدعايات الكاذبة، والدعوات المزيفة.

(٥)

وأذكر فيما أذكر، عن صدق أخوته، وعدم التفريط في إخوانه وحزبه وقومه تحت أسوأ الظروف وفي كل الظروف: أنه في أحد اجتماعات مكتب الجنوب العربي في القاهرة، اشتد النقاش ـ وبالأخص بيني وبينه ـ حول نقطة خلاف، فارتفع الصوت، واشتد الجدل بيننا، حتى كاد يخرج عن قواعد التفاهم الأخوي والنقاش، ثم هدأ عندما انفض الاجتماع.

وعدت إلى بيتي وأنا أشعر بالندم والخزي إذ سمحت لنفسي أن أتدحرج إلى مستويات لا تليق بنا الاثنين، فقررت أن أتجه إليه في منزله للاعتذار عما بدر مني، فاستقللت سيارتي، وبادرت بالذهاب إليه على وجه السرعة، خوفاً من أن تراوده الوساوس، وتأخذ الأمور بيننا مأخذ الخصومة.

وحين وصلت إلى منزله وجدته يتهيأ للتوجه إلى منزلي، وعنده نفس الشعور بوجوب الاعتذار والندم، والإحساس بالذنب، وتحميل نفسه الخطأ، فتقابلنا وتعانقنا، وتبادلنا الاعتذار، تسبقنا دموعنا على الخدين!

هكذا كان رحمه الله، وهكذا تكون الأخوة والأخلاق الكريمة، ولو تركت لقلمي العنان لانسابَ يسجل ويسطر عن مكارم الأخلاق التي عاش بها والتزمها زميلنا الكريم إلى ما لا نهاية، لكنني أود أن أترك المجال للمحرر البارع الذي تجشم الكثير، وبذل الكثير من وقته الأكثر، لينشر وينثر عبير هذه السيرة العاطرة على الملأ.

(٦)

وأما هجرته الرابعة والأخيرة؛ فقد كانت إلى مدينة جدة، وذلك عندما اتجهت الأمور في وطنه بعد الاستقلال نحو التدهور والانحدار، والديكتاتورية، والإرهاب الحكومي، والبطش الأعمى، مما لا يتناسب وأجواء الحرية الديمقراطية التي كان يتصورها وينشدها لبلاده في ظل الاستقلال.

وبعد رحيل الاستعمار، ظل قلماً مُصْلَتاً ومسلَّطاً على ذلك الوضع من جدة، التي كانت الملاذ الآمن لكثير من القوى والجماعات والخلطاء، حتى صعب التمييز بين الغث والسمين، والصادقين والمدعين .

ولكن! وبعد سقوط الأحكام الشمولية عالمياً ومحلياً، كان زميلنا قد بلغ نهاية مشوار العمر، فتوفاه الله في جدة، تاركاً لنا عاطر الذكرى، والحسرة على فقدان المكارم، رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، ورضي عنه وأرضاه.

علي عبد الكريم العبدلي

جدة، في ٥/ ١٢/ ١٤٢٧هـ

التقريظ الثاني

بقلم الأستاذ المؤرخ السيد جعفر بن محمد السقاف(*)

(*) مؤرخ وباحث اجتماعي، ولد في مدينة سيون سنة ١٣٤٣هـ، تلقى تعليمه في مدرسة النهضة بسيئون، وصحب العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، وكانت له أنشطة علمية وثقافية عديدة في شبابه، وعمل في كتابة السجلات والوثائق في المحاكم الشرعية، وعاصر عدداً من القضاة، وله أياد بيضاء على تراث وادي حضرموت، شارك في عدد من المؤتمرات، وله مكتب بسيون يعنَى بتوثيق التراث والأنساب، أطال الله عمره في عافية.

* مشاركاته الصحفية: كتب معرفاً بنشاطه الصحفي (بإيجاز) ما يلي:

١- كنت مراسلاً لإذاعة عدن برسالة أسبوعية تغطي أهم أخبار السلطنة الكثيرية، وأحاديث مقروءة ومسموعة لي ولأساتذتي: العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، وصالح الحامد، وحفلات المدارس والأندية من عام ١٩٥٧-١٩٦٧م.

٢- مراسلاً لإذاعة (البي بي سي = BBC)، حيث عينت عضواً في لجنة الاستماع لهذه الإذاعة.

٣- مشاركاً في «رابطة الشؤون الإسلامية» في نيويورك حيث كان سكرتيرها ـ بعد تحوله من (البي بي سي) ـ هو الأستاذ المذيع الشهير عيسى خليل صباغ، وكان كل ما أرسله إلى هذه الإذاعات يخضع لموافقة السلطان الكثيري نفسه ثم المعتمد البريطاني بسيون، ولا زلت أحتفظ بكل تلك الوثائق الخاصة بتلك الفترة.

٤- مراسلاً لصحيفة «الرائد» الأسبوعية الصادرة من المكلاّ في الخمسينات والستينات، وأتابع بعض الأخبار الهامة كأخبار الصراع الحدودي في الربع الخالي، وأخبار تنقيبات شركات البترول: (B.R.L)، وبان أميريكان، وأرامكو، ولم يخضع ما أرسله في هذه الحقبة لمراقبة أي جهة رسمية أو حزبية.

٥- مراسلاً لـ«صحيفة البعث» الصادرة من عدن، كما سيأتي ذكره.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعد؛ فإذا كان أستاذنا القدير، والصحفي الكبير، أحمد عمر بافقيه حضرمي الأب هندي الأم والمولد، فهو فيما أرى قد مزج مياه نهر السند، برمال صحراء العرب، وتولدت من هذه العجينة شخصية فذة عجيبة، متعددة المواهب، كان لها أكبر الأثر في مجرى حياته ومعاصريه ومجتمعه. ولأنه حضرمي النشأة، بين عباقرة عظام، وفي ذلك المناخ الحضرمي الروحي الذي رضع فيه لبان علومه ومعارفه صغيراً في مقتبل العمر، فكانت تلك العلوم التي تلقاها في (رباط تريم) والقرين، ذلك اللقاح القوي، وصمام أمان، أكسبتاه مناعةً حالت بينه وبين التأثر بعادات الأعاجم الذين عاش معهم في بلدان جنوب شرق آسيا وغيرها، لأنه صار إسلامياً عربياً لحماً ودماً، برغم كونه حاسر الرأس، ببزة غربية.

(٢)

وأما رحلاته إلى تلك البلدان المختلفة، كما هي مدونة في هذا الكتاب، الذي جمعه الأستاذ محمد أبوبكر باذيب، والتي أحاط بمواضيعه إحاطة السوار بالمعصم، فإنني أستشف منها أنه كان ينشد الحرية في تلك الرحلات والتحركات، والتي يعتبرها ـ أي الحرية ـ كالأوكسجين لجسمه. ومهما يكن متعدد المواهب، فإن الصحافة صاحبة الجلالة تحتل من دماغه أكبر مساحة، ولذا صار صحفياً من طراز جديد، وعلى الأقل بالنسبة لتلك الفترة. حيث لم نجد في نهجه عوجاً ولا التواءً، ولا انحرافاً عن مناهج التحليل والتعليل، ولا ازوراراً عن الفقه الصحيح لأخلاق الناس، كما أن إنصافه لا يصدر عن حب أو بغض، بل بتجردية، ولا يثيره رغب ولا رهب، وإنما يصدر عن تفكير صحيح، وتقدير دقيق، وموازنة معتدلة بين الأشياء، فعصمته هذه الخلال عن الجموح.

وإذا كانت السجون مدابغ الزعماء، فإنني أعتبره زعيماً وطنياً، لأنه أودع تلك الجدران المظلمة ثلاث مرات: ببلده، ومهجره.

(٣)

وقد عرفته ـ أو سمعت عنه ـ سنة ١٣٥٦ هـ، من خلال كتاباته في «صحيفة السلام»، التي تصلنا من سنغافورا إلى سيئون، والتي نقرأها بمنتدى أستاذنا المؤرخ العلامة صالح الحامد (ت ١٣٨٧ هـ)[١]، وبحضور شيخ الصحافة الحضرمية، شيخنا محمد بن هاشم اللذين عرفاه بالمهجر، فتنطلق ألسنتهما بالإشادة به، مقتسماً إعجابهما. ثم عرفته بعد وصوله المكلا ثم عدن، مناضلاً بقلمه، محرراً في الصحف، فقلت كما قال المتنبي:

* فلما التقينا صغّر الخبرَ الخبْرُ *

ولما كنت أعمل في إعلام سلطان حضرموت (الكثيري) فطبيعي أن يكون بيننا:

توافُـــقٌ وتخـــالُفٌ والـودُّ بـاقٍ في الضـميرْ

وبلغ التعارف بيننا قمته بعد إصداره «صحيفة الجنوب العربي» بعدن سنة ١٣٧٤ هـ،

---

(١) منتدى صالح الحامد: هذا المنتدى كان يقع في منزله، ويقام في إحدى غرفه من ذوات الثمانية أعمدة، وبجوارها فناء واسع، وبأسفل البيت حوش تحفظ فيه مراكيب أهل البيت، وكان والد الأستاذ الحامد قد أعده للضيوف الواردين إلى سيئون من خارجها و أوقف لمصاريف إطعام وإنزال الضيوف عقاراً خاصاً في سنغافورة خصص ريعه لهذا الغرض النبيل، ومنذ عودة شيخنا الحامد من سنغافورة جعله منتدى أسبوعياً وفصلياً، يصله علماء وأدباء سيئون صباح كل جمعة، تقرأ فيه كتب وصحف، ويناقشها في تحليل علمي ونقد أدبي، كما يرتب فيه طيلة ليالي رمضان من أول الليل إلى وقت السحور: أداء صلاة التراويح (٢٠ ركعة) والوتر (٣ ركعات)، ثم جلسة علمية لتفسير جزء من القرآن العظيم، ثم المنتدى الأدبي، وخلال الحرب العالمية الثانية كان يفتح المذياع لسماع أخبار هذه الحرب الضروس، ويقدم للحاضرين الشاي مع مرطبات في مناسبات خاصة، واختلف الوضع بعد وفاته. (ج. س).

التي نعتبرها صحيفتنا المفضلة، ورغم أنني كنت مراسلاً لـ«صحيفة البعث»[١]، التي كان يصدرها محمد سالم علي عبده والملقب (ناصر عدن)[٢]. وتعود صلتي بهذه الصحيفة وصاحبها، إلى عام ١٩٥١م حيث رافقت والد محررها الشيخ سالم علي عبده، أحد تجار عدن، في معية الأمير أحمد بن جعفر الكثيري حينما سار للحج وللقاء الأمير سعود بن عبدالعزيز (ولي عهد السعودية حينذاك)، فتكونت معرفة قوية بيني وبينه، وبعدها كانت الصلة مع ابنه صاحب الصحيفة المذكورة.

كما أن علاقتي بالمناضل عمر سالم باعباد[٣] عضو الرابطة، لها دور كبير في تأكيد

---

(١) صحيفة البعث: أسبوعية سياسية، صدر العدد الأول منها في الأول من يناير عام ١٩٥٥م، رئيس تحريرها: محمد سالم علي عبده، ومدير التحرير: علي عبدالرزاق باذيب، كان شعارها:

إذا الشعبُ يوماً أرادَ الحياةَ فلابدَّ أن يستجيبَ القدرْ

وكان صدورها عقب خروج عدد من زعماء الحركة الوطنية من صفوف رابطة أبناء الجنوب وتكون «الجبهة الوطنية المتحدة»، وكانت تعتبر لسان حال هذه الجبهة، وتقوم بنصرة القضايا العمالية والوطنية عامة، ودأبت على معارضة الاستعمار، إلى أن أوقفت عام ١٩٥٧م، أو العام الذي يليه، ليستعاض عنها بصحيفة العامل لسان حال المؤتمر العمالي.

(٢) من الجدير بالذكر: أن انتماء صاحب الصحيفة إلى البعث كفكرة كان قبل ظهور بوادره كحزب، لأن ظهور أول تشكيل لحزب البعث في عدن كان في عام ١٩٥٧م. وذكر العوبلي أن سبب إيقاف الصحيفة: هو تهجمها على القضاء وتحقيره، وكان الصدام مباشراً بين الناشر ووالي عدن (وليام لوس)، الذي أصدر حكمه بسجن رئيس تحريرها ومساعده ستة أشهر، ولكن الجماهير الغاضبة حالت دون نقل المتهمين إلى السجن، ونتجت اضطرابات شديدة في حبل الأمن بسبب ذلك الحكم. ينظر للمزيد: عبدالوهاب بن علي المؤيد، «موسوعة الصحافة اليمنية» (ص ١٥٣)، سيف علي مقبل، «الصحافة في عدن عشية إعلان الجمهورية في صنعاء» (ص ٥٧)، محمد عبدالجبار سلام وزميله، «الصحافة اليمنية في المناطق الجنوبية» (ص ٧٧)، محمد حسن عوبلي، «اغتيال بريطانيا للجنوب العربي» (ص ٨٩).

(٣) الأستاذ المناضل عمر بن سالم بن أحمد باعباد: (١٣٣٧-١٤١٥هـ = ١٩١٩-١٩٩٥م)، مولده ببلدة

الصلات بالرابطة، حيث قام الأستاذ باعباد بنشاط وطني، وبزخم جماهيري في بلدته الغرفة، وكنت أساعده في تنظيم المهرجانات الوطنية، وتجمعات لجان الميثاق الوطني، كما تشهد صورنا في سرادقات تلك المهرجانات، ونحن نلوِّح بعلم الجمهورية العربية المتحدة أمام الجماهير .. وكانت وسطية أو فلسفة باعباد نحو الحركة الوطنية من عوامل اختلافه مع قيادة الرابطة، وتفاصيلها في أرشيف الرابطة[١].



(الغرفة)، أتم دراسته في عدن، وتخصص في المجال القانوني وعمل في سلكه على مدى ٥٠ سنة، ساهم في إنشاء الجالية العربية في مدينة (أديس أبابا) في أثيوبيا، وعمل سكرتيرًا لها إلى عام ١٣٦٦هـ(١٩٤٦م)، وأسس نادي (السلام)، وهو أول ناد ثقافي ورياضي في مدينة (الغرفة) عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٦م)، توفي في مدينة جدة. من مؤلفاته: «حضرموت والأحداث»، مطبوع، و«حضرموت والحياة» و«حضرموت والتاريخ» غير منشورين.

(١) من ذكرياتي مع باعباد: عملت معه في حركاته الوطنية في الخمسينيات والستينيات قبل استقلالنا الوطني، حيث أصدر الدستور الشعبي ووزعه للجهات الرسمية والشعبية، وعقد لجان وجلسات عمومية لأبناء الشعب، تهدف إلى مشاركة الشعب في حكم البلاد ولو تدريجياً، وكان متفتحاً علي وعلى أستاذي صالح الحامد، وكنا موظفين في الدولة الكثيرية، فأثار خلافه مع رابطة أبناء الجنوب فلم تتطابق وجهات نظريهما، فاستقل يعمل في حركاته الوطنية باسمه وباسم الشعب، وقبيل الاستقلال سجنته الدولة الكثيرية بأمر المعتمد البريطاني لنقده اللاذع للاستعمار. ثم عملت معه بعد الوحدة اليمنية والسماح بإقامة أحزاب سياسية ووطنية في التسعينات، حيث شكَّل حزبَ أو جمعية «أنصار الشعب»، وكنت سكرتيره وهو الرئيس المسؤول، وأصدرنا المنشورات، وعقدت الحفلات والجلسات الفرعية ببلدته (الغرفة) على غرار حركته الوطنية قبيل الاستقلال الوطني، وانتهت حركته هذه بترشيح نفسه في انتخابات مجلس النواب. ولدي بعض الوثائق عنها، وقد شرح هو في كتابه «حضرموت والأحداث» الصادر الجزء الأول منه في دمشق سنة ١٩٨٩م، ويؤمَّل صدور جزئه الثاني. (ج. س).

(٤)

وبعد أن استقر بافقيه في المملكة العربية السعودية من سنة ١٣٨٥هـ تقريباً، كنت آخذ إجازتي لأداء مناسك العمرة كل عام تقريباً، فأزوره في بيته، وغالباً في جلسة الأربعاء الأسبوعية بمنزل الأديب الأريب محسن بن علوي السقاف، والتي يحضرها جل زعماء وعلماء حضرموت الفارين من نير الحكم الشيوعي بجنوب اليمن، فيتدارسون أخبار الوطن، ويزودني ببعض النشرات والكتب، كالكتاب الخاص بتأبين الزعيم محمد علي الجفري، كما يوصينا بالبقاء في البلاد، وفي سلك وظائف حكومية، ومنها الثقافية التي عملت بها، واستطعت التعرف على آثار وتراث اليمن، كما شاركت في مؤتمرات دولية، وهذا يقلل من حساسية تهربنا عن المشاركة في خدمات البلاد، وعدم تحملنا نير الحكم الشيوعي التي يتفوه بها بعض المتربصين، ويقول: من للنساء والأطفال إذا تركتم البلاد؟

(٥)

وهكذا؛ كان خلال إقامته بجدة فاعلاً في مجالسها بعطاءاته وذكرياته، وكشف النقاب عن خفايا قصيدة أستاذنا صالح الحامد التي مطلعها:

* برزتْ في الفستانِ الأصفر[1] *

فرغماً من مصاحبتي له في السفر والحضر والعمل، كلما سألته عن صاحبة الفستان الأصفر التي سحرته وأسرت فؤاده ـ لأنه عندما تُغنَّى قصيدته هذه يتأوه ويتواجد ـ يقول: مالك وما لها!

---

(١) تنظر القصيدة بتمامها في ديوان «نسمات الربيع» (ص ٦٢).

الصلات بالرابطة، حيث قام الأستاذ باعباد بنشاط وطني، وبزخم جماهيري في بلدته الغرفة، وكنت أساعده في تنظيم المهرجانات الوطنية، وتجمعات لجان الميثاق الوطني، كما تشهد صورنا في سرادقات تلك المهرجانات، ونحن نلوِّح بعلم الجمهورية العربية المتحدة أمام الجماهير .. وكانت وسطية أو فلسفة باعباد نحو الحركة الوطنية من عوامل اختلافه مع قيادة الرابطة، وتفاصيلها في أرشيف الرابطة[١].

(الغرفة)، أتم دراسته في عدن، وتخصص في المجال القانوني وعمل في سلكه على مدى ٥٠ سنة، ساهم في إنشاء الجالية العربية في مدينة (أديس أبابا) في أثيوبيا، وعمل سكرتيرًا لها إلى عام ١٣٦٦هـ(١٩٤٦م)، وأسس نادي (السلام)، وهو أول ناد ثقافي ورياضي في مدينة (الغرفة) عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٦م)، توفي في مدينة جدة. من مؤلفاته: «حضرموت والأحداث»، مطبوع، و«حضرموت والحياة» و«حضرموت والتاريخ» غير منشورين.

(١) من ذكرياتي مع باعباد: عملت معه في حركاته الوطنية في الخمسينيات والستينيات قبل استقلالنا الوطني، حيث أصدر الدستور الشعبي ووزعه للجهات الرسمية والشعبية، وعقد لجان وجلسات عمومية لأبناء الشعب، تهدف إلى مشاركة الشعب في حكم البلاد ولو تدريجياً، وكان متفتحاً علي وعلى أستاذي صالح الحامد، وكنا موظفين في الدولة الكثيرية، فأثار خلافه مع رابطة أبناء الجنوب فلم تتطابق وجهات نظريهما، فاستقل يعمل في حركاته الوطنية باسمه وباسم الشعب، وقبيل الاستقلال سجنته الدولة الكثيرية بأمر المعتمد البريطاني لنقده اللاذع للاستعمار. ثم عملت معه بعد الوحدة اليمنية والسماح بإقامة أحزاب سياسية ووطنية في التسعينات، حيث شكَّل حزبَ أو جمعية «أنصار الشعب»، وكنت سكرتيره وهو الرئيس المسؤول، وأصدرنا المنشورات، وعقدت الحفلات والجلسات الفرعية ببلدته (الغرفة) على غرار حركته الوطنية قبيل الاستقلال الوطني، وانتهت حركته هذه بترشيح نفسه في انتخابات مجلس النواب. ولدي بعض الوثائق عنها، وقد شرح هو في كتابه «حضرموت والأحداث» الصادر الجزء الأول منه في دمشق سنة ١٩٨٩م، ويؤمَّل صدور جزئه الثاني. (ج. س).

(٤)

وبعد أن استقر بافقيه في المملكة العربية السعودية من سنة ١٣٨٥هـ تقريباً، كنت آخذ إجازتي لأداء مناسك العمرة كل عام تقريباً، فأزوره في بيته، وغالباً في جلسة الأربعاء الأسبوعية بمنزل الأديب الأريب محسن بن علوي السقاف، والتي يحضرها جل زعماء وعلماء حضرموت الفارين من نير الحكم الشيوعي بجنوب اليمن، فيتدارسون أخبار الوطن، ويزودني ببعض النشرات والكتب، كالكتاب الخاص بتأبين الزعيم محمد علي الجفري، كما يوصينا بالبقاء في البلاد، وفي سلك وظائف حكومية، ومنها الثقافية التي عملت بها، واستطعت التعرف على آثار وتراث اليمن، كما شاركت في مؤتمرات دولية، وهذا يقلل من حساسية تهربنا عن المشاركة في خدمات البلاد، وعدم تحملنا نير الحكم الشيوعي التي يتفوه بها بعض المتربصين، ويقول: من للنساء والأطفال إذا تركتم البلاد؟

(٥)

وهكذا؛ كان خلال إقامته بجدة فاعلاً في مجالسها بعطاءاته وذكرياته، وكشف النقاب عن خفايا قصيدة أستاذنا صالح الحامد التي مطلعها:

* برزتْ في الفستانِ الأصفر[1] *

فرغماً من مصاحبتي له في السفر والحضر والعمل، كلما سألته عن صاحبة الفستان الأصفر التي سحرته وأسرت فؤاده ـ لأنه عندما تُغنَّى قصيدته هذه يتأوه ويتواجد ـ يقول: مالك وما لها!

---

(١) تنظر القصيدة بتمامها في ديوان «نسمات الربيع» (ص ٦٢).

وهكذا، يكشف بافقيه السر، فيقول: كنت بسنغافورا مع صالح الحامد، ودخلنا معرض أزياء، فرأى فتاةً جميلةً لابسةً فستاناً أصفر، فأحبها حباً عذرياً بريئاً، (وكانت مسيحية)، وبعدها أنشأ قصيدته:

برزتْ في الفستانِ الأصفرْ كَهِلالِ الصبح وقَد أسفرْ

ونشرت القصيدة في مجلة (أبوللو) بالقاهرة، وترجمت بعد ذلك إلى اللغة الإنجليزية .

(٦)

وما دمنا في معرض الحب والجمال، فمن المناسب الاستمتاع بقصة زواج أستاذنا بافقيه، وقد بلغ الثمانين من عمر طويل، من امرأة في نصف عمره، فقد كان هذا الزواج سعيداً ومباركاً وموفقاً، وبكل المقاييس، فيكفيه فضلاً وشرفاً أنه أوصاه به الحبيب العلامة عبدالقادر بن أحمد السقاف، المتبادل بينهما ود وتقدير، حيث رأيت الحبيب عبدالقادر يجلسه في كثير من مجالسه بجانبه ويشاركه الحديث، وقد انتهزتها فرصة وجودي بجدة، معبراً عن فرحي بهذا الزواج المبارك الذي جدد به شبابه، وليس تصابياً من شيخ في الثمانين، فقد نظمت قصيدة تهنئة ومباركة له مطلعها:

هنيئاً بالزواج أبافقيه بخل يصطفيك وتصطفيه
بعمر نصف عمرك هبه نصفاً ونصفاً للجنوب ورابطيه

والحقيقة إن جلساتنا مع أستاذنا بافقيه كلها أفنان وأحاديث ذات شجون، سواء منها عائلية في بيت عبدالمولى الجفري بحكم مصاهرة ابنه، أو في الأربعائية، أو غيرها.

(٧)

ولقد أحسن الأستاذ (باذيب) في اضطلاعه بهذا الكتاب، فكان موفقاً في الاختيار، ليعرف الشباب أساتذتهم في العلم والأدب والكفاح، معرفة تقدير واقتداء، ولعلنا أنا وهو

لا نقرظ الأستاذ بافقيه فيما نكتب، وحسبنا أن نترك لهذه الصحافة تقرظه وتعرفه، رحـم الله أحمد عمر بافقيه، الذي أقام البرهان على عبقريته وشمول ثقافته ومعرفته الواسعة، وأسكنه فسيح جناته، إنه سميع الدعاء.

جدة تاريخ غرة محرم الحرام ١٤٢٨هـ

جعفر محمد السقاف
مكتب توثيق الثقافة والتراث
سيون حضرموت – اليمن
ص ب: ٩٢٨٦- ت ٤٠٤١٩٤

التقريظ الثالث

بقلم سعادة الدكتور محمد علي البار(*)

(١)

بين يدي مسوّدة كتاب قيِّم وضعه الأخ الكريم الباحث المحقق الأستاذ الشيخ محمد أبوبكر عبدالله باذيب، عن (حياة السيد أحمد بن عمر بافقيه) الحافلة بجلائل الأعمال في

(*) مولده بمدينة عدن سنة ١٣٥٨هـ (= ٢٩/ ١٢/ ١٩٣٩م)، تخرج في كلية الطب جامعة القاهرة سنة ١٣٨٤هـ (= ١٩٦٤م) بدرجة الشرف، عاد في السنة التي تليها إلى عدن، وعين رئيساً للأطباء ومديراً لمستشفى الملكة أليزابث في عدن بعد الاستقلال عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م)، وكوَّن في عدن مع مجموعة من الشباب آنذاك: «المركز الثقافي الاجتماعي الإسلامي». وكان من أبرز أعضائه: الأستاذ عمر طرموم (الأمين العام)، والشيخ محمد عبدالرب جابر، والأستاذ حسين دلمار.

غادر عدن إلى القاهرة بعد استيلاء الماركسيين على السلطة، ثم إلى بريطانيا حيث تخصص وحصل على عضوية الكلية الملكية البريطانية، ثم في عام ١٩٧١م توجه إلى مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، وعمل في مستشفياتها، وافتتح عيادةً خاصةً، وله نتاج علمي وفكري غزير، حصل على العديد من الشهادات، وهو عضو في الكثير من الجمعيات الطبية والإسلامية، وخبير في المجمع الفقهي الدولي (منظمة المؤتمر الإسلامي)، وخبير في المجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي)، ومثل رابطة العالم الإسلامي في بعض المؤتمرات، وهو عضو مؤسس لهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (إحدى مؤسسات الرابطة)، وله (٧٥) كتاباً مطبوعاً، وخمسة أخرى قيد الإعداد والطباعة، حفظه الله وبارك في حياته.

مجال الصحافة والتعليم والجهاد الوطني ضد الاستعمار البريطاني على مدار حياته الممتدة عبر ما يقرب من قرن من الزمان (ولد سنة ١٣٣٠/ ١٩١٢م، وتوفي سنة ١٤٢٦/ ٢٠٠٥م)، شهدتْ وعاصرَتْ أحداثاً جساماً على مساحة ممتدة من كلكتا بالهند مسقط رأسه إلى حضرموت، حيث بعثه والده مذ كان في سن الحادية عشرة ليدرس اللغة العربية والعلوم الدينية على يد مشايخ أجلاء، منهم:

عمه (أخ والده من الأم) العلامة السيد محمد بن عبدالله البار (والد الشاعر والمحامي والصحفي السيد حسين بن محمد البار، والذي ارتبط معه بصداقة وزمالة بالإضافة إلى القرابة)، ومنهم العلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري صاحب رباط العلم الشهير في تريم، والذي درس فيه أعداد غفيرة من شتى البلاد ونفع الله بهم العباد والبلاد، ومن شيوخه الإمام العلامة السيد علوي بن عبدالله بن شهاب، والعلامة السيد علي بن عبدالرحمن المشهور (ابن مفتي حضرموت).

وفي خلال خمس سنوات فقط كان الفتى أحمد عمر بافقيه قد امتلأ علماً وسلوكاً، وأدباً واطلاعاً وإدراكاً، وخاصةً بعد لقائه في المكلا بالعلامة الزعيم السيد محمد بن عقيل ابن يحيى. ثم وجهه والده للذهاب إلى سيلان (سريلانكا) ليقوم مقام والده في مشيخة الطريقة العلوية القادرية في العاصمة كولمبو، ولكن نفس الشاب المتوثبة، والذي لم يجاوز الستة عشر عاماً ضاق ذرعاً بهذه الحياة الرتيبة، وما أن جاء وفد من سنغافورا إلى العاصمة كولمبو، وفيهم نفر من آل السقاف حتى دبر السفر معهم إلى سنغافورا دون علم المريدين ورئيسهم الحاج عبدالغفور السيلاني صديق والده.

(٢)

وفي سنغافورا عمل في وظيفة محترمة مع آل الكاف، وازداد شغفه بالصحافة وخاصة المصرية التي كانت تصلهم بانتظام، ونشرت له صحيفة حضرموت الأسبوعية التي كانت

تصدر في مدينة سورابايا بجاوة (إندونيسيا) أول مقالاته ورسائله، وعمره آنذاك لم يجاوز التاسعة عشرة، ثم كتب في «مجلة الرابطة» لسان حال «الرابطة العلوية» مقالاً ندد فيه بما تعانيه الأمة من انحطاط وانتشار داء التملق والنفاق، وصار مراسلاً لصحيفة البلاغ المصرية في تلك السن الغضة في تلك الأصقاع (سنغافورة والملايو).

وسرعان ما ظهرت مواهبه، مما دعا السيد الأديب حسين بن علي السقاف الذي كان يصدر عدداً من الصحف والمجلات باللغة الملايوية أن يدعو البافقيه إلى أن يكون مديراً لتحرير صحيفة تصدر باللغة العربية لأول مرة في تلك الأصقاع، وهي «صحيفة العرب».

وقام بافقيه بالمهمة خير قيام، وصار البافقيه أيضاً صاحب الامتياز ورئيس التحرير، وهو في سن العشرين، وهو أمر يدل على نبوغ وتحمل للمسؤولية من النادر أن نجدها اليوم، بل يكاد من المستحيل أن يتولى شاب في مثل هذه السن الغضة مسؤولية رئاسة تحرير صحيفة هامة، بل امتدت مسؤوليته ليصبح صاحبها ومحررها وكاتبها ومنظم أمورها.

وأثرت الصحيفة في العرب الموجودين في تلك الأصقاع، ونادت بقوة لنبذ الخلافات التي اشتدت في تلك الفترة بين الإرشاديين والعلويين، وكانت خطتها البعد عن النزاعات: «وسيجد القراء فيها رسول سلام ووئام، ومع ذلك فسنفرغ صفحة للآراء الحرة النزيهة، ننشر فيها ما يصلنا من المقالات التي لا نوافق على آراء كتابها، بشرط أن لا تشتمل على ما ينافي الآداب أو يمس الشخصيات». ولعمري إنها لسياسة حكيمة لا يتوقعها الإنسان من شاب حدث لم يجاوز العشرين من عمره، ولكن النفوس الكبيرة المهذبة على أيدي شيوخ كبار تفعل مثل ذلك.

(٣)

واستمرت «صحيفة العرب» تنير الدروب حتى عام ١٩٣٥م، قبل نشوب الحرب العالمية الثانية، والتي كانت قد بدأت بوادرها في شرق آسيا. وقد سبقت «صحيفة العرب»

الصحافة في جزيرة العرب، ولم تصدر فتاة الجزيرة للأستاذ محمد علي لقمان إلا بعدها بفترة طويلة، وقد كان الأستاذ محمد علي لقمان يراسل «صحيفة العرب» ويمدها بالأخبار والمقالات، كما قام الأديب والشاعر الكبير علي أحمد باكثير بنشر بعض قصائده فيها، كما أرسل خطابات بدعمها في سياستها الحكيمة.

ثم أصدر السيد أحمد عمر بافقيه «صحيفة السلام»، وصدر أول عدد منها في ١٢ أبريل ١٩٣٦م، وقدم لها الزعيم السيد إبراهيم بن عمر السقاف، وظلت الصحيفة داعيةً للسلام في مجتمع يغلي بالأحقاد والضراوات والحزازات، وسرعان ما جاءت طامة الحرب العالمية الثانية، فكانت أخطر وأبشع حرب عرفتها البشرية، حيث بلغ ضحاياها أكثر من خمسين مليون نفس، تلاهم ملايين أخرى بسبب المجاعات وانتشار الأوبئة، وتوقفت «صحيفة السلام» بعد أن دمرت الحرب كل أمل في السلام، وذلك عام ١٩٣٩م، وانتقل البافقيه إلى جوهور (جنوب ماليزيا)، ليعمل مدرساً ومسؤولاً في المدرسة العطاسية في جوهور.

واستقر به المقام هناك، حتى وصلت الحرب إلى جوهور ذاتها عام ١٩٤١م، فانتقل إلى سنغافورا ليكون بالقرب من أصهاره وأقاربه، ووصل اليابانيون إلى سنغافورا واحتلوها من الإنجليز، وطلبوا من هيئة عربية هناك أن تضع لهم رسالةً عن عادات العرب وتقاليدهم ودينهم، فكتبها لهم البافقيه، وفيها: أنه لا تجوز عبادة الإمبراطور (وهو أمر يفرضه اليابانيون على البلاد التي احتلوها آنذاك، والسجود لصورته)، فطلبه اليابانيون، فهرب إلى فليمبان في إندونيسيا، وفي إحدى قراها افتتح مدرسة الثقافة العربية لتعليم أبناء الجالية العربية لغتهم ودينهم.

ولكن اليابانيين وصلوا إليه واعتقلوه، وواجه تعذيباً في سجونهم، ولكن اليابان انهزمت وانقشعت الغمة، وخرج البافقيه من سجنه، وتولى أمر المدرسة العربية في الصولو (جاوا الوسطى بإندونيسيا)، ومنها انتقل إلى القسم العربي في إذاعة جاكرتا بعد أن حصلت

الحكومة الجديدة على استقلال البلاد، كما انضم بافقيه إلى ثلة من العرب فأصدر «صحيفة السلام» من جديد، في جاكرتا هذه المرة (بدلاً من سنغافورا)، واستمرت حتى عام ١٩٤٧م، عندما اضطرت للتوقف بسبب عدم دفع المشتركين لاشتراكاتهم بسبب الضائقة المالية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، كما أن وصول الشيوعيين إلى سدة الحكم في إندونيسيا (رغم أن مدة حكمهم لم تطل آنذاك) كان أحد أسباب توقفها.

وفي مارس ١٩٤٨م اضطر البافقيه إلى أن يغادر إندونيسيا إلى سنغافورا مرةً أخرى، وهناك أصدر «السلام» مرةً أخرى من موطنها الأول.

(٤)

وفي عام ١٩٤٩م غادر الصحافي والمناضل الأستاذ السيد أحمد عمر بافقيه شرق آسيا إلى وطنه حضرموت بعد أن مكث في تلك الأصقاع عشرين عاماً يدافع عن القضية العربية، ويخدم لغة الضاد، وينشر الثقافة والعلم، كاتباً وصحفياً ومدرساً ومذيعاً ومحاضراً، حيث لم يترك مجالاً من مجالات نشر الثقافة والوعي والعلم إلا ولجه، وكان موفقاً فيه بفضل الله تعالى.

وبدأ بمراسلة صحيفة النهضة العدنية، والتي كانت من أنشط الصحف آنذاك، ويكتب فيها المقالات، وينقل الأحداث الهامة، وعلى رأسها حادثة القصر- عندما قامت مظاهرة كبيرة تطالب بتوطين الوظائف في الدولة وإعطائها للحضارم بدلاً من الأغراب، وقد حصل اشتباك بين المتظاهرين وقوات الشرطة مما أدرى إلى إطلاق نار وقتل شخصين وجرح (٥٥) شخصا واعتقال المئات، وكان من بين المعتقلين الأستاذ بافقيه بسبب مقالاته وروبرتاجه عن المظاهرة وما حدث فيها، مما ألهب الرأي العام ضد السلطة (يناير ١٩٥١م)، ولكن السلطان صالح بن غالب القعيطي تدارك الأمر بحكمته، وأطلق سراح المعتقلين

وعوَّض أهالي الشهداء، كما أمر بمداواة المصابين وتعويضهم، فهدأت النفوس، بعد أن أكد لهم السلطان حرصه على معالجة المشكلة من جذورها.

وانتقل البافقيه إلى عدن بعد إطلاق سراحه ببضعة أشهر، ووصل إلى عدن في أغسطس ١٩٥١م، وتولى إدارة التحرير فيها (أي النهضة)، وكان رفقاؤه فيها صاحبها ورئيس تحريرها عبد الرحمن جرجرة، وعبد الله باذيب، وفي عام ١٩٥٤م استقال البافقيه من النهضة، ليؤسس صحيفة الجنوب العربي، والتي كانت لسان حال رابطة أبناء الجنوب، وانتقل معه الأستاذ عبد الله عبد الرزاق باذيب وأخوه الأصغر منه الأستاذ علي باذيب.

(٥)

وكان الأستاذ أحمد بن عمر بافقيه عضواً عاملاً في«الرابطة»، وفي تلك الفترة ضمت (الرابطة) كل الوطنيين الذين كانوا يناوئون الجمعية العدنية التي كانت تنادي بعدن للعدنيين، ونادت«الرابطة» بوحدة أراضي الجنوب العربي لتشمل المستعمرة عدن وجميع المحميات الغربية والشرقية، ولتنضم إلى ركب الدول العربية في دولة اتحادية، منادية بعروبة عدن واستقلالها من حكم الإنجليز، وإخراج المحميات من هيمنة واستعباد المستشار البريطاني.

وكانت البداية في القاهرة حيث كان يدرس نخبة من الشباب اليمني (بشماله وجنوبه)، منهم السيد محمد علي الجفري (الأزهر)، والسيد سالم عمر الصافي (كلية دار العلوم، جامعة فؤاد الأول التي عرفت بعد الثورة بجامعة القاهرة)، والسيد أبوبكر بن شهاب، وانضم إليهم مجموعة من شمال اليمن منهم الأستاذ محمد أحمد نعمان، وبعض الطلبة، وأسموها (الكتيبة اليمنية). وكان من أهدافهم: انتشال اليمن مما يعانيه من تخلف (الحكم الإمامي)، واستعمار (الحكم البريطاني).

وقد تكونت رابطة أبناء الجنوب، وتم إعلان تأسيسها في عدن في ٢٩ أبريل ١٩٥١م، في النادي الأدبي، من مجموعة كبيرة من شخصيات عدن والمحميات وعلمائها، وتولى السيد محمد علي الجفري رئاستها، وكان نائب الرئيس السيد سالم عمر الصافي، والأستاذ رشيد الحريري أميناً عاماً، وأحمد عبده حمزة نائباً للأمين العام، وعلي محمد مقطري أميناً للصندوق، وحسين عبد الله الحبشي مساعداً لأمين الصندوق، وطه محمد خليل مديراً للنشاط، وفيصل محمد علي مساعداً لمدير النشاط، والأساتذة: محمد علي باشراحيل، ومصطفى عبد الكريم بازرعة، وحسين محمد الصافي أعضاء مجلس الإدارة.

ثم انضم إليهم السلطان علي عبد الكريم العبدلي سلطان لحج، وشيخ العوالق الشيخ محمد أبوبكر بن فريد، والسيد أحمد عمر بافقيه، والأستاذ المحامي شيخان عبد الله الحبشي، وعلي غانم كليب، وعبد الله أحمد الفضلي، وعبد الله عبد الرزاق باذيب، وعلي عبد الرزاق باذيب، وعبد الله الأصنج، وقحطان الشعبي، كما كان عدد كبير من الكتاب والأدباء والمناضلين، وعدد من العلماء الأجلاء متعاطفين مع«الرابطة»، من أمثال: الشيخ محمد بن سالم البيحاني، والشيخ علي باحميش، والشيخ كامل صلاح، وغيرهم كثير.



(٦)

وعلى الرغم من تعدد الاتجاهات إلا أن الجميع قد وافقوا على أن يكون الدين الإسلامي هو مصدر التشريع في دولة الجنوب المستقلة، واللغة العربية هي لغتها الرسمية، ولم تكن الاتجاهات القومية العلمانية، والاتجاهات الشيوعية قد تبلورت آنذاك، فعلى سبيل المثال: لم يكن قحطان الشعبي قد انضم إلى حركة القوميين العرب، ولم يكن عبد الله باذيب وأخوه علي قد تحولا إلى الفكر الماركسي، وذلك لم يحدث إلا بعد محاكمة عبد الله باذيب، وذهابه إلى اليمن ومنها إلى موسكو (عام ١٩٥٥م).

لهذا كله، كانت رابطة أبناء الجنوب هي البوتقة الأولى التي ضمت جميع الاتجاهات الوطنية، ما عدا الاتجاه المنادي بفصل عدن عن الجنوب، وجعل عدن للعدنيين، فكل من ولد في عدن فهو عدني، وكان الهندوس يشكلون نسبة كبيرة من هؤلاء، وكان الخطر ماثلاً، حيث كانت عدن المستعمرة تابعة للحكم البريطاني في الهند، واستمرت الهند تطالب بها بعد استقلالها من بريطانيا، باعتبارها جزءاً من أرض المستعمرات البريطانية الملحقة بالهند!

وهذا ما كان يشكل خطراً ماحقاً على عروبة عدن ويمنيتها، وقد هيأ الله ظروفاً مواتيةً، فقد كانت أكبر قاعدة بريطانية في العالم خارج الجزر البريطانية تقع في قناة السويس، وقد تمت سنة ١٩٥٤م اتفاقية الجلاء عن مصر- مع حكومة جمال عبد الناصر، وبدأت بريطانيا بالفعل بنقل قاعدتها إلى عدن، وتحويلها إلى أهم قاعدة لها في العالم خارج حدود بريطانيا!

(٧)

واهتمت بريطانيا بعدن في تلك الفترة، وأنشأت مصافي البترول الضخمة في البريقة، وهي أكبر مصافي بترول في العالم العربي كله، بل وفي الشرق الأوسط آنذاك، كما اهتمت بالميناء، وأصبحت عدن منذ ١٩٥٤ أكبر وأهم ثالث ميناء في العالم، ولا يسبقها إلا ميناء لندن وميناء نيويورك.

وبحلول عام ١٩٥٦م قامت حملة السويس الفاشلة، وأدت إلى أن تركز بريطانيا على اهتماماتها بعدن، وأن تبني القواعد والسكن لأكثر من ثمانين ألف جندي بريطاني في (خورمكسر)، و(المعلا)، و(التواهي)، وتقاطرت الشركات العالمية وأغلبها بريطاني على ميناء عدن، وازدهرت التجارة الحرة بشكل كبير جداً، وكل ذلك استدعى استقدام عشرات الألوف من العمال من اليمن الشمالي (آنذاك) إلى عدن. وقامت النقابات العمالية، وتولى أمرها عدد من أبناء عدن، على رأسهم الأستاذ عبد الله عبد المجيد الأصنج، الذي ربط

المؤتمر العمالي بالنقابات العمالية في أوربا وبحزب العمال البريطاني، مما أعطى الحركة العمالية زخماً كبيراً، وقوةً سياسيةً هائلة. فكان لابد من المناداة بأن عدن جزء من اليمن، فلولا عشرات الآلاف من العمال من شمال اليمن لضاعت عروبة ويمنية عدن، ولأصبحت مدينة مختلطة يتولى شأنها الهندوس الذين تقاطروا عليها.

(٨)

لقد كان من أخطاء(الرابطة)في تلك الفترة (أواخر الخمسينات وبداية الستينات)، أنها لم تعر هذه المسألة ما تستحقه من الأهمية، وظلت تنادي بالجنوب العربي المستقل الذي سينضم إلى ركب الدولة العربية الواحدة من المحيط إلى الخليج .. وهذا أمر أدى إلى كل مآسي(الرابطة)واتهامها بالانفصالية، بل وخدمة الاستعمار البريطاني، وهي من ذلك كله براء. ولكن قصورها في فهم هذا الوضع أدى إلى كل تلك المآسي التي عانت منها الرابطة، والى خروج أعداد كبيرة من المثقفين والصحفيين والمناضلين منها، وانضمامهم إلى الحركات الأخرى المنادية بوحدة اليمن، وبالاتجاهات الاشتراكية.

وقد استطاع المؤتمر العمالي باتجاهاته الاشتراكية والوحدوية لأرض اليمن أن يكسب الجولات الأولى، وأن يقوم بعشرات الإضرابات العمالية، وتحقيق مكاسب لهؤلاء العمال لم يكونوا يحلمون بها، وتحولت هذه القاعدة فيما بعد إلى جبهة التحرير الوطنية، وإلى كوادر الجبهة القومية. وبعد حرب ضروس أدت إلى الاقتتال بينهما، انتصرت الجبهة القومية بعد أن أيدها الإنجليز وسلموها الحكم في كل الجنوب اليمني من أقصاه إلى أقصاه، وذلك بسبب خلافات الجبهة القومية مع عبدالناصر، وولاء جبهة التحرير له.

(٩)

وأما (الرابطة) فكان مصيرُها منذ فترة مبكرة النفي والتشريد، والاتهام بالعمالة والانفصالية، وهي من كل ذلك براء. وتتهم (الرابطة) بأنها لم تناضل الإنجليز، وهذا اتهام

باطل، فقد واجهت (الرابطة)السلطات الاستعمارية، مما أدى إلى نفي أعضائها وتشريدهم، وكان أول من حوكم من الصحفيين المحسوبين على(الرابطة)آنذاك: الأستاذ عبد الله عبد الرزاق باذيب، على مقاله (المسيح الجديد الذي يتكلم الإنجليزية)، والذي نشر في صحيفة الجنوب العربي. وانتقل بعدها إلى المملكة المتوكلية اليمنية، ومنها توجه إلى موسكو حيث بدأ خطه الماركسي (١٩٥٥م)، وقد دعمت (الرابطة) عبد الله باذيب، وأخرجت جماهيرها إلى ساحة المحكمة لتأييده، حيث كان حتى ذلك الوقت من أعضائها المهمين.

ثم خاضت (الرابطة) الكفاح المسلح في المحميات، حيث قام السلطان محمد بن عيدروس في يافع السفلى بمحاربة الإنجليز، ومحمد بن عيدروس هو أحد أعضاء (الرابطة) ومؤيديها، ثم قامت ثورة الربيزي، وثورة العوالق، وغيرها من الثورات المسلحة، ضد بريطانيا، وإنكار جهاد هؤلاء هو من غمط الحق، وتزوير التاريخ الذي قامت به الجماعات الماركسية، والتي تولت كتابة التاريخ في جنوب اليمن، بينما لم تقم (الرابطة) للأسف بتوضيح جهودها وكفاحها ضد الاستعمار.

وقامت بريطانيا في ١٨ يونية ١٩٥٦م بنفي الأستاذ شيخان ومنعه من دخول عدن بعد أن ذهب إلى مصر ليشارك المصريين في احتفالاتهم بذكرى عيد الجلاء، وتلا ذلك منع الأستاذ السيد محمد علي الجفري رئيس (الرابطة) من دخول عدن، بعد أن ذهب هو والأستاذ رشيد الحريري إلى القاهرة لعرض قضية الجنوب العربي في القاهرة، في يولية ١٩٥٦م. وداهمت السلطات البريطانية مقر (الرابطة) في عدن في ١١ أغسطس ١٩٥٦م، ولكن الجفري عاد إلى لحج، وزاد أوار الثورة والاعتراض على السياسة البريطانية بتأييد السلطان علي عبدالكريم العبدلي، مما أدى إلى عزله عام ١٩٥٨م.

وكانت دار سعد (القريبة من عدن) تابعة لحكومة لحج، فعقدت فيها الاجتماعات الشعبية المناهضة للاستعمار، وكانت أشعار عبدالله هادي سبيت (شاعر الرابطة) المناضل، تجعل الجماهير الغفيرة كلها تنشد:

حُطّ يدَّك على المدفَعْ زمـــان الذلّ راحْ

واشتعلت الثورة ضدَّ الإنجليز بسبب مواقف (الرابطة) هـذه، وكـل ذلـك قبـل أن يكون للجبهة القومية أو جبهة التحرير أيُّ وجودٍ أو كيان. وهكـذا؛ تتالـت الاضـطهادات لرجال الرابطة، وفر قحطان الشعبي مع الأستاذ أحمد عمر بافقيه إلى الـيمن عـام ١٩٥٨م، ومنها توجهت هذه المجاميع إلى القاهرة.

ونتيجة إضراب الطلاب في كلية عدن، قرر مديرها معاقبة بعض الطلبة القائمين على الإضراب بالضرب والجلد، فنفر من ذلك الطلاب وأهـاليهم، وبـدأت أول موجـة كبـيرة للـذهاب إلى القـاهرة لطلـب العلـم فيهـا، وذلـك عـام ١٩٥٦م، وقـد لعبـت (الرابطـة) وأعضاؤها دوراً هاماً في تأمين سفر هؤلاء الطلاب، وتأمين معاشهم، وإيجاد مـنح دراسـية لهم، من الشقيقة مصر، ودفع السيد عبدالله بن صالح المحضار التذاكر لكل الطلبة الفقـراء الذين لم يستطيعوا توفير تذاكر السفر إلى القاهرة، كما قام الأستاذ شيخان الحبشي في القاهرة بترتيب إعاشتهم ودراستهم، وتبعه في ذلك الأستاذ أحمد عمر بافقيه.

وهذه المواقف النضالية والجهادية للرابطة تُنسَى! وينسب الفضل فيها لغيرها، وهـو جحودٌ أي جحود! ونكرانٌ للفضل أي نكران!

(١٠)

وقد تعرفتُ على الأستاذ أحمد عمر بافقيه في أواخر عام ١٩٥٦م، عندما بـدأت وأنـا في كلية عدن (المرحلة الثانوية) أكتب مقالاتٍ سياسيةً ضد الإنجليز باسم مسـتعار، وكـان الأستاذان عبدالله وعلي عبدالرزاق باذيب يشجعاني على ذلك، ثم توطدت علاقتي بهما، وفي تلك المرحلة بدأ توجههما إلى الاشتراكية العلمية (الماركسية)، وبدأت أقـرأ الكتـب في هـذا المجال، ولكن والدي ـ رحمه الله ـ أرسل لي من مصر بتوجيه من صديقه السـيد سـالم عمـر الصافي (وهو في درجة العم لوالدتي) كتب سيد قطب التي صدرت آنذاك، وهـي (العدالـة

الاجتماعية في الإسلام)، و(معركة الإسلام والرأسمالية)، و(السلام العالمي والإسلام)، فامتلأت إعجاباً بهذه الكتب، وكلّ ما كنت أبحث عنه من عدالة اجتماعية ودعوات للسلام تتشدق بها الماركسية، وجدته في هذه الكتب.

وبدأت أناقش الصديقين (وهما أكبر مني سناً وخبرةً) وأعطيتهما كتاب (معركة الإسلام والرأسمالية)، فتجنبا مناقشة هذا الكتاب بتاتاً، رغم محاولاتي المتكررة، ومنذ تلك اللحظة خبا البريق الذي كان يلوح لي في هذه الدعوات الاشتراكية، ورجعت إلى قواعدي سالما.

وكتبت مقالين في «الجنوب العربي» باسمي الصريح، أحدهما: عن التصوف، بعد أن واجه اتهاماتٍ باطلةً بأنه هندوسي وبوذي المصدر، فأوضحت أن مصدر التصوف الإسلامي هو الرقائق والزهد في الدنيا. وأول كتاب في الزهد ـ كما يقول الدكتور زكي مبارك ـ هو القرآن الكريم، في كتاب (التصوف الإسلامي)، الذي كان مصدري للرد عليهم، وثانيها: أحاديث الرسول المصطفى ﷺ في ذم الدنيا، وثالثها: حياة الرسول الكريم ﷺ وآل بيته الأطهار وصحابته الأبرار، التي كانت مثالاً للزهد في الدنيا وعدم الاكتراث بها. وهو قمة التصوف الحق، وأما ما تلا ذلك من مواجيد، فكانت تتبع العصر الذي وجدت فيه، ثم ظهرت بعد ذلك الفلسفات والشطحات التي أثارت الزوبعات في التصوف، وهي في الواقع ليست منه، بل مضافة إليه، يجب إبعادها عنه، وقد شجعني على نشر هذا المقال وتصويب ما فيه الأستاذ أحمد عمر بافقيه، رحمه الله رحمة الأبرار.

ثم نشرت مقالاً عن شاعر السلام (زهير بن أبي سلمى)، وكان غرضي من ذلك: أن دعوات السلام التي يتشدق بها الماركسيون قد وجدت لدينا منذ العهد الجاهلي، وكنت متأثراً في ذلك الزمن بحديث الأربعاء للدكتور طه حسين، فكان المرجع الأول في هذا المقال الأدبي.

(١١)

وعرفت الأستاذ أحمد عمر بافقيه في القاهرة، حيث كانت الوشائج الأسرية وطيدةً، وكان له جهد في تذليل صعوبات الطلبة في الالتحاق بالمدارس والجامعات المصرية، ولم ألتق بالأستاذ بعد ذلك إلا في جدة بعد عام ١٩٧١م، وكانت لقاءات متفرقة هنا وهناك، وكان من الواجب الاستفادة من ذلك العلم في ميدان الثقافة والصحافة والنضال، لكن انشغال الطبيب واندفاعه في عمله وفي أنشطة أخرى كثيرة عاقته عما كان يريد ويتمنى.

فرحم الله الأستاذ أحمد عمر بافقيه، على ما قدم لأمته وشعبه وللمسلمين عامة، وجزى الله أخانا الكريم الأستاذ المحقق البارع الأستاذ الشيخ محمد أبوبكر باذيب خير الجزاء، على ما أتحفنا به من سيرة هذا المناضل المجاهد، ولم يكتف الأستاذ باذيب بسيرة البافقيه، وإنما أضاف إلى ذلك نشر مجموعة وافرة من مقالاته، في «**صحيفة العرب**»، و«**صحيفة السلام**»، و«**النهضة**»، و«**الجنوب العربي**». مع بعض أحاديثه في إذاعة عدن عن مرحلة اعتقاله في إندونيسيا بواسطة اليابان.

(١٢)

وقد أطللنا من خلال هذه الترجمة على معلومات هامة جداً عن الأوضاع في سنغافورا والملايو وإندونيسيا، ودور العرب الحضارمة في تلك الأصقاع، كما أطللنا من خلال سيرة البافقيه على رباط تريم، وطلب العلم من الشيوخ، وكيف تكفي خمس سنوات لطالب نجيب أن يمتلك فيها أعنة البيان، وسلامة اللغة، وعمق التفكير، ومعرفةً بالفقه، وتاريخ الإسلام، حتى يستطيع وهو دون العشرين أن يلج عالم الصحافة الواسع، وأن يحرر ويمتلك «**صحيفة العرب**»، ثم «**صحيفة السلام**»، وأن يسهم إسهاماً واسعاً في الحياة العملية والاجتماعية في تلك الأصقاع. ومن خلال سيرة البافقيه، نعرف الأوضاع في حضرموت، وفي عدن، والأحداث الجسام، ومواقف الحركات الوطنية، وخاصةً (الرابطة)

أبناء الجنوب، التي انتمى إليها بافقيه منذ بداية الخمسينات إلى حين وفاته في جدة عام ٢٠٠٥م.

إنه لكتاب رائع، لا يؤرخ فقط لعلم من أعلام حضرموت واليمن، وإنما يؤرخ لحقبة تاريخية، ولأحداث غابت عن كثير من المؤرخين، أو غيبوها عمداً ليغمطوا جهود رجالات (الرابطة) في الحركة الوطنية، ويتهمونها بشتى الاتهامات الجائرة والباطلة، رعى الله الأستاذ الشيخ محمد أبوبكر باذيب، وأمده بالصحة والعمر المديد ليخرج لنا المزيد، فنحن في انتظار كتابه عن العلامة الأستاذ السيد محمد أحمد الشاطري، وكتابه عن العلامة الأستاذ محمد بن هاشم العلوي الذي جمع له بعض مقالاته ونشرها في كتاب، ولكن نطمح إلى المزيد، وهو من أهل المزيد.

محمد علي البار

جدة: ١/ ٣/ ١٤٢٨هـ

٢٠/ ٣/ ٢٠٠٧م

التقريظ الرابع

بقلم السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد (*)

(١)



«أحمد بن عمر بافقيه» عنوان كتابٍ قيم جمعه وحرَّره الأخ الأديبُ الباحث محمد بن أبي بكر باذيب، قدمه إليّ وطلب مني أن أكتب كلمةً ولو موجزةً عن هذا الكتاب بما تسعفني الذاكرة. ومن خلال تصفحي السريع لبعض محتوياته من معلومات قيمة، وجدت أنها ترسُم صورةً مشرقةً جديرةً برضا القارئ وإشباع رغبته من كل ما يُتوسَّم وجودُه داخل إضبارة هذه الصورة. خاصةً وأن الأخ باذيب حينما أقدم مشكوراً على هذا العملِ الرائع فإنه لم يبدأ من فراغ، ولم يكن أول جهد من نوعه يقوم بهِ في هذا المجال.

(*) أديب وشاعر ومؤرخ، مولده في (قيدون) بحضرموت، تلقى العلم على يد والده الحبيب أحمد مشهور (ت ١٤١٦هـ) وجده لأمه العلامة عبدالله بن طاهر الحداد (ت ١٣٦٧هـ)، وهما من أعلام العلماء والدعاة، هاجر صحبة والده إلى شرق أفريقيا، ثم استقر به المقام في مدينة جدة. له من المؤلفات: «الإمام الداعية الحبيب أحمد مشهور الحداد صفحات من حياته ودعوته» صدر عن دار الفتح للدراسات والنشر بعمان، و«دراسات عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا» طبع في مصر وقدم له الأستاذ أنور الجندي، ثم أعادت طبعه حديثاً دار المنهاج بجدة بزيادات كثيرة، وله غير ذلك، حفظه الله وأدام النفع به.

وهو بحاسة الباحث الفطِن حرِصَ على أن يقدّم للقارئ الصورةَ التي اختارها دون مقدمات لفظية متكلفة، يعتمد فيها على تزويقِ الكلمات، أو المبالغة في وصفِ الواقع، أو التهويل في سرد الأحداث، بل أطلق قلمه على سجيته يسجل بكل صدق وأمانة ما يدرك معه القارئ المتشوف للمزيد من الجهود الجبارة التي سجلها التاريخ عن النخَب من الرواد الأوائل الذين جابوا البحار، وتنكّبوا الأخطار، انطلاقاً من وطنهم (حضرموت) إلى (الهند) و(الفلبين) و(حدود الصين) و(ماليزيا) و(إندونيسيا)، وما يرويه من سيرهم ودعوتهم من الثراء الفكري والعلمي، مما يبعث على الفخر والاعتزاز، وما أسهمت به عقولهم في نشر الوعي الذي رسخ في النفوس روح الانتماء إلى القيم والمبادئ.

(٢)

وقد رأينا حرصَ المؤلف على المضي في رحلته الطويلة على خط سير مستقيم وضعه لنفسه، ورسَم خريطته التي حدد فيها بعناية فائقة معالمها الزمانية والمكانية، وتتبع حركات المترجم له من كل زواياها العلمية والفكرية والثقافية والسياسية، وما عاناه عبر السنين الطوال من سجن ونفي وتشريد وتعذيب وإقامة جبرية، مستعيناً بلمحات خاطفة مما يعرفه ابنا الفقيد الكريمان زيد وعمر من حياة والدهما، وتعاونهما التام في مراجعة الكتاب وتتبع مراحل العمل فيه خطوةً بخطوة في حياة والدهما وبعد وفاته، كما أشار إلى ذلك في مقدمته. وقد عُني بصورة خاصة بذكر أسرته ومكانتها العلمية، وما عرفتْ به من الفضل والزهد والسيادة، فنمت معه هذه الصفات الحميدة التي كان لها الأثر الأكبر في تكوين شخصيته وبروزها واتصالها وربطها بالعلماء الكبار والأئمة الأعلام وغيرهم من رجال السياسة والأدب في العالم الإسلامي.

(٣)

جاسَ المؤلف خلال بعض الزوايا التاريخية التي كادت أن تصبح نسياً منسياً، باحثاً ومنقباً، وقد قطع بذلك شوطاً مهماً، راجين أن تكون حصيلة هذا الجهد الجاد باعثَ خير على بروز أعمالٍ أخرى بإذن الله، وكم في الزوايا من خبايا!

ونجاحُ عمل الباحث أو الدارس منوطٌ بمدى قدرته على استخلاص الحقائق من مظانها، وكلَّ ما كان التعمق في البحث والتأني في الحكم على الأشياء هما المحور الذي يعول عليه في عمله، كان النجاح أعظم، وأكثر تقبلاً واهتماماً بمضمونه من قبل القارئ. أما إذا داخله نوع من التخيل والتصور الشخصي الذي قد يخضعه لعوامل لا تخدم أي هدف أو غاية ذات قيمة، فإنه لا يستطيع إقناع غيره بأن يتقبله على علاته؛ لأن في ذلك تجنِّياً غير منطقي على الحقائق، يجعل من ذلك التصور والتخيل عملاً غير جاد يبطل من تلقاء نفسه عند الوقوف أمامه؛ لعدم استناده على الأدلة القطعية، وهذا ما تأباه العقول والأفكار المستنيرة. وإذا كانت هناك وقائع وأحداث موغلة في القدم، فلا بأس من استخدام التعمق الفكري عندما يصبح أمراً حتمياً في كشف غوامضها، بالتحليل والتعليل، داخل نطاق الحقيقة.

ومن هنا؛ فقد وقفت مع نفسي قبل أن أخط بقلمي أتمعنُ بكل تأنٍّ هذا الجهد الذي اضطلع به المؤلف، ولم يطل بي الوقوف، ولم يمضِ بي التمعنُ إلى أبعدَ مما لفت انتباهي إلى حديث دار بيني وبينه قبل برهة من الزمن، ذكر لي من خلاله بدأه في إعداد دراسة عن حياة تلك الشخصية الفذة، والتي ارتبط بها ارتباطاً وثيقاً. ولم يكن في تصوري أن تتعدى مساحة هذه المعلومات أكثر من (خمسمائة صفحة) بأسلوبه الشيق والممتع، الذي يتيح للقارئ الولوج إليها من أي باب من أبوابها المتعددة، وليست من باب واحد، وكلها موصِلة إلى الغاية التي يتشوف إليها القارئ.

(٤)

وإذا كان الكتاب يُعرَف من عنوانه، فإن سيرةَ المترجَم له لا تحتاج إلى تعريف بقدر ما تحتاج إلى جمع وقائعها وأحداثها، كما هي بين دفتي هذا الكتاب، للحفاظ عليها من الضياع، وحماية لها من الإهمال، وتخليداً لذكريات ذات مزايا وصفات وخصائص هي إرث الأجداد للأحفاد. ثم وجدت نفسي مرةً أخرى أقلب صفحات الكتاب، وأتنقل من محطة إلى محطة أخرى مقدراً للمؤلف هذا المجهود.

ومع تصوري لأبعاد الزمان والمكان، فقد ازداد تقديري وسروري بما شاهدتُ وما رأيت من الصور المتجددة التي لا أعتقد أن العثور عليها صعب المنال، ولكنه ليس بالسهولة التي قد تغري صاحب الطموح المحدود، والتفكير الضيق من التشوق إليها قبل أن يضع تقديره لتلك الأبعاد الزمانية والمكانية ومداها الشاسع، وربما أعاق الكثير من السير قدماً نحو الغاية. من حيث كونهم لا يرون الحقائق كما هي بوقائعها وأحداثها التي يحسبونها؛ لقلة الخبرة وعدم القدرة على سبر أغوار التاريخ ومظانه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، وهي في الواقع المحسوس رُؤىً ومشاهد ووقائع وعلامات بارزة، لا يكاد الباحث المتمكن أو الدارس الجاد يصل إليها، ويضع يده عليها، حتى يقدح جذوتها، فتضيء شعلتها، وتبدو صورتها ناصعةً تمثل كل المشاهد والرؤى داخل إطارها الواسع واضحةً كل الوضوح، وقد تحتاج في أضيق الحدود إلى ريشة رسام يجلي عنها غبار الزمن، ويراع خبير لا يجف مداده وهو يضع النقط على الحروف، ليسهل على القارئ رؤية مشاهدها، وتنسيق وقائعها، وسردها وتوضيح الأحداث، وضبط شواردها كمادة أساسية متممة لما قبلها، موصولة بما بعدها، ذات أثر وتأثير على كل من يعشق محنة المتاعب البحثية وأخواتها، أو تتبع سير الرجال ورحلاتهم الطويلة، وكشف بصماتهم التي تركوها علاماتٍ بارزةً على صفحات الزمان، وقد أصبحت لاندثار المكان عرضة للنسيان.

ولعلنا نجد في هذا المؤلَّف ما يدفعنا إلى الحرص على البحث عن تراث وسير الرجال، وبعثها من جديد، وعلى أي مستوى كان لا يمكن تجاهله أو تجاوزه إلى اعتبارات لانطباعات خاصة، أو تخيلات عابرة لا تستحق أية أهمية بحكم المؤثرات، وقد حدّت من ملامحها ومظاهرها الأصيلة التي لا يدري أهميةَ ما اندثر منها أو أهمل إلا القادرُ على الابتعاد بها عن السطحية أو المفاهيم الخاطئة.

(٥)

ولقد وجدت نفسي أيضاً من خلال مروري مرَّ الكرام على بعض المحطات التي استطاع المؤلف أن يبرز بحسن اختياره ـ من واقع منعرجاتها ـ استراحاتِ قصيرةً يتفيأ القارئ ظلالها؛ ليخرج منها بمعلومات ذات مدلول فكري، وبعد نظر، وقوة إرادة، وصدق عزيمة، وكلها تنبُع من تلك الطاقة التي ظل المترجم له يختزنها داخل أعماقه، والتي مكنته فيما بعد من الصمود أمام العواصف الهوجاء، كلما جابهته، بجهد لا يكل وتصميم أكيدين، لم يتعد بهما في أول الأمر الصورة التي وجدها أمامه، بدءاً بوقائع رحلته إلى (سيلان)، والتي تمثل المحطة الثانية في رحلته الطويلة، امتثالاً لتوجيهات والده، وقد جاء تفصيلها في هذا الكتاب. ثم خوضه غمار الحياة ـ بتجاريبها واتساع مهمَهِها أمامه ـ شيئاً فشيئاً داخل مهجره وخارجه، وصولاً إلى العمل على تخليص وطنه من أغلال الجهل، وتحريره من رِبقة الاستعمار.

ولم تحل دون طموحاته أي عقبة، كاختيار والده بأن يحل محله بـ(سيرلانكا) في مشيخة الطريقة العلوية القادرية، والتي قضى في عاصمتها (كولمبو) عاماً ونيفاً، وهي آنذاك مستعمرة بريطانية. ولكنه لم يستطع مقاومة طموحاته وتطلعاته إلى ما هو أوسع رحابةً من العيش الرغيد، والرتابة المملة، فغادرها إلى سنغافورا. وكأني به يستحضر ـ وقد جدَّ عزمه للرحيل ـ هذه الأبيات التي قالها الإمام الشافعي رحمه الله، ولا أدري في أي مناسبة قالها الإمام:

أمطـرِي لؤلـؤاً جبـالَ (سرنديـ ـبَ) وفيضي آبارَ (تكرورَ) تـبرا
أنا إن عشـتُ لسـت أعـدَمُ قوتـاً وإذَا مِـتُّ لسـتُ أعـدَمُ قَـبْرا
همتـي همـةُ الملـوكِ ونَفـسِي نفْـسُ حُـرٍّ تَـرى المذلَّـة كُفْـرا
وإذا مـا قنِعـتُ بـالقُوتِ عُمْـري فلـماذا أخَـافُ زيـداً وعَمـرا

أو تشاءَمَ مِن أبيات جاءت ضمن قصيدة لشاعر العروبة الكبير محمود سامي البارودي، قالها وهو في (سرنديب)، حيث نفي إليها من مصر، وقد كانت منفىً لكثير من رواد الفكر والسياسة في عهود الاستعمار، وهي:

لا في سَرنـدِيبَ خـلٌّ أسـتعينُ بـهِ على الهمـوم إذا هاجـتْ ولا راعِـي
يظنّني من يـراني ضَـاحِكاً جَـذِلاً أني خـلِيٌّ! وهَمِّـي بـينَ أضـلاَعي

وكان عند تصوره في تحقيق ولو بعض ما يطمح إليه في سنغافورة، خاصةً في النشاط التجاري والعلمي والثقافي والاجتماعي، بعيداً إلى حد ما عن النشاط التجاري الذي لم يكن له موقع في جدول طموحاته.

ولم تطل إقامته في سنغافورة، ولكنها كانت مليئةً بالمنجزات والمفاجآت، حيث وجد نفسه مجبراً على الرحيل عنها، فيواصل رحلته في عتمة المجهول الذي بددت ظلماته وأوضحت سبله قوة الإرادة، وسعة الأفق، والثبات على المبدأ، وتحدي الصعاب، والتي برزت نتائجها على مسار الأحداث هناك.

(٦)

وكان للاستراحات القصيرة التي يجد فيها ما يسري به عن نفسه عناء الطريق ووحشة الغربة أثر كبير على نفسه، كما أوضح ذلك (المؤلِّف) بوضع العلامات الدالة عليها

بالعناوين، وسرد بعض ما تحتوي عليه من مفاجآت سعيدة تناولت أكثر من جانب من جوانب حياته الخاصة منها والعامة، وجاءت مفصلة في الكتاب.

ولا بأس أن نأتي هنا على نبذ منها تكشف عن حقائق علمية وثقافية ذات جذور عميقة، موطنها الزماني والمكاني مدينة (فلمبان)؛ عندما حلَّ بها (المترجم له)، وتعرف على نخبة من سكانها العرب، كان ذلك بمثابة صفحة جديدة من تاريخ رحلته، افتتحها بالاتفاق معهم على إنشاء مدرسة عربية لتعليم أبنائهم، وتولى إدارتها والتدريس فيها، وهنا تواتيه الصدفة، باكتشاف أديب وشاعر وأستاذ قدير، من المواطنين، هو الأستاذ محمد سعيد قوشي، من مدينة (قاروت) الذي اختاره فيها مدرساً لكفاءته وجدارته، وقد نشرت له قصيدة رائعة على صفحات هذا الكتاب وذكر مناسبتها.

وهذه الصدفة بذرة طيبة آتت أكلها، وأينعت ثمرتها بعد حين، وغرسة مباركة غرستها أيد لم يذهب مجهودها هدرا. وكم من صدفة انطمست آثارها! وكم غرسة صوحت أغصانها! ولو وجد من يرعاها اليوم ويتعقبها لكان في ذلك ما يثري اللغة العربية في تلك الأصقاع، وينمي مواهبها الفكرية والأدبية، ويقوي مركزها الحضاري والثقافي، وهذا ما سعى إليه الرواد الأوائل، وناضل وكافح من أجله الأستاذ الكبير السيد أحمد بن عمر بافقيه، وأسهم من أجل الدلالة عليه أخونا الباحث الأديب محمد بن أبي بكر باذيب.

ففي ثنايا هذا الكتاب، سيجد القارئ الكثير مما يتطلع إلى معرفته من الشؤون التاريخية والسياسية والحضارية والثقافية، في تلك الحقب من الزمن التي يساهم فيها أستاذنا القدير أحمد بن عمر بافقيه بكل همة ونشاط.

(٧)

وعلى الجملة؛ فإن الكتاب وقد أصبح بين أيدي القراء من الدارسين والباحثين، نرجو فيه أن يكون من أهم الحوافز لإيقاظ الهمم، والتصدي لكل ما يبلبل أفكار النشء،

عند دراستهم للتراث والحضارة والتاريخ، باعتمادهم على الكتب ذات المراجع التي تتلمس المعرفة من مظانها، والتوثق عند الاطلاع على المصادر التي هي الأصل والأساس في تسجيل ما قام به الرواد الأوائل، الذين رسخت أقدامهم في الأرض التي أحبتهم وأحبوها، وأسهم الكثير منهم في مرحلة التأسيس والبناء إبان استقلالها من الاستعمار البغيض، الذي حرص كل الحرص على تمزيق أواصر الوحدة الشعورية والروحية والإسلامية بصورة عامة.

ولكن الإسلام بقيمه ومبادئه التي لا تتغير ولا تتبدل أمدهم بقوة من عنده، مكنتهم من تأكيد تلك الصلات والمشاعر الأخوية الإيمانية، وتطبيقها على أرض الواقع، وفي أعماق القلوب، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

جدة، في ٢٨ ربيع الأول ١٤٢٨هـ

التقريظ الخامس

بقلم سعادة الدكتور عمر عبد الله بامحسون

أحمد بافقيه مدرسة متعددة المواهب

(١)

عرفت أستاذنا الجليل السيد أحمد عمر بافقيه ـ يرحمه الله ـ منذ بداية الستينات من القرن الماضي؛ حيث كنت حينها أحد تلاميذ (مدرسة بازرعة الخيرية) في عدن مع ابنه (عمر) الذي كان زميلاً لي في تلك المدرسة التي درسنا فيها، وتربينا معاً على مدرسة والده الوطنية، نقرأ له عندما كان صحفياً لامعاً فتأخذنا كتاباته التي تتميز بالصدق والصراحة وبُعد النظر، فقد بدأ مسيرته الصحفية في المهجر الأسيوي في إندونيسيا، حيث أصدر «**صحيفة العرب**»، ثم «**صحيفة السلام**»، وخاض بقلمه الملتزم الذي لا يعرف التملق والتزلف والتدليس معارك ضارية ضد الاستعمار الهولندي والياباني، ودخل السجن إبان الاحتلال الياباني الغاشم لإندونيسيا.

وخلال فترة النضال والمقاومة للاستعمار الياباني لإندونيسيا، ارتبط الأستاذ أحمد بافقيه بصلات وعلاقات وطيدة مع الزعيم الإندونيسي المناضل الدكتور (**محمد ناصر**)، والمجاهد الكبير الدكتور (**محمد حتّى**) المسؤول عن حرب العصابات ضد الاحتلال الهولندي. ثم عاد لحضرموت وعمل مراسلاً لصحيفة النهضة العدنية، وعاصر حركة التغيير الوطني للإصلاح التي قادها السيد **عبد الرحمن الجيلاني** حتى تعرض للحبس، ثم غادر مدينة المكلا إلى جدة. ولما انتقل الأستاذ أحمد عمر بافقيه إلى عدن، تم تعيينه مديراً لتحرير جريدة النهضة الأسبوعية التي كانت لسان حال الحركة الوطنية عند إنشائها.

وكان مدرسةً في الأدب والوطنية، ولم لا فهو قد عاصر مدرسة التحرير الكبرى في أكبر دولة إسلامية في جنوب شرق آسيا، في جمهورية إندونيسيا، وشارك في العمل النضالي في فترة تعد من أصعب الفترات التي مرت على إندونيسيا، عندما كانت ترزح تحت نير الاستعمار الهولندي الغاشم، ثم الاحتلال الياباني القاسي الذي عاث في الأرض طغياناً وتنكيلاً وفساداً.

(٢)

وقد اشتهر الأستاذ الجليل أحمد بافقيه ـ يرحمه الله ـ بالصدق والنقاء والإخلاص، والتمسك بالقيم العليا ومكارم الأخلاق، فلم يطمح إلى منصب أو سلطة أو جاه، فقد كان ميسراً له أن يتولى الوزارة أو السفارة؛ يؤهله لذلك تاريخه السياسي، وقربه وعلاقته مع قادة التحرير في إندونيسيا: الدكتور (محمد ناصر)، والمناضل الدكتور (محمد حتى) قبل افتراق المناضلين. كما كان له عين التواصل والعلاقات الوثيقة مع المناضلين من رجالات ماليزيا، وذوي الأصول العربية منهم، وقد كان بإمكانه أن يكون وزيراً في حكومة (تنكو عبد الرحمن)، أو سفيراً كرفاقه وأنسابه من آل شهاب وآل البار، ولكنه آثر العودة إلى أرض الأجداد، حاملاً في جوانحه ووجدانه الآمال والأحلام بأن تنهض الأمة، وتفيق من سباتها العميق. وظل متواصلاً مع القيادات في إندونيسيا وماليزيا، وقد زاره عدد من هؤلاء الزعماء عندما استقر في جدة منذ عام ١٩٦٨، بعدما سيطر الشيوعيون على أرض الجنوب.

(٣)

ولم يتوقف قلمه عن الدفاع عن الحق وعن العروبة والإسلام، رافعاً قلمه سيفاً مسلَّطاً على الخارجين على الدين الذين وصل بهم غرورهم وطغيانهم التطاول على الذات الإلهية في صحفهم الحمراء التي كانت تصدر في عدن والمكلا إبان الحكم الشيوعي في الجنوب، يبث فجارهم سمومهم وأراجيفهم وافتراءاتهم فيها، يعاونهم في ذلك الشيوعيون

من الفلسطينيين واللبنانيين الذين كانوا ينشرون الفكر الهدام على شعب فقير ضعيف تغلب على الأكثرية منهم الجهالة والأمية.

لقد عرف الأستاذ أحمد بافقيه بين أصدقائه وزملائه من المفكرين والكتاب والسياسيين بمقولته الشهيرة: «لقد قلت لكم». فقد كان يرحمه الله كثيراً ما تختلف تحليلاته وتوقعاته وآراؤه في كثير من الأمور مع آراء زملائه وأصدقائه الذين تغلب على أرائهم العاطفة والعلاقات الشخصية أو التحيز لأحد ممن تربطهم به علاقة، أو يكون من أهل مدينته أو قريته، بينما تصدر أحكامه بموضوعية وتجرد عندما يبدي رأيه في السياسة أو الأشخاص. وكثيراً ما تثبت رأيه الأيام، بعد فترة من الزمن قد تقصر أو تطول، وتتأكد رؤيته الثاقبة حول الأمر الذي كان لأصدقائه وزملائه فيه رأي مخالف لرأيه، فيقول لهم بأسلوبه اللطيف مذكراً لهم صدق حدسه قولته التي اشتهر بها: «لقد قلت لكم»، ولسان حاله يقول: (ولكن لا يطاعُ لقَصيرٍ أمرٌ). كان يرحمه الله حجة في الرأي، صادقاً في حديثه، صريحاً في عصر لا تنفع فيه الصراحة، زاهداً في الدنيا، لا يركض ويلهث وراء المال، ولا يبيع قلمه أو يسخره في خدمة الشيطان.

(٤)

وقد استمرت علاقتي به أزوره ولا أنقطع عنه، أجد في قربي منه الأنس والمتعة والأحاديث الشيقة والذكريات التي اختزنتها ذاكرته، وعندما أسسنا مجلة «**شعاع الأمل**» الناطقة باسم (جمعية الأمل الخيرية الاجتماعية والثقافية) التي تصدر في المكلا، كان من أكثر الناس حرصاً على متابعتها وتصفحها، ومن المعجبين والمهتمين بها. وعندما تم تعيين المرحوم (فاروق بن زيمة) مستشاراً لتحرير مجلة «**شعاع الأمل**»، أجرى حواراً طويلاً مع الأستاذ بافقيه عن رحلته الطويلة في عالم الصحافة، وتجاربه في معترك النضال الوطني، تم نشره في شعاع الأمل، وكان ذلك اللقاء الصحفي بحق توثيقاً مهماً لمرحلة دقيقة عاشها الأستاذ بافقيه، لم يكن دوره فيها دور المسجل والراصد لأحداثها، وإنما كان عنصراً فاعلاً

ومشاركاً في صناعة أحداثها ووقائعها. فمنذ نعومة أظفاره إلى مرحلة الشيخوخة من عمره الحافل بالعطاء، لم يتوقف عن النضال والدفاع عن دينه وعروبته، لم يبع نفسه الأبية للأفاكين؛ إنما ظل مؤمناً بما آمن به، لم تتغير أفكاره و آراؤه ومواقفه الشجاعة، ففد ظل متمسكاً بها، رافعاً راية الحق، حتى لقي ربه وهو يناهز التسعين من العمر. كان يأسى وينفطر قلبه حسرةً وألماً لبلده، يحزن لما وصل إليه من تخلف وتأخر وجهل بعد أن نكب بالنظام الشيوعي الماركسي.

تذكرت ذلك وأنا أستمع لما قاله السيد **علوي جمل الليل** ـ أحد أحفاد المهاجرين إلى (سيرلانكا)، والذي أصبح محافظاً لعاصمتها ـ عند زيارته لمدينة الرياض التي استضافه خلالها الأخ (**السيد أحمد أبو بكر الكاف**) في ربيع الأول من عام ١٤٢٨هـ، لقد قال **السيد جمل الليل**: إننا نتألم عندما نرى وطننا الذي هاجر منه آباؤنا يرزح في التخلف، خاصة إبان فترة حكم الماركسيين الذين حاربوا الإسلام وأهله، وكموا أفواه المسلمين، بعد أن كان آباؤهم هم من نشر الإسلام بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، والذين كانوا نماذج مشرقة ومشرفة، جذبت الناس من غير المسلمين في مهجرهم للاستماع إليهم وقبول الإسلام.

لقد كان ما قاله **السيد جمل الليل** هو عين ما كنت أسمعه من أستاذنا أحمد **عمر بافقيه**، عندما أكون في زيارته في جدة، وزيارة أبنائه ـ أصدقائي ـ الذين أرتبط بعلاقة وطيدة معهم منذ عهد دراستنا في عدن والقاهرة.

(٥)

ولم يشغله نضاله وعمله الدؤوب عن أسرته، بل أحسن تربية أبنائه خير تربية، وعلمهم حتى تخرجوا جميعاً ـ ذكوراً وإناثاً ـ في الجامعات، وأشرف على تزويج بناته من رجال صالحين، وعاش بين أحفاده معلماً ومربياً ومؤدباً، يعطيهم من عطفه وحبه، ويداعبهم، ويلهو معهم كواحد منهم، يحكي لهم القصص والطرائف، ويحدثهم عن تاريخ

نضاله الطويل. كنت ألاحظ ذلك كلما ألتقي به في داره العامرة في جدة، فكان ذلك أسلوبه وطريقته التي لم تتغير. لقد كانت عواطفه الجياشة وآماله في أن يصلح حال الأمة هي ما كان يعمل من أجله، فلما علم بأنني أقوم بتأسيس معاهد للغة العربية في إندونيسيا من خلال جمعية الدعوة والتعليم، كان كثير السعادة والفخر بذلك المشروع؛ لأن تعليم اللغة العربية في مدارس إندونيسيا أضحت تدرس لديهم باللغة الإندونيسية، مما جعل أبناء العرب يجهلونها، ناهيك عن الإندونيسيين.

(٦)

كنت أنوي أن أسجل الكثير عما أعرفه عن **الأستاذ أحمد عمر بافقيه** يرحمه الله، ولكن الأستاذ محمد أبو بكر باذيب قد فاجأني بزيارة لي في مكتبي، في اليوم الذي أنهيت فيه إخراج العدد الخاص لمجلة شعاع الأمل، بعد عمل شاق متصل، وقد ألح علي الأخ محمد أبو بكر باذيب أن أكتب على وجه السرعة ولو كلمات عن المغفور له (**الأستاذ أحمد عمر بافقيه**)، وأطلعني على مسودة كتابه عن **الأستاذ بافقيه**، وحتى غلافه الذي أعده للطبع والذي يحمل عنوان: «**السيد أحمد بن عمر بافقيه، صفحات من حياته ونماذج من مقالاته**»، وحرَّصَ علي بأن أكتب عنه بأسرع ما يمكن، حيث لم يتبق لإرسال الكتاب للمطبعة غير كلمتي. لذلك قررت أن أشارك بجهد المقل في سرد بعض مما أعرفه عن الأستاذ الجليل أحمد بافقيه، عرفاناً بفضل هذا الأستاذ الجليل ذي المواهب المتعددة، الأديب والمعلم والصحافي والمجاهد الوطني المدافع عن العروبة والإسلام، حيثما حلَّ واستقر به المقام إلى آخر يوم من حياته.

رحم الله الأستاذ أحمد عمر بافقيه رحمة الأبرار. وسيظل باقياً في وجداننا، بما تركه من تراث أدبي ومقالات في الصحف الاندونيسية والعربية، وفي صحيفته التي أصدرها في القاهرة، جريدة «**النضال**»، ثم نشرة «**رسالة الجنوب**» من جدة.

د. عمر عبد الله بامحسون

الرياض، غرة ربيع الآخر ١٤٢٨هـ

خصلتان باهرتان في حياة الأستاذ بافقيه
بقلم الدكتور (طبيب) حامد بن حسين بافقيه

سبقني الكثيرون إلى استعراض حياة صاحب هذه السيرة الطيبة الزاخرة بمواقف وعطاءاتِ النضال العريض الممتد عبرَ أوطانٍ ومجتمعاتٍ كثيرة، ربما لم تجتمع إلا في حياة قلة من المناضلين.

فقد ظل المغفور له مناضلاً طيلة حياته الراشدة، حتى أقعده عن النضال وهن المرض، وعتو الكبر. بيد أنه رغم المرض والكبر، ظل ـ رحمه الله ـ موئلاً للسائلين والدارسين والباحثين. لم يبق لي إذن إلا الإلماح إلى خصلتين باهرتين من خصاله الحميدة:

الأولى: صبره الجميل، وثباته الصامد على شدائد النضال، وأهوال البأساء والضراء، فقد شردته الحرب العالمية الثانية في الملايو، وسجنه عتاة الاحتلال الياباني، وذاق مرارة الشظف، وخشونة العيش، ووعثاء الانتقال والهجرة المتكررة.

وكان بوسعه آنذاك أن يمالئ ويداهن ويتملق، ويفوز بما يفوز به الصغار والأقزام، وتتهافت عليه نفوسهم المنهزمة. ثم هاجر من شرقي آسيا إلى جنوب الجزيرة العربية، في المكلا وعدن، وكان كعادته على موعد قد قدر مع النضال والمكابدة والصراع الوطني.

الثانية من خصاله: زهده وتساميه، واستنكافه عن العيش الرخيص ورغده، وما كان في متناول يده من النعم، غير أنه لم يكن ممن يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، فآثر وجه الله ورضاه على وجه ورضا كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

وفي كبره، من الله عليه بقدر من الراحة والدعة، إذ انتهىٰ به مطافه الطويـل إلى أرض المملكة العربية السعودية، ومجاورة المشاعر الطاهرة في رخاء من العيش، ووفرة من التقـدير والاحترام.

وهكذا ؛ عاش المغفور له عفيف اليد واللسان والضمير والكلمة، فبارك الله في عمره ونضاله وولده:

مَضَى مَضْيةً والحمْدُ نسجُ رِدائهِ فلم ينصَرفْ إلا وأكفانُه الأجْرُ

لقد تركت وفاتُه كثيراً من المجالسِ أقلَّ أنسا، وأصواتَ الجهاد أقلَّ صوتاً، وخفتـت كلماته الصريحة من مآذن النضال ومنتديات السجال!



جدة، في ٣/ ٤/ ١٤٢٨هـ

نبذة من تاريخ الحياة العملية
للمرحوم السيد أحمد عمر بافقيه

بقلم نجله زيد أحمد عمر بافقيه

(١)

بعد أن أتم دراسته في رباط تريم بحضرموت أراد والده أن يكون خليفة له في جزيرة سيلان، إلا انه ترك هذه الجزيرة، وهاجر إلى سنغافورة. لقد كان والده شيخ الطريقة العلوية القادرية في تلك الجزيرة، وكان تاجراً يتنقل بين الهند وعدن وجدة، يستورد من الهند إلى جدة وعدن الرز والسكر والتوابل، لقد ترجم السيد عمر في تلك الجزيرة كتاباً مختصراً باللغة التاميل في العبادات، كما بنى مسجدا فيها، وفي أثناء اندلاع الحرب العالمية الأولى غرقت الباخرة التي تنقل بضاعته إلى مدينة المكلا، وخسر السيد عمر خسارة فادحة، وعلى إثرها انتقل إلى مدينة الشحر، وتوفي فيها عن عمر ناهز المائة عام.

(٢)

أما الوالد المرحوم السيد أحمد فقد استقر به المطاف في مدينة سنغافورة. وأول عمل له كان في مؤسسة الكاف، ثم أصدر صحيفة «العرب» في هذه المدينة حيث يوجد فيها عدد كبير من الجالية الحضرمية. في هذه الأثناء كان الرئيس (لي كوان يو) رئيس سنغافورة السابق لا يزال طالباً في كلية الحقوق، وكان يجالس أصحابه في المقهى، ويناقشهم عن قضية

سنغافورة، وكان السيد أحمد أحد أفراد المجموعة.

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية كان السيد أحمد يعمل مدرسا في مدرسة العطاس، في مدينة جوهور بهارو (مدينة في ماليزيا حاليا)، وأثناء الحصار الذي فرضته قوات التحالف على اليابان، وقلة سبل العيش في تلك البلدان، اضطر السيد أحمد مع زميل له من المغرب العربي أن يستأجرا قارباً يأخذهم وعوائلهم إلى مدينة (فليمبان)، ومنها مدينة (تلوَ بتونج) في سومطرا، حيث استوطن فيها عدد كبير من الحضارم .

(٣)

وهناك في مدينة (تلوَ بتونج)، كان يشعر براحة البال بين إخوانه العرب، وقد ذكر أنه في شهر رمضان نذَرَ أن أفطَر في بيته، لأن أغلب الأيام في رمضان كان مدعواً عند أصحابه ومحبيه، وقد طلب منه أعيان الحضارم في ذلك البلد أن يفتتح مدرسةً عربيةً حتى يحموا أولادهم من الضياع، ويكون السيد أحمد هو الذي يدير تلك المدرسة .

وتم فتح أول مدرسة عربية في هذه المدينة لتعليم اللغة العربية، والتحق بها أولاد العرب وأبناء الإندونيسيين أيضاً. ومرت سنين والمدرسة في هدوء، إلى أن لاحظ الحاكم الياباني في تلك المدينة أنه لم يكن الطلبة يسجدون لعلم الإمبراطور الياباني. واستدعي السيد أحمد إلى مكتب الحاكم الياباني، حيث أعطاه الحاكم التعليمات بأن يركع الطلبة كلَّ صباح لعلم الإمبراطور الياباني والشمس، ولكن السيد أحمد قال: إن الدين الإسلامي لا يسمح بالركوع إلا لله سبحانه وتعالى، ومن هنا اعتقله اليابانيون، وزجوا به في السجن متهماً بأنه يعمل لحساب الغرب! . وكان الذي يخرج من المعتقل الياباني حياً يعتبر وكأنه مولود جديد، لأن أغلب الذين دخلوا السجن الياباني استشهدوا من التعذيب.

ومن الجدير بالذكر أن مساعده في إدارة شؤون المدرسة كان الأستاذ محمد سعيد قوشي، اكتشفه السيد أحمد يعمل في كشك صغير يبيع الشاهي والحلويات بقرب المدرسة،

وكان المذكور يجيد اللغة العربية إجادة تامة، وقد درس طوال عمره هذه اللغة، ولم يجد بعد ذلك مصدراً للرزق سوى ذلك الكشك، وقد أخذه السيد أحمد كمساعد له في المدرسة، وبعد مرور سنين طويلة زاره الأستاذ قوشي في جدة، وكان منصبه **وزيراً للحجِّ بإندونيسيا** حينئذ.

(٤)

وتقدم بعضُ الشخصيات المرموقة في مدينة (صولو) بجاوا، وطلبوا منه العمل مدرساً في مدرسة «الرابطة العلوية»، بجانب المرحوم السيد عبدالرحمن بن شهاب(*) مدير المدرسة، لم يتردد السيد أحمد بقبول هذا العمل، وسافر فعلاً هو وعائلته إلى هذه المدينة التي يوجد فيها كثير من الحضارم، حيث رحبوا به، وعمل السيد أحمد في هذه المدرسة لعدة سنوات، حيث تخرج عدد كبير من الطلبة الذين تقلدوا مناصب عليا فيما بعد .

وسافر السيد أحمد إلى جاكرتا مع عائلته، وفيها أصدر «**صحيفة السلام**»، وعند افتتاح الإذاعة في جاكرتا، عينته الحكومة الهولندية ليتولى السيد أحمد القسم العربي فيها، إلى أن ظهر الوعي القومي الإندونيسي، وطالب الإندونيسيون بالاستقلال من الاستعمار الهولندي، ونال الشعب الاستقلال بترابطهم واتحادهم.

ومن هنا قرر السيد أحمد ترك عمله في الإذاعة لاثنين من أصدقائه، وهما: السيد ضياء شهاب، وأخيه أسد شهاب، والعودة إلى حضرموت عن طريق سنغافورة؛ حتى يستطيع تنشئة أولاده في الوطن الأم .

وهكذا؛ وبعد زيارة الأقارب والأحباء فيها، ودع السيد أحمد الشرق الأقصى-، بعد أن قضى أكثر أعوام شبابه فيها أديباً وصحفياً ومناضلاً.

(*) هو والد السيد أبوبكر عبد الرحمن ابن شهاب أحد الطلبة اليمنيين الذين أسسوا في القاهرة ما عرف بالكتيبة اليمنية، التي كانت بذرةَ حزبِ رابطة أبناء الجنوب في عدن، وحركة الأحرار اليمنيين، كما سيأتي تفصيله في موضعه من كتابنا هذا. (باذيب).

(٥)

كانت الرحلة طويلةً بالباخرة، وكان أكثر ركابها من الهنود المتجهين إلى عـدن، ومـن الحضارم الذين كانوا عائـدين إلى حضرـموت مـن بقايـا جنـود نظـام (حيـدرأباد)، ومـن العجائب التي قابلها السيد أحمد في عدن أن السلطات البريطانية فيها اعتبرته أجنبيـاً، ولـم تسمح له بالبقاء فيها سوى أيام قليلة؛ لأن السلطات البريطانية كانت تعتبر أبناء المحميات العربية التابعة لـ «مستعمرة» عدن أجانب، أما الهنود وأبناء (الكومنويلث) فلهـم الحـق في البقاء والعمل في عدن، وهكذا اضطر السـيد أحمـد أن يغـادر هـذه المدينـة مـع عائلتـه إلى المـكلا.

وفي المكلا اشتغل محامياً شرعياً في محاكمها، ومـن ثـم مراسـلاً لصـحيفة «**النهضـة**» الصادرة في مدينة عدن، بجانب عمله محامياً، وكانت صحيفة «**النهضة**» تعتبر أكثر صـحيفة انتشاراً في المنطقة في تلك الفترة، وكان رئيس تحريرها الأستاذ عبد الرحمن جـرجرة.

(٦)

مرت الأيـام وهـو يعمـل مراسـلاً لهـذه الصـحيفة في حضرـموت، إلى أن ظهـرت الصحوة القومية لأبناء حضرموت، الذين رفضوا تعيين الشيخ القدال مستشاراً للحكومة، ومطالبين أن يكون المستشار من أبناء البـلد، وكان المرحوم عبدالرحمن الجيلاني هو المرشح لذلك المنصب. ونتيجةً لهذا الصراع بـين الشـعب والحكومـة، فقـد ضرب جـيش البادية المتظاهرين بالرصاص بأمر المستشارية البريطانية، وأودى بحياة عشرين شخصاً تقريبـاً مـن الشعب، ويعرف ذلك بحـادث المـكلا، من هنا، تم القبض على السـيد أحمـد ووضـعه في المعتقل، متَّهماً بتحريض الشعب ضد الحكومة، ونشره الأخبار في صحيفة النهضة للإثارة .

بقي السيد أحمد في المعتقل لعدة أشهر إلى أن عفا عنه السلطان صالح القعيطي، وبعد خروجه دعاه السلطان صالح في قصره، وكانـت ملامـح الحـزن باديـةً في عينيـه، وكـادت

الدموع أن تسقط منها، وقال: إنه يعتذر عما حدث لبعض المعتقلين، إذ يعتبرهم من أبنائه. وذكَرَ: أن كل ما حدث في المكلا لم يكن بإرادته، ولكن بإرادة المستشار البريطاني .

عندما استأذن السيد أحمد بالخروج، ناوله السلطان صالح ظرفاً بيده، وعندما فتح الظرف وهو في الخارج وجد أنه يحتوي على حوالة له، وكان يريد أن يعيدها إلى السلطان لولا أن زملاءه لم يستحسنوا ذلك.

(٧)

بقي السيد أحمد بعد ذلك فترةً قصيرةً في المكلا، إلى أن طلب الأستاذ عبد الرحمن جرجرة، صاحب صحيفة « **النهضة**» من الأستاذ أحمد أن يتولى إدارة هذه الصحيفة «**النهضة**»، غادر السيد أحمد إلى عدن وعمل بهذه الصحيفة، ومن ثم أخذ عائلته إلى عدن، واستقر الجميع هناك.

عمل السيد أحمد في صحيفة «**النهضة**» لعدة أعوام، ثم استقال منها، وأصدر صحيفة خاصة به بعد حصوله على الرخصة من الحكومة، وسميت الصحيفة « **الجنوب العربي**»، وكانت الصحيفة لسان حال حزب (**رابطة الجنوب العربي**)، الذي تم تأسيسه من قبل المتخرجين من أبناء الجنوب، ومن أبرز أعضاء هذا الحزب: السيد محمد علي الجفري، وكان رئيسا للحزب، والسيد شيخان الحبشي الأمين العام، والسلطان علي عبدالكريم - سلطان لحج حينئذ - وغيرهم من المثقفين وأعيان الجنوب. ومن مبادئ هذا الحزب: توحيد الجنوب العربي، والاستقلال عن الحكومة البريطانية، لقد كان صداه قوياً في الجنوب، ويؤيده أبناء الجنوب ورجال القبائل كافةً.

(٨)

ونفت الحكومة البريطانية كبار أعضاء قيادة (الرابطة)، الذين كافحوا بعد ذلك خارج الوطن، ومن بينهم السلطان علي عبدالكريم الذي نفاه البريطانيون، وقد قدم شكوى

إلى البرلمان البريطاني والأمم المتحدة، وفيما بعد تبلورت قضية الجنوب في الأمم المتحدة، وحصل الحزب على تأييدات من الحكومات العربية، وتم فتح مكاتب لهذا الحزب في اليمن، والقاهرة، والمملكة العربية السعودية.

وفي القاهرة سُمحَ لهذا الحزب بإصدار «**صحيفة النضال**»، ورأس تحريرها الأستاذ أحمد، كما قام بإلقاء حديث أسبوعي عن (قضية الجنوب)، وآخر تطورات في الجنوب في **إذاعة صوت العرب** كلَّ أسبوع.

أما المملكة العربية السعودية في عهد المغفور له الملك فيصل، فقد فتحت حدودها للمكافحين الهاربين من الجنوب، وقامت بمساعدة الجنوب مادياً ومعنوياً، وكان المرحوم الملك فيصل يكرر القول لأعضاء الرابطة: إن السعودية هي بلدهم الثاني، وإنهم بين إخوانهم هنا. لقد كان للرابطة مكتب سياسي في مدينة الرياض ومدينة جدة للقيام بمتابعة القضية، ومساعدة أبناء الجنوب، وحل مشاكلهم.

* * *

لمحاتٌ مما أعرِفُه عن والدِي

بقلم ابنه عمر أحمد بافقيه

هذه لمحات مما أعرفه عن والدي، وعما كان يشعر به، وإن كان هذا لا يكفيه الأسطر المعدودة، ولكن أحاول أن أجمع كليات ما كان يشعر به الوالد، تاركاً التفصيل لبصيرة من يقرأ .

لقد كان الوالد عازفاً عن الكتابة في سنواته الأخيرة، ومنطوياً على نفسه في جل أوقاته، وحينما تسأله لماذا لا يكتب ؟ يجيب بكل حسرة ومرارة: وهل هناك من يقرأ ؟! لقد صدم الوالد كثيراً فيما كان يصبو إليه من رفعة شأن بني قومه في المجالات السياسية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية، ولم يجد مع الأيام إلا انحداراً.

وأثر ذلك في نفسه، وانكفأ وانطوى .. تاركاً للأحداث إصلاحهم، إذ لم يجد للمجتمع روابط تحميه من الانزلاق والانحدار والاندثار . هذا كان شعور الوالد فيما أعتقده.

أما شعوري نحو والدي، فإني أحمل له في نفسي كل إعجاب واستغراب!

فالإعجاب بهذا الجسم الصغير الفرد، الذي حمل عبر السنين الطوال كل هذه العذابات، من سجن، ونفي، وتشريد، وإقامة جبرية، فما زاده إلا إيماناً بالله وبأمته. فقد استلذ واستحلى صنوف التعذيب في المعتقل الياباني، وهو يرى رفقاءه وقد انتقلوا إلى جوار ربهم وهم يرفعون راية الإسلام والحق في أقاصي الدنيا.

وقد استطاع أن يصمد بما لديه من إيمان، وعانى من السجن والإقامة الجبرية، ولم يلن في مبادئه، حتى غادرها إلى عدن، واشترك مع زملائه في إنشاء حزب رابطة أبناء الجنوب، ثم كان الهروب في جنح الظلام من أمر الاعتقال البريطاني، وبمعيته قحطان الشعبي، مؤمناً بأن الشعب سوف يحميه!

وانكفأ على نفسه، وجنى غيرُه ثمارَ الحرية، وربما تاجرَ بها!

أما الاستغراب: فحينما أقارن نفسي به! حيث يتضاءل إنسان اليوم الذي هو أنا، رغم كل ما يتوفر لدي من حقوق وأنظمة وقوانين، رغم ذلك كله، فإن أقل حادثة تضربني من حوادث الحياة يهتز لها كياني، وترتجف نفسي، وقد تفقدني صوابي، ولكن الوالد رحمه الله وأسكنه فسيح جناته قابل كل تلك المصاعب في الحياة بإيمان قوي لا يلين، وكان الله معه حتى وافته المنية بهدوء، وقد تجاوز التسعين عاماً.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تمهيد

تعود معرفتي بالسيد أحمد بن عمر بافقيه إلى مطلع عام ١٤١٤ للهجرة، إذ كنت حينها أتردد على مجالس شيخي العلامة حامد بن علوي بن طاهر الحداد (توفي آخر سنة ١٤١٥) رحمه الله تعالى، وكان شيخي الحداد يحثني على جمع مقالات والده الإمام الحجة علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) من المجلات والصحف التي كانت تصدر في إندونيسيا مثل: «مجلة الرابطة العلوية»، و«صحيفة العرب»، وغيرهما.

وكان لدى شيخي بعض أعداد من هذه الصحف ذات القيمة التاريخية والأدبية الكبيرة، فصوَّرتُ ما عند شيخي منها، ثم طفقتُ أبحَثُ عن بقيتها لتتكامل لدي أعداد هذه الصحف، بحثاً عن مقالات العلامة الحداد.

كنت أبحث عن «صحيفة العرب»، ولم يكن يدور بخلَدي قطُّ أن ألتقي بمحررها وناشرها شخصياً، لظني أنه قد توفي منذ زمن! ولكنها كانت مفاجأة غير متوقعة، فإذا بي أتلقى خبراً من أحد معارفه يخبرني أن السيد أحمد بافقيه لا يزال على قيد الحياة، وأنه قريب مني.. في جدة! ولكن ذلك الرجل لم يكن يعرف موضع بيته، أو أنه كان يتهرب. فلم يزدني ذلك إلا إصراراً على البحث عن السيد بافقيه، وزاد شوقي لرؤيته والاجتماع به، طمعاً في الحصول على المزيد من المعلومات التاريخية الشفهية.

وفي تلك الأثناء التقيت في مكتبة أستاذي الفاضل الشيخ مجد مكي[١]، بالأستاذ (الدكتور فيما بعد) الفاضل محمد حسن عقيل موسى، والذي كان قد أصدر كتاباً سماه «**المختار المصون من أعلام القرون**» في ٣ مجلدات، وضمَّنَ هذا الكتابَ معلوماتٍ نقلها عن كتاب«**تاريخ بانتن**» للسيد أحمد بن عبدالله السقاف، وكان قد حصل على صورة من هذا الكتاب من السيد بافقيه، فحصلتُ منه على رقم هاتف السيد أحمد بافقيه، وسرعانَ ما اتصلت به وزرته في منزله بحيِّ الكندرة. ومنذ ذلك اليوم الذي زرته فيه وحتى قبيلَ انتقاله إلى رحمة الله، كنت أتردد عليه، أسأله عن الشخصيات التي عاصرها، وأسأله عن أخباره وسيرة حياته، أكتب ذلك ثم أعرضه عليه، وقد يتكرر السؤال والعرض مرتين وأكثر، حتى تجمعت عندي هذه الحصيلة الماثلة بين يدي القارئ.

* * *

لقد سعدت بمعرفة السيد أحمد بافقيه ولقائه، ووجدت فيه إنساناً متواضعاً موطأ الأكناف، رحب الصدر، غزير المعلومات، واسع الاطلاع، جهينة أخبار، تنقل خلال عمره الطويل في طول البلاد وعرضها.

وقد زاره في أواخر سني حياته عدد من طلاب العلم، من أقطار مختلفة، كانوا يأتونه للاستجازة منه، والارتباط بأسانيده العالية؛ لتفرده بالرواية عن والده وجماعة من علماء حضرموت، كما سيأتي ذكرهم في الفصل الخاص عن شيوخه، وكان يسر بكل من أتى لزيارته، ولم يكن يبخل بالإجازة على أحد من طالبيها، وذلك ما لن ينساه له طلبة العلم وأهله، وقد زاره معي عدد من طلاب العلم من شتى البلدان العربية وغير العربية.

---

(١) تخرج في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، له عدد من المشاركات العلمية تحقيقاً وتأليفاً، من آخرها تفسيره التدبري المختصر المسمى «**المعين على تدبر الكتاب المبين**»، له اتصالات وثيقة بنخب من علماء العالم الإسلامي، حفظه الله وأدام النفع به.

ولعل ذلك من أهم مميزات شخصية الأستاذ بافقيه رحمه الله، فهو رجل مقبول على كافة الصُّعد، بين طلاب العلم والمثقفين، وبين السياسيين والقادة، تنوع ومزيج عجيب، اجتمع في شخصية الأستاذ أحمد عمر بافقيه! رحمه الله.

عاشق الهجرة:

من السمات البارزة في حياة الأستاذ رحمه الله: صفة الاغتراب والهجرة المتكررة، وهذه السمة وإن عرفت بها الأمة الحضرمية عامةً، ولكنها برزت في حياة الأستاذ بروزاً كبيراً، فقد تنقل في عدد من الأقطار، وعاش في دول متعددة. وكان لتلك الهجرات الأثر الكبير في شخصيته، وفي تكوينه الفكري والمعرفي، وزادته أرصدة من العلم الذي لا يؤخذ من بطون الكتب، ولا يتلقى بالمشافهة والتعليم، إنها مدرسة الحياة!

وبهذه المناسبة، فقد وجدت بين كُنّاشاته قصيدةً حزينةً باكيةً، تقطع نياط قلوب المغتربين عن أوطانهم، لشاعر لبناني من نصارى العرب، اسمه حليم دمُّوس[1]، وهو من الشعراء الذين هاجروا إلى أمريكا الجنوبية ثم عاد إلى بلاد العرب، ومات ببيروت، مسقط رأسه، واختيار الأستاذ لهذه القصيدة ضمن كُناشه، دليل على إعجابه بها، ولعلها تكشف لنا عن دوافع الهجرة والاغتراب الكامنة في نفسيته. كتب رحمه الله بخطه:

---

(١) قال عنه الأستاذ خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ): «متأدب، له نظم كثير، في بعضه إجادة»، مولده في زحلة بلبنان سنة ١٣٠٥هـ، سافر إلى البرازيل ثم عاد إلى بلده، واستوطن دمشق بعد الحرب العالمية الأولى، ومات في بيروت سنة ١٣٧٧هـ، له ديوان يعرف بـ«ديوان حليم»، مطبوع، وكتب أخرى. «الأعلام» (٢: ٢٧٠).

المهاجر

للأستاذ الشاعر حليم دموس

وقد ربحت هذه القصيدة جائزة مستشفى ربين السنوية عام ١٩٢٧ م:

هجرَ الروضَ وعافَ الثمرةْ ... وليالي أنسه المزدهرةْ
ومضَى يضرِبُ في آفاقها ... ولسانُ الدهر يروِي خَبرهْ
ركب الأهوالَ سيراً وسرَى ... نادباً تلك الربوعَ النضرةْ
وهو لا يدري أيقضي لهفاً ... أم من الدهر سيقضي وطرهْ
يلتقيهِ بين أشواقِ الردَى ... والردَى يُنشِبُ فيه ظُفُرَهْ

* * *

بحياتي هاجرٌ مغترِبٌ ... غالبَ الدهر ولاقى عِبَرهْ
كان في موطنه معرفةً ... وهو في المهجرِ أمسَى نكِرةْ
ألفَ الأسفارَ حتى راضَها ... واستذلَّ البحرَ حتى حيَّرهْ
وهو في الفجرِ يناجي شمسَه ... وهو في الليلِ يناجي قمَرهْ
يَحْطِم اليأسُ جناحَيه كما ... تحطِم الريحُ أصولاً نخرةْ

* * *

قفْ على الشاطئ واشهد ساعةً ... موقفَ التوديع وارسُم صُوَرهْ

وانظرِ البحرَ فكم سَارتْ به ... سفنٌ في عُرضِه منتشرةْ
تحملُ القومَ جموعاً وعَلى ... مَوجِها أدمُعُهم منهمِرةْ
هجَروا الأوطانَ في محنَتِها ... لينجُّوا أمةً محتضرةْ
بينما عقدهُمُ منتظمٌ ... إذ تراهُ دراً منتثَرةْ

* * *

ما انتفاعُ الأم من أبنائِها ... إن تناءوا، وهي عندَ المقبرةْ ؟
يرجعُ الليثُ إلى غابتِه ... بعد أن يطوي الفيافي المقفِرةْ
وتغيبُ الطيرُ عن أفراخِها ... لتوافيها بأشْهى ثمَرةْ
ويصانُ الدرُّ في أصدافِه ... ثم يجلَى كالدراري النيرةْ
هكذا النازحُ عن أوطانه ... يذكر الربْعَ ويهوَى أثرهْ

* * *

رُبَّ أرضٍ حُبِستْ حنظلةً ... وهي لو تُسقى لكانتْ سُكَّرةْ
وركازٍ تحت أطباقِ الثرى ... باتَ في صدر الغواني جَوهرةْ
وبلادٍ لو حمَاها أهلُها ... لاستحالتْ أمةً مقتدرةْ

* * *

أدرِ الدفَّةَ يا ربَّانها ... فالحمَى حنَّ إلى من هجَرهْ
قُل لمن أثرَوا: أعينُوا وطنا ... يتعزَّى ببَنيهِ البَررةْ
أنتم الروحُ لجسمٍ ناحلٍ ... أنتم الماءُ لتلكَ الشَّجَرة[1]

---

(١) يبدو أن الأستاذ بافقيه رحمه الله كان مهتماً بشعر هذا الأديب، فقد نشر له في «صحيفة العرب» العدد (٨) الصادر بتاريخ ١٠ رجب ١٣٥٠هـ (= ١٩ نوفمبر ١٩٣١م) (ص ٧) قصيدة أخرى عن اللغة العربية، مطلعها:

مع التربوي الكبير السيد محسن باروم (*):

كان من بين أصدقائه في جدة: الأستاذ التربوي الكبير السيد محسن أحمد باروم، الذي كان يستحثه كثيراً في كتابة مذكراته، وأن يخرجها إلى عالم النشر، ولكن السيد بافقيه كان يعتذر بعدم وجود الوقت الكافي لذلك، وبهذه المناسبة فإني بعد أن جمعت باكورة هذا العمل، سارعت بتقديم نسخة لفضيلة السيد محسن، فسُرَّ به جداً، وكتب لي خطاباً شكرني فيه على ما قمت به، وهذا نصه:

خطاب السيد محسن باروم للمؤلف

سعادة الأخ الجليل والأديب النحرير(١) الأستاذ محمد أبوبكر عبد الله باذيب المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد تلقيت رسالتكم المؤرخة في ٢/ ١١/ ١٤٢١هـ، ومعها هديتكم القيمة التي تتمثل في «**ذكريات الأديب الكبير السيد أحمد عمر بافقيه**»، وإنني أشكرك عليها، فقد أمضيت معها وقتاً طيباً، رد علي روحي، وأثار في نفسي ألواناً من المشاعر الذاتية، وإنني في انتظار القسم الثاني من هذه الذكريات(٢)، لأنني أود أن أعرف كل شيء عن عميد أسرة آل بافقيه في مكة والمدينة، وهم كثر، أعرف كثيراً منهم، وأرجو أن يوفقوا في نشر هذه الترجمة لعميد أسرتهم في المستقبل.

لا تلمني في هواها أنا لا أهوى سواها

(*) من كبار رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، مولده بمكة سنة ١٣٤٧هـ، من خريجي مدرسة الفلاح، وكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تنقل في عدة وظائف تعليمية، وأسهم في تطوير التعليم بشكل كبير وفعال، يسكن جدة حالياً، شفاه الله وعافاه.

(١) أبقيت هذه الألقاب لأمانة النقل، وإلا فأنا أقل شأناً مما ذكر حضرة الأستاذ الكبير.

(٢) اطلع حضرة الأستاذ باروم على هذا العمل في بداياته، وكنت أود لو اطلع عليه وهو متكامل بهذه الصورة الحالية، ولكن ظروفه الصحية لم تسمح بذلك.

كما أرجو أن توفقوا في إكمال تراجمكم لأبناء الفلاح في مكة وجدة[١]، وقد سألتموني أن أبعث إليكم ترجمةً لسيرة حياتي الذاتية، وسوف تجدونها مفصلةً في كتابي «**في موكب الزمن، ذكريات وشجون تربوية**»[٢]، الذي أرجو أن يسد الفراغ الذي امتلأت به حياتنا الذاتية، وسوف أوافيكم بالجزء الخامس حين صدوره، وهو بعنوان «**ألوان من الأحاديث**»، وهو الآن قيد الطباعة في بيروت، ويسعدني أن أقدم إليك نسخة من هذا الكتاب حين صدروه.

وإنني على أتم استعداد لنشر كتابكم الذي تؤلفونه عن أبناء الفلاح في مكة وجدة، لأنني لا أنسى فضل هذه **المدرسة الفلاحية في مكة** عليَّ، وأرجو أن أوفَّق في إعادة بعض الدين الذي طوقت به أعناقنا طوال فترة الدراسة التي أمضيناها في جنباتها، وهي تمثل زهرة العمر.

أرجو أن أسعد بصدور كتابكم في القريب العاجل، وإنني كما ذكرت لكم، على أتم استعداد لإصداره ونشره، شريطة ألا تشرط علي أية شروط مادية قاسية في نشره، كما يفعل بعض المؤلفين، ويسعدني أن أنشره لكم مقابل إعطائكم نسخاً من الكتاب لا تقل عن خمسين نسخة من الكتاب، مقابل جهدكم الفكري في تأليفه، ويكفيني أن أقوم بنشره وإذاعته لكم بين ملأ القارئين له من الأدباء والكتاب والمثقفين.

وإنني لسعيد أن أجيب على مذكرتكم التي أشرت إليها آنفاً. ولسعادتكم أصدق التحية وأصفى التقدير،،

أخوكم المخلص، محسن أحمد باروم».

---

(١) هذا عمل لم يتم، كنت شرعت فيه قبيل تخرجي من مدارس الفلاح الثانوية عام ١٤١٦هـ، وجمعت حصيلةً جيدةً عن أعلام المدرسين والخريجين من مدارس الفلاح التي شغفت بحبها، حيث قضيت في جنباتها ست سنوات من عمري، والحقيقة إنه مشروع كبير وجدير بالاهتمام، ولعل الله ييسر لي أو لغيري القيام به في مستقبل الأيام بإذنه تعالى.

(٢) صدر عن دار الشروق بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، وقد أهداني مؤلفه نسخة منه.

رحلتي مع هذا الكتاب:

لقد أمضيت في رحلتي مع هذا الكتاب أشهراً بل سنين، تسنى لي خلالها قراءة الكثير من المراجع، واطلعت على كثير من مجريات العصر الذي عاشه الأستاذ بافقيه لا سيما في إندونيسيا وجنوب اليمن، وكانت السنين حبالى، وتولدت عنها الكثير من الأحداث، السارة منها وغير السارة، ولقد كان أسلوب كتابتي لهذه السيرة درساً جديداً لي، فقد نهجت فيها نهجاً جديداً يختلف عما أخرجته قبل ذلك من نصوص تاريخية، ليس لي فيها من عمل سوى التعليق والإضافات الجانبية.

كما أن المقابلات الشخصية، واستخراج المعلومات من أفواه الرجال، كانت مرحلةً خصبة، وكم سعدت بمقابلة رجال كان لهم كبير التأثير في صنع الحياة، ولقد كان لتعرفي بحضرة السلطان النبيل علي عبدالكريم العبدلي، أحد كبار زعماء الجنوب العربي، وأحد أقطاب رابطة أبناء الجنوب، كان له أكبر الأثر في إثراء هذا البحث، وكم أتمنى أن أجمع مذكرات هذا الزعيم الكبير، وأن أفرده بكتاب مستقل، يسر الله ذلك في خير وعافية.

ولم تكن المقابلات وحدها تشفي غليلي، بل إنني أثناء كتابتي تسنى لي زيارة العديد من المناطق التي عاش فيها الأستاذ رحمه الله، فزرت سيلان، والهند، وإندونيسيا، ومصر، وجنوبنا اليمني بطبيعة الحال، ولم يفتني سوى زيارة سنغافورا، فلعل الله ييسر لي زيارتها، والتعرف على تراث الأجداد بها عما قريب، فما راءٍ كمن سمعَ!

الواجب الكبير:

وأنثني عائداً إلى نفسي، فأقول لها: هل يا ترى حققت ما كنت أصبو إليه من كتابة هذه السيرة؟ وهل قمت حقاً بتأدية الواجب كما ينبغي! إنني أعتقد أن الواجب أكبر من أن يحتويه كتاب أو كتابان، ومجلد أو مجلدان، إن الواجب أكبر من ذلك كله.

إن أمامي مشروعاً كبيراً يتضمن تسطير تراجم لأعلام حضرموت وكبار رجالاتها وزعمائها، الذين شغفت بالبحث عن أخبارهم، وتتبع سيرهم، والبحث عن مصادر ذلك في كل قصاصة وفي كل ورقة أعثر عليها ويكون لها تعلق بجانب حياة أي شخصية حضرمية، مما جعلني أردد مقولة من قال: «**كم ستر الإهمال من شهير!**».

إن الأمر يتطلب فرق عمل، ويتطلب بحوثاً أعمق، لا سيما في الوثائق السياسية المحفوظة في أرشيفات الدول العربية والغربية، هذا إذا أردنا الكتابة عن تاريخنا بشكل مدعم بالأدلة والوثائق الهامة، ليكون لنا ولأجيالنا القادمة اعتبار وادكار بما مضى، ولنستفيد من التاريخ ومن الأحداث حق الاستفادة، **فإنه لا حاضر لمن لا ماضي له.**

إن تاريخنا الحديث والمعاصر يتطلب منا جهوداً جبارةً في الكشف عنه، ورفع الستار الكثيف الذي يحجبه عن أعين الملأ، وقبل ذلك كله، يتطلب الأمر وجود المؤرخين المنصفين وذوي الأقلام النزيهة.

إني لأرجو من خلال نشري لهذا الكتاب وغيره مما سيتلوه من أعمال قادمة بإذن الله تعالى، إشاعة روح الحمية الدينية، والنخوة الوطنية الصادقة لدى شباب اليوم، من أبناء جيلي، هذا الجيل الذي مُني كما مُني من قبلَه بنكباتٍ عظام، وأوقعه اتحاد القوى الصهيونية الصليبية الحاقدة في شباكٍ قلَّ من نجا منها، من إشغاله بالترهات والماديات، وتفريغ محتواه الروحي والفكري، وجعله أشبه ما يكون بدمية أو نعجة تساق إلى حتفها وهي لا تدري! فأصبحوا لا يفكرون إلا فيما يملأ شهوة البطن والفرج، كما عبر عن ذلك الإمام المجدد عبدالله بن علوي الحداد (ت ١١٣٢ هـ)، بقوله رحمه الله:

أما إنَّ هذا الدَّهرَ قدْ ضَلَّ أهلُه ... همومُهمُ في لَذَّةِ الفَرجِ والأكْلِ

لقد أثخِنَ جسدُ الأمة بالجراح الغائرة، وتوالت النكبات والهزائم، في فلسطين الجريحة، والعراق السليب، وليس لنا من عزاء اليوم إلا بنشر أخبار المناضلين الأبطال من

ذوي الروح الجهادية، وأصحاب القيم والمثل العليا، لعل أن يظهر في المستقبل القريب جيل غير هذا الجيل، وقوم غير هؤلاء الأقوام .. فأفيقوا شباب الأمة من سباتكم العميق، واركلوا الكسل والخنوع ونحوه جانبا .. وتذكروا قول القائل:

قد رشَّحُوكَ لأمرٍ؛ لو فطنتَ له! فارْبأ بنفسِكَ أن ترعَى معَ الهملِ

* * *

لقد انصرفت وتركت ما كتبته عن السيد أحمد لسنوات، ثم عدتُ إليه، وعاودت زياراتي وجلوسي معه، وأضفت الكثير، وأطلعني رحمه الله على ما توفر لديه من أعداد الصحف التي كان يصدرها أو يكتب فيها، فتكامل بوجودها هذا الكتاب إذ اقتطفت منها مقالاته ورجعت إليها لمعرفة الكثير من الأمور والقضايا المتعلقة بالترجمة. ولم أزل أضيف وأحرر، إلى أن انتقل الأستاذ إلى رحمة الله، وكان ذلك شاقاً عليّ، ولكن الأمر لله وحده.

وأشير هنا إلى ما بذله السيدان زيد وعمر ابنا الفقيد من جهد، فقد تعاونا معي في مراجعة وترتيب هذا الكتاب، وتابعا معي مراحل العمل فيه خطوة خطوة، في حياة أبيهما، وبعد انتقاله رحمه الله، وأمداني بدفاتره الخاصة، وبما لديهم من أعداد الصحف، وأهمها النهضة والجنوب العربي، فلهما شكري وتقديري. كما كان لزوجتي (أم عبد الله) مشاركة أيضاً، حيث قامت بمقابلة نصوص المقالات ومراجعتها معي، فلها كل شكري، ولا يزال هذا دأبها معي، نسأل الله التوفيق لما يرضيه عنا، آمين.

وبعد،

فما هذا الكتاب سوى سطور تعريفية بشخصية نادرة الوجود، عزيزة المثال، شخصية كان لها دور مشهود في الحركة الثقافية ثم السياسية في مهجر الحضارمة الكبير في جنوب شرق آسيا، ثم في وطنها في الجنوب العربي. شخصية جديرة أن يكتب عنها أكثر من كتاب، وكم في أوطاننا وبين أظهرنا من رجال أعلام كبار، لو رجعنا إليهم لوجدنا عندهم الحكمة

والعلم والإرشاد، ولأخذنا منهم عصارات تجاربهم، وحصيلة أعمارهم التي قدموا فيها جليل الخدمات!

وقد جعلت هذا الكتاب على قسمين:

القسم الأول: في السرد التاريخي التفصيلي لحياة الأستاذ رحمه الله.

والقسم الثاني: جعلته خاصاً بالمقالات التي دبجها يراعه، في فترات مختلفة من حياته، وهي مرتبة تاريخياً، ليسهل درسها ومعرفة التطورات السياسية التي عاصرها الأستاذ رحمه الله.

والحمدلله أولاً وآخراً،،

وكتب حامداً ومصلياً:

محمد أبوبكر عبد الله باذيب

جدة، ليلة ١٢ ربيع الأول ١٤٢٨هـ



القسم الأول

حياة السيد
أحمد عمر بافقيه



الفصل الأول

أعلام أسرته
وسيرة نشأته



(١)

أسرة صاحب الترجمة

آل بافقيه:

أسرة علوية حضرمية، تُنمَى إلى السادة الأشراف بني علوي الحسينيين الحضارمة، متفرعة عن فخذ (آل علوي بن محمد صاحب مرباط، عم الفقيه المقدم)[١].

والجد الجامع لهذه الأسرة هو: السيد الشريف عبد الله بافقيه الأعْيَن النسَّاخ[٢] ابن محمد مولى عيديد[٣] (توفي بتريم سنة ٨٦٢ هـ) ابن علي صاحب الحوطة (توفي بتريم سنة ٨٣٠ هـ) ابن محمد بن عبدالله ابن الفقيه أحمد (توفي بتريم سنة ٧٢٠هـ) ابن عبد الرحمن بن علويٍّ عم الفقيه المقدم.

---

(١) انظر: محمد بن أحمد الشاطري، «المعجم اللطيف لأسباب الألقاب والكنى في النسب الشريف» (ص١٥٤)، عمر بن علوي الكاف، «الفرائد الجوهرية، مجموع تراجم الشجرة العلوية»، (مخطوط) (٣: ٨٢٢، ٨٢٧)، عبد الرحمن المشهور، «شمس الظهيرة» (٢: ٥٣٧).

(٢) لقِّب بالأعْيَن: لجمال عينيه واتساعهما، وبالنسَّاخ: لكثرة نساخته للمصاحف والكتب، وببافقيه: لنبوغه في الفقه. عمر بن علوي الكاف: المصدر السابق.

(٣) أعقب محمد مولى عيديد خمسة من البنين، هم: أحمد الأكبر (توفي بتريم سنة ٨٦٢هـ)، وعلي (توفي بتريم سنة ٩١٩هـ) وتعرف ذريته بآل عيديد، وعبد الله الأعين النساخ، وعلوي، وعبد الرحمن (توفي بتريم سنة ٨٨٤هـ) وهؤلاء الثلاثة تعرف ذرياتهم جميعاً بآل بافقيه. ينظر عمر بن علوي الكاف: المصدر السابق، وعبد الرحمن المشهور: المصدر السابق.

عم الفقيه:

وعمّ الفقيه المقدم المذكور، هو السيد الشريف الإمام علوي بن محمد (صاحب مرباط) بن علي (خالع قسم) بن علوي (صاحب الصومعة) بن محمد (صاحب بيت جبير) بن علوي (صاحب سُمَل) بن عبيدالله بن أحمد (المهاجر إلى الله) بن عيسى (النقيب) بن محمد (الرومي الأزرق، النقيب) بن علي (العريضي) بن الإمام جعفر (الصادق) بن الإمام محمد (الباقر) بن الإمام علي (زين العابدين) بن الإمام السبط شهيد كربلاء سيدنا الحسين بن البتول الطاهرة سيدة نساء العالمين فاطمة بنت سيد المرسلين سيدنا رسول الله محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ولد هذا الإمام بمدينة تريم الغناء وبها توفي سنة ٦١٣هـ، وكان عالماً عاملاً، أخذ العلم عن أبيه الفقيه الإمام محمد صاحب مرباط، وغيره من أهل عصره.

عقبه:

أعقب الإمام علوي عم الفقيه عقباً مباركاً من أبنائه الثلاثة: عبدالملك، وأحمد، وعبدالرحمن، ولكل من هؤلاء الثلاثة عقب كثير منتشر في أرجاء المعمورة. فآل عبدالملك ويلقبون بآل عظمة خان في الهند وجاوا وماليزيا، وأما أحمد فلم يعقب.

والعقب فيهم من عبد الرحمن، وأشهر الأسر والبيوت المنتسبة إليه: آل عيديد ومنهم: السادة آل بافقيه أسرة مترجمنا، وآل الشاطري، وآل الحداد، وآل بن هاشم، وآل بن سميط، وآل باعبود، وآل بلفقيه، وغيرهم.

---

(١) ينظر لترجمته: محمد بن علي خرد، «الغرر» (ص١٣٢، ومحمد بن أبي بكر الشلي المكي، «المشرع الروي» (٢: ٢٠٩).

هجرة آل بافقيه إلى وادي دوعن:

معلوم أن منبع السادة العلويين الأشراف في وادي حضرموت هو مدينة تريم، وهي تعتبر المركز العلمي لذلك الإقليم، لكثرة من تخرج منها من العلماء والفقهاء والدعاة المصلحين. ومن هذه البلدة المباركة خرجت جموعٌ من السادة الحسينيين وتفرقوا في أصقاع المعمورة، وسكنَ جماعةٌ منهم بلداناً تقع في أطراف ذلك الوادي الشاسع، ومن تلك الوديان: وادي (دوعن) بفرعيه: الأيمن والأيسر(١).

وقد انتقل أفراد من أسرة آل بافقيه إلى وادي دوعن الأيمن، واستقر قرارهم في بلدتي: (القرين) و(الخريبة)، ومنهم جماعة في بلدة (قيدون) أيضاً، وكان نزوحهم من تريم في القرن الحادي عشر من الهجرة .

ذكر بقية أجداد المترجم (عمود نسبه):

السيد محمد بن علي بافقيه(٢): هو السيد الشريف محمد بن علي بن أحمد(٣) بن عبدالله الأعين النسَّاخ بافقيه، ولد بتريم، وكان عالماً عاملاً، فاضلاً زاهداً، ممن يشار إليه بالبنان بين أقرانه، حفظ القرآن العظيم في صغره، وطلب العلم الشريف، وكانت وفاته بتريم في شهر ربيع الأول سنة ١٠٠٧ للهجرة(٤). أعقب من البنين خمسة: عمر، وعلي،

---

(١) للتعرف على وادي دوعن وتاريخه، ينظر: عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، «**إدام القوت**» (ص ٣٠٥، وما بعدها) ط. مكتبة المنهاج، وعلوي بن طاهر الحداد، «**الشامل**» (ص ١٣٤).

(٢) وهو الجد السابع لصاحب الترجمة .

(٣) أحمد هذا كان يعرف بلقب (باقَيلِيدْ) كما عند السيد عمر الكاف، مصدر سابق (٣: ٨٢٨)، وكانت وفاته بالمكلا غريقاً، قافلاً من الحج، ولم يؤرَّخ لسنة وفاته .

(٤) عمر بن علوي الكاف، مصدر سابق (٣: ٨٢٨)، ومحمد بن أبي بكر الشلي، «**عقد الجواهر والدرر**» (ص٥١).

وأبوبكر، والحسين، وعبدالله.

عبدالله بن محمد بن علي بافقيه: مولده بتريم، ووفاته بالخريبة من بلدان وادي دوعن الأيمن[١]، ولم أقف على سنة وفاته، وكان غادر موطنه تريم إلى وادي دوعن بصحبة أخيه أبي بكر الذي توفي بقيدون سنة ١٠٥٣ للهجرة[٢]. أعقب السيد عبدالله بن محمد ابناً هو الحسين، توفي بالخريبة، وهو أعقب: علياً، وأبابكر. وأعقب أبوبكر بن الحسين: حسين ابن أبي بكر، وهو أعقب: أحمد بن حسين، وهو أعقب أحمد (المثنى) الجد الأدنى لصاحب الترجمة.

* * *

(١) عمر بن علوي الكاف، مصدر سابق (٣: ٨٣٣).

(٢) عمر بن علوي الكاف، مصدر سابق (٣: ٨٢٩).

السيد أحمد (المثنى) بن أحمد بافقيه(*)

الجد الأدنى لصاحب الترجمة

(... ــ ١٢٧٧هـ)

اسمه ونسبه:

هو السيد الشريف العالم الفاضل: أحمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن أبي بكر بن الحسين بن عبدالله بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله الأعين النساخ بافقيه العلوي الحسيني الحضرمي.

ولد ببلدة (القرين) بوادي دوعن الأيمن في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وتوفي بمدينة (جدة) بالحجاز سنة ١٢٧٧ للهجرة.

حليته وأوصافه وأخباره:

كان من أهل العزيمة القوية والرجولة الكاملة، وكان يعاني الأسفار البعيدة، ويكثر التردد على البلاد الجاوية، ووصفه صاحب «الشامل» بالفاضل المشارك.

مقاومته للاستعمار الهولندي في جزيرة جاوة:

للمترجم موقف تاريخي مشرِّف، وهو واقعةٌ جرت له بصحبة العلامة المفتي عبدالله ابن عمر بن يحيى العلوي بجزيرة جاوا، ذكرها باختصار العلامة علوي بن طاهر الحداد في

(*) ترجم له باقتضاب علوي بن طاهر الحداد، في «الشامل» (ص ١٤٩).

كتابه النفيس«الشامل»، بقوله أثناء ترجمته له: «كان شجاعاً مشهوراً، ثبت مع الحبيب العلامة خاتمة المحققين والمنافح عن شريعة سيد المرسلين، السيد الشريف عبدالله بن عمر بن يحيى، حينما أرسلت الحكومة الهولندية شرطتها للقبض عليه، فامتنع، وأحاط جندها بالبيت، وارفضّ العرب الذين كانوا عنده، ولم يبق إلا هذا السيد، ولم تقدم الشرطة على الهجوم عليهما، وبعد أيام تمكنا من التخلص ليلاً إلى سفينة شراعية، فذهبا إلى (فليمباغ = فليمبان) في قصة طويلة. **وأسباب ذلك**: صَدعُ الحبيب عبدالله بالحق في «فتاويه» التي سئل عنها، فرأت الحكومة الهولندية لذلك العهد لأن فيها ما يشعر بإنكار حقوق سيطرتها، وبعضها موجود في **فتاويه**»(١).

قلت: اطلعت في «مجموع رسائل الإمام عبدالله بن حسين بن طاهر» ـ خال السيد عبدالله بن يحيى المذكور(المتوفى ١٢٧٢هـ) ـ على رسالة منه لخاله مؤرخةً في عام ١٢٤٥هـ: فيها خبر تلك الحادثة(٢).

تتمة قصة المقاومة:

أخبرني السيد أحمد بن عمر بافقيه عن أبيه عمر عن أبيه أحمد المثنى: أن الحبيب المفتي عبدالله بن عمر ابن يحيى، خرج من ذلك البيت الذي حوصر فيه ليلاً كما ذكر صاحب «الشامل»، وأخذ عند خروجه حفنة من تراب بيده وذرها على رؤوس الجنود الهولنديين، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[يس: ٩]، وخرج يمشي بين أيديهم وهم لا يرونه، وأخذ معه

---

(١) علوي بن طاهر الحداد، «**الشامل**» (ص١٤٩). و«**فتاوى ابن يحيى**» طبعت بمصر سنة ١٣٩١هـ بعناية السيد علوي بن عبدالله القاضي السقاف رحمه الله.

(٢) هي مكاتبات خاصة بينه وبين الشيخ أحمد بن عبدالله باسلامة، جمعها بعض أحفاده (مخطوطة)، ومنها (نسخة مصورة) رأيتها بالمسيلة.

رفيقه السيد أحمد المثنى راوي هذا الخبر. وهذه كرامة تدل على صدقهم وتأييد الله لهم، رحمهم الله.

وأخبرني السيد أحمد بن عمر عن أبيه عن جده: أنهما لما ركبا في السفينة التي أقلَّتهُما إلى خارج تلك الجزيرة، مرتْ في طريقها إلى (فليمبان) ببلدة (شربون)، ونزل فيها بعض المسافرين، فسأل عنها ابن يحيى، فقيل له: إنها (شَربُون)، فأخذ يقول: الشرُّ بان، أو: شرٌّ بان. وكأنه تشاءم من اسم هذه البلدة واستمر في البحر مع رفيقه، حتى وصلا (منادو)، فنزلاها.

شيوخه:

لم أقف في ترجمته على ذكر أحد من شيوخه سوى شيخ واحد من علماء الشام، لقيه بمكة المكرمة في إحدى السنوات، وهو: العلامة المحدث الشيخ عبدالرحمن بن محمد الكُزبَري (الحفيد، أو الصغير)، مفتي الشافعية بدمشق، المتوفى سنة ١٢٦٢هـ، اجتمع به في الحج في إحدى السنوات وأجازه خطياً إجازةً عامةً، وكان بصحبة نخبة من رجال العلم والفضل[1].

وفاته:

كانت وفاته كما تقدم بجدة سنة ١٢٧٧هـ، وأخبرني السيد أحمد نقلاً عن والده: أنه دفن في مقبرة جدة القديمة التي تقع الآن داخل أحد أزقة (سوق العلوي)، وقال: إن سوق

---

(١) منهم: العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى (ت ١٢٦٥هـ) الذي تدبج مع الشيخ الكزبري، (ومن القريب إلى الذهن جداً أنه من أجل شيوخ السيد أحمد المثنى بافقيه لطول صحبته له)، والسيد أحمد بن عبدالله بن عيدروس البار (ت ١٣١١)، والشيخ المعمر عبدالله بن حسن باطيران العمودي، والشيخ المعمر عمر بن محمد باعثمان (توفي ١٣٢٠هـ) وأخوه الشيخ أحمد باعثمان (توفي بجدة بعد سنة ١٣٠٦هـ). وأجازهم العلامة الكزبري إجازةً عامةً.

* فائدة: ذكر العلامة علوي بن طاهر الحداد أن عنده مجلداً بخط السيد أحمد المثنى بافقيه يضم هذه الإجازة وغيرها، ينظر: «الشامل» (ص ١٤٩).

العلوي سمي بذلك نسبة لجده (بافقيه العلوي)(*)، والله أعلم.

ذريته:

أعقب السيد أحمد المثنى بافقيه ثلاثة أولاد وبنتاً، وهم: عمر وفاطمة(١)، ومحمد (قرض نسله)، وحامد.

فأما **حامد بن أحمد المثنى بافقيه**: فولد بالقرين، وكان فاضلاً محبوباً عند الناس، عاش أكثر حياته بجاوة، وتوفي بعدن عقب خروجه من جاوة في ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣١٣هـ. وكان له ولد اسمه: **محمد**، توفي في البحر متوجهاً من جدة إلى سنغافورا مع الحجاج في شهر محرم سنة ١٣٢٣هـ، وعمره نحو العشرين سنةً، رحمه الله(٢). وبهذا تكون ذرية السيد أحمد

(*) **تحقيق اسم الشريف العلوي المنسوب إليه (سوق العلوي) بجدة:**

إن ما ذكره لي الأستاذ أحمد رحمه الله حول نسبة سوق العلوي إلى جده أحمد المثنى بافقيه العلوي المتوفى سنة ١٢٧٧، قول لا يبعد عن الصحة. ولكن يعكِّر عليه وجود تصريح بأن سبب التسمية عائد إلى رجل آخر من السادة العلويين، وهو السيد **أبوبكر بن أحمد بن أبي بكر بن علوي بن أبي بكر بن علوي بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر بن علوي بن أحمد بن الإمام أبي بكر السكران بن الشيخ عبدالرحمن السقاف**، فقد كتب عنه من ترجم له كما نقله السيد عمر الكاف في «**الفرائد الجوهرية**» (٢: ٤٣٩) ترجمة رقم (٦٥١): «هو الولي المجذوب، السيد الفاضل المشهور، المتوفى بجدة، صاحب المشهد والقبة بها، الشهير بالعلوي»، انتهى. ولم يذكر المؤرخون سنة وفاة السيد أبي بكر، ولكن نستطيع أن نقترب من معرفة التاريخ، بتعرفنا على وجود رجلين من نفس الأسرة وفي نفس درجة النسب التي فيها السيد أبي بكر (الطبقة التاسعة عشرة)، الأول منهما: **عقيل بن عبدالله بن عقيل** (ترجمته رقم ٦٥٢ في المصدر السابق) المتوفى سنة ١٢١٧هـ بمدينة المخا اليمنية الساحلية، والثاني هو: **محمد بن علي بن علوي بن شيخ** (ترجمته رقم ٦٥٣ في نفس المصدر) المتوفى بسيون سنة ١٢٧٢ تقريبا، **وعلى هذا**: فإني أرجح أن وفاته كانت بين هذين التاريخين، وهو غير بعيد عن تاريخ وفاة السيد أحمد المثنى بافقيه، وهو يؤيد ما ذكرته سابقا من أنه غير بعيد عن الصحة المطلقة، والله أعلم.

(١) أمهما: الشريفة فاطمة بنت هاشم بن علوي بن عمر بن عبدالرحمن البار (عن الأستاذ).

(٢) ترجمته ووالده: عن **الشجرة الخاصة بالسادة آل بافقيه** (مخطوط).

بافقيه محصورةً في ابنه (عمر بن أحمد بافقيه)، وأما البنت فهي:

عمته: الشريفة فاطمة بنت أحمد المثنى بافقيه

(... ـ ١٣٣٢ هـ)

ولدت في (القرين) حدود عام ١٢٤٥ تقريباً، ونشأت في حجر أبويها، ثم تزوجها السيد التقي العلامة الفقيه الحبيب طاهر بن عمر الحداد، وهو من هو علماً وصلاحاً وتقًى، وكانت امرأةً صالحةً عابدةً، حكيمةً مدبرةً، وأنجبت لهذا السيد الجليل ابناً كان درةً في جيد الزمان، وهو السيد النقيب، الزعيم المصلح، محمد بن طاهر بن عمر الحداد .

وكانت وفاتها سنة ١٣٣٢ هـ، كما في ثبت أخيها، ومما جاء في رسالة التعزية التي بعث بها إمام العارفين الحبيب أحمد بن حسن العطاس إلى أخيها السيد عمر، والمؤرخة في ٦ صفر من عام ١٣٣٢ هـ: «وكريمتكم من صلاحها وحسن نيتها، تُوفِّيت بعد انقضاء دَينِ الوالِد محمد بن طاهر[١]، وهي لم تزل تلحُّ بذلك، والحمد لله على ذلك». انتهىٰ[٢].

* * *

(١) توفي السيد محمد بن طاهر الحداد ببلدة التقّل بجاوا الغربية سنة ١٣١٦ هـ، وتوفي والده الحبيب طاهر بن عمر الحداد بعده سنة ١٣١٩ هـ.

(٢) ينظر: عمر بن أحمد بافقيه، «صلة الأخيار» (ص٣٦).

والده

السيد عمر بن أحمد بن أحمد بافقيه

(١٢٦٥ هـ ــ ١٣٥٥ هـ)



في أجواء عام ١٢٦٥ تقريباً، بزغ نجم السيد عمر بن أحمد بافقيه في بلدة (القرين) وتربى في حجر أبويه الصالحين، وبين بني عمومته وأخواله السادة آل البار في بلدة (الخريبة)، وفتح عينيه على أهله وعشيرته وهم في عبادة، ونسك وزهادة وسيادة، فنمت معه هذه الصفات الحميدة وكان لها الأثر الأكبر في تكوين شخصيته.

وكان لوالده اهتمام وعناية به منذ صغره إلا أنه لكثرة أسفاره كان مغترباً عن بلاده، وتوفي في غربته في (بندر جدة) كما قدمنا وكان عمر ابنه قريباً من اثني عشر عاما، وكانت والدته وأخته فاطمة تشرفان على تربيته، وقد أرضعته أخته بأحد أبنائها، ثم رزقت بابنها السيد محمد بن طاهر فتربيا معاً في بيت واحد، وكان يرعاهما زوج أخته السيد الراكع السجاد الحبيب طاهر بن عمر الحداد.

ترجم له صاحب «الشامل» عقب ترجمة أبيه، فقال: «وابنه عمر بن أحمد، كان من أهل الفضل والأخذ عن علماء الوقت وصلحائه، وكان ذا خط حسن، وصحب ابن أخته شيخنا الحبيب محمد بن طاهر الحداد، ثم جلس في الهند بـ(كلكتا) سنيناً، وعاد إلى القرين، ودخل جاوة ثانياً»(١).

---

(١) علوي بن طاهر الحداد، «الشامل» (ص١٤٩ – ١٥٠).

حليته وأوصافه:

وصفه صاحب «الشامل»: بأنه من أهل الفضل، كما حلاَّه كثير من شيوخه بحُلَى كثيرة، جاء في رسالة من شيخه الحبيب علي الحبشي قوله فيها: «... العالية همته، المرفوعة رتبته، المتعطشة روحه إلى ما فيه سعادته، أخي وصديقي، السالك في طريقي، والمعدود من فريقي، الظاهرة أسرار أهليه فيه، عمر بن أحمد بن أحمد بافقيه»(١).

وقال فيه شيخه الحبيب أحمد بن حسن العطاس من مكاتبة: «إلى حضرة الحبيب الجليل المتصل بالواحد، في سائر المشاهد، الذائق الواجد، منور السريرة والبصيرة، المخصوص من صدق النية بأوفر نصيب، والمستنشق عرف الطيب من منازل الحبيب، الأخ الفاضل، والولد المتحلي بجميل الشمائل»(٢).

شيوخه:

اعتنى السيد عمر بافقيه بصحبة أهل العلم والفضل والصلاح من شيوخ عصره، ونال من عدد من شيوخه الإجازة في العلم الشرعي وآلاته وفي الأذكار وبعض الطرق الصوفية، وجمع ذلك في كتاب مفيد سماه «**صلة الأخيار بالرجال الأئمة الكبار**»، وقد طبع في سنغافورا في شوال سنة ١٤١٠هـ، واعتنى بتصحيحه شيخنا السيد الجليل الحبيب أبوبكر عطاس بن عبد الله الحبشي نزيل مكة ودفينها عام ١٤١٦هـ، رحمهما الله، وجاء الكتاب مطبوعاً في (١٧٥) صفحة، وزود بفهارس عامة بآخره.

قال العلامة الحداد في «الشامل» واصفاً هذا الثبت: «وله معجم ترجم فيه للعلماء الذين أخذ عنهم، وكان قد كتب لأخينا البدر الزاهر والبحر الزاخر بالمكارم والمفاخر،

---

(١) عمر بن أحمد بافقيه، مصدر سابق (ص١٨).

(٢) عمر بن أحمد بافقيه، مصدر سابق (ص٣٤،٣٣، ٣٧).

الحبيب علوي بن محمد بن طاهر أنه سيرسله إليه لأنظر فيه، ثم لم يقدَّر له ذلك». انتهىٰ.

وعدد الشيوخ الذين ذكرهم يزيد على الثلاثين، ومن أشهرهم، **من أهل حضرموت**: محمد بن عبدالله بن عمر بن يحيى، أحمد بن عبدالله البار، أحمد بن حسن العطاس، علي وحسين ابنا محمد بن حسين الحبشي، عبدالله بن علوي العطاس، شيخ بن عيدروس العيدروس، أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، عمر بن صالح العطاس، محمد بن أحمد باحنشل، عيدروس بن حسين العيدروس، أبوبكر بن عبدالرحمن ابن شهاب، وغيرهم.

ومن غير الحضارمة: السيد أحمد زيني دحلان، السادة بكري وعمر آل شطا، والشيخ عبدالحميد الداغستاني الشرواني، والشيخ يوسف النبهاني.

أخذه للطريقتين الشاذلية والقادرية:

لقي بمدينة (**كلكتا**) الهندية الشيخ العارف بالله أحمد **بن محمد حمزة ظافر المدني الشاذلي** — نزيل الآستانة العلية ـ فأخذ عنه ونال منه إجازةً في الطريقة الشاذلية وكتب له سندها. وأجازه خصوصاً في الحديث المسلسل بالمحبة (حديث معاذ) المشهور، عن والده محمد بن حسن بن ظافر ابن حمزة ظافر المدني عن الأستاذ محمد بن علي السنوسي الكبير عن عبدالحفيظ بن درويش العجيمي بسنده، كان ذلك عندما قدم الشيخ أحمد ظافر إلى (**كلكتا**) زائراً سنة ١٣٣٠هـ[١].

كما أنه أجيز في الطريقة القادرية، وقام بالتسليك عليها في (**سيلان**)، وكان أخذه لها عن السيد الشريف **عبدالحميد بن السيد عثمان القادري الحسني الخراساني**، حين اجتمع به في مسجد مدينة (**ماطْرَهْ**) القديم فوق النهر قريباً من الجسر بجزيرة سيلان في حدود سنة ١٣١٩هـ[١].

---

(١) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص ١٤٤ – ١٤٨)).

(١) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص ١٤٨).

الرواة عنه:

أجيز من السيد عمر بافقيه جماعة، منهم: ابنه الأستاذ أحمد، الذي وضع هذا الكتاب في التعريف به، ومنهم: الشيخ الفقيه المعمر الصالح عبدالكريم الملاحي (ت ١٤١٨هـ)، أخذ عنه بعد قدومه إلى الشحر، وقرأ عليه عدداً من الكتب في فنون متعددة(٢).

آثاره:

من آثاره العلمية الباقية: ثبته الذي سماه «**صلة الأخيار بالرجال الأئمة الكبار**»، وكانت نسخته الخطية محفوظةً لدى الأستاذ رحمه الله، وحافظ عليها، وتنقلت معه في الأقطار والبلدان التي رحل إليها، حتى أذن الله بظهور الكتاب وطبعه، بعد أن استقر في جدة.

إذ اطلع على هذا الكتاب السيد الجليل بقية السلف الصالح، الحبيب أبوبكر العطاس بن عبدالله الحبشي (ت ١٤١٦هـ)، فحث الأستاذ على طبعه ونشره لتعم فائدته، وقام الحبيب الحبشي بالمراجعة والتصحيح للأصل الذي وصل إليه، وتم ذلك عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، واختير لطبعه أفخم المطابع في سنغافورا، وهي مطبعة كرجاي المحدودة لصاحبها السيد الفاضل المرحوم أحمد بن محمد بن سميط (ت ١٤٢٧هـ). وهكذا؛ طبع هذا الثبت المفيد المهم في التراجم وتوثيق بعض الأمور التاريخية، وجاء في (١٦٨ صفحة)، مذيلاً بفهرس عام للموضوعات.

ومن آثاره أيضاً: كتاب فقهي بلغة التاميل، صنفه لأهل سيلان، ولعله طبع قديماً. كما أشرف على طباعة بعض الكتب في الهند وسيلان، ومنها: كتاب «سبيل المهتدين في أدعية أصحاب اليمين»، لشيخه السيد عبدالله بن علوي العطاس (ت ١٣٣٤هـ). **ومن مآثره**

---

(٢) أخبرني بذلك أحد تلامذته الفضلاء، وهو صديقي الأستاذ **ياسر بن محمد باعباد**، خطيب جامع الشحر حالياً، والمدرس بجامعة الأحقاف، حفظه الله.

الخيرية: بناء مسجد في مدينة كاليكوت الهندية.

وفاته؛ وذريته:

كان السيد عمر قد انتقل إلى (الشحر) قُبيلَ وفاته بمدة وجيزة، ووافاه أجله بها، رحمه الله تعالى وغفر له[١] . قال العلامة الحداد: «مات وقد بلغ التسعين أو زاد»، وأرخ وفاته في عام ١٣٥٧هـ، كما في «الشامل»، لكن الذي في (شجرة آل بافقيه) التي بخط ابنه محمد بن عمر ما نصه: «توفي بالشحر في ٥ جمادى الثانية من عام ١٣٥٥هـ»، وهي في اعتقادي أولى بالاعتماد من غيره. وأعقب من الأولاد خمسة، الأربعة الأولون منهم أشقاء[٢] وهم:

١- **أحمد بن عمر**: ولد بكلكتا يوم الجمعة ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٣٠هـ .

٢- **محمد الطاهر**[٣]: ولد بكلكتا ليلة الإثنين ١٣ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ .

٣- **عبدالله**: ولد بكلكتا ظهر الثلاثاء ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٥هـ.

٤- **محمد الهادي**: ولد بكلكتا ظهر الثلاثاء ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٢هـ.

٥- **محمد الحسن**: من أم مدنية، ولد ليلة الثلاثاء ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤هـ، وقد حصل على الجنسية السعودية، وعاش عمره في المدينة المنورة وتوفي بها وله ذرية بها.

هذا ما وجدته في شجرة آل بافقيه الخاصة، ولهم ذرية منتشرة متفرقين في عدد من البلدان في شرق الأرض وغربها، وبهذا القدر أكتفي في الحديث عن عائلة مترجمنا وأعلام أسرته، وبالله التوفيق.

---

(١) علوي بن طاهر الحداد، «**الشامل**» (ص ١٤٩)، و«**شجرة السادة آل بافقيه**»، وهي بخط السيد عمر بن أحمد بافقيه نفسه وبعض أبنائه من بعده (مخطوطة).

(٢) عن «**شجرة السادة آل بافقيه**»، المصدر السابق.

(٣) هذا اللقب لم يذكر في **شجرة آل بافقيه**، وذكر في «**صلة الأخيار**» (ص ١٣٥) .

(٢)

مولد صاحب الترجمة ونشأته

(١٣٣٠ – ١٣٤١هـ)

مدينة (كلكتا) الهندية:

مدينة (كلكتا) إحدى أشهر وأهم مدن شبه القارة الهندية، وهي مدينة عريقة، كانت عاصمة قديمة للهند، وكانت بها تجارة قوية للمسلمين. كما أن منها انطلقت دعوة الزعيم محمد علي جناح للثورة على الاستعمار البريطاني، وكان أول خطاب سياسي ألقاه بهذه المدينة سنة ١٩٠٦م، دعا فيه إلى استقلال الهند عن بريطانيا.

ومن هذه المدينة العريقة، قدمت امرأة مسلمة ثرية، اسمها (صولت النساء بيگم) تؤم بيتَ الله الحرام بمكة المكرمة عام ١٢٨٩هـ، وأقامت بها إحدى أشهر وأقدم المدارس الدينية الشرعية وهي (المدرسة الصولتية)[١] التي لا زالت قائمةً إلى اليوم شاهدةً على سخاء المسلمين، ودالةً على أن الإسلام لا يعرف حدوداً ولا قيوداً.

كما لا يفوتنا أن نذكر أن بهذه المدينة كانت توجد مطابع للكتب، تعدُّ من أقدم المطابع في تاريخ الشرق الإسلامي، وبها كان مُقامُ الأديب اليمني أحمد بن محمد الأنصاري

---

(١) بنيت هذه المدرسة المباركة بإشراف ونظارة العلامة الشيخ **محمد رحمتُ الله بن خليل الكيرانوي** الهندي، المتوفى بمكة سنة ١٣٠٨هـ، العالم الذي ناظر القساوسة النصارى وأفحمهم في مناظرات شهيرة، ينظر مقدمة كتاب «**المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر**» (ص٣٥) وما بعدها.

الشرواني الـحُدَيدِي، الذي طبعت له **بكلكتا** كتب يعـود تـاريخ بعضـها إلى مـا قبـل سـنة ١٢٤٠هـ.وهي أيضاً مسقط رأس الشاعر الهندي الشهير (طاغور)، الذي فاز بجائزة نوبـل للشعر والأدب عام ١٩١٤م.

اختار السيد **عمر بافقيه** الإقامة بهذه المدينة، وكانت له بها أعمال تجارية كـان يـديرها أثناء إقامته بها، وكانت لديه بعض السفن الشراعية التجارية، إذ كانت حركة التجارة قويـةً آنذاك في تلك المدينة العريقة، وبها كان زواجه، وبها ولد جميع أبنائـه، ومكـث بهـا سـنواتٍ عديدةً، وكان يتنقل بينها وبين جزيرة جاوا.

مولد صاحب الترجمة:

ولد صاحب الترجمة السيد أحمد بن عمر بن أحمد المثنى بن أحمد بن علي بافقيه العلوي الحسيني الحضرمي، بمدينة (**كلكلتا**)، في يوم مباركٍ، هو يوم الجمعة ٢٣ جمـادى الأولى[١] من عام ١٣٣٠ للهجرة (وذلك يوافق: ١٠ أو ١١ مايو من عام ١٩١٢م)، وكان بكرَ أبيه.

وكان مولده مصدر سعادة لأبيه الذي مكث زمَناً لا يولد له أحد، فكان من سـعادته الغامرة أن كتب لشيوخه بحضرموت وغيرها يخبرهم بقـدوم هـذا المولـود السـعيد عليـه، ويستحثهم في بذل الدعاء له بالصلاح والخيرية، وكان والده قد بلغ مـن العمـر نحـواً مـن خمسة وستين عاما (٦٥).

التهاني بمولده:

وصل لأبيه عدد من الرسائل من حضرموت وبعض المـدن الهنديـة مهنئـةً لـه بهـذا الحدث السعيد، منها رسالة من شيخه العلامة الإمام أحمد بن حسن العطاس مؤرخةً في ٢٠ رجب ١٣٣٠، يقول فيها:

---

(١) هذا ما وجدته في «**شجرة آل بافقيه**» بخط والده، ولكن يعكـر عـلى هـذا: وجـودُ رسـالة مـن السـيد عيدروس بن حسين العيدروس مؤرخة في **سلخ ربيع الثاني** ١٣٣٠هـ، وفيها ذكر لأحمد بن عمر، فلعل والده سها عن كتابة التاريخ في حينه، ينظر: «**صلة الأخيار**» (ص٩٧)، والله أعلم.

«الحمد لله مجدد الأفراح، ومديم الصلاح لأهل الفلاح، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد في المساء والصباح، وعلى آله ومن تبعهم على النهج الأقوم في الغدو والرواح، وإيانا، آمين. ونهدي السلام الأتم ورضوانه الأعم، يخصُّ الجنابَ المكرم، الولد المبارك عمر بن أحمد بافقيه، بارك الله له في الموهوب، وشكرت الواهب، وأنبته نباتاً حسناً، وجعله قرة عين دنيا وأخرى.

والمرقومُ من (دوعن) قارَة الحبيب العارف بالله أحمد بن محمد المحضار، لإهداء السلام، والسؤال عنكم وعن من لديكم، وقد أسرنا وصول كتابكم المبشر بهدوف **ابنكم المبارك أحمد بن عمر**، جعله الله تعالى من أولاد السلامة والعافية، باراً بوالديه، ويجعل في قدومه المسرات والمبرات والخيرات، وأنتم والمذكور وسائر المتعلقين على بالنا في جميع تقلباتنا وأوقاتنا، والمدد في المشهد، وإن شاء الله سعيكم مشكور، والعاقبة إلى خير، و:

* حسِّنْ ظنونَك في المولى تر البشرى[1] *

والله لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل، ونسأله تعالى أن يبلغكم ما فيه رضاه، ويجمعنا بكم على أحسن حال في أبرك الأزمان والمحالّ، والدعاء لكم لم يزل مبذول وعلى المولى الإجابة والقبول.. »[2]، إلخ. وقد ذيلها كاتبها الشيخ عوض بن محمد بافضل بقوله مؤرخا بحساب الجمَّل:

يا عمر نلت فخراً ... دام سراً وجهرا
جاءك ابن مبارك ... يكون بَراً أبرا
حائزاً سِرَّ أهلِهْ ... والجدودِ وزهرا
ولقد جَا مؤرَّخاً ... (هو خير وبشرى)

يوافق سنة = ١٣٣٠ هجرية

---

(١) شطرُ بيتٍ من قصيدة للإمام الحداد، تخميسها (واسأل من الله كشف البوس والضرر)، «الدر المنظوم» (ص ٢١٦).

(٢) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص٣١-٣٢).

ولم يزل العلاّمة العطاس يدعو له فيما تلا ذلك من رسائل، فيقول في رسالة أخرى مؤرخة في ١٠ شوال ١٣٣٠، ما نصه: «**والولد أحمد**؛ الله ينبته النبات الحسن، وجعله من صلحاء الزمن .. »(١).

شيوخ الإجازة

مما أكرم الله به المترجمَ: اعتناءُ أبيه به منذ طفولته، فكان يأخذه إلى الشيوخ الكبار، ويطلب منهم الدعاء لابنه، بل ويراسل بعضهم إلى حضرموت ويأخذ منهم الإجازة له، لمعرفته رحمه الله بقدرها وأهميتها، ودروها في ربط أسانيد المتقدمين بالمتأخرين، لا سيما وهو العالم المسند.

الذين أجازوه وهو في سن الصبا:

سيأتي في الفصل التالي ذكر شيوخه الذين رحل إليهم في حضرموت وتلقى العلم على أيديهم، وأذكر هنا من انتهىٰ إلى علمي ممن أجاز لصاحب الترجمة من العلماء قبل سفره إلى حضرموت للطلب والدراسة، وهو يناهز العاشرة من عمره، وقد تفرد بالرواية عن بعضهم دهرا، وهم:

١ - **السيد الحبيب عمر بن صالح بن عبدالله العطاس**(٢): ولد ببلدة (عَمْد)، وبها توفي في شهر رجب سنة ١٣٣٦هـ، عن عمر ناهز التسعين عاماً، فألحق الأحفاد بالأجداد.

روايته: يروي عن والده صالح المتوفى سنة ١٢٧٩هـ، وأبي بكر بن عبدالله العطاس (١٢٨٢)، ومحمد بن حسين الحبشي مفتي الشافعية بمكة (ت ١٢٨١هـ)، وعالياً جداً عن

---

(١) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص٣٣).

(٢) مصادر ترجمته: علي بن حسين العطاس، «**تاج الأعراس**» (١: ٦٦٤-٦٧١)، وسالم بن حفيظ، «**منحة الإله**» (ص٤٧١).

شيخ شيوخه: الإمام أحمد بن عمر بن سميط (ت ١٢٥٧هـ)، وغيرهم.

جاء في رسالة جوابية منه للسيد عمر بافقيه، لم تؤرَّخ، قال فيها: «.. وذكرتم: مرادُكم بإجازة منَّا لكم، ونحن يا سيدي ما نحن أهلٌ لإجازةٍ، ولكن امتثلنا أمرَكم ونيتكم الصالحة. فقد **أجزناكم** في جميع ما أجازَ نحنُ فيه الحبيبُ صالح بن عبدالله العطاس، والحبيب محمد بن صالح، في جميع الأوراد والأذكار، وفي راتب الحبيب عمر العطاس، وراتب الحبيب صالح بن عبدالله العطاس صباحاً ومساءً، وفي جميع ما نويتوه (نويتموه) وطلبتوه (طلبتموه) من خيرات الدنيا والآخرة، وفي إصلاح ذات البين، فقد أجزناكم خاصةً وعامةً، **لكم ولأولادكم المباركين** ولجميع من أردتوا (أردتم) له الإجازة على نيتكم الصالحة وهمتكم العظيمة» (١). انتهىٰ.

٢- **العلامة الحبيب عيدروس بن حسين العيدروس**(٢): مولده ببلدة (الحزم) الواقعة بالقرب من (شبام) عام ١٢٤٤، ووفاته في (حيدرأباد) الدكن سنة ١٣٤٦، عن مائة وسنتين من السنين .

روايته: أخذ عن والده وعن الإمام القدوة عبدالله بن حسين بن طاهر (ت ١٢٧٢)، والإمام المصلح الحسن بن صالح البحر الجفري (ت ١٢٧٣)، والعلامة أحمد بن علي الجنيد (ت ١٢٧٥) الآخذ عن الشوكاني، وغيرهم من مشاهير علماء ذلك الزمان.

قال في حقه السيد عمر بافقيه: «ومن عرف حال هذا الحبيب وعلم مقداره، وأنه من بقية السلف المتقدمين، فإنه أدرك أشياخاً لم يدركهم من أهل وقتنا أحد»(٣).

كان السيد عمر بافقيه قد اجتمع به عدة مرات في بلدان متعددة، كما قال في ثبته:

---

(١) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص٥٠).

(٢) **من مصادر ترجمته**: سالم بن حفيظ، **مصدر سابق** (ص٤٨٣).

(٣) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص١٤٠).

«وقد اجتمعت به مراتٍ قبل الأخذ عنه في (حيدرأباد) وفي (بومبي) و(سنغافورا)، وبعد الأخذ عنه في (حيدرأباد) سنة ١٣٣٧، وهو آخر اجتماع به في هذه الحياة الدنيا، وألبسني وحكَّمني **وألبس ولدي أحمد**»(١).

ومن الرسائل المتبادلة بين الرجلين نجد الحبيب العيدروس يضفي على صاحب الترجمة ثناءً عاطراً وأوصافاً في صيغة الدعاء له، فمن رسالة مؤرخة في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٠، وصفه فيها بـ**(الخليفة الأمجد أحمد)**(٢)، وفي أخرى وصفه بـ**«حفيد السلف، وبهجة الخلف»**(٣)، ويصفه في بعض الرسائل **بأحمد التريمي**، كما في الرسالة المؤرخة ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٢(٤).

وكان العيدروس يستحث تلميذه السيد عمر في رسائله على الخروج إلى حضرموت، كما في رسالته المؤرخة في ١٥ رمضان ١٣٤٠هـ(٥)، وتلتها أخرى مؤرخة في ٢٧ رمضان من نفس السنة يأمره بالمبادرة إلى تنفيذ ما طلبه منه.

ولما لم يتمكن السيد عمر بافقيه من السفر إلى حضرموت حينها بنفسه، فقد بادَرَ بإرسال ابنه أحمد في السنة التالية (١٣٤١هـ). فسُرَّ شيخه العيدروس من صنيعه، فكتب يقول في رسالة مؤرخة ١٢ رمضان ١٣٤١: «**والولد أحمد** ذكرت أنه بتريم، بارك الله فيه»، ويقول في أخرى مؤرخة سلخ محرم ١٣٤٢: «**وابنك أحمد** بتريم يطلب العلم، فنعم البلاد، والله يزيّننا وإياكم، ويغنينا وإياكم بالعلم والحلم».

---

(١) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص١٤٠).

(٢) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص١٢٥).

(٣) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص١٣٥).

(٤) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص١٣٧).

(٥) عمر بن أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص١٣١).

٣- **السيد العلامة أبوبكر بن شهاب الدين**[١]: شاعر حضرموت ومصلحها وعالمها الأكبر في عصره، مولده في قرية (حِصْن فَلُّوقَة) بقرب تريم سنة ١٢٦٢هـ، ووفاته بحيدرأباد الدكن سنة ١٣٤١هـ.

قال السيد عمر بافقيه في «ثبته»: «في آخر اجتماع به في (حيدرأباد) في بيته في شهر رمضان، كنا معزومين عنده للفطور، وكنا جلوساً معه في بيته، سأل عن **ولدي أحمد بن عمر** من تلقاء نفسه. **فقلت** له: هاهو ذا. **فقال**: اقرب يا أحمد. فقرب منه، فجاء بكوفية جديدة ووضعها على رأسه أولاً، ثم بعد برهة ألبسها للولد أحمد، **وقال**: إلباسٌ على عادة السلف. وهذا للولد أحمد من تلقاء نفسه بدون طلب، ثم بعد يوم أو يومين طلبت منه الإلباس لي والإجازة، فألبسني وأجازني»[٢].

لم يصرّح والده في هذا النص بحصول الإجازة لابنه من المترجم، ولكنه رحمه الله كان يؤكد لي أنه أجازه، فلعل والده غفل عن إثباتها في الكتاب، والله أعلم.

٤- **السيد أحمد بن عبدالله بافقيه**[٣]: مولده بمكة المكرمة، ووفاته بعد سنة ١٣٤٠هـ، أصوله من مدينة (الشحر)، كان أديباً فطناً نحوياً، له نظم ونثر، من شيوخه بمكة السيد الإمام أحمد بن زيني دحلان، وغيره. كان يتردد على الهند وجزيرة سيلان داعياً وواعظاً، وفي أخريات أيامه سافر إلى حيدرأباد مع ابنه شيخ لعلاج عينيه ووافته منيته بها.

---

(١) من مصادر ترجمته: عبدالله محمد السقاف، «**تاريخ الشعراء الحضرميين**» (٤: ١٨٣)، وخير الدين الزركلي، «**الأعلام**» (٢: ٦٥).

(٢) عمر أحمد بافقيه، **مصدر سابق** (ص ١٤٠).

(٣) ينظر: أحمد أبوالخير مرداد، «**المختصر من نشر النور والزهر**» (ص٧٥)، وعبدالستار الدهلوي، «**فيض الملك المتعالي**» مخطوط (١: ٤٤)، وكلاهما لم يؤرخ لوفاته، وأستاذنا السيد أبوبكر بن علي المشهور، «**لوامع النور**» (١: ٣٤٠).

وأخبرني السيد أحمد بافقيه: أنه زاره مع والده في حيدرأباد، وطلب والده منه الإجازة له ولابنه فأجازهما عامةَ مروياته.

هؤلاء الشيوخ أخذ عنهم السيد أحمد بن عمر بافقيه في الهند وهو في سن الصبا، وذلك باعتناء والده وحرصه على اتصال ابنه بأسانيد أولئك الأعلام، رحمه الله تعالى، وقد حقق الله ما ارتجاه في ابنه، فقد ألحق الأحفاد بالأجداد، وقصده طلاب العلم والحريصون على الإسناد فأخذوا عنه، في زمنٍ تفرَّد فيه السيدُ أحمد بافقيه بأكثر هؤلاء الشيوخ، والإسناد من الدين، وهو من خصائص الأمة المحمدية المرحومة(*).

* * *

(*) لمعرفة المزيد من فوائد علم الإسناد، ينظر: عبدالفتاح أبوغدة، «**الإسناد من الدين**» (ص ٩-٧٤)، ومقدمة كتابي: «**المحاسن المجتمعة في مآثر الإخوة الأربعة**» (ص٣٧-٤٦).

(٣)

السفر إلى حضرموت لطلب العلم

(١٣٤١ - ١٣٤٦هـ = ١٩٢٢ - ١٩٢٧م)

في عام ١٣٤١هـ، ابتعثَ السيد عمر بافقيه ابنَه أحمد الذي كان عمره لا يتجاوز الحادية عشرة إلى موطنه الأم (حضرموت)، وكان ذلك استجابةً لإلحاح شديد من شيخه السيد عيدروس بن حسين العيدروس، فاستقل الفتى اليافع أحمد بافقيه متن إحدى السفن الشراعية التي تمخر عباب الماء جيئةً وذهاباً بين السواحل الهندية والسواحل الحضرمية في أقصى جنوب جزيرة العرب، وكانت محطة الوصول الأولى هي مدينة المكلا، (البندر) الحضرمي المشهور.

إلى دوعن؛ بلدة (القرَين)[1]:

ولما كانت المكلا مجرد ميناء عبور لمترجمنا، فقد امتطى ظهر مركوب من الدواب المخصَّصة للأسفار، وكانت المحطةَ الثانية هي بلدةُ (القرين) الشهيرة، مسقط رأس أبيه وأجداده، فسار يحدوه الشوق والأمل، ولم يخل قلبه ـ وهو الفتى الصغير السن ـ من الوجل والخوف وهو يخترق البحار ثم الوديان في هذه الرحلة الشاقة، التي هي أشبه ما تكون

---

(١) القرَين: بلدة عامرة آهلة بالسكان، تقع في السفح الشرقي لوادي دوعن الأيمن، ومن أبرز الأسر العلمية فيها: آل البار، وآل بافقيه، عشيرة المترجم، ينظر: عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، مصدر سابق (ص٣٥٤)، وعلوي بن طاهر الحداد، مصدر سابق (ص١٤٦).

بالمغامرة.

العلامة محمد بن عبدالله البار[١]:

وكان قد استقر بها ـ قبل مدة يسيرة من وصول مترجمنا ـ عمه السيد العلامة **محمد بن عبدالله البار**، بعد أن غادر مدينة (عدن) التي عاش فيها سنواتٍ طوالاً من عمره، متجراً ومتسبباً، وطالباً ثم ناشراً للعلم في ربوعها. وتربط السيد البار بالمترجم رابطة رحمٍ، فهو أخو أبيه السيد عمر بافقيه لأمه، فكان منه أن استقبل ابن أخيه واعتني بتربيته وتعليمه، ولم يدخر وسعاً في ذلك. سمعته يقول: «كان عمي وشيخي محمد بن عبدالله البار يحبني كثيراً، وربما خصني بأشياء دون غيري، حتى أنه كان يستأمنني على مفاتيح الدار». وفي هذا دليل على محبته له وثقته فيه، وفيه تنمية لحسه، واختباراً له على تحمل المسؤولية.

وكان من أقرانه في الطلب والدراسة شيخنا الحبيب المنصب **عبدالله بن حامد البار** (توفي بجدة ١٤١٨هـ) رحمه الله تعالى، وظل مترجمنا في (القرين) سنتين أو يزيد، قرأ فيها على عمه فنوناً من العلوم الدينية والعربية والأدبية، وكان شيخ تخريجه وفتحه.

إلى (تريم):

وبعد السنتين اللتين قضاهما في (دوعن)، وجهه عمه العلامة البار إلى مدينة (تريم) الغناء؛ ليواصل طلبه للعلم عند شيوخ تريم وعلمائها، وكان ذلك بتوصية من أبيه. فنزل أولاً على الشيخ العالم الفقيه الأديب **محمد بن عوض بافضل**[٢]، أحد أصدقاء والده ومحبيه،

---

(١) ولد بالقرين سنة ١٢٨٥هـ، وبها توفي سنة ١٣٤٨هـ أخذ العلم عن عمه السيد حسين البار (ت ١٣٣٠هـ)، وجده عم أبيه أحمد بن عبدالله البار (ت ١٣١١هـ)، وغيرهم، كان فقيهاً أديباً تاجراً، له مصنفات. ينظر: محمد أبوبكر باذيب، **«المحاسن المجتمعة»** (ص٣٧١).

(٢) من أعلام مدينة تريم، ولد بها سنة ١٣٠٣هـ، وبها وفاته سنة ١٣٦٩هـ ينظر: مقدمة كتابه **«صلة الأهل في تدوين ما تفرق من مناقب بني فضل»**، بقلم ابنه الشيخ فضل.

الذي تعود معرفته به إلى أيام أخذهما عن الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس بحريضة في مطلع القرن الرابع عشر .

أخبرني رحمه الله: أن الشيخ بافضل تلقى رسالةً من والده يحثه فيها على العناية به، وتوجيهه إلى حفظ القرآن الكريم عنده ودراسته له على يديه. ولكن الشيخ بافضل رأى أن طلب العلم والتفقه في الدين أولى من حفظ القرآن، لأن هذا الشاب من الطلاب الغرباء الذين سرعان ما يغادرون حضرموت عقب انتهاء تحصيلهم، فمن الأفضل لهم أن يطلبوا العلم ويتفقهوا في الدين لأنه علمه فرض عين، أما حفظ القرآن فأمر مندوب ومرغّب فيه، وهذا ما يغفل عنه الكثيرون من أهل زماننا.

فوجّه الشيخ بافضل مترجمنا إلى رباط العلم الشهير بتريم، عند السيد العلامة عبدالله بن عمر الشاطري، أشهر شيوخ تريم بل وحضرموت كلها في عصره، فأفرده الحبيب عبدالله في غرفة صغيرة (عُزلَةٍ) كبقية الطلاب الغرباء، وانخرط المترجم في صفوف الدارسين في الرباط منذ ذلك الحين .

شيوخه في تريم:

كانت الدراسة في تريم مركزةً في رباطها الشهير، ولكن ذلك لا يمنع من الأخذ عن بعض الشيوخ الذين لا يستطيعون الوصول إلى الرباط لكبرهم أو لارتباطهم بدروس يومية في مواضع أخرى من تلك المدينة المباركة، وهكذا كان الأمر بالنسبة لمترجمنا، فإنه درس في الرباط وخارجه. فمن أجل شيوخه في الرباط: شيخ المدرسين فيه ورئيسهم العلامة المتفنن الحبيب **عبدالله بن عمر الشاطري**[1] المتوفى سنة ١٣٦١هـ، وقرأ عليه جملة من المتون

---

(١) العلامة الشهير، مولده بتريم سنة ١٢٩٠هـ، وبها وفاته سنة ١٣٦١هـ، أفرده بالترجمة تلميذه العلامة محمد بن سالم بن حفيظ بكتاب سماه «**نفحات النسيم الحاجري**»، طبع في مجلد بدار العلم والدعوة بتريم.

الفقهية المتداولة بين طلبة العلم.

وقرأ على العلامة التقي الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين[١] المتوفى سنة ١٣٨٦هـ: وهو من كبار أصحاب العلامة الشاطري، وخليفته في دروسه عند غيابه، وكلاهما كان مرجع الطلاب في تريم في ذلك العصر، وقل أن يوجدَ دارس بتريم اليوم إلا وقد أخذ عنهما أو عمن أخذ عنهما. وكان للحبيب علوي دروس خارج الرباط لا يكاد يتخلف عنها طلاب العلم.

ومن مقروءات السيد أحمد على المذكورَين: متن «سفينة النجاة»، و«المختصر الصغير» و«المقدمة الحضرمية» (المختصر الكبير)، ومتن «الآجرومية»، و«الكواكب الدرية» في النحو، وكتب أخرى في الرقائق والسلوك والتهذيب والآداب، كبداية الهداية لحجة الإسلام الغزالي، وكتب الإمام المجدد عبدالله بن علوي الحداد.

ومن أخباره مع هذين الشيخين: أخبرني المترجم رحمه الله: أن شيخَ الرباط الحبيب عبدالله الشاطري كان كثير السؤال عن أحواله، ويتفقد أموره الخاصة، ويسأل عنه إذا غاب أو تأخر عن الدروس، لمكانة والده ومنزلته بين أهل العلم.

ومن المواقف النبيلة التي لم ينسها لشيخه الشاطري معه، موقف كان له أثر كبير في نفسيته، قال رحمه الله: «كان والدي قد رتب لي مرتباً شهرياً عن طريق الشيخ محمد بافضل، وأودع لديه مبلغاً من المال ليصرفه عليَّ خلال فترة دراستي بتريم، وكان الوالد يمده بالمال بين حين وآخر، إلى أن جاء وقت نفد فيه ما عندي من المال، فجئت إلى الشيخ محمد وطلبت منه أن يسعفني ببعض النقود لأشتري ما يلزمني، فأجابني بان النقود التي عنده قد نفدت، وأن الوالد لم يرسل شيئا بعد! ولم يكن لديه ما يمده به حينها.

---

(١) ولد بتريم سنة ١٣٠٣هـ، وبها توفي في رمضان سنة ١٣٨٦هـ، أفرده بالترجمة تلميذه العلامة عمر بن علوي الكاف بكتاب سماه «تحفة الأحباب»، مطبوع.

قال: فوقع كلامه على سمعي وقوع الصاعقة، لأنني لم أكن أعرف أحداً في تريم غيره، وضاقت علي الأرضُ وضاقت نفسي من تلك الحالة، وعدتُ إلى مسكني في الرباط وأنا مكسور الخاطر، مطرقَ الرأس، وحان موعد درس شيخي الحبيب عبدالله، فتأخرت عن الحضور، فأرسل من يسأل عني ويحضرني، فجئته والعبرة تخنقني، فلما رآني على تلك الحالة علم أن هناك أمراً هاماً أحزنني، فأشار علي أن أقترب منه، وسألني بلطف عما جرى لي، وقال لي: اليوم ما أنت على عادتك، وإنما أنا مثل والدك .

قال: فانفجرت باكياً، ولم أقدر أن أكلمه، فعرف ما أعانيه بفراسته المعهودة، فأخذ ورقةً وكتب إلى أحد وكلاء الرباط الذين يموّنونه بالأكل والغذاء، وأمره أن يدفع لي مبلغاً من المال، وأن يقيده على حساب الرباط، وقال لي: اذهب إليه الآن، فذهبت وأخذت منه ما أمر به شيخي الحبيب، وسكنت نفسي وهدأت، وزال عني ما أهمني».

قصة أخرى:

قال رحمه الله: «ومرةً وصلتني رسالة من الوالد، وأمرني فيها بإبلاغ السلام لشيخي الحبيب عبدالله الشاطري، فأخذت الرسالة معي وكنت بها فرحاً مسروراً، ولما حضرت في الدرس، إذا به يناديني: يا أحمد، هاتِ الرسالة! فعجبتُ من ذلك أشد العجب، ولم يكن يعلم بها غيري، فناولته إياها، وكان يجلس إلى جواره السيد علوي بن عبدالرحمن خرد (توفي ١٣٦٠هـ) فأعطاه الرسالة وأمره أن يقرأها على الحاضرين»، وكان هذا ديدن العلامة الشاطري مع تلاميذه الغرباء، إدخالاً للسرور عليهم.

ومن أخباره مع شيخه الحبيب علوي بن شهاب الدين:

ما حكاه قائلاً: «كان شيخنا الحبيب علوي بن شهاب إذا رآني أو حضرت مجلسَه يتمثَّل بهذا البيت:

وبافقيه الذي في الفقه كالأذرَعي وفي التصوُّف والآداب متَّسِعِ

قال: وكنت أعلم أن البيت إنما فيه: (وبِلْفَقيه .. الخ)، فظننت أول مرة أن الحبيب علوي أخطأ فيه، ولكنه لما ظل يكرره في عدة مناسبات، علمت أنه يعنيني ويأخذ بخاطري».

ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم خارج الرباط:

العلامة الورع العابد الحبيب علي بن العلامة المفتي عبدالرحمن المشهور[١] المتوفى سنة ١٣٤٤هـ، قرأ عليه «بداية الهداية» للإمام الغزالي، وأجازه عامةً. والعلامة التقي الصالح الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس[٢]، المتوفى سنة ١٣٥٧هـ، قرأ عليه «المختصر اللطيف» للإمام عبدالله بلحاج بافضل، وأجازه عامةً.

وختاماً:

هذا مجمل ما علمته عن فترة دراسة المترجم في حضرموت، وإجمالي السنين التي قضاها بين دوعن وتريم قريبٌ من الخمس، كما أخبرني رحمه الله، وهذا يعني: أنه وصل إلى وادي دوعن مطلع سنة ١٣٤١، ثم غادره عام ١٣٤٣ تقريباً، ومكث بتريم إلى نهاية عام ١٣٤٦هـ، وبها تمام خمس سنوات، فيكون قد غادر حضرموت وهو في سن المراهقة والبلوغ.

لقاؤه بالعلامة محمد بن عقيل ابن يحيى في المكلا:

بعد مغادرته أراضي حضرموت الداخل، وديانها وقراها، اتجه الشاب العلوي إلى المكلا، في طريقه للسفر بعيداً عن أرض العرب، ليعود من حيث أتى، وقد تزود في رحلته

---

(١) مولده بمدينة تريم سنة ١٢٧٤هـ، وبها وفاته سنة ١٣٤٤هـ، ينظر: «**منحة الإله**» لتلميذه السيد سالم بن حفيظ (ص١٢٥).

(٢) ولد بتريم، وتوفي بها سنة ١٣٥٧هـ، ينظر: «**منحة الإله**» لابن حفيظ (ص٢٩٩).

هذه الكثير والكثير من العلوم والمعارف الدينية والعربية، وتمكن من تنفيذ رغبة والده في أن يطلب العلم الشرعي، وسار .. وهو لا يدري ماذا يخبئه له القدر!

وفي المكلا .. التقى بالزعيم الإمام العلامة الجليل السيد محمد بن عقيل بن يحيى[١] (ت ١٣٥٠هـ)، الذي كان قد حل المكلا منذ عام ١٣٤٠هـ ومكث إلى جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ حيث أنذرته السلطات الحكومية، وطلبت منه مغادرة البلاد خوفاً على المواطنين من التأثر بالأفكار الإصلاحية التي يحملها في جعبته لإصلاح موطنه، وتطهيره من الاستعمار البريطاني.

التقى الشابُّ بافقيه بالإمام ابنِ عقيل، وفي اعتقادي أنه مكث مرافقاً له مدةً غير قليلة، وأنه تأثر ببعض أفكاره، وبحرية ضميره، وسعة أفقه. أخبرني: أنه سأله في أول لقاء عن دراسته وعلى من درس، فأخبره، فلما علم أنه درس عند عمه السيد محمد بن عبد الله البار استبشر كثيراً، وقال له: إن دراسته عند عمه البار أنفع له من دراساته الأخرى، لاتساع معارف السيد البار وكثرة معلوماته، إضافةً إلى أنه رجل مارس التجارة، وعاش في عدن مدةً طويلة، وله باع في التعامل مع طبقات الناس بمختلف أفكارهم.

* * *

(١) أوسع ترجمة كتبت للسيد ابن عقيل في مقدمة كتابه «العتب الجميل»، الصادر عن مكتبة تريم الحديثة، بقلم بعض أحفاده.



الفصل الثاني

عشرون عاماً ..
في جزر جنوب شرق آسيا
(أرخبيل الملايو)



(١)

من حضرموت إلى سيلان

(١٣٤٦ - ١٣٤٧هـ = ١٩٢٧ - ١٩٢٨م)

غادر أحمد عمر بافقيه حضرموت موطن أجداده عام ١٣٤٦هـ تقريباً، وكانت وجهته إلى جزيرة (سيلان)[١] جنوبي شبه القارة الهندية، إذ كان تلقى توجيهات من والده بأن يسير إليها ويخلفَه في مشيخة الطريقة العلوية القادرية في العاصمة (كولمبو).

في جزيرة سيلان:

ارتحل الشاب العلوي من المكلا متجهاً صوبَ جنوبِ الهند، على متن مركب عتيق يمخر عباب المحيط الهندي، حتى وصل إلى السواحل السيلانية، ونزل في ميناء العاصمة (كولمبو)، حيث وجد المستقبلين بانتظاره، وعلى رأسهم كبيرُ مريدي والده، (الحاج عبدالغفور السيلاني)، وكان أحد أثرياء البلد، كان قد أعدَّ منزلاً لجلوسه فيه، ومحلاً لسكناه، وجاءه الناس للسلام عليه وتهنئته بالوصول وتسلمه المنصب نيابة عن والده.

---

(١) جزيرة سيلان: هي المعروفة في المصادر التاريخية القديمة باسم (سرنديب)، وفي العصر الحديث باسم (سريلانكا)، وهي جزيرة كبيرة تقع جنوب الهند، استعمرتها بريطانيا أكثر من ١٥٠ سنة، واستقلت عام ١٩٤٧م، تبلغ نسبة المسلمين بها اليوم أكثر من ١٠٪ . ينظر: محمود شاكر، «العالم الإسلامي» (ص٢٠٦).

لقد عامله الشيخ (عبد الغفور) وبقية أتباع الطريقة باحترام شديد حسب تراتيب وتقاليد رسمية معلومة، فهو الآن (شيخ الطريقة) في بلادهم! وكان منهم أن عزلوه عن مخالطة الناس أو الخروج إلى الأماكن العامة حفاظا على هيبته ومكانته في قلوب مريديه، ولكن ذلك الأمر لم يَرُقْ لمترجمنا، ولم يطِقْ ذلك الوضعَ، فظل صابراً في عزلته، وهو يدعو الله تعالى أن يفرج عليه ويخرجه من ذلك المكان، ويفكه من ذلك الجو (الطُّرُقي).

كان كل من حوله أعجاماً، وقد تعلم شيئاً اللغة (التاميلية) التي يتخاطبون بها، ليتمكن من التخاطب معهم، وكان الشيخ (المولوي) عبدالغفور بالمقابل يجيد شيئاً من العربية، مما سهل التخاطب بين الطرفين.

أخبرني الأستاذ رحمه الله أنه أثناء جلوسه في (كولمبو)، حدث خلاف ونزاع بين أتباع طريقتهم العلوية، وأتباع الطريقة الشاذلية الفاسية[1]، حول تعيين الإمام الراتب في جامع البلدة، فكل جماعة تريد الإمام منها، فتدخل للصلح بينهم وفض النزاع، فقبله الطرفان ورضوا بما حكم به.

الهروب من سيلان:

ذات يوم نزل في العاصمة كلومبو على متن إحدى السفن جماعةٌ من العرب (حضارمة) قادمين من (سنغافورا) إحدى أشهر جزر جنوب شرق آسيا، قاصدين (سيلان) لأغراض تجارية. ولما كان الشيخ عبدالغفور بالمكانة المرموقة بين تجار العاصمة، فقد نمى إليه خبر وصول أولئك العرب إلى البلاد، فهُرِعَ لاستقبالهم والترحيب بهم لينزلوا

---

(١) **الطريقة الشاذلية الفاسية**: تنسب إلى الشيخ الجليل محمد بن مسعود الفاسي المتوفى بمكة المكرمة سنة ١٢٨٩هـ، من الآخذين عن الشيخ العربي الدرقاوي الشاذلي المغربي، ومن ذريته: شيخنا المعمر محمد ابن إبراهيم الفاسي توفي عن عمر ناهز المائة، بمكة المكرمة سنة ١٤١٦هـ رحمه الله تعالى، **وينظر**: أبوبكر بن علي المشهور، «**لوامع النور**» (١: ٢٧٩ – ٢٨١)، ومحمد أبوبكر باذيب، «**المحاسن المجتمعة**» (ص١٥٧).

في ضيافته، وكانت فرصةً ذهبيةً له ليكسب قلب شيخه (الجديد) ويدخل السرور عليه، باستضافته لهؤلاء العرب، وكان من بين القادمين نفرٌ من السادة آل السقاف.

فقابلهم السيد أحمد بفرح وترحاب لطول بعده عن لقاء العرب بعد مغادرته حضرموت، قبل ما يزيد على العام من ذلك اللقاء المفاجئ، ووجدها الفرصة سانحةً جداً للخروج من (قُمقُم) مشيخة الطريقة، والهرب من جزيرة سيلان، والتجول في أرض الله الواسعة بعيداً عن الجو الطرُقي الذي لم يرق له، فتحدث معهم حول إمكان السفر برفقتهم إلى سنغافورا، فأبدوا ترحيبهم به ولم يمانعوا من اصطحابه .

جهز بافقيه أغراضه وأمتعته خفية عن أعين (المريدين)، وسرَّبَها إلى المركب الجاثم في الميناء الذي سيستقله مغادراً أرض جزيرة سيلان، التي قضى- فيها عاماً ونيفاً، لأن نفسه الطماحة لم تقنع بذلك العيش (الرغيد)، وتلك الرَّتَابةِ المملة، وكان له ما أراد!

* * *

(٢)

في سنغافورا

(١٣٤٧-١٣٥٨ = ١٩٢٧-١٩٣٧م)



وبعد رحلة مضنية عبر مياه المحيط الهادي وصل مترجمنا إلى جزيرة (سنغافورا)[١] الشهيرة، والتي كانت آنذاك مستوطنَ التجارَ الحضارمة الكبار، ومصدر أرزاقهم المتدفقة التي أثروا بها ثراءً كبيراً، لقد كانت هذه الجزيرة بمثابة (الشاة الحلوب) لأهالي حضرموت. وكان على رأس التجار الحضارم بها: آل الجنيد، وآل الكاف من تريم، وآل السقاف من سيون، وآل باسُوَيدان وآل جَبر وآل التُوَي من شبام، وغيرهم من عرب حضرموت قدموا إليها في زمن مبكر، وأقاموا ـ بما آتاهم الله من جلَدٍ على العملِ وحبٍّ له ومثابرةٍ فيه ـ في تلك البلاد نهضةً تجاريةً واسعةً يشهد لها التاريخ، وليس القصد هنا أن نلم بكل أسماء أولئك التجار، ولكن ورد ذكرهم عرضاً، وبمناسبة ما سيذكره المترجم أثناء حديثه عن مآثرهم في (قسم المقالات).

---

(١) **سنغافورا**: جزيرة ضمن الأرخبيل الملايوي، كانت مقراً إقليمياً لشركة الهند الشرقية منذ عام ١٨١٩م، ثم كانت تابعةً لماليزيا إبانَ الاستعمار البريطاني لها منذ عام ١٨٦٧م، وأقيمت عليها **قاعدة بحرية بريطانية** ثم أزيلت إبان الحرب العالمية الثانية، احتلتها اليابان سنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٤٥م، وانفصلت عن ماليزيا سنة ١٩٤٦م، ثم تمتعت **باستقلال ذاتي تحت سيطرة بريطانيا** سنة ١٩٥٧، ونالت استقلالها التام سنة ١٩٦٥م، وأصبحت عضواً في الأمم المتحدة.

العمل لدى السادة آل الكاف:

عندما قدم مترجمنا السيد أحمد بافقيه إلى سنغافورا كان السادة (آل الكاف) الحضارمة ممسكين بزمام التجارة، وكان لهم نفوذ تجاري معروف، سواء في تلك الجهة أو في بلادهم (حضرموت).

وكان أمراً اعتيادياً أن يبحث كلُّ قادم إلى تلك الجزيرة، من أهل حضرموت خاصة، عن عمل أو وظيفة محترمة يجد منها دخلاً مالياً كافياً، وهذا هو ما قام به الشاب أحمد بافقيه، الذي لم يطل انتظاره وبحثه، لما لاقاه من ترحيب من كثير من معارف أبيه هناك، ومن بينهم (السادة آل الكاف)، الذين قربوه وأدنوه وعرضوا عليه وظيفةً وراتباً جيدين، فوافق على ذلك العَرض وقبله، وكان عمله: تبادل المراسلات التجارية مع العملاء.

واستمر بافقيه في عمل آل الكاف برهة من الزمن، وكان في فترة فراغه يتابع أخبار الأدب والصحافة العربية عبر الجرائد التي كانت تأتي من مصر وبلاد العرب، ومعلوم دور الصحافة المصرية في تلك الآونة، حيث زخرت بكبار الأدباء والكتاب والشعراء، وإن تسأل .. تجبك «الرسالة» و«مجلة الإسلام»، و«مجلة الأزهر»، و«الزهراء»، و«المقطم»، و«المقتطف»، و«الفتح»، وغيرها من الصحف السيارة الشهيرة آنذاك، التي يتابعها آلاف القراء في العالمين العربي والإسلامي بشغف واهتمام بالغين.

* * *

(٣)

القَفْزُ إلى عَالم الصَّحافةِ

قلنا إن السيد أحمد بافقيه كان ميالاً إلى الأدب، ويتابع الصحف المصرية، ويطلع من خلالها على ما يجري في العالم العربي من نهضة ثقافية وعلمية، ولاسيما بعد انتشار الصحف السيارة، وقد شدّ هذا الانتشار انتباهه، واستولى على تفكيره وأحاسيسه.

لقد حفزته هذه القراءة وهذا الاطلاع على أن يحتذي حذو الكتاب الكبار، وأن ينهج نهجهم في الكتابة المفيدة الهادفة، وتملكته نزعة وطنية وقومية حادة، استولت على شعوره، فكانت كتاباته الأولى التي وقعت بين أيدينا تتحدث عن حرقته وتأسفه على واقع وطنه (حضرموت)، الذي يرزح في قيود الجهل والتخلف، بينما أبناؤه المهاجرون قد اثروا في مهاجرهم، وتعلموا وارتقوا إلى مناصب رفيعة، ولكنهم بعيدون ومكبلو الأيدي، لا يستطيعون مد أيديهم للرقي والنهوض بسبب العوائق والعراقيل الكثيرة، والكثيرة جداً.

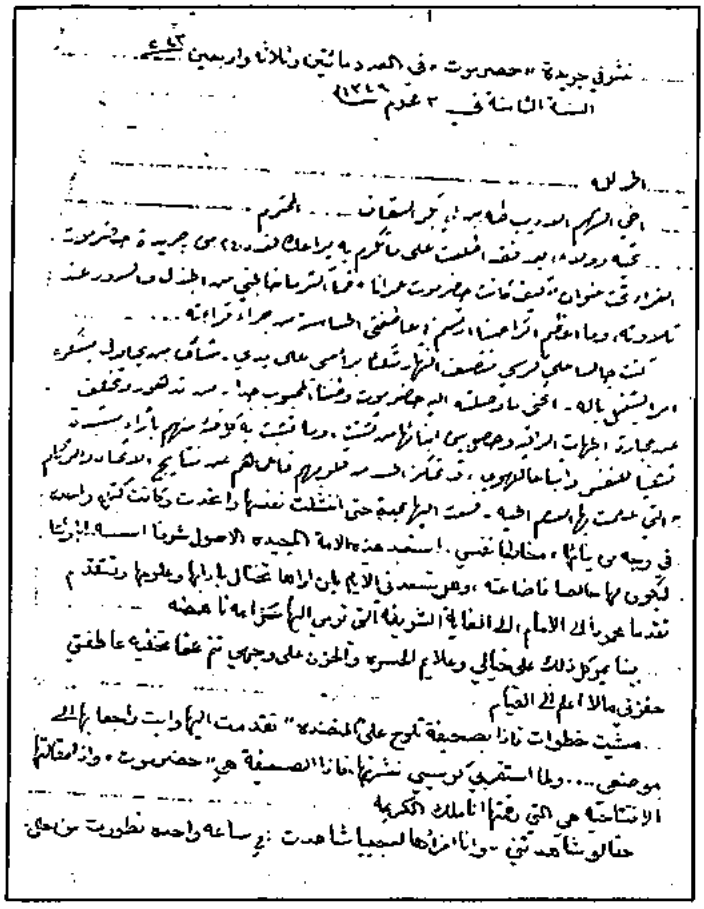
طلائع الكتابة الصُّحُفية:

نشرَتْ له صحيفةُ (حضرموت) الأسبوعية التي كانت تصدر في مدينة (سورابايا)، بجاوا الغربية، في العدد (٢٤٣)، السنة الثامنة، بتاريخ ٣ / محرم / ١٣٤٩هـ، رسالةً وجَّهها لحضرة السيد الأديب طه بن أبي بكر السقاف. هذا نصها: «الحمدلله؛

أخي الشهم الأديب / طه بن أبي بكر السقاف، المحترم

تحيةً وولاءً . وبعدُ: فقد اطلعتُ على ما تكرَّمَ به يراعُك لعدد (٢٤٠) من «صحيفة حضرموت» الغرّاء، تحت عنوان: «كيفَ كانتْ حضرموتُ عُمرَاناً»، فما أكثر ما خالَجَني من الجذلِ والسّرورِ عند تلاوته، وما أعظم ما ارتسَم في عاطِفَتي الحسّاسة من جرَّاءِ قراءته.

كنت جالساً على كُرسيِّي منتصفَ النهار، متّكِئاً برأسي على يدي، شأنَ من يحاولُ بفكرِه أمراً يشغَلُ باله، أعني ما وصلتْ إليه (حَضْرَمَوتُ) ـ وطنُنا المحبوبُ جداً ـ من تدهور وتخلفٍ عن مُجاراةِ الجهاتِ الراقية، وحصَلَ بين أبنائها من تشتُّت، وما تشبّث به كلُّ فئة منهم بآراءَ مستبَدَّة، تشفياً للنفس واتّباعاً للهَوى، وقد تمكّن الحسدُ من قلوبهم، فأعماهم عن نتائج الاتحادِ والوئام التي عمِلت بها الأممُ الحية، فسعَتْ إليها مجدَّةً حتى انتَشَلت نفسَها، واتحدَت وكانت كتلةً واحدةً في وجه من يناوئُها.



رسالة بافقيه للسقاف (نموذج لخطه)

مخاطباً نفسي: أتستعيدُ هذه الأمةُ المجيدةُ الأصولِ شرفاً أسّسه آباؤنا ليكونَ لها خالصاً فأضاعته، وهل تسعِدُني الأيامُ بأن أراها تختالُ بآدابها وعلومها، وتتقدم تقدماً محموداً إلى الأمام وإلى الغاية الشريفةِ التي ترمي إليها كلُّ أمة ناهضة!

بينما يمُرّ كل ذلك على خيالي، وعلائِمُ الحسرةِ والحـزنِ عـلى وجهـي تَـنِمُّ عـما تخفيـه عاطفتي، حفّزَني ما لا أعلم إلى القيام، مشيتُ خطُواتٍ فإذا بصحيفةٍ تلـوحُ عـلى المنضَـدَة، تقدمتُ إليها وأُبْتُ راجعاً بها إلى موضعي، ولما استقرَّ بي كرسيِّي، نشرتُها، فإذا الصحيفةُ هي «**حضرَموتُ**»، وإذا مقالتُها الافتتاحيةُ هي التي رقمتها أنامِلُك الكريمة.

حقاً! لو شاهدتَني وأنا أقرأها لعجيباً شاهدتَ، في ساعة واحدة تطورتُ من حالٍ إلى حال، بعد أن كان مكسُوفاً علي، يبدو على وَجهي قَترُ الحـزنِ والحسرَـةِ، صرتُ كلـما قـرأتُ جملةً سُرِّيَ عني، وبدتْ ملامحُ البِشْر عليَّ، وأحسست أن سحابةً كانت متجهِّمةً على قلبـي انقشَعتْ بعد أن قرأتُها.

أخِي! إن الأممَ الحيةَ تعرِفُ قدرَ نُبغَائِها، فتمجِّدُهم وتُعلي شـأنَهم، وتشـجعُهم عـلى الإقدامِ والمضيِّ بالمساعدة المادية والأدبية، ولما كنتُ صفرَ اليدَين من هذا وذاك فإني أقدِّم لك تشكّراتي الجمّة، وما هي إلا صورةٌ لما يضمِره كلُّ حضرميٍّ محبٍّ لوطنـه نحـوَكَ عـلى تلـك المقالة البديعة، لأنها ستكونُ إن شاء الله نواةً لنهضةٍ أدبية مباركة، ومثالاً يقتدي بـه الشـبيبةُ الحضرمية، فدُمْ وواصِلْ بأبحاثك الطريفَةِ المفيدة، لتبرْهِنَ للأممِ أنّ (حضرَمُوتَ) قد ولدَتْ شباباً ناهضِين، بينَ هي قد هَرِمتْ وأشرفَتْ على القبور.

اكتبْ عن وطنك الـذي نيطَـتْ عليـك تمائِمـكَ بـه، وأولُ مـا رأتْ عينـاك زرقـاءَه الصافيةَ، لتُظهِرَ من تاريخه المجيدِ ما أخنى عليه الدهرُ، وليكتبَ اسمُكَ مقرونـاً بـالإجلالِ والإكبار، إنك من خيرةِ الشبابِ الناهضين الحضرميين، ولتفخَرْ! ـ ولا أبالغُ ـ أن يفخَر هو بِك، إذ وجدَ من أبنائه مَن يبني ما تهدّم من تاريخه.

وفي الختام؛ فابقَ لوطَنِك، وليبقَ وطنُكَ لك، تمجُدُ منه، ويمجُدُ منكَ، والسلام.

نزيل سنغافورا ؛ أخوك: «**أحمد بن عمر بافقيه**».

من هذه الرسالة نتلمّسُ تلهفَ هذا الكاتبَ الناشئ ـ وهو بعدُ في التاسعة عشرة ـ إلى النهوض العلمي والفكري والأدبي، وشغفه باحتراف الأسلوب الأدبي النقدي، الذي لم يكن أحد من بين أترابه يجيده أو يحسِنه إلا في القلة النادرة. إضافةً إلى الروح الوطنية التي تشع من خلال السطور!

مقال آخر:

وفي نفس السنة (سنة ١٣٤٩هـ)، وبعد مرور سنتين على صدور «مجلة الرابطة» لسان حال (الرابطة العلوية) بالعاصمة الإندونيسية جاكرتا (بتاوي سابقاً)، والتي كانت تزخر بالعديد من المقالات المفيدة، نجده يكتبُ مقالاً نقدياً ساخناً، نشر في المجلد الثالث، الصادر في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٩هـ، بعنوان:

«دَاءُ الانحِطاطِ؛ دواؤه: الدَّعوةُ اللاَّتَـمَلُّقِية»(*)

«أريدُ أن أكتب لا ادعاءً بأني كاتبٌ مجيد، أو صحافي قدير. فإني أعلم خلوَّ وِفَاضي، وفَراغَ جُعبتي، وبعبارةٍ أوضَحُ: بأن دوني ودونَ اللَّحاق بالكتاب مَهامهُ فِيحٌ.

بيدَ أن فنائي في حبِّ وطني وشعبي، الشَّعبِ الحضر مي المسكين، الشعبِ المصابِ بداء الانحلال، الشعبِ الذي لم يتسنَّ له أن يُبعثَ من رقاده، الشعبِ الذي لا يزال يتخبط في ظلام الجهل الدامس، الشعبِ الذي يكاد يذهبُ ضحية ميكروباتِ أمراضِ الأخلاق الفتاكة، بينما الشعوب تندفِع في سبيلِ الرُّقي، وتتناولُ مواطنَ ضَعفِها ومرضِها بالبلسَم الناجع.

ذلك يدفعني لأن ألتحقَ بصفوف الكُتَّاب ـ رغم جُبني، ورغم أني أعزَلُ ـ ولكني حينما أعير أناملي حركةَ الكتابة، لا أدري أيةَ ناحيةٍ أطرُق فكلُّ نواحينا ضعيفةٌ، وكلها تحتاج

(*) «مجلة الرابطة»، الجزء ٤، المجلد ٣، ربيع الثاني، ١٣٤٩هـ.

جداً للالتفافات والملافاة. الجهلُ ضاربٌ أطنابه، والأخلاقُ منحطةٌ بهيمية، نذيرة بالانعدام والتلاشي:

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ بقوا وإن ذهبتْ أخلاقُهم ذهبوا[١]

ومهما استرسلتُ في تعديد مَواطنِ انحطاطِنا فلن يكون منشَؤُه ـ فيما أخمِّن ـ إلا تحزّبنا أحزاباً عدائيةً، وتفرقنا فئاماً، هذا ما لا يسع نكرانَه مطلعٌ على أحوالنا.

إنني عند ما أشاء ـ بدافع الغَيرةِ والمحبة ـ إسداءَ النصحِ بالاتحاد، أراني في حيرةٍ ومأزق حرِجٍ، لأننا ندعي التمسكَ بأهدابِ الإسلام الدين الحنيف! وأيُّ فرقٍ بين الإسلام والإتحاد ؟ الإسلام هو الإتحاد، الإسلام بناءٌ لِبناتُه وَحدَةُ معتنقيه، فإذا ذهبتُ أحثُّ على الإتحاد فإنما أحض على الإسلام، كأنّا لسنا مسلمين أو عريقين في الإسلام.

لا أظنّ خافياً على أحد كيف وفّق هذا الدينُ بين الأوسِ والخزرج، الفئتين اللتين كانتا مثالَ العداوةِ ومنابذةِ القتال، واللتين مرّ عليهما أحقابٌ من الدهر وهما متطاحنتان، حتى أتى الرسول ﷺ بهذا الدين المماشي لكل مدينةٍ وعَصر، فأصلح بينهم ووحد قلوبهم وجمعهم تحت راية الهدى،قال تعالى مخاطباً إياه امتنانا بتلك النعمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

الشَّجاعةُ الأدبية:

وإذا كنتُ أبنتُ ـ فيما يظهر لي ـ جُرثومةَ داءِ انحطاطِنا، فلست أحسِبكَ غَفْلاً إلى حَدِّ أنك لا تتساءَل عن علاجٍ لها،وسواءً تساءلتُ لما تتساءَلُ، فلست أكتمك ذلك أداءً لواجب الوطنية. إننا لنكون أمةً راقيةً، ذاتِ أخلاقٍ فاضلة، لا يحمل الفردُ منا بين جوانحَه حقداً ولا كراهيةً لأخيه، يجب أن تسودَ في شخصياتنا البارزةِ وذوي الآراء: (الشَّجاعةُ الأدبية)،

---

(١) البيت لشوقي. وصواب شطره الثاني: (وإن هم ذهبت أخلاقهم .. الخ).

وهي المعبَّر عنها في الكتابِ الأقدس بـ(الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر)، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وفي آيـة أخرى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾[التوبة: ٧١].

يلزمهم أن يحسبوا أنفسَهم مهما لاقوا من نصَبٍ، ومهما قيل فيهم من قذَعٍ ولَـوم، في سبيلِ إنهاض شعبهم، وتهذيبِ أخلاقه، فإن ما وصَلنا إليه من الضَّـعف البـارزِ في الناحيـة النفسية والأخلاقية، ليس نتيجةَ الجهلِ المنتشرِ وعدمِ تعميم التّعليم بين أوساطِنا فقَـط، بـل أيضاً لفُقدان الإرادةِ القويـة غـيرِ المتملِّقـة في نفـوسِ الـزعماء والمتعلمـين، فـتَراهُم كبـيرِي الأحلام، كثيري الكلامِ، قليلي الأعمال. يتحتّم عليهم أن يتذكروا ما لاقاه القائمون بإرشـاد أممهم في السابقِ من اضطهادٍ وتسفيه، ولم يثْنهم ذلك عـن المضيِّ- إلى مـا أرادوا، فخلَّـد لهـم التاريخُ شرفاً لا يَبلى.

فذاك (سُقْراطُ) قَيدُوم الفلاسِفة، وباذرُ نَواةِ الفلسفة، كان إذا مرَّ في شـوارع (أثِينَـه) ليجتمع بتلامذَته ويلقي عليهم دروسَه في جبالها، يرميه أهلها بالحجارة، داعين إياه مجنوناً.

ولما قال بخلود الروح؛ اتهموه بإفساد عقائد النشْءِ، وتسفيهِ آلهتهم، فجرّعوه السـم، وكانت آخرُ كلماته قوله: «الآن نفترق، فأنا إلى الموتِ وأنتم إلى الحياة، ولكن لا يغيبنَّ عنكم أنه لا يعلم أينا أحسن مآلاً سوى الله».

وفي صدرِ الإسلام كان علماؤه ومثقفوه لا يهابون مَلِكاً ولا عظيماً إزاءَ الحق، وكـانوا يُسمعونَهم أفظع الكلمات وأخشنَها، إذ كان الإيمانُ بالله ملءَ قلوبِهم. وإني مـوردٌ فـيما يـلي بعضَ وقائعَ تاريخيةٍ، تكون مثالاً لما كانوا عليه من الشدةِ للحق: حصلتْ مشادة بين عـثمانَ ﷺ وخازنِ بيت المال، في أمر عطائِه، حتى قـال لـه عـثمان ﷺ: «إنـما أنـت خـازن لنـا، إذا أعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك فاسكُت»، فقال: «كذبتَ! والله ما أنا لك بخازنٍ ولا لأهل

بيتك، إنما أنا خازنُ المسلمين»، وجاء بالمفتاحِ يومَ الجمعة وعثمانُ يخطب، فقال: «أيها الناسُ! زعم عثمان إني خازن له ولأهل بيته، وإنما كنت خازناً للمسلمين وهذه مفاتيحُ بيتِ مالكم»، ورمَى بها، لأنه لم يرُقْ في نظره استغلالُ عثمانَ للمال ليؤثِر به القربى، كما يخبرُنا اليعقوبي، وليس علينا عهدةٌ فإنا ناقلون(١).

ويُذكَرُ أيضاً أن أبا ذرٍّ ﷺ صاحبَ رسولِ الله ﷺ لما رأى شحَّ أهل الشام، كان يقوم وينادي: «يا معشر الأغنياء واسُوا الفقراء، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار، تكوَى بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورهم»، فلما رأى معاوية منه ذلك ـ وقد كان والياً على الشام ـ كتب إلى عثمان ﷺ: «أنّ أبا ذر قد ضيّق عليَّ»، أجابه عثمان: أن أرسله إليَّ.

فلما قدم المدينة ورأى المجالسَ في أصْلِ جبَلِ سَلْعٍ قال: «بشّر أهل المدينة بغارة شعواء، وحرْبٍ مُذكاةٍ»، ودخل على عثمان، فكانت بينه و بينه محاجّة، انتهتْ بإخراجِ أبي ذر إلى الربَذَة وما زال بها حتى توفي. وما قلبُ الإسلام بأقلَّ في مضاهاةٍ من صدره، فإنه يخبرنا الأستاذُ بَيهم في كتابه «التاريخ العثماني»: أن مراد الأول ـ من السلاطين العثمانيين ـ أدّى شهادةً عند أحد علماء زمانه فرفضَها بحجَّةِ إنه لا يصلّي جماعة. ووقائعُ كثيرةٌ يذكرها التاريخ لا تحتمِل هذه العجالة سردَها، نكتفي منها بما تقدم.

---

(١) رحم الله الأستاذ، كان يشعر أن في هذا القول شيئاً من الحط في أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فاعتذر بما اعتذر به. وكانت المراجع قليلة عنده، ولم يتوفر له سوى تاريخ اليعقوبي. وهذا المؤرخ اليعقوبي الذي نقل عنه الأستاذ هذه القصة، معروف بتشيعه وحطه في الأمويين، وكان مولى لبني هاشم كما ذكر ياقوت في «**معجم الأدباء**» (٢: ٥٥٧)، يقول الدكتور شاكر مصطفى: «وبالرغم من أن اليعقوبي كان متزناً في أخباره، دقيقاً في تحري الحقائق والمعلومات التي يورد، إلا أنه لم يستطع أم يمنع ميوله من الظهور في تضاعيف الأسطر، فهو واضح الميل العلوي حين يتحدث عن الراشدين والأمويين»، وأكتفي بهذا، وينظر: شاكر مصطفى، «**التاريخ العربي والمؤرخون**»، (٢: ٢٥٢).

هكذا كان آباؤُنا الأمجاد، لم يكن التملّق والمداهنةُ من شأنهم، وبمثلِ هذه الجرأة والشجاعة كانوا يلاقون العظماءَ والملوك، وربما تعرضُوا للخطر، ولئن بقيتْ فينا جذوةٌ من حميتهم وهمّتهم فلنتأسَّ بهم، ولنعُدْ لتشييد ما انهدمَ ـ على تعاقب الأيام ـ من صَرْحِ مجدهم وأخلاقهم، ولسْنا في ذلك بمتطفّلين!».

بافقيه مراسلاً لصحيفة البلاغ المصرية:

كان «حزب الوَفْد» المصري(*) الشهير يصدر صحيفة رسمية تنطق بلسانه، وهي «صحيفة البلاغ»، وكانت هذه الصحيفةُ أعلنت للقراء عن احتياجها لمراسلين من أنحاء العالم الإسلامي. فصادفَ ذلك العرضُ هوًى في نفسه، فأرسلَ إلى هذه الصحيفة يطلبُ أن تضمّه إلى قائمة مراسليها، وتم له ذلك الأمر، وأُدرِجَ اسمُه في قائمة المراسلين، وكان مراسلاً نشطاً في جمع الأخبار والمستجدات وإرسالها للصحيفة.

مقال تاريخي:

أخبرني رحمه الله أنّ كتاباً صدر للأديب المصري المعروف محمد لطفي جمعة(١)، بعنوان «حياة الشرق»، شهر شهرةً كبيرة بعد صدوره. تحدث فيه مؤلفه الأستاذ عن شعوب المشرق العربي في الماضي والحاضر، وبالطبع تحدث عن الشعب الإندونيسي والعرب القاطنين في تلك البلاد، وتطرق إلى ذكر عرب حضرموت المهاجرين، وتحدث عن حالتهم السائدة آنذاك، وانتقد وضعهم وما كانوا عليه من اختلاف وفرقة.

(*) حزب الوفد: ظهر إلى الوجود عقب ثورة ١٩١٩م بزعامة سعد زغلول باشا ضد الاحتلال الإنجليزي وأعوانه في مصر.

(١) محام مصري، ولد سنة ١٣٠٣هـ، وتوفي سنة ١٣٧٢هـ (١٨٨٦-١٩٥٣م)، كان من أعضاء المجمع العربي العلمي، يجيد الفرنسية والإنجليزية، له عدة مصنفات. ينظر: خير الدين الزركلي، «الأعلام» (٧: ١٥).

وبعد صدور هذا الكتاب تناوله القراء والنقاد بالنقد والتحليل، فكتب مقالاً لـ«صحيفة البلاغ»، وضَّحَ فيها لجمهور القراء بعض الحقائق والمعلومات التي خفيت عن الكاتب(١)، فكان له صدًى كبير في الأوساط الحضرمية بشكل خاص، وقد منعت السلطات الإندونيسية هذا الكتاب بعد مدة من دخوله البلاد، فكتب الأستاذ بافقيه مقالاً ساخناً حول هذا الأمر.

لقد كان يتابع التطورات المحلية والدولية، لسعة أفقه واطلاعه على الصحافة العربية، مما أكسبَ بافقيه شهرةً بين عرب المهجر، وكان من صدَى ذلك أن سعى إليه السيد حسين بن علي السقاف، أحد أبرز أعلام الصحافة في سنغافورا، وبتعرفه عليه تشكل في حياته منحنى هام ساقه إلى لعب أدوار هامة في تاريخ تلك الجهات، ثم منها إلى وطنه، فتكونت بعد ذلك شخصيته وصقلت مواهبه، وتبلورت في إطارها المعلوم .



السيد حسين بن علي السقاف(٢):

هو السيد الأديب حسين بن علي بن محمد السقاف، من أسرة حضرمية عريقة، لها مكانة اجتماعية سامية بين عرب سنغافورا لثرائها وقدم وجودها في ذلك المحيط. وما صيت ابن عمه السيد **إبراهيم بن عمر السقاف** إلا مثال ونموذج حي لما تتمتع به هذه الأسرة من مكانة في ذلك المجتمع.

---

(١) في قسم المقالات كلمة للمترجم حول أسباب منع هذا الكتاب في إندونيسيا آنذاك.

(٢) ولد بمكة في أكتوبر سنة ١٩٠٣م (= رجب ١٣٢٠هـ)، عاد إلى سنغافورا موطن اسرته وهو في السابعة من عمره، وتوطنها منذ ذلك الحين، تلقى تعليمه في مدرسة السقاف العربية، وفي معهد رافليس، وتنقل في رئاسة عدد من النوادي والجمعيات الخيرية، وكان له دور كبير في الحركة الثقافية من خلال إصدار الصحف العربية والملايوية، وتوفي بعد عام ١٩٦٢م. عن كتاب آل السقاف في سنغافورا، مترجم عن الإنجليزية.

يعد حسين السقاف المؤسس الأول للصحافة اليومية في سنغافورا، لقد ساعدته مكانته وثروة أسرته وحبه للأدب من إنشاء مطبعة تعنى بالصحافة والآداب باللغة الملايوية، وكان رفيقه في هذا الدرب (داتؤ عون بن جعفر)، أول رئيس لحزب (أمنو) الشهير.

وكان اسم مطبعته (المطبعة الإنجلوآسيوية) أو (أنجلو آسيانيك پرس)، وعنوانها هو (رقم ٧٣٠-٧٣٢ طريق الجسر الشمالي = نورث بريج رود)، وكان يصدر آنذاك عدة صحف محلية، واحدة يومية، وهي صحيفة: «وَارْتَا مَلايا»، والأخريات أسبوعية، وهي: «وَارْتَا أَحَدْ» وهي صحيفة مصورة، و«لِمْبَاقا ملايو» (١)، و«وارتا جانكا».

وكان لهذه الصحف رواجٌ في الأوساط الملايوية، وتغطي مساحة غير قليلة من جزر الأرخبيل، إلى جانب صحف أخرى، وقد نشأت بين السقاف وبافقيه علاقة عن طريق اللقاء المباشر في النوادي الأدبية والمجالس الدينية.

بافقيه مديراً لتحرير «صحيفة العرب»:

ذات يوم، وجهت دعوة للسيد أحمد بافقيه من مكتب السيد حسين السقاف بالحضور للمناقشة في أمر خاص! فلبّى الدعوة ومضى للمقابلة في الموعد المحدد، فتلقاه السقاف بالحفاوة والترحاب. وكان حديثه إليه حديث المعجب بنشاطه الأدبي وهمته السامية التي ظهر أثرها على صفحات الصحف المصرية. وبعد ذلك الحديث الودي، بدأ معه في حوار جادٍّ، قائلاً: «لقد أنشأتُ هذه المطبعة، وهي أول مطبعة أهلية تقام في هذه البلاد، وقمت بنشر الصحف والأخبار بلغة الملايو، وليس ذلك أني لا أرغب في إصدار صحفٍ عربية، ولكني لم أجد الشخص المناسب الذي يعينني على هذا العمل، فما رأيك أن تشاركني العمل في إصدار صحيفة عربية؟» .

---

(١) «وَارتا» تعني: الأخبار، و«لِمباقا» تعني: الفكاهة.

لقد كان الخبر مفاجئاً، ولكنه خبر سعيدٌ وسارٌّ جداً، سعيدٌ بالنسبة لهذا الأديب الشابِّ الذي يحبُّ النهوضَ والرقي، ويريدُ أن ينفضَ عن مجتمعه غبارَ الجمود الفكري. فأدار الأمرَ في فكره وقلَّبه من كل الجهات، فوجدها فرصةً سانحةً جاءت ساعيةً إليه صفواً عفواً، ولم يكن هناك أي مبرر للتردد، لقد كان دم الشباب الفوار، والطموح مع النبوغ المبكر يدفعانه إلى خوض تجارب الحياة ودروسِها دفعاً .. وهاهي ذي فرصة تسنح له ليخوض تجربة إدارة العمل الصحفي لأول مرة في حياته.

قبل أحمد بافقيه عرض السيد حسين السقاف بكل سرور، ومضى وهو مفعم القلب بالحيوية جراء سماعه لذلك الخبر السار الذي ملأ جوانحه، مضى وهو يرجو من الله تعالى كل خير وكل سعادة، لقد بدأت منذ هذه اللحظة لهذا الشاب الطموح حياة جديدة، وفتحت صفحة من تاريخ الصحافة والأدب تشهد لصاحبها بالتفوق والتقدم في مجالها، وولوجه إلى عالمها من أوسع الأبواب.

إصدار «صحيفة العرب»:

بدأ الرجلان عملهما على اسم الله تعالى، وبعد مداولات ومشاورات بينهما تقرر أن تحمل الصحيفة التي ينوون إخراجها اسم «**صحيفة العرب**»، وبوشر العمل في أروقة المطبعة، وجُمعَت المقالات والكلمات المناسبة لتشكل مادة أول عدد منها، والذي كان تاريخ صدوره: يوم الخميس ١٨ جمادى الأولى من عام ١٣٥٠ للهجرة، بقيمة (١٠ سنت)، في ثمان صفحات. ومضت الصحيفة في الصدور سنةً ونيفاً، يكتب في ترويستها على الصفحة الأولى:

(**المحرر**: السيد أحمد عمر بافقيه. **المدير**: السيد حسين بن علي السقاف). وهذا نص افتتاحية العدد الأول من هذه الصحيفة.

افتتاحية العدد الأول(*)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن والاه.

نبرز هذه الـ«ـصحيفة العربـ»ـية الأسبوعية والآمال معقودة في الله أن يطيل حياتها، فلا تكون كتلك الصحف التي اعتدنا ظهورها، فخلناها لقصر أمد حياتها ظهرت في عالم الأحلام، ومن يعقد الآمال على رب الأرباب فهو كافيه.

ورجاؤنا في القراءِ الكرام أن تصادفَ لديهم قبولاً حسناً، وتشجيعاً يخوّل لها أن تتبوأ المكانةَ اللائقةَ بها في عالم الصحافة والآداب، ولا غَرْوَ فهي ستكونُ لسانَهم الناطق، ومرآتهم التي تنعكِسُ عليها صورُهم، فيرون حسناتِهم وسيئاتِهم، فيضيفون إلى الحسنات مثلها ويتلافون مواطن العيب، إن هذه هي وظيفةُ الصحُفِ، فلا يسددَنَّ أحدٌ إلينا سهامَ النقدِ، ويكيل لنا جامَ الغضَبِ إذا ما رأى في صُورته المرتَسَمةِ كلَفاً أو عيباً، فإنه أجدَرُ به أن يتلافاه بـ«بَودَرةِ» الأخلاقِ والآدابِ، لا أن يقبلَ إلى المرآةِ فيهشّمَها.

ولنتخيلْ غادةً تقدمَتْ إلى المرآة فرأت بوجهها .... ، فصبّت جامَ غضبِها على المرآة، فنعدّها حمقاءَ إلى أبعد حد! وإنّ موقفَ القراءِ إزاءَ الصحُفِ كموقِفِ الغادةِ أمامَ المرآة .

إن الصحيفة بِهذَا المهجَرِ قد كانت .... العربِ وطلبتَهم من أمدٍ بعيدٍ، والآنَ تتحقّقُ آمالُهم، فترَى مبلغَ غَيرتِهم، ....(١) ودعْواهم.

(*) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد الأول، الخميس ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ، موافق: ١ أكتوبر ١٩٣١م.

(١) المواضع الثلاثة ذات نقاط الحذف: كلمات غير واضحة .



AL-"ARAB" Journal.
(ISSUED WEEKLY)

NORTH BRIDGE R.
SINGAPORE.

العرب

لنا ذات العرب ذل الاسلام ... صحيفة عربية اسبوعية

السنة الاولى عدد ١ ... سنغافوره يوم الخميس ١٨ جمادى الاولى ١٣٣٠ ... ١٠ سنت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن والاه نبرز هذه الصحيفة العربية الاسبوعية والامل يجول في نفوسنا في ان يجاري حياتها تكون كتلك الصحف التي اعتدنا ظهورها فعثنا ها لقصر أمد حياتها ظهرت في عالم الاحلام . ومن يعقد الامال على رب الارباب فهو كافيه . ورجاؤنا في القراء الكرام أن تضاف لديهم قبولا حسنا وتشجيعا يخول لها أن تتبوأ المكانة اللائقة بها في عالم الصحافة والآداب ، ولا غرو فهي ستكون لسانهم الناطق ومرآتهم التي تنعكس عليها صورهم فيرون حسناتهم وسيئاتهم فيضيفون الى الحسنات مثلها ويتلافون مواطن العيب

ان هذه هي وظيفة الصحف فلا يسعنا دون أحد إليها سهام النقد ويكيل لنا جام الغضب اذا ما رأى في صورتها التي نبديها كفاء أو عيبا فانه أجدر به ان يتلافاه بدلا من ان يوجه الينا سهام النقد فالاخلاق والآداب الآن في حاجة الى المرآة فيها تتجلى وللتحليل عادة تعمد الى المرآة فرأت بوجهها قبيحا جاء غضبها على المرآة نعتها جهلا ان أبدت حقا ، وان مؤثرا ازاء الصحف كموقف تلك اللئام المرآة

ان جريدة العرب وظيفتها من أمد بعيد والآن آمالهم فنرى مبلغ غيرتهم واني دعواهم ولانجا جهنا أحدان فيطة الجريدة اعوجاجا جا فانها تمنعهم لأي انتقاد نزيه وارشاد خال البذاءة وسبابا في الاداب

فنحن لم على ابراز هذه الصحيفة غيرة على الله لاغير . وليس لنا من ورائها مطمع دني . فاذا كانت قصدها فانا من المتبرئين . ومن يطلع من وراء الصحف وبغية الأدب بيانا كاسدة ومجتمعنا احق من الزمن بقول القائل :

اصبح حربا لكل أديب

كذا سادتنا الأدب

أما خطتها فستكون الحايدة عن المازعات الطائفية والبعد عما يمس أعراض الاشخاص . وسيرى القراء في رسول سلام ووئام . ومع ذلك فسنفتح صفحاتنا للآراء الحرة تنشر فيها ما يصلنا من المقالات التي لانوافق على آراء كتابها بشرط ان لاتشتمل على ما ينافي الاداب أو يمس اشخاصيات

اذا اساؤوا في الكتابة فسيكون أغرب لي اذا خاطب ليشترك في قراءتها الطائفة والعامة . فكل قارئ آنس من نفسه ابراز فكرة فلايهتب بان انتقاده قد لا تكل على الأفكار اكثر من اللغة . ومتى ذلك انا نقدم الشباب على القشور . فيا أرباب الأقلام وذوي الافكار الحرة من الشباب المتعلم اعضوا عنكم غبار الجمود وارموا رداء الجبن وتدرعوا بالشجاعة مع الصبر وهذه صحيفتكم فاملؤا فراغها

وانا أمنيتنا هو العرب ، لتكون خالصة لكل الخلق بالعربية لغة القرآن والدين . فيا ايها العربي اذا كنت هذه صحيفتك تقدمها اليك فاجعلها انيستك في الوحشة حتى اذا ما اويت الى سريرك فتطالع فيها ما يمتعك ويلذك واجعلها سميرتك اذا ما افتقدت اخوانك وخلانك وتذكر دائما قول أمير الشعراء

ما نال نيلا كالكتب النجبا
لم أجدلي وافيا الا الكتبا

صحبة لم اشك منها ريبة
ووداد لم يكدرني عتبا

وفكاري القارئ الكريم في صحيفتنا هذه ما يزيد لمه لأنه لم يألف التقدفلا باخذه الغضب ولا يشتاك اذا يتجرع الى غصه ويرين ذلك جميعا انه فنحن لانقصد اغضاب احد ولامس عاطفته بما يجرحها بل ان مبتغانا ان تروج صحيفتنا وتكون خفيفة الظل على قلوب قرائها . غير ان من واجبنا الديني ان ننكر المنكر وننهى عنه ونأمر بالمعروف ونحض عليه

ونحن نعد القراء ونتعهد على وعدنا الله انا نسلك ما استطعنا سبيل الحكمة والادب الجميل وان تتعدى اللين الا اذا اضطرتنا الظروف او الواجب الذي نحاسب على المداهنة فيه امام عالم الغيبات فاتقوا الله ايها القراء من ربنا بالغربة والابتعاد عنا

حكم وافكار

الحلم عند مشاهير الفقد حسام قاطع فاسترخال يخالفك يحلمك وقاتل هواك بعقلك

تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه

هذه نسخة من جريدة العرب الأولى التي صدرت في سنغافورة عام ١٣٣٠ هـ، وهي أول صحيفة عربية أسبوعية في سنغافورة. تأسست على يد الشيخ محمد أبو بكر باذيب، وكانت تهدف إلى نشر الأخبار المهمة وبث الأفكار الطيبة والذود عن الدين الإسلامي. ترجمتها لمقالات الدينية من الصحف العربية المشهورة. تلاشى الاشتراك فيها، واعتقد أن ما بقاء من قبة الاشتراك متوقف عنها بما فيها من المعلومات المفيدة.

مكتبة
محمد أبو بكر باذيب
الخانية ١٨ رجب ١٤٣٠ هـ

صورة للصفحة الأولى من العدد الأول لـ«صحيفة العرب»

ولا يحاججنا بأنّ في خطةِ الصحيفة اعوجاجاً، فإنها تفتَح صدرَها لأي انتقادٍ نَزيه، وإرشادٍ خالٍ من البذَاءةِ، وما ينافي الآدابَ، فنحن نقومُ على إبرازِ هذه الصحيفةِ غَيرةً على العربيةِ لا غير، وليسَ لنا من ورائِها مطمعٌ مادّي، فإذا كفَلتْ نفسَها فإنا من المغتبطين، ومن يطمعُ من وراءِ الصحفِ وبضاعةُ الأدبِ بيننا كاسدة! ومجتمعنا أحقُّ من الزمَن بقول القائل:

أصبحَ حرباً لكلِّ ذي أدَبِ　　كأنّمَا ساءَ أمَّهُ الأدَبُ

أما خِطّتها فستكونُ المحايدةُ عن المنازعاتِ الطائفية، والبعدُ عما يمسُّ أعراضَ الأشخاصِ، وسيرى القُراء فيها رسولَ سلامٍ ووئامٍ، ومع ذلك فسنفرّغُ صفحةً للآراءِ الحرّة النزيهةِ، ننشُرُ فيها ما يصِلُنا من المقالاتِ التي لا نوافقُ على آراءِ كُتّابها بشرطِ أن لا تشتملَ على ما ينافي الآدابَ أو يمسّ الشخصياتِ.

أما أسلوبُها في الكتابةِ فسيكونُ أقربَ إلى لغةِ التخاطُبِ، ليشتركَ في قراءتها الخاصةُ والعامةُ، فكلُّ قارىءٍ آنسَ من نفسه إبرازَ فكْرَةٍ لا يهتمّ بأن لغتَه ضعيفةٌ فإنّا نكِلُ على الأفكارِ أكثرَ من اللغةِ. ومعنى ذلك: أنا نقدّم اللبابَ على القُشور.

فيا أربابَ الأقلامِ وذوي الأفكارِ الحرّة من الشبابِ المتعلم! انفضُوا عنكم غُبارَ الجمودِ، وارموا رداءَ الجبْنِ، وتدرّعوا بالشَجاعة مع الصبر، وهذه صحيفتُكم فاملئوا فراغَها.

ولقد أسميناها «العَرب» لتكونَ خالصةً لكل ناطقٍ بالعربيةِ لغةِ القرآن والدّين، فيا أيها العربيُّ أينَما كنت! هذه صحيفتُكَ نقدّمُها إليك، فاجعلها أنيستَكَ في الوحشة، حتى إذا ما أويت إلى سريرك فستطالع فيها ما يمْتعُكَ ويَلَذُّكَ، واجعلها سميرتَك إذا ما افتقدتَ إخوانَك وخُلاّنك، وتذكّرْ دائماً قول أميرِ الشعراء:

أنا من بدّلَ بالصَّحبِ الكتابا لَـمْ أجدْ لي وافياً إلا الكتَابـا
صُـحبةٌ لم أشْـكُ منهـا رِيبـةً ووِدادٌ لا يكلّفنـــي عِتابـــا

وقد يرى القارئُ الكريمُ في صحيفَتِنا هذه ما يؤلمه؛ لأنه لم يـألفِ النقـدَ فـلا يأخُـذْه الغضَبُ، ولا يتملّكْ به، وليرجِعْ إلى عقلِه، ويزنْ ذلكَ بميزانه، فـنحن لا نقصِـدُ إغضَـابَ أحدٍ، ولا مَسَّ عاطفتِه بما يجرَحُها، بل إنّ مبتغَانا: أن نروّجَ صحيفتَنا، وتكون خفيفـةَ الظـلِّ على قلوبِ قرّائها، غيرَ أنّ من واجبِنا الدّيني أن نُنكِر المنكَر وننهَـى عنـه، ونـأمُرَ بـالمعروفِ ونحُضَّ عليه.

ونحنُ نعِدُ القُراء، ونُشهِدُ على وعْدِنا اللهَ أنّـا سنسْـلكُ مـا استَطعْنا سـبيلَ الحكمَـةِ والنقدِ الجميلِ، ولن نتعدّى اللِّينَ إلا إذا اضطرّتنا الظروفُ أو الواجبُ الذي نُحاسَب عـلى المداهنةِ فيه أمامَ عالِمِ الخفياتِ. فاللهَ اللهَ أيّـها القراءُ من رمينا بالفِريَةِ والبُهتَان!». انتهىٰ.

وتستمر العـرب في الصـدور بكـل هـدوء واسـتقرار، تخاطـب المجتمـع، وتعـالج الأزمات، وتتوسط في أطروحاتها الفكرية، وبالطبع سيطول الحديث بنا لو رحنـا نستقصي- مواضيعها وأبرز العناوين فيها، ولذلك موضع آخر أو بالأحرى كتاب آخر، نستعرض فيـه تفاصيل هذه الصحيفة المفيدة وعناوينها، والأحداث التي حفلت بها صفحاتها.

بافقيه يصاب بكسر في يده:

جاء في الصفحة الرابعة العدد (٢٥) الصادر بتاريخ الجمعة ١٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ (٢٥ مارس ١٩٣٢م)، خبر بعنوان:

حادثة في سيارة

«انتهز جماعة من أفاضل الشباب، بينهم مدير العرب، ومحررها، ومعضدوها، السادة: علوي بن عبدالرحمن السقاف، وأبوبكر بن عبدالقادر

بن يحيى، وعلوي بن أحمد بن محمد السري، فرصة عطلة يوم الأحد، فأجمعوا أمرهم على تمضية عشية السبت ونهار الأحد بعيداً عن ضوضاء المدينة وجلبتها، استرواحاً للنفس واستجماماً للراحة، فاختاروا أن يقصدوا (جاغي)، وهكذا قضى الله أن يكونوا هناك في أتم سرور وأنعم حال. ولكن كأن الله أراد أن يحقق فيهم قول الشاعر:

إذا تم شيء بـدا نقصه ترقب زوالاً إذا قيل تم

فعندما كانوا عائدين يمتطون سيارتين، انزلقت إحداهما عن الطريق وانقلبت، وهي التي كان يركبها السيد حسين بن علي السقاف مدير العرب، والأستاذ السيد علوي بن أحمد السري، والسيد أحمد بـن عمـر بافقيـه محـرر العرب، وحدث ذلك في طريق (سقلاب حجر ٧ ¼).

ومن حسن حظ السيدين حسين وعلوي لم يصابا بسوء، **أمـا السـيد أحمد بافقيه فقد أصيب بكسر في ساعد يده اليسرى**، فنرجو أن يمن الله عليـه بالشفاء العاجل ليعود إلى مباشرة عملـه في الصـحيفة، وسـتظل الصـحيفة تصدر كالعادة».

اضطراب في سير المجلة:

ظهر فجأة في الصفحة من العدد (٣٥) الصادر بتاريخ ٢٨ محرم ١٣٥١هـ (٣ يونيـو ١٩٣٢م)، «**إعلان من العرب**»، ينص على الآتي:

نسطر فيما يلي كلمة وإن كانت ستؤلم بعـض القـراء، وسيأسـف لهـا الغيورون، فإنا لا نرى لنا مندوحة عن تسطيرها، والأسف ملء الجوانح:

لقـد أصـدرنا «**صـحيفة العـرب**»، وقلنـا في افتتاحيـة العـدد الأول موجهين الخطاب إلى العرب جميعاً: إنها صحيفتكم، وقد سرنا بها والحمـدلله شوطاً لا بأس به، حيث إنها قطعت من مراحل حياتها ثمانية أشهر، ضـحينا

فيها بنفيس الأوقات، وتحملنا المتاعب، ولكنا أخيراً استنتجنا بعد كل ذلك: أن البيئة غير قابلة لأن تصدر بينها صحف تحتذي المثل العليا. على أننا لا ننكر تشجيعات بعض الغيورين ذوي الأريحية، ونحمل لهم خالص الشكر وجميل الثناء.

فلما ذكرنا، قررت إدارة «**صحيفة العرب**» ـ مع كل أسف ـ إيقاف نشر الصحيفة بعد خروج العدد (٣٨)، وترجو الإدارة من حضرات المشتركين إرسال رصد اشتراكاتهم ليسترجعوا قيمة المدة الباقية من اشتراكاتهم.

وتعلم الإدارة أنه إذا لم يصلها الطلب باسترجاع قيمة الاشتراك في مدة لا تتجاوز شهرين من هذا التاريخ فالإدارة غير مسؤولة عن أي طلب من هذا النوع.

تحرر في محرم سنة ١٣٥١هـ».

إعادة نظر:

في العدد الذي يليه (٣٦) الصادر بتاريخ الجمعة ٥ صفر ١٣٥١هـ (١٠ يونيو ١٩٣١م) أعيد نشر الإعلان نفسه في نفس موضعه من الصفحة الرابعة، وكتب في أحد الأعمدة ما نصه:

«ما ظهر العدد الفائت من «**صحيفة العرب**» الذي يحمل هذا الإعلان، حتى تلقينا كثيراً من الخطابات، غير المشافهات الكثيرة، وكلها تلح علينا في الاستفسار، وتناشدنا سحب هذا الإعلان، الأمر الذي يدل على عظم مكانة هذه الصحيفة من قلوب قرائها. ونحن قبل كل شيء نقدر هذا العطف السامي من هؤلاء الإخوان المخلصين، ونشكرهم عليه، ثم نبشرهم بأننا سنعيد النظر والفكر فيما عزمنا وساءهم من وقوف هذه الصحيفة، فلربما ترجح لدينا بعد ذلك العدول عن ذلك.

وأما هذا الإعلان فسنبقيه، وربما مددنا المدة، لنقول كلمتنا الأخيرة فيما بعد». كما أبقي على هذا النص والإعلان أيضا في العدد التالي (٣٧).

أصداء الإعلان:

حفَل العدد (٣٧) الصادر بتاريخ الجمعة ١٢ صفر ١٣٥١هـ (١٧ يونيو ١٩٣١م) بمقال كبير تعقيباً على إعلان العرب احتجابها وإغلاقها، وسيرى القارئ الكريم مدى الضجة التي أحدثها ذلك الإعلان في المجتمع العربي، حيث كان الخبر مفاجئاً وعنيفاً في أوساط العرب، بعد أن تنفسوا الصعداء بظهور هذه الصحيفة الحرة النزيهة، فكتب أحدهم ولم يفصح عن اسمه وكنى نفسه (كاتب غيور)، فقال في الصفحة الثالثة، تحت عنوان:

(حول إعلان احتجاب «العرب»)

«الصدق والثبات أساس كل عمل يراد دوامه، وقد مثل العلويون وحزبهم هاتين الخلتين في جميع أدوار مكافحتهم هجوم المناوئين لهم من الجاهلين والمخدوعين بزخارف أقوال المسترزقين من الدخلاء الذين لا يستطيعون أن يعيشوا إلا بإيقاظ الفتنة، ولا يسودوا إلا بالتفريق، ولا يتنفسوا إلا في جو مملوء بالفوضى، وأبلج برهان على هذا المدَّعى: صحيفة حضرموت الغراء، التي لو أتيت عليها إلى آخر عدد منها لما ألفيت فيها غير حقائق ناصعة، وحق صراح، ولو أجهدت نفسك على أن تجد فيها شيئاً من الكذب أو البهتان أو الزور أو الاختلاق التي لا يخلو منها عدد من أعداد صحف مناوئيهم لما آبت إلا بخفي حنين، صفر اليدين من ذلك.

لهذا، ولثبات الحزب الذي تنتسب إليها، كانت أطول صحف المهجر عمراً، وكانت موفقةً منتصرةً في جميع مواقفها، لأن دليلها الصدق، ورائدها الحق، ومن كان للحق عمله كان الحق معه، فلا الصعاب ولا الغمرات ولا العراقيل تثنيها عن سيرها، أو فلت غرب سيف عزمها.

فيها بنفيس الأوقات، وتحملنا المتاعب، ولكنا أخيراً استنتجنا بعد كل ذلك: أن البيئة غير قابلة لأن تصدر بينها صحف تحتذي المثل العليا. على أننا لا ننكر تشجيعات بعض الغيورين ذوي الأريحية، ونحمل لهم خالص الشكر وجميل الثناء.

فلما ذكرنا، قررت إدارة «صحيفة العرب» ـ مع كل أسف ـ إيقاف نشر الصحيفة بعد خروج العدد (٣٨)، وترجو الإدارة من حضرات المشتركين إرسال رصد اشتراكاتهم ليسترجعوا قيمة المدة الباقية من اشتراكاتهم.

وتعلم الإدارة أنه إذا لم يصلها الطلب باسترجاع قيمة الاشتراك في مدة لا تتجاوز شهرين من هذا التاريخ فالإدارة غير مسؤولة عن أي طلب من هذا النوع. تحرر في محرم سنة ١٣٥١ هـ».

إعادة نظر:

في العدد الذي يليه (٣٦) الصادر بتاريخ الجمعة ٥ صفر ١٣٥١هـ (١٠ يونيو ١٩٣١م) أعيد نشر الإعلان نفسه في نفس موضعه من الصفحة الرابعة، وكتب في أحد الأعمدة ما نصه:

«ما ظهر العدد الفائت من «صحيفة العرب» الذي يحمل هذا الإعلان، حتى تلقينا كثيراً من الخطابات، غير المشافهات الكثيرة، وكلها تلح علينا في الاستفسار، وتناشدنا سحب هذا الإعلان، الأمر الذي يدل على عظم مكانة هذه الصحيفة من قلوب قرائها. ونحن قبل كل شيء نقدر هذا العطف السامي من هؤلاء الإخوان المخلصين، ونشكرهم عليه، ثم نبشرهم بأننا سنعيد النظر والفكر فيما عزمنا وساءهم من وقوف هذه الصحيفة، فلربما ترجح لدينا بعد ذلك العدول عن ذلك.

وأما هذا الإعلان فسنبقيه، وربما مددنا المدة، لنقول كلمتنا الأخيرة فيما بعد». كما أبقي على هذا النص والإعلان أيضا في العدد التالي (٣٧).

أصداء الإعلان:

حفَل العدد (٣٧) الصادر بتاريخ الجمعة ١٢ صفر ١٣٥١هـ (١٧ يونيو ١٩٣١م) بمقال كبير تعقيباً على إعلان **العرب** احتجابها وإغلاقها، وسيرى القارئ الكريم مدى الضجة التي أحدثها ذلك الإعلان في المجتمع العربي، حيث كان الخبر مفاجئاً وعنيفاً في أوساط العرب، بعد أن تنفسوا الصعداء بظهور هذه الصحيفة الحرة النزيهة، فكتب أحدهم ولم يفصح عن اسمه وكنى نفسه (كاتب غيور)، فقال في الصفحة الثالثة، تحت عنوان:

(حول إعلان احتجاب «العرب»)

«الصدق والثبات أساس كل عمل يراد دوامه، وقد مثل العلويون وحزبهم هاتين الخلتين في جميع أدوار مكافحتهم هجوم المناوئين لهم من الجاهلين والمخدوعين بزخارف أقوال المسترزقين من الدخلاء الذين لا يستطيعون أن يعيشوا إلا بإيقاظ الفتنة، ولا يسودوا إلا بالتفريق، ولا يتنفسوا إلا في جو مملوء بالفوضى، وأبلج برهان على هذا المدَّعى: صحيفة حضرموت الغراء، التي لو أتيت عليها إلى آخر عدد منها لما ألفيت فيها غير حقائق ناصعة، وحق صراح، ولو أجهدت نفسك على أن تجد فيها شيئاً من الكذب أو البهتان أو الزور أو الاختلاق التي لا يخلو منها عدد من أعداد صحف مناوئيهم لما آبت إلا بخفي حنين، صفر اليدين من ذلك.

لهذا، ولثبات الحزب الذي تنتسب إليها، كانت أطول صحف المهجر عمراً، وكانت موفقةً منتصرةً في جميع مواقفها، لأن دليلها الصدق، ورائدها الحق، ومن كان للحق عمله كان الحق معه، فلا الصعاب ولا الغمرات ولا العراقيل تثنيها عن سيرها، أو فلت غرب سيف عزمها.

وإذا كانت «**صحيفة العرب**» الغراء قد اقتفت أثر حضرموت في انتهاج هذه الخطة النزيهة الرشيدة، التي لم تكن في يوم من الأيام نهجاً ولا لصحيفة واحدة من صحف المهاجين الكثيرة، اللاتي صرعن في مهدهن واحدة بعد أخرى، لتنكبهن عن الجادة، وحيدهن عن السبيل القويم، فما هذه الظاهرة المريبة التي أوجست من تفشيها خيفةً بيننا معشر العلويين؟

عندما وقفت على إعلان في العدد (٣٥) من «**صحيفة العرب**»، يشير إلى احتجابها بعد أسابيع من عالم الظهور، ولا تسل عن الصدمة العنيفة التي حصلت لي عند هذه المفاجأة، وبعد أن عاودني رشدي، طفقت أفكر في السبب الذي قضى أو كاد يقضي- عليها، وانتهىٰ بي التفكير إلى أن السبب الوحيد هو عدم إقبالنا عليها، وتشجيعها التشجيع الذي يكفل بقاءها. وبقيت **أتساءل**: لماذا هذا الإعراض المشين؟ فإذا بنفس الإعلان **يخاطبني** بهذه الجملة المريعة: «إن البيئة غير قابلة لأن تصدر بينها صحف تحتذي المثل العليا».

فقلت: إذن تكون النتيجة الطبيعية لهذه الجملة: أن داء القوم قد سرى فينا، وأن حركة المجاورة قد أثرت فينا تأثيراً بليغاً، وفتكت فتكاً ذريعاً، وإننا بعد أن كنا نميل إلى الجد، ونستشرف إلى المباحث القيمة صرنا لا نأنس بالصحف إلا إذا كانت مجموعة سباب ونهش أعراض، يعززها شيء من التهكم، وكمية وافرة من الوقاحة والهزل، فانحططنا عن مستوى أخلاقنا التي ورثناها كابراً عن كابر، إلى حضيض أخلاقهم التي تترجم عنها ما خطته وتخطه إلى اليوم أيديهم في صحفهم.

على أني لا أستسيغ هذه النتيجة، مستبعداً وجاهة هذا السبب المذكور في الإعلان، الذي يبطله الحس والعيان، فالأخلاق مصونة، والعدوى بحمد الله لم تسر فينا، بل الذي أرجحه هو أن السبب لذلك الإعراض: إنما هو بسيط جداً، وما هو إلا شغفنا بالطفرة التي سيطرت على عقولنا ونفوسنا، وتملكتها حتى أقعدتنا عن كثير من الأعمال، فنحن نريد أن

تظهر «صحيفة العرب» في أول دور من أدوار حياتها كاملة، حاوية لكل ما نريد من مباحث وأخبار متنوعة وغيرها. وذلك خطأ محض!

فالتحسين والترقي لابد وأن يكونا، ولكن على التدريج، وتشجعها اليوم وهي في أول مرحلة من مراحل حياتها أسمى وأروع من تشجيعها وهي في أبهى أدوارها وأزهاها، وربما لا أكون مخطئاً إذا عززت هذا السبب بسبب آخر، وهو: التواكل، فإن له أثراً بليغاً في عدم نجاح كثير من أعمالنا، بل وفي القضاء عليها، ومنها: هذه الصحيفة.

فقد جاءني يوماً أحد الإخوان سامحه الله وأظهر لي أسفاً كثيراً على ما ستؤول إليه «صحيفة العرب»، وطلب مني أن أطلعه على آخر عدد منها، وهو بالطبع العدد (٣٦)، فقلت له: كيف تأسف هذا الأسف، وأنت غير مشترك فيها، ولا سمحت نفسك بشراء عدد منها تطالعه، فعملك هذا إن دل على شيء فإنما يدل على استعجال القضاء عليها!

فقال لي: ومن أنا حتى تحيى أو تموت بسببي صحيفة؟ وماذا عسى أن يكون بدل اشتراك شخص واحد؟!

فقلت له: أنت تقول هذا الكلام، ومثلك كثير جداً من يقول مثل هذا الكلام، والقليل الذي تستقله إذا حصل منك ومن الكثير الذين يقولون مثل قولك، سوف يكون كثيراً، ومع ذلك، فإن الذي ستدفعه لتدعيم صحيفة عربية إنما هو خمسون سنتاً في الشهر، وهذا المقدار أقل بكثير مما تدفعه لحفلة العشاء الشهرية التي تقام في النادي، ثم لا نسبة بين هذا وبين ما تنفقه بسخاء على السينما ودور الملاهي أسبوعياً، ولكن الشعور والوجدان ووحي الضمير الحي لم يكن عندك منها شيء البتة، فقلت قولك هذا غير مكترث به. فما كان منه إلا أن سكت ولم يحر جواباً.

فهذان السببان هما العامل الأعظم في تحطيم كثير من آمالنا وأعمالنا، فهل لنا يا قوم بعد اليوم أن نعنى بالأعمال كيفما كانت، ونتعهدها لكي تكبر بطبيعة سنن النشء والارتقاء؟

وأي خير في بروزها كبيرة عظيمة فوق قدرتنا واستعدادنا لتعهدها، تبهر الألباب، وتستلفت الأنظار، لتدخل بعد برهة قصيرة في خبر كان، فإن البداية غير النهاية!

هل لنا يا قوم بعد اليوم أن نقدر المصالح العامة حق قدرها؟ ولا نحسب ألف حساب وحساب للدرهم الواحد ننفقه في سبيلها، ونعلم أن الجدير بذلك الحساب هو ما نتلفه في الشهوات واللذات؟!

هل لنا يا قومُ أن نعرفَ مقدار الشماتة التي ستلحقنا إذا قضت هذه الصحيفة نحبها بمسمع منا ومرأى، ومقدار الحزن الذي سيشملنا حينئذ؟!

كل المصائبِ قد تمر على الفتى ... فتهون غير شماتة الحساد

لمن نطلب الدنيا إذا لم نرد بها ... سرور صديق أو إساءة مجرم

على أنا نسلي أنفسنا ونعزيها، ونعللها بتلك الكلمة الصادرة في العدد (٣٦) فوق ذلك الإعلان المشؤوم، التي بعثت في القلوب أملاً بعد اليأس، ودلت على أن في السويداء رجالاً تأبى الهزيمة والعار، وأن العواطف الشريفة شريفة رغم العواصف والمؤثرات، وأن الإحساس والشعور لم ينضبا من قرارة تلك النفوس الزكية، بل لا يزالان يتدفقان من معينهما الصافي العذب.

وإني على يقين أن ذلك الإعلان أن أمضي وقضي به، فإن همم ذوي الشمم سوف لا ترضى ولن ترضى بما يترتب عليه من أثر، وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى تظهر العرب مرة أخرى في ميدان الكفاح والجهاد، فيستقبلها الناس بوجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة، وتقابلها أناس بوجوه عليها غبرة ترهقها قترة، فرب مسرور اليوم سيبتئس غداً، ومبتئس سيسر، وإن غداً لناظره قريب.

ش ...».

* كما كان للأستاذ **محمد ضياء شهاب**[١] رحمه الله تعقيب هو الآخر على ذلك الإعلان، فنشر مقاله في الصفحة السابعة من نفس العدد (٣٧)، وصدرت الصحيفة مقالة بقولها: (**حول إعلان «العرب» أيضاً**):

جاءتنا رسالة من الأديب الغيور السيد محمد ضياء شهاب، تطفح غيرةً وتألماً من عزمنا على إيقاف «العرب»، ونحن نقتصر فيما يلي على بعض ما جاء في الرسالة عرفاناً بجميل المراسل وشعوره نحو «صحيفة العرب»:

«... وبعد؛ فقد آلمني أشد الألم، ذلك الإعلان الذي نشرتموه في جريدتكم، وعلمت أن هذه بيئة ساقطة لا تعيش فيها صحيفة، ولا يعيش فيها لسان، وأن هذه الأمة ترضى بأن تبقى خرساء، بينما الجرائد المنتنة المملوءة عفونة وأقذاراً تلقى التشجيع والتحبيذ.

أنا لا أطيل باستيائي من إخواننا الذين - بينما هم في أشد الحاجة إلى «العرب» - يعرضون عنها كشحاً، ويرضون بأن يرتع الأعداء في أعراضهم ومحارمهم، وأن تسري الدعاية العدائية بنشاط، والمرض يتأكلهم من كل جانب، وأن يظهر للعالم الإسلامي صدق ما قيل عنهم، ويرضون بكل هذا، وهم أحوج الناس إلى التألم والتظافر من قنابل ونيران عشرين سنةً تصب عليهم».

العرب في سنتها الثانية:

مرت الأزمة، وظلت العرب تصدر، إلى أن بلغت سنتها الثانية، وبهذه المناسبة كتبت صحيفة (حضرموت) الشهيرة في سورابايا بأندونيسيا كلمة أعادت العرب نشرها في عددها (٥٥) الصادر بتاريخ ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٥١هـ (٢٠ أكتوبر ١٩٣٢م) وقالت:

---

(١) أستاذ قدير، وكاتب أديب، ومؤرخ سياسي، ولد بجاكرتا سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٠م) تقريباً، وتوفي بمكة سنة ١٤٠٥هـ، آخر وظيفة شغلها: عضوية رابطة العالم الإسلامي بمكة، له عدد من الأعمال التاريخية والأدبية.

«ننشر فيما يلي كلمة رصيفتنا «**حضرموت**» الزاهرة تسجيلاً لجميلها. قالت:

دخلت رصيفتنا «**صحيفة العرب**» الزاهرة سنتها الثانية، بعد أن قطعت شوطا مهما في الحياة الصحفية، وبرهنت للملأ كيف تجاهد الصحف النزيهة، وكيف تسير إلى الأمام بأقدام ثابتة مطمئنة، وقد قضت سنتها الأولى ولم تختل مواعيد صدورها يوماً واحداً، فنرجو أن تلاقي هذه الصحيفة مستقبلاً زاهراً، وتوفيقا وتعضيدا».

الأستاذ لقمان يهنئ العرب بدخولها سنتها الثانية:

كتب الأستاذ محمد علي لقمان رسالة من عدن وجهها إلى الأستاذ بافقيه أرخها في ٢٧ أكتوبر ١٩٣٢م، وهذا نصها:

جناب النبيل المفضال محرر «**العرب**» الغراء المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلني العدد (٥٣) من العرب الغراء، وهو أول عدد في سنتها الثانية، فتفاءلت خيراً، وتمنيت لكم التوفيق والفلاح والنجاح، ولقد تذكرت آنئذ الآية الكريمة (فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)، وهي سنة إلهية، وحكمة ربانية، وشريعة قدسية، لا يتطرق إليها الخلل، ولا يعتورها الوهن. ولا بقاء إلا للأنسب.

والشر وإن بدا في حلة سندسية، وقطيفة أرجوانية، فلا يبرح حتى يظهر في صورته الأصلية، فينبذ نبذ النواة. وأما الخير وإن ظهر في الأسمال البالية، والأثواب الخلقة، فلا ريب أنه لن يمر ردح من الزمن إلا وقد أخذ مقعده على هام السها، وامتطى أوج الثريا، وهكذا أضرع إلى الله تعالى أن يأخذ بأيديكم لخدمة العرب والإسلام، ويحقق أمنيتكم في توحيد صفوف عرب المهجر، آمين.

وكلمة أخرى، أحملها إلى إخواني عرب جاوا، راجياً منهم أن يعيروها آذاناً صاغيةً، وقلوباً واعيةً، علها تفيدهم، لصدورها من فؤاد مفعم بحب العرب والإسلام، لا يرمي إلى غرض شخصي، ولا مأرب ذاتي:

في ضميري دائماً صوت النبي ... آمراً: جاهد وكابد واتعب
صائحاً كن أبداً حراً أبياً ... صارخاً: غالب وطالب وادأب

* * *

كن سواء ما اختفى وما علن ... كن قوياً بالضمير والبدن
كن عزيزاً بالعشير والوطن ... كن عظيماً في الشعوب والزمن

من هذه الأبيات نعرف أن في ضمير المسلم الفاضل صوت النبي دائماً يهديه سبل الرشاد، وما صوت النبي سوى سنته الغراء ومحجته البيضاء، ولكن؛ من لاضمير له فلا يؤْبه له، لأنه يكون إذ ذاك ميت الوجدان، ومثله مثل الجلمود الأصم (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء):

لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي
ونار لو نفخت بها أضاءت ... ولكن ضاع نفخك في الرماد

فأمر المصطفى ﷺ الذي هو وحي من الله تعالى يتلخص في أن نجاهد في سبيل الله بالأموال والأرواح، وهذا لا يتأتى لقوم مشتتين ممزقين، تباينت مقاصدهم، وتعددت أغراضهم، ولعبت بهم الأهواء، فلابد من الانضمام قبل النهوض للدفاع عن الأوطان والذود عن بيضة الإسلام، ولا بد من تناسي الأحقاد، وتوحيد المبدأ والصفوف للوصول إلى تلك الغاية الشريفة، فقد قال ص: (ليدخلن بالسهم الواحد ثلاثة نفر: صانعه، ومنبله، والرامي به)، فياليت شعري كم نفر سيدخلون الجنة من المسلمين إذا صنعوا مدفعاً أو بارجةً أو طيارةً أو .. أو .. ؟ فأين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه؟ ترى الناس لا

يطالبون بالحقوق وقد هضمت، ولا يدأبون في خدمة الأوطان والدين، بل يتنابزون بالألقاب، ويسبون بعضهم البعض، مما يؤسف له ويدمي القلوب ويجرحها:

عار علينـــا أننا عار على هذا الزمن

وأين نحن من قول الشاعر:

* كن عزيزاً بالعشير الوطن *

فقد كفرنا بالعشير، وهذا هو أعظم خيانة للأوطان، ولهذا صغرت نفوسنا، وصرنا محتقرين في أعين أعدائنا:

* ومن لا يكرم نفسه لا يكرم *

فياحضرة الأستاذ: أرجوك أن تجعل شعارك خدمة قومك، وأن تخذل كل سباب همّاز مشاء بنميم، والله يطيل بقاءك، ويسدد خطواتك، آمين. والسلام

محمد علي إبراهيم لقمان
مدير نادي الإصلاح العربي الإسلامي
بعدن

بافقيه صاحب امتياز «العرب»؛ ١٩٣٣م:

وفي أثناء سير «**صحيفة العرب**» في سنتها الثانية، إذا بالسيد حسين السقاف يتنازل عن امتياز الصحيفة للسيد أحمد بافقيه، فصار يكتب على صفحتها الأولى: (صاحب امتياز الصحيفة: **السيد أحمد بن عمر بافقيه العلوي**)، وذلك يطالعنا في العدد رقم (٧١) الصادر بتاريخ الخميس ١٠ ذي الحجة ١٣٥١هـ، (٦ ابريل ١٩٣٣م)، وذلك بعد توقف لم يدم سوى أقل من شهرين، إذ كان العدد الذي قبله صدر بتاريخ ١٣ شوال ١٣٥١هـ، وكانت افتتاحية هذا العدد الجديد بعنوان:

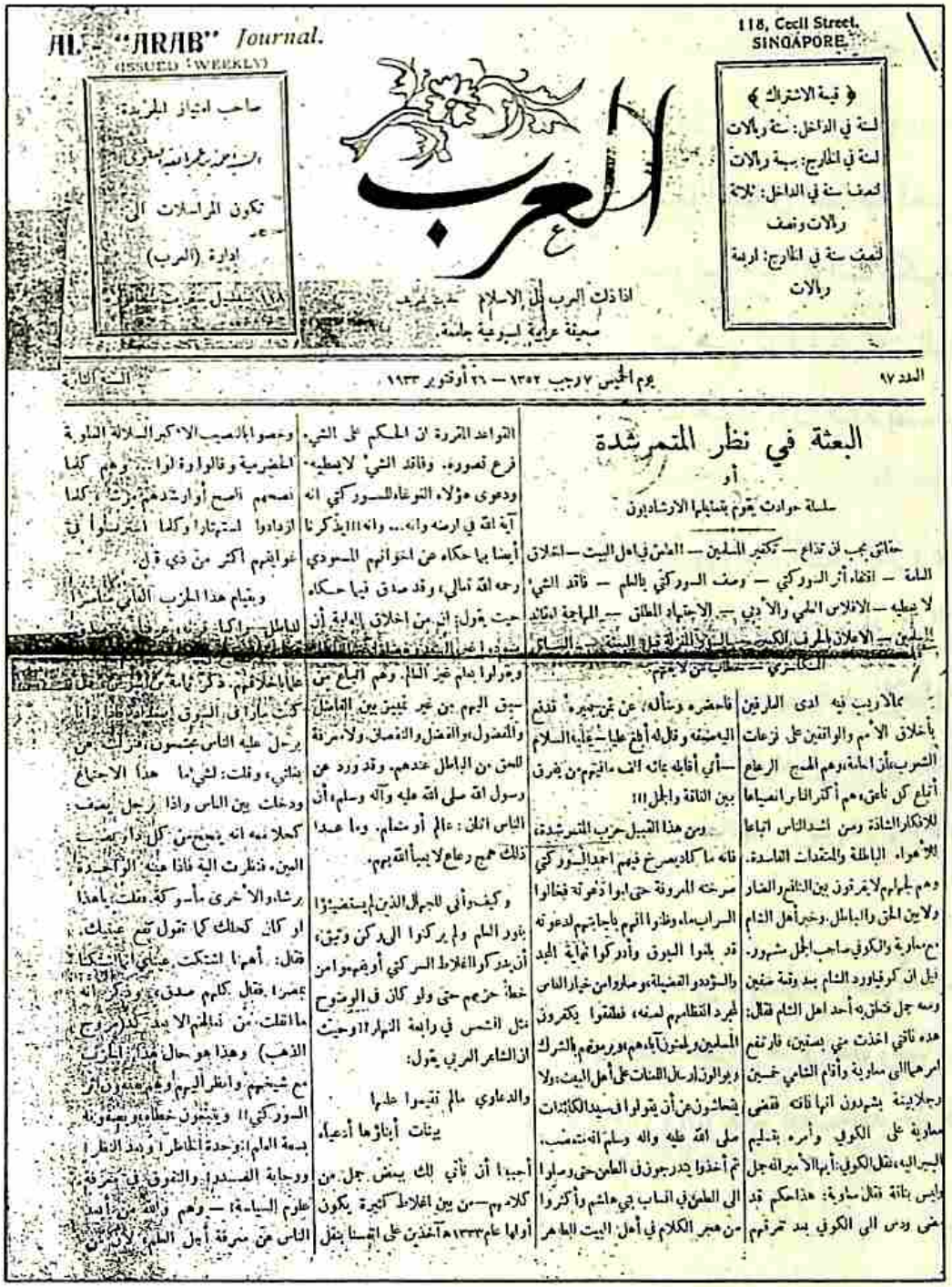
عَودَةُ العَربِ (*)

تعود «صحيفة العرب» إلى البروز، والعود أحمد، عندما أعلنا في افتتاحية آخر عدد توقفت (العرب) بعده عن الصدور، عندما أعلنا احتجابها، صرخنا لقرائنا الكرام: إنه احتجاب إلى وقت غير معين، أي: أنه توقف غير نهائي. وها هي ذه قد تهيأت الوسائل والأسباب لصدورها مرة أخرى بثبات يغذوه الأمل، ها هوذا أول عدد يصدر بعد احتجابها بين أيدي القراء، فليستبشروا بتحقق مأملهم من الله.

لقد ألحت علينا الأسئلة، ووردتنا الرسائل تترى طالبةً في رجاء أكيد، وحرارة ملحة، أن نسارع إلى إعادة «العرب» إلى عالم البروز، وسننشر ـ بعض تلك الرسائل في الأعداد القابلة .ولما كان طلب أولئك الفضلاء عزيزاً علينا، وكان ضميرنا يأبى كل الإباء الدعة والاستنامة دون خدمة القومية والدين من أيسر الطرق ـ وأيسرها إلينا هي الصحيفة التي غذَوناها وربيناها كما يربي أحدنا طفله ـ لم يسعْنا سوى تلبية رجائهم، وتلبية وازع الضمير، وهو نعم المتحكم والمسيطر .

غير عابئين بمشقات الصحافة، وخاصةً بهذه البلاد التي لم يعرف بعد أهلها من عرب هذا المهجر للصحافة ـ وهي الملقبة بصاحبة الجلالة ـ مقدارها وخطورتها وعظم شأنها، وذلك لعدم انتشار الثقافة الحقة بينهم انتشاراً كافياً، وإنما يقدر الصحافة حق قدرها المثقفون المتنورون.

(*) «صحيفة العرب»، السنة الثانية، العدد (٧١)، يوم الخميس، ١٠ ذي الحجة سنة١٣٥١هـ موافق: ٦ ابريل ١٩٣٣م.



AL-"ARAB" Journal.
ISSUED WEEKLY

118, Cecil Street, SINGAPORE.

العرب

قيمة الاشتراك
لسنة في الداخل: ستة ريالات
لسنة في الخارج: سبعة ريالات
لنصف سنة في الداخل: ثلاثة ريالات ونصف
لنصف سنة في الخارج: اربعة ريالات

صاحب امتياز الجريدة:
السيد احمد بن محمد الصوفي
تكون المراسلات الى
ادارة (العرب)

اذا ذل العرب ذل الاسلام
صحيفة عربية اسبوعية جامعة.

العدد ٩٧ — يوم الخميس ٧ رجب ١٣٥٢ — ٢٦ أكتوبر ١٩٣٣ — السنة الثانية

البعثة في نظر المتمرشدة
أو
سلسلة حوادث يقوم بتمثيلها الارشاديون

حقائق يجب ان تذاع — تكفير المسلمين — الطعن في اهل البيت — اخلاق السلف — افتراء أثر السوركتي — وصف السوركتي بالعلم — فاقد الشيء لا يعطيه — الافلاس العلمي والأدبي — الاجتهاد المطلق — المباهاة بالتأليف — الطعن — الاعلان بالحرف الكبير — حساب الآلة قبل البضاعة — الساكت عن الحق شيطان اخرس — الكاتب المصري — مطالب من لا يفهم

عما لا ريب فيه ادى الواقفين بأخلاق الأمم والواقفين على نزعات الشعوب بأن امامنا وهم المهيج الرعاع أتباع كل ناعق، هم أكثر الناس انصياعا للأفكار الشاذة ومن اشد الناس اتباعا للأهواء الباطلة والمعتقدات الفاسدة. وهم لجهلهم لا يفرقون بين النافع والضار ولا بين الحق والباطل. وخير أهل الشام مع معاوية والكوفي صاحب الجمل مشهور. قيل ان كوفيا ورد الشام بعد وقعة صفين ومعه جمل فتلقى به أحد اهل الشام فقال: هذه ناقتي اخذت مني بصفين، فارتفع امرهما الى معاوية وأقام الشامي خمسين رجلا بينة يشهدون انها ناقته فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير اليه، فقال الكوفي: أيها الأمير انه جمل وليس بناقة فقال معاوية: هذا حكم قد مضى ودس الى الكوفي بعد تمرقهم فاحضره وسأله، عن ثمن بعيره؟ فقدم اليه ثمنه وقال له أبلغ عليا — عليه السلام — أني أقاتله بثمانية آلاف مقاتل من يفرق بين الناقة والجمل!!!

ومن هذا القبيل حزب المتمرشدة، فانه ما كاد يصرخ فيهم احمد السوركتي صرخته المعروفة حتى ابوا دعوته فخالفوا السراب ماء، وظنوا انهم بإجابتهم لدعوته قد بلغوا البوق وأدركوا غاية المجد والسؤدد والفضيلة، وصاروا من خيار الناس لمجرد انتظامهم لصفه، فطفقوا يكفرون المسلمين ويلمزون آباءهم وأمهاتهم بالشرك وبالويل وارسال اللعنات على أهل البيت، ولا يتحاشون عن أن يقولوا في سيد الكائنات صلى الله عليه وآله وسلم انه منتهب، ثم أخذوا يتدرجون في الطعن حتى وصلوا الى الطعن في انساب بني هاشم وأكثروا من هجر الكلام في أهل البيت الطاهر

القواعد المقررة ان الحكم على الشيء فرع تصوره. وفاقد الشيء لا يعطيه. ودعوى مؤلاء النوغاء للسوركتي انه آية الله في ارضه وانه... وانه !!! يذكرنا أيضا بما حكاه عن اخوانهم المسودي رحمه الله تعالى، وقد صدق فيما حكاه حيث يقول: ان من اخلاق الهداية أن

وقولوا بعلم غير العالم. وهم اتباع من سبق اليهم من غير تبيين بين الفاضل والمفضول، والافضل والانقص. ولا معرفة للحق من الباطل عندهم. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن الناس اثنان: عالم أو متعلم. وما عدا ذلك همج رعاع لا يبالي الله بهم.

وكيف وأني للجهال الذين لم يستضيئوا بنور العلم ولم يركنوا الى ركن وثيق، أن يدركوا الغلاط السركتي أو غيرهم من خطأ جزم حتى ولو كان في الوضوح مثل الشمس في رابعة النهار!! وحيث ان الشاعر العربي يقول:

والدعاوي ما لم تقيموا عليها
بينات أبناؤها أدعياء

أجيبوا أن تأتي لك بمض جمل من كلامهم — من بين اغلاط كثيرة يكون أولها عام ١٣٣٣ هـ آخذين على انفسنا بنقل

وخصوا بالنصيب الاكبر السلالة الشاوية الحضرمية وقالوا وقوا لوا... وهم كلما نصحهم الصح أو ارشدهم الرشد كلما ازدادوا استهتارا وكلما استرسلوا في غوايتهم أكثر من ذي قبل.

وبتمام هذا الحزب الذي ناصرا للباطل — راكبا [illegible]

عن اخلاقهم. ذكر تمامة عن [illegible] كنت جارا في السوق إسمه فلانا، أنا برجل عليه الناس مجتمعون، فقلت: من هذا الاجتماع ودخلت بين الناس واذا برجل يبيع كحلا منه انه ينجح من كل داء يصيب العين، فنظرت اليه فاذا هنه الواحدة برشاء والاخرى مأسوكة، فقلت: يا هذا ان كان كحلك كما تقول نفع عينيك، فقال: أهما اشتكت عيني انها اشتكتا بصرا، فقال كلهم صدق، وذكر انه ما اقلت من نفاقهم الا بعد [illegible] الذهب) وهذا هو حال هذا الحزب مع شيخهم وانظر اليوم وهم يعتذرون عن السوركتي!! ويتبعون خطاه ويعضونه بسمة العلم! فوحدة الخاطر وبعد النظر وحباية الصدور والتفوق في معرفة علوم السياسة — وهم والله من أبعد الناس عن معرفة أهل العلم لا [illegible]

صورة عن عدد من أعداد السنة الثانية (العدد ٩٧)

ولقد بلغ من قدرها لدى الأمم الراقية أن أصبحت تعدها (السلطة الرابعة)، كما تلقبها بـ(صاحبة الجلالة)، ولئن كان وسطُنا لم يزل ينظر إلى الصحافة نظرَه إلى ما لا خطر له ولا أهمية، فدستور تطور الحياة ـ طال الزمن أو قصر ـ لا بد وأن ينفِذَ حكمَه عليه بتقدير الصحافة، عندما يشفى من مرض الجهل الوبيل.

وصحفنا التي تخدم المبدأ لذاته، وهي التي تلاقي غالباً العقبات والعراقيل، إنما تمهد السبيل لإنارة أذهانِ هذا الوسطِ ليتهيأ بالاستنارة، لتفهم الثقافة الحقيقية التي هي من وسائل إعداد الوسط لتقدير شأن الصحافة. فأملنا إن لاقت صحفُنا اليومَ في مبدأ حياتها ما لاقت صحفُ العالم في بدأة حياتها، أن ستحمَدُ في الصباح سراها.

فالنظرة التي ينظر بها وسطنا إلى الصحافة اليوم. هي نفسُ النظرة التي كان ينظر بها المصريون والسوريون وغيرهم إليها، ومما يؤثر عن بطل الحركة الوطنية المصرية المرحوم مصطفى كامل[1] أنه تقدم خاطباً يد ابنة أحد أمراء مصر، في حين كان يصدر جريدته (اللواء) فكان ردُّها أفصحَ تفسيرٍ لنظرة مصر إذ ذاك إلى الصحافة، فقد رفضت خطبته قائلةً في سخرية من مهنته الصحافية: «أأرضى بالتزوج من شحاذ بردنجوت»؟!

ولكن ليتمعّن قراؤنا بثاقبِ أفكارهم في شأن الصحافة اليوم بمصر! فقد أصبحت توظِّفُ شركاتٍ بآلافٍ وملايين، وأصبح لا يلذّ لأحدهم طعام الفطور حتى يكون بجانبه إحدى صحفِ الصباح، ولا يعود مساء من عمله إلا وهو متأبطٌ صحيفة مسائية، وأصبح للصحُفيين السيطرةَ المهابة. فالأملُ في خير المستقبل لأمتنا، هو الذي ينفث في روعنا رُوح الإقدام على تكبد مشقات الصحافة، وإحراق أنفسنا للإضاءة لغيرنا.

---

(١) زعيم مصري، ولد عام ١٢٩١هـ (١٨٧٤م)، تخرج في كلية الحقوق بفرنسا، وسعى في إنشاء أول جامعة في مصر على عهد الملك فؤاد الأول، وأسس صحيفة اللواء اليومية عام ١٣١٨هـ، كما أسس الحزب الوطني الذي كان يدعو إلى الاستقلال ومقاومة الاحتلال، توفي سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٨م) عن ٣٤ سنة.

تصدرُ (العرب) منذ هذا العدد تحت امتياز (السيد أحمد بن عمر بافقيه)، بعد تحول الامتياز من مديرنا الفاضل السابق (السيد حسين بن علي السقاف) إليه، وليس معنى هذا التحولِ حدوثُ توتر في العلائق، بل لا يزال جنابه يرعى هذه الصحيفة التي له الفضل الجزيل عليها، ومن أعظمه فضلُ إبرازها إلى حيز الوجود، جزاهُ الله أحسن الجزاء.

ولكن لما كانت أعمال حضرته الكثيرة في مطبعته (إغكلوا آشيانيك پريس) التي تصدر صحيفة (وِرْتَ ملايا) الغراء ـ قائدة الجرائد الملاوية اليومية ـ لا تدع له فرصة لأن يهَبَ بعض أوقاته للاشتغال بأعمال هذه الصحيفة، وكانت مطبعته نائيةً عنّا تكلفُنا بعض المشاق، تم بيننا الاتفاق على تحويل الامتياز والإدارة وطبع الصحيفة بمطبعةٍ قريبة على أن يستمرّ جنابه في رعايته لها.

أما خطة الصحيفة:

فلن تزال اليومَ وغداً كما عهِدَها قراؤها الكرام في سالف ما مضى ـ من عهدها بالأمس، فذلك ما يدفعُنا إليه الضميرُ والقومية والدين، وماذا يبقى من كرامة لمن لا ضميرَ له ولا قوميةَ ولا دين؟! ورجاؤنا في قرائنا الغيارى أن يتذكروا لنا ما تكبدناه ونتكبدُه من مشاقَّ في سبيل خدمتهم عن طريق هذه الصحيفة، وهي الطريق الميسورة لأمثالنا، فيكافئونا بواجبهم مما يعضدنا على الاستمرار في خدمتهم، أما نحن فنعِدُهم بألا ندعَ جهداً في طاقتنا نتمكن عن سبيله من خدمتهم دون أن نبذُلَه حتى نؤدي واجبنا أو نقدَّر».

موقف السيد عمر بافقيه من عمل ابنه في الصحافة:

كان أحمد بافقيه على صلة بوالده من خلال الرسائل المتبادلة بينهما عبر المسافرين، وكانت الأنباء قد بلغته بدخول ابنه في العمل الصحفي، وقد حرصت على سؤال الأستاذ عن موقف أبيه من ذلك، لاعتقادي أن نظرته لم تكن لتختلف عن المفهوم السائد عند المشايخ آنذاك: أن الانشغال بالصحف العصرية ملهاة عن دراسة العلم الشرعي.

وصدق حدسي! فلقد عاتب السيد عمر بافقيه ابنه على سلوكه ذلك المسلك، إنه كان يأمل في ابنه أن لا يسلك هذا السبيل، وهو الذي فرغه من أجل طلبه وتحصيله سنوات مضت في حضرموت! ولكن الشاب أحمد بافقيه كان قوي الرغبة في مواصلة عمله الجديد، محاولاً الجمع بين ما حصله من علوم الدين الحنيف، وبين العمل الصحفي الذي يراه وسيلة من وسائل نشر الوعي والفكر، كما أنه وسيلة إلى نشر العلم النافع، بل هو إحدى الوسائل التي يمكن نشر الإسلام عن طريقها .. هذا خلاصة ما رد به أحمد بافقيه على بعض رسائل أبيه.

* * *

(٤)

الأستاذ بافقيه وعضوية النادي الأدبي بسنغافورا (*)

أثناء عمله الصحفي، كان هناك عمل لا يقل أهميةً عن نشاطه الصحفي، بل هو من صميمه، وهو عضويته في النادي العربي الأدبي في سنغافورا، ذلك النادي الذي أسس في تلك الحقبة الزمنية أواخر العشرينات الميلادية، وكان له رواده، وكان له نشاطه الكبير في النهضة الأدبية والثقافية، وانعكس إيجاباً على حضرموت، فأسست على غراره أندية وجمعيات لا تقل شأناً عنه.

ومن الأنشطة الأدبية للأستاذ في النادي: مشاركته في إلقاء المحاضرات التثقيفية والتوعوية لأفراد الجالية العربية (الحضرمية)، من ذلك: محاضرة بعنوان (**حضارة الإسلام**)، ألقاها ليلة الثلاثاء ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ، (= ٥ أكتوبر سنة ١٩٣١م)، ونشرت على صفحات العدد الثالث من «**العرب**» الصادر بتاريخ: الخميس ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠هـ (تجدها في قسم المقالات).

(*) لعل الله تعالى ييسر لنا الحصول على معلومات غزيرة وواسعة عن هذا النادي، فإنه يستحق أن يكتب عنه كتاب مستقل، وقد كان شيخنا العلامة السيد محمد الشاطري رحمه الله ممن تولى إدارة هذا النادي عندما زار جزر الملايو وأقام بها أربع سنوات من ١٣٥٥ إلى ١٣٥٩هـ، وكان، حسبما أخبرني شيخنا الشاطري عليه الرحمات، في أمانة النادي حينها الشيخ الأديب علي بن أحمد بالربيعة الشبامي (ت ١٣٨٢هـ) سكرتير مؤتمر الإصلاح الحضرمي، والذي كان تبناه، أي المؤتمر، ولي عهد السلطنة القعيطية السلطان صالح بن غالب القعيطي في عهد أخيه عمر، وكان من أمره ما كان، مما ستأتي الإشارة إليه في الفصول الآتية.

من فعاليات جلسات النادي العمومية:

كان الأستاذ بافقيه عضواً في النادي منذ وقت مبكر عقب استقراره في سنغافورا، وترقى في عضويته حتى رشح (وللمرة الثالثة) معاون سكرتير أول للنادي، حسب التقرير التالي الذي نشر على صفحات العرب في عددها (٤٧) الصادر بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٣٥١هـ (٢٦ أغسطس ١٩٣٢م):

«انعقدت الجلسة العمومية للنادي الأدبي العربي بداره رقم (١١٤) ـ تنجوغ كاتوغ رود، ليلة الثلاثاء ٢٢ أغسطس الجاري (= ١٩ ربيع الثاني)، بحضور عدد وفير من أعضائه، فقرئ محضر الجلسة العمومية السابقة، وصودق عليه، ثم قدمت ميزانية النادي لغاية آخر جون ١٩٣٢م فصودق عليها، ثم عرض التقرير الإداري المنشور في غير هذا الموضع، ثم انتخبت الهيئة الإدارية الجديدة، فأسفرت النتيجة عن انتخاب حضرات:

١. السيد إبراهيم بن عمر السقاف (رئيساً) وقد أعيد ثانياً.
٢. السيد عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد (نائب الرئيس) وقد أعيد ثالثاً.
٣. السيد حسين بن علي السقاف (سكرتيراً) وقد أعيد ثالثاً.
٤. السيد أحمد بن عمر بافقيه (معاون سكرتير، أول) وقد أعيد ثالثاً.
٥. السيد أبوبكر بن عبدالقادر بن يحيى (معاون سكرتير، ثان).
٦. السيد محمد بن أحمد بن شيخ الكاف (أمين صندوق).

(٧- ١٢) السادة: محمد بن سالم الحبشي، الدكتور حسن بن علوي الجنيد ـ وقد أعيد ثانياً ـ أحمد بن محمد الجنيد ـ وقد أعيد ثانياً ـ، الشيخ عمر بن محمد الشبلي، السيد محمد بن حسن ابن شهاب، السيد سالم بن حسين السري ـ وقد أعيد ثانياً ـ: مستشارين».

بافقيه في حفل تكريم الشيخ عفيفي:

في يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأول ١٣٥١هـ (١٩ يوليو ١٩٣٢م)، أقيم حفل تكريمي للشيخ يحيى بن أحمد عفيفي[١]، من أعضاء النادي الأدبي العربي، بمناسبة حصوله على لقب (جيه. ڤي = J.V) من حكومة سنغافورا، وتكلم في تلك الحفلة عدد من أعيان سنغافورا، منهم: السيد عبدالرحمن بن جنيد الجنيد، والسيد محمد بن حسين الكاف، والشيخ عمر الشبلي، والشيخ علي بن محمد الشبلي، والسيد صالح بن علي الحامد، والأستاذ بافقيه، ثم تكلم المحتفى به وشكر الحضور، وهذه كلمة الأستاذ بافقيه، وقد ألقاها نيابة عن إدارة النادي، فكان أول متحدث في الحفل:

«بكمال الابتهاج أقوم بالنيابة عن إدارة النادي الأدبي العربي الموقرة، في إبداء عواطفنا الرقيقة، وشعورنا السامي، وسرورنا العظيم، نحو حضرة المحتفى به، ذي الهمة العالية، والعزم الماضي، والذكاء الخارق، العربي الصميم، الشيخ يحيى بن أحمد عفيفي، إزاء ما أولته الحكومة عن جدارة واستحقاق رتبةَ (جيه. ڤي)، ولست في مقامي هذا، وبكلمتي هذه، بمقدم لكم رجلاً مجهولاً لا يعرف، أو نكرة لا تتعرف، فكلكم يعرف ما له من أعمال جليلة، وعزمات جبارة، وأياد عظيمة، ولولا ذلك لما تحصل على هذه الرتبة الفخيمة.

إن أدق الموازين التي تعرف بها مقادير الرجال وفضائلهم، هي بلا شك موازين تلك الحكومات الحكيمة اليقظة، فمن ثقلت عندها موازينه، ورضيت عنه، وأكدت ذلك وايدته برتبة كالرتب التي منت بها على محتفانا المكرم، فقد ظفرت بشهادة عظيمة، من مصر جليل،

---

(١) من أخبار هذه الشخصية: ما جاء في العدد (٤٥) من «صحيفة العرب»، الصادر بتاريخ ٩ ربيع الثاني ١٣٥١هـ (١٢ أغسطس ١٩٣٢م)، (ص ٥): إعلان عن عقد اجتماع لجمعية دافعي الضرائب في سنغافورا، وكان الشيخ عفيفي من الأعضاء المنتخبين، ومعه من العرب: الشيخ عبدالله بن سالم بن طالب، وثمانية آخرون غير العرب، وهذه الجمعية: أسست للدفاع عن مصالح دافعي الضرائب لمناسبة قرار البلدية في مسألة الضرائب.

على أنه من علية القوم، وأفذاذ الرجال. فلتحي أبا يحيى، وهنيئاً هنيئاً، وبخ بخ، فقد تسنَّمْتَ غاربَ المجد، وامتطيتَ صهوة العز، وسُرَّت أحبابُك بما نلت.

إن نادينا الموقر؛ ليعد نفسه فخوراً بنيل حضرة المحتفى به هذه المرتبة السامية، حيث أنه عضو من أعضائه، فإذا ما نال عضو فخاراً، فما هو إلا فخر للنادي، قبل أن يكون فخراً لشخصه. وإن حفلتنا التكريمية، وإن كانت متأخرةً عن الحفلات السابقة، فإنا موقنون بأن حضرة المحتفى به، سيعدها -من حيث مغزاها- أعظم وأفخر من سواها، إذ هي بمثابة تكريم موجه من العرب الذين يتشرفون بالانضمام إلى عضوية هذا النادي، وهم الذين يمثلون عليتهم.

فنحن نهنئك من صميم قلوبنا بهذا الفخار العظيم، ونتمنى لك مستقبلاً باهراً زاهراً، وعيشاً سعيداً حميداً، ونؤمل أن يكون لأبناء جنسك خاصة وللمسلمين عامة الحظ الأوفر من زكاة جاهك وقربك من أولي الأمر والشأن هنا. فعسى أن يدركوا بواسطتك بعض مطاليبهم الإصلاحية، التي طال عليها الأمد، وهي أفكار لم تبرز إلى حيز الوجود، لعدم وجود القائد الكفء الذي يأخذ بأيديهم، ويرشدهم كيف يلجون أبواب الإصلاح. وفقك الله لما فيه صلاحك وصلاح المسلمين، وصلاح قومك الناطقين بالضاد»[1].

بافقيه يستقبل البعثة الزراعية المصرية؛ ١٩٣٣م:

جاء في تقرير البعثة الزراعية المصرية التي زارت أرخبيل الملايو أواخر سنة ١٩٣٣م، أنه عند قدومها إلى سنغافورا في نوفمبر من تلك السنة، وجدوا في مطارها وفداً لاستقبالهم مكوناً من السيد إبراهيم بن عمر السقاف، وابن عمه السيد حسين بن علي السقاف صاحب «**العرب**»، ومعهما الأستاذ أحمد بافقيه رئيس تحرير «**العرب**».

---

(١) بقية وقائع الاحتفاء في «صحيفة العرب»، العدد (٤٣) الصادر بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٣٥١هـ موافق ٢٩ يوليو ١٩٣٢م.

وكانت هذه البعثة قدمت إلى سنغافورا في إطار تبادل الخبرات الزراعية بين حكومة هولندا إبان احتلالها للملايو، وبين الحكومة المصرية، وكانت نتائجها مثمرة، وقد دوَّن أحد أعضاء البعثة وهو الأديب الأستاذ إبراهيم عثمان وقائع رحلته بالتفصيل في كتاب حافل بالأخبار والأحداث، وموثقاً بالأرقام والتواريخ والأسماء، ما يعد مرجعاً لا يغفل عنه من أراد الكتابة عن تاريخ العرب في المهجر الملايوي في تلك الحقبة من الزمن(*).

* * *

(*) إبراهيم عثمان، «بعثة زراعية إلى جاوة وسنغافورة وسيلان» (ص١٠٢).

(٥)

«صحيفة العرب»

والدور الريادي الذي اضطلعت به طوال فترة صدورها

(١) ملامح تأثير «صحيفة العرب» في المهجر الملايوي

هناك عدد من المقالات التي كتبت بأقلام بعض الشباب الناهضين، من مهاجري الحضارمة في أرخبيل الملايو، أبدوا فيها إعجابهم وسرورهم البالغ بظهور «**صحيفة العرب**»، التي عبرت عن الكثير من آرائهم، ومثلتهم في ذلك الوسط الأعجمي، فكانت بمثابة الهوية الناطقة والمقروءة لهم في تلك الديار، وهذه ثلة من تلك المقالات، أردت بإيرادها إثراء الموضوع، وتعزيز مادته.

السيد أبوبكر بن يحيى يشيد بالعرب:

في **العدد الثاني** منها الصادر بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى ١٣٥٠هـ (٨ أكتوبر ١٩٣١م)، كتب الأستاذ تحت عنوان «جواب مفتوح، ما نصه: «جاءنا من الأديب الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي:

سيدي محرر «**العرب**» الغراء تحيةً واحتراماً

استلمت (**العدد الأول**) من «**صحيفة العرب**»، فوجدت فيها البلسم الشافي لقلبي المكلوم، ووجدت فيها الماء الزلال الذي طالما تمنيت وروده، وضالتي التي كثيراً ما نشدتها، فللعرب ومحرريها ومديرها جزيل الشكر، وعظيم الامتنان، ورجائي منكم أن تعدوني مشتركاً في جريدتكم لمدة سنة، ابتداءً من العدد الأول المؤرخ ١ أكتوبر سنة ١٩٣١م إلى ٣٠

سبتمبر سنة ١٩٣٢م.

«**العرب**»: نشكرك حضرة الأخ على ما أعربت عنه نحو صحيفتنا من حبك لها، ورغبتك الاشتراك فيها، وسنعدك مشتركاً كما طلبت ..»، إلخ.

باشراحيل يعرب عن فرحه بظهور «العرب»:

وفي **العدد الثالث** الصادر بتاريخ الخميس ٣ جمادى الثانية ١٣٥٠هـ (١٥ أكتوبر ١٩٣١م) وفي الصفحة الثالثة منه، جاء هذا المقال وهو بقلم من عرف نفسه بلقب (باشراحيل) ولم يفصح عن اسمه الكامل، وعنوانه (باتوفهت) ـ منطقة بين ولايتي جوهور وملاكا (ماليزيا حاليا) ـ وعنوان مقاله:

إلى الميدان يا معشر الشباب

من مدة من السنين أرتل آيات الترجي لعل الله أن يأخذ بأيدي أحد إخواننا الحضارم إلى ما فيه النفع لإخوانه ووطنه، وأتمنى أن يكون منا معشر الشباب.

فلبثت تلك المدة في انتظار ظهور بعض من ذلك الرجاء، وقد كاد اليأس يتسرب إلى نفسي، غير أنه من رحمة المولى الكريم وفق السيدين الشريفين ذوي الغيرة العربية، الذين تفرعا من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء: الصحافي المفضال أحمد بن عمر بافقيه، والذي لا يزال يدأب في مصالح إخوانه المسلمين عموماً وإخوانه الحضارم خصوصاً السيد حسين بن علي السقاف، إلى هذا المنهج المستقيم.

فبكل فرحي وسروري أبدي لهما جميل شكري، وأوجه خطابي إلى جميع شباب الحضارم بقولي: أيها الشباب؛ استيقظوا من سباتكم العميق، وتقدموا إلى ميدان العمل، ودعوا التأخر، وليشد كل منكم ساعد أخيه، وليبد ما يراه صالحا له، وإياكم والخزعبلات، وكونوا من المسلمين الذين سلم الناس من بذاءة لسانهم، ومن رأى منكم منكراً فليغيره بيده، ومن لم يستطع فليبد ما عنده بنشر المقالات في الصحف والجرائد على أي أسلوب

شئتم، فمن استطاع بفصيح اللغة فذلك المراد، ومن لم يستطع فبأي أسلوب شاء، وقد ابتدأت وأخذت صولجاني، وتقدمت إلى الميدان أجول به، وبعد هذا المقال سألتفت إلى لغة التخاطب ممتثلاً لأمر المحرر، وتشجيعاً لمن أراد التقدم إلى هذا الميدان، فدونكم والميدان، وإياكم والتقهقر.

باتوفهت ٥ أكتوبر ١٩٣١ باشراحيل».

«العرب»: «وصلتنا هذه الكلمة التي تنم عن إخلاص كاتبها لبني وطنه، وحبه لطرح رداء الخمول، وذلك ما حدانا إلى نشرها، وإلا فليس من شأننا حب الأماديح، وما نقصد بعملنا غير خدمة بني الوطن.

وقد فهم الكاتب الغيور كما يبدو لنا من قوله: «ومن بعد هذا المقال سألتفت إلى لغة التخاطب..» الخ، أننا سننشر المقالات التي باللغة بالعامية البحتة، وليس الأمر كذلك، وإنما رمينا بقولنا في كلمتنا الافتتاحية: «أما أسلوبها في الكتابة فسيكون أقرب إلى لغة التخاطب ..»، إلى أننا لن نتعمق ونتطلب الكلمات التي تخفى على الكثير، وقد قلنا: (أقرب إلى لغة التخاطب)، ولم نقل نفس لغة التخاطب، ونحن نشكر الكاتب الكريم على حسن ظنه بنا شكراً جزيلاً».

احتفاء صحف الملايو بالعرب:

في الصفحة السادسة من العدد السادس الصادر بتاريخ ٢٤ جمادى الثانية ١٣٥٠هـ (٥ نوفمبر ١٩٣١م)، جاء هذا الخبر تحت عنوان: (**كلمة صحيفة «بنتئ تيمور»**):

«نشرت صحيفة «بنتئ تيمور» التي تصدر ببتافيا باللغة الملايوية والأحرف اللاتينية كلمة عن عرب سنغافورا، ننشر ترجمتها فيما يلي:

النهضة العربية بسنغافورا

الشعب العربي بسنغافورا قد أخذ الآن ينهض لترقية المعارف

والعلوم، وقد قرروا عقد اجتماعات دورية بناديهم المسمى (النادي الأدبي العربي)، لإلقاء المحاضرات الاجتماعية والاقتصادية المفيدة لمجتمعهم.

وقد أصدروا الآن بتلك المدينة صحيفةً عربيةً أسبوعيةً أسموها «العَرب»، توظف في تحريرها وتنظيمها: **السيد أحمد بن عمر بافقيه**، الذي ظهرت براعته في الأدب العربي.

«**العرب**»: نشكر هذه الصحيفة الغراء لتنويهها بصحيفتنا، وحسن ظنها بنا، ونرجو أن يكون عرب المهجر عند حسن ظن الناس بهم».

قصيدة في تحية «العرب» وصاحبها:

في عددها العاشر الصادر بتاريخ ٢٤ رجب ١٣٥١هـ (٣ ديسمبر ١٩٣١م) نشرت «العرب» قصيدة جميلة لأحد قرائها الكرام، أشاد فيها بدور وجهود الصحيفة في نشر العلم والفكر والثقافة الأصيلة، وجاء في ديباجتها:

«نحلي عقد «**العرب**» بهذه القصيدة البليغة، التي تكرم بها حضرة الفاضل الأديب السيد أحمد **بن محمد بن حامد السقاف**[1]، تحية ببروز هذه الصحيفة، مع مزيد الشكر وخالصه لحضرته»:

---

(١) عاش في مدينة **الصولو** بجاوا الغربية، وبها توفي سنة ١٣٦٢هـ، «**التلخيص الشافي**» (ص ٩١)، وهو أحد ثلاثة إخوة للسيد عبدالله بن محمد مؤلف تاريخ الشعراء الحضرميين الذي هو أشهرهم. وهو ممن يستدرك على «تاريخ الشعراء»، والعجب من أخيه السيد عبدالله كيف لم يذكره أو يشر إليه في كتابه! مع أنه ترجم لأناس أقل منه شاعرية، بل ترجم لأناس لم يقولوا في حياتهم سوى عشرة أبيات فقط! وهذا أخوه شاعر وأديب وممن يدخل في شرط كتابه.

البشرى بإقبال «العرب»

جاءت البشرى بإقبالِ العربْ ... وبعلياهم بإيجاد «العربْ»
نشرةٌ طيبةٌ طاهِرة ... سلكت في النقدِ منهاجَ الأدبْ
ترشِد الشعبَ وتهديهِ إلى ... ما به يحيا ويعلو في الرتَبْ
وإلى الأُلفةِ تحدُوه وتَد ... عُوه لاستردادِ ما منه ذهَبْ
ومع الإخلاصِ تُبدي رأيها ... في شؤون الشَّعبِ من غير وَرَبْ
فبِهَا كَم من مقَالٍ قيِّم ... مُطربٍ يبعثُ للقاري العجَبْ
حينما طالعتُ منها عَددا ... سرَّني إنشاءُ من فيه كتَبْ
هكذا يا أهلَ بيتِ المصطفى ... أيَّدوا الحقَّ أزيلوا للريَبْ
بافقيهُ الشهمُ أعني أحمدا ... **وحسينُ ابنُ علي ذي الحسبْ**
منحةً عظمى منحتُم شعبكم ... قربةً والصحْفُ من أغلى القرَبْ
من معينِ العلم تستسقونَ ما ... تنشرُونَ وخِضَمٌّ من أدبْ
(سنغافورا) بلدةٌ عامرةٌ ... وبها الأحرارُ من نسل العربْ
بزغتْ (نهضتُنا) من بينهم ... فلهم شُكرٌ علينا قد وجَبْ
أيها الساداتُ والأمجادُ يا ... من لهم كل كريمٍ قد أحبْ
نعْمَ هذي خطةٌ أنتم عليـ ... ـها وتبَّت يدُ ذي زيغ وتبْ
ودخيلٌ لم نكن نعرفه ... بيننا للهدمِ في المجدِ انتصَبْ
وطريدٌ لم يجد من دونِنا ... من يلبِّيه وأعياهُ الطلبْ
قد تلقَّاه فريقٌ لم يكن ... واسعَ الفكرِ، على الرأسِ انقلبْ
ليس من يصدُق في أقوالِه ... مثلُ همازٍ إذا قالَ كذبْ
أو كعاوٍ أينما سارَ عوَى ... وعلى مستقبَحِ الألفاظِ شَبّ
لا يحبُّ الحقَّ والصدقَ ولا ... يرتضي إلا لشتمٍ أو لسَبْ

وإذا المـــرءُ تـــولاه الهـــوَى ... قلبُه الأعمَى عن النصحِ احتجبْ
قاتـلَ الله ذوي الأغـراضِ إنَّـــ ... ـــهمُ هـم أحـدَثوا ذاكَ الشـغبْ
حسـدًا مـنهم يبثُّـونَ العِـداءْ ... بـين شـعبٍ لم يكـن قبـلُ شُـعَبْ
بضلالٍ لا (هـدَى) قـد شرعـوا ... منهجاً من أجـلِ تفريـق العَـربْ
يبتغـــونَ المـــالَ بالإيقـــاعِ في ... مـن لهـم أنصـعُ مجـدٍ ونسَـبْ
قل لهم: خبتُم وأكْـدَى سعيُكم ... إنـــما يلمـــع بالحـــكِّ الـــذهبْ
واعلمُوا أنَّا اصـطلحنا وانمحَـى ... ما مضى- فاستأنِفوا هـذا الخبَـبْ
وارجِعُوا الأعقابَ عنا واتركُـوا ... نَـا فـإنّ الأمـنَ بالصـلحِ استتبْ
كلَّ شعبٍ من شعوبِ الشَّرق قد ... قامَ بالسـعيِ، مـن الهجعَـة هَـبْ
أيـــدَ الله بنصـــرٍ بَـــاهرٍ ... كلَّ من حـامَى عـن الـدِّينِ وذَبْ

(٢) مدى تأثير صحيفة «العرب» في الوطن العربي

لا شك أن «**صحيفة العرب**» وبعدها السلام كان لها أثر كبير وبالغ في المجتمع العربي والحضرمي بالأخص، كما أن دورها لم يقتصر على المهجر وحده فحسب، بل إنها بما حـوت من مواضيع حساسة، ومقالات مفيدة ونافعة، وقد تفاعل معها عدد من الكتاب والمثقفـين البارزين في جنوب الجزيرة العربية.

ولن أطيـل في سرد الشـواهد، وتحليـل وتتبـع المقـالات والحيثيـات، فـذلك الأمـر يستدعي كتاباً مستقلاً، ولكني أكتفي بتسليط الضوء على شخصـين كـان لهـما شـهرة أدبيـة واجتماعية كبيرة في الجنوب العربي آنـذاك، يشـتركان مـع الأسـتاذ بافقيـه في عـدة عوامـل شخصية ونفسية واجتماعية، **وجميعهم**: يتوقون إلى الإصلاح، والنهضة، والرقـي بـالوطن، والعمل على رفع مستوى الثقافة والتعليم، وبعث جيل مسلح بـالعلم، وإيجـاد ناشـئة عـلى

مستوى من **الثقافة العربية الإسلامية**، تقوم بدورها المستقبلي في التثقيف والتعليم، وإنقاذ مجتمعاتها من حومة الجهل والتقليد الأعمى.

أحدهما: هو الشاعر الكبير الأستاذ **علي أحمد باكثير**[١]، **والثاني**: هو الأستاذ **محمد علي لقمان**[٢]، الكاتب والأديب العدني المعروف، رحمهما الله.

كانت شخصيته باكثير الطمّاحة إلى الإصلاح والتأثير على الرأي العام، تدفعه إلى الاطلاع على كل صغيرة وكبيرة، والى مراقبة الحركة الفكرية والثقافية، ليس في وطنه (حضرموت) وحده، بل في عموم الوطن العربي أجمع، فكان عضواً فاعلاً وكاتباً مشاركاً في العديد من الصحف والمجلات السيارة.

وبعد أن غادر باكثير موطنه ومسقط رأسه مدينة (سيون) بوادي حضرموت، أقام برهةً من الزمان في مدينة عدن، حيث ملتقى العديد من التيارات والأفكار.

وفي عدن تعرف برجال النهضة ورواد الإصلاح، لقي شباباً طموحين، وجد فيهم بغيته، من حب للعمل، ونبذ للكسل، وعشق للمعالي، ومن بينهم: الأديب الناشئ **محمد علي لقمان**، الذي أعجب به باكثير أيما إعجاب، كما يظهر جلياً من سطور الرسالة الآتية، وكانا يكتبان المقالات المحررة، ويبعثان بها إلى عدد من الصحف المرموقة آنذاك، كالفتح

---

(١) **علي أحمد باكثير**، شاعر حضرموت الأكبر في عصره، وأشهر أديب حضرمي برز على مستوى الوطن العربي، ولد في سورابايا بإندونيسيا سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)، ونشأ في مدينة سيون مسقط رأس أسرته، وتخرج في مدرسة النهضة بها، ثم غادر إلى مصر وعاش بقية حياته بها، يعد رائداً في فن الشعر المسرحي، ترك العديد من الأعمال الأدبية، وشعراً كثيراً، توفي بالقاهرة سنة ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م).

(٢) **محمد علي لقمان**، من مواليد مدينة عدن، أديب، محام، سياسي، يعد من رواد النهضة الأدبية في عدن، وأول عدني احترف المحاماة، أصدر في عام ١٩٣٢م كتاباً بعنوان «**تقدُّم الغرب وتخلفُ الشرق**» وكان الأميرُ شكيبُ أرسلان معجباً به، كتب في عدد من الصحف المصرية، ثم أصدر في عدن صحفاً عربية وإنجليزية، وترجم روايات عن الهندية، توفي بمدينة جدة قادماً للحج عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م).

لصاحبها محب الدين الخطيب، والشورى لصاحبها محمد علي الطاهر، وغيرهما من الصحف، وكانت العرب من الصحف التي استهوتهما، ونالت من إعجابهما، فكان لهما معها شأن وتاريخ.

ولماذا العرب؟

لقد بدأت «**صحيفة العرب**» بدايات قوية، فتفاعلت مع عصرها وبيئتها، وعالجت عدداً من المشاكل الاجتماعية، وأهمها ـ في ذلك الوقت ـ قضية العلويين والإرشاديين، التي نجمت جراء سوء تفاهم حدث بين الإخوة والأقارب والأصدقاء، فكانت له آثاره السلبية الكثيرة، وتحدث عنه الشرق والغرب.

وكان الغيورون من أبناء حضرموت يسوءهم ما حدث لإخوانهم، ذلك الأمر الذي عكر الصفو، وأثار النعرات الميتة، وأشعل نار الفتنة، وكانت «**العرب**» حريصة ضمن رسالتها وأهدافها الصحافية على إخماد ذلك الأوار الذي تطاير شرره، وطفا على السطح عجره وبجره، والحديث عن هذه القضية ذو شجون.

رسالة باكثير إلى بافقيه:

هذه الرسالة من الأستاذ علي باكثير، معبرة أي تعبير عما يجول في قلب كل غيور وكل محب للإصلاح وجمع الشمل بين الإخوة، وأهل الوطن الواحد.

الحمدلله من عدن إلى سينغافورا في ٥ ربيع الثاني ١٣٥١ هـ.

«إلى حضرة اللبق الأديب المهذب، السيد أحمد بن عمر بافقيه، محرر «**صحيفة العرب**» الغراء.

سلام الله يغشاك، وتوفيقه يسدد خطاك، ما دمت خادماً لوطنك وقومك، وللعرب والإسلام. **وبعد؛**

فإني معجب كل الإعجاب بجريدتك الغراء، وبخطتها القوية، الطاهرة من السب والشتم والهمز واللمز، مما ينشده كل محب مخلصٍ لأبناء حضرموت، أمينٍ في خدمة العرب والمسلمين عامة، وقد كتبت إليك رسالتي السابقة المصحوبة برثاء شاعر النيل تحت هذا التأثير(١).



صورة مصغرة لرسالة باكثير بخطه

وإني الليلة بكل سرور أزف إلى حضرة محرر العرب شهادة لها قيمتها، من رجل نابه الذكر، غير مجهول القدر، معروف بخدماته الكبيرة، وغيرته العظيمة، وجهاده المتواصل، وصوته الرنان في سبيل القضية الكبرى، قضية العرب، فالإسلام، فالشرق. ذلك هو الأستاذ النابغة، **محمد علي لقمان**، صديقي العزيز، وحسبي صداقته فخراً وشرفاً.

قال لي ـ ونحن نتصفح عدداً من «**العرب**»: إني أنتظر لـ«**العرب**» مستقبلاً عظيماً، ونجاحاً كبيراً، متى استمرت على خطتها من الاعتدال، ونزهت صفحاتها من التلوث بأقذار السباب والشتائم الجارية بين فريقي العلويين والإرشاديين، وأتمنى لو أنها تلتزم الحياد التام، ولا تميل إلى فريق دون فريق، وتسدي النصائح للعموم، وتخص العلويين

---

(١) مطلع هذه المرثية:

رفع الشعر وانطوى الإلهام　　إذ ثوى حافظ عليه السلام

نشرت في «**صحيفة العرب**» العدد (٤٧) بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٣٥١هـ (٢٦ أغسطس ١٩٣٢م)، وتاريخ إرسالها: ٢ ربيع الثاني من نفس السنة، وعدد أبياتها (٦٠) بيتا.

بمزيد الحث على التسامح مع إخوانهم الإرشاديين، والعمل على إزالة كل ما يوهم عدم المساواة، مما لا يتفق مع روح العصر اليوم. وأنا الكفيل بأن سيسمع صوت «**العرب**»، وتوفق إلى ما ننشده من الإصلاح الخاص والعام، وما ذلك على «**صحيفة العرب**» ببعيد.

وأنا بدوري أؤمل من العرب أن تجعل هذا أساساً تبني عليه، ونبراساً تهتدي به، وهي على كل حال هادية.

وترون بطي هذا قصيدة نظمتها تحية لإخواننا الناهضين بـ(أديس أبابا) بالحبشة، بمناسبة قيامهم بتأسيس مدرسة إسلامية، أنفقوا عليها من جيوبهم الخاصة، واستطردت إلى البكاء على حال إخواننا العرب بجزائر الهند الشرقية، فعسى أن يروق لديكم نشرها في جريدتكم. **ختاماً** تفضلوا بقبول سلامي وسلام صديقي الأستاذ **محمد علي لقمان**، وبهذا ...[1] الأستاذ كتاباته القيمة في جريدتكم، وأنتم تعرفون ...[1] مثل هذا الفاضل، ودمتم.

المخلص **علي أحمد باكثير**[*]».

تفاعل بافقيه مع مشاعر باكثير ولقمان:

بعد العودة إلى صفحات العرب المتوفرة بين يدي، وجدت أن العرب نشرت في صفحات عددها (٣٧) الصادرة بتاريخ ١٢ صفر ١٣٥١هـ، مقالاً صغيراً في نصف عمود للأستاذ لقمان، يوضح فيه ما زوّرته عليه بعض الصحف العربية الصادرة في سنغافورا[٢]،

---

(١) كلمات غير واضحة في الأصل.

(*) أتحفني بهذه الرسالة د.محمد أبوبكر حميد، وهي مستلة من كتاب عنوانه «**وثائق المرحلة اليمنية من حياة علي أحمد باكثير، في حضرموت وعدن**».

(٢) وهي «**صحيفة الهدى**» لصاحبها عبدالواحد الجيلاني الهندي، الذي كانت صحيفته مثاراً لجدل كبير في الأوساط الإسلامية، بسبب إسفاف صاحبها، وإغراقه في الهجوم على الأعيان، والتهكم بالدين في أحيان كثيرة، وقد تصدى للرد عليه جماعة من كبار العلماء، على رأسهم الإمام العلامة علوي بن طاهر الحداد، ومقالاته توجد في «**صحيفة العرب**».

وهذا يدلنا على أن الأستاذ لقمان كان على صلة بـ«**صحيفة العرب**» ومحررها أستاذنا بافقيه من قبل تحرير باكثير لتلك الرسالة بمدة غير بعيدة. كما نشرت العرب لباكثير، في عددها (٣٩) الصادر ٢ بتاريخ ٦ صفر ١٣٥١هـ قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

تحية لعميد العرب حاميها　　من حضرموت إلى لوزان أهديها(*)

والتي أهداها لعطوفة أمير البيان شكيب أرسلان(١)، وكانت «**مجلة الفتح**» لمحب الدين الخطيب قد حازت قصب السبق في نشرها في عددها (٢٩٦) الصادر بتاريخ ٥ صفر ١٣٥١هـ (٩ يونيو ١٩٣٢م)، فنقلتها «**العرب**» عن «**الفتح**». وكتب الأستاذ بافقيه هذه الديباجة قبل القصيدة:

> «قرأنا في صحيفة الفتح الزاهرة، القصيدة التالية البليغة، لشاعرنا المبدع صاحب التوقيع، نظمها اعترافاً بمنن الأمير شكيب أرسلان على العالم الإسلامي، فأدى واجباً عن الأمة الحضرمية، فاستحق منها الثناء والشكر، ولذلك أحببنا نقلها عرفاناً للناظم بفضله».

لقد كان الأستاذ بافقيه يشجع كل قلم لأديب أو كاتب حضرمي، وليس باكثير بالرجل الذي تخفى شهرته أو سمعته، وهو الذي أصدر مجلة التهذيب في سيون قبل ذلك بسنوات، وطارت سمعته عبرها في الآفاق.

بعد ذلك، وفي العدد (٤٥) الصادر بتاريخ ٩ ربيع الثاني ١٣٥١هـ، وقبل أن يكتب باكثير رسالته، يطالعنا ذلك العدد بكلمة صدرت بها افتتاحيته، كانت بقلم الأستاذ محمد

(*) توجد كاملة في ديوان باكثير «**أزهار الربا في شعر الصبا**» (ص ٢٣٤).

(١) زعيم عربي كبير، من أبرز رجال الفكر والسياسة في القرن الرابع عشر الهجري، مولده بالشويفات بلبنان سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧١م)، عاش مدة طويلة في لوزان بسويسرا، له عدة أعمال تاريخية واجتماعية وإصلاحية هامة، أجلها كتابه «حاضر العالم الإسلامي»، توفي بجنيف سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٦م).

علي لقمان، وعنوانها «**إلى عرب جاوة**»، وكان لهذه الكلمة آثار وتوابع، فعقب عليها الأستاذ باكثير في ثلاث حلقات في أعداد متفرقة. وفي نفس العدد نجد الأستاذ بافقيه ينعي إلى عرب المشرق الأقصى شاعر النيل حافظ إبراهيم، كما سيأتي ذكره في المقالات.

وفي العدد الذي يليه (٤٦) الصادر بتاريخ ١٦ ربيع الثاني ١٣٥١هـ، أي بعد ١١ يوماً فقط من كتابة باكثير لرسالته، نقرأ في الصفحة الرابعة خبراً قصيراً يقول:

«وصلتنا قصيدة في رثاء شاعر النيل، لشاعرنا المجيد علي باكثير، ومقالات للأستاذ محمد علي لقمان، ورسائل أخرى، فإلى العدد القادم».

إذن فرسالة باكثير كانت لها خلفيات وأبعاد ظهرت بما أبديناه من تتبعنا لحيثيات تلك الفترة. وفي نفس العدد نقرأ «**قصيدة**» للقمان قالها بمناسبة المولد النبوي في ١٢ ربيع الأول ١٣٥١هـ، ومطلعها:

نور تألق فاختفى القمران ... وبدا رسول الله للأكوان

وفيها يقول:

يا مسلمينَ تنبهوا من نومِكم ... إن الأعادي مِنكمُ بمكَانِ
فإلى متَى هذا السباتُ إلى متَى ... قد آنَ صدُّ ثوائرِ العُدوانِ

أما قصيدة باكثير التي ذكرها في رسالته، والتي خص بها العرب الحضارمة في الحبشة، فقد تأخر الأستاذ بافقيه عن نشرها، فما كان من باكثير إلا أن بعث بنسخة أخرى منها إلى «**مجلة الفتح**»، فنشرت بها، عقب ذلك بادر الأستاذ إلى إعادة نشرها في «**صحيفة العرب**» في العدد (٥٥) الصادر بتاريخ ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٥١هـ، وصدرها معتذراً بقوله:

«أرسل إلينا حضرة شاعرنا المجيد الشيخ علي بن أحمد باكثير القصيدة الآتية منذ أمد غير قصير، ولما كان من دأبنا أن نقدم في النشر ما له علاقة بمناسبة أو زمن، وما تزول أهميته إذا أخر نشره، مع صغر حجم الصحيفة، فقد أخرنا نشرها حيث لا علاقة لها بزمن، ولكنا فوجئنا بنشرها في صحيفة الفتح، ولذلك نقتصر على نشر جانب منها، اعترافاً بفضل الشاعر».

ومطلع هذه القصيدة:

إلى إخواننـــــا المتديِّرينـا (أديس أبيا) سلامُ المخلصينا

وآخر مشاركة لباكثير نشرت في «**صحيفة العرب**» كانت في العدد (٥٩) الصادر بتاريخ ١٨ رجب ١٣٥١هـ، حيث نشرت له قصيدة بعنوان «نفثة شاعر! أو صدى قصيدتين[١]»، مطلعها:

لعبتْ بحبة قلبكَ الأهواءُ لمنِ القَصيدةُ تلكمُ الغراءُ

تقع في (٣٧) بيتاً، بعث بها من عدن في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٥١هـ، وبعد هذه المشاركة اختفى اسم باكثير من صفحات «العرب».

إحصاء للمشاركات الأدبية للأستاذ لقمان في «صحيفة العرب»:

ولكن **لقمان** ظلت تنشر مقالاته حتى العدد (٦٢) الصادر بتاريخ ١٠ شعبان ١٣٥١هـ، ويختفي بعد ذلك اسمه من الصحيفة، بعد أن نشرت له الآتي:

---

(١) هما قصيدتان نشرتا في «**صحيفة العرب**»، إحداهما: للعلامة السيد محمد بن حسن بن شهاب عن مساوئ المدنية الحاضرة، والأخرى: للأديب الضليع السيد صالح بن علي الحامد العلوي في وصف مناظر جاوا، «**صحيفة العرب**» (عن هامش الصفحة الثانية من العدد المذكور).

١. مقال افتتاحي بعنوان: «**إلى عرب الشرق**»، نشر في العدد (٤٥) الصادر بتاريخ ٩/ ٤/ ١٣٥١هـ، وقد علق عليه الأستاذ بافقيه تعليقاً طويلاً نشر في ثلاثة أعداد، في نفس العدد (ص ٨)، وتتمته في العدد (٥٦)، ثم في العدد (٥٨). ثم نُشر في العدد (٦٢) مقال للأستاذ لقمان بعنوان: «**تعليق على تعليق**» يناقش ما ورد في تعليقات الأستاذ بافقيه على مقاله الأول (وهذه يجدها القارئ في قسم المقالات).

٢. مقال بعنوان: «**بشائر نهضة الشرق**»، نشر في العدد (٤٧) في الصفحة السابعة.

٣. افتتاحية العدد (٥١) بعنوان: «**إلى عرب جاوا أيضاً**»، وكان تعليق الأستاذ بافقيه عليها في العدد (٥٥) في الافتتاحية أيضاً.

٤. مقال بعنوان: «**دخول العرب سنتها الثانية**»، نشر في العدد (٥٩)، الصفحة الثانية. وقد أوردناه في موضعه من هذا الكتاب.

٥. مقال بعنوان: «**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**»، نشر في الصفحة الثانية من العدد (٦١)، مؤرخ في ٣ نوفمبر ١٩٣٢م.

٦. نص محاضرة بعنوان: «**نوادي الإصلاح العربي بعدن والتواهي والشيخ عثمان**»، ألقاها الأستاذ محمد علي لقمان ارتجالاً بمناسبة الاحتفال السنوي لنادي التواهي الموافق ليوم السبت ٢٢ أكتوبر ١٩٣٢م، نشر كاملاً في العدد (٦١) أيضا.

٧. قصيدة بمناسبة المولد النبوي، نشرت في العدد (٤٦)، تقدمت قريباً الإشارة إليها، وذكرنا بعض أبياتها.

٨. مسرحية بعنوان: «**حبيب الله خان والمبشرون**»، نشرت في العدد (٥٥)، في الصفحة الثانية.

٩. رواية بعنوان: «**الشاب السكير، أو الخمر أم الكبائر**»، رواية أخلاقية واقعية تمثيلية جرت وقائعها في عدن. نشرت في الصفحة السابعة من«**صحيفة العرب**»، في عددها (٦٢)، الصادر بتاريخ: ١٠ شعبان ١٣٥١هـ.

وبهذا يتم حديثنا عن علاقة بافقيه بلقمان وباكثير، وما أثريا به الأدب والفكر من خلال مشاركتهما لإخوتهما في جنوب شرق آسيا، وإنها لصفحة مضيئة من تاريخنا الإسلامي الوضاء.

* * *

الصديق العزيز؛ السيد جعفر البار (*):



يعد السيد **جعفر بن حسن البار**، من كبار مؤسسي **حزب أمنو**، ثم صار السيد جعفر البار نائباً للأمير (**تنكو عبدالرحمن**) أول رئيس للوزراء في ماليزيا بعد الاستقلال، ومن رؤساء رابطة العالم الإسلامي في مكة فيما بعد.

و(حزب أمنو) هو اختصار لعبارة (اتحاد المنظمات الوطنية الملايوية)، ويعود تاريخ تأسيسه إلى مايو سنة ١٩٤٦م، في الفترة الأخيرة من حياة الأستاذ بافقيه في أرخبيل جنوب شرق آسيا، وأول رئيس لهذا الحزب هو (**داتؤ عون بن جعفر**)، والذي كان من أصدقاء السيد **حسين علي السقاف** صاحب «**صحيفة العرب**» مقدم الذكر، وكانا كلاهما من أعضاء نادي الروتاري، قبل أن تتبين الخلفيات السياسية والدينية لهذا النادي! وللأستاذ مقال عن هذا النادي (تجده في القسم الثاني).

صحبة قديمة:

تعود معرفة الأستاذ بافقيه بالسيد جعفر البار منذ بدايات إصدار «**صحيفة العرب**» (١٩٣١م)، حيث كان جعفر البار حينها طالباً في **مدرسة الجنيد الإسلامية** في سنغافورا، وكان له نشاط أدبي في ذلك الحين، وكتب في الصحيفة أربع مقالات في أعداد متفرقة، إليك

(*) ولد جعفر البار في جزيرة ميندناو (جنوب الفلبين حالياً)، وكان والده السيد **حسن بن حسين البار** هو الذي غادر حضرموت (القرين ـ دوعن الأيمن)، وتنقل في عدد من الأقطار، ومنها الفلبين، وانخرط ابنه جعفر في السلك السياسي في زمن مبكر، وهو من زعماء ماليزيا في العصر الحديث. كما أنه والد وزير خارجية ماليزيا الحالي، **السيد حامد بن جعفر البار**، الذي رعى وداد أبيه القديم، فزار صديقه الأستاذ بافقيه في منزله بجدة سنة ٢٠٠٠م.

عناوينها:

١. «واجبنا نحو لغتنا»، نشر في العدد (٦).

٢. «الصحافة»، نشر في العدد (١٣).

٣. «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»، نشر في العدد (١٨).

٤. «مـجلة الكويت والأغلاط الإملائية»، نشر في العدد (٣٨).

تغطي هذه المقالات الأربعة فترة ٨ أشهر، هي مدة العلاقة الصحفية بين الرجلين، لعل جعفر البار بعد ذلك كان قد تخرج في المدرسة، وبدأ مشوار حياته التي لا تتوفر لدينا تفاصيلها الآن، ولكنا نعلم أن الرجلين ظلا على علاقة ودية متينة، حتى بعد أن تسنَّم **البارُ** منصباً رفيعاً في حكومة ماليزيا، وذلك يظهر من استقبال الأستاذ بافقيه له في مصر بعد هجرته إليها في نهاية الخمسينات، كما أن زيارة ابنه وزير خارجية ماليزيا الحالي السيد حامد البار تؤكد مدى تلك الرابطة والأخوة التي لم تمت بموت جعفر البار، بل امتدت إلى ابنه الذي رعى حقوق أصدقاء أبيه، فلله دره ودر أبيه!



جعفر البار في مصر راكباً عربة الحنطور وإلى جواره صديقه **بافقيه**

* * *

الأستاذ بافقيه يحلل أوضاع الحضارمة في المهجر

ما هو الدور الاجتماعي الذي اضطلع به الأستاذ بافقيه؟ وما هي الرسالة التي أراد أن يوصلها إلى بني قومه من خلال الصحافة؟

لعلنا نجد بعض الإجابات لهذه التساؤلات من خلال المقال التالي، الذي نشر في العدد (٥) من «**صحيفة النهضة الحضرمية**» بسنغافورا، الصادر في محرم ١٣٥٢هـ (ص ٢٥)، يحلل فيه الأستاذ بافقيه حالة الشعب الحضرمي في مهجره، **وكأني به يتحدث عن واقع الحضارمة اليوم، فما أشبه الليلة بالبارحة!** وهذا المقال بعنوان:

«في الحياةِ والاجْتِماع»

ما سبب تدهورنا وإخفاقنا في مشاريعنا الاجتماعية ؟ وانحلالها في أقرب من غمضة عين وانتباهتها؟

هذا سؤال يسأله كل منا إن لم يكن بلسانه فبجنانه، لا يشذُّ من ذلك إلا الدهماء والغوغاء، أولئك الذين لا يهمهم في الحياة إلا: وضع السِّنتِ جنبَ السِّنتِ حتى يكمل ريالاً، ووضعُ الريال جنب الريال حتى تبلغ العشرات، والعشرات إلى العشرات حتى تبلغ المئات، والمئات إلى المئات حتى تبلغ الآلاف، وهكذا هلم جرًّا.

وإذ ذاك يتسنى لهم بلوغ أقصى ما تطمح إليه أنظارهم في الحياة، وهو شراءُ بيوتٍ

تغدِق عليهم البِدَر، فتح حانوت لبيع أزُرِ (الباتِيق)[١]، وهذا هو عندهم منتهى السعادة، وهو في نظرهم الحظ المواتي والسعادة المطلقة.

ذكّرنا: أن التساؤلَ عن أسباب تدهورنا وإخفاقنا في مشاريعنا، إلخ .. شائعٌ بين طبقة مفكرينا، فماذا هو الجواب؟ هذا ما أحمل نفسي على الإعراب عنه بهذا المقال، وهو جِدٌّ مهم، لأنه بمثابة تشخيص للداء في حياتنا الاجتماعية، وبديهي أن الطبيب لا سبيل له إلى إعطاء المريض الدواء حتى يشخص الداء، فيعرف جرثومته، وعند ذلك يمكنه وصف الدواء الذي يستأصل شأفة جرثومة الداء للمريض، فنحن إذا عرفنا أدواءنا الاجتماعية والشخصية، أمكننا حينئذ الدأب في استئصالها بكل ما أوتينا من وسائل.

إن الأجوبة عن السؤال المار ذكره آنفاً تذهب مذاهبَ شتى، تبعاً لآراء المجيبين، إذ النظريات لا يتفق الناس فيها على رأي واحد، ويعد اتفاقهم أقرب إلى المستحيلات، بيد أني ـ كما أرى ـ أستطيع حصر الجواب في عوامل ثلاثة، هي أسباب أدوائنا، وأدواؤنا هي نتائج تلك العوامل:

١. انتشار الجهل وفقدان وحدة التعليم والثقافة.
٢. الجبن في طائفة المفكرين مما سبب انقباعهم عن إرشاد الجاهلين والدهماء.
٣. حبنا للطفرة في مشاريعنا، مما أوجب الإخفاق ورد الفعل الأليم.

أما العامل الأول:

فلا يخفى أننا، الشعبُ الحضرمي، نتألف من طائفتين، طائفة هي الأمية أو الشبيهة بها، وطائفة أخرى توصف بالفقه والعرفان.

---

(١) وعلق المحرر بقوله: «لقد نسي حضرة الكاتب تهافتهم على شراء السيارات الفخمة وقبل كل شيء، وتشكيهم من الأزمة إذا لاح لهم شبح مشروع خيري!». «النهضة».

فالأولى ـ وهي: الأمية، أو الشبيهة بها ـ فطبيعي أن لا تفهم روح الاجتماع وثمراته، ولا تلتفت إلى المشاريع الحسنة مما يرقيها ويبوئها مصاف الأمم الراقية، إذ العلم والثقافة هما اللذان يحدوان بالإنسان إلى تفهم روح الاجتماع وثمراته، والمشاريع ونتائجها، ويشحذان عقله الذي به يمتاز عن العجماوات، ويتفهم النافع من الضار.

ولا ريب أيضاً أن رقي كل أمة ونهضتها وعقليتها، كل ذلك تبع لمقدار حظها من العلم والثقافة، فمن الخرق ـ والأمر كما ذكرنا ـ أن نحاول مثلاً بناء جمعية أو إقامة ناد على كواهل هذه الطائفة، أو نطالبها بالاشتراك في المشاريع العائدة عليها وأمتها بالنفع، لأنها لا ترى كما يظهر لعقليتها الضئيلة ثمرة من ذلك، ومن يزج بنفسه في أمر لا يتحقق من ورائه نفعاً يعود عليه؟ والناس ـ كما هو معلوم ـ عباد منافع.

عادات سلفنا الصالح(١):

وإن كنتَ في ريب مما قلتُ، فألقِ على أحدهم **هذا السؤال** مثلا لتسمع جوابه، وتستشف منه عقليتَه: لماذا لا تنضم إلى عضوية النادي العربي الأدبي؟ **فسيجيبُ عليك**: بلاشْ من جمعيات ونوادي، أيشْ حصَّلنا منها غير اللَّكاعة والخراط والمراط، وتغيير عادات سلفنا الصالح؟ أي: أن الجمعية والنوادي نقمة على المجتمع في رأيهم الفج، والخطب والمحاضرات إنما هي هباء في هباء، أو هراء في هراء. والمصيبة العظمى والداهية النكراء أنك إذا أردت إفهامهم وإرجاعهم إلى الصواب، لا تلاقي غير الإصرار، وثباتاً على آرائهم يفوق ثبات الرواسي.

الحضيض الأوهد:

ولا بأس بهذه المناسبة من أن أقص على القراء واقعة حدثت لي مع أحدهم، حين وصول صحف القاهرة حاملة أنباء حركة الطلبة لمقاطعة المنسوجات الأجنبية: **مررتُ** على

---

(١) هذه العناوين والتي تليها هي من إضافتنا، وليست في المقال الأصلي.

أحد الأصدقاء فألفيت لديه رجلاً معروفاً، يحمل صحيفة (الفتح) الغراء، فكان بيني وبينه حوار، انتهىٰ بغلبه ولا شك! سألتُه: عن «الفتح»، وما يحويه عددها الأخير، ثم ذكرت له محصل أنباء المقاطعة، فأجابني متعجباً: إنه لا ثمرة من المقاطعة، ثم قال: إنكم تريدون منا إرسال أولادنا إلى مصر، وكل ضرر وفساد هو آت من مصر، وإن الحضرميين لأحسن حالاً من المصريين، إذ هم رجال أعمال، وهذه البيوت والعمارات في سنغافورا شاهدة لهم بذلك.

وعبثاً حاولت جهدي إقناعه وإفهامه فلم أفلح، ففارقته، وهو مصر على أن الحضرمي أحسن حالاً من المصري، فأمثال هذا ـ وهم فينا كثير ـ على كونهم في الحضيض الأوهد، يخالون أنفسهم في القمة العلياء.

وأما الطائفة الثانية:

وهي التي توصف بالفقه والعرفان، فطبيعي ـ أيضاً ـ لعدم توحد ثقافتها ومعارفها، أن لا تجتمع على مشروع أو أمر من الأمور، إلا لتفترق فرقة هي أدهى وأفظع مما كانت، وذلك لتباين ثقافتها ومعارفها، الموجب لاختلاف أذواقها ونظراتها إلى الحية الاجتماعية، فإن متعلمينا ـ كما هو معروف ـ يتثقفون ويتلقون معارفهم: إما عن شيخ متشبث بكل قديم لا يؤمن بجديد، أو عن مدرسة من المدارس الإسلامية تجمع بين الصالح من القديم والجديد ـ وهي جد قليل ـ أو عن مدرسة من المدارس الأجنبية، وكل فئة من هاته الفئات الثلاث تتخرج غير متلائمة الطباع، تضاد الأخرى عادات ومشارب ومعارف وثقافة.

فهل وربك من المعقول أن تتقارب ـ بله أن تتحد ـ في وجهات النظر، التقارب الذي هو رائد النجاح وهذه حالها؟ كلا ثم كلا!

عوامل الانحطاط:

ولعل قارئاً يقول: إن ما ذكر لا يعدو أن يكون من عوامل الانحطاط، وتشخيصاً للداء، فما هو العلاج الناجع، والبلسم الشافي؟ **فنقول:** إن الدواء بعد تشخيص الداء،

والوقوف على جرثومته هو السعي لاستئصال تلك الجرثومة، فهنا يجب إنشاء نابتة مهذبة، متعلمة، متحدة الثقافة والمعارف. ويوم تحقق هذه الأمنية فإنه من الميسور ومن المضمون نجاحه: تأسيس المشاريع الاجتماعية، وغيرها، فإنها لن تخفق ولن تموت ودعائمها تلك النابتة التي تفهم روح الاجتماع، وفضل المشاريع، وتنشأ متقاربة ومتحدة في وجهات النظر. **ولكن** .. لنيل هذا المبتغى: يجب أن يسمح الأغنياء ويدعوا الشح الكريه، ويخلعوا عنهم رداء التعصب، ويبثوا المدارس الموحدة البرامج، المجارية لحاجة العصر، ويجلبوا الأساتذة والمديرين ذوي المقدرة الكافية، فهل يا ترى يفعل الأغنياء ذلك!

وأما العامل الثاني:

وهو الجبن؛ في طائفة المفكرين منا، فمن مظاهره: أننا لا نكاد نشعر بوجود فئة متعلمة فينا، لانقباعهم وسكوتهم جبناً وتكاسلاً، كأن لم يهبهم الله العلم والمعرفة، إلا ليكتنزوا تلك الموهبة في صدورهم وأذهانهم فقط، لا لأن يهدوا بها جاهلاً ضل السبيل، ويردوا متعامياً عن المهلكة إلى المحجة السوية!

لقد اقتضى نظام الكون: أن تنقسم وظائف المجتمع بين الناس بمقتضى- مؤهلاتهم، فكان من وظيفة ذوي الأموال التجارة والإحسان، ليكفلوا الحياة المعيشية، ووظيفة ذوي الشجاعة والدراية الحربية: الذود عن الحياض من كل معتد طامع، وهلم جرًّا.

وكان - بحسب ذلك النظام - وظيفة العلماء والمفكرين: القيام بإرشاد الجهلة، والوقوف في أوجه المنتهين لحرمة الفضيلة، ووظيفتهم هذه هي لأفضل الوظائف وأهمها، لكونها تحمي المجتمع من سيئات الأخلاق، والتدهور إلى مهاوي الرذيلة، والقائمون بها ولا ريب هم كذلك من أشرف الناس. **ولذلك**: فقد كان من واجب متعلمينا وذوي الآراء الحصيفة منا أن يؤدوا واجبهم المناط بهم بكل أمانة وإخلاص، ما أمكنهم، غير وجلين من مجابهة من يعارضهم من الدهماء والعامة، فهل بأبيك تراهم فعلوا ذلك؟

ليس بنا فقر متعلمين ومفكرين:

نحن بحمد الله ليس بنا فقر متعلمين ومفكرين، غير أن عدم شعورنا بوجودهم ناتج عن أننا لا نرى لهم آثاراً في المجتمع، وبديهي أن أحدا لا يشعر الناس بوجوده حتى يبرهن عليه بآثاره وأعماله. تلك نوادينا يخطب فيها البوم! وصحفنا تطلع وليس بها مقال لناصح، ورأي لمفكر، فما السبب؟ هو لا شك جبن وخمول، جبن من مس عاطفة أحد ولو بما هو واقع حقيقة. لقد تمادى المتعلمون والمفكرون منا في الصموت والتغافل، فنتج عن ذلك فوضى في الأخلاق، وانتهاك للحرمات، وفهم الأمور بعكس المقصود. أنا لا أنكر أنهم سيلاقون عند القيام بواجبهم مقاومة ومعارضة، ولكني أذكرهم: أن التاريخ لم يروِ لنا حركة إصلاحية لم تصادف من المصاعب والمتاعب ما يعوق سيرها، ومن المماحكين والجامدين من يضع العراقيل في سبيلها، وهذا ديننا الإسلامي الحنيف الذي ندين به، وهو أعظم إصلاح كان ويكون، لم ينتشر حتى رمي صاحب الرسالة ﷺ بالكهانة والجنون، وخنقوه ووضعوا السلا على ظهره حين صلاته.

رداء الجبن:

يروى أن كعب الأحبار قال لأبي مسلم الخولاني: كيف منزلتك من قومك؟ قال: حسنة. فقال: إن التوراة لتقول غير ذلك. قال: وما تقول؟ قال: تقول: إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه. قال: صدقت التوراة وكذب أبومسلم».

إن هذا العامل ـ الذي نحن بصدده ـ له الأثر الفعال في انحطاطنا وفشلنا، فإن المناط بهم الإرشاد والتثقيف قد تسبب عن سكوتهم عن الجهر بآرائهم المرشدة، ودعواتهم الإصلاحية، وإحجامهم عن إفهام الجمهور الحقائق على وجهها، فوضى الأخلاق، وفهم الدهماء والعامة لحقائق الأمور بموجب أفهامها القاصرة، الجانحة إلى الخرافات.

وعلاج ذلك: أن ينهض المفكرون والمصلحون فينبذوا جانباً رداء الجبن والاستنامة الذي ارتدوه زمناً طويلاً، ويبثوا أفكارهم وإرشاداتهم بين الجمهور بكل الوسائل الممكنة، التي من ضمنها: الصحف، والمجلات، وإلقاء المحاضرات، متدرِّعين بالصبر في احتمال المشاق، فهم إن فعلوا ذلك، فسيحمدون السُّرَى، وسيبسم لهم المستقبل عن ثغره الأشنب.

أما العامل الثالث:

وهو حبنا للطفرة، فقد تمخض عنه: إخفاقنا في كل مؤسساتنا ومشروعاتنا، لأن الطفرة ـ لمخالفتها لسنن الكون ـ ما صحبت أمراً إلا وكان الإخفاق مغبته. إن من يخترق ببصيرته حقائق الوجود، يجد أنه لا يبدو شيء على غير سنن التدرج، من ضعف إلى قوة، وصغر إلى كبر، فالنبات يبدو شفوفاً، ثم يشتد، والجنين يلفظه الرحم إلى نور الحياة ضعيفاً، ثم يقوى ويكبر، والحركات الإصلاحية، بل والممالك تظهر حقيرة ثم تتسع. وإن في قيام المملكة العباسية على أنقاض المملكة الأموية لمثالاً وأي مثال، ولكنا نريد أن نصل إلى الغرض، وأن نؤسس وننشئ على عكس سنن الكون، نريد ذلك على سبيل الطفرة، فلذا كان الفشل دوماً حليفنا. لا ريب أن علو الهمة والإقدام محمودان، غير أن الحكمة تقتضي أن نفكر في العواقب قبل الإقدام على أمر عظيم ليست بيئتنا قابلة لاحتمال أعبائه، ولقد صدق المثل الحضرمي القائل: (من خَبّ جمْ، تعِبْ جَم). والآن وقد اتضح أن لا نجاح ولا وصول إلى المرام بدون إزالة تلك العوامل.

فالواجب إذاً إجمالياً: إنشاءُ نابتة مثقفة، متحدة المنازع والمشارب، ونبذُ رداء الجبن والاستنامة من جانب المثقفين والمفكرين منا جانباً، والتذرع بالحكمة، بالأخذ بسنن الكون التدريجي في منشآتنا ومشاريعنا، وكل أمورنا». انتهىٰ.

وينتهي دور «مجلة العرب»:

كان حسين السقاف مشغولاً بعدة أعمال ووظائف، كما تقدم في ترجمته، وبعد أن

اطمأن على سير الصحيفة، وعلم أنه سلم قيادتها للرجل المناسب، انسحب بلطف تاركاً امتيازها لأحمد عمر بافقيه، الذي أحسن إدارة دفتها وسار بها في طريقها المرسوم، وكان ذلك الوضع محكاً لقياس مهاراته، فصمد وصبر، ومضى في طريقه وعمله، يبتغي النجاح لا يلوي على سواه، كما تعرف على بعض المطابع الأخرى الموجودة في البلد، منها مطبعة تدعى (مطبعة أحمد برس)[١].

ولم تمض سوى مدة بسيطة على اضطلاع الأستاذ بافقيه بشؤون إدارة «صحيفة العرب»، كما قدمنا، حتى انتهىٰ دورها، وغابت عن الأنظار، وتوقفت عن الصدور، ولم أقف على الأعداد الأخيرة منها، ولكن الدكتور الحجي ذكر أنها توقفت في يناير ١٩٣٥م[٢]. وأياً كان تاريخ توقفها، إلا أننا نعلم أن هناك فترة زمنية لا تقل عن سنة كاملة، تخللت نشاط الأستاذ عقب توقف «العرب» وقبل إصداره «السلام».

* * *

(١) وهي المطبعة التي كان يطبع بها كتاب «الشامل في تاريخ حضرموت» للعلامة علوي بن طاهر الحداد، سنة ١٣٥٩، إبان اندلاع الحرب العالمية، ثم كان الضياع الأبدي لمسودات الكتاب الأصلية واحتراقها داخل المطبعة التي أصابتها قذائف الحرب، وكان الأستاذ بافقيه يشرف على طبعه بها، كما أخبرني، وبضياع هذا الكتاب خسرت المكتبة العربية مرجعاً قيماً لا يعوّض.

(٢) يعقوب يوسف الحجي، «الشيخ عبدالعزيز الرشيد، سيرة حياته» (ص٦٤١).

وعلاج ذلك: أن ينهض المفكرون والمصلحون فينبذوا جانباً رداء الجبن والاستنامة الذي ارتدوه زمناً طويلاً، ويبثوا أفكارهم وإرشاداتهم بين الجمهور بكل الوسائل الممكنة، التي من ضمنها: الصحف، والمجلات، وإلقاء المحاضرات، متدرِّعين بالصبر في احتمال المشاق، فهم إن فعلوا ذلك، فسيحمدون السُّرَى، وسيبسم لهم المستقبل عن ثغره الأشنب.

أما العامل الثالث:

وهو حبنا للطفرة، فقد تمخض عنه: إخفاقنا في كل مؤسساتنا ومشروعاتنا، لأن الطفرة ـ لمخالفتها لسنن الكون ـ ما صحبت أمراً إلا وكان الإخفاق مغبته. إن من يخترق ببصيرته حقائق الوجود، يجد أنه لا يبدو شيء على غير سنن التدرج، من ضعف إلى قوة، وصغر إلى كبر، فالنبات يبدو شفوفاً، ثم يشتد، والجنين يلفظه الرحم إلى نور الحياة ضعيفاً، ثم يقوى ويكبر، والحركات الإصلاحية، بل والممالك تظهر حقيرة ثم تتسع. وإن في قيام المملكة العباسية على أنقاض المملكة الأموية لمثالاً وأي مثال، ولكنا نريد أن نصل إلى الغرض، وأن نؤسس وننشئ على عكس سنن الكون، نريد ذلك على سبيل الطفرة، فلذا كان الفشل دوماً حليفنا. لا ريب أن علو الهمة والإقدام محمودان، غير أن الحكمة تقتضي أن نفكر في العواقب قبل الإقدام على أمر عظيم ليست بيئتنا قابلة لاحتمال أعبائه، ولقد صدق المثل الحضرمي القائل: (من خَبّ جمْ، تعِبْ جَم). والآن وقد اتضح أن لا نجاح ولا وصول إلى المرام بدون إزالة تلك العوامل.

فالواجب إذاً إجمالياً: إنشاءُ نابتة مثقفة، متحدة المنازع والمشارب، ونبذُ رداء الجبن والاستنامة من جانب المثقفين والمفكرين منا جانباً، والتذرع بالحكمة، بالأخذ بسنن الكون التدريجي في منشآتنا ومشاريعنا، وكل أمورنا». انتهىٰ.

وينتهي دور «مجلة العرب»:

كان حسين السقاف مشغولاً بعدة أعمال ووظائف، كما تقدم في ترجمته، وبعد أن

اطمأن على سير الصحيفة، وعلم أنه سلم قيادتها للرجل المناسب، انسحب بلطف تاركاً امتيازها لأحمد عمر بافقيه، الذي أحسن إدارة دفتها وسار بها في طريقها المرسوم، وكان ذلك الوضع محكاً لقياس مهاراته، فصمد وصبر، ومضى في طريقه وعمله، يبتغي النجاح لا يلوي على سواه، كما تعرف على بعض المطابع الأخرى الموجودة في البلد، منها مطبعة تدعى (مطبعة أحمد برس)[١].

ولم تمض سوى مدة بسيطة على اضطلاع الأستاذ بافقيه بشؤون إدارة «**صحيفة العرب**»، كما قدمنا، حتى انتهىٰ دورها، وغابت عن الأنظار، وتوقفت عن الصدور، ولم أقف على الأعداد الأخيرة منها، ولكن الدكتور الحجي ذكر أنها توقفت في يناير ١٩٣٥م[٢]. وأياً كان تاريخ توقفها، إلا أننا نعلم أن هناك فترة زمنية لا تقل عن سنة كاملة، تخللت نشاط الأستاذ عقب توقف «**العرب**» وقبل إصداره «**السلام**».

* * *

(١) وهي المطبعة التي كان يطبع بها كتاب «**الشامل في تاريخ حضرموت**» للعلامة علوي بن طاهر الحداد، سنة ١٣٥٩، إبان اندلاع الحرب العالمية، ثم كان الضياع الأبدي لمسودات الكتاب الأصلية واحتراقها داخل المطبعة التي أصابتها قذائف الحرب، وكان الأستاذ بافقيه يشرف على طبعه بها، كما أخبرني، وبضياع هذا الكتاب خسرت المكتبة العربية مرجعاً قيماً لا يعوّض.

(٢) يعقوب يوسف الحجي، «**الشيخ عبدالعزيز الرشيد، سيرة حياته**» (ص٦٤١).

(٦)

بافقيه و«صحيفة السلام»

كان يوم الاثنين اليوم الأخير من شهر محرم سنة ١٣٥٦هـ (= ١٢ أبريل ١٩٣٦م) هو اليوم الذي ولدت فيه «**صحيفة السلام**»، (صحيفة عربية جامعة)، تصدر كل نصف شهر عربي وآخره.

عندما صدرت «**العرب**» كان صاحب التقديم لعددها الأول هو الناشر نفسه، أما في «**صحيفة السلام**»، فقد اختلف الوضع، فكان التقديم للعدد الأول بقلم الزعيم العربي السيد إبراهيم بن عمر السقاف (صورته إلى اليسار)، وكأني به هو الراعي الرسمي لهذه الصحيفة، أو أن الناشر أراد لصحيفته الجديدة أن تلج عالمها بقوة ودفعة كبيرة، فكان أن طلب التقديم من السيد الزعيم الثري المقدام، فكتب المقال التالي بعنوان:



السلام عليكم

«بسم الله، والحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فقد رأينا أن هذا العنوان خير عنوان لأول افتتاحية تنشر في هذه الصحيفة، ويسرنا أن نرى الظروف الحاضرة والحالة الراهنة بين حضارم المهجر مما يدعو إلى التفاؤل بروح السلام، وقد علمت أن من أهم أسباب تسمية هذه الصحيفة بالسلام: هو أن في مقدمة ما تستخدمه وتعالجه: السلم والسلام والوفاق،

خصوصاً بين قومنا الحضارم، وأنها أسست على ما علمت على هذه المبادئ الأربعة التالية:

١. خدمة الإسلام والمسلمين والثقافة العربية.

٢. خدمة العلم والسلام والوفاق، خصوصاً بين حضارم المهجر.

٣. سد الفراغ العظيم لعدم وجود صحيفة عربية في المهاجر، وهو أمر يطالب به العرب جميعهم في هذه البلاد.

٤. الكتابة في هذه الصحيفة بروح قومية صرفة، لا حزبية فيها.

وما كنت لأكتب هذه الكلمة كما طلب إلي لولا أني علمت أن هذه الصحيفة تقطع على نفسها عهدا بخدمة جميع أقوامها الحضارم ـ خدمة قومية ـ على حد سواء بلا تفريق، وبأنها تتجنب كل ما أدى في الماضي إلى سوء التفاهم والخلاف، وهذا ما أكده لي صاحبها.

فإذا كان ذلك أهم مبادئ هذه الصحيفة، فإني أراها جديرةً بالتعضيد والتأييد، فأهم ما يحتاج إليه عرب هذه الديار هو التآلف نسيان الماضي المؤلم. والواقع: أن كل ما بين قومنا في المهاجر من صلات وروابط يدعو إلى التآخي والتآلف، من دين وجنسية، بل ولحم ودم ووضعية وبلد واحد ولسان واحد. وليس هناك في الواقع ما يدعو إلى الخلاف العسير المعالجة، أما تباين الأفكار في النظر إلى الأمور، فهذا أمر طبيعي لا يضر، بل ينفع، إذا تناولوا ذلك بحسن النية واللطف.

فهذه الصحيفة إذاً صحيفة جميع الأحزاب الحضرمية، وتسد فراغاً هم جميعاً مطالبون بسده. وفي الواقع: إن العرب بهذه الديار حساسون جداً جداً، إلى درجة مضرة في الأمور التي يختلفون عليها، وهم لم يألفوا ما ألفته بعض الشعوب الأخرى من جدل شديد لا يلبث أن يزول، أو يقف عند حد.

لذلك أرى: أن ضرر النقد عند إخواننا الحضارمة أكبر من نفعه، لأنه لا يلبث أن يتحول إلى خصام، فإذا أوجبته ضرورة يجب أن يتناول بألطف ما يمكن من قول وتعبير.

وبالجملة: فأقل فوائد هذه الصحيفة أن تنشر كل ما يسديه ويعمل العرب من خير في هذه البلاد، وكل ما يجب أن يفخروا به من أعمال رجالهم وعليتهم، وهذه أمور مغبوطة لا يعلمها إخوانكم العرب في البلاد العربية الأخرى، لو لم يكن للحضارم صحيفة.

ولما كنت هذه الأيام كثير الأشغال العامة والخاصة، لم أجد من الوقت وصفاء الفكر ما يجعل كلمتي هذه في المستوى والتفصيل الذي أريده لموضوع هام كهذا الذي تناولته، لذلك أتت موجزة، ولكن لعل فيها الكفاية، وفق الله الجميع لما فيه الصالح العام».


AL-SALAAM

64, Aliwal Street, SINGAPORE.

السلام

صحيفة عربية جامعة

تصدر منتصف كل شهر عربي وآخره

السنة الأولى

يوم الاثنين ٣٠ محرم ١٣٨٦ — ١٢ أبريل ١٩٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

بقلم الزعيم العربي سيادة النبيل السيد ابراهيم بن عمر السقاف

صحيفة عربية اليوم في الهاجر. وهو أمر يطالب به العرب جميعهم في هذه البلاد

والواقع ان كل ما يجب قوله في المؤتمر من صلات وروابط وعوامل التآخي والتآلف، من دين ولغة، بل ولحم ودم وروحية وبشر واحد ولسان واحد. وليس هناك في الواقع الصحيح ما يؤدي الى الخلاف الصور السالبة. أما إذا نظرنا الامور، فهذا أمر طبيعي لا يضر بل ينفع اذا تناولوا ذلك بحسن النية واللطف، فهذه الجريدة اذاً صحيفة جميع الاحزاب الحضرمية، وتسعد قراءها جميعاً مطالبون بمدده.

وفي الواقع ان العرب بهذه الديار حساسون جداً جداً الى درجة مضرة في الامور التي يتأثرون عليها. ومع إنا نرى ما تأثر به بعض الشعوب الاخرى من جمود تحتم علينا ألا يزول أو يقف عند هذا الحد. أرى ان ضرر التقدم اخر انا الحضارمة اكبر من نفعه لانا لا نريد أن نتحول الى خصام فاذا اوجبته ضرورة يجب ان نتناول بالاعتصام بكتاب

من قول وخير.

وبالجملة فأقل فوائد هذه الصحيفة ان تنشر كل ما يسديه ويعمل العرب من خير في هذه البلاد، وكل ما يجب أن يفخروا به من أعمال رجالهم وعليتهم، وهذه أمور مغبوطة لا يعلمها إخوانكم العرب في البلاد العربية الأخرى لو لم يكن للحضارم صحيفة.

ولما كنت هذه الأيام كثير الأشغال العامة والخاصة، لم أجد من الوقت وصفاء الفكر ما يجعل كلمتي هذه في المستوى والتفصيل الذي أريده لموضوع هام كهذا الذي تناولته، لذلك أتت موجزة، ولكن لعل فيها الكفاية. وفق الله الجميع لما فيه الصالح العام

• • • • •

مشروع الدفاع الوطني المصري

من أنباء القاهرة: انه بلغ مجموع ما وصل الى خزانة وزارة المالية من الأموال للتبرع بالمشروع الدفاع الوطني حتى يوم إلى آخر (٣٠

صورة للعدد الأول من «صحيفة السلام»

مسيرة «السلام»:

لم يتوفر عندي من «**صحيفة السلام**» سوى أعداد قليلة، آخرها هو العدد (٣٢)، مؤرخ بيوم الأحد ٢٨ رمضان ١٣٥٧هـ (= ٢٠ نوفمبر ١٩٣٨م)، وتصدَّرَ الصفحةَ الأولى تأبينُ سلطان حضرموت (علي بن منصور).

لكني أتذكر أن الأستاذ رحمه الله أخبرني: أنها ظلت تصدر إلى عام ١٣٥٨ الموافق سنة ١٩٣٩م، بعدها توقفت الصحيفة عن الصدور بسبب ظروف الحرب التي أتت على الأخضر واليابس، وقتلت وشردت الملايين من البشر، في ظروف عصيبة لم تمر على البشرية المعاصرة أشأم منها. أما الدكتور يعقوب الحجي فيذهب أبعد من ذلك، فهو يرى أن «**السلام**» توقفت عن الصدور في فبراير ١٩٤٠م، مما يعني أنها استمرت أربعة أعوام - وإني أستبعد هذا الرأي جداً لمناقضته للتسلسل التاريخي في حياة الأستاذ كما يعلم من الصفحات التالية - ويقول في شأنها: «لقد كانت «**السلام**» هذه بعثاً لـ«**صحيفة العرب**» السابقة، ولكن بروح مختلفة تماماً، وذلك حين بدأت بوادرُ الانفراج في الأزمة التي عصفَت بعرب المهجر سنين طويلة»[١]! وأعتقد أنه أخذ هذا من كلمة السيد إبراهيم السقاف الافتتاحية التي أوردتها آنفاً.

وبعد ذلك .. أخذت تأثيراتُ الحرب العالمية الثانية تصل بوادرها إلى شرق آسيا، ودب الضعف في الحركة الاقتصادية، حتى أصيبت بالشلل، وكان مصير الصحافة مصير غيرها من مرافق الدولة، فقل الدخل، وزادت الاحتياجات، فأخذ يفكر في الحصول على عمل بديل، بعيداً عن سنغافورا، التي كانت هدفاً لنيران الحرب.

---

(١) يعقوب الحجي، مصدر سابق (ص٦٤٢).

وبالجملة: فأقل فوائد هذه الصحيفة أن تنشر كل ما يسديه ويعمل العرب من خير في هذه البلاد، وكل ما يجب أن يفخروا به من أعمال رجالهم وعليتهم، وهذه أمور مغبوطة لا يعلمها إخوانكم العرب في البلاد العربية الأخرى، لو لم يكن للحضارم صحيفة.

ولما كنت هذه الأيام كثير الأشغال العامة والخاصة، لم أجد من الوقت وصفاء الفكر ما يجعل كلمتي هذه في المستوى والتفصيل الذي أريده لموضوع هام كهذا الذي تناولته، لذلك أتت موجزة، ولكن لعل فيها الكفاية، وفق الله الجميع لما فيه الصالح العام».


AL "SALAAN"

64, Aliwal Street, SINGAPORE.

السلام

صحيفة عربية جامعة

تصدر منتصف كل شهر عربي وآخره

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

صورة للعدد الأول من «صحيفة السلام»

مسيرة «السلام»:

لم يتوفر عندي من «صحيفة السلام» سوى أعداد قليلة، آخرها هو العدد (٣٢)، مؤرخ بيوم الأحد ٢٨ رمضان ١٣٥٧هـ (= ٢٠ نوفمبر ١٩٣٨م)، وتصدَّرَ الصفحةَ الأولى تأبينُ سلطان حضرموت (علي بن منصور).

لكني أتذكر أن الأستاذ رحمه الله أخبرني: أنها ظلت تصدر إلى عام ١٣٥٨ الموافق سنة ١٩٣٩م، بعدها توقفت الصحيفة عن الصدور بسبب ظروف الحرب التي أتت على الأخضر واليابس، وقتلت وشردت الملايين من البشر، في ظروف عصيبة لم تمر على البشرية المعاصرة أشأم منها. أما الدكتور يعقوب الحجي فيذهب أبعد من ذلك، فهو يرى أن «السلام» توقفت عن الصدور في فبراير ١٩٤٠م، مما يعني أنها استمرت أربعة أعوام - وإني أستبعد هذا الرأي جداً لمناقضته للتسلسل التاريخي في حياة الأستاذ كما يعلم من الصفحات التالية - ويقول في شأنها: «لقد كانت «السلام» هذه بعثاً لـ«صحيفة العرب» السابقة، ولكن بروح مختلفة تماماً، وذلك حين بدأت بوادرُ الانفراج في الأزمة التي عصفَت بعرب المهجر سنين طويلة»[1]! وأعتقد أنه أخذ هذا من كلمة السيد إبراهيم السقاف الافتتاحية التي أوردتها آنفاً.

وبعد ذلك .. أخذت تأثيراتُ الحرب العالمية الثانية تصل بوادرها إلى شرق آسيا، ودب الضعف في الحركة الاقتصادية، حتى أصيبت بالشلل، وكان مصير الصحافة مصير غيرها من مرافق الدولة، فقل الدخل، وزادت الاحتياجات، فأخذ يفكر في الحصول على عمل بديل، بعيداً عن سنغافورا، التي كانت هدفاً لنيران الحرب.

---

(١) يعقوب الحجي، مصدر سابق (ص٦٤٢).

(٧)

معاناة بافقيه أثناءَ الحربِ العالميةِ الثانيةِ(*)

(١٣٥٨ – ١٣٦٥هـ) = (١٩٣٧ – ١٩٤٥م)

الانتقال إلى جُوهور(١):

كانت حياة الأستاذ أحمد بافقيه قد بدأت تستقرُّ في (سنغافورا) بعد اغترابه وبعده عن أبويه، ومغادرته سيلان قبل نحو عشر سنوات من تاريخ نشوب الحرب العالمية الثانية، التي ذاق الناس في العالم من جرائها الأمرَّين. وكان من تدابير القدر أن طُلب للتدريس في «المدرسة العطاسية»(٢) بمدينة (جوهور) إحدى أشهر مدن ماليزيا، الواقعة في الشاطئ

(*) **الحرب العالمية الثانية**: نزاع دولي مسلح بدأ في السابع من يوليو سنة ١٩٣٧م في آسيا، والأول من سبتمبر سنة ١٩٣٩م في أوربا، واستمرت ثمان سنوات حتى انتهت عام ١٩٤٥م باستسلام اليابان، وهي من أكثر الحروب كلفة في تاريخ البشرية. شبت بين **دول المحور** وأبرزها (ألمانيا، واليابان، وإيطاليا)، و**دول الحلفاء** وأبرزها (الاتحاد السوفيتي، وبريطانيا، وأمريكا، والصين)، كان من جرّائها: قتل ما يقرب من ٦٠ مليون شخص، منهم: ضحايا المحرقة اليهودية في ألمانيا (الهلوكوست)، وضحايا القنبلة النووية على مدينة (ناجازاكي) اليابانية، وضحايا المجاعات في العالم.

(١) تعتبر جوهور البوابة الجنوبية لشبه جزيرة ماليزيا، وتطل على مضيق «ملاكه = ملقا» وعلى بحر الصين الجنوبي، وهي مدينة جميلة لها تاريخ حافل.

(٢) أسسها سنة ١٩٢٦م السيد الفاضل حسن بن أحمد العطاس، المتوفى سنة ١٩٣٢م، و عن حياة هذا السيد وجهوده المخلصة في خدمة التعليم، كتب الأستاذ محمد أمين الدين (من خريجي المدرسة) رسالة تخرجه لنيل درجة البكالوريوس من إحدى الجامعات الماليزية يقع في (٢٥٠ صفحة).

الماليزي المقابل لسنغافورا، لا يفصل بينهما إلا بضعة كيلومترات من مياه خليج (ملاكه = ملقا)، كان ذلك أثناء زيارة السيد محمد بن حسن بن علوي ابن شهاب للمترجم في (سنغافورا)، بعد توليه إدارة هذه المدرسة، وأبدى له حاجته إلى وجود أساتذة أكفاء، فأتت زيارته في وقت مناسب، كما وعده بتوفير السكن على حساب المدرسة، فقبل عرضه، وغادر سنغافورا مصطحباً عائلته ميمماً شطر جوهور.

اندلاع الحرب ثم الاحتلال الياباني:

كان اندلاع حرب اليابان (سنة ١٩٤١م) أثناء وجوده في جُوهور، وكان هو حينَها في عزلة عن سماع الأخبار أو تتبعها، لانشغاله بوضعه الجديد في (المدرسة العطاسية) وترتيب مناهجها. **قال رحمه الله**: «شاهدت في إحدى الليالي مناورات عسكرية، وسمعت أصوات الصواريخ والقذائف، فظننت أنها مناوراتٌ بحرية يقوم بها الجيش البحري، ولم يدُرْ بخلَدي أنها ناتجة عن غارات جوية يابانية على الأراضي الماليزية»!

كانت تلك هي الضربة الأولى للقصف الياباني على ماليزيا وتوابعها، وفي صبيحة الليلة التي اندلعت فيها نيرانُ القذائف والصواريخ، ذهب كعادته إلى المدرسة، فإذا به يرى السيد حامد بن علوي بن طاهر الحداد، ابن المفتي، يصطحب إخوته من طلبة المدرسة عائدين منها، **فسأله**: لم غادرت المدرسة؟ **فأجابه**: بأنهم صُرفوا منها بسبب إعلان الحرب، وأن سنغافورا قد أصيبت بصواريخ الحلفاء!

صعق الأستاذ بافقيه لما سمع ذلك الخبر! وأقفلت «المدرسة العطاسية»، ومكث بافقيه وعائلته في (جوهور) أياماً معدودات، وهم في حالة من الرعب والهلع الذي انتابهم كما انتاب غيرهم من آلاف السكان في تلك البلاد، التي قدر لها أن تكون ضمن أهداف نيران مدافع وصواريخ قوات الحلفاء.

العودة إلى سنغافورا؛ والملاحقة اليابانية:

في تلك الأثناء أخذ اليابانيون يتقدمون في احتلال المدن والأراضي الماليزية، فهب أصهار الأستاذ بافقيه إلى جوهور وأخذوه مع عائلته وأولاده وأعادوه إلى منزله في سنغافورا، ليكونوا بالقرب منهم في حال حدوث أي مكروه، وكانت سنغافورا آخر مدينة ماليزية احتلها اليابانيون، ولا تسل عما ارتكبه الجيش الياباني في المسلمين وغيرهم من فظائع وجرائم، لقد نفذ الأستاذ بجلده من سنغافورا، إلى جزيرة سومطرا، وفي هذه الأثناء حدث ما كان يخشاه بافقيه، لقد أصبح في دائرة الاعتقال، ودون ذلك أحداث وأهوال، نترك القارئ يتابعها فيما كتبه من ذكرياته التي سماها «**ذكرياتي في المعتقل الياباني**»، وهي ست حلقات كان ألقاها عبر إذاعة عدن، بعد هجرته إليها، وستأتي في فصل مستقل، ونقتطف هنا بعض السطور من تلك الذكريات.

قال رحمه الله: «عقب احتلال اليابانيين لسنغافورة قامت فيها هيئة ترعى المصالح العربية، وقد طلبت إليها السلطات اليابانية وضع رسالة عن عادات العرب وتقاليدهم وأديانهم، لتترجم إلى اللغة اليابانية تعريفاً لليابانيين بهذه العادات والتقاليد والأديان. وكان جو الإرهاب السائد على البلاد، وكلكم يعرف معنى الإرهاب الياباني . . كان جو الإرهاب هذا كافياً لأن يحمل كل واحد على التهرب من وضع هذه الرسالة المطلوبة والمساهمة في وضعها، ومع ذلك فقد وقع عليَّ الاختيار لأضع هذه الرسالة ... وانبريت لهذه المهمة مدركاً كل الإدراك ما يحف بها من مخاطر أقلها قضاء حياتي في المعتقل، إذا ما نجوت من الموت بالأساليب المعروفة عن اليابانيين. وهذا ما تعرضت له بالفعل.

فقد وضعت الرسالة فجاءت جريئةً إلى أبعد حدود الجرأة تصطدم بكثير من تعاليم المحتلين وأوامرهم . فهم مثلا يفرضون علينا أو يجبروننا على عبادة الإمبراطور والسجود له، ويعتبرون الأعراض والمعايير الخلقية شيئا لا قيمة له، ولكن الرسالة تشجب كل ذلك وتعتبره خروجاً عن الدين والملة، بقوة وصراحة وإصرار . وهنا تبدأ المطاردة؛ فقد بدأت

السلطات اليابانية تسأل عن واضع الرسالة تريد معاقبته على جرأته وهي لا بد واصلة إلى معرفة حقيقته . إذن فلا مفر من اتخاذ خطوة إيجابية .

ويجمع الأصدقاء أن خير طريقة للنجاة من سطوة أولئك للغاشمين هي الهروب إلى بلاد بعيدة عبر البحر، ولكن كيف الهروب والبلاد مطوقة يشبه حصار عنيف لا يمكن معه لداخل أن يدخل أو لخارج أن يخرج إلا بعد تفتيش دقيق؟ ثم لا ينتهي الأمر عند هذا الحد، فهناك أيضاً أخطار البحر الذي تنتشر فيه الغواصات وتنبت الألغام . وبالرغم من كل هذا المصاعب فقد أمكنني الهرب والنجاة من الوقوع في براثن جيش الاحتلال بسنغافورة، ولكني لم أنج من تعقبه لي في سومطرا، فكيف هربنا؟ وكيف تم اعتقالي في سومطرا إنّ لذلك قصة مليئة بالأهوال...»، إلى آخر الذكريات[1].

الفِرارُ إلى (پليمباغ= فليمبان) فلمبان:

في غمرة تلك الأحداث الرهيبة، والأوقات العصيبة، كان العرب يتجمعون في بعض المنازل لتبادل الأخبار، فجمعت الأقدار بين بافقيه وبين رجل من المجاهدين الجزائريين، وهو الشيخ محمد المصلوحي[2]، أحد الأبطال البواسل الذين حاربوا الاحتلال الفرنسي في الجزائر، تحت إمرة العلامة الشريف الأمير المغوار عبدالقادر الجزائري (ت ١٣٠٠هـ) رحمه الله تعالى، فأسرَّ إلى المصلوحي بما يضمره من نية الهرب من سنغافورا، و فوجده يشاركه ذلك العزم ويشاطره الرأي، فأجمع الرجلان أمرهما على الخروج والهرب من (جوهور) والانتقال إلى مكان آخر أكثر أماناً منها، فأشار المصلوحي على السيد أحمد أن يبيع مسكنه على أحد المواطنين، ويستعين بثمنه على السفر.

---

(١) انظرها بتمامها في الصفحات القادمة.

(٢) لم أقف على ترجمته، وكان أصغر أبنائه إمامَ مسجد في سنغافورا، ومات شاباً بها (عن: السيد زيد بافقيه).

وتم ذلك الأمر بالفعل، ثم استقر رأيهما على أن تكون محطة نزولهما القادمة هي (فليمبان) الجاوية، لبعدها عن مسرح الأحداث، فاشتروا مركباً بخارياً، واستقلوا متنه متجهين صوب مدينة (فليمبان) الواقعة على ساحل جزيرة سومطرا.

الوصول إلى (فليمبان):

وصلت العائلتان إلى مدينة (فليمبان) بعد ستة أيام من السفر الشاق المضني، ومكابدة الأهوال، ومواجهة الموت وجهاً لوجه، وسار كل في حال سبيله، بعد أن اطمأنوا إلى سلامة أرواحهم وذويهم عقب تلك المغامرة الرهيبة في عرض البحر.

وبعد أيام من استقراره في العاصمة (فليمبان)، في منزل أوى إليه مع عائلته، قام السيد أحمد بافقيه بجولة في نواحيها وقراها المجاورة، حتى وصل إلى ميناء قريب مقام في مدينة تدعى (تلوء بوتونج)، فنزل في أحد فنادق هذه البلدة وبات ليلة بها، وفي الصباح خرج يتجول في شوارعها ليتعرف على طبيعة حياة الناس بها.

السيد أبو بكر بن حفيظ العلوي(*):

وبينما هو في تجواله من شارع إلى آخر، إذا بصره يقع على لافتة تشير إلى مكتبة عربية، فكانت مفاجأة سعيدة، فقصد تلك المكتبة ملقياً عليها نظره الفاحص، ووجد بها شخصاً جالساً على كرسي تبدو عليه السحنة العربية، فغلب على ظنه أنه صاحبها، فبادر إلى سؤاله عن بعض الكتب العربية، متخذاً من هذا السؤال وسيلة لكسر حاجز الصمت، ومَدخلاً للتعرف به، فأجابه الرجل بلغة عربية فصيحة عما سأل عنه، وبدأ بعد ذلك بينهما حوار شيق كان فاتحة لصفحة جديدة من تاريخ بافقيه.

(*) هو السيد **أبوبكر بن حفيظ ابن عقيل**، (من آل عقيل بن سالم)، كان حيا إلى سنة ١٣٥٩ هـ، وكان من المهتمين بالتعليم ونشر الثقافة العربية، ذكره السيد أبوبكر بن علي ابن شهاب الدين في رحلته «**رحلة الأسفار**» (ص ٢٢١).

قال الأستاذ أحمد: وما أن تفوهت معرفاً له بنفسي، إلا وإذا به يعاود الترحيب والتأهيل، وأخذ يسألني عن سنغافورا وأهلها، وعن آخر أخبار صحيفة «**العرب**»، مما أدخل على قلبي الأنس، وجعلني أعتقد أني اجتمعت به من قبل!

قال: ثم سألته: عن اسمه، فأجابني بأنه: السيد **أبوبكر بن حفيظ**، فزال عند ذلك عجبي، فقد عرفته، إذ كان أحد المشتركين في «**العرب**»، وحصلت بيننا مودة وألفة قوية من ذلك الحين، وجلس كل منا يصغي وينصت لكلام الآخر. وبعد أن استمع ابن حفيظ إلى ملخص الرحلة، وما آل الحال إليه، استبشر بوجودي في هذه البلدة، وقال: لعل الله جاء بك إلينا لتعلم أولادنا .

فقلت له: إني غريب عن هذه البلدة، وليس لي فيها رفيق أو قريب، ولعل الأهل يستوحشون من الجلوس هنا، وليس معي مال كاف لتحمل نفقات الإقامة هنا. فطيب خاطري، وقال: ما عليك أي بأس. وأبدى استعداده أن يسعى في تحمل كافة النفقات، وطلب مني أن أمكث عنده بضعة أيام .

افتتاح مدرسة الثقافة العربية:

وفي إحدى الليالي جمعني ببعض أعيان البلدة من العرب المقيمين بها، وكان حاضراً رئيس العرب بها **الشيخ سعيد بلَّلحمر**، ومعه أخوه **سالم**، فطرح السيد **أبوبكر** عليهم فكرة فتح مدرسة لتعليم أبناء الجالية العربية، وحدثهم عما دار بيني وبينه، وقص عليهم خبري وقصتي، فأبدوا ترحيبهم بالفكرة واستعدادهم للقيام بذلك الأمر.

وبعد أيام، أتى بافقيه بعائلته من (فلمبان) إلى تلك البلدة، وأقام بين أظهر أهلها يعلم أبناءهم، وافتتح بها «**مدرسة الثقافة العربية**»، متولياً إدارتها والتدريس بها، ووفر له الأهالي ما يفي بحاجته وحاجة أولاده، وعاش بينهم طيلة فترة الحرب.

الأديب الشاعر .. بائع السجائر!

إلى القرب من مقر المدرسة، كان هناك كشك لرجل من الأهالي يتوسط شارعاً مطلاً على البحر، يبيع فيه السجائر والمشروبات للمارة، وكان الأستاذ بافقيه كثيراً ما يتردد عليه لتناول بعض المرطبات، مستمتعاً بالجلوس جواره أمام الشاطئ. كان ذلك الرجل ممن دارت عليهم الدوائر، واضطرته الظروف العصيبة إلى هذا العمل، فهو أستاذ قدير وأديب وشاعر، قُدِّر عليه أن يعيش متكسباً من ذلك الكشك، مغموراً منطوياً على نفسه، كما هو حال الكثير من العلماء المغمورين تحت أستار القدر، يزاولون بعض الأعمال التي لا تليق إلا للعامة!

وفي عشية أحد الأيام؛ جلس بافقيه كعادته أمام الشاطئ، وجلس إلى جانبه بعض أصدقائه من العرب، وكان الحديث يدور حول أوضاع الوطنيين من الشعب الإندونيسي ـ وما آل إليه حال المثقفين والأدباء والمتعلمين منهم!.. فإذا بصاحب الكشك ـ وكان يسمع كلامهم ـ يغادر مكانه ويتجه صوبهم، فارتبك الجالسون، وظنوا أن الرجل استاء من كلامهم وأتى ليوبخهم.

قال بافقيه: وزاد ارتباكي عندما وجه خطابه إلي **قائلاً** بلهجة عربية فصيحة: وهل أساء الإندونيسيون ضيافتكم؟

قال بافقيه: بقدر ما كان يحمله ذلك السؤال من توبيخ، بقدر ما استثار عجبي من فصاحة الرجل.

قال: ثم أردفَ موجِّهاً كلامَه لي، **قائلاً:** أما سمعتَ قولَ أحدِ كبار علماء العربية قديماً، عندما رُئيَ جالساً في بعض الأسواق يبيع ويشتري، فقيل له: كيف هذا يا إمام؟ أوَمثلك يجلس في السوق يبيع ويشتري؟!

فأجاب قائلاً:

جُلوسِيَ في سُوقٍ أبيعُ وأشْتَرِي دليلٌ عـلَى أنَّ الأنَـامَ قُـرُودُ(١)

قال بافقيه: فخطر في ذهني أن الرجل ساق هذا البيت مستشهداً به على حاله، وذلك واضح من فصاحته وبلاغة حديثه، فما مثله ليكون بائع سجائر! لقد كان الرجل أديباً مطبوعاً، ومن ذوي الفضل والقدر في قومه، إنه الأستاذ: **محمد سعيد قوشي**، من مدينة قاروت(٢).

الأستاذ محمد سعيد القاروتي، وقصيدته العصماء:

بعد هذه المحادثة، حصل التعارف بين الحاضرين، وعرفه الأستاذ بنفسه وعن طبيعة عمله في القرية، ولما أنه أعجب بفصاحته وحسن حديثه وأدبه وبلاغته، فقد دعاه إلى زيارة المدرسة، وبعد ذلك .. اختير مدرساً فيها، لكفاءته وجدارته لذلك المقام.

وبعد أن مرت سنة كاملة على الأستاذ بافقيه في قرية (تلوء بتونج)، وحان موعد الإجازة السنوية للطلاب، رغب المدرسون والأهالي في إقامة حفل ختامي يجتمعون فيه مع أبنائهم، من باب التشجيع والترغيب لهم. وحضر المحتفلون مع الطلاب والمدرسين.

وكان الأستاذ محمد سعيد ممن دعي لحضور ذلك الاحتفال، وفاجأ الحاضرين بإلقاء قصيدة عصماء، أخذت بالألباب لما حوته من فصاحة وبلاغة، وكان الأستاذ كثيراً يثني على تلك القصيدة وعلى قائلها، فقد كان معجباً بها ويردد أبياتها حتى آخر أيامِ حياته.

---

(١) ينسب هذا البيت لأبي هلال العسكري، اللغوي الشهير (ت ٣٩٥هـ)، ويليه:

ولا خـيرَ في قـومٍ تُـذلَّ كـرامُهم ويعظُـمُ فـيهم نـذلهم ويسـودُ
ويهجـوهمُ عنِّـي رثاثـةُ كِسْوَتِـي هجـاءً قبيحـاً مـا عليـه مزيـدُ

(٢) **قاروت:** هو اسم جبل في جزيرة سومطرا نسب إليه عدد من الأدباء والأساتذة والعلماء، وهو جبل تكسوه الخضرة والجمال الساحر، وكتب الأستاذ الكبير أحمد بن عبدالله السقاف أول رواية حضرمية وسماها (فتاة قاروت)، جعل مسرحها يدور في فلك تلك الطبيعة الخلابة.

نص القصيدة:

وهذه هي القصيدة كاملة، وقد وجدتُها في بعض كراريس (كُناشَاتِ) الأستاذ بخطه رحمه الله، وقال في ديباجتها: «قصيدةٌ ألقاها الشاعِرُ المطبوعُ صديقي محمد سَعيد قاروتْ، في حفلة ختام السنة الدراسية الأولى لمدرسة (الثقافة العربية الإسلامية) التي أنشأتها بـ(تلوء بتوغ) بسومطرا»:

(صدقَ الرجاءُ وصحَّتِ الأحلامُ) وأتتْ بخَيرِ كُنوزِها الأيَّامُ(١)
وتحققَّتْ للعاملين ظنُونُهم وتبدَّدت لنجَاحهَا الأوهَامُ
فقلوبُهم جذْلَى بما قَد أمّلوا مستَبشرِين وثغرُهُم بسَّامُ
قد أخلصُوا بعزِيمةٍ وتعَاهدُوا أن لا يثَبِّطَ عزمَهم لَوَّامُ
وكذاكَ ينقَادُ الرَّجاءُ لطَامِع يجدُوه للعَملِ الصَّحيحِ ذِمامُ
ولقَدْ علمتُ وكان علماً صادقاً أن العزيمةَ شرطُها الإقْدامُ
لم لاَ وهذَا شاهدٌ من حينِكم أوفَى وما وافَى عليه العامُ
قد شِيْدَ بالأمسِ القريبِ فهلْ له شيءٌ سِوَى إقدامهم قَوَّامُ
نفرٌ على عدَدِ الأصابعِ عدُّهُم فاعْجَبْ فقد حَارتْ له الأفهامُ
ما هُم سوَى رَهْطٍ توحَّدَ عزمُهم متساندِينَ فشيَّدُوا وأقامُوا
وأتوا بمَدرسَةِ الثقَافةِ بينَهم يهفُو إلى سلسَالها الأُوَّامُ
شعبي العزيزُ ومَن يصونُ كيانَه بُذلَتْ نفوسٌ واستُسِيغَ حِمامُ
حتَّامَ أنتَ على خُمُولكَ عاكفٌ ترضَى به، حتَّامَ أنتَ تنامُ!
أغفيتَ عَنْ حرَسِ الحمَى فتيقَّظَتْ لرُقَادكَ الأحباشُ والأرْوَامُ

---

(١) الشطر الأول من القصيدة مأخوذ من قصيدة لشاعرالنيل **حافظ إبراهيم** رحمه الله، وهي في ديوانه (ص ١٨٦)، أنشأها في رثاء بعض أصدقائه سنة ١٩١٧م، مطلعها:

* لا مَرحَباً بكَ أيُّـهذَا العامُ *

لا بِدْعَ أن ذلَّتْ كِرامُك فِي الحمَى ... واستعبدَ الأحرارَ منك طغامُ
فالأَرضُ مُسْبعةٌ وأمرُ شِياهِهَا ... للحظٍّ موكُولٌ به نُوَّامُ
تاريخُكِ الماضي تولَّى وانقضَى ... بمَضَاضتَيه فقُلْ علَيه سَلامُ
فلئن تقلَّبَ فوق أرضِكِ سابقاً ... وَغْدٌ تجبَّر في الحمَى ظَلاَّمُ
أو إن تربَّعَ في زعامتِكِ الأوْلى ... كانتْ لهم في قهرِكِ الآثَامُ
أو إن تقطَّعَ في قيادكِ زائفٌ ... أفِنٌ لهُ في المفسدين مَقَامُ
تَخِذَ الصَّلاحَ مطيةً متظاهِرا ... بالطُّهرِ وهوَ العنصُرُ الهدّامُ
فاليومُ يومٌ سوفَ يفهَمُه الأولى ... كادُوا حِمَاكِ فنالَه الإحْرَامُ
اليومَ علمٌ فيه كلُّ مزيَّفٍ ... والعابثونَ حقوقَهُ فتقامُ
فليكتَفُوا أوْ لاَ، فَما مُعوَجُّهم ... إلا وسوفَ يقيمُه الصَّمصَامُ
شعبي: ألا انهضْ آن دورُك للعُلا ... واقدم فإنك باسل مقدامُ
إن كانَ في الماضي عَذِيرُكَ قانعاً ... فاليوم جد ليس فيه كلامُ
الشرقُ هَبَّ وراح يطلب حقه ... بالسَّيفِ لما كلَّتِ الأقْلامُ
فاتركْ شَبابكَ يعمَلُون لشَعبِهم ... فأمامَهُم مستقبلٌ بسَّامُ
وعلَيهمُ عَقَدَ الحمَى آمالَهُ ... ورجَاهُم الآباءُ والأعمامُ
طالَ الحديثُ ولم أرِدْهُ وإنَّما ... أوحاهُ من وَهَجِ اللظَى أوهَامُ
قَصدي التحيةُ غيرَ أن حَدِيثها ... قد صاغَه من لَوعتي آلامُ
فإليكِ «مدرَسةَ الثَّقافةِ» مخلصاً ... يهفُو .... وبكِ لكِ إكرامُ
يُهدي إليك تحيةً مشفُوعةً ... بتمنياتٍ صاغَها الإعظَامُ
تُزجَى إليكِ وللمديرِ ورَهطِه ... عاشُوا وعاشَ الشرقُ والإسْلامُ

انتهت القصيدة، وهي بحق قصيدة غراء، فيها استنهاض للهمم، وتدل على شاعرية وقريحة سيالة لدى صاحبها، كما أنها تعد من المعارضات الشعرية في العصر الحديث، فهي في أفكارها مستوحاة من شعر أدباء الشرق العربي، المتمثل في جيل أمير الشعراء شوقي، وشاعر النيل حافظ، ومدرستهم الشعرية المعروفة.

* * *

(٨)

ذكرياتي في المعتقل الياباني



مقالات أذيعت من محطة عدن
في منتصف الخمسينات الميلادية

الحلقة الأولى[١]

إنها ذكريات لا أدري بماذا أصفها أهي ذكريات مبهجة عذبة أم هي ذكريات مؤلمة مريرة؟ صدقوني! إذا صارحتُ حضراتِكم بأني لم أتعرض للحيرة في الحكم على أمر من الأمور كما أتعرض الآن للحيرة في الحكم على هذه الذكريات. إنها ذكريات ليست بعيدة العهد، فهي تعود إلى أيام الحرب العالمية الأخيرة التي عاصرها السامعون جميعاً، وما زالت صورها ماثلةً أمام عيني لم تشوه معالمها وتقاطيعها وقسماتها عوامل النسيان ولا تتابع الأحداث، ومع ذلك فلا أملك إلا أن أذكر لكم أني لا أدري، أهي ذكريات مبهجة عذبة أم هي ذكريات مريرة. ولعل من الخير الخروج من هذا المأزق أن أجمع ـ ولو مرة واحدة في حياتي ـ بين النقيضين، فأسبغ على هذه الذكريات الوصفين المتناقضين: العذوبة والمرارة والألم، وكم في اللذة من ألم، وكم في الألم من لذة يتذوقها بصورة أجلى أولئك الذين في طبيعتهم الفن والشعر والإحساس الرقيق!

---

(١) «صحيفة الجنوب العربي»؛ العدد (٣١)، ١٠/ ٩/ ١٣٧٤هـ، موافق: ٣/ ٥/ ١٩٥٥م.

ذكريات عذبة:

إنها ذكريات عذبة، تتمثل لي عذوبتها كما ذكرت ما كنت أتمتع به في ذلك العهد من حيوية الشباب والصمود للأهوال، والقوة الخارقة ومقاومة الخطوب ومقارعة النوازل دون خوف أو وجل، وما كنت أتسلح به من أعصاب فولاذية لا تتأثر بأساليب التعذيب وأنواع المحن، فأستقبلها ضاحكاً باسماً، وأتخطاها مستهيناً ساخراً، في سبيل المبدأ والعقيدة. وأعود اليوم الى نفسي فيساورني الشك، هل أنا هو ذلك الرجل الذي عهدته في ذلك العهد صلباً جلداً لا تلين له قناة . ما أشد ما تحز في نفسي هذه الحقيقة! ولكنها الحقيقة المرة التي يجب أن أعترف بها، وفي الاعتراف بعض التنفيس.

وهي ذكريات عذبة أيضاً: لأني كلما عدت إليها بالذاكرة تمثلت أمامي صور أولئك الأصدقاء الذين شاركوني الكفاح في سبيل المبدأ والعقيدة قانعين بالحرمان متعرضين للاضطهاد والتعذيب . وكانت أرواحهم المرحة تلطف من أجوائنا سورة المحن والخطوب، وكأن كل واحد منهم هو المعني بالمثل العربي: «رب أخ لك لم تلده أمك». لقد تخطفتِ الحربُ بعض هؤلاء الأصدقاء وفرقت الأقدار بعضهم الآخر أيدي سبأ، فمن لي بمن يعوضني عنهم اليوم؟!

وهي ذكريات عذبة كذلك: بالنظر إلى أن المسرح الذي مثلت عليه حوادث هذه الذكريات هو أندونيسيا الجميلة، أندونيسيا التي لا أجد وصفاً ينطبق عليها أدق من وصفها بالفردوس الاستوائي، أو ببلاد السحر والجمال والشعر والهوى والشباب والفتون.

وذكريات مؤلمة:

على أنها إذا كانت ذكريات عذبة مبهجة من حيث هذه الاعتبارات، فهي ذكريات مريرة مؤلمة من حيث اعتبارات أخرى، هي ذكريات أليمة مريرة، لأنها تعيد إلى ذاكرتي صوراً شنيعة من قسوة الإنسان، وفظائع البشر ..



صُوَر المعارك التي تسيل فيها الدماء أنهاراً ..

صُوَر القنابل التي تتهاوى تحت قصفها الدور والقصور ..

صُوَر الأشلاء والأجداث نطؤها بأقدامنا وتئن تحت أبصارنا..

صُوَر الجوع والعري..

صُوَر الليالي الحالكة التي لا تسمع فيها إلا دمدمة الرصاص وقصف المدافع..

صُوَر المعارك الجوية تنشب فوق رؤوسنا على مرأى النظر فما نعتم أن نرى الطائرات تتهاوى بالقرب منا..

صُوَر أطفالنا يتضورون جوعاً، ويسألوننا ما يسدون به جوعتهم، فنخادعهم ريثما نجد شيئاً نقدمه لهم، ولو قطعة من (سكَّرقَند)، أو قطعة من النارجيل نتحصّل عليها بأغلى الأثمان..

صُوَر المعتقلات الرهيبة تتخطف الأصدقاء واحداً بعد الآخر، وكأنهم يساقون إلى ساحة الإعدام ..

صُوَر العزلة عن العالم بحيث لا نسمع عنه شيئاً غير ما تسمح بنشره علينا الإدارة اليابانية العسكرية الرهيبة..

* * *

الحلقة الثانية(*)

الديمقراطية والديكتاتورية:

وعلى كل فإنها ذكريات قد تكون خاصة لي وحدي، وقد لا يكون من حقي أن أعرضها على حضراتكم، أو أشغلكم بسردها على مسامعكم، ولكنها من ناحية أخرى لا تخلو من عبرة يستفاد منها، أو فائدة نستخلصها من ثناياها .

وبالنسبة لي فإن أهم ما أستخلصه منها هي: أنها تزيدني إيماناً بأساليب الحكم الديمقراطي مهما اعتوَرهُ من شوائب وعيوب، كما تزيدني نفوراً من أساليب الحكم الديكتاتوري مهما برز بمظهر الحمل الوديع. فلقد قدر لي أن أعيش تحت ظل الحكمين وأن أخبر أساليبهما فخرجت من ذلك بنتيجة واحدة لا محيص عنها: هي أن الديكتاتوريةَ إهدارٌ لكرامة الإنسان، وإهدار للقيم الأخلاقية والمثل العليا، وكفران وجحود بالأديان، وهذا سيدركه حضرات السامعين من الذكريات التي سوف أقصها على حضراتهم في **الحلقة الثانية** من هذا الحديث إن شاء الله .

وأي إهدار لكرامة الإنسان أفظع من معاملته كما تعامل السوائم والأنعام؟! قد عطلت حريته وسلبت إرادته فلا يحق له أن يفكر أو يبدي رأياً أو يعرب عن وجهة نظره حتى في أخص شؤونه. وإنما يؤمر فيطيع، ويساق فينقاد، يخرج من منزله ليبحث عن لقمة يسد بها جوعة أطفاله فما يشعر إلا وقد أخذ عليه الجنود الطريق، ليقذفوا به إلى (سيارة

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٢٣)، ١٧ رمضان ١٣٧٤هـ، موافق: ١٠/ ٥/ ١٩٥٥م .

لُورِي) تأخذه إلى مجاهل (بورما) أو غيرها من المتاهات، أطفاله في المنـزل ينتظـرون اللقمـة التي خرج ليظفر بها لهم وأسرته تتطلع من النوافذ لتراه راجعاً، وما من عائد ولا راجع!

إهدار للقيم الأخلاقية:

وأي إهدار للقيم الأخلاقية أشنع من أن تصبح المرأة سلعة تباع وتشرى، وأن يقتحم علوج الفاتحين منازل الأسر الكريمة ممتهنة شرفها وعرضها دون رادع أو زاجر، وأن يشجع المحتلون السكان على الإكثار من بيوت العهر والدعارة بحيث لا تخطو عدة خطوات في أي من حي من الأحياء حتى تواجهك هذه الدور تتخلل مساكن الأهالي . وأكثر من هذا كله . . أي إهدار للقيم الأخلاقية، أعظم من أن يبرز الرجال أمام النساء عراة الأجسام تماماً دون خجل أو حياء؟! وأي إهدار لحرمة الدين أعظم من أن يجبر النـاس جميعـاً مهـما اختلفـت أديانهم على عبادة الإمبراطور والسجود له يومياً؟!

إن ذلك كلَّه بعضُ ما لازمَ عهدَ الديكتاتورية اليابانية في الشرق الأقصى، وجزء يسير من هذه الشنائع النكراء كاف لأن يدفع بالمرء إلى الكفر بالديكتاتورية الهوجاء!

قوة الايمان:

أما العبرة الثانية التي استخلصها من هذه الذكريات فهي مفعول الإيمان في الإنسـان الضعيف الذي لا يملك من القوة والسلاح ما يدفع به عن نفسه جبروت الطغاة غير الإيمان المتين بالله! ولن تدركوا أيها السادة معنى هذه الحقيقة إلا إذا وعيتم وعياً تاماً ما تعرضت له من أنواع التعذيب في المعتقل الياباني مع ضآلة جسمي وضعف بدني، وكان بعضه كافياً لأن يقضي على حياة أقوى رجل!

خذوا مثلاً لذلك: إنهم قطعوا عني الطعام والماء عشرة أيـام متواليـة، كنـت خلالهـا أغالب الموت، واستطعت في النهاية أن أتغلب عليه ليس بشيء غير قوة الإيمان! وتصـوروا أنهم ذات يوم قرروا ضربي بعصاً غليظة لا تقـل اسـتدارتها عـن اسـتدارة سـاعد الصـبي،

فتجمعتُ لها كما يتجمع القنفذُ، وأخذت أتلو كلَّ ما أحفظ من آيات الله، والعَصا تهوى تبعاً على هذا الجسم الضعيف حتى رأيت نصفها يطير في الهواء .

والغريب .. أني لم أشعر بأي ألم من هذا الضرب، حتى لقد كان يساورني الشك في أني قد ضربت، لولا أن كنت أشاهد العصا تهوي على ظهري وأرى آثارها وعلائمها خطوطاً جلية. إنني أنا نفسي ما زلت في حيرة من أمر هذه القوة الخفية التي جعلتني أصمد ولا أتضعضع أمام مختلف أنواع التعذيب التي تعرضت لها في المعتقل الياباني . وما زلت أعجب كيف قدر لي أن أبقى على الحياة بعد كل هذا وكثيراً ما أتساءل هل ما زلت أملك مثل هذه القوة اليوم؟ لقد اقتنعت بأنها قوة الإيمان الصادق، ولكن أترونني ما زلت أحتفظ بهذه القوة؟ إنني أشك . . فيا للخسارة!

* * *

الحلقة الثالثة(*)

الصديقان اللذان أثرا على حياتي:

لعل من المستحسن قبل سرد ذكرياتي في المعتقل الياباني أن أشير إلى الأسباب التي مهدت السبيل لدخولي هذا المعتقل؛ وهي في الأساس ترجع إلى الصلابة في المبدأ والصراحة في الرأي في عهد دكتاتوري يضيق بالآراء الحرة، ولا يسلم بحق الإنسان في اعتناق أي فكرة أو عقيدة غير ما يمليه عليه الحاكم بأمره!

ولا أكتم حضرات السامعين أن الحظ الأوفر من الجرأة التي كنت اتصف بها في سبيل المبدأ والعقيدة إذ ذاك يرجع فضله إلى صديقين عزيزين كنت أعمل معهما في الحقل الاجتماعي، وكانا على جانب كبير من الشجاعة الأدبية والتضحية في سبيل المصلحة العامة ونكران الذات . والثبات على المبدأ، ومنهما استمددت معظم ما بدا في أعمالي وتصرفاتي من مظاهر تتسم بهذه الصفات التي لا أدري أيقرني حضرات السامعين على اعتبارها محمودة أم سيصفونها بالتهور والحماقة. وعلى كل فإني اليوم لا أملك إلا أن أسجل الوقائع للتاريخ دون أي محاولة لتبريرها أو تفنيدها .

أما الصديقان المشار إليهما فلعلهما في هذه اللحظة يستمعان إلى حديثي هذا خلف البحار والجبال والأوعار، وهما (بملايا) ينعمان بأوفر صحة وأكمل غبطة، ولعلهما كذلك ما زالا كما عهدتهما تضحيةً في سبيل المصلحة العامة، وجرأة في سبيل الفكرة والمبدأ، لم تنل

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣٣)، ٢٤ رمضان ١٣٧٤هـ .

منهما كما نالت مني الأحداث والسنون التي عقبت الحرب فغيرت الأوضاع والقيم الخلقية مع الأسف. أقول هذا ؛ لأن العهد قد بعد بيني وبين الصديقين ولم أعد أعرف عنهما، إلا أن الأول قد أصبح يعتمد في حياته على وظيفة تدر عليه الكفاف بعد أن أنفق ثروته العظيمة الضخمة في خدمة المجتمع والمصالح العامة والإنسانية المعذبة، وأن الصديق الآخر يشغل الآن منصباً كبيراً في (حزب أمنو)، الذي يعتبر أكبر حزب وطني بملايا . كان لهذين الصديقين أعظم الأثر في الحياة المثالية التي عشتها برهة من الزمن، وقد كان خليقاً بي أن أتأثر بهما وهما من ألصق الأصدقاء بي وأقربهم مودةً إلى نفسي، سيما والحقل الاجتماعي كان يجمع بيني وبينهما في كثير من المناسبات(١).

الصديق الأول:

ومن المعلوم؛ أن الشباب الطامح يتعشق المثل العليا، فلا غرو أن أتأثر بهذين الصديقين، كيف لا! وأنا أرى هذا الصديق الأول شاباً يمتلك ثروة كبيرة تقدر بمئات الألوف وقد تخرج في المدارس الغربية، ومع ذلك، وبالرغم من أنه يعيش في سنغافورة عروس الشرق، الصاخبة بالملاهي والمراقص والمسارح ومختلف أسباب اللهو.

بالرغم من هذا كله أراه ينصرف عن أسباب المتع واللهو، ليوقف أمواله وجهوده وفكره على خدمة المجتمع وإسعاده، متفانياً في خدمته، مضحياً في سبيله، بحيث يعتبر بحق مثالاً يحتذى من أمثلة التضحية بالمنافع الذاتية، مما قل أن نجد له ضريباً في شباب اليوم، فما من هيئة ولا جمعية ولا نادٍ ولا مشروعٍ يؤدي خدمةً عامة، إنسانيةً أو قوميةً إلا كان هو

---

(١) من واقع وصف الأستاذ لهذين الصديقين، فأنا أجزم أن الأول منهما: (الثري سابقاً) هو السيد حسين بن علي السقاف، والثاني (المسؤول في حزب أمنو): هو السيد جعفر البار، ولا ينطبق الوصف على غيرهما.

العضو المبرِّز فيه، حتى كأنه الدينامو المحرك له، لا يكتفي بالإنفاق عليه من ماله بل يضيف إلى ذلك كل جهده وفكره، مضحياً جريئاً مقداماً غير هياب ولا وجل.

مثل عظيم من أمثلة التضحية:

وكصورة رائعة لهذه التضحية والجرأة: ما زلت أتمثل كيف أنه وقنابلُ اليابان تنصب على مدينة سنغافورة كان يخرج بسيارته ليرتاد الخرائب التي خلفتها القنابل فينقذ من بين أنقاضها من بقي من السكان على قيد الحياة، ويستخرج جثث من أزهقت أرواحهم. وكثيراً ما كانت تصادفه بعض الجثث، وقد تمزقت أشلاؤها، فيجمع بعضها إلى بعض، ثم ينقل كل أولئك بنفسه، وبسيارته الخاصة يجري مراسم دفن الموتى منهم، ويقوم بإسعاف من لم تزل فيهم بقية من حياة.

ولعل من أروع صور الشجاعة والتضحية: أن تراه وهو يضع بعض هذه الضحايا فوق حضنه بينما يسوق سيارته الخاصة إلى حيث يقوم بالواجب، لا يبالي أن تخضب ثيابه وبدنه بالدماء، ولا أن تتصاعد إلى أنفه رائحة الجثث المنتنة، وهو ابن الذوات الذي كان له مندوحة عن تجشم كل تلك المشاق، فيما يتكالب عليه أمثاله من أبناء الذوات. واليوم أجد في نفسي غصةً، وأشعر بألم مرير كلما تمثلت هذا الصديق وقد تخلى عن معظم أمواله في سبيل الإنسانية المعذبة، والخدمات الاجتماعية والمصالح العامة، واكتفى بوظيفة تدر عليه الكفاف، ولكنه هو سعيد بأنه لم يبدد شيئاً من أمواله فيما يبدد فيه المترفون أموالهم .

الصديق الثاني:

أما الصديق الآخر الذي كان له كذلك أثر كبير في حياتي المثالية، فثقافته عربية، وهو الآخر كان من أمثلة التضحية الرائعة بالرغم من أنه لم يكن من أبناء الذوات. وكان يبذل جل اهتمامه في الحقل الاجتماعي والمصالح العامة وخدمة الهيئات والمشاريع القومية، وكانت تعرض عليه المناصب والوظائف المغرية فيشيح عنها بوجهه، إذا لم تكن متفقة مع

مبادئه ومثله، بينما هو في حاجة ماسة إلى قليل من النقود لضرورات حياته. وكم من مرة وجدته لا يملك ثمن السيجارة التي يدخنها، ومع ذلك فهو قانع مرتاح الضمير .

* * *

الحلقة الرابعة(*)

هذان الصديقان هما اللذان كان لهما أعظم الأثر ـ كما ذكرت آنفاً ـ في حياتي المثالية، التي مهدت الأسباب لدخولي المعتقل الياباني، وقد أطلت في وصفهما والإشادة بهما، لأعرض على شباننا صوراً نادرة من صور التضحية والشجاعة، يدركون منها كيف يعمل المخلصون لأوطانهم! ففي الظروف التي كنت متأثراً فيها بهذين الصديقين، وعقبَ احتلال اليابانيين لسنغافورة، قامت فيها هيئة ترعى المصالح العربية، وقد طلبت إليها السلطات اليابانية وضع «**رسالة**»عن عادات العرب وتقاليدهم وأديانهم، لتترجم إلى اللغة اليابانية تعريفا لليابانيين بهذه العادات والتقاليد والأديان، وكان جوُّ الإرهاب السائد على البلاد، وكلكم يعرف معنى **الإرهاب الياباني**.

كان جو الإرهاب هذا كافياً لأن يحمل كل واحد على التهرب من وضع هذه «**الرسالة**» المطلوبة والمساهمة في وضعها، ومع ذلك فقد وقع عليَّ الاختيار لأضع هذه «**الرسالة**» وبالجرأة والإخلاص والتضحية التي عهدتها في الصديقين الآنفي الذكر، انبريت لهذه المهمة، مدركاً كل الإدراك ما يحف بها من مخاطر، أقلها: قضاء حياتي في المعتقل، إذا ما نجوت من الموت بالأساليب المعروفة عن اليابانيين. وهذا ما تعرضت له بالفعل فقد وضعت «**الرسالة**»، فجاءت جريئةً إلى أبعد حدود الجرأة تصطدم بكثير من تعاليم المحتلين وأوامرهم، فهم ـ مثلاً ـ يفرضون علينا أو يجبروننا على عبادة الإمبراطور والسجود له،

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣٤)، الثلاثاء: ١٩ شوال ١٣٧٤هـ، ٣١ مايو ١٩٥٥م.

ويعتبرون الأعراض والمعايير الخلقية شيئاً لا قيمة له، ولكن «الرسالة» تشجب كلَّ ذلك، وتعتبره خروجاً عن الدين والملة، بقوة وصراحة وإصرار.

وهنا تبدأ المطاردة .. فقد بدأت السلطات اليابانية تسأل عن واضع «الرسالة»، تريد معاقبته على جرأته، وهي لا بد واصلة إلى معرفة حقيقته، إذن فلا مفرّ من اتخاذ خطوة إيجابية. ويجمع الأصدقاء أنّ خير طريقة للنجاة من سطوة أولئك للغاشمين، هي الهروب إلى بلاد بعيدة عبر البحر، ولكن كيف الهروب والبلاد مطوقة بشبه حصار عنيف؟! لا يمكن معه لداخل أن يدخل أو لخارج أن يخرج إلا بعد تفتيش دقيق، ثم لا ينتهي الأمر عند هذا الحد، فهناك أيضاً أخطار البحر الذي تنتشر فيه الغواصات وتنبثّ الألغام.

وبالرغم من كل هذه المصاعب فقد أمكنني الهرب والنجاة من الوقوع من براثن جيش الاحتلال بسنغافورة، ولكني لم أنج من تعقبه لي في سومطرا . فكيف هربت؟ وكيف تم اعتقالي في سومطرا ؟ إن لذلك قصة مليئة بالأهوال! سوف تكون موضوعاً لحديث خاص إن شاء الله.

* * *

الحلقة الخامسة(*)

وقفت بكم في حديثي السابق عند فكرة الهرب من سنغافورا، وكيف اختمرت في رأسي، وكيف أجمعَ أصدقائي على أن الهرب هو خيرُ وسيلة للنجاة من مطاردة السلطة العسكرية اليابانية، التي كانت قد بيتت أمرها على اعتقالي، عقب وضعي **لرسالةٍ** كانت هذه السلطة الغاشمة نفسها هي التي طلبت وضعها، تعريفاً لليابانيين بالعرب ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم. ولما وجدتْ أن هذه «**الرسالة**» تشجبُ كثيراً من تعاليم السلطة اليابانية وأوامرها المنافية لتعاليم الدين الإسلامي، التي كانت تجبر المسلمين عليها بالرغم من منافاتها لدينهم، لما وجدتْ ذلك واصطدمتْ بهذه الصراحة التي لم تكن تنتظرُها، رأت أن تعتقلَ كاتبها فراحت تبحث عنه وتتقصي القرائن التي تهتدي بها إليه .

ولقد تكتمت **لجنة المصالح العربية** (عرب ووكنج كوميتي) بسنغافورا ما وسعها الكتمان على اسمي، وحرصتْ كلَّ الحرص على عدم إفشائه، ولكن الجاسوسية اليابانية كانت على درجة عظيمة من النشاط والدقة، لذلك كان من المحتمل جداً أن يظهر اسم واضع الرسالة ولو بعد حين.

ومن هنا نشأت فكرة الهرب، ليس إلى حكومة أخرى، فإن ذلك كان يشبه المستحيل في أيام الحرب، وإنما للهرب إلى مقاطعة أو جزيرة أخرى بعيدة نوعاً ما من نفس الجزر التي احتلها اليابانيون، بحيث أنجو من قبضة السلطات في سنغافورا، وكان مما يشجع على هذه

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣٨)، ٨/ ذو القعدة / ١٣٧٤هـ، موافق ٢٨ يونيو ١٩٥٥م.

الفكرة ويجعلها قريبة إلى النجاح ـ في نظرنا على الأقل ـ أن تلك الجزر التي احتلها اليابانيون في الشرق الأقصى كانت كل واحدة منها تكاد تحكم حكماً مستقلاً عن الأخرى، ليس بينها ارتباط وثيق.

ولكن! بقي كيف يمكن تنفيذ هذه الفكرة وأمامي مصاعب جمة ليس من اليسير التغلب عليها؟ الهرب من طريق البر يقتضي تخطي حواجز عديدة ليس في الإمكان النجاة منها، وطريق البحر أسهل منالاً وأقرب إلى التنفيذ ولكنها تتطلب اجتياز عقبات وعقبات: تتطلب وجود مواصلات بحرية، وهي تكاد تكون منعدمة، ثم تتطلب تأشيرة السفر، وهي قاصمة الظهر، التي أخشى أن تحمل السلطات على البحث عن شخصيتي وهويتي ودواعي سفري، فينكشف المستور وأقع في الفخ، وإذا تمكنت من التغلب على هاتين المشكلتين فإن أمامي الغواصات والألغام المنبثة في البحر.

وبعد هذا وذاك: هل أدع أولادي وأفلاذ كبدي للويلات التي تتعرض لها جزيرة كجزيرة سنغافورا، هي بمثابة الهدف في الحرب وأذهب بعيدا عنهم، فتنقطع الصلة بيني وبينهم، وتتقاذفني الأنواء والعواصف في مضطرب المعارك والحروب، ليس لهم من يركنون إليه أو يهتفون باسمه!

وأخيراً .. أجمعت أمري، وصممت على الهرب مستصحباً معي عائلتي، التي كانت تتألفُ إذ ذاك من امرأتين وثلاثة أطفال، أحدهم رضيع في المهد، وبفضل صديق لي كان يتولى منصباً كبيراً استطعت أن أستغل نفوذه في الحصول على تأشيرة السفر إلى جزيرة سومطرا . وكان لي بيت سكن، هو (تحويشة العمر)، اشتريته بما ادخرته من جهد الشباب وكفاحه، فعرضته للبيع لأنفق ثمنه على المغامرة الخطرة التي أقدمت عليها، وكان طبيعياً أن لا يلقى هذا المنزل في ظروف الحرب الثمن اللائق به، ومن يقدم على شراء البيت في الوقت الذي تتعرض فيه البلاد للغارات الجوية صباح مساء ؟! وهكذا .. بعت المنزل بثمن بخس، واستأجرت قارباً بخارياً (موتُورْ بُوت) لا يتسع لأكثر من عشرة ركاب، قذفت فيه بنفسي ـ

وبأفراد عائلتي، وغادرنا مياه سنغافورا باسم الله مجراها ومرساها، متجهين صوب مدينة (فليمبغ) بسومطرا.

وساعدتنا الأقدار، فلم نتعرض للغارات الجوية، واجتزنا أخطار الغواصات والألغام بسلام، لكن حدث بعد أن قضينا ليلتين في البحر أن أصيبت الماكينة بعطل أوقف القارب عن السير، فكدنا نتوهُ في البحر، حيث لا مسعفَ ولا منجد، سيما والمواصلات البحرية تكاد تكون منقطعة . وظللنا على هذا الحال، تتقاذف قاربنا الأمواج والأعاصير . لا أدري كم من الساعات، غير أنني أذكر أننا بتنا ليلتنا الثالثة في ظلام دامس، وقد تجمع الأطفال في حضن أمهم، كما تتجمع الأفراخ تحت الدجاجة، والجميع في حالة ذعر وخوف من المصير المجهول، حتى إذا بلغ بنا اليأس مداه أذن بالفرج، فعاودتْ ماكينة القارب حركتها من جديد مع مطلع الشمس في صباح اليوم التالي، فاستأنفت السير. وفي اليوم السادس من رحلتنا الشاقة الخطرة، التي كنا فيها كالقشة في الخضم اللانهائي، طالعتنا مصافي البترول التي تقع على أطراف (فليمبغ) فكان ذلك إيذاناً لنا بالفرج بعد الشدة واليأس .

* * *

الحلقة السادسة(*)

المدينة العائمة:

ونزلنا إلى هذه المدينة، عاصمة سومطرا الجنوبية، التي يلاحظ فيها الغريب ظواهر كثيرة تلفت النظر، فهي مدينة يمكن أن توصف بالمدينة العائمة كما توصف بذلك (مدينة البندقية)، لأن أكثر منازلها تبنى على عواميد، تقوم في النهر الذي يفصل المدينة إلى قسمين.

ويظهر أن هذه المدينةَ قد تلقّت الأفواج الأولى من بحّارة الحضارم الذين كانوا يمخرون عباب اليم بسفنهم الشراعية من سواحل جنوب الجزيرة العربية الى موانئ الشرق الأقصى.

وقد أدركتُ في رحلتي هذه بقايا من هؤلاء (القباطنةِ العرب) قد بلغوا العتي من العمر، وتروَى لهم قصصٌ تدل على مهارة فائقة في معرفة المسالك البحرية، وبالرغم من أن دولتهم قد دالت فكثيراً ما يستعين ببعضهم (القباطنةُ الأوروبيون).

ويقدر عدد الجالية العربية الحضرمية في هذه المدينة بنحو أربعة آلاف، إلا أن معظمهم ـ مع الأسف ـ مواليد، لا يحسنون العربية، ولكن الذي يسترعي الانتباه أنهم مع ذلك ما زالوا حريصين على العادات والتقاليد التي كانت معروفةً في موطنهم الأول حضرموت، وتكاد تندرس فيه اليوم، ولعل ذلك يعتبر دليلاً على أنهم بقايا الأفواج الأولى

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣٩)، ١٤ ذو القعدة ١٣٧٤هـ، موافق: ٥ يوليو ١٩٥٥م.

من المهاجرين الحضارم الذين حملوا معهم هذه العادات والتقاليد فبقيت سلالتهم متمسكة بها حتى اليوم.

التدخين في المساجد:

والظاهرة الأخرى التي استلفتت النظر: أن هذه الجالية ليست لها نواد ولا هيئات، غير أن المساجد منتشرة في الأحياء الخاصة بهم انتشاراً كبيراً، وهي تتخذ من هذه المساجد شبه نوادٍ لها، فيؤدي فيها الشباب والشيوخ جميع صلواتهم، ولا يتأخر عنها فرد من أفرادهم إلا لعذر قاهر ،وفي انتظار الصلاة أو عقبها تعقد الحلقات في أبهاءَ ملحقةٍ بالمساجد لتداول الآراء في الشؤون المختلفة وتناقل الأخبار المستجدة، كما يصنع الناس في الأندية والجمعيات. والغريب! أنهم من خلال ذلك لا يتحاشون التدخين، مما لو شوهد في مساجدنا لكان محل استنكار عظيم، ويبررون عملهم هذا بأن تلك الأبهاء التابعة للمساجد ليست مساجد بحكم الوقف .

والآن .. وقد انفلت هارباً من قبضة السلطات اليابانية بسنغافورا، وألقيت عصا التسيار في (فليمبغ). هذه المدينة الحالمة العائمة في النهر، والمعروفة بثروتها من الذهب الأسود. الآن .. وقد وصلت هذه العاصمة، هل يمكنني أن أقول أني قد حققت الغاية التي يقف عندها كفاحي وجلادي؟

في سبيل الخير:

إن أمامي كفاحاً من نوع آخر؛ كفاحاً من أجل لقمة العيش، كفاحاً في سبيل إعالة النسوة والأطفال الذين جشمتُهم من الأهوال ما ينوء به الأشداء من الرجال، وبعد دراسة خاطفة أدركت أن نشاط التجارة في هذه المدينة تكاد يتحول إلى ميناء آخر هو ميناء (تلوء بتوغ) في مقاطعة (لامفوغ) الذي أصبح مركزاً لتهريب البضائع، وكانت التجارة في عهد الاحتلال الياباني تكاد تنحصر في التهريب، كنتيجة لاحتكار السلطات اليابانية لكل شيء.

في المعتقل مرة أخرى:

وهكذا عولتُ على الانتقال إلى (لامپوغ = لمفون) لعلي أجد فيها مجالاً للكسب، وفي (لامپوغ) هذه التي كنت أحسب أنها المنجاة من قبضة اليابانيين .. ألقيَ القبض عليَّ، وزُجّ بي في المعتقل العسكري. ولذلك حديث يطول لعلي أعود إليه في فرصة قريبة». كانت هذه الكلمات هي خاتمة ذكريات المعتقل الياباني، ولم يكتب بعدها شيئاً، ولكن ما كتبه يعد عملاً أدبياً رائعاً، من واقع تجربة مريرة عاش أحداثها بنفسه، وقصها بأسلوبه، وذلك عمل رائع.

تتمة الذكريات:

كان الجيش الياباني قد سيطر على الجزر الإندونيسية، وأحكم قبضته، وكان يعاقب بصرامة كل من يقف في وجهه أو يخالف أوامره وتعاليمه، وكان من الواجبات على طلاب المدارس أن يؤدوا تحية الصباح منحنين إجلالاً للإمبراطور الياباني (تحية العلم)، هكذا ديدنهم كل صباح! ولكن بافقيه ـ وهو المسلم الشجاع ـ لم يأبه بهذه التعليمات، ولم يكن طلابه ممن ينحنون في طابور الصباح، فعلم به الجيش المحتل، فاتهمه بالتعبئة والتحريض على المقاومة، وزجَّ به في السجن أشهراً أخرى، وصدر في حقه أمر بالإعدام، ولكن الله نجاه بسقوط الاحتلال الياباني واندحاره عن الأراضي الإندونيسية بعد استسلام اليابان معلنة نهاية الحرب العالمية الثانية.

* * *

(٩)

السنوات الأخيرة

في جزر جنوب شرق آسيا (الشرق الأقصى)

(١٣٦٥ – ١٣٦٩هـ) = (١٩٤٥ – ١٩٤٩م)

عقب انتهاء الحرب:

بعد استسلام اليابان للحلفاء غير المشروط في رمضان ١٣٦٤هـ (= ١٤ أغسطس ١٩٤٥م، ارتفع العلم الأمريكي فوق العاصمة طوكيو، وانتهت رسمياً الحرب العالمية الثانية، وقوِّض مسرحُ أحداثها، وأعلنت إندونيسيا استقلالها عن اليابان في (١٧ أغسطس ١٩٤٥م).

ومما دونه بخطه من شعر العلامة الشاعر المطبوع، السيد أحمد عبدالله السقاف، هذه القصيدة التي (قالها في سقوط اليابان واستسلامها للحلفاء، وما ارتكبته من شنائع أثناء الحرب)، وهي بعنوان:

تصحيح غلط[١]

غُـرورُكَ لا الأتـوم ولا الحسـامُ عليـكَ قُـضِي فلـم يطُـلِ المقـامُ

---

(١) وهي طويلة، ومن رامها فسيجدها برمتها في «الديوان» (ص ١٤٢-١٤٦).

فـأولُ قصـةِ المغـرورِ ظلـمٌ ... وآخرُهـا خضـوعٌ وانهـزامُ
أتحسـبِ أن تعيـشَ ولا تجـازى ... وتطمـع أن تُضـيمَ ولا تضـامُ
أتـترك عابثـاً بالـدين حـرب الـ ... ـفضيلة والمهـيمن لا ينـامُ
وقبلكَ كـم محـا الإسـلامُ مـن را ... مَنـه بجهلـه مـا لا يـرامُ

* * *

بدأت الحياة تدب في المرافق الاجتماعية، وعاود الناس تحركاتهم الحيوية، وبدأ يسأل بعضهم عن بعض، ويتسقطون أخبار من انقطعت أخبارهم من ذويهم وأصدقائهم، وكان الأستاذ أحمد **بافقيه** أحدَ الذين كثر التساؤل عنهم، إلى أن جاءت الأنباء بأنه حي يرزق، وأنه مقيم في بلدة (تلوء بتونج) في سومطرا، جاءته رسائل من أقاربه وأصدقائه تتفقد أحواله.

المدرسة العربية بالصولو:

الكثيرون يعلمون كفاحه العلمي، وبلغتهم ما قام به زمنَ الحربِ من افتتاح مدرسة في تلك البلدة البعيدة، ومن في الأوساط الثقافية في المهجر لا يعرف أحمد **بافقيه** ومعلوماته الواسعة، وهو الرجل الطائر الصيت، لهذا فقد رغبت إدارة المدرسة العربية في مدينة الصولو (جاوا الوسطى) أن تخطب وده، فدعته للتدريس بها، للاستفادة من خبرته التعليمية، وتوالت عدة رسائل تحثه على القدوم إلى الصولو، كان آخرها رسالة عليها إمضاء السيد **علي بن أبي بكر بن يحيى**، مؤكداً رغبة المدرسة الأكيدة في استقدامه، محيطاً إياه بتوفير السكن المناسب. **قال رحمه الله:** «كنت أرغب في الانتقال من تلك القرية إلى مدينة كبيرة أرتاح أنا وأولادي فيها، فاعتذرت لأهالي (تلوء بتونج) عن عدم قدرتي على المواصلة عندهم، وأخبرتهم عن تكرر طلبي من قبل مدرسة الصولو وحرص أصحابها على قدومي».

وهكذا .. ودّع الأستاذ بافقيه أهالي (تلوء بتونج)، وبدأ مشوار رحلة جديدة، إنه

يسأم ويمل من المكث في مكان واحد، فقد جبل على حب التغيير والتنقل في أرض الله الواسعة، فلنمض معه إلى مدينة الصولو، ونسمع أخباره فيها.

منظرٌ مرعِب!

كان منظر البحر عقب الحرب منظراً مؤذياً، كان بقايا الحطام المتناثر من الطائرات وغيرها إضافة إلى بعض الأشلاء يبدو طافياً هنا وهناك، وقد مر بالأستاذ بافقيه في هذه الرحلة مشهد مرعب، إذ رأى مركباً يغرق بمن على متنه وبكامل حمولته إلى الأعماق، ولا مسعف ولا منقذ! قال: «فأخذنا نتلو الأذكار، ونبتهل بالدعوات، ولم يزل خوفنا إلا بعدما لاحت لنا مشارف العاصمة (جاكرتا) ولم يطل مكثه في العاصمة، بل استقل مركوباً واتجه إلى مدينة الصولو.

المدرسة العربية في الصولو، ومنهجها الدراسي:

هي إحدى فروع مدارس (جمعية خير) الشهيرة في بلاد جاوا، وهي أحد المشاريع المنبثقة عن (جمعية الرابطة العلوية) التي أسسها جماعة من كبار علماء السادة العلويين (سنة ١٣٤٨هـ)، وعلى رأسهم العلامة الداعية الحبيب علي بن عبدالرحمن الحبشي[1]، ولها فروع كثيرة منتشرة في تلك النواحي، وتاريخها حافل ومشرِّف، يطول الحديث عنه جداً. لقد باشر الأستاذ بافقيه عملَه الجديد، وأخذ يلقي دروسَه على طلبة هذه المدرسة، وينظم سيرها ويرعى شؤونها بعين الخبير العليم، وساهم في بناء جيل من أجيالها، مسلحا بالعلم والثقافة العربية الإسلامية.

وقد وجدت في ثنايا دفاتر الأستاذ وكناشاته العتيقة، صفحات دون فيها منهج المدرسة العربية، وأبجديات التدريس العربي فيها نقلاً عن الأستاذ السيد علي بن يحيى

---

(١) ولد بجاكرتا سنة ١٢٨٦هـ، وتوفي بها سنة ١٣٨٨هـ، له سجل حافل من النشاط العلمي والدعوي، تنظر ترجمته في كتاب «منحة الإله» لابن حفيظ (ص٤٣٧)، وفيه ذكرت مصادر أخرى لترجمته.

العلوي. تلاها ذكر المنهج التفصيلي للمستويات الطلابية، ومما جاء فيه: (هذا منهج التعليم في مدرسة الرابطة العلوية بالصولو، الذي سيجري العمل به في سنين الدراسة في المدرسة، وقد لاحظت الإدارة عند وضعه هذه الأمور:

١- أن المقصود من إقامة هذه المدرسة هو تربية النشء تربيةً إسلاميةً عربيةً، مع تزويدهم بما هو ضروري من المعلومات التي لا غنى عنها.

٢- أن هذه المدرسة تتكون من قسمين: (تحضيري) ومدة الدراسة فيه سنتان، و(ابتدائي) ومدة الدراسة فيه خمس سنوات. تبدأ ساعات الدراسة اليومية من الساعة التاسعة حسب التوقيت الجديد، إلى الساعة الواحدة بالنسبة للقسم التحضيري سنة أولى، والى الساعة الثانية والنصف بالنسبة لسائر الأقسام الأخرى». انتهىٰ.

متابعته لأحداث الأراضي المقدسة في فلسطين، رجب ١٣٦٥ هـ:

لا ينسى الأستاذ رحمه الله وهو في غمرة الانشغال بالتدريس والاعتناء بالطلاب الصغار، لا ينسى، وهو العربي الصميم والمسلم الغيور، ما يجري من أحداث على تراب الأرض المقدسة الطاهرة، مسرى سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، فيتابع ما يقوم به اليهود الملاعين من تخريب وتدمير، وكان من بين الأحداث التي طار صيتها عبر وسائل الإعلام على قلتها وبساطتها آنذاك، خبر تهديم اليهود لعدد من الجسور التي تربط الطرق بين القرى والبلدان. فكان من الأستاذ الشاعر أحمد السقاف أن نظم أبياتاً يدين فيها ذلك العدوان ويندد به. وذلك ما وجدته بخط الأستاذ بافقيه رحمه الله قال: «أبيات قالها الأستاذ أحمد بن عبدالله السقاف، ليلة سمع خبر هدم اليهود لعدة جسور في فلسطين، ليلة الثلاثاء ١٨ يوني ١٩٤٦م، ١٨ رجب ١٣٦٥هـ:

ما للجنودِ مجنَّدَة؟! ... ما للسيوف مجردَة؟!
ما للقبائلِ من صحا ... ريها تهرول منجدَة؟!

الغـــرب يـــذكر في فلســـ ـــطين المسـيح ليعبـدَه؟!
أم ثـــم اخـــرج شـــطأه زرع اليهـــود لنحصـــدَه؟!
إن الجزيـــرةَ أصـــبحت ضـــدَّ العـــدو موحـــدَة
بطريفهـــا وبكـــل مـــا تـــرك الجـــدودُ مـــزوَّدَة
أبنـــاء يعـــرب دوركـــم إن الطريـــق ممهـــدَة
أدوا الرســـالة إن أر كـــان الســـلام مهـــددَة
واحمـــوا الحمـــى كـــل يعـــا نـــق للجـــلاد مهنـــدَه
وابنـــوا بقـــرب الـــنجم أبـــ ـــراج الطيـــور المســـعدَة
وبهـــا املئـــوا ذا الجـــوَّ مُبـــ ـــرِقةً، وطَـــوراً مُرعِـــدَة

تأبين السيد العيدروس؛ شعبان ١٣٦٥هـ:

وفي ثنايا كناشات الأستاذ رحمه الله، وجدت هذه الخطبة التي ألقاها في تـأبين بعـض الأعيان من مدرسي المدرسة العربية في الصولو، وأحد كبار رجالاتهـا الناهضـين بهـا. قـال رحمه الله:

«خطبة تأبينية في فقيدنا العظيم السيد عيدروس بن صالح العيدروس المتوفى مساء يوم الجمعة ١٢ شعبان ١٣٦٥ هـ، ألقيتها في حفلة ختام السنة الدراسية لمدرسة الرابطة العلوية بصولو، يوم ٢٠ شعبان ١٣٦٥هـ:

لقد كان المظنونُ أو المتوقَّعُ أن تلبس مدرستُنا هذه حلةً ذات بهجة ورُواء، في حفلتنـا هذه، أو محطتنا، إذا اعتبرنا حفلات السنيِّ الدراسية بمثابة محطـات لقافلـة عُصْـبة المدرسـة المغِذَّةِ السير، ولمواصلة السُّرى والإدلاج إلى غايتها النبيلة وهدفها الأسـمى، حيـث تطـرح عن كواهلها بعض الوعثاء الذي لاقتـه في كفـاح مرحلـة السـنة، وتسـتجم نشـاطاً مجـدداً لمواصلة الجهد الشريف لقطع المراحل الأخرى.

أجل! لقد كان ذلك متوقعاً، لولا أن تلفت ركب هذه القافلة، فإذا به يفتقد على حين غرة، عضواً في القافلة، كان هو المرموق إليه، والمناط به الآمال، فإذا الصدور تهبط وتصعد، إشفاقاً وهلعاً، وإذا القلوب خواء، وإذا الأماني مصوحة، والآمال ذاوية، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد اختلس القدر ركناً ركيناً من القافلة، واختطفت يد المنون روحاً نابضاً في الركب، فالقلوب حيرى تشعبت السبل أمامها، والنفوس ولهى جفت الدموع كمداً بمآقيها، تبكي في الفقيد الصلاح والاستقامة والإخلاص الفذ، والحركة الدائبة في خدمة العلم، وتندب فيه الأخلاق السامية، ومثال تلاشي الذات في خدمة المصلحة العامة. فلقد والله تحامل على عصبه ولحمه ودمه في سبيل ذلك، فآدته، وثقلت على جسمه مطامح روحه فقضت عليه! ولقد والله كان ينفق ساعات ليله ونهاره في تعليم أبناء هذا المعهد، في غير ما مقابل، سوى رجاء ثواب الله، فما يكل وما يمل، وما يتأخر عن مواعيده ساعةً، بله يوماً. حتى لقد كنا نغفل عن اليوم أو الساعة، فيكون دخوله علينا من هذا الباب تعريفاً لنا باليوم، وإيذاناً بالساعة، حتى لكأن الزمن أو التاريخ ينضبط به، ولا ينضبط هو بالتاريخ أو الزمن!

لله أنت أيها الراحل المبكي عليه! بالأمس كنت تعمل معنا في التهيئة لهذا اليوم، وتشاركنا الآراء والأعمال في اختبار الطلبة، وإعداد المعدات لهذا الحفل، حتى إذا حان موعده افتقدناك ولم نجدك، ولكم كان يكون ابتهاجنا عظيماً، وسرورنا مضاعفاً لو كنت تطالعنا اليوم بطلعتك البهية (من مقعدك هذا)، فتشاهد نتيجة جهادك وثمرة غرسك!

أتراك من فرط إخلاصك لله في جهادك، ورغبة في أن لا يداخل جزاءك غير ثواب الله، أديت واجبك الديني على أتمه وأكمله، حتى إذا حان الموعد الذي تسمع فيه ثناء المثنين، وإطراء المطرين، تواريت عن الأنظار، واحتجبت عن الأبصار، مبالغة في أن يكون عملك لله وحده!

لله أنت أيها الفقيد! بالأمس كان صوتك يرتفع داوياً من هذه القاعة، ويجلجل من هذا القسم، تلقي دروسك على أبنائك من طلبة هذه المدرسة. واليوم .. أين؟ أين ذلك الصوت الذي كان تهش له الأسماع وتنفرج القلوب، ويخزى الشيطان فيخسأ طريداً مدحوراً؟ كلا! كلا! إن كان ذلك الصوت لم يعد يمتزج بالأثير، ولم تعد تحمله إلى أسماعنا موجات الهواء، فإن دروسك لم تنقطع عنا، وإنما ارتفعت بها من حدود نطاقها الضيق إلى مجال أوسع وأفسح! فلئن كنت تلقيها على طلبة محدود عددهم، وكانت تحبسها الجدران، فإنك اليوم تلقي دروسك علينا جميعاً، لا يحدنا نحن عدد، ولا تحبسنا جدر، تعلمنا كيف يكون العظيم فيا لتاريخ أبلغ في العظة والدرس منه وهو في عالم حياة الأجساد والأجسام!

تعلمنا كيف أن بكاء الباكين، ولوعة الملتاعين، على فقد فقيد، إنما تكون على قدر نفعه، لا علمه ولا جاهه ولا ماله، وأحب الناس إلى الله أنفعهم لعياله! تعلمنا كيف تكون القدوة الصالحة في جميع مناحي العظمة، فكأن القدر إنما أوجدك لحكمة خفية، هي أن يجدد منك مثالاً حياً من لحم ودم يحتذيه الناس بعدك! حتى إذا ما ضربت من نفسك هذا المثال، انتهت بذلك مهمتك في الحياة.

وبعد؛ فلشدَّ ما وددت أن أجيل القول في تعداد فضائلك، وعرض مناقبك، ولكن أني، والمجال يضيق عن أن يتسع لذلك، وإنما هي زفرة كاوية، ونفثة مصدور، فاض بها الشعور الدامي، نفست بها عني بعض ما أجد في نفسي- من لواعج الأحزان التي تكاد تعصف بالحنايا من الضلوع. وإن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا لفراقك يا عيدروسُ بنَ صالح لمحزونون، ولا نقول إلا ما قال الصابرون: إنا لله وإنا إليه راجعون. صب الله على جدثك هواطل الرحمات، ورفع درجتك في عليا السماوات، لقاء ما قدمت في حياتك من أعمال، وتركت من آثار خالدات، وأسكنك في عليين، بجوار جدك المصطفى وسلفك الصالحين».

السيد أحمد بن عبدالله السقاف[١]:

كان مدرسة الصولو تحت إدارة السيد العلامة أحمد بن عبدالله السقاف، الرجل الذي أمضى حياته في التدريس في تلك البلاد، وقضى بها عمراً طويلاً يقرب من خمسة وأربعين عاماً، ثم سئم الاغتراب، وأراد أن يعود ويقضي ما تبقى من حياته في وطنه.

لقد مرَّت بالعلامة السقاف ضائقة نفسية عصيبة، أدت به إلى اعتزال الناس والاعتكاف في منزله، واشتد عليه ذلك الأمر أثناء فترة الحرب، ولم يعد بعدها قادراً على مزاولة عمله، فقام بترشيح السيد أحمد بافقيه ليخلفه في منصبه، وطلب من معاونيه في إدارة المدرسة أن يسرعوا في إحضاره. ولما وطئت قدما الأستاذ بافقيه أرض الصولو، سرعان ما ذهب لزيارة العلامة السقاف، الذي كانت زيارته غنيمة من الغنائم، فقد كان بقية قوم كرام، وكان رأساً من رؤوس العلم والفضل، زعيماً حكيماً مدبراً، إضافة إلى ورعه وتقواه، وما هو عليه من الاستقامة التامة.

مهندس الساعات:

كانت أيام بافقيه بجوار العلامة السقاف أياماً حافلةً بالذكريات الجميلة، فقد كان يتردد عليه في عزلته، وكان العلامة يأنس به ويرتاح إليه، وعرف عنه أموراً لم يعرفها الكثيرون ممن ترجموا له، منها ما أخبرني به رحمه الله **قائلاً**: «معروف عن السيد أحمد السقاف أنه كان أديباً كبيراً وشاعراً مفلقاً، وكان يقوم بهذه الحرفة، ولكن القليل جداً هم من يعرفون أنه كان مهندساً، ماهراً في إصلاح الساعات، وله هوايات أخرى يستعين بها في قضاء بعض أموره الخاصة».

---

(١) شاعر أديب ولد بمدينة الشحر سنة ١٢٩٩هـ، هاجر إلى إندونيسيا في زمن مبكر من شبابه، له يد طولى على التعليم العربي في إندونيسيا، له ديوان شعر، وبعض المؤلفات التاريخية والتعليمية، توفي سنة ١٣٦٩هـ عن (٧٠) عاماً، رحمه الله.

الموتُ شَوقاً على متن باخرة:

كان السبب الرئيس في عزلة العلامة السقاف هو شوقه الشديد إلى وطنه حضرموت، وكان، قبل أن تدهم الحرب تلكَ الديار، قد حزم أمتعته وتأهب للرحيل، ولكن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن، وظل هاجس الرحيل يقضّ مضجع الرجل، ويجعله لا يهنأ بنوم ولا أكل .. شأنه شأن العاشق الولهان! وكان يقول: «كفاني جلوساً في جاوة، أخاف أن يعاتبني ربي على الأربعين السنة التي قضيتها هنا». وله في هذا المعنى(١):

رَضِيتُ مِن الغنيمةِ بالإيابِ ... وعدتُ من المشيبِ إلى الشبابِ
وما غيرتُ شيئاً غيرَ أني ... حذفتُ الأربعينَ من الحسابِ

وقال مودعاً أرض جاوة مستقبلاً أرض وطنه الحبيب:

وداعاً أيّها المرعَى الخصيبُ ... ففيكَ العيشُ أضحَى لا يطيبُ(٢)
قصَدتُكَ والشَّبابُ يهُزُّ غصني ... وها أنذا يهزُّنيَ المشيبُ
أبعدَ هَديَّتي لكَ صفوةَ العمـ ... ـرِ في صِدقِ المودَّةِ تستَريبُ
رويدَك إنَّ لي وطناً عزِيزاً ... يرحِّبُ منه بِي صَدرٌ رحِيبُ

تأخر السيد السقاف في جاكرتا برهة، ثم استقل الباخرة من جاكرتا يوم الأربعاء ٢٦ جمادى الآخرة عام ١٣٦٩هـ (= ١٤ أبريل ١٩٥٠م)، وفي صبيحة اليوم التالي الخميس، وافته منيته على ظهر الباخرة! رحمه الله.

---

(١) «ديوان السيد أحمد عبد الله السقاف» (ص ١٩١).

(٢) «ديوان السيد أحمد عبد الله السقاف» (ص٢١٥).

بافقيه في إذاعة جاكرتا:



١٩٥١م: الرئيس سوكارنو على مكتبه، والى يمينه محمد أسد شهاب، فرجل ثم الأستاذ محمد ضياء شهاب (على اليسار).

* عن كتاب «صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصرة»، للأستاذ أسد شهاب (ص ٥١).

لم تطل أيام بافقيه في مدرسة الصولو، فقد دعي من قبل الحكومة الجديدة للمشاركة في تأسيس القسم العربي في إذاعة العاصمة جاكرتا، وكانت الإذاعة تحت إشراف مستشرق هولندي هو الرحالة (ڤان دِر ميولين)[١]، الذي كان مكلفاً بهذا العمل من قبل الحكومة.

ثم أضحى الأستاذ بافقيه مديراً لهذا القسم (العربي)، مذيعاً ومعداً للبرامج في نفس الوقت، كما كان من بين العاملين في هذه الإذاعة السادة محمد ضياء وأخوه محمد أسد آل شهاب، وحسين محمد الحبشي، وغيرهم، وقبيل مغادرته الأراضي الإندونيسية، استخلف

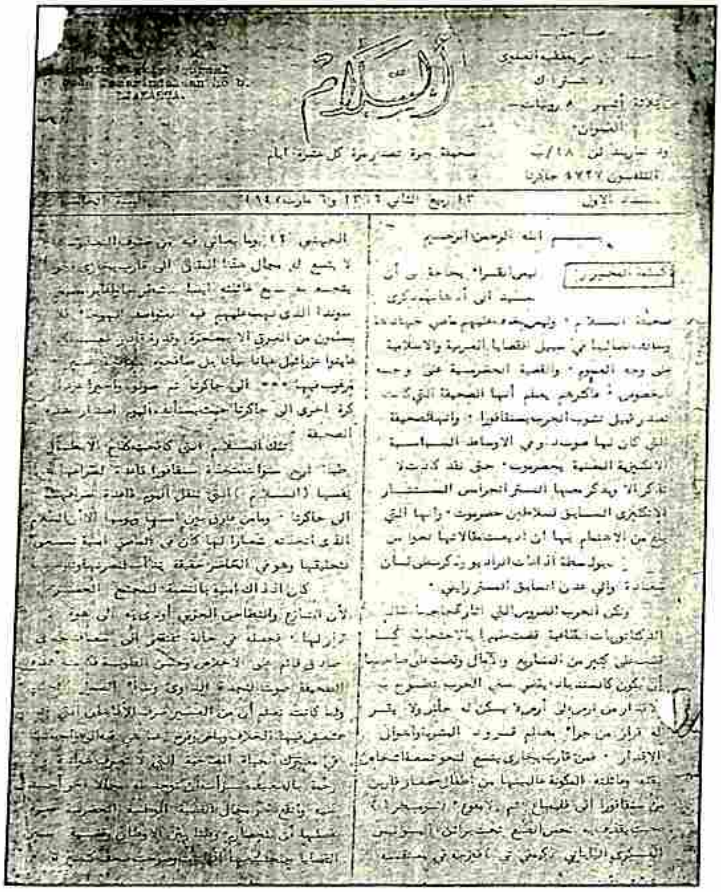
---

(١) رحالة هولندي، قام بعدة رحلات إلى حضرموت في الأعوام: ١٩٣١م، ١٩٣٩م، ١٩٤٥م، إلى جانب رحلات أخر إلى صنعاء وغيرها. عن مقدمة رحلته الثانية «**رحلة في جنوب شبه الجزيرة العربية**»، بقلم معربها د. محمد سعيد القدال (ص ٥).

بافقيه الأخوين ابن شهاب في منصبه، فقاما بالعمل خير قيام.

«صحيفة السلام» في العاصمة جاكرتا؛ مارس ١٩٤٧م:

وإلى جانب الإذاعة، كان له نشاط صحفي أيضاً، فأصدر «**صحيفة السلام**» من جديد في جاكرتا، وكانت قد دخلت عامها الخامس. وصدر العدد الإندونيسي الأول بتاريخ ١٣ ربيع الثاني ١٣٦٦هـ، موافق ٦ مارس ١٩٤٧م، وهذه افتتاحيتها:



السلام

صحيفة جمعية تصدر مرة كل عشرة أيام

١٣ ربيع الثاني ١٣٦٦ و٦ مارس ١٩٤٧

صورة للعدد الأول

من «صحيفة السلام» الصادرة في جاكرتا

كلمة المحرر (*)

«ليس القراءُ بحاجةٍ إلى أن نعيد إلى أذهانهم ذكرى «صحيفة السلام»، وليس بخافٍ عليهم ماضي جهادها، وسالف نضالها في سبيل القضايا العربية والإسلامية على وجه العموم، والقضية الحضرمية على وجه الخصوص.

فأكثرهم يعلم أنها الصحيفة التي كانت تصدر قُبَيلَ نشوب الحرب بسنغافورا، وأنها الصحيفةُ التي كان لها صوتٌ داوٍ في الأوساط السياسية الإنكليزية المعنية بحضرموت، حتى لقد كادت لا تذكَرُ إلا ويذكر معها (المستر إنجرامس) المستشار الإنكليزي السابق لسلاطين حضرموت، وأنها التي بلغ من الاهتمام بها أن أذيعت مقالاتها نحواً من أربع سنوات بواسطة إذاعات الراديو، وذكرت على لسان سعادة والي عدن السابق (المستر رايلي).

ولكن الحربَ الضروس التي أثار عجاجَها مظالمُ الدكتاتوريات الطاغية، قضت عليها بالاحتجاب، كما قضت على كثير من المشاريع والآمال، وقضت على صاحبها أن يكون كالسندباد، يقضي سِنيَّ الحرب تطوِّحُ به الأقدار من أرض إلى أرض، لا يسكن له جأش ولا يقر له قرار، من جرّاء مظالمِ قرود البشرية وأهوال الأقدار: من قارب بخاريٍّ يتسع لنحو تسعة أشخاص يقله وعائلتَه المكونة غالبيتها من أطفال صغار، فارين من (سنغافورا)، إلى (فليمباغ) ثم (لامپوغ) ثم (سومطرا)، حيث يقذف به نحس الطالع تحت

(*) «صحيفة السلام»، جاكرتا، السنة الخامسة، العدد الأول،، بتاريخ: ١٣ ربيع الثاني ١٣٦٦هـ، موافق: ٦ مارس ١٩٤٧م.

براثن البوليس العسكري الياباني (كيم ڤي تي)، فيزجه في معتقله الجهنمي (٤٢) يوماً، يعاني فيه من صنوف التعذيب ما لا يتسع له مجال هذا المقال.

إلى قارب بخاريٍّ آخر يتجه به ـ مع عائلته أيضاً ـ شطرَ (جاوا)، عابراً (مضيق سوندا)، الذي تهب عليهم فيه العواصف الهوجاء، فلا يسلمون من الغرق إلا بمعجزة وقدرة قادر، بعد أن عاينوا عزرائيل عياناً بياناً، بل صافحوه مصافحةً غير مرغوب فيها، إلى (جاكرتا) ثم (صولو)، وأخيراً عَوداً كرةً أخرى إلى (جاكرتا)، حيث يستأنف اليوم إصدار هذه الصحيفة.

تلك «**السلام**»! التي كافحت كفاح الأبطال طيلة أربع سنوات، متخذة (سنغافورا) قاعدة لصراعها .. هي نفسها «**السلام**» التي تنقل اليوم قاعدة صراعها إلى (جاكرتا)، وما من فارق بين أمسها ويومها إلا أن «**السلام**» الذي اتخذته شعاراً لها كان في الماضي أمنية تسعى لتحقيقها، وهو في الحاضر حقيقة تدأب لنصرتها وتدّعيها . كان إذ ذاك أمنية بالنسبة للمجتمع الحضَري ؛ لأن التنازع والتطاحن الحزبي أودى به إلى هوة لا قرار لها، فجعله في حالة تفتقر إلى إسعاف جدّي صادق، قائم على الإخلاص وحسن الطوية، فكانت هذه الصحيفة صوت النجدة الداوي، ونداء الضمير الحسن.

ولما كانت تعلم أن من العسير صرفَ الأذهان ـ التي قد عشعش فيها الخلافُ وباض وفرّخ ـ عما هي فيه، إلى واجباتها في معترك الحياة الصاخبة التي لا تعرف هوادةً ولا رحمةً بالضعيف، رأت أن توجِدَ له مجالاً آخر أجدى عليه وأنفع هو: مجال القضية الوطنية الحضرمية. فعُرِف بفضلها: أن **للحضارم وطناً بين الأوطان**، وقضية بين القضايا، جلجلت بها إذاعات، وصرخت صحف كثيرة. فكان ذلك مرحلةً أولى فيما استهدفته الصحيفة من السلام الداخلي.

وكان السلام أيضاً أمنية الإنسانية جمعاء ؛ لأن العالم كان يغلي غليان المرجل، بحكم

الأطماع الشعبية وسياسة التوسع الاستعماري واستعباد البشرية، وقد وقر في أذهان عشاق السلام الإشفاق على الإنسانية من عواقب ذلك التيار الجارف إلى سعير الحرب الحاطمة.

فكانوا يهتفون منادين بمقاومة الاستعباد والاستعمار، الذي اعتقدوه منشأ كل ما يتخوفه المصلحون والمفكرون على دعائم السلام، وكانت هذه الصحيفة في طليعة المؤمنين بذلك المبدأ الشريف، والصارخين بفكرته، العاملين لتحقيقه.

أما اليوم .. فقد شاء الله أن يحقق نية السلام بتحطيم أعدائه، مثيري رَهَجَ الحرب، ونافخي النار في أتونها. ولكن بعد ماذا ؟ بعد أن اجتاز العالم أشد امتحان، وأعظم درس، نرجو أن يستفيد منه ساسةُ الحكومات وقادة الدول ما يردعهم عن تكرار الغلطة.

غير أنه وإن كان قد أصبح حقيقة واقعة ـ لا عبرة بالمنازعات الموضعية كالجاري في هذه البلاد ـ فإنه يقوم على دعائم متينة، لا تضمن له الاستمرار إلا بتطبيق العدل والحرية والمساواة ومبادئ الديمقراطية الحقة، والخروج بها من حيز النظريات المدونة في المواثيق والاتفاقات إلى حيز الوجود والعمل القائم عليه البينات.

وبعد ؛ فنريد أن نشير بهذه الفذلكة إلى أن هذه الصحيفة كما رافقت **السلام** وهو أمنية تشارك في تحقيقها، فهي اليوم تستأنف الجهاد كي ترافقه وهو حقيقة، تساهم في تدعيمها وتقوية أركانها، سواء في الداخل أو الخارج، فستبقى بعيدة عن الحزبيات لا تعيرها التفاتاً ولا تصيخ إليها بسمع. بل العكس من ذلك .. ستدأب لتأليف القلوب وتنبيه الشعور إلى الواجبات الدينية والقومية، والإهابة بمهاجري الحضارم إلى وطنهم الذي دخل في دور جديد من النهوض واليقظة بقدر ما تأخر من في المهجر منهم أشواطاً بعيدةً تمهيداً للِّحاق بركب الجامعة العربية العتيدة.

كما ستعمل لتقريب وجهات النظر إيجاد التفاهم بين عرب المهجر وإخوانهم من أبناء الوطن، على أساس: (صديقك من بصرك بعيوبك). أما بالنسبة للبلدان العربية الأخرى:

فلن تحيد خطتها عما يوحيه إليها منهج (جامعة الدول العربية)، التي أصبحت مطمحَ أنظارٍ، ومطلع آمالٍ من أبناء العروبة أجمع. انتهىٰ.

وتنتهي «السلام»:

استمرت «السلام» في الصدور لفترة غير طويلة، وآخر عدد وقع بيدي كان بتاريخ ٢٥ شهر رمضان ١٣٦٦هـ، وبه تكون أعداد المجلة الصادرة في جاكرتا حوالي (١٦) عدداً، ولا أظنها زادت على ذلك، لأن الأستاذ في هذا العدد وجه عتاباً للذين لم يسددوا ثمن اشتراكاتهم فيها، مما يوحي بوجود أزمة مالية منعت الاستمرار.

مع السيد علوي بن محمد الحداد، (بُوقُور):

بالقرب من العاصمة جاكرتا، تقع مدينة بوقُور، وكان يسكنُها جماعةٌ من أقارب الأستاذ بافقيه، على رأسهم (ابنُ ابنِ عمته) العالم الرباني السيد علوي بن محمد بن طاهر الحداد، ولم يكن الأستاذ بافقيه يخليه من الزيارات بين الفينة والأخرى، ويحضر مجالس الوعظ والإرشاد التي يعقدها.

كان السيد الحبيب علوي الحداد صاحب مكارم أخلاق، وله جاه كبير بين الناس، فهو إلى علمه وفضله يصلح بين الناس، ويبذل جاهه وماله ونفسه في سبيل ذلك، إلى جانب مهم في شخصيته وهو جبره للخواطر وتفقده لأحوال معارفه وقرابته، وكان للأستاذ بافقيه نصيب وافر من هذا التفقد والعطف، وكثيراً ما كان الحبيب علوي يخلو بقريبه يسأله عن أحواله وعن شؤونه الخاصة، وكان هذا السؤال والتفقد له تأثير كبير في نفسيته، كما كان يخبرني رحمه الله، فهو لم ينس طيلة حياته حَدْبَ الحبيب علوي عليه ومحبته له، وكان السيد (الحبيب) المذكور من المشجعين للأستاذ على الهجرة إلى عدن، لأنها أكثر أمناً من بلاد الملايو لرجل في مثل نشاط الأستاذ رحمه الله.

(١٠)

قراءة سريعة

لتاريخ عرب حضرموت السياسي في جنوب شرق آسيا

لكي نفهم الوضع السياسي الذي عاشه الأستاذ بافقيه في تلك الأصقاع البعيدة، ولنطلع ـ ولو بعض الشيء ـ على حياة أبناء العرب هناك، وتمهيداً لمعرفة الأسباب التي أجبرت الأستاذ بافقيه على مغادرة إندونيسيا بعد أن عاش فيها زهرة عمره، وقضى فيها لبانات الشباب .. كان علينا أن نعقد هذا الفصل.

قضية المولدين العرب:

في خضم الأحداث السياسية التي كانت تموج بها جزر الأرخبيل الملايوي، كانت هناك قضية وطنية تشغل الرأي العام، وتشكل عقبة أمام عرب إندونيسيا، وهي **قضية المولدين العرب**، وحقوقهم الوطنية، وقضية الاندماج.

ولنعد قليلاً إلى الوراء، إلى ما قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، ففي مطلع القرن العشرين الميلادي، كانت هناك حركات تنصيرية بدأت تشتد وتأخذ طريقها في أوساط المسلمين الذين يشكلون أغلبية ساحقة في إندونيسيا.

كانت هولندا تحمل الكثير من المخاوف تجاه العرب الحضارمة، الذين أقلقوها بالثورات والحركات الجهادية في طول الجزر وعرضها، وكانت ترى أن عرب حضرموت ـ ومعهم المسلمون الوطنيون بالطبع ـ يشكلون خطراً على أمنها واستقرارها ومصالحها السياسية في تلك الجزر. لذلك .. فقد أنشِئ في العام ١٣٠٠هـ (= ١٨٨٣م) مكتب في

العاصمة (بتاوي = جاكرتا) يختص بشؤون الإسلام والعرب في إندونيسيا، وكان تحت إشراف البروفيسور (سنوك هرخرونيه)[١].

مخاوف هولندا من عرب حضرموت:

من القرارات التي اتخذتها حكومة الاستعمار الهولندي بناء على توصيات (سنوك): وقف الهجرة العربية من خارج إندونيسيا، ففي رسالة منه إلى الحاكم العام بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٩٠٢م يقول: «إن وجود الحضارم في هذه البلاد لا يفيد الشعب والبلاد، بل إنه يجلب عليهم الخسائر المادية، وأنه في حالة فتحت جاوة أبوابها لهؤلاء، فإنه عددهم سيتضاعف مما يعني صعوبة مراقبتهم»[٢].

عرب حضرموت هم الذين كانوا يشكلون الخطر الأكبر على مصالح هولندا في إندونيسيا، لذا أعاقت هجرتهم بشتى الوسائل، من صعوبة الحصول على تذاكر السفر عبر البحار، ومن وصل منهم إلى إندونيسيا كان نزوله من الباخرة من الصعوبة بمكان، وإذا نزلوا من الباخرة صعب عليهم الحصول على الإذن بالإقامة، وإذا تحصلوا على الإذن كان عليهم البقاء في مدينة معينة فقط، بل في جزء معين من المدينة، وليس لهم التنقل داخل المدينة فضلاً عن الذهاب إلى مدينة أخرى إلا بإذن من الحكومة! وفوق ذلك، كان الموظفون الهولنديون يعاملون العرب معاملةً مزريةً مخزيةً، بأسلوب فظ وحشي، وحينما يجدون على العربي زلة أو خطأً أسرعوا بجره إلى مخفر الشرطة التي كانت تبطش بالعرب وتنكل بهم بلا رحمة ولا هوادة[٣].

وبهذا .. نصب (سنوك) وحكومته أنفسهم أوصياء على الشعب الإندونيسي، وانظر إلى بعض ما كتبه (سنوك) في أحد مؤلفاته حول هذه المهمة القذرة: «من الصعوبة أن نجد

---

(١) حامد القدري، «كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي في إندونيسيا» (ص ٨٩).

(٢) حامد القدري، مصدر سابق (ص١٠١).

(٣) حامد القدري، مصدر سابق (ص١٠٠).

في العالم شعباً أكثر من شعب جاوة طاعةً لرؤسائهم .. وبما أن الإسلام لم ينشط في إندونيسيا إلا قريباً، فالكثير من نواحي الحياة الإندونيسية لم يصلها الإسلام بعد، وهذا يسهل تقبل عناصر ثقافية جديدة، على شرط عدم القيام بأي عمل عدائي تجاه معتقداتهم الدينية ... يجب استغلال الفرصة قبل فوات الأوان، قبل أن يجد ذلك العنصر المعادي للحضارة الحقيقية ـ المتمثل في الإسلام؛ بقية من مرض القرون الوسطى ـ الفرصة للتأثير على أهل البلد الذين هم حتى الآن لا يزالون محصنين ضده، فعلينا وبكل الوسائل أن نضاعف من تحصينهم ضد هذا المرض .. الإسلام»![1].

وبغض النظر عما في هذا النص من تزوير وقلب للحقائق، فموضع الشاهد هنا ذكر نشاط الاستعمار في الحد من المد الإسلامي، وأخذ الأهبة الكاملة لذلك على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية، هذه القوانين الجائرة تجاه العرب **وأبنائهم** كانت نتيجة اعتقاد الهولنديين: أن الإسلام هو عدوهم الأول، وأن: (العربَ وأبناءهم والإسلام) .. كيانٌ واحد لا يتجزأ. ورغم أن سنوك كان يطلب باستمرار وقف الهجرة العربية مع استمرارية تطبيق نظام التنقل على العرب وأبنائهم، إلا أن الهجمات في الصحف والمجلات العربية اليومية التي كان يكتبها العرب في الخارج، كان لها أثرٌ سيّء على تلك السياسة، وكشفت النقاب عن مساوئ نظام التنقل، بل شوهت اسم هولندا عالمياً، وأرغم (سنوك) وهو (المواطن الصالح الحكيم) إلى تغيير سياسته تجاه العرب وأبنائهم، ولكنه بقي مصراً على وقف هجرة العرب من حضرموت[2].

---

(١) سنوك هرخرونيه، «**هولندا والإسلام**» (ص٧٨-٨٠)، نقلا عن: حامد القدري، **مصدر سابق** (ص٨٩-٩٠).

(٢) حامد القدري، **مصدر سابق** (ص١٠١-١٠٢).

حركة الجامعة الإسلامية:

حركة الجامعة الإسلامية: تيار فكري كان يستهدف الوحدة الشاملة لكل المسلمين في كيان سياسي واحد، وكان نشوؤها في عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر، ووصلت ذروتها قبل نهاية ذلك القرن. مفكر الجامعة الإسلامية الرئيسي وفيلسوفها الأول هو **جمال الدين الأفغاني**، الذي دعا إلى ضرورة الوحدة الإسلامية، وبعد أن نفي إلى باريس بدأ بنشر مجلته الشهيرة جداً «**العروة الوثقى**»، التي دعت إلى وحدة كل الشعوب الإسلامية ضد الهيمنة الغربية(١).

تأثير هذه الحركة في الأوساط العربية بإندونيسيا:

كان سنوك دائماً يربط مسائل العرب وأبنائهم بحركة الجامعة الإسلامية في إندونيسيا، لأن هذه الحركة ـ من وجهة نظر هولندية ـ تسببت في الكثير من الفوضى والشغب في جزيرة جاوة، وكانت من القوة بحيث إنها تستطيع أن تضع الحكومة الهولندية في موقف حرج.

إن (سنوك) في النص الذي نقلناه عنه سابقاً كان يناقض نفسه، فهو في بعض رسائله وتقاريره السرية التي كان يبعثها من (بتاوي) إلى الحاكم العام يعترف بأن (حركة الجامعة الإسلامية) قد تغلغلت في الأوساط العربية، بين الحضارم، منذ أكثر من ٣٠ عاماً، ويذكر في تقريره: أن الحركة ما زالت تنتشر، وأن أقوى المدافعين عنها ليسوا من العرب (مجهولي الهوية) أو من (صغار الحُجَّاج)، بل معظمهم من وجهاء المجتمع الحضرمي في بتاوي، مثل السادة: علي بن شهاب صاحب العقارات في منطقة (مينتيغ)، والثري عبدالله بن علوي العطاس صاحب العقارات، وسهل بن سهل، وعبدالقادر العيدروس، وغيرهم كثير.

---

(١) أحمد الموصللي، «**موسوعة الحركات الإسلامية**» (ص١٦٤، و٢٠٠)، وينظر للفائدة: كتاب «**الجامعة الإسلامية والفكرة القومية**»، د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٤هـ.

نظراً إلى وضع حضرموت الداخلي المتمزق، وعدم وجود كيان حكومي يضبط الأمن في المنطقة، فقد كان الأفراد المهاجرون يحملون في دواخلهم هموماً وآمالا في الانضواء تحت حكومة قوية، وكانت أنظارهم تطمح إلى دولة الخلافة العثمانية، التي لم يكن هناك من يمثلها في حضرموت ولو أصغر موظف تركي(١).

وقد نشأت في إندونيسيا في تلك الفترة ألوان أخرى من الأنشطة السياسية والحركية، منها: **الجمعية الخيرية** سنة ١٩٠٤م، **والاتحاد الإسلامي** سنة ١٩١٢م، **والجمعية المحمدية** التي أسسها الحاج أحمد دحلان في نفس السنة ١٩١٢م. وكان قيام هذه الجمعيات كردود فعل لسياسة هولندا المسيحية التي نشطت في التنصير كما سبق ذكره.

بعد الحرب العالمية الأولى:

اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، وقامت بعدها الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك، وعقب تلك الثورة ماتت أو وئدت فكرة الجامعة الإسلامية التي كانت حلماً جميلاً طالما دغدغ مشاعر المسلمين في أقطار العالم، مما أدى إلى إصابة مسلمي إندونيسيا بالحيرة، وفقدوا ذلك الشعور والحماس الذي كانت تخشى منه حكومة هولندا.

انقطعت السبل، وقلت الهجرة بسبب الحرب، وانقطع الدعم المعنوي المتمثل في الاتصال المباشر بمكة المكرمة، وخبا الحماس الإسلامي، وانقسم مسلمو إندونيسيا إلى قسمين، مؤيد ومعارض للثورة العربية على تركيا، وعقب ظهور الحركة القومية في بلاد العرب، انتقل صداها إلى إندونيسيا .. وبدأت بذور الحس القومي بالظهور والنمو في المجتمعات الإسلامية، فبعد أن كان مسلمو إندونيسيا وأبناؤهم يعتبرون أنفسهم إندونيسيين مسلمين، صاروا يفضلون أن يعرفوا كعرب أولاً ثم كمسلمين ثانياً، وصار

---

(١) حامد القدري، مصدر سابق (ص١٠٤).

شعار القوميين: (أنا عربي قبل أن أكون مسلماً)[٢].

سياسة سنوك، بين النجاح والفشل:

لئن كانت سياسة (سنوك) قد فشلت تجاه المد العربي الإسلامي، ولم يستطع تحقيق مآربه الحاقدة في تلك الآونة .. لكنه نجح في التأثير على الأفكار، فقد قامت الحكومة الهولندية بدءاً منذ العام ١٩٠٦م بافتتاح مدارس ابتدائية خاصة بأبناء الإندونيسيين النبلاء (أبناء السلاطين والأثرياء)، وعلى وجود بعض المعارضات من قبل الآباء في بعض الأحيان، إلا أنهم لم يستطيعوا الصمود طويلاً. وبعد هذه الخطوة، عاد (سنوك) إلى وطنه، ورُقِّي إلى درجة (أستاذ كبير) في جامعة ليدن، وتلقى أبناء العرب والوطنيين الإندونيسيين الذين قدموا للدراسة الجامعية في جامعة ليدن، وأتيح له حينئذ أن ينشر أفكاره ونظرياته، ويعممها على (نوعية خاصة) من الطلاب، وأن يحول مجرى أفكارهم إلى الأهداف التي يريد. لقد أصبح طلاب (سنوك) المتخرجين من جامعة ليدن، مستشارين للحكومة في شؤون العرب والوطنيين، ونشر التربية والثقافة الغربية لتحرير المجتمع من التدين، وكان لهذا الأسلوب أثر كبير، إذ كان أولئك الخريجون يتمتعون بالحرية الفكرية (والحماية)، وجعلت لهم حكومة الاستعمار (مكانة خاصة) مرموقة.

كانت نظرية (سنوك) تعتمد على أن أبناء النبلاء قليلو الجدية في أداء الواجبات الدينية، بل كانوا يعينون حكاماً للولايات على هذا الأساس، فكلما كان الحاكم سطحياً من الناحية الدينية، كلما كان مقرباً من الحكومة، وكلما طالت فترة حكمه. .. ولكن، حتى هذا النجاح لم يكتب له الاستمرار، وبالتالي فإن سياسة (سنوك) عند تقييمها في خاتمة المطاف لا تساوي إلا فشلاً ذريعاً، ونصراً للعرب المسلمين كما سنرى[١].

---

(٢) حامد القدري، مصدر سابق (ص١١٥-١١٦).

(١) حامد القدري، مصدر سابق (ص ١٠٦-١٠٧).

رابطة عرب إندونيسيا؛ ١٩٢٩م:

في عام ٢٩ أو ١٩٣٠م، نهض شاب من عرب حضرموت اسمه **محمد بن عبد الله العمودي**، من خريجي المدارس المصرية، وتجول في ربوع إندونيسيا في محاولة منه لجمع التأييد الشعبي العربي حول إقامة تجمع لعرب إندونيسيا، وكان له ما أراد، فأسس في تلك السنة التجمع الذي أطلق عليه (رابطة عرب إندونيسيا)، على غرار حركة المولدين الهولنديين التي أقامتها حكومة الاستعمار.

ولقيت فكرة العمودي ترحيباً حاراً في الأوساط العربية، لاسيما وأنها جاءت بعد ذلك الشرخ الكبير الذي أصاب مجتمع العرب الحضارمة، لقد عرفوا فيما بعد أنه ما كان إلا مكيدة من المكايد الاستعمارية، حسب نظرية (فرق تسد)، ولكن بعد أن تكبدوا من جراء ذلك خسائر كبيرة في الجهد والمال، وضاعت الكثير من أوقاتهم، وكان الرابح الوحيد هو الاستعمار.

نشطت هذه «**الرابطة**» اجتماعياً ودينياً، ولكن .. لم يكتب لها الاستمرار كثيراً بعد ذلك، لأنها كانت تعتمد بصورة كبيرة على تبرعات الأغنياء، ولم تستطع التخلص من النظام العشائري الحضرمي، مما أدى إلى حدوث انقسامات في صفوفها، وكانت أمام أعضائها عقبة كأداء تتمثل في موقفهم من قضية الاندماج الذي كان قد استشرى بين أبناء كثير من العرب. سنة وبضعة أشهر هو عمر هذه «**الرابطة**» فقط، فانسحب منها أكبر مؤيد لها وهي جمعية الإصلاح والإرشاد التي انسحبت من مؤتمر الرابطة المنعقد سنة ١٣٥١هـ ليأسها من جدواه، وهنا يبرز دور حزب آخر نشأ على نقيض أهداف هذه الرابطة.

اتحاد عرب إندونيسيا أو (حركة مواليد العرب)؛ ١٩٣٤م:

كان **عبد الرحمن باسويدان**[١] ـ من عرب إندونيسيا تعود أصوله إلى مدينة (شبام) بحضرموت ـ أحد أعضاء (الرابطة) السابقة الذكر، ولما رأى أن (الرابطة) لا تحقق الأهداف، وشعر بعدم قناعة من أعمالها، فقام بتأسيس حزب سماه **اتحاد عرب إندونيسيا**، ولقيَ هذا الحزبُ دعماً كبيراً من العلويين وغيرهم، وكان تأسيسه في الرابع من أكتوبر ١٩٣٤م. لقد كان الاتحاد في تأسيسه يهدف إلى جمع شمل العرب تحت كلمة واحدة بعيداً عن التدخل في الشؤون السياسية، ولكنه لم يستمر على هذا النهج طويلاً، فقد انخرط في العمل السياسي بعد ذلك.



عبد الرحمن باسويدان

---

(١) يجد القارئ الكريم معلوماتٍ هامةً وقيمةً عن نشاط الأستاذ باسويدان وعمله الوطني والإسلامي في كتاب «**علماء ومفكرون عرفتهم**» للأستاذ محمد المجذوب رحمه الله، دار الاعتصام، القاهرة (ص ١٨٧-٢٠٠).

وكان من سياسات الاتحاد الداخلية: أن لا يطلق لقب (سيد) على أحد من أعضائه، بل الجميع (إخوة)، وغلب لقب (أخ) على لقب (سيد). وكان من رؤسائه: حسين العطاس، تولى الرئاسة قبيل حلِّ الحزب في ٤٦م. ومما كتبه بعض الغربيين (بلوفيير) عن هذا الحزب: «إنه أهم التجمعات للعرب، ويهدف إلى اتخاذ إندونيسيا وطناً لأبناء العرب، وأن عليهم أداء واجباتهم كاملةً تجاه هذا الوطن، وأن عليهم أن يحسنوا من أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأن تكون عادات وتقاليد الإندونيسيين هي عاداتهم وتقاليدهم، مادامت لا تتعارض مع الإسلام».

كيف دعم العرب حركة الاستقلال:

في ١٩٣٧م بدأ اتحاد عرب إندونيسيا بخوض الحياة السياسية، حيث كان من أكبر الداعمين للحركة الوطنية التي سميت (حركة مطالب سوتارجو)، وكانت تطالب بأن تحصل إندونيسيا على المساواة مع هولندا. عقد الحزب في ٢٥ مارس ١٩٣٧م مؤتمره الثاني بسورابايا، وكان من ضمن القرارات التي اتخذها: موافقته على (حركة مطالب سوتارجو)، مع بقاء اعترافه بسلطة هولندا حينذاك، ولكن رد حكومة هولندا جاء مخيباً للآمال، فقد رفضت مطالب الحركة، وقامت بموجة اعتقالات في صفوف الوطنيين.

استغلال هولندا لبعض أبناء العرب:

في تلك الأثناء؛ عادت حركة العمودي إلى الظهور على المسرح من جديد عام ١٩٣٩م، ووقفت أمام حزب عرب إندونيسيا، وكان من أهدافه: التحذير من الاندماج ومن دعم الحركة الوطنية، كما اتهم الحزب بأنه مدعوم من قبل الاستعمار[١]، ومرجع تلك التهمة: أن (حزب عرب إندونيسيا) كان ينهج نهج (التعاون) بينه وبين حكومة الاستعمار في سبيل الوصول إلى تحقيق بعض الآمال من خلال ذلك (التعاون)، أما الأحزاب التي

---

(١) ينظر: حامد القدري، مصدر سابق (ص١١٨-١٣٣).

كانت تنهج نهج (اللاتعاون) فقد نفي قادتها إلى خارج البلاد، ومنهم: سوكارنو رئيس الحزب الشيوعي، ومحمد حتَّى، وشَهرِير مؤسسا حزب التربية الوطنية الإندونيسية. ولكن الحقيقة هي: أن هولندا في تلك الفترة أرادت أن تكسب بعض العرب إلى صفها، فأبرزت العمودي من جديد، بعد أن ماتت حركته السابقة (رابطة أبناء العرب)، على الساحة من جديد، لينظم مؤتمراً لأبناء العرب لمساندة سياسة هولندا، ولكنه فشل، لوقوف أعضاء حزب عرب إندونيسيا ضده[1].

مشاركة أبناء العرب في استقلال إندونيسيا:

برزت الحاجة ماسةً إلى وجود وحدة قوية تجمع الأحزاب الوطنية، فعدل حزب أبناء العرب من سياسته عقب مؤتمر جاكرتا الذي انعقد في (١٨-٢٥) أبريل ١٩٤٠م، حيث استبدلت كلمة (اتحاد) بمسمى (حزب)، وقام الزعيم محمد حسني تمرين عضو مجلس النواب في ١٩٤١م بتأسيس اتحاد الأحزاب السياسية، وكان حزب أبناء العرب من أقوى المساندين. وكانت طبول الحرب العالمية الثانية بدأت تدق، وعقب احتلال اليابان لإندونيسيا، أصدر في أبريل ١٩٤٢م قراراً بإلغاء كافة الأحزاب السياسية، فعمل بعض الزعماء السياسيين تحت ظل الحكم الياباني، ومن بينهم **عبد الرحمن باسويدان**، الذي عين عضواً في مجلس نواب الشعب على الطريقة اليابانية مع بعض الزعماء الآخرين.

ولم يدم الاحتلال الياباني طويلاً، فسرعان ما شبت نار الثورة الوطنية ضده، وكان من بين قادة الثورة زعماء اتحاد عرب إندونيسيا ولكن الحزب الشيوعي هو الذي كان مسيطراً على الموقف، وكان أشهر قادة الثورة الشيوعي عامر شريف الدين والزعيم (شهرير)، وفي ١٧ أغسطس ١٩٤٥م أعلن الزعيمان **سوكارنو ومحمد حتَّى**: استقلال إندونيسيا.

---

(١) حامد القدري، مصدر سابق (ص١٣٥-١٣٦).

وعشية الاستقلال أصدرت الحكومة بعد ذلك بياناً حكومياً حول إقامة الأحزاب السياسية وإعادتها من جديد، وسمح لأبناء العرب بالدخول فيها والمشاركة كأعضاء فاعلين، فقام (**حزب عرب إندونيسيا**) في عام ١٩٤٦م بحل نفسه تلقائياً، واندمج مع الحكومة، وانضم أعضاؤه إلى الأحزاب السياسية بمختلف اتجاهاتها الفكرية والسياسية، وكانت هذه الخطوة فعالة جداً، حيث اعتبر أبناء العرب جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الإندونيسي، ولم يعاملوا بعد ذلك كأقلية كما كان عليه الحال في عهد الاستعمار.

وبعد أن سلمت هولندا مقاليد الحكم للجمهورية الإندونيسية الجديدة، كان (شهرير) أحد قادة الاستقلال يشغل منصب رئيس الوزراء، فعيَّن **عبدالرحمن باسويدان** نائباً لوزير الإعلام، وبعد أن حلت حكومة (شهرير) عين **باسويدان** عضواً في الوفد الإندونيسي الذي سار إلى مصر بغية الحصول على اعترافها بالجمهورية الإندونيسية[١].

الشيوعيون يصلون إلى السلطة؛ يوليو ١٩٤٧م:

كان الشيوعيون قد توصلوا عن طريق حكم سوكارنو إلى مناصب وزارية رفيعة في الدولة، ففي ٣ يوليو ١٩٤٧م أوكل **سوكارنو** إلى الشيوعي المعروف **عامر شريف الدين** مهمة تأليف وزارة جديدة، متجاهلاً عدم رضا الشعب والجماهير لهذا القرار، لمعرفتهم بموقف ذلك الرجل من الديانات السماوية، وانتهاجه سياسة التقرب إلى **الكرملين** والممالأة **لموسكو** والوقوف إلى صفها، وكان متولياً رئاسة الوزراء إلى جانب وزارة الدفاع، وكثرت الانتقادات لهذا الوضع في الصحف وبين طبقات الشعب الذي كاد أن يصبح شيوعياً لولا ارتفاع صيحات التحذير ووقوف أعضاء في البرلمان ضد هذا الاتجاه وإعلان المعارضة الصريحة لسياسة **عامر شريف الدين**.

---

(١) حامد القدري، مصدر سابق (ص١٣٣-١٣٥).

ومن هذا العرض الموجز والمركز، يمكن للقارئ أن يفهم أبعاد المقالات التي كتبها الأستاذ بافقيه في الفصل الخاص بمقالاته المنشورة على صفحات جريدته «السلام»، كما سيأتي حول قضية الاندماج، وما كتبه حول الأوضاع السياسية في إندونيسيا آنذاك، والشخصيات التي وردت في تلك المقالات وأدوارها السياسية على أرض الواقع.

بافقيه والحملة الطائشة ؛ مايو ١٩٤٧م:

في تلك الأجواء السياسية المشحونة، لم يسلم الأستاذ بافقيه من الطعن والأذى من أشخاص وجهات لم يكن يروق لها ما كان يكتبه ويسطره في صحيفته «السلام»،فقد كان يقوم بالكتابة ضد تيار المواطنة والذوبان العربي، أو بالأحرى: التنصل عن الأصل بحجة المواطنة والوطنية، ويلقب الدعاة لها بـ(الإندونيسيين الجدد) ومن المقالات التي لها تعلق بتلك الفترة من حياته (مايو ـ يوليو ١٩٤٧م) نقتبس مقالات نشرها في ثلاثة أعداد متوالية من «السلام»، في الأعداد: ٩ و١٠، و١٤، وهي بعنوان:

«حملة طائشة»

المقال الأول(*) **:**

«عندما كتبنا مقالاتنا السابقة، رداً على تهكمات ومطاعن صحيفة الإندونيسيين الجدد (مشاركة) على العربية والعروبة، هاج هائجهم وقامت قائمتهم، كأنها صاعقة نزلت على أم رأسهم، وكأنهم كانوا يقدرون أن صوت الحق قد خفت إلى الأبد فلن يرتفع في وجه صخبهم، غافلين عن أنه ما زال في السويداء رجال، وأن العروبةَ لن تعدم الأنصار.

(*) «صحيفة السلام»، السنة الخامسة، العدد (٩)، ١١ رجب ١٣٦٦هـ، موافق: ٢٦ مايو ١٩٤٧م.

وعشية الاستقلال أصدرت الحكومة بعد ذلك بياناً حكومياً حول إقامة الأحزاب السياسية وإعادتها من جديد، وسمح لأبناء العرب بالدخول فيها والمشاركة كأعضاء فاعلين، فقام (**حزب عرب إندونيسيا**) في عام ١٩٤٦م بحل نفسه تلقائياً، واندمج مع الحكومة، وانضم أعضاؤه إلى الأحزاب السياسية بمختلف اتجاهاتها الفكرية والسياسية، وكانت هذه الخطوة فعالة جداً، حيث اعتبر أبناء العرب جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الإندونيسي، ولم يعاملوا بعد ذلك كأقلية كما كان عليه الحال في عهد الاستعمار.

وبعد أن سلمت هولندا مقاليد الحكم للجمهورية الإندونيسية الجديدة، كان (شهرير) أحد قادة الاستقلال يشغل منصب رئيس الوزراء، فعيَّن **عبدالرحمن باسويدان** نائباً لوزير الإعلام، وبعد أن حلت حكومة (شهرير) عين **باسويدان** عضواً في الوفد الإندونيسي الذي سار إلى مصر بغية الحصول على اعترافها بالجمهورية الإندونيسية[١].

الشيوعيون يصلون إلى السلطة؛ يوليو ١٩٤٧م:

كان الشيوعيون قد توصلوا عن طريق حكم سوكارنو إلى مناصب وزارية رفيعة في الدولة، ففي ٣ يوليو ١٩٤٧م أوكل **سوكارنو** إلى الشيوعي المعروف **عامر شريف الدين** مهمة تأليف وزارة جديدة، متجاهلاً عدم رضا الشعب والجماهير لهذا القرار، لمعرفتهم بموقف ذلك الرجل من الديانات السماوية، وانتهاجه سياسة التقرب إلى **الكرملين** والممالأة **لموسكو** والوقوف إلى صفها، وكان متولياً رئاسة الوزراء إلى جانب وزارة الدفاع، وكثرت الانتقادات لهذا الوضع في الصحف وبين طبقات الشعب الذي كاد أن يصبح شيوعياً لولا ارتفاع صيحات التحذير ووقوف أعضاء في البرلمان ضد هذا الاتجاه وإعلان المعارضة الصريحة لسياسة **عامر شريف الدين**.

---

(١) حامد القدري، مصدر سابق (ص١٣٣-١٣٥).

ومن هذا العرض الموجز والمركز، يمكن للقارئ أن يفهم أبعاد المقالات التي كتبها الأستاذ بافقيه في الفصل الخاص بمقالاته المنشورة على صفحات جريدته «السلام»، كما سيأتي حول قضية الاندماج، وما كتبه حول الأوضاع السياسية في إندونيسيا آنذاك، والشخصيات التي وردت في تلك المقالات وأدوارها السياسية على أرض الواقع.

بافقيه والحملة الطائشة ؛ مايو ١٩٤٧م:

في تلك الأجواء السياسية المشحونة، لم يسلم الأستاذ بافقيه من الطعن والأذى من أشخاص وجهات لم يكن يروق لها ما كان يكتبه ويسطره في صحيفته «السلام»،فقد كان يقوم بالكتابة ضد تيار المواطنة والذوبان العربي، أو بالأحرى: التنصل عن الأصل بحجة المواطنة والوطنية، ويلقب الدعاة لها بـ(الإندونيسيين الجدد) ومن المقالات التي لها تعلق بتلك الفترة من حياته (مايو ـ يوليو ١٩٤٧م) نقتبس مقالات نشرها في ثلاثة أعداد متوالية من «السلام»، في الأعداد: ٩ و١٠، و١٤، وهي بعنوان:

«حملة طائشة»

المقال الأول(*):

«عندما كتبنا مقالاتنا السابقة، رداً على تهكمات ومطاعن صحيفة الإندونيسيين الجدد (مشاركة) على العربية والعروبة، هاج هائجهم وقامت قائمتهم، كأنها صاعقة نزلت على أم رأسهم، وكأنهم كانوا يقدرون أن صوت الحق قد خفت إلى الأبد فلن يرتفع في وجه صخبهم، غافلين عن أنه ما زال في السويداء رجال، وأن العروبةَ لن تعدم الأنصار.

(*) «صحيفة السلام»، السنة الخامسة، العدد (٩)، ١١ رجب ١٣٦٦هـ، موافق: ٢٦ مايو ١٩٤٧م.

لذلك لم تكد تظهر مقالاتنا الدامغة بالحجج والبراهين، الفاضحة لحقيقة أمرهم، حتى كثرتْ بينهم المؤامرات والاجتماعات، وتحركت أسلاك الهاتف، وتعددت الزيارات والوساطات، وبرز عدد من (جريدتهم) يحمل تهديداً، أو إشارة إلى الثورة والانقلاب، فلم نعر تهديدهم هذا مزيد اهتمام، اللهم إلا من حيث أنه كان مؤيداً لما قلناه عنهم: من كونهم ما زالوا واقعين تحت تأثير **الفاشِسْتية**، بروحها يتصرفون، وعن تعاليمها يرِدُون ويصدرون، وما زدنا أن ردّدنا في نفوسنا: لله قومٌ يدفعهم ذكاؤهم لأن يعطوا مناوئهم الحجة، والدليل يصوبها إليهم. ثم انتهىٰ الأمر بتوسط بعض الأفاضل طالبين أن نكفّ عنهم لقاء أن يكفوا هم عن العرب والعروبة، فلم يسعنا غير أن نلبي طلبهم، وهو عزيز علينا، لننصرفَ إلى ما هو أعوَدُ على قرائنا فائدة ونفعاً، من نحو معالجة مشاكلنا الخاصة في المهجر والوطن، ومشاكل العرب في أقطارهم العامة.

ولكن ما شعرنا إلا والعدد (٢٠) من (جريدتهم) هذه يطلع علينا بمقال أطولَ وأبردَ من ليالي الشتاء، لا ينطوي على دليل ولا برهان، ولا يمس حقيقة ولا قاعدة، بل يخبط خبط عشواء، فما يدع بريئاً ولا آمناً إلا وينال من شخصيته وكرامته، وليس من حقنا هنا أن نتولى الدفاع عن الشخصيات التي تناولتها تلك الحملة الجنونية التي لا تشعر بالمسؤولية، فأصحاب تلك الشخصيات أملَكُ لحقوقهم منا، وإنما سنتناول فيما نضطر لكتابته رداً على تلك الحملة، بالرغم من عدم قيمتها في نظر المفكرين لما يمس شخصية صاحب هذه الصحيفة وما يمس المجموع العربي. إن القلم في يد صاحبه قد يكون كالمبضع في يد النطاسي الحكيم، يخفف الآلام ويعالج الأسقام، إذا كان يملكه ذو نظر عميق ورأي حصيف، وقد يكون مجرد آلة حادة في يد صبي أو مجنون، يطعن بها في صدور كل من يصادفهم في سبيله، لا يفرق بين بريء ومذنب، ولا يبالي بعواقب عمله أكان عائداً بنفع أو ضرر إذا كان بالعكسِ يسيله على القرطاس ذو نظر قصير ورأي فج.

وكاتبُ الحملة في «**مشاركة**» أو كتّابها لا ريب من النوع الأخير، وإذا كنتَ في شك

من ذلك فانظر إليه كيف يؤيد ما ذهبنا إليه في مقالاتنا السابقة، من أن هؤلاء الاندونيسيين الجدد يسيئون بتصرفاتهم الجنونية ـ مع ادعاء إندونيسيتهم ـ إلى العلائق بين إندونيسيا والشعوب الأخرى، التي تسعى لكسب ودها وعطفها. وقد وجهنا الأنظار في مقال سابق إلى أمثلة من ذلك بالنسبة للعرب، وها هم اليوم في حملتهم الجديدة يحاولون تكدير صفو العلائق بين إندونيسيا والهند من جديد، باتهام أبنائها بأنهم أهل فتنة وشقاق، وإلا فما معنى ذكرهم: إن صاحب «السلام» من مواليد الهند، وأنه يريد نقل فتنتها وشقاقها إلى هذه البلاد، مما يتضمن معنى اتهام الشعب الهندي العظيم بطبيعة حب الفرقة والخلاف، لا نجد لذلك محملاً نحمله عليه إلا عدمُ الإخلاص لإندونيسيا، لكي يقال: إن صحف إندونيسيا هي التي ترميه بهذه العصبية، لأنهم يعتبرون أنفسهم إندونيسيين، بينما الإندونيسيون الحقيقيون في غنًى عن كسب عداء الشعب الهندي، إذا لم يكونوا في حاجة إلى عطفهم ووادهم. وهكذا يضر الأغرار أصحابهم!

المقال الثاني(*):

أنا لا أنكر أني من مواليد الهند، وأزيدُ على هذا: أني أنتمي إلى الهنود أيضاً بآصرة الخؤولة، وبالرغم من تراث الهند في الفلسفة والآداب والحضارة والفنون وغيرها، ذلك التراثُ المجيد الضخم، الذي غزا العالم وما زالت آثاره مشهودةً وملموسة إلى اليوم. حتى لقد كان أعزَّ ما تفخر به إندونيسيا من ماضيها قبل الإسلام، وهو من آثار مخلفات الحضارة الهندية، مما يفتح للزهْوِ باباً يتسرّب منه إلى نفسي لأعدّل بيت مهيار الديلمي(١)، وأنشِدُ:

(*) «صحيفة السلام»، السنة الخامسة، العدد (١٠)، ٢١ رجب سنة ١٣٦٦هـ، ١٠ يونيو ١٩٤٧م.

(١) هو مهيار بن مرزويه أبو الحسن الديلمي، توفي سنة ٤٢٨هـ، أسلم على يد الشريف الرضي سنة ٣٩٤هـ، قيل: إنه جمع بين فصاحة العرب ومعاني العجم.

فجمعتُ الفخرَ من أطرافِه سُؤدُدُ الهندِ ومَـجدُ العربِ(٢)

وبالرغم من أن الهند باعتبارها مسقط رأسي، وهـي اليـوم عـلى أبـواب الاسـتقلال والتحرر من ربقة الاستعمار، تخولني حقوقاً لا تقل عن الحقوق التي يطاردها الإندونيسيون الجدد في إندونيسيا!

أقول: بالرغم من ذلك كله، فإني لم أتخلَّ يوماً ما عن قوميتي وجنسـيتي العربيـة، ولم أتردد حينا عن الافتخار بها، والاعتزاز بالانتماء إلى أبي العربي، كأمر طبيعي قد تواطـأ عليـه كل من استظل الزرقاء وافترش الغـبراء، وإن كنـت لم أنـس ولـو لحظـة وشـائج الخؤولـة وحقوق روابط الإسلام لمسقط رأسي الذي أكن له أجمل العواطف، ولن أتأخر عن بذل كل جهد ونفس ونفيس إذا احتاجت إليه دولة (پاكستان) التي هي عـلى وشـك أن تقـوم قويـة منيعة. ولكن .. كعربي وفيٍّ، يدفعه إلى ذلك واجب صلة القربى وأخوة الإسـلام، وواجـب مبادلةِ الجميل تجاه شعب يقول زعيمه عن لسانه: «سنصومُ ليطعَمَ العرب، ونعطش ليرووا، وسنموت ليعيشوا في أوطانهم أحراراً!».

وحاشا لله أن أكون كجماعة من أنـاس كـانوا قـد أصـمّوا الآذان بعبـارات الوطنيـة والإخلاص لمن لصقوا بهم، فلما دفعوا إلى ميادين الجهاد ليبرهنوا على ذلك تركوا أحـذيتهم تنوب عنهم في ميادين الحرب والقتال، ولا ذوا هم بميادين الدَّعَة والسلام.

وبعد؛ فيا أيها الاندونيسيون الجدد! إن الهنود ليسوا أرباب فتنة وشقاق، وإنما هم ذوو مبادىء ثابتون عليها، وعقائد يقاتلون دونها، وإن الإيمان القوي المتغلغل في الصميم منهم، والإسلام الصحيح المتين، هما السلاح الوحيد الذي انتصر به مسلمو (پاكستان) في تحقيق أمنيتهم المشروعة، التي طالما تهكمتم بها ساخرين في مقالات نشرتها (صحيفتكم)

---

(٢) أصل البيت قوله: (**وضَممتُ الفخرَ من أطرافه سؤددُ الفرسِ ومجدُ العربِ**)، وهـو مـن أبيـات لـه يفخر فيها بأصله الفارسي.

وما زالت محفوظة في ملفاتنا، مما يدل على أن ضغنكم عليهم ليس حديث عهد. ولعلكم لحظتم فيهم عطفهم على العرب فكرهتموهم بكرهكم للعروبة، أو لعلكم عبتم عليهم شدة تمسكهم بمبادئهم التي لا يتزحزحون عنها قيد شعرة، ولا يضعونها في المزاد العلني لمن أغلى الثمن، ودفعت النفعية للتوجه إليه!

وكيف يطيب لكم ذلك وقد عرفنا الجهة الخفية التي أوجدت حركتكم في البداية، وعرفنا كيف حدتم عنها وتنكرتم لها عندما رأيتم الحظ يفارقها، ثم كيف انتحيتم لناحية أخرى ساعدها الحظ فترةً من الزمن، ويعرف الكل كيف أنتم اليوم بعد ذلك! فتلك ثلاثة ارتداداتٍ أو (قلباتٍ) نحو خمس سنوات، والله عليم كم تطوي السنوات القابلة من (قلباتٍ) أخرى، وعلى كل حال .. فمن لم يخلصْ للحْمِه ودمه، أيمكن أن يخلصَ لأيٍّ كان!

المقال الأخير(*):

شغلنا طروءُ مواضيعَ جديدة تقتضي المناسبات تسجيلها عن مواصلة نشر ردنا هذا على الإندونيسيين الجدد في (العددين الفائتين)، فنستأنف اليوم نشرَ تتمته، راجين بإنهاء هذا الموضوع أن نتفرّغ في الأعداد الآتية لمعالجة مواضيع أكثر أهمية وأعظم عائدة، منها التعليق على رسالة عظمة السلطان جعفر، ومقالٍ نشرته حديثاً صحيفة (سياسة) يرمي إلى ازدراء المعاهدات المعقودة أخيراً بين الجمهورية الإندونيسية والأقطار العربية، بالتقليل من قيمة هذه الأفكار وأهميتها.

اتهمنا الإندونيسيون الجدد بتلقي ورَقِ «السلام» من جهة خاصة، وبذلك برهنوا مرة أخرى على أن قصرَ النظر يؤدّي بصاحبه قبل غيره من حيث يريد أن يصيب مقاتل خصمه،

(*) «صحيفة السلام»، السنة الخامسة، العدد (١٤)، ١٤ رمضان سنة ١٣٦٦هـ، موافق: ٢٠ جولي ١٩٤٧م.

فيكون كالباحث عن حتفه بظلفه، والناكئ لجرحه بيده، فالسلام لا تنكر أنها تتلقى الورق من جهة خاصة. ولكن من أي جهة؟ ومن أي مصدر؟ من المصدر الذي تتلقى منه صحيفةٌ كبرى وطنية تعبر عن لسان الجمهورية، وبثمن لا يقل عن الثمن الذي تدفعه هذه الصحف، ولا نجد مشقةً مّا في عرض الوصولات عليهم ليتأكدوا من ذلك.

فإذا كان تلقي الورقِ من هذا المصدر معيباً أو خدشاً للكرامة القومية، فقد سبقت إليه تلك الصحف، التي لا نجرُؤ حتى على اتهامها، فهل يجرؤون هم عليه؟! الواقع أن الصحفَ ذاتِ الاعتبار هي التي تتحصل على الورق بثمن التموين المعهود، فإذا كانت (صحيفتهم) لما تحظ به بعدُ، فما عليها إلا أن توجد لها اعتباراً وقيمة.

وأما رمي صاحب «السلام» بالخوفِ منهم، واستنجادُه بالقنصلية الإنجليزية، فقد كان يصح لو أن هذه القنصليةَ غافلةٌ عن رعاياها، غيرُ يقِظَة على مصالحهم، ولا ساهرة على سلامتهم، أولو كان صاحب «السلام» يعيش في بلدٍ تتغلبُ عليه الفوضى والاستبداد، فهل يحسبون أن الناس لا يفهمون: أن اتهامهم هذا اتهامٌ غيرُ مباشر للقنصلية الإنجليزية؟ ولنظامِ الأمن في هذه البلاد بالتقصير في الواجبات؟!

وكلُّ ما تقدم يسير وهيِّن بالنسبة إلى عظيمة العظائم وجريمة الجرائم، التي إن دلت على شئ، فإنما تدل على مبلغ سوء الطوية وخبث النية للجالية العربية، وهي: محاولة تحريض إخواننا الإندونيسيين على العرب، بإظهارهم في مظهر غير المناصرين للحركة الوطنية، بل المقاومين المناوئين لها. وليس وراء هذا من غاية إلا إثارة حفائظ إخواننا الإندونيسيين، وقد لا يشعر من في هذه البلاد بما ينتج عن ذلك، ولكن من في الداخل ـ حيث يسود جوُّ الثورة ـ هم الذين يدركون خطر مثل هذا الاتهام عليهم، ولعل فيهم من هو خالٌ أو عم أو قريب أو نسيب لكاتبِ تلك الحملة الطائشة أو كتّابه، فلا يشعر بوخز في ضميره تجاه هذا العقوق!

غير أن من حسنِ حظ (الجالية العربية)، أن الواقع يكذب أولئك الدساسين، وأن إخوانهم الإندونيسيين الأصلاءَ يدركون ذلك تمام الإدراك، فعرب الداخل لم يدَعُوا فرصة تمرّ دون أن يبرهنوا فيها على تأييدهم لإخوانهم الوطنيين، ولعله لا يحسن أن نعددَ أياديهم ونتحدث بأعمالهم، ولكن الموقف يضطرنا أن نقول للإندونيسيين الجدد إن ما تبرع به أحد اثنين فقط من العرب (العَرْمي بصولو مثلاً، أو باعقيل في القُدُس)، يفوق أضعاف أضعافِ ما قدمتموه، من أكبر كبير فيكم إلى أصغر صغير منكم، للحركة الوطنية والجهاد القومي منذ البداية حتى اليوم. فهلا برهنتم على وطنيتكم بالأعمال، إن كنتم في دعواها صادقين. فإنّ القيام بدور تمثيلي على المرسَح لا يعبر في الغالب على حقيقة نفسية الممثل، ويذكر عن الممثل الهزلي الشهير شارلي شابلين الذي يبتعث ضحكات جماهير مشاهدي رواياته مجلجلةً صاخبةً يذكر عنه: أنه في حياته الخاصة بائسٌ حزين». انتهىٰ.

الثورة الشيوعية عام ١٩٤٨م:

لقد استمر الأستاذ بافقيه في عمله ونشاطه الصحفي والإذاعي في جاكرتا إلى أواخر سنة ١٣٦٦هـ، حيث وصل إلى سنغافورا في مطلع العام التالي ١٣٦٧هـ (= مارس ١٩٤٨م)، وباستقراء التاريخ في تلك الفترة نجد الأسباب السياسية تبرز في مقدمة الأسباب التي أرغمت الأستاذ على المغادرة. وفي هذه الأجواء السياسية .. وخوفاً من تطور الأمور إلى الأسوأ، غادر الأستاذ بافقيه أراضي إندونيسيا وتوجه إلى سنغافورا، وكان حذره في محله، فقد تطورت الأحداث بشكل رهيب، ونتج عنها ثورة شيوعية حمراء!

فمع ازدياد حدة التوتر، قام نائب الرئيس الدكتور **محمد حتَّى** ضد سياسة الشيوعيين، واستخدم سلطته الرفيعة في الحكومة وأصدر مرسوماً جمهورياً في ٢٩ يناير ١٩٤٨م يقضي بحل وزارة **عامر شريف الدين** وتشكيل وزارة جديدة بقيادة **محمد حتَّى** بنفسه. الذي كانت وزارته من الوزارات التي تمتعت بها إندونيسيا، فقد كان الرجل مخلصاً

لوطنه وشعبه، وكرس كل جهده في سبيل رفع مستوى الشعب، وكان يراقب الموظفين في الدوائر الحكومية بنفسه، فكان يفاجئهم في أعمالهم ويتفقد نشاطهم!

ولكن الشيوعيين لم يرحبوا بهذه الوزارة وهذا النشاط، بل قاموا بمعارضة لحكومة محمد حتى، وقاموا بعقد اجتماعات سرية، ورأوا أن لا مناص لهم دون طلب العون من روسيا، وفي ٢٦ مايو ١٩٤٨م أعلنت موسكو في إذاعتها تأييدها المطلق للشيوعيين في إندونيسيا وإمدادهم بالمال والسلاح، بعدها .. صب الشيوعيون كل جهدهم في إسقاط حكومة حتَّى، والضغط عليه بشتى الوسائل لقبول وزير شيوعي يمثلهم في حكومته، ولكنها كانت محاولات فاشلة، حيث كان أغلبية الأعضاء في البرلمان يؤيدون سياسة حتَّى ويقفون إلى جانبه ضد الخطر الشيوعي الداهم.

وفي نفس السنة، وفي ١٠ أغسطس ١٩٤٨م، عاد بعض القادة الشيوعيين الإندونيسيين من روسيا بعد غياب (١٢) سنة، وهو الرفيق موسى، الذي قام بالتعبئة العامة ضد حكومة محمد حتَّى، ونظم المسيرات والاحتجاجات الشعبية ضد (الإمبريالية العالمية)، ولم يأت عليه شهر سبتمبر إلا وقد قام بتحركات ميدانية واسعة، ثم بدأت في ١٨ سبتمبر حملة الاعتقالات ضد المواطنين والضباط، وأعلن عبر إحدى الإذاعات في اليوم التالي ١٩ سبتمبر ١٩٤٨م عن قيام دولة إندونيسيا السوفياتية.

أعلن المسلمون في إندونيسيا الجهادَ في سبيل الله، وانطلقوا من كل حدب وصوب يحاربون التمرد الشيوعي، وبدأت في مدن إندونيسيا (حرب العصابات)، ولم يأت آخر يوم من شهر أكتوبر ١٩٤٨م، إلا واندحر الباطل الشيوعي، ولكن بعد أن قدم الشعب المسلم ضحايا قدر عددهم بألف وخمسمائة (١٥٠٠). وسيق الزعماء الشيوعيون بعد ذلك إلى المحاكمة، وعددهم عشرة، ونفذ عليهم حكم الإعدام رمياً بالرصاص في ١٩ ديسمبر

١٩٤٨م[١]، و انتهىٰ بذلك فصل من أعنف فصول السياسة في تلك البلاد الإسلامية التي لا يعرف عن أهلها إلا التسامح والطيبة والهدوء.

* * *

(١) محمد أسد شهاب، «صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصرة» (ص٤١-٦٢).

(١١)

الوداع الأخير لسنغافورا

صحيفة «السلام» من جديد:

عاد الأستاذ إلى مهجره الأول (سنغافورا) وقضى- بها عامين كاملين (١٣٦٧ - ١٣٦٨هـ)، قام في أثنائها بإصدار أعداد أخرى من صحيفة «السلام»، لتكون من هذه المدينة بداية ونهاية تاريخ «السلام». وبين يدي العدد (١٧) من السنة الخامسة، وهو أول عدد يصدره في سنغافورا لهذه المرحلة، وتاريخه يعود إلى ٢٠ ربيع الآخر ١٣٦٧هـ، موافق ١ مارس ١٩٤٨م، وهذه افتتاحيتها بعنوان:

«السَّلامُ» تَعودُ إلى مهدِها الأوّلِ (*)

تعود «صحيفة السلام» ابتداءً من هذا العدد إلى مهدها الأول الذي فيه نشأتْ ودرجتْ وكافحت طيلة أربع سنوات، ولم تلقِ السلاح إلا مضطرة بسبب اندلاع نار الحرب العالمية الأخيرة، ومن البديهي أن لا يجتمع السلام مع الحرب.

أجل تعود هذه الصحيفة ويعود معها (أحمد)، والعود أحمد، تستأنف صدورها من هذه المدينة مضطلعةً بأعباء واجباتها الباهظة، ومستهدفة غاياتها السامية، التي سنبذل

(*) «صحيفة السلام»، السنة الخامسة، سنغافورا، العدد (١٧)، بتاريخ: ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧هـ، موافق: ١ مارس ١٩٤٨م. ويلاحظ: أن الترقيم أعيد ليتسلسل مع أعداد الصحيفة الصادرة في مرحلتها الأولى.

لتحقيقها قصارى جهدها، وكل ما وسعه مقدورها وطاقتها، فتسعد بأمانيها مكللة بالنجاح، أو تبلو عذراً وتدفع عنها معرة الإخلادِ إلى الأرض، والتفريطِ في جنب الوطن والدين والقومية، وهي على ثقة بأن تلك الأماني والغايات مهما كانت عسيرة، ستهون إذا ما أخلصت السرائر، وتعاونت الضمائر، وتخلصت النفوس من عبودية المادة.



السلام

Assalam
Arabic Weekly
Journal
745, North Bridge Rd.
SINGAPORE.

صحيفة أسبوعية حرة
تصدر مرتين أول كل شهر وتتصدره

صدرها
مكتب الصحافة والنشر العربي
المحرر المسئول
محمد عمر بافقيه
الاشتراك
عن سنة ١٢ ريالاً

العدد ١٧ — ٢٠ ربيع الآخر ١٣٦٧ هـ - ١ مارس ١٩٤٨ — السنة الخامسة

نحن نتحدث .....!

"السلام" تعود الى مهدها الاول

أنباء الوطن الحضرمي

شركة للاسماك

على اكتاف الشباب المثقف لانارة المجتمع المتحال

للشباب بشرط أن يوجد في الشعب من يريد القيام

بالاشتراك في الصحيفة

صورة للعدد الأول من «صحيفة السلام»
بعد عودة محررها إلى المهجر الأول (سنغافورا)

لقد كان محررهذه الصحيفة إلى وقت قريب يشغل وظيفة يحسده أو يغبطه عليها أولئك الذين يزنون الأمور بميزان المادة، وتتحلَّبُ لها شفاهُ من (لا يدركون الأشياء إلا بلمْسٍ)، كما يقول شاعر حضرموت الأستاذ صالح الحامد، ولكنه عافها، بالرغم من ذلك، وعاد إلى الصحافة.

ونحن إذ نشير إلى هذا .. لا نقصد التعاظم والافتخار، وإنما نعني أننا لا نستأنف حياة الصحافة مدفوعين بحكم ضرورة الالتجاء إليها جرياً وراء الارتزاق منها، فقد برهنت التجارب أنها ليست بالمنهل العذب لمنتجِع الربح في مجتمع كمجتمعنا لم يعرف للصحافة قيمتها بعد، ولم يكن ليدفعنا إليها العوز أو عدم وجود وسائل للاكتساب، كما كان من شأن بعض من اعتبرها (زريبة المكسرات)، على حد التعبير العامي. وليثق القراء الكرام، أنها ليست إلا روح الشعور بالمسؤولية الملقاة على أكتاف الشباب المثقف لإنقاذ المجتمع المنحلِّ من جميع نواحيه، هي وحدها التي حدت **بالسلام** إلى استئناف الظهور والبروز، إذ لا ندري كيف يطيبُ للمرء مهما سعِد في حياته الخاصة أن يستشعر العزة والكرامة إذا ما كانت قوميتُه مهانةً ذليلةً، ومجتمعه منحلاً غارقاً في أوضَار الحقار والصغار؟!

وتبرز هذه الصحيفة معتمدةً بعد الله على جهودها الخاصة وتأييد أنصارها من متوسطي الحال، لتؤديَ رسالتها حرةً طليقةً، غير متأثرة بتوجيهات وأغراض من أطغاهم المال فأرادوا أن يتحكموا في المجتمع، ويوجهوه من فوقِ بروجهم العاجية التي تسلقوها على ظهره الوجهةَ التي يرغبونها، غير حافلين بخلجات نفسه وأفراحه وأتراحه، بل غير شاعرين بوجوده إلا عند الحاجة إليه، مما أوجد طبقة من الناس لا نجد وصفاً ينطبق عليها أصدق من (الأصنام المعبودة)، التي تعتبر محاربتها من نوع محاربة الوثنية!

ومن دواعي الأسف: أن كثيراً من إخواننا قد وقر في نفوسهم أن كل مشروع يجب أن يقوم على تأييد هذه الأصنام، وذلك ناشئ عن ضعفٍ وخوَر في النفوس، وعدم شعور

بالمسؤولية، ولو أنهم أبعدوا النظر وأرادوا أن يوجدوا لأنفسهم قيمة لأدركوا أن ما يبذله أحد أولئك المتموِّلين مثلاً لمشروع مّا، يستطيعون هم أن يتكلفوا به فيما لو توزعوه بينهم في أقسام صغيرة، وبهذا يربحون إيجادَ القيمة لأنفسهم، وتَساوي الأقدار، وعدم الوقوع تحت تأثير المثرين.

على أننا إذ نقول هذا .. لا نقصد جميعَ الأغنياء والمتمولين، بل نعني غيرَ الأكفاء والمتعالين منهم، أما الأكفاء فيجب أن تكون الكفاءات وحدَها هي المقاييس فيما بيننا وبينهم!». انتهىٰ.

المغادرة:

وهنا ينتهي بنا المقام في حديثنا عن الشرق الأقصى، إذ كانت هجر الأستاذ بافقيه إلى الشرق الأوسط قد حانت .. وهكذا، وبعد عشرين عاماً قضاها أحمد **بن عمر بافقيه** في (جزر الهند الشرقية) جنوبَ شرق آسيا، انطوت صفحاتٌ من تاريخ حياته المليئة بالحركة الدائبة والنشاط وكثرة التنقلات، وأسدل الستار على تلك الحقبة من الزمن، وفتحت صفحات أخرى من حياته في موطنه الأم أقصى جنوب بلاد العرب.

* * *



الفصل الثالث

العودة إلى الوطن
وقضية الجنوب العربي



(١)

الأستاذ بافقيه في المكلا

(منتصف ١٣٦٩ ـ إلى ذي الحجة ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠ ـ ١٩٥١م)

في النصف الأول من عام ١٣٦٩هـ (=١٩٥٠م)، وصل السيد أحمد بافقيه بعائلته إلى مدينة المكلا، عاصمة السلطنة القعيطية، كبرى السلطنات (الدوَيلات) الحاكمة في الجنوب العربي آنذاك، في أواخر عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي[١]. وعقب استقراره في البلد تعرف على الأوضاع السائدة، وعقد علاقات تعارف وصداقة مع رجال من علية القوم، وعلى رأسهم السيد سكرتير الدولة عبدالرحمن بن داود الجيلاني[٢]، والسيد النائب أحمد محمد العطاس[٣]، وغيرهم كثيرون.

---

(١) ولد بحيدرأباد الدكن، وتوفي في عدن إثر مرض عضال أصابه عام ١٣٧٥هـ، كان عهده عهداً مميزاً، وكان يشجع التعليم، وكان صاحب علوم ومهارات، وترك عدداً من المصنفات في علوم الشريعة، والهندسة والملاحة البحرية والحساب وغير ذلك.

(٢) ولد في المكلا، ودرس بها، وترقى في المناصب الحكومية، وبعد الاستقلال قاد حركة سميت (جيش إنقاذ حضرموت)، ثم كان استقراره الأخير في مدينة جدة، مزاولاً بعض الأعمال التجارية، وبها توفي سنة ١٤١٨هـ.

(٣) ولد بمدينة الشحر، كان نائباً من قبل الدولة القعيطية في مناطق متفرقة، وكذلك أخوه السيد عمر العطاس، وبعد الاستقلال وسقوط الحماية البريطانية، سار إلى الإمارات العربية المتحدة، وهو الآن في أبوظبي بدولة الإمارات وهو يناهز المائة من العمر.

وكانت حضرموت وسائر مناطق الجنوب اليمني حينها تشهد حينها تحولاتٍ سياسيةً وفكريةً، وتعيش مخاضاً نتج عنه فيما بعد الثورة على السلاطين متزامنةً مع الثورة على الاستعمار، ولكنها تمخضت عن أفكار وأحكام اشتراكية شيوعية بعيدة أشد ما تكون بعداً عن الإسلام أو العروبة والقومية المزعومة، وتولى الحكم في الجنوب صنائعُ الماركسيين وعملاء الاستعمار، وذهبت جهود الوطنيين المخلصين الذين أرادوا رقي الشعب والأمة أدراج الرياح، وأتت إلى الوطن (أيديولوجيات) غريبة، صنعها الفكر الاشتراكي الماركسي، وطبقت في الجنوب بشكل بشع، وبصورة لا يظن أن واضعيها استخدموها بمثل ما استخدمها به شرذمة المجرمين الأوغاد في ذلك الجزء من جزيرة العرب.

إن الحديث عن الوضع السياسي والاجتماعي في المكلا حديث ذو شجون، ومن المفيد بل من الواجب أن يعلم القارئ لهذا الكتاب خلفيات تلك الأوضاع، حتى يفهم الجو الذي عاش فيه الأستاذ بافقيه، والدور الذي لعبه آنذاك.

الحركات الإصلاحية في حضرموت (*):

انتهت الحرب العالمية الثانية، وقد خيبت آمالَ الذين يتمنون هزيمة (بريطانيا العظمى) وحلفائها، فمع ذلك الانتصار التاريخي الذي حققته بريطانيا في تلك الحرب، إلا أنها لم تعد كما كانت عليه قبل الحرب، وأخذت تراجع حساباتها وسياساتها في المنطقة، بسبب تنامي الشعور القومي والوطني لدى الشعوب المستعمرة، وانتشار الحريات الفكرية في العالم.

عاد من الهند الكثير من أبناء الجالية الحضرمية، وقد تأثر الكثير منهم بأفكار الثورة والحرية، كما أن العائدين من إندونيسيا كانوا أكثر تأثراً من غيرهم، لوقوعهم مباشرة تحت

(*) هذه الفقرة مأخوذة مع تصرف يسير من كتاب «**حضرموت والاستعمار البريطاني**» لأحمد عبيد بن دغر (ص١٠٦-١١٣).

نيران الحلفاء ودول المحور، وبالذات اليابان، كما مر في الفصل السابق. وكان العائدون من الكثرة والوزن العلمي والفكري بحيث أن عودتهم إلى الوطن أحدثت انعطافاً تاريخياً وفكرياً في البلاد، وتحركت نوازع التغيير الوطنية لدى الكثيرين. فقامت الحركات المعارضة والثورات ضد السلاطين والاستعمار، ودعمت الحركات الشعبية التي كان من أبرزها على الساحة السياسية: حركة ابن عبدات[1] في مدينة الغرفة بحضرموت الداخل، والتي قضي- عليها في مارس ١٩٤٥م. كما أن المجاعة الرهيبة التي فتكت بالناس والتي تزامنت مع نشوب الحرب العالمية الثانية أحدثت هي الأخرى ردود فعل وانعكست سلباً على المجتمع في حضرموت بشكل عام.

وكانت المكلا عاصمة الساحل، تلعب بالنسبة للإمارات الشرقية نفس الدور الذي تلعبه عدن بالنسبة للإمارات (المحميات) الغربية، و شهدت المكلا تأسيس عدد من الأندية الشبابية التي ثقفت المجتمع سياسياً، وكان من أهم هذه الأندية في المكلا: نادي الإصلاح، والنادي الوطني ونادي الموظفين، وقد اندمج هذان الناديان وتطوَّرا سياسياً وكونا ما عرف بالحزب الوطني.

وانتقلت بعد ذلك النوادي إلى الشحر والى حضرموت الداخل، فتأسس في الشحر: (نادي الكوكب)، وفي شبام: (نادي الاتحاد والإخاء). كما كان للجمعيات التي أُسِّسَت في تريم دور كبير في نشر الوعي، بدءًا بـ(جمعية الحق) التي أسسها السادة آل الكاف، فـ(جمعية الأخوة والمعاونة) التي أسسها شيخنا وأستاذنا العلامة الكبير السيد محمد بن أحمد الشاطري (ت ١٤٢٢هـ) رحمه الله، وتزامن مع ذلك الانفتاح الفكري والثقافي بروز العديد من الصحف الحضرمية، منها ما كان يصدر في المهاجر، ومنها ما صدر في الداخل، وذلك شيء كثير، ويطول ذكره. وأخذ الشعور الوطني يزداد، والدعوة إلى وحدة حضرموت تأخذ

---

(١) ينظر لمعرفة تاريخ هذه الحركة: أحمد بن دغر، مصدر سابق (ص٩١-١٠٦)، وكتاب «وثائق الندوة التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت».

مجرّى غير معهود، وانبثقت هذه الدعوة من الداخل بعد أن كانت تأتي كصيحات ونداءات من حضارمة المهجر، وبرزت الدعوة بعد ذلك إلى (حضرمة) الوظائف الحكومية، فقد كانت السلطنتان: القعيطية والكثيرية قد (سودَنتا) الكثير من الوظائف، وأهمها: التعليم.

الحزب الوطني في المكلا؛ ١٩٤٧م:

في السادس من أبريل عام ١٩٤٧م، أعلن البرنامج السياسي للحزب الوطني بالمكلا، وكان تأسيسه لأغراض تخدم الصالح القعيطي ضد منافسه في الداخل (الكثيري)، وكان الدعاة إلى تأسيسه كبار موظفي جهاز الدولة، ولفيف من العلماء والأدباء والتجار وشيوخ القبائل وعقال الحارات وغيرهم، كان في مقدمة أهدافه: الولاء للعرش القعيطي، وإسداء النصح للحكومة في كافة الشؤون، ومساعدتها على التوجه الصحيح.

لاشك أن البلد كانت لا تزال تحت وطأة الاستعمار، والمطالبات الوطنية لم تكن بارزة وظاهرة على السطح، والظروف غير مواتية .. وكان قادة الحركة الوطنية يدركون هذه المسائل والتعقيدات، فلم يزجوا بأنفسهم وبالشعب في معارضات قد تؤدي إلى تهور وخسائر لا تحمد عقباها. ولكن من الإنصاف القول: بأن القادة الوطنيين كانت لديهم غيرة وطنية، وأن هذا الحزب الذي أسس لرغبات سلطانية بحتة، قد تحول بعد ذلك ـ ولا سيما إثر حادثة القصر (سيأتي الحديث عنها) ـ إلى ظاهرة وطنية متقدمة، وأنه قد خرج عن طوع الحاكم، ومثل رغبة الشعب والشارع الحضرمي.

حزب الرابطة الحضرمية:

نشأ في حضرموت الداخل حزب آخر، مغمور وغير مشهور، وهو حزب الرابطة الحضرمية، الذي نشأ في أول أمره كمعارضة للحزب الوطني، وكان إعلان برنامجه السياسي في ٢٠ أبريل عام ١٩٤٧م، في نفس الشهر الذي صدر فيه إعلان الحزب الوطني. وكان أفقه السياسي أوسع ورؤيته أشمل، وسعى لتحقيق العدل والمساواة، والاهتمام بالتعليم. وأشهر

أعضاء هذا الحزب الشاب: علي بن عقيل، وعمر محضار الكاف، التريميان، وشيخان الحبشي ذي الأصل الشبامي[١].

وعلى الصعيد السياسي: لم يبد الحزب الفتي أي انحياز لأي من السلطنتين، بل أعلن سكرتير الحزب وهو السيد شيخان الحبشي، أن الوحدة الحضرمية لم تبلغ مرحلة المشروع بعد، وإنما هي لا تزال فكرة. فكانت قيادة هذه (الرابطة) على درجة من المثالية في التوجهات، على قصور في بعض النواحي.. ولكنه ترك أثراً وأحدث صدىً في المهجر الحضرمي، فتأسس على إثره جمعية وطنية في أسمرة في نفس العام ١٩٤٧م، ونادت بوحدة التراب الحضرمي، وأعلنت التزامها بذلك. وقد تلاشت كل تلك الأحزاب والجمعيات، ولم يبق في المكلا سوى الحزب الوطني الذي لعب الدور الأكبر في حادثة القصر التاريخية، في المظاهرات التي طالبت أن يحل المواطنون في الوظائف الحكومية على اختلاف درجتها، كرد جماهيري شعبي على تعيين **الشيخ القدال السوداني** في منصب السكرتير (بمثابة رئيس الوزراء).

بافقيه مراسلاً لصحيفة النهضة:

آنذاك .. كانت صحافةُ الجنوب تؤدي دورها الإعلامي بشكل فعال، وكانت ألمعُ الصحف هي «**صحيفةُ النهضة**» التي كان يصدرها الصحُفي الأديب عبدالرحمن جرجرة في مدينة عدن، وكانت صحيفة طائرة الصيت (وسيأتي الحديث التفصيلي عنها لاحقاً).

لقد عاود الأستاذَ الحنينُ إلى الصحافة والكتابة، فأرسل إلى صحيفة النهضة يطلب

---

(١) تفرد بذكر هذا الحزب الباحث أحمد عبيد بن دغر، في كتابه (ص١٧٧)، وقال: إن منشأه في المكلا، وقد نفى شيخنا العلامة الشيخ عبدالله الناخبي ـ أحد أعضاء الحزب الوطني ـ صحة هذه المعلومة، وأكد لي أن منشأه في تريم، ولم يكن شيخان ولا من ذكر من أعضاء هذا الحزب متواجداً في المكلا في تلك الفترة.

تعيينه مراسلاً لها في المكلا، ولم يكن هناك من يشغَل هذه الوظيفة للصحيفة، فقبلت إدارتها على الفور فما مثل الأستاذ بافقيه لتخفى مكانته في عالم الصحافة العربية، وهو الرجل الطائر الصيت.

رسالة حضرموت:

كانت الزاوية التي يكتب فيها بافقيه تحت عنوان (رسالة حضرموت)، وأول مقال وقع تحت يدي من هذه المقالات كان بتاريخ ١٢ شوال ١٣٦٩هـ (= ٢٧ يوليو ١٩٥٠م)، في العدد (٣٥) من صحيفة النهضة، واستمر الأستاذ يكتب لمدة ستة أشهر، حتى تاريخِ اعتقاله في الربع الأول من العام الهجري ١٣٧٠هـ، وبالتحديد بعد صدور مقالاته حول قضية (حادثة القصر) الشهيرة في المكلا، والتي جرت أحداثها في شهر ربيع الأول من ذلك العام.

عندما يستثار بافقيه؛ نوفمبر ١٩٥٠م:

على صفحات إحدى الصحف العدنية، كتب أحدهم تحت اسم مستعار مقالاً وجهه إلى الأستاذ بافقيه، ولعله أسف في النقد، فثارت ثائرة الأستاذ بافقيه، وكتب مقالاً طويلاً في صحيفة النهضة، العدد (٤٨)، بتاريخ: ٢٢ محرم ١٣٧٠هـ، (= ٢ نوفمبر ١٩٥٠م)، وفيه يتحدث الأستاذ عن ماضيه الصحافي في المهجر قبل قدومه إلى المكلا، ويذكر مواقفه المشرّفة في المكلا، وهذا نصه:

«إلى أبو محمود؛ على نفسِها جنَت بَراقِش»

«اطلعتُ على كلمة، هاجمني بها (نكِرةٌ) يتستر بتوقيع (أبو محمود) في صحيفة عدنية، وقد كدتُ أن لا أحفلَ أو آبهَ لشيء بما جاء فيها، استصغاراً لشأن (النكرات) الذين تعوزُهم الشجاعة ويدفعهم الجبنُ لأن يتهجموا على الشخصيات من وراء الجدُر لغير ما مبرر،

ووثوفاً بنفسي أن يعلق بها دنسُ الاتهام، أو تتلطخ بالأوضار التي يحاول (الغائبون) وخدمةُ الاستعمار دائماً أن يشوّهوا بها سمعة الوطنيين الأبرار، تنفيذاً لرغبات أسيادهم.

فإن كتاباتي نفسَها خيرُ شاهد وأنصعُ برهانٍ على شرفِ غايتي وصدق وطنيتي وطهارة ذَيلي، فإذا رجع إليها القارئ وجدَ أن المهاجم يصولُ في غير ميدان، ويشيد في غير بنيان، وتأكد أنها هي وحدها تكفيني مؤونةَ الرد على ما لا يعدو الهذيانَ!

غير أن المهاجم قد أبدى في كلمته شيئاً من الإشفاق عليَّ والرفق بي! فلم أجد من الوفاءِ أن لا أبادله إشفاقاً بإشفاق ورفقاً برفق! وإن كانت دواعي إشفاقي عليه تختلف اختلافاً تاماً عن أسبابِ إشفاقه عليّ.

فهو يشفق عليّ: لأنّ مركزي وظروفي تستوجبُ ذلك حسب زعمه، ولعله يعنى: أن لم أغامرْ بالمضاربة في (بورصة الضمائر)! ولم أساهمْ مع المساهمين في (سوق الذمم) الرابحة اليوم! والتي ذاق هو حلاوة ربحها فوجده هيناً ليناً لا يكلف مبتغيه شيئاً غير خيانة القومية والوطن والملة! وهي في نظره أمر تافه يسير، بينما هي في نظرنا أمر جلَلٌ خطير، نردد إزاءه المثل السائر: «تموتُ الحرّةُ ولا تأكلْ بثديَيها».

وإني لأطمئنَه بكوني لا أجهلُ أبوابَ هذه المكاسبِ المغرية بالنسبة لمثله، وأؤكد له أن عروضاً تتحلّبُ لها شفاهَ الكثير قد عرضت عليّ فأباها شرفي ونزاهة ضميري، فليهدأ روعُه، ولا يقلق على مركزي وظروفي! فهي بحمد الله سليمةٌ ما دمتُ أعيش بالكفاف، متمتعاً بثقة الشعب، في غير حاجة إلى أحد من الناس!

أما إشفاقي أنا عليه: فلوقوعه بكتابة تلك الكلمة في ورطةٍ يصدق عليها المثل العربي المعروف: «على نفسِها جنت براقِش»، وإن كنت أرجُو صادقاً أن يكون مستشارُه أميناً، إذ (المستشَار) كما يُعلَم مؤتمنٌ! لقد أرادَ أن ينفذ أغراضَ المستترين وراءه بحَبْكِ الدسيسة التي ضمتها كلمته، ولكن خانه التوفيق، وظهر أن المهمة لم تسند إلى كُفُؤٍ يجيد

أداءها على الوجه المطلوب، مع رجائي أن لا يؤثر فشله الذريع ـ الداعي إلى الإشفاق ـ في اقتضائه الأجر كاملاً غير منقوص!

وإلا فكيف يمكن التوفيق بين ما أبداه من احتياجي للرفق والإشفاق بسبب مركزي وظروفي، وبين ما زعمه من كوني أكتب ما أكتب أجيراً لرجال الحكم والسلطة ؟! فهل يعقَل أن يكون مركزُ وظروفُ رجلٍ كهذا مؤيِّدٍ من رجال الحكم والسلطة مدعاةً للإشفاق؟! يظهر أنّ صاحبنا ليس غير كُفُؤٍ للمهمة التي استؤجر لها فحسْب، بل هو كذلك ضعيفُ الذاكرة إلى حد بعيد، لذلك نسى في أثناء كلمته ما كان قد سطره في أولها، ولقد صدق الشاعر العربي حين قال:

ما يبلغُ الأعدَاءُ من جَاهلٍ ما يبلُغُ الجاهِلُ من نفسِهْ

ومما يضاعف من إشفاقي عليه: أن إخفاقه كان مزدوجاً، ففي الوقت الذي سقط فيه القناع عن وجه دسيسته، نراه وقد تكشّفت محاولته عن بلادةٍ ـ مع الأسف ـ أدتْ به إلى إخفاقٍ آخر لم يكن في حسبانه، هو أجلّ شأناً وأعظم خطراً، وذلك: إخفاقه في تحقيق الغرض الرئيسي لمستأجريه الذين كانوا يريدون منه تلطيخَ هذا القلمِ المرصود ـ منذُ خطَّ أول حرفٍ ـ لمعالجة القضايا الوطنية التحريرية، كما كانوا يرمون إلى تشويه سمعة صاحبه الذي لمسوا مبلغ تأثير ما يكتب بأمانة وإخلاص في نفسه الشعب، ليتوصلوا بذلك إلى غايتهم الدنيئة التي لم تعد تخفى على ذي بصيرة .

فإذا بالآية تنعكس، وإذا بالشعب يغضب لهذا القلم، ويزيد التفافه حول صاحبه الذي آلى على نفسه أن لا يهنَ ولا ينيَ في خدمته، كما يظهر من البيان الذي نشره (الحزب الوطني)، وإذا بالكاتب الأجير الذي حالفه الفشل في محاولته، يدفعه دفعاً ويزج به زجاً لأن يتحدث ـ كنتيجة عكسيةٍ لردّ الفعل ـ عن نفسه وعن تاريخه الماضي في الجهاد الوطني، ليعلمه من لم يزل يجهله:

وإذا أرادَ اللهُ نشـــرَ فَضـــيلةٍ طُويتْ أتاحَ لها لسَـــانَ حسُودِ
لو لا اشتعالُ النارِ فيما جاورَتْ ما كانَ يُعرَفُ طيبُ عَـرفِ العُـودِ

فهل أكرُّ عائداً إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة، لأشير إلى مواقفي الوطنية في صحيفتَي «العرب» و«السلام»، اللتين توليتُ رئاسةَ تحريرهما بمهاجر الشرق الأقصى، واللتين ازدانتْ صفحاتُهما بمقالات وطنية يكفي لإدراك جرأتها في الذود عن حياض هذا الجنوب البائسِ أن أستعرض بعض عناوينها، التي كان منها:

١. واصباحاه! أفلسطينٌ في الجنوب بعد فلسطين الشمال؟!

٢. هل رجعنا القهقرى إلى ما قبل القرون الوسطى؟!

٣. قانون الأدغال يطبق بحضرموت .. إلخ.

تلكم المقالات، التي لم يجرؤ أحد على كتابة مثلها حتى الآن، وإليها يعود الفضـلُ في العدولِ عن كثير من الخطَط التي كانت قد رسمت لتنفيذها في هذا الجنوب، كما كانت دافعةً لسعادة المستشار الأسبق المستر (دبليو إتش انجرامس) للقيام بزيارة مهاجر الشرق الأقصى. أأشيرُ إلى هذا؟! أم أذكر كيف كانت تلك المقالاتُ والمواقـفُ الوطنيـة مؤديـةً إلى محـاكمتي ومحاكمة زملائي؟! وكيف امتلأتْ قاعةُ المحكمـة بسـنغافورة بالهتافـات المدويـة لنـا عنـد صدور الحكم ببراءتنا؟! أم أدعُ هذا وذاك جانباً وأكتفي بأن أنوّه بالمقالات التي أذيعت مـن بعض محطات الإذاعاتِ الأوربية، وهي لا تقلّ عن نحو تسع مقالات؟!

لا.. لا.. إن الإشارةَ إلى شيء من ذلك يمجّه ذوقي، ويعافه ضميري، لأنـه حـديثٌ عن النفس، وهو من أسمجِ الأمورِ وأبغضها إليّ، وما كلّ ما أشرتُ إليـه إلا تأديـةُ واجـب قومي لا أعتبر متفضلاً فيها ولا ممتناً بها، وحسبي أن أدخر أجرها عند الله والوطن.

وماذا يعْوِزُني للرجوع إلى الماضي وفي الحاضر ما به غنيـة؟! فهـاهو ذا ثنـاءُ (الحـزب الوطني) العطِر المنشور في العدد الماضي من «النهضة»، وفيه ما يجعل (أبو محمود) وكلّ مـن

تحدثه نفسه بالطعن في صدق وطنيّتي يتوارون حياءً وخجلاً إن كان لهم وجهٌ يعرَق، وليعذروني إذا همست في آذانهم بقول الشاعر:

إذا رَضِيتْ عنّي كِرامُ عشِيرَتِي فلا زالَ غضْباناً عليَّ لِئامُهَا

يقولُ المثل: «عشْ رَجباً ترَ عجباً» وأي شئ أدعَى إلى العجب من أن يأتي رجل يتقاضَى أجره من مالِ المستعمر، وقد نبتَ لحمه من مال المستعمر، ومازال يعيش على فتات المستعمر، وكان ممن نادى إلى تأسيس المحاكم القنصلية في بلادنا لحساب المستعمر، أن يأتي هذا فيطلُعَ على الناس بالطعنِ في وطنية من له مثلُ الماضي والحاضر المشار إليهما آنفاً ؟ حقاً .. (لقد عشنا وشفنا)!

إن (أبو محمود) يريد منا أن نلطّخ قلمنا بالولوغِ في الشخصيات، ليجتذبنا معه إلى الحمأة التي تعفّر هو بقاذوراتها، كما يريد منا أن نحاربَ رؤساء دوائر حكومتنا في أشخاصهم ليخلُو مكانهم ويحلّ محلّهم سودانيون تحقيقاً لمشروع (السودَنة)، ونحن نقول له: إن قلمنا أعف وأنزه وأكثر تعقلاً مما تريد، وفي قضايانا الوطنية ما يصرفه عن الاهتمام بالسفاسف والصغائر، وليس للشخصيات في نظرنا من قيمةٍ إلا بمقياس ما يقدر الإنسانُ الإنسانَ في العلاقات الشخصية، وبمقدار ما تكون لتلك الشخصيات من صلة بالقضايا الوطنية. وثِقْ .. أننا لن نحاربَ رجلاً في وظيفته الآن لحسابِ مشروع (السودنة)، ولإحلال موظف سوداني مكانه، ولكن عندما نتحققُ من ترشيحِ وطني من أبناء البلاد لتلك الوظيفةِ سترى كي نستخدم هذا القلم! فإن سياستنا في المطالبة بمنح الأفضلية للمواطن في المناصب الحكومية ليست هي وليدة اليوم، فقد نادينا بها منذ كنا في المهاجر ولن نحيد عنها حتى تتحقق، غير أن ذلك لا يعني أن ننساق لرغبات المطالِبين بالمحاكم القنصلية، وأغراضِ الساعين لـ(سودَنة) حضرَموت.

وبعد .. فيا (أبو محمود)، لقد حملتنا على ما ليسَ من طبعنا ولا سجيتنا، ولكنك لا تجهلَ أن: (الشرّ بالشر، والبادِئَ أظلم). انتهىٰ.

حادثة القصر؛ ربيع الأول ١٣٧٠هـ:

هذه الحادثة تعد أشهر الحوادث التاريخية في تاريخ حضرموت السياسي في مرحلة ما قبل الثورة، وقد تركت بصمة مميزة في تاريخ الكفاح الوطني لأبناء حضرموت، انطلاقاً من مطالبتهم بحقوقهم الوطنية التي أراد الاستعمار مصادرتها، وكان للصحف السيارة وكتابات الغيورين أثر ودَورٌ فعّال في تهييج الشَّعب، وبعثه من سبات عميق أخنى عليه طيلة دهور وعصور مضت. كان سكرتير الدولة (بمثابة رئيس الوزراء) يعيّن من قبل السلطان عادة، ولكنه بعد معاهدة الاستشارة صار يعين من قبل المستشار، وبعد الاستشارة جلب **الشيخ سيف البوعلي** من زنجبار (مستعمرة بريطانية) ثم غادر البلاد بعد انتهاء فترته، واقترح بعده **الشيخ القدال سعيد القدال**[١] ناظر المعارف آنذاك.

فثارت الثائرة عليه من قبل المواطنين، لأنه ليس وطنياً، قتل في المظاهرة قرابة ٢٠ شهيداً، وجرح أكثر من ٥٥ شخصاً، واعتقل كثير من أعضاء الحزب الوطني الذي أسسه الوطنيون ليمثلهم عند الحكومة، وليكون بمثابة الوسيط بين الشعب والحكومة[٢].

اعتقال بافقيه عقب حادثة القصر:

لن أطيل في وصف الأسباب والدواعي، فقد كفاني الأستاذ ذلك ووصف الحادث وصفاً دقيقاً، ومهد له في زاويته (رسالة حضرموت) بما يكفي ويشفي[٣].

---

(١) مدرس سوداني استقدمه المستشار البريطاني إنجرامس إلى المكلا، بالتعاون مع معهد بخت الرضا بالسودان، أفرد سيرته بكتاب مستقل ابنه الدكتور محمد سعيد القدال، بعنوان: «**القدال سعيد القدال، مدرس سوداني في حضرموت**»، أصدرته جامعة عدن.

(٢) للمزيد ينظر: «**شهداء القصر، قصة أول انتفاضة شعبية ضد الحكم الإنجلو ـ سلاطيني**»، تسجيل للوقائع والأحداث، مدعمة بالأرقام والبيانات، بقلم الأستاذ أحمد **عوض باوزير**.

(٣) راجع قسم المقالات.

١- **كتب أولاً**؛ بتاريخ غرة ربيع الأول ١٣٧٠هـ مقالةً تحت عنوان «**أسبوع البعث والخلود بحضرموت**» واصفاً المظاهرة الشعبية التي عمت أرجاء المكلا، وفيها من الحماس والمشاعر الجياشة ما يراه القارئ عندما يطالعها في الجزء الخاص بالمقالات.

٢- ثم **كتب ثانيةً** مقالةً أخرى؛ بتاريخ ١٢ ربيع الأول تحت عنوان «**أعظم مظاهرة وطنية عرفتها حضرموت**»، وكانت آخر مقالة له قبل الاعتقال بتاريخ ١٩ ربيع الأول في العدد (٥٦).

وفي نفس هذا الشهر، تم اعتقال الأستاذ أحمد **عمر بافقيه**، ونشرت صحيفة النهضة في (ص ٤) من العدد رقم (٥٧) تفصيل تداعيات تلك المظاهرة العارمة التي جرت في المكلا ضمن تقرير أعدته، جاء فيه:

> «... **بل إن الحكومةَ أعلنتْ هذه الحرب فعلاً، واعتقلت مراسل النهضة الخاص في حضرموت، الرجل الوطني الشهم الذي كان اللسان الوحيد الناطق لبلاده على صفحات الصحافة العدنية. ولا زلنا نأمل أن تراجع الحكومة نفسها في شأن اعتقال الأستاذ أحمد عمر بافقيه الذي كان أول من أعلن الثورة على المغتصبين والدخلاء على الشعب**». انتهىٰ.

ونشرت في آخر صفحة من نفس العدد (٥٧) أسماء المعتقلين الذين بلغ عددهم (٣٣) معتقلاً، يتقدمهم اسم الأستاذ أحمد **بافقيه**.

وفي العدد (٦٢) بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٣٧٠هـ الموافق ٨ فبراير ١٩٥١م، جاء عنوان على الصفحة الأولى نصه:

> « **محكمة المكلا تصدر أحكامها على المعتقلين ..**
>
> **تغريمُ مراسل النهضة ووضعه تحت المراقبة ٦ شهور**».

وكان مقدار الغرامة (٦٠٠ روبية)، مع إلزام المعتقل بالتوقيع يومياً في إدارة البوليس خلال مدة الاعتقال.

الإفراج عن بافقيه من معتقله:

نشرت **النهضة** في عددها رقم (٦٤) بتاريخ ١٦ جمادى الأولى ١٣٧٠، ٢٢ فبراير ١٩٥١م، على الصفحة الأخيرة خبراً صغيراً هذا نصه:

«السلطان القعيطي يعفو عن مراسل النهضة و٦ معتقلين آخرين:

عُلِم لدينا بصفةٍ مؤكَّدة أن عظمةَ السلطان صالحِ بن غالبِ القعيطي قد أمر بالإفراجِ عن سبعةٍ من الأحرار الوطنيين المقبوضِ عليهم في مظاهرات المكلاَّ، وهم: **السيد أحمد عمر بافقيه مراسل النهضة ...** ».

لقد كانت الفترة التي سجن فيها لا تزيد على ثلاثة أشهر، وقد قال مجيباً بعض الصحفيين: «بأنه لم يحكم عليه بأي حكم، ولكنه مكث مع أشخاص منهم أحمد بن عبدالله باجنيد في السجن بأمر من سكرتير الدولة القدال، ثم استدعاه بعد ذلك السلطان صالح»[1].

تداعيات الاعتقال:

حدثني الأستاذ رحمه الله أن السلطان صالح طلب مقابلته بعد الإفراج عنه. **قال:** فذهبت إليه أنا والأخ حسين بن محمد البار، وتحدث معنا عن تداعيات الأمور، وكان السلطان متأثراً جداً مما قامت به الحكومة من اعتقالات واسعة، وقال لي بالحرف الواحد: إن زمام الأمور قد خرج عن سيطرتي. وشدَّ على يدي **وقال:** أنا معجب بما تكتبه في الصحف، وأطلب منك الاستمرار، وإنما أرجو أن تراعي ظروفنا الراهنة.

---

(١) نشرة «**شعاع الأمل**»، العدد (١٨)، نوفمبر ٢٠٠٢م.

قال: وبعد خروجي من القصر، قابلني أحد موظفي القصر، وناولني مظروفاً مغلفاً، فلما فتحته وجدت فيه مبلغاً كبيراً من المال[١]، فغضبت، وظننت أن السلطان أراد أن يشتري ذمتي بهذا المال، وذهبت إلى سكرتارية الدولة، وقابلت القدال، وناولته المبلغ وأخبرته بالأمر، **وقلت له:** هل يريد السلطان أن يشتري ضمائرنا الوطنية؟ فهدأ الرجل من روعي، وخفف من حدة غضبي، **وقال:** إنه مكرمة سلطانية، وأن السلطان لا يريد من ورائها أي شيء، **قال:** وقد صحبت السلطان بعدها، فوجدته رجلاً عظيماً حقاً!

بافقيه يبرر موقف السلطان صالح:

في زاوية من زوايا صحيفة النهضة، في عددها (٧١) بتاريخ ٦ رجب ١٣٧٠، موافق ١٢ ابريل ١٩٥١م، وبعد الإفراج عنه، عاود الأستاذ بافقيه حماسُه المعتاد، وعاد إلى الكتابة في زاويته المعروفة (**رسالة حضرموت**)، وكتب حينها مقالاً عما لمسه شخصياً من السلطان صالح، ودوره الحقيقي في خضم الأحداث، لقد اعتذر بافقيه للسلطان اعتذاراً دل على وفائه له، ومكافأته للإحسان الذي غمره به والذي دل على شفقة ورعاية أبوية لا تصدر إلا عن قلب رجل مخلص، محب لشعبه وقومه. كتب بافقيه تحت عنوان:

بمناسبة الإفراج عن فوج جديد من المعتقلين

ما هي اليد الخفية التي لعبت في حادث المكلا؟

المكلا ـ من مراسل النهضة الخاص:

«**تفضّل** عظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي فأصدر عفوه عن خمسة آخرين من الوطنيين المعتقلين في حادثة المكلا، ولئن كان لنا أن نقول كلمة صريحة نزيهة بهذه

---

(١) هذا ما ذكره محرر نشرة «**شعاع الأمل**»، مع أني سمعته مرات يذكر: أن السلطان ناوله ذلك المغلف بيده؛ وعلى كل حال، فهذا اختلاف لا يغير من الواقعة شيئاً.

المناسبة، فهي: إن حادثة المكلا قد جاءت مؤيدة لرأي القائلين بأنه لا يوجد خير محض ولا شر محض في هذه الحياة .

وكم مرةٍ بدا الخير فيها بمظهر الشر، والشر بمظهر الخير، وقصار النظر هم الذين يكتفون بمجرد النظرة السطحية، فلا يبعدون بها إلى ما وراء الأفق القريب، ولا يكتنهون ما تنطوي عليه الحوادث من نتائج وعواقب.

وحادثة المكلا إنما كانت محكاً لإبراز أنصع الأدلة على مبلغ تعلق الشعب بسلطانه، وتفانيه في حبه والإخلاص له، تلك الصفات النبيلة المتوارثة فيه أبا عن جد، منذ تأسس عرش السلطنة القعيطية على دعائم متينة من الديمقراطية الحقة، وتبادل الحب بين الراعي والرعية، مما كان دستوراً لهذا العرش، تعيه الأفئدة والقلوب، أغنى عن وضع دستور تستوعبه الدفاتر والأوراق!

كما كانت تلك الحادثة في الوقت ذاته بمثابة مناسبة اختارها القدر ليتجلى فيها من ناحية أخرى مقدار عطف عظمة السلطان وحدبه الأبوي على أبناء شعبه وأفراد عشيرته، وليظهر تصرف عظمته الحكيم المبني على بعد النظر وسداد الرأي، المستمدين من علمه وتجاربه وتقواه، وفقا لما تقتضيه المصلحة والسياسة الواقعية.

إن هذه الحقائق لم يعد يكتنفها أي غبار بعد الحوادث التي تعاقبت متتابعة على إثر حادثة المكلا حتى اليوم، فقد تحقق منها أفراد الشعب أن عظمته لم يكن يستهدف في تصرفاته كلها إلا محض مصلحة الشعب وسلامة الوطن، لعلاج تلك المأساة الأليمة التي حزت في نفس عظمته، ولم يكن ليرضى بوقوعها، وإنما هي أيد أثيمة لعبت دورها الخفي إن استطاعت التستر اليوم، فسيظهرها التاريخ الذي لا يحابي يوماً من الأيام.

وكيف يرقى الشك إلى تلك الحقائق وهم يشاهدون عظمته وقد عاف الطعام أياماً وليالي تأثراً وحزناً على الضحايا، ثم هم يرونه يشمل المسجونين بعفوه فوجاً بعد فوج، ولا يكتفي بهذا العفو، فيأمر عظمته بتوزيع تعويضات على عائلات القتلى تنيف على ثلاثين ألف روبية، منها عشرة آلاف من جيبه الخاص، وقد علمنا أن إحدى هذه

العائلات نالت حصتها نحو ٤ آلاف روبية.

وبعد: فلئن كانت صدمة الشعب في البداية عنيفة، فإنه اليوم قد أدرك أن المصلحة قد تقتضي أن يدفع بالشر شر أعظم منه، وأن عظمته ما زال يقتعد عرشه على حبات القلوب، مد الله في حياة عظمته، وأقر عينه بولي عهده المحبوب» .

أترك تحليل هذه السطور للقارئ الحصيف، فسوف يستخرج منها عبراً كثيرة، وفوائد عديدة.

بافقيه يغادر إلى عدن:

كانت المدة التي قضاها بافقيه في المكلا محامياً وصحفياً تزيد على سنةٍ ونصف، ولكنها كانت حافلة، وتم أثناءها اعتقاله وزجّ به في السجن لمدة ثلاثة شهور، بسبب كتابته في الصحف حول حادثة القصر، وكان أسلوبه حماسياً شديد التأثير في الجماهير. وفي شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٠، غادر الأستاذ أحمد بافقيه مدينة المكلا ميمماً شطر مدينة عدن، عاصمة الجنوب العربي، (عروس البحر العربي)، لما تشهده من حركة تجارية وأدبية واجتماعية.

أصداء مغادرته المكلا:

نشرت **صحيفة النهضة** في عددها (٩٣) بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٠هـ (= ٢٧ أغسطس ١٩٥١م)، مقالاً بقلم أحد أصدقاء بافقيه، بمناسبة سفره من المكلا، وحزمه أمتعته مغادراً إلى عدن، وهذا المقال يمثل صورة صادقة لمشاعر المواطنين الذين عرفوا الأستاذ بافقيه كاتباً حراً نزيها جريئاً في آرائه وأفكاره.

جاء في (ص ٦) من العدد المذكور ما نصه:

«لا يستطيع لساني أن يتحدث، بل ولا يقدر قلمي أن يخط حرفاً في موقف مثل هذا الموقف الذي يشعر فيه بالأسف كل شاب وكهل عاشر الأستاذ بافقيه

طيلة المدة التي قضاها بين ظهرانينا.

كلنا يعرف أن الأستاذ **بافقيه** قد أسدى إلى هـذا المجتمـع البـائس خـدمات جليلة، تسطر على جبين التاريخ بأقلام العز والفخار.

إن الذين عرفوا الأستاذ أحمد **بافقيه** كصديق مخلص يبكون اليوم على فراقه لهـم، بل وإن جميع أرجاء هـذا القطر الحضرمي لكأني بهـا تنـدب حظها الذي بسببه ستفقد شخصية من الشخصيات التي نعدها في طليعة قواد هذا المجتمع، وإني ـ كاتب هذه السطور ـ لا أستطيع أن أكافئ الأستاذ أحمد بافقيه على إرشاداته ونصائحه التي أسداها إلي وإلى مثلي من الشباب، حتى ولو افتديناه بالروح العزيزة الغالية.

لقد عرفنا أحمد **عمر بافقيه** كصـديق، فوجـدنا فيـه مـا نـود أن نجـده في أي صديق؛ من حسن المعاشرة ودماثة الأخلاق العاليـة، وعرفنـاه كمحـام فعرفنـا فيـه مثـال الرجـل العامـل النشـيط، الـذي يحـرص كـل الحـرص عـلى أسرار موكليـه وقضاياهم ومباشرة إنجازها.

ومما هو جدير بالذكر: أن الأستاذ **بافقيه** هو المحامي البارع في محاكم المكلا، وهو محل التقدير والإعجاب لدى رجالات القضاء جميعهم، وعرفناه كصحفي، فوجدنا أنه هو الصحفي الوحيد الذي يسهر ويهتم بقضايا هذا الجنوب وأخباره ومشاكله، مع بث الدعاية الحسنة لحكومته ووطنه في الخارج. إننا إذا عرفنا في الأستاذ أحمد **بافقيه** كل هذه الصفات التي قل أن يمتاز بها أي شخص مثله كصحفي ومحام وصديق في هذه البلاد، فما علينا ونحن نودعه إلا أن ندعو له بالسلامة والمستقبل الحسن.

لقد ترامى إلى مسامعنا أن الأستاذ **بافقيه** سيتولى منصباً مرموقاً في هيئة تحرير النهضة الغراء، وقد سررنا بهذه المفاجأة السارة، وأيقنا في نفس الوقت أننا إذا فقـدنا

الأستاذ بافقيه في المكلا فلن نفقده في عدن أم الجنوب وقلبه، وجدير بالنهضة أن تحمل ابنها وقائدها الثاني مثل هذا المنصب الذي هو أحق به، ولأنه كفؤ بالقيام به».

وفي ختام المقال:

وجّه الكاتبُ نصيحةً للأستاذ بأن يبذُلَ المستطاعَ ليضرب ستاراً من حديد بينه وبين ما سيتقوّلُه عليه البعضُ في الصحف الأخرى، وما سيكالُ ضده من سباب وشتائم، وأن لا يعير قولهم أي اهتمام، لأنه أنزه من أن يتنازل مع أشخاص يفتك بهم داء الحسد.

كما حذره أنه سيجد من ينادي بإخراجه من عدن، كما فعل بالأستاذ شيخان الحبشي، لا لشيء، إلا لأن الحقيقة تدمي أظهر هؤلاء الناس ذوي الماضي والحاضر البغيضين، وختمها بقوله: «فوداعاً يا سيد أحمد، حفظك الله ورعاك، وحفظ لك أشبالك، ورافقتك السلامة في سفرتك.

المكلا ـ هو الصديق الحميم»(*).

* * *

(*) أعتقد أن كاتب هذه المقالة هو الأستاذ علي بن عبدالرحمن بافقيه.

(٢)

الأستاذ أحمد عمر بافقيه في عدن

(١٣٧٠ ـ ١٣٧٨هـ) = (١٩٥١ ـ ١٩٥٨ م)

في نهاية شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٠هـ (سبتمبر ١٩٥١م)، وصل الأستاذ أحمد بافقيه إلى عدن مصطحباً معه عائلته وأولاده، كان حينها قد بلغ (سن الكهولة). أخبرني: أن صحيفةَ النهضة هي التي طلبته ممثلة في رئيسها وصاحب امتيازها عبدالرحمن جرجرة، وهيأت له السكن في عدن.

صحيفة النهضة ترحِّب بقدومه:

نشرت الصحيفة ترحيبها بقدومه على الصفحة الأخيرة من عددها رقم (٩٣)، وكان الترحيب على شكل ترجمة موجزة عن حياة بافقيه، ونصه:

الأستاذ أحمد عمر بافقيه

- قدم من المكلا الأستاذ أحمد عمر بافقيه مراسل النهضة في الديار الحضرمية، للاشتغال بالصحافة في عدن. وقُرّاءُ النهضة لا زالوا يتمثلون ذلك القلم القوي الذي كان ينقل لهم بأمانة وصراحة وصدق أنباء حضرموت وخفايا حركاتها.
- من مواليد كلكتا عاصمة البنغال.
- تلقى دراسته بمعهد الرباط في مدينة تريم بحضرموت، وأتم الدراسة على عمه فضيلة العلامة المغفور له السيد محمد بن عبدالله البار، بدَوعَن (حضرموت).

○ ثم سافر وسنه دون العشرين إلى سنغافورا، وهناك طلب إليه أن يتولى رئاسة تحرير «**صحيفة العرب**»، فاستمر يحررها نحواً من أربع سنوات.

○ ثم تولى رئاسة صحيفة أخرى باسم «**السلام**»، وهذه أيضاً استمرت تصدر أربع سنوات إلى أن أعلنت الحرب العالمية الأخيرة، وكان أن اجتاحت الشرق الأقصى، واضطرت الصحيفة إلى أن تتوقف عن الصدور.

○ وفي أثناء إقامته بسنغافورا اشترك في الحركات الاجتماعية والثقافية الإسلامية منها والعربية، وأسندت إليه سكرتارية النادي العربي والرابطة العربية غير مرة.

○ في عهد الاحتلال الياباني انتقل إلى سومطرا مديراً للمدرسة العربية في مدينة (تلوء بتونغ) وهناك ألقت عليه القبض السلطات العسكرية اليابانية، أو (الكمفيتاي)، التي تضاهي (القستابو) عند النازي، ووضع في المعتقل مدة من الزمن بتهمة العمل والنشاط ضد اليابان.

○ دعي بعد سقوط اليابان إلى إدارة المدرسة العربية بمدينة صولو (جاوا) تلك المدرسة التي كانت بقسميها تضم نحواً من ٤٠٠ تلميذ وتلميذة .

○ ثم طلب منه تأسيس القسم العربي بإذاعة جاكرتا (جاوا)، فاستجاب لهذا الطلب، وكان أول مؤسس ومدير لذلك القسم، وبقي يعمل في هذه الوظيفة بالتعاون مع زملائه وتحت إشراف المستشرق الشهير الدكتور (فان در ميولين)، إلى أن قرر العودة إلى حضرموت قبل ثلاث سنوات[1].

○ وهو أول من تولى رئاسة القسم العربي في محطة إذاعة جاكرتا تحت إشراف المستشرق الكبير **فان در ميولين**، الذي ألف كتاباً عن «**رحلته إلى حضرموت**»، يعتبر من أهم المراجع التاريخية عن هذا القطر العربي المجيد.

---

(١) أي من وقت كتابة المقال.

○ هبط المكلا سنة ١٩٤٩م ومارس المحاماة في محاكمها، وساهم في الحركة الوطنية مساهمة فعالة، واتهمته الحكومة في ثورة يناير الماضي بالتحريض عليها، فاعتقلته في سجن المنورة نحو شهرين، ثم أصدرت السلطات عفواً عاماً عن المسجونين السياسيين، فيكون بذلك قد تشرَّف بالسجن مرتين!

○ وهو اليوم يفتح صفحة جديدة من صفحات حياته في عدن، ويضع نفسه من جديد في خدمة الرسالة التي خلق من أجلها، رسالة الصحافة الحرة، والإنسانية المظلومة.

تعريف بصحيفة النهضة:

جاء في «الموسوعة اليمنية» (٣: ١٨١٨) عنها ما نصه:

«**النهضة**: صحيفة أسبوعية جامعة، صدر العدد الأول منها في ٣ صفر ١٣٦٩هـ (= ٢٤ نوفمبر ١٩٤٩م)، توقفت نهاية عام ١٣٧٤هـ (=١٩٥٥م)، بعد أن صدر منها (٣٣٠) عدداً. تبنت الدعوة إلى الحكم الذاتي والاتحاد العدني، وفقاً للدعوات الاستعمارية الانفصالية، ودعمت موقف رابطة أبناء الجنوب»[1]. انتهى.

صاحباها: عبدالرحمن جرجرة وإبراهيم راسم، وكان جرجرة هو رئيس التحرير، وسكرتير التحرير أحمد عبده حمزة، ثم ابتداء من العدد (١٩) اختفى اسم أحمد عبده، ثم في العدد (٥٧) ظهر اسم عبدالله عبدالرزاق باذيب سكرتيراً للتحرير بتاريخ ٤ يناير ١٩٥١م.

---

(١) لاشك أن هذا الكلام تنقصه الدقة، ولا نبعد إذا قلنا: إنه خلاف الواقع! ذلك أن موقف (الرابطة) الحقيقي إنما كان مناهضة الاستعمار، وكيف تكون (الرابطة) التي حاربها الاستعمار وشرد أعضاءها حليفة له! لقد دعمت (الرابطة) موقف كل داع إلى الوحدة، وبدأت بدعم حركة توحيد عدن مع المحميات الشرقية والغربية تحت مسمى (الجنوب العرب)، وكانت عندها طموحات للوحدة اليمنية الكبرى بعد تحقيق وحدة الجنوب، ولكن الزمن لم يمهل!

وفي نهاية هذه السنة الميلادية كان قدوم بافقيه من المكلا إلى عدن(*).

وقد نشرت النهضة للأستاذ بافقيه مقالاتٍ عديدةً، كان أولها في العدد (٩٤) الصادر في ٣ محرم ١٣٧١هـ، في عمود التحرير على الصفحة الأولى، بعنوان: «**النهضة تقول: لا هوادة في المبادئ**». ثم تولى إدارة التحرير في نفس الشهر، بدءاً من العدد (٩٦)، إلى جانب صاحبها ورئيس تحريرها: عبدالرحمن جرجرة، وعبدالله عبدالرزاق باذيب. وبعد سنتين: أضيف إلى هذا الفريق المحامي شيخان عبدالله الحبشي، بوظيفة مستشار قانوني، منذ العدد (١٧٤)، بتاريخ ٢٨ صفر ١٣٧٣هـ، موافق ٥ نوفمبر ١٩٥٣م.



الأستاذ بافقيه، يليه: **محمد ناصر، فإدريس حنبلة** (رئيس المؤتمر العمالي)، **فزين باهارون** (رئيس الوزراء فيما بعد)، **فالعوبلي** (وزير التربية والتعليم).

الاستقالة من النهضة:

بعد سنتين ونصف من العمل في إدارة تحرير النهضة، وبعد انضمام صديقه شيخان

(*) ينظر للمزيد: د. سيف علي مقبل، **مصدر سابق** (ص٤٣ - ٤٦)، ومحمد عبدالجبار سلام وزميله، **مصدر سابق** (ص٦٤-٦٩).

الحبشي بثلاثة أشهر، قدّم الأستاذ استقالته لأسباب وظروف صحية، واختفى اسمه من الصحيفة بدءاً من العدد (١٨٨) الصادر بتاريخ ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٧٣هـ (=١١ فبراير ١٩٥٤م)، وكتبت **النهضة** في آخر صفحة من العدد المذكور:

(**استقالة**: استقال زميلنا **الأستاذ أحمد عمر بافقيه** من هيئة تحرير النهضة لأسباب صحية. والنهضة تأسف لفراقه وتتمنى له صحة طيبة ليعاود عمله في حقل الصحافة).

لم يعُد الأستاذ بعدَها إلى صحيفة النهضة، وكانت استقالته نهائية، وأسس بعدها صحيفته «الجنوب العربي»، ولم تطل حياة النهضة بعد ذلك، فقد استمرت لسنة ونصف سنة أخرى، وكان اختفاؤها النهائي في نهاية عام ١٣٧٤هـ.



عبدالرحمن جرجرة

لماذا استقال بافقيه؟

لقد كانت الاستقالة من النهضة لدواع فكرية وسياسية أكثر منها صحية، ففي حديث صحفي معه ذكر الأستاذ رحمه الله الأسباب التي أدت إلى انفصاله عن النهضة وإدارتها بقوله: «لقد حتّمت علينا التطورات التباعد، فقد كان للأستاذ جرجرة خط، وكان لنا خط آخر، فكان أن سلك كلٌ منا الطريقَ الذي سيوصله إلى أهدافه»(١).

كان عبدالرحمن جرجرة ـ كغيره من الوطنيين ـ منخرطاً في صفوف رابطة أبناء الجنوب، وكانت صحيفته **النهضة** معدودةً من صحف **الرابطة**، بل كان بعض محرريها من قادة الرابطة، وهما: شيخان الحبشي، وأحمد بافقيه. ولكن الأمور اختلفت بعد الانتخابات التشريعية التي خاضتها (**الرابطة**) في عام ٥٥م، فقد كان جرجرة في صف الجناح الرافض لنهج الرابطة، وتغيرت سياسته وأخذ ينحاز بعد ذلك إلى الحزب الاتحادي، الذي انشق رئيسه (حسين بيومي) عن الجمعية العدنية عام ١٩٥٩م، وأعلن رسمياً عام ١٩٦٢م، وصار جرجرة أميناً عاماً لهذا الحزب(٢).

علاقة الإخوة (باذيب) بالأستاذ بافقيه:

كان يعمل في إدارة صحيفة «**النهضة**» ثلاثة إخوة من آل باذيب، وهم: **محمد عبدالرزاق باذيب**، وكان يعمل في صف الحروف وتنضيدها في المطبعة الخاصة بالمجلة، وأخواه **عبدالله وعلي** (شقيقان)، فأما **عبدالله** فكان في أول أمره كاتباً هو وأخوه **علي**، ثم ترقى **عبدالله** وصار سكرتيراً للتحرير في النهضة.

---

(١) من الحوار الصحفي الذي أجراه فاروق بن زيمة رحمه الله مع الأستاذ أحمد بافقيه.

(٢) عبدالجبار سلام وزميله، **مصدر سابق** (ص٦٤-٦٥)، عوبلي، **اغتيال بريطانيا لعدن** و«**الجنوب العربي**» (ص٦٠-٦١).

بعد ذلك أصبح عبدالله باذيب[١] شخصية صحفية وسياسية بارزة، وبرز أكثر بعد أن سجنته حكومة الاستعمار وحاكمته بسبب مقال له نشرته صحيفة **النهضة** (بتاريخ: ١٨/ ٨/ ١٩٥٥م) وعنوانه «**المسيح الجديد الذي يتكلم الإنجليزية**»، وحوكم بسببه من قبل الإنجليز.



عبدالله عبدالرزاق باذيب

كان عبدالله باذيب من أعزّ أصدقاء الأستاذ بافقيه، وكانت بينهما صحبة قديمة، ولكن فرّق بينهما بعد ذلك .. الفِكرُ الدخيل، والحديث طويل عن تطور أفكار باذيب وانتهائه إلى تبني الفكر الشيوعي الماركسي الاشتراكي، ليس هنا موضع الخوض فيه. لقد

---

(١) ولد عبدالله باذيب في الشحر سنة ١٩٣١م (=١٣٥٠هـ)، درس في مدرسة بازرعة وغيرها، وكان له نشاط صحفي بارز، ثم أسس عام ١٩٦١م (١٣٨٠هـ) أول تنظيم للحزب الاشتراكي تحت مسمى (الاتحاد الشعبي الديمقراطي)، واندمج هذا الحزب فيما بعد مع حزبين آخرين وتكون منها (التنظيم السياسي الموحد، الجبهة القومية) في ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ)، عين وزيراً للتربية والتعليم في ٦٩م، وتوفي بعدن سنة ١٣٩٦هـ. ينظر: «**الموسوعة اليمنية**» (١: ٤٤١).

كان الأستاذ بافقيه كثير التأسف على انتكاسة عبدالله باذيب وأخيه علي، وكان يصفهما بالذكاء والألمعية، ولكن ذلك الذكاء قادهما بعد ذلك إلى طريق لم تكن عاقبته محمودة، والى الله عاقبة الأمور!

بافقيه في بلاط الإمام أحمد حميد الدين:

عقب استقالة الأستاذ من صحيفة النهضة، بقي ستة أشهر بدون عمل، زار خلالها المملكة المتوكلية بدعوة من ملك اليمن الإمام أحمد حميد الدين شخصياً، ومن هنا فإنه يسود اعتقاد بأن الأستاذ إنما استقال من النهضة بعد أن عرض عليه الإمام عرضاً مغرياً في تسلم بعض الوظائف المرموقة عنده، وهذا ما لم نجد عليه دليلاً ملموساً، وفاتني سؤال الأستاذ عنه. لقد كشف الأستاذ بافقيه الستار عن قصة مسيره إلى اليمن، وكتب عن تلك المرحلة في صحيفته الجنوب العربي، التي أسسها عقب عودته من اليمن، وكان صدورها في محرم ١٣٧٤هـ، وكانت المناسبة قد عرضت للحديث عن تلك المرحلة، أثناء الحديث عن قصة الاغتيال الذي دبر للإمام ونجا منه في تلك السنة. فلنترك المجال للأستاذ ليحدثنا بنفسه عن مرحلة تواجده في اليمن، فيقول في مقال بعنوان:

اذهبوا فأنتم الطلقاء(*)

«لعل الوقت قد حان لكي يكشف رئيس تحرير هذه الصحيفة عن أهم سبب حدا به لأن يعتذر عن قبول تحرير «**صحيفة النصر**»(١)، الصحيفة الرسمية لحكومة اليمن، عندما

(*) «**الجنوب العربي**»، العدد (٢٩)، بتاريخ: ٢٦/ ٨/ ١٣٧٤هـ، موافق: ١٩/ ٤/ ١٩٥٥م.

(١) صدر العدد الأول منها في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠هـ (= ٩ فبراير ١٩٥٠م)، وكان يرأس تحريرها فلسطيني اسمه **طلعت يعقوب الغصين**، وكان توقفها النهائي في ٢٩ ربيع الأول ١٣٨٢هـ (= ٣٠ أغسطس ١٩٦٢م)، بعد صدور ٢٨٧ عدداً منها. ينظر: «**الموسوعة اليمنية**» (٣: ١٨٠٧، ١٨٢٩). وقد

دعي إلى تولي هذا المنصب من نحو سنة، فقد كان من دواعي سروره وفخره ـ ولا شك ـ أن يخدم بلاداً عربيةً لها مكانتها السامية في نفسه، ولكنه لاحظ وجود عوائق كثيرة تحول دون تأدية واجب المنصب بالأمانة المطلوبة من رجل أسندت إليه مهمة خطيرة كهذه.

وكان في مقدمة هذه العوائق: جو الدسائس والمكائد الذي يسود اليمن مع الأسف، فإن ذلك من أبرز الظواهر التي يلمسها كل زائر لليمن، بحيث لا أعتبر مبالغاً إذا **قلت**: إنني قلما لقيت رجلاً في (تعز) لا يحمل قلماً وعدة أوراق يسطر عليها اتهامات ودسائس ضد أعدائه وخصومه، كلما انفرد بنفسه، تحت شجرة، أو في طريق عام، أو في ظل بيت من البيوت أو بين السلالم والمنعطفات.

ولولا أن جلالة الإمام معروف بالحكمة والأناة لا يأخذ بالظن لطاحت رؤوس كثيرة، وامتلأت السجون بعدد أكبر من الأبرياء! وسيجد هؤلاء الدساسون في أعقاب حركة التمرد الأخير فرصة مواتية لكي ينشطوا ويحركوا رؤوسهم، ولكي يعمل كل واحد منهم الإيقاع بخصمه أو عدوه، إشباعاً لحقده، وإرواء لغيظه.

لذلك لا نحسب أننا في حاجة لأن نلفت نظر جلالة الإمام إلى هذا الموقف الدقيق الذي يتطلب مزيداً من الفحص والتدقيق، على أنه ليس كثيراً على جلالته، وهو الورِعُ التقيُّ أن يتمثل بجده الرسول الأعظم ﷺ عندما ظفر بخصومه الذين حاربوه وقاتلوه فعفا عنهم، وقال لهم: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١)، وفي كثير من المواطن يجدي العفو أكثر مما تجدي الشدة».

* * *

جاء فيها أن الصدور هي ١٣٨٣! وهو من الأخطاء المطبعية الكثيرة في الموسوعة التي لم ننزل ننبه عليها.

(١) أخرجه بلفظه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩: ١١٨).

(٣)

بافقيه ورابطة أبناء الجنوب العربي

إذا ذكر السيد أحمد بافقيه ذكرت الرابطة، ذلك الحزب الوطني الذي انبثق في منتصف القرن العشرين، وسَطَ أوضاع سياسية مضطربة، وكان له دور هام وكبير في تغيير مسار الأحداث السياسية التي عصفت بالجنوب العربي قبيل رحيل الاستعمار البريطاني، وإعلان الاستقلال في عام ١٩٦٧م. إن حديثنا عن (الرابطة) في هذا الفصل ضرورة ملحة، وسيكون حديثاً محايداً لبيان الحقائق التاريخية، ولنقل صورة ذلك العصر للقارئ، ملخِّصاً ما ورد عند الكتّاب والمؤرخين لهذه الحقبة التاريخية الهامة.

الوضع العام في الوطن العربي:

من مطلع الأربعينات الميلادية، ظهرت في الوطن العربي حركات فكرية تدعو إلى وحدة العرب والتخلص من الاستعمار، لقد بدأ الإحساس بالاحتلال والوجود الأجنبي يتنامى في النفوس ويكبر، ليعبر عن وجود بأشكال نضالية مختلفة، وكانت قضية التحرير هي الهاجس الأكبر لدى كل الوطنيين، ثم بعد نكبة العرب في فلسطين في حرب ١٩٤٨م، أخذ هذا الإحساس بعداً قومياً اقترن بالدعوة إلى وحدة العرب، انطلاقاً من الشعور بوحدة المصير، وتحولت مصر بالذات إلى مركز لهذا الشعور القومي العربي، ومن أبرز الحركات الفكرية النشطة التي برزت في تلك الأثناء: حركة القوميين العرب، وحركة حزب البعث العربي[١].

---

(١) د. سعد مهدي شلاش، «حركة القوميين العرب» (ص٤٩).

الأوضاع الداخلية في عدن (الجنوب العربي):

لم يكن الجنوب العربي ومحمياته آنذاك بمعزل عن هذا الشعور، فقد كان أثره ممتداً من أقصى الوطن العربي الكبير إلى أقصاه، ولكن الحركة الوطنية على اختلاف تياراتها واتجاهاتها السياسية لم تظهر إلا في وقت متأخر، قياساً مع بلدان عربية أخرى.

فالأحزاب والمنظمات السياسية إنما ظهرت في أوائل النصف الثاني من القرن العشرين، وكان لذلك الظهور المتأخر انعكاس من نوع آخر، حيث ظهرت ـ دفعة واحدة ـ وعلى مدى قصير من الوقت، أحزاب وتيارات سياسية متنوعة ومتعددة الاتجاهات، صحيح أن بعضها لم يترك أثراً ذا شأن في التاريخ السياسي لليمن، إلا أن ظهور هذا العدد الكبير منها كان يتلاءم ناحية مع سياسية بريطانيا ومصالحها الإستراتيجية، في ضوء الرؤية الجديدة لمستقبل المستعمرة[١].

لقد أعلن حاكم عدن البريطاني في عام ١٩٦٠م: أن عدن في حاجة إلى المزيد من الأحزاب السياسية، في إرادة استعمارية لبعثرة الطاقات الوطنية وامتصاصها في أحزاب عديدة، فظهرت في عدن وحدها أكثر من (١٥) حزباً في فترات متقاربة، تألفت هذه الأحزاب من عدة أشخاص، وكثير منها كان يتلقى دعماً مباشراً من الاستعمار[٢]، هذا من ناحية. **ومن ناحية أخرى**: فقد كان لظهور الأحزاب السياسية دليلاً على درجة معينة من نضج الوعي الوطني الذاتي، وخصوصاً بين صفوف المثقفين، وبعض المهاجرين الذين عادوا بأفكار وآراء مختلفة، متأثرين بنشاط الحركات السياسية في البلدان التي هاجروا منها أو إليها، ومن هذا النموذج: **الأستاذ أحمد عمر بافقيه** المهاجر من شرق آسيا، والأستاذ **شيخان الحبشي** القادم من بغداد، وأمثالهما كثيرون.

---

(١) علي الصراف، «اليمن الجنوبي، الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة» (ص٧١-٧٣).

(٢) علي الصراف، مصدر سابق (ص٧٤).

وباستثناء مؤتمر المهاجرين الحضارمة الذي عقد في المكلا في أكتوبر ١٩٢٧هـ، والذي نادى بالاستقلال، لم يكن في الجنوب قبل ذلك حزب سياسي أو إصلاحي يذكر[١].

المخاض الفكري والسياسي في عدن:

لقد ظهرت في عدن بوادر حركات إصلاحية متواضعة منذ **الثلاثينات**، بدأت بظهور نادي الأدب العربي في عدن، الذي تأسس عام ١٣٤٣هـ (= ١٩٢٥م) على إثر زيارة الزعيم التونسي الكبير الشيخ عبدالعزيز الثعالبي عدن، الذي شجع العدنيين على إقامة ناد أدبي عربي[٢]، تلاه تأسيس نادي الإصلاح العدني على يد الأديب أحمد محمد سعيد الأصنج[٣] عام ١٩٢٨م، فظهور الحزب الوطني القعيطي عام ١٩٣٧م، تلته حركة الأحرار اليمنيين عام ١٩٣٨م.

وفي الأربعينيات: ظهرت جمعية العمل من أجل توحيد حضرموت عام ١٩٤٦م، فالنادي الشعبي اللحجي عام ١٩٤٧م، متزامناً مع ظهور الجمعية العدنية عام ١٩٤٧م، فالجمعية الإسلامية في عدن عام ١٩٤٨م (= ١٣٦٨هـ)، ثم كان ظهور رابطة أبناء الجنوب عام ١٩٥٠م، أي: في المرحلة الوسيطة من هذا القرن.

وفي الخمسينيات وما بعدها: كان ظهور الجبهة الوطنية المتحدة عام ١٩٥٥م، فحزب

---

(١) علي الصراف، **مصدر سابق** (ص٧٥)، وأحمد بن دغر، **مصدر سابق** (ص٤٥).

(٢) عبدالعزيز الثعالبي، «**الرحلة اليمنية**» (ص١٨١)، ودلال الحربي، «**علاقة سلطنة لحج ببريطانيا**» (ص٤١٢).

(٣) ولد في منطقة الشيخ عثمان بعدن سنة ١٩٠٥م (= ١٣٢٣هـ)، ودرس بها، وارتبط بالشيخ العبادي، وراسل عدداً من كبار الرواد في الوطن العربي، أسس عدة نوادي بعدن، وعمل على إيجاد بعثات للدراسة في مصر، وأفاد المجتمع العدني بنشاطه المتميز، وكانت حركته الوطنية في مناهضة الاستعمار ونشر الوعي من أوائل الحركات في الجنوب، توفي سنة ١٩٧٤م (١٣٩٤هـ) بعد أن سجن وأصيب بالشلل. ينظر: «**الموسوعة اليمنية**» (١: ٣٥٤).

المؤتمر الشعبي، والحزب الوطني الاتحادي. وكان حزب المؤتمر الشعبي هو الوريث للجمعية العدنية، بحكم سيطرة أسرة آل لقمان عليه، والتي تعتبر هي المؤسسة له، وهذه الأسرة كانت تمتلك عدة صحف عربية: فتاة الجزيرة، والقلم العدني، والأخبار، وصحيفة «أيدن كرونيكل» الناطقة بالإنجليزية[١]، والحديث يطول، وإنما هذا عرض سريع ووجيز للأوضاع العامة. وكانت عدن تشهد نهضةً تجاريةً واقتصاديةً كبيرةً، وتزايد فيها أعداد المهاجرين، وكان العمل التجاري متحركاً في ظل المؤسسات الفردية والمهن الحرة، وبلغ ميناء عدن من الرقي والتقدم مبلغاً كبيراً، حتى أنه صنف في عامي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤م ثالث أهم ميناء في العالم، أي بعد مينائي: لندن، ونيويورك. وكان لهذا النمو الاقتصادي المضطرد دور في ميلاد حركة النقابة العمالية اليمنية عام ١٩٥٦م، وسيأتي الحديث عنها[٢].

بروز فكرة توحيد الجنوب:

تبلورت فكرة العمل الوطني السياسي في مطلع الأربعينات، عندما أخذ أعضاء البعثات العلمية من جنوب شبه الجزيرة العربية ـ على قلتها ـ في كل من: مصر، والسودان، والعراق، وسوريا، تتطلع إلى نهضة الجنوب وتقدمه ووحدته، وكانت هذه الفكرة تدور في رؤوس عدد من الشباب الطامحين، دون أن يكون هناك ترتيب أو تنسيق مسبق أو مشترك.

ففي القاهرة: تجمعت نخبة من الشباب العربي اليمني الذين كانوا يدرسون في جامعة الأزهر كمحمد علي الجفري، أو في جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً) ومنهم: سالم عمر

---

(١) سيف مقبل، **مصدر سابق** (ص ١٣)، محمد عبدالجبار سلام وزميله، **مصدر سابق** (ص ٢٤).

(٢) عوبلي، **مصدر سابق** (ص ٣٣)، سيف علي مقبل، **مصدر سابق** (ص ١٥).

* **ومن الجدير بالذكر هنا:** أن من أهم أسباب نهضة عدن في الخمسينات، هو اضطرار بريطانيا بعد حرب السويس عام ١٩٥٦م إلى الرحيل عن مصر، واتخاذ منطقة عدن قاعدة عسكرية أولى في الشرق الأوسط، وكان قوام الجنود الذين في معسكرات عدن (ثمانين الف) جندي بريطاني. انتهى. **(د. محمد علي البار).**

الصافي، وأحمد عبدالرحمن الجفري، وأبوبكر عبدالرحمن ابن شهاب، حيث أسسوا مع نخبة من شباب المملكة اليمنية المتوكلية (آنذاك) جمعية مصغرة عرفت باسم (**الكتيبة اليمنية**)[١] وذلك في عام ١٣٦١هـ (=١٩٤٢م)، وكان الهدف منها: انتشال اليمن مما يعانيه من تخلف واستعمار، وكان الحماس لدى الأعضاء يفوق إدراكهم ووعيهم السياسي، لذلك فقد كانوا عرضة الاستجواب من قبل البريطانيين، وترتب على ذلك: دعوة الطلبة الجنوبيين للتجنيد في الجيش البريطاني بحكم أنهم رعايا بريطانيين، وأحجم الطلاب اليمنيون عن الاستمرار فتوقف نشاط هذه الجمعية وتلاشت[٢].

الأوضاع المحلية في عدن التي مهدت لظهور الرابطة

الجمعية العدنية:

في العام ١٩٤٧م، وفي عامها السابع، بدأت صحيفة «**فتاة الجزيرة**»[٣] تبرز هويتها السياسية بالدعوة إلى الجمعية العدنية، تبنت «**فتاة الجزيرة**» اجتماعاً عقد في مكتبها، خرج منه المجتمعون بقرار يقضي: «بضرورة التعاون مع الإدارة الاستعمارية البريطانية المقرة في عدن، والعمل على رفع مستوى عدن والعدنيين».

وانبثقت (**الجمعية العدنية**) رسمياً بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٤٩م (= ٢٦ شعبان ١٣٦٨هـ)، وكان الأبُ الروحي للجمعية الأستاذ **محمد علي لقمان**، ورئيسها: حسين علي بيومي، وأمينها العام: علي محمد لقمان، وبذلك صارت هذه الصحيفة وبصورة علنية: لسان

---

(١) هذا يدل على أن فكر السيد محمد علي الجفري ـ رئيس رابطة أبناء الجنوب المتهمة بالانفصالية ـ ونائبه السيد سالم عمر الصافي، كان فكراً وحدوياً يمنياً في البداية. (د. البار).

(٢) دلال الحربي، **مصدر سابق** (ص٤٢٥-٤٢٦).

(٣) صدر عددها الأول في يناير ١٩٤٠م، وكانت أسبوعية تصدر كل يوم أحد.

حال (الجمعية العدنية)، مع استمراريتها كصحيفة أسبوعية جامعة[١].

كان الأستاذ محمد علي لقمان المحرك الأكبر لنشاط هذه الجمعية، كانت رؤيته تتبلور في: خوفه من ذوبان عدن في المحميات الجنوبية، وكان يريد لعدن أن تتطور في كيان مستقل، لأن إصلاح المناطق الأخرى (المحميات) كان في نظره سيأخذ وقتاً طويلاً، غير معلوم المدى، فطالب على لسان جمعيته هذه بفصل عدن عن الجنوب العربي ومنحها الإدارة الذاتية تمهيداً لإدخالها في الكومنولث البريطاني، بعد قيام مجلس تشريعي منتخب يمهد لتحقيق الاستقلال الذاتي، وكانت الجمعية تنادي ـ في نفس الوقت ـ بتعزيز الأواصر بين عدن والمحمية، ولكن: في ظل بقائها تحت نظام الحماية[٢].

الجمعية الإسلامية:

في الجانب المقابل لنشاط الجمعية العدنية، كانت هناك الجمعية الإسلامية، ويعود تأسيسها إلى عام ١٩٤٧م، وكانت أهم أهدافها: العناية بالمسلمين كأغلبية تسكن مدينة عدن، وتطوير التعليم الديني، والتعاون الأخوي بين المسلمين في الشطر الجنوبي، والحفاظ على اللغة العربية وجعلها اللغة الرسمية في المدارس والمؤسسات والمعاهد العدنية.

---

(١) سيف مقبل، **مصدر سابق** (ص ٣٣)، **الموسوعة اليمنية** (١: ١٣١). ومع تغيُّر السياسة البريطانية في المرحلة اللاحقة لعام ١٩٥٤م، تغيَّر اسمُ الجمعية العدنية إلى (حزب المؤتمر الشعبي)، الذي حافظ على النهج السياسي السابق للجمعية، ثم انقسم ذلك الحزب إلى: **الحزب الوطني الاتحادي**: برئاسة حسن علي بيومي، **والحزب الدستوري**: برئاسة آل لقمان. ينظر: علي الصراف، **مصدر سابق** (ص٧٧-٨١)، محمد حسن عوبلي، **مصدر سابق**: ص٥٩).

(٢) علي الصراف، **مصدر سابق** (ص٧٧-٧٨).



محمد عبدالله المحامي

وأهم أعضائها: الشيخ محمد بن سالم البيحاني، والشيخ علي باحميش، والسيد محمد علي الجفري، والسيد سالم الصافي، والسيد عبدالله صالح المحضار، وكانت رئاستها مسندة للمحامي محمد عبدالله (باكستاني الأصل)، وغيرهم من أصول عربية وغير عربية من مسلمي عدن(١).

(١) علي الصراف، مصدر سابق (ص٧٦).

أصدرت هذه الجمعية صحيفة أسمتها «**الذكرى**»، صدر عددها الأول في نوفمبر ١٩٤٨م، رئيس تحريرها الشيخ علي باحميش[١]، ومساعد التحرير: السيد مطهر الغرباني، ومديرها: سعيد الأصبحي، وكان صدورها كل يوم جمعة، وتعنى بنشر الثقافة الإسلامية والبحوث العلمية والاجتماعية، وكان إغلاقها من قبل الحاكم العام (البريطاني) أواخر ١٩٥٠م[٢].

وأياً من الجمعيتين كانت أسبق في الظهور، الجمعية العدنية أم الإسلامية فهذا لا يقدم في الموضوع شيئاً ولا يؤخر، وبوفاة مؤسسها محمد عبدالله، لم يقدر لهذه الجمعية أن تصمد بعد ذلك طويلاً.

* * *

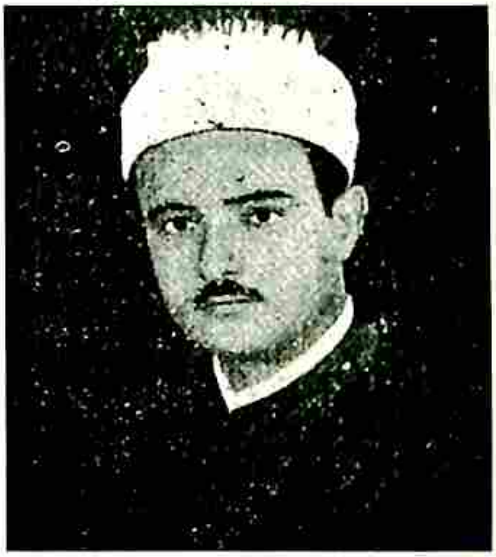
---

* **ومن الجدير بالذكر**: أن الشيخ محمد عبد الله ماتَ في لندن، واتُّهمت بريطانيا بأنها سمّمته لتتخلص من نشاطه الإسلامي، وبالفعل! توقفت الجمعية بعد وفاته، وأعادت بريطانيا جثمانه ليدفن في عدن التي خرج أهاليها لتشييع جنازته عن بكرة أبيهم، (**د. البار**).

(١) صدر مؤخراً عن (مركز عبادي للدراسات والنشر بصنعاء) كتيب في (١٣٢) صفحة مزود بالصور والوثائق عن الشيخ علي باحميش رحمه الله بعنوان «**أوراق ومشاهد من حياة الشهيد العلامة المجاهد الشيخ علي محمد صالح باحميش**»، وهو مجموع فيه عدد من المقالات اعتنى بجمعها اثنان من طلابه وهما الفاضلان الأستاذان: أمين سعيد باوزير، وعبدالعزيز يسلم بن وبر، واعتنيا بتوثيق ما يتعلق بصحيفته (**الذكرى**)، فحياهما الله على هذا الجهد المشكور.

(٢) عبدالجبار سلام وزميله، **مصدر سابق** (ص٤٢، وسيف مقبل، «**الصحافة في عدن**» (ص٣٨)، «الموسوعة اليمنية» (٢: ٨٩٣).

ظهور رابطة أبناء الجنوب في عدن[*]
(١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م)



السيد محمد علي الجفري

في خضم أحداث متسارعة في عدن، وعلى أثر اضمحلال نشاط الجمعية الإسلامية، وخروج عدد كبير من أعضائها عن إطارها، وعقب انحلال الحزب الوطني في المكلا في نفس العام، وتلاشي دعوة الرابطة الحضرمية .. تأسس في عدن عام ١٩٥٠م، حزب (**رابطة أبناء الجنوب**) من قبل بعض الأعضاء السابقين في الجمعية الإسلامية، الذين شكلوا الركيزة الأولى في بنائه، وعلى رأسهم العقل المدبر، العالم الأزهري: السيد محمد علي الجفري[1].

(*) محمد حسن عوبلي، **مصدر سابق** (ص٥٨-٥٩)، علي الصراف، **مصدر سابق** (ص٨٥-٩٤)، أحمد عبيد بن دغر، **مصدر سابق** (ص١٧٧-١٨٧).

(١) ولد في لحج سنة ١٩٢١م، نشأ في أسرة ذات مركز ديني واجتماعي مرموق، حصل على العالمية من كلية أصول الدين بالأزهر، عاد إلى وطنه وقدم خدمات جليلة للجنوب العربي، عين قاضياً في لحج، وأسس

مراحل تأسيس (الرابطة) وأبرز أعضائها:

كان الإعلان الرسمي لتأسيس (الرابطة) في اجتماع عقد في نادي الأدبي العربي مساء الأحد ٢٣ رجب ١٣٧٠هـ (= ٢٩ أبريل ١٩٥١م)، ثم في ٢٢ شوال من نفس السنة (= ٢٦ يوليو) صرح للرابطة بمزاولة نشاطها داخل عدن، وانتخب الأعضاءُ المجتمعون: محمدَ علي الجفري رئيساً لها، وكان انتخابه يعود لأسباب عديدة، منها: قوة شخصيته، وبلاغته وفصاحته، ومنطق حجته، ومكانة أسرته ونفوذها الديني بين قبائل المنطقة، وانتخب في تلك الجلسة عشرة أعضاء.

ثم في جلسة أخرى: تم توزيع المناصب الإدارية، فجعل سالم عمر الصافي نائباً للرئيس، ورشيد الحريري أميناً عاماً، وأحمد عبده حمزة نائب الأمين العام، وعلي محمد مقطري أمين الصندوق، وحسين عبدالله الحبشي مساعد أمين الصندوق، وطه محمد خليل مدير النشاط، وفيصل محمد علي مساعد مدير النشاط، وأما: محمد علي باشراحيل، ومصطفى عبدالكريم بازرعة، وحسين محمد الصافي، فكانوا أعضاء إداريين[1].

رابطة أبناء الجنوب في مدينة عدن عام ١٩٥٠م، نفاه الاستعمار البريطاني عام ٥٦م، عاش في القاهرة بقية حياته، مع التردد إلى مدينة جدة، وكانت وفاته في بغداد عام ١٩٨٠م (=١٤٠٠هـ).

(١) دلال الحربي، **مصدر سابق** (٤٢٩-٤٣٠).



بمناسبة افتتاح إذاعة عدن في الخمسينات

من اليمين: المستر بوستِد (المستشار البريطاني في حضرموت)، فالمستر واطس(المدير العام للإذاعة والإعلام في عدن)، فالأستاذ محمد علي باشراحيل، فالسيد أحمد بافقيه، فالأستاذ محمد علي لقمان

تلاهم انضمام كل من: السلطان علي عبدالكريم العبدلي سلطان لحج، وشيخ العوالق الشيخ محمد أبوبكر بن فريد. ثم انضم إليهم على التوالي: السيد أحمد عمر بافقيه، وتلاه السيد شيخان الحبشي الذي عين أميناً عاماً خلفاً لرشيد الحريري، وعلي بن عقيل، وعمر محضار الكاف الذي عين أميناً للصندوق في بعض الفترات، وعلي غانم كليب، وعبدالله أحمد الفضلي، وحسين هادي العولقي، ومحمد علي الشعيبي، وعبدالله عبدالرزاق باذيب، وعلي عبدالرزاق باذيب، وقحطان الشعبي، والمناضل محمد أبوبكر بن عجرومة.

أصداء تأسيس الرابطة:

لقيت (الرابطة) في بداية تأسيسها استجابة كبيرة من الفئات الوطنية والقومية، فأيدها حزب الأحرار اليمنيين، وعدة منظمات اجتماعية وثقافية، وأصبحت على رأس الحركة الوطنية في أوائل الخمسينات، حيث استقطبت كافة الاتجاهات الوطنية المعارضة

للنزعة الانفصالية التي دعت إليها الجمعية العدنية[١].

الأساليب الإعلامية للرابطة:

وكما كان للجمعية العدنية صحف تنطق بلسانها، فقد كان للرابطة أيضاً صحف تعبر عن آرائها ولو جزئياً، وهي: «**النهضة**» للأستاذ عبدالرحمن جرجرة وقد مر الحديث عنها، ثم: «الجنوب العربي» لسان حال الرابطة، للأستاذ أحمد عمر بافقيه، وسيأتي الحديث عنها مفصلاً.

أهم عوامل نجاحها في المرحلة الأولى (١٩٥١-١٩٥٦م)

١- أنها **ضمت إليها مختلف الفئات الاجتماعية** في عدن والمحميات، من المثقفين وأبناء الطبقة الوسطى من ذوي الميول الديمقراطية (الانفتاحية)، كما ضمت العديد من أبناء الأسر الغنية (الرأسمالية)[٢] والسلطانية، مما أكسبها تنوعاً فريداً في هيكلها التنظيمي.

٢- أن **نشاطها اتسع ليشمل عدن والمحميات**، ولم تقتصر على عدن وحدها، فشملت بذلك مواضع هامة أخرجت رجالاً قياديين بارزين، وكانت سلطنة لحج، مسقط رأس السيد الجفري المقر غير الرسمي للرابطة، وكان السلطان علي عبدالكريم يعد ـ من وجهة نظر بريطانية ـ الراعي غير الرسمي.

٣- أن خلافها مع وجهة النظر البريطانية، أكسبها حماساً شعبياً حيث دخلت في عداء سافر ضد الاستعمار، فكانت بذلك رائدة الحركات الوطنية المناهضة للاستعمار في الجنوب، فانضوى تحت لوائها العديد من الأعضاء ذوي الميول والمشارب المتعددة، فدخل الإخوان

---

(١) دلال الحربي، مصدر سابق (ص٤٣٠).

(٢) لاشك أن هذا من المزايدات المكروهة، فلم يكن يوجد في «**الجنوب العربي**» رأسمالية حقيقية، ينطبق عليها التعريف الغربي لهذا المصطلح. (د. البار).

المسلمون، والوطنيون، والقوميون، والشيوعيون[١].

وكانت (الرابطة) في مطلع الخمسينات هي المنبر الوحيد الذي يعمل من أجل التجمع والوحدة نابذاً للفرقة والتجزئة، ويعلن العداء الواضح للاستعمار، كما كان التوجه الإسلامي غالباً على مبادئ الرابطة، وكان الجميع ملتزمين أن يكون الدين الإسلامي هو مصدر التشريع في دولة الجنوب العربي المستقلة.

٤- وكان من تلك العوامل أيضاً: مطالبة (الرابطة) بجعل اللغة العربية لغة رسمية في البلاد، إلى جانب اللغة الإنجليزية، وكانت تنادي وتصرخ بذلك المطلب في كل المحافل والنوادي، وترفع عقيرتها بالشكوى إلى كل المسؤولين، وسعت لدى إدارة المعارف لتنقية المناهج الدراسية وتحسينها، وجعل اللغة العربية والدين مادتين أساسيتين في المدارس.

وكان من ضمن جهودها الرامية إلى تحقيق ذلك الهدف السامي: رفعها ـ لوزير المستعمرات البريطاني (هنري هوبنكسن) عند زيارته لعدن في ٥ جمادى الأولى ١٣٧٤هـ (= ٨ يناير ١٩٥٥م) ـ مذكرة تشتمل على مطالب أبناء الجنوب باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية ثانية، وتقدمت ـ بعد ذلك بسنة ـ بطلب إلى وكيل وزارة المستعمرات (اللورد لويد) عند زيارته لعدن في ١ شوال ١٣٧٥هـ (= ١١ مايو ١٩٥٦م) للاعتراف باللغة العربية لغة رسمية[٢].

---

(١) هذه الاصطلاحات هي الشائعة الاستخدام عند معظم الكتاب المعاصرين، وفيهم الكثير ممن لا يتصور الأوضاع الراهنة آنذاك، فمن المعلوم أنه عند تأسيس (الرابطة) لم يكن الجناح الشيوعي قد ظهر إلى حيز الوجود، ولم تتبلور الأفكار الشيوعية تبلوراً تاماً بعد حتى عند من اطلع أو نظر في مصادر ذلك الفكر.

(٢) ينظر: دلال الحربي، مصدر سابق (٤٣٣-٤٣٤).

(الرابطة) وقضية اتحاد الجنوب، المرحلة الثانية (١٩٥٦م):

كان ظهور حزب (الرابطة) فكرياً على النقيض لما عليه الجمعية العدنية، وكانت تهدف إلى تحقيق دولة موحدة لكافة أجزاء الجنوب العربي، أي: دولة تشمل عدن والمحميتين: **الشرقية** (حضرموت)، **والغربية** (السلطنات والمشيخات). وكان شعار (الرابطة) منذ البداية: **(لا استقلال بدون اتحاد، ولا اتحاد بدون عدن)**، مما أدى بها إلى الاصطدام بالجمعية العدنية، وبالتالي .. وقع حزب (الرابطة) بين شقي الرحى: الجمعية العدنية من جهة، والحكومة البريطانية من جهة أخرى، وكلتاهما عملتا على سحق الرابطة، ولكن ذلك لم يتأت لهما[١].

بدا أن بريطانيا لم تكن على علم بما ستؤول إليه الأحداث والمجريات عقب إعلانها قيام مشروع وحدة الجنوب، وكانت تظن أن (الرابطة) تسير في تيارها وتشجع مشروع الوحدة، بل وتجاهد في سبيلها، ولكن الحكومة البريطانية فوجئت بعد ذلك بموقف (الرابطة) الرسمي من مشروع الوحدة. وكان هذا الموقف هو ما عبرنا عنه سابقاً بالمرحلة الثانية من مراحل النشاط الرابطي. لقد كانت بريطانيا تفكر في إقامة أربع دول في المنطقة، تستقل كل دولة بما في ذلك عدن، كما حدث في سنغافورا، في حين **كانت (الرابطة) تفكر في قيامِ دولة موحَّدة ـ لا دولة اتحادية ـ للمنطقةِ كلها**[٢].

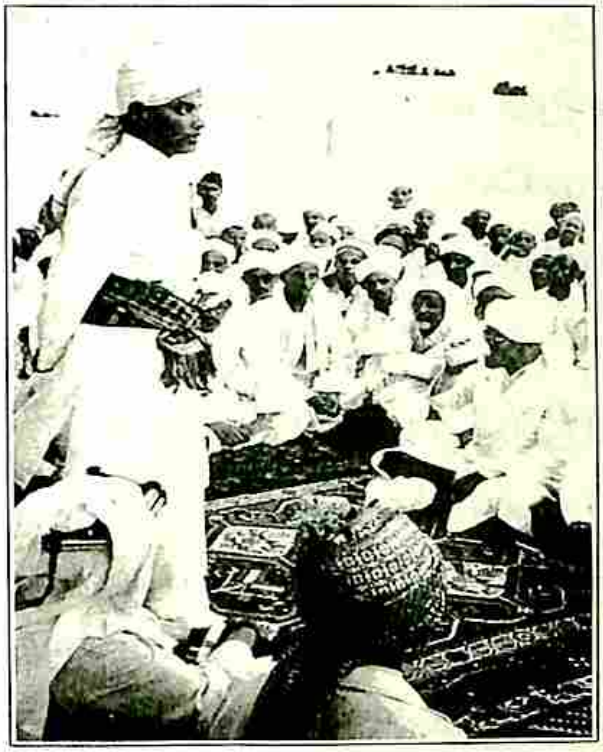
ويستغرب بعض السياسيين موقف السلطان علي عبدالكريم العبدلي سلطان لحج، من هذا الاتجاه الذي تنهجه الرابطة، لأن الرجل كان مستعداً استعداداً كاملاً للنزول عن عرشه مقابل وحدة شاملة، ولكنه لم يكن الوحيد في هذا المضمار ـ على قول بعض المحللين ـ

---

(١) محمد حسن عوبلي، مصدر سابق (ص٥٨-٥٩)، دلال الحربي، مصدر سابق (ص: ٤٣٢).

(٢) محمد حسن عوبلي، مصدر سابق (ص٧٦-٧٧).

بل كانت سلطنة يافع السفلى مستعدة لذلك أيضاً[١]، كما أبدى السلطان الكثيري في سيون ـ حضرموت الداخل ـ موافقته هو الآخر[٢].



السلطان علي عبد الكريم في سيون عاصمة الكثيري (متحدثاً)

* عن كتاب «مذكراتي ومختاراتي"، للسيد محسن السقاف (ص ٢٠٢).

---

(١) وسلطان يافع السفلى هو محمد بن عيدروس العفيفي، أحد الشجعان الذين وقفوا في وجه الإنجليز وقاومهم بالسلاح.

(٢) محمد حسن عوبلي، مصدر سابق (ص٧٧).

* في هذه الأثناء؛ قام السلطان علي عبد الكريم بزيارة إلى العاصمة الكثيرية سيون، وقد أثارت هذه الزيارة حفيظة السلطان القعيطي، وصرَّح بأن من مظاهر الوحدة للجنوب: اتحاد الأصغر ضمن الأكبر، يريد: دخول الكثيري تحت حكم القعيطي بحكم صغر مساحة دولته، (عن السلطان علي عبدالكريم، لقاء خاص).

الجبهة الوطنية المتحدة؛ ١٩٥٥م:

تقول «الموسوعة اليمنية»: «إن (الرابطة) وقفت من فكرة الوحدة اليمنية موقفاً سلبيا، وسعت إلى تكريس مبدأ انفصال شمال اليمن عن جنوبه، وبسبب موقفها هذا إضافةً إلى ارتباطها بالأسر الحاكمة في المحميات، انسحب من بين صفوفها: الوطنيون(١)، ذوو الاتجاهات: القومية، والماركسية، وأنشأوا لهم تنظيماتهم المستقلة».

وشرح هذه العبارة: أنه في هذه الأثناء، وفي عام ١٩٥٥م، أعلنت الإدارة البريطانية عن مشروع انتخابات المجلس التشريعي لمستعمرة عدن، واتخذت (الرابطة) قراراً بالمشاركة فيها دون موافقة بعض القيادات الشابة، التي كانت ترى عدم الدخول في الانتخابات لأنها تجري وفق قانون الجنسية العدنية، وتحرم على أبناء الريف وأبناء الشمال ممارسة حقهم الانتخابي، فيما منح أبناء الجاليات الأجنبية امتيازات لا يحق لليمنيين التمتع بها. وتوالت بعد ذلك الانقسامات في صفوف الرابطيين.

فتأسست الجبهة الوطنية في نوفمبر ١٩٥٥م، قبيل الانتخابات التشريعية، وانضم إليها العديد من النقابات العمالية وأندية الشباب، **وعدد من أعضاء الرابطة**، وكان على رأسهم: محمد سالم علي الذي تولى رئاسة الجبهة، وعبدالله عبدالمجيد الأصنج، ومحمد سعيد مسواط، وعبده خليل سليمان، وعبدالله باذيب، ومحمد عبده، ونعمان الحكيمي، وغيرهم.

---

(١) هكذا عبرت الموسوعة، **والحقيقة**: أن الجميع وطنيون لا فرق بينهم، ومن الذي يستطيع أن ينكر وطنية الجفري أو بافقيه أو شيخان الحبشي وغيرهم من القيادات؟ أما سبب انسحاب من انسحب فهو: اختلاف وجهات نظر. ومن أبرز الرابطيين الذين انسحبوا، بسبب تبنيهم توجهات فكرية خاصة: **علي بن عقيل** الذي انساق في مساق حزب البعث العربي، **والأخوان باذيب** اللذان انصهرا في بوتقة الشيوعية العلمية (الماركسية)، **وقحطان الشعبي** الذي ارتمى في أحضان القوميين العرب، وغيرهم، وكان بعض الرابطيين مثل هؤلاء لهم انتماءات فكرية أخرى ولكنها لم تكن عائقة لهم عن المضي قدما في دعم مواقف (الرابطة) والبقاء في صفها.

وكان الغرض الرئيس لهذه الجبهة، هو: إفشال مشروع الانتخابات التشريعية، ومشروع الاتحاد. لقد نجحت الجبهة في عرقلة الانتخابات، وخسرت (الرابطة) في الانتخابات التشريعية، وكسبت الجمعية العدنية بعض المقاعد، ثم اضمحلت هذه الجبهة عقب تأسيس مؤتمر النقابات في ٥٦م، واختلال توازن القيادة فيها(١).

الحركة النقابية العمالية في عدن؛ ١٩٥٦م:

ترتب على نجاح عملية المقاطعة للانتخابات: أن اتسع نطاق تأثير الجبهة الوطنية في أوساط العمال، وكان يوم ٣ مارس ٥٦م يوماً تاريخياً ولد فيه (مؤتمر عدن للنقابات)، وتولى رئاسة مؤتمر نقابات العمال العدني عبدالله الأصنج، وضم إليه ٢٥ نقابةً عماليةً، زادت بعد ذلك في ٦٢م إلى ٣٢ نقابةً، ضمت في عضويتها ٢١.٤٠٠ عامل(٢).

---

(١) الصراف، مصدر سابق (ص٩٩)، بن دغر، مصدر سابق (ص٨٩).

(٢) سيف علي مقبل، «من تاريخ الحركة الوطنية في اليمن» (ص١٦١-١٦٢)، أحمد بن دغر، مصدر سابق (ص١٨٨)، علي الصراف، مصدر سابق (ص١٠١).

* توضيح: لقد كانت عدن مدينة تموج بالجنسيات المختلفة، وأهمها ـ إلى جانب سكانها الأصليين ـ الهندوس القادمون من الهند، ولولا تدفق أفواج العمال اليمنيين من قبل اليمن الشمالي (المملكة المتوكلية آنذاك) للعمل في الميناء وفي المصانع والمتاجر، لتحولت عدن إلى مدينة هندية هندوسية! لهذا فإن من أخطاء حزب (الرابطة) الكبيرة: تجاهل أهمية دور الأيدي العاملة اليمنية في عدن والتي حفظت لهذه المدينة عروبتها ودينها.

ومن عجيب المفارقات: أن يستغل هذا الوضع لاتهام (الرابطة) بالعمالة والانفصالية، بينما في الطرف المقابل يكون من أسباب نجاح الأحزاب العمالية التي استقطبت هؤلاء العمال بأعدادهم المتزايدة، واستخدمتهم كورقة للضغط على حكومة عدن، وشجعتهم على الإضرابات التي أقضت مضاجع حكومة بريطانيا وعطلت مصالحها في ذلك الميناء العام، وبذلك صنف حزب المؤتمر العمالي بأنه حزب وطني قومي، بينما صنفت (الرابطة) بسبب هذا الخطأ (ظلماً) حزباً انفصالياً، وتنوسي دورها النضالي الكبير في سبيل الاستقلال! (عن: د. البار). إن موقف (الرابطة) من الاتحاد مع الشمال اليمني لم يكن فكرة غير مطروحة أو مستبعدة البتة، غاية الأمر أنها تراه مسألة وقت ريثما يتخلص الجنوب من

تطورات جديدة:

أثناء ذلك، وفي ٢٢ مارس ٥٦م: أصدرت (الرابطة) تصريحاً مطولاً يطالب بشدة منح الجنوب العربي الاستقلال التام، وتبادلت (الرابطة) الاتهامات مع اتحاد النقابات. أما **الرابطة**، فتبرر هذا المسلك من جهتها: بأنها لم ترفض الوحدة اليمنية، ولكنها تعتبرها خطوة ثانية بعد تحقيق الاستقلال كخطوة أولى، واعتبرت كل محاولة قبل ذلك أمراً لا يجوز التفكير فيه، إذ لابد من القضاء على عقبات الوحدة قبل الوصول إليها، وكانت أكبر العقبات هي وجود النظام الإمامي، الذي لم يكن لديه مواقف واضحة حيال سياسة الاستعمار البريطاني في الجنوب، والخوف من تعقيدات النظام وتقييده للحركات الوطنية(١).

ولكن .. من **وجهة نظر الأحزاب المناوئة لسياسة الرابطة**؛ فقد اعتبرت أطروحات (الرابطة) السياسية بشأن الوحدة مع اليمن هروباً من ضغط المشاعر الوطنية الوحدوية لدى المواطنين آنذاك، أو كما رآها البعض: نوعاً من المجاملة لحلفائها، وهم بعض سلاطين المنطقة الذين رفضوا الوحدة مع اليمن.

وبعد ثورة ٦٢م في اليمن ،حاولت (الرابطة) التعديل في موقفها من الوحدة مع اليمن، إلا أن هذه الخطوة جاءت متأخرة، بعد أن فقدت (الرابطة) الكثير من القيادات،

براثن الاستعمار، وقد جاء في أحد بياناتها الصادر بتاريخ: ٧/ ١٠/ ١٩٦٠م بعنوان «**موقفنا من قضية الوحدة مع اليمن، وقضية التطور والحرية فيها**»: أن (الرابطة) لا ترفض فكرة التقارب مع اليمن ولكن بعد حصول الجنوب على استقلاله، وأنه بعد استقلال الجنوب وإتمام توحيد أجزائه ستكون هناك وحدة مع الشمال اليمني على غرار الجمهورية المتحدة. **ينظر للمزيد**: إبراهيم العبيدي، «**الحركة الوطنية في الجنوب اليمني المحتل**» (ص ١٤١).

(١) علي الصراف، **مصدر سابق** (ص٩١)، أحمد بن دغر، **مصدر سابق** (ص١٨٤).

وبعد أن ظهرت العديد من التنظيمات السياسية الأخرى[١].

دحض مزاعم وافتراءات:

ويقول بعض الكتاب والباحثين: إن أمراً آخر كان لـه انعكاسـه السـيئ عـلى وضـع (الرابطة) وسياستها، وهو استنكارها لكافة الأعـمال العسـكرية، واسـتخدام العنـف ضـد الإنجليز (الاستعمار)، وأن (الرابطة) كانت ترى منذ تأسيسها أن تقرير المصير والاسـتقلال في الجنوب لا يمكن أن يتم عبر كفاح مسلح، بـل عـبر الوسـائل السياسـية، واعتـبرت أي كفاح مسلح يقوم به الوطنيون خطراً يهدد الجنوب بالدمار[٢].

ربـما نظـر هـؤلاء البـاحثون والكتـاب إلى بـدايات الرابطـة، واتخاذهـا الأسـاليب الدبلوماسية في التعامل مع حكومة عدن البريطانية، فظنوا أن هذا هو نهج (الرابطـة) طيلـة مسيرتها، ولم ينظروا إلى النهايات والنتائج الخطيرة التي آل إليها هذا الحزب الوطني الغيور! وإنه لأمر طبيعي أن يتم التحاور والتفاوض مع المستعمر في بدايـة الأمـر، لتثبيـت الأقـدام وعدم اتخاذ خطوات تكون لها عاقبتها السيئة على الحزب الناشئ.

إن هذا الرأي هو أبعد ما يكون عن الحقيقة والواقع، ذلك: أن (الرابطة) في تاريخها الطويل كانت تعد حزباً نضالياً يطالب بالاستقلال منذ لحظة ولادته، وقد وقفت مع كثير من الحركات الثورية ودعمتها دعماً غير محدود، وما ثورة الربيزي، وثورة محمد بن عيدروس سلطان يافع السفلى، وثورة العوالق، وغيرها، إلا نماذج من جهاد (الرابطة) وكفاحها المسلح، فكيف يحق لهؤلاء الكتاب بعد ذلك أن يصموا (الرابطة) ورجالاتها بالاستكانة والخنوع! بل بماذا يفسرون صمودهم أمام قرارات الاعتقال والنفي والتشريد من الجنوب الذي مُني به الرابطيون على أيدي حكومة الاستعمار في سبيل صدعهم بكلمة

---

(١) علي الصراف، مصدر سابق (ص٩٣)، أحمد بن دغر، مصدر سابق (ص١٨٤).

(٢) علي الصراف، مصدر سابق (ص٩٣)، أحمد بن دغر، مصدر سابق (ص١٨٥-١٨٦).

الحق، إننا نحتاج إلى شيء عزيز يسمى .. الإنصاف[١].



صورة المناضل محمد أبوبكر بن عجرومة (أقصى اليمين)
ومعه مقاتلون من قبيلة العوالق التي قادت ثورات ضد الاستعمار في الجنوب

(١) لقاء خاص مع السلطان علي عبد الكريم في منزله بجدة: ٢٠/ ١١/ ١٤٢٧هـ.

المناضل ابن عجرومة يحكي عن تاريخ نضال العوالق:



محمد أبوبكر بن عجرومة

زودني حضرة المناضل الشهم الشيخ محمد أبوبكر بن عجرومة العولقي (مدير مكتب «**الرابطة**» السابق في مدينة جدة)[1] بهذه المعلومات القيمة عن مرحلة نضال قبيلته المعروفة ببأسها الشديد، ويدفع تهمة تكاسل «**الرابطة**» عن الدفاع والمقاومة المشروعة ضد الاستعمار البريطاني، كما يحب أن يلصقه بها أعداؤها.

قال الشيخ (بن عجرومة): «بدأت الحركة المسلحة في العوالق باسم رابطة الجنوب العربي في عام ١٩٥٩م، عندما هاجمتنا القوات المسلحة والأمن التابعة لحكومة الاتحاد ولبريطانيا نتيجة لمعارضتنا لوضع الاتحاد الذي تكون من عدة سلطنات لا يزيد عددها عن ست سلطنات ومشيخات وإمارات، لتكوين دولة واحدة، وقد رفض هذا المشروع من قبل السلاطين.

ولهذا، فقد عقدت اجتماعات شعبية كبيرة، «**الرابطة**» ممثلة في رجالها (ومنهم رجال من العوالق)، وقدمت مذكرات لوزارة المستعمرات وللمندوب السامي البريطاني تنتقد فيه مشروع الاتحاد الذي وضع من قبل المندوب السامي وبعض السلاطين، وقد حظيت هذه المذكرات بموافقة شعبية واسعة، ووقع عليها أعداد كبيرة، إلا أنه وبعد فترة من الوقت، هاجمتنا القوات البريطانية ممثلةً في جيش الجنوب والحرس، وطلبوا منا تسليم رهائن لهم، وعند رفضنا بدؤوا بإطلاق النار على منازلنا بالمدافع وهي مليئة بالرجال والعوائل والأطفال.

---

(١) وصلتني هذه المذكرة بيد الأستاذ زيد بافقيه يوم الاثنين ٦ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ.

وهكذا بدأ إطلاق النار، وقصفت الدبابات بعض المنازل، وتمكنا رغم الحصار الذي فرض ليلاً من إخراج أغلبية الرجال، وتدخلت بعض القبائل، وسلمت أحد رجالها كرهينة لهم عندما وجدوا أن الرجال الذين كانوا يريدونهم قد غادروا إلى الجبال (كور العوالق)، ومنها انطلقت شرارة الكفاح المسلح، وبدأت المقاومة تأخذ شكلاً غير ما كانوا يعهدون ويعرفون.

كان الكفاح الأول الذي بدأ في (كور العوالق) كفاحاً منظماً ومرتبطاً بتنظيم حزبي هو (رابطة الجنوب العربي)، وقد تجاوب معه وأيده أعداد كبيرة على المستوى الشعبي والقبلي. إلا أن حكومة الاتحاد اتفقت مع المندوب السامي وغيره من المسؤولين الإنجليز من سياسيين وعسكريين، وأفهموهم خطورة هذه الحركة، وأن لها ارتباطات خارجية لاسيما مع مصر التي كانت منبراً داوياً ضد الاستعمار، وأن عليهم مقاومة حركة العوالق بشتى الوسائل، وإلا فإن المناطق الأخرى ستحذو حذوها، فكرسوا جهودهم العسكرية والاستخباراتية لقمع حركتنا، وكانت الطائرات الحربية القاذفة منها والصاروخية والرشاشة تمطر سماء (الكور) بقنابلها وصواريخها لتجعلنا عبرة للآخرين! وكانت الطائرات تقوم بغارات جوية نهاراً وليلاً، فتقصف مواقعنا في (جبال كور العوالق) حتى أنها استخدمت الكشافات الضوئية المحمولة بالمظلات لكي تكشف مواقعنا وتقصفها بالقنابل الكبيرة، وكانوا يطلقون من القاذفة الواحدة ما يقارب اثنتي عشرة قنبلة، ولم نكن نملك سوى سلاحنا العادي!

ونتيجة لهذا القصف العشوائي الرهيب، فقد الكثير من البدو الرحل أعداداً كبيرةً من مواشيهم، فغادروا (الكور) إلى مناطق أخرى أكثر أمناً، مع العلم أن الحركة قامت بأعمال دفاعية منظمة، استخدمت الكمائن في الطرقات، وأوقعت خسائرَ كبيرةً في القوات المسلحة وفي معداتها خاصة السيارات، فقد أعطبت عدداً منها، واستولت على المواد الغذائية التي تحملها تلك السيارات، لكن الحصار اشتد.

واستمرت هذه المعارك ما يقارب سنةً ونيفاً، علماً أننا حاولنا الحصول على مساعدة من الإمام أحمد، لكنه لم يتجاوب معنا؛ لأنه رأى أن هذه الحركة إنما هي حركة وطنية بحتة، ولا تخدم أي مصلحة له، وهذا ما أثار استياءه ورفض مساعدتنا، ولأن «**الرابطة**» كانت متمسكة بقضية استقلال الجنوب، وقامت بطرح قضيتها في الجامعة العربية وفي المؤتمرات الآسيوية والأفريقية، كما أننا حاولنا بشتى الطرق أن نقنع الإمام بالسماح لنا بجلب بعض السلاح من طريق اليمن فرفض، ومرة حاولنا استيراد سلاح فأرسلت لنا حوالي (ألف بندقية)، لكن بعض المسؤولين في اليمن استولى عليها، ولم يعطنا منها شيئاً، ثم استطعنا بطرقنا الخاصة الحصول على بعض الأسلحة والذخائر من طريق جبوتي، ومررناها إلى الحركة في (جبال كور العوالق).

ومن هنا؛ بدأ الضغط والحصار علينا يشتد من جميع الجهات، وجاء أسطول بريطاني حربي إلى ميناء أحور في البحر العربي، وكانت الطائرات تقوم من هذا الأسطول طوال النهار في طلعات مستمرة تقصف قرانا، حتى أننا كنا لا نستطيع إشعال النار لطبخ وجبات الطعام من غداء أو عشاء لمقاتلينا خوفا من أن تحدد الطائرات مواقعنا فتقصفها!

كانت خسائرنا قليلةً جداً في مقابل سقوط عدد من القتلى والجرحى من القوات الحكومية، وتعرض بعض رجال القبائل الذين تعاونوا معنا للموت والبعض للإصابات، ولكنها كانت إصابات وخسائر قليلة. وفي أواخر أيام المقاومة؛ جرت معارك ضارية مع القوات المسلحة، جرح البعض منا، وحاصرتنا القوات المسلحة والطيران، وبدؤوا يهاجموننا من أربعة محاور، وبعض الطائرات راحت تحذر القبائل والمواطنين بالمكرفونات من تعاونهم معنا، وأن من يتعاون معنا سيلقى جزاءه.

ومع قلة إمكانياتنا العسكرية والغذائية، ومحاصرتنا ووجود بعض الجرحى معنا، فقد طاردتنا القوات من جبل إلى جبل، ومكثنا على هذه الحالة حوالي الشهر ونحن وإياهم في مطاردة ومتابعة، حتى وصلنا حدود اليمن، وهناك تم السماح لنا بالدخول إلى لواء البيضاء،

بعد معارك ومطاردات عنيفة لا يصدقها العقل مع الطائرات والقوات البرية.

وفي اعتقادي أن ما تعرضت له الحركة الوطنية المسلحة التابعة للرابطة في (كور العوالق) من غارات جوية كانت فوق ما يتصوره العقل، وبالإمكان الحصول على معلومات موثقة ودقيقة من أرشيف الجهات المختصة في لندن، فيما يتعلق بهذه الغارات العسكرية. وفي الحقيقة: لدي شكوك حول بعض القنابل التي ألقيت علينا أنها تحتوي على مواد ممنوعة دولياً، لأن بعض المقاتلين حصل لديهم أمراض مختلفة نتيجة شمهم بعضَ المواد الناتجة عن تلك القنابل، مما أنهك صحتهم.

لقد كانت هذه الأعمال العسكرية هي الأولى من نوعها ضد حكومة الاتحاد، ناتجة عن قيادة عسكرية منظمة قادتها «**الرابطة**» بصورة منظمة وبخطط مدروسة، وكانت ضربات موجعة أثرت على المسؤولين البريطانيين وعلى حكومة الاتحاد، كما كان للرابطة علاقات واتصالات مع عدد من الثوار من قبائل الربيزي بالعوالق، وآل دمان في العواذل، وآل قطيب في ردفان ويافع العليا والسفلى». انتهىٰ ما كتبه الشيخ محمد أبوبكر بن عجرومة.

تطور وضع مؤتمر النقابات:

استطاع اتحاد النقابات بعد بيان (**الرابطة**) في ٢٢ مارس ٥٦م: أن يجمع حوله معظم القوى الوطنية، وقاموا بالإضراب العام لمدة شهرين (مارس، وأبريل ١٩٥٦م)، فسطع بذلك نجمه، ثم كان نجاحه في الحصول على اعتراف رسمي بحقوقه، ولكنه حَدَّ بعد ذلك من سلوكه السياسي العنيف، وسلك مسلك المرونة.

وفي ١٩٥٧م؛ انضم مؤتمر النقابات إلى الاتحاد الدولي للنقابات الحرة في بروكسل، وأقام صلاتٍ وثيقةً مع اتحاد النقابات العمالية البريطانية، لقد أصبح المؤتمر منذ العام ١٩٥٨م أقوى منظمة شعبية في البلاد، بعد اضمحلال الجبهة الوطنية وتفككها، وكان في الواقع قد حل محلها من حيث الدور السياسي. قام المؤتمر بحملاتٍ عنيفة ضد الغلاء

المعيشي، وارتفاع الأسعار، ودعا إلى إزالة الاستعمار من الجنوب، وإلى تحرير اليمن من الحكم الإمامي (الملكي)، وضمه إلى الجنوب، وهذا المطلب الأخير هو الذي جعل المؤتمر يتفوق على الرابطة، وجعل صوته يعلو فوق صوتها. وعلى إثر قيام عشرات الإضرابات في عام ٥٩م، والتي بلغت ٨٤ إضراباً، اتجهت مساعي بريطانيا إلى إصدار قانون يحرم الإضرابات، ثم حدثت اختراقات للقانون من قبل النقابات، كان من نتائجها أن أغلقت السلطة في أغسطس ١٩٦٠م مكتب «صحيفة العامل» التي تصدر باسم المؤتمر. عقب ذلك الإغلاق رفع المؤتمر العمالي مذكرة إلى الأمم المتحدة يطالب بوصايتها على عدن، على أساس: أن بريطانيا قد فشلت في التقيد بميثاق الأمم المتحدة في إدارة المستعمرة!

حزب (الرابطة) في نظر أديب يمني ـ كويتي؛ ١٩٥٥م:

زار عدن في تلك الآونة الأديب القومي المعروف أحمد محمد زين السقاف[١]، كانت زيارته حوالي سنة ١٩٥٥م، وقد وضع كتاباً تحدث فيه عن رحلته تلك وعنوانه «**أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية**»، وهذا ما كتبه عن الرابطة:

«في عدن ثلاثة تيارات فكرية تصطرع بين تلك الجبال المنيفة، وتحدث هزات تختلف قوة وضعفاً تبعاً لدرجة حرارة تلك البلدة، وصخب بحر **حُقّات**، ولا يستطيع المرء المتتبع إلا أن يقف على هذه التيارات، وإن كانت إقامته محدودة، وأيام اجتماعه بأولئك الشباب معدودة.

وأول مجموعة تقابلك دون لثام، هي مجموعة **رابطة أبناء الجنوب**، إنهم يحملون السُّلَّم بالعرض ككُلِّ القوميين، وقد اجتمعت بهؤلاء الشباب على مائدة السيد الكريم

---

(١) أديب وشاعر وطني، ولد بلحج سنة ١٩١٩م (= ١٣٣٨هـ)، تخرج في بغداد وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني، ثم انتقل إلى الكويت، عين وكيلاً لوزارة الإعلام سنة ٦٢م، وفي ٦٥م بدرجة وزير في الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي، تقاعد عن الأعمال الحكومية سنة ١٩٩٠م، وتفرغ لأعماله الخاصة.

حسن علوي الجفري في عدن، وكان أكثرهم حماساً ودفاعاً عن **رابطة أبناء الجنوب** رئيس الجمعية: السيد محمد علي الجفري، وقد لمست في أولئك الشباب روحاً قوميةً صادقة.

وعلمتُ ـ فيما علمت عنهم ـ أن الموجه لهم هو السلطان علي عبدالكريم سلطان لحج، وقد شاهدت أن أكثرهم يتحلقون حوله، ولا أنكر أن السلطان علي عبدالكريم شاب ذكي طموح. ويقول خصوم رابطة أبناء الجنوب: إن الهدف الأول والأخير لهؤلاء الجماعة، هو تنصيب علي عبدالكريم ملكاً على المحميات بعد أن يوحدها له الإنجليز، وعلى أية حال: فإن لي ملاحظات على هذه الرابطة، وإن كانت ملاحظات خفيفة لا تمس جوهر الدعوة، ولا تقلل من شأن أولئك الشباب.

أولها: أن هؤلاء الشباب القوميين قد هزتهم الدعوة الانكماشية هزاً ظهر أثره في تسمية جمعيتهم، فبدلاً من أن تسمى **رابطة أبناء العروبة** سميت **رابطة أبناء الجنوب**، وأظنهم أرادوا أن يبحثوا عن حل وسط يرضي أولئك الانكماشيين.

الثاني: أن هذه الجمعية لم تصدر صحيفة تنطق باسمها مبشرةً بدعوتها، متقيدةً بمبادئها وأهدافها، ولقد علمت في آخر لحظة من اجتماعي بأولئك الشباب أن صحيفة الجنوب العربي ليست الصحيفة الرسمية للجمعية، وإن كانت متجاوبة معها في الأهداف والغايات.

الثالث: أن أولئك الشباب لم يخرجوا بدعوتهم ـ مع مزيد الأسف ـ من محيط عدن الضيق إلى ما يجاورها من المحميات والشمال اليمني والمهاجر، وبعبارة مختصرة: إنهم لم ينشطوا في الخارج لتقوية وضعهم في داخل عدن.

الرابع: أن هؤلاء الشباب لم يصدروا نشرات دورية تحمل مبادئهم وأهدافهم واضحةً جليةً للناس، فما زالوا يعملون بشيء من الارتجال، غير مبالين بالزمن والجهد، وهما ثمينان جداً».

* هذا ما كتبه الأستاذ أحمد السقاف، الشاعر القومي المعروف، وقد قوبل كلامه هذا بانتقاد شديد من بعض كتاب صحيفة «**الجنوب العربي**» بعد صدور أول طبعة للكتاب، ولاشك أن له رأيه الخاص، وأشد ما يؤخذ عليه: أنه جعل مما سمعه من الناس في الشارع وما يدور في مجالس العامة محوراً لربط أجزاء كلامه السابق، وهذا خلاف المنهج العلمي التوثيقي الصحيح، فليس كل ما يُسمَع يقال!

* * *

(٤)

«صحيفة الجنوب العربي»

بعد أن استقال الأستاذ أحمد **بافقيه** من صحيفة النهضة، اتجه هو وصديقه المحامي السيد شيخان بن عبدالله الحبشي[١] إلى تأسيس صحيفة أخرى مستقلة، تدعم مسيرة حزبِ رابطة أبناء الجنوب العربي، فأسسا «**صحيفة الجنوب العربي**» وكانت بمثابة اللسان الناطق لهذا الحزب، وإن كانت في الأصل صحيفة أخبارية عامة. وكان صدور أول أعداد هذه الصحيفة يوم الثلاثاء ٣٠ محرم سنة ١٣٧٤هـ، الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤م، وكتب في أحد أركان صفحة العنوان:

صاحبها ورئيس تحريرها: أحمد عمر بافقيه.

ومستشارها القانوني: شيخان الحبشي المحامي.

ثم انضم إلى فريق العمل بها: عبدالله عبدالرزاق باذيب، بعد استقالته من صحيفة النهضة، وتعاقب على إدارتها وتحريرها عدد من الأدباء والكتاب، منهم الأديب السيد حسين محمد البار الذي تولى الإدارة لفترة قصيرة، بدءاً من العدد (٤١) بتاريخ ٢٨ القعدة ١٣٧٤ (= ١٩ جولاي (يوليو) ١٩٥٥م). ثم انضم الكاتب علي عبدالرزاق باذيب إلى

---

(١) ولد **شيخان الحبشي** في العاصمة الإندونيسية جاكرتا عام ١٩٢٠م (= ١٣٤٠هـ)، وتخرج في مدرسة جمعية خير، ونال الإجازة في الحقوق من بغداد، وهو من أوائل المحامين العرب في عدن، يعد من أقطاب رابطة أبناء الجنوب، وتولى أمانتها العامة ٤٥ سنة، وكانت وفاته بجدة سنة ١٩٩٥م، وأخباره كثيرة في كتابنا هذا.

إدارة تحرير «الجنوب العربي» بدءاً من العدد (٧٩) الصادر بتاريخ: ٧ رمضان ١٣٧٥ (= ١٧ أبريل ١٩٥٦م).

وعاد الأستاذ بافقيه إلى عمله بعد غيبته في الحجاز لأداء مناسك الحج وبعد أن أشيع أنه قد نفي ولن يعود! وواصل عمله في الصحيفة، وكان الأخوان عبدالله وعلي باذيب يعملان إلى جواره، وانضم إليهم الأستاذ عدنان كامل عبدالله صلاح، واستمرت في الصدور بعد ذلك ثلاث سنوات، أغلقت بعدها مكاتب الصحيفة وتوقفت عن الصدور تماما في نهاية ١٩٥٨م . ومما جاء عنها في «الموسوعة اليمنية» (٣:١٨٢٠):

«صحيفة الجنوب العربي: أسبوعية سياسية، وهي لسان حال رابطة أبناء الجنوب، صدر العدد الأول منها في عام ١٣٧٠= ١٩٥١، في وقت تأسيس (الرابطة) كتنظيم سياسي، ومع سقوط الجناح المتواطئ مع الاستعمار في (الرابطة) وبروز الجناح الوطني التقدمي، تميزت أطروحات الصحيفة بمعاداة الاستعمار، والتنديد بممارساته، وقد توقفت أواخر الخمسينيات»(*).

دورها في خضم الأحداث السياسية:

في كتاب «الصحافة اليمنية في المناطق الجنوبية»، وتحت عنوان (صحافة الخمسينات)، كتب المؤلفان: «بدأت مرحلة الخمسينيات في عدن بانتعاش الحياة العامة فيها

(*) نلحظ من هذا النص (الموسوعي!) ما يلي:

١- عدم الدقة المفترضة في عمل موسوعي كهذا كما هو الحال هنا، إذ الصحيفة بين يديَّ، وأولُ عدد صدر كان في عام ١٣٧٤، وليس: ١٣٧٠ كما تقول الموسوعة!

٢- كما أن وصم الموسوعة للصحيفة وصاحبها (بالتواطؤ) مع حزب تتهمه ـ هي ـ بالعمالة، كلها مزاعم لا أساس لها من الصحة، ذلك أن (الرابطة) في الحقيقة مصنفة في الأحزاب المناوئة للاستعمار لا المتواطئة معه! وكذلك كان نهج صاحب الصحيفة وناشرها، أستاذنا بافقيه، ذلك الرجل الذي لم يدنس شرفه وسمعته طيلة حياته بالتواطؤ والتحالف المشبوه مع عملاء الاستعمار فضلاً عن الاستعمار نفسه، وهذه سيرته بين يدي القارئ الكريم فليحكم بنفسه.

اقتصادياً وتجارياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً.

على المستوى الاقتصادي: قام الاستعمار بإنشاء مصفاة البترول في البريقة، وبدأت الحركة العمرانية الواسعة تنتشر على نطاق واسع وحركةَ التجارة، وأصبح ميناء عدن من أكبر الموانئ في العالم، وتوسعت حركة الخدمات العامة بقيام الشركات والمؤسسات، وتكونت الحركة العمالية، وتأسست عشرات الأحزاب، وازداد صدور الصحف إلى العشرات، فكانت تصدر أربع صحف يومية وفي وقت واحد. وبدأت مرحلة الخمسينيات بصدور صحيفة «**الجنوب العربي**».

ويواصل: تعتبر صحيفة «**الجنوب العربي**»: صحيفة ناطقة باسم رابطة أبناء الجنوب العربي .. وقد عملت منذ صدورها على نشر أهداف ومبادئ ودستور الرابطة، وهو الأمر الذي حدد هويتها السياسية واتجاهاتها القريبة والبعيدة، حيث دأبت على التصدي الحازم للجمعية العدنية، وهي الجمعية التي ناضلت لتحقيق دعوتها المناطقية الانفصالية، والمتمثلة في أن: عدن للعدنيين، وذلك على اعتبار أن (الرابطة) تكونت كرد فعل على قيام الجمعية العدنية عام ١٩٥٥م[١]، التي تريد أن تجعل عدن ذات حكم ذاتي مرتبط ببريطانيا وبرابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث).

وقد ولدت هذه الدعوة ردود أفعال كبيرة بين أوساط الشباب والمثقفين، وحتى الأميين من أبناء الشعب اليمني في شماله وجنوبه، والذين عبروا عن رفضهم لهذا المنطق الذي يمس سيادة كل أبناء اليمن، وقد تعددت وتنوعت أساليب وطرق التصدي لهذه الدعوة. ونتيجة لذلك: فقد سعت رابطة أبناء الجنوب العربي، ومن خلال صحيفتها على مواجهة تلك الدعوة المناطقية، وأخذت على عاتقها نشر وتفنيد وشرح كل ما يمكن أن يصيب الجنوب، من تفكك وضياع إذا ما تحققت للجمعية العدنية دعوتها.

---

(١) هذا التاريخ غير دقيق، فتأسيس (الرابطة) كان سنة ١٩٥٠، وقبلها الجمعية العدنية سنة ١٩٤٧م.

هذا الأمر دفع بالشباب الواعي والمثقف إلى الالتفاف والوقوف صفاً واحداً مع (الرابطة) في بداية الأمر، من سنة ١٩٥١م، إلى سنة ١٩٥٤م، قبل أن تتبنى خطاً انفصالياً واضحاً[١]. وبذلت (الرابطة) جهوداً كبيرةً كي يحرص السلاطين والمشايخ في الجنوب من أجل رفض المخطط الذي رسمته وزارة المستعمرات البريطانية، والذي يهدف إلى إعطاء مستعمرة عدن حكماً ذاتياً، وتجميع الإمارات في اتحاد مزيف، وهو الاتجاه الذي بلورته وسعت لتحقيقه الجمعية العدنية. وللأمانة التاريخية نقول: إن صحيفة «**الجنوب العربي**» قد لعبت دوراً متميزاً، حيث استجابت للرأي والرأي الآخر، خاصة في تلك الفترة التي احتدم فيها الصراع ووصل إلى ذروته.

وفي صباح اليوم الذي وقف فيه عبدالله باذيب في قفص الاتهام أمام قاضي الجزاء الأول: المستر نوكس ماور، ليستمع إلى الحكم في قضيته عن مقالته (المسيح الجديد الذي يتكلم الإنجليزية)، في ذلك الصباح المشهود، صدرت «**الجنوب العربي**» تحمل رسالة الكاتب إلى القارئ، حيث تجمع المواطنون بمختلف اتجاهاتهم ومشاربهم أمام المحكمة في موقف تاريخي كبير، لمناصرة الكاتب ومساندته، الأمر الذي حول سير المحاكمة من محاكمة للكاتب إلى محاكمة للاستعمار.

لقد لعبت الصحيفة دوراً أساسياً ومهماً في حياة المجتمع آنذاك، وليس هناك إلا الاعتراف بذلك الدور، فعلى الرغم من تبنيها لفكر (الرابطة) حول الوطنية والتقدمية التي شاركت في تعميمها، فقد أعطت الصحيفة طابعاً معادياً للاستعمار البريطاني، بل وتجلت على صفحاتها الكتابات الوطنية والتقدمية الأكثر وضوحاً على يد الأخوين: عبد الله باذيب، وعلي باذيب، وغيرهما. حيث كرس عبدالله باذيب معظم مواضيعه القوية، ومقالاته

---

(١) المقصود بهذا: موقفها من الاتحاد مع اليمن، في تلك الفترة التي كان يعاني الجنوب بأسره فيها من تقسيم لأوصاله، ولما يتم اتحاده بعد! مع التنويه إلى أن كتاب هذا النص محسوبون على الحزب الاشتراكي.

الحماسية والمهمة والمتعلقة بالسياسة والسيادة والوطنية»(١).

الكلمة الافتتاحية

للعدد الأول من صحيفة «الجنوب العربي»


الجنوب العربي

اسبوعية قومية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها : الأستاذ محمد علي الجفري

مستشارها القانوني : شيخان الحبشي المحامي

الاشتراكات

في الداخل ٢٠ شلنا

« الخارج ٣٠ «

العنوان

ص . ب ٤١٠ عدن

عدن : ٢٣ شوال ١٣٧٤

تحت عنوان «**هذه الصحيفة**» جاء النص التالي:

«أيها القارئ؛ هذا هو العدد الأول من هذه الصحيفة «**الجنوب العربي**» بين يديك، لا نزعم أنه بلغ الشأو الذي ترضاه، بله أن ندعي أنه نتاج عمل جبار، وإنما هو جهد المقل، رائدنا فيه محض الإخلاص، والإخلاص فقط، فإن أرضاك فهو ما نتوخى، وإن لم يرضك فما عليك إلا أن تمد إلينا يدك لنصل جميعاً بهذه الصحيفة إلى الكمال المنشود، فهي ليست حكراً لصاحبها، بل إن كل قارئ يتفق معنا في المبادئ والأهداف يعتبر عضواً في أسرتها.

وما هذه المبادئ والأهداف التي ستعمل الصحيفة لتحقيقها إلا نشر الوعي القومي بهذا الجنوب العربي، وتناول قضاياه الحيوية بروح مترفعة عن الأغراض الشخصية، والمطامع المادية، وإفساح المجال للآراء الحرة لكي تحتك فنصل باحتكاكها إلى الحقيقة، والحقيقة كما يقول المثل: (بنت البحث)، والقوي بمبادئه لا يخشى المعارضة أو المناقشة.

---

(١) محمد عبدالجبار سلام وزميله، مصدر سابق (ص ٧١-٧٥).

على أن من الصراحة أن نعترف بأن هذه المحاولة جد مرهقة في ظروف كظروفنا التي لا يجهلها القراء، فلا بد لتحقيق هذه الغاية من كثير من اللباقة والتحايل على الظروف القاسية، وما ذلك على ذكاء الكتاب وفطنتهم بعسير.

ونرى من قبيل التعريف لا المباهاة، أن نذكر أن صلة صاحب هذه الصحيفة بخدمة هذا الجنوب العربي وخدمة عدن النجمة اللامعة فيه، عن طريق الصحافة لا تعود إلى اليوم الذي تولى فيه إدارة تحرير صحيفة (النهضة)، بل إلى ما قبل نحو عشرين عاماً، عندما كان يصدر «**صحيفة العرب**» بالشرق الأقصى، وهو إذ ذاك لم يبلغ العشرين، في الوقت الذي لم تكن عدن قد عرفت صحيفةً خاصةً بها.

فقد كانت «**صحيفة العرب**» هذه تخصص حيزاً كبيراً من صفحاتها لعدن، وكان يراسلها في ذلك العهد الأستاذان محمد علي لقمان، وأحمد محمد الأصنج، ولسنا نذكر ذلك ممتنين وإنما تحدثا بالنعمة!». انتهىٰ.

ترحيب القراء بهذه الصحيفة:

كتب الأستاذ **علي بن عبدالرحمن بافقيه**[1] من عدن في العدد الثالث من «الجنوب العربي»، الصادر بتاريخ ١٤ صفر ١٣٧٤هـ، ١٢ أكتوبر ١٩٥٤م، مقالاً أدبياً بعنوان «**مرحباً بالجنوب العربي**»، جاء فيه:

> «مرحباً بصحيفتنا **الجنوب العربي**، حقاً لقد كان يوم الثلاثاء ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤م يوماً تاريخياً خالداً، إذ تمخّضت فيه صاحبة الجلالة في جنوب الجزيرة العربية، عن مولود ضخم، مولود سجل حدثاً عظيماً في

---

(١) كاتب وأديب سياسي، له مقالات في عدد من الصحف السيارة في الخمسينيات الميلادية، ثم أصدر في المكلا صحيفة سماها «**الرأي العام**» صدرت عام ١٩٦٢م، وكانت تنهج نهج رابطة أبناء الجنوب. ينظر: «**الصحافة اليمنية في المناطق الجنوبية**»، مصدر سابق (ص١٠٤). بينما ورد في «**الموسوعة اليمنية**» (٣: ١٨٢٤): أن هذه الصحيفة صدرت في عدن عام ١٩٦٤م! وهذا خطأ محض.

تاريخ صحافة هذا الجنوب، ذلك هو صحيفة **الجنوب العربي**.

ولقد طالعنا نحن أبناءَ جنوبِ الجزيرة العربية العدد الأول من صحيفتنا «**الجنوب العربي**» فأيقنا بأن صحيفتنا هذه قد حققت كل ما نتوقعه ونتمناه، ولا شك. فإن الذوق الصحفي والتنظيم الفني يتجلى بين صفحاتها ... ولا غرابة، فصاحبها ورئيس تحريرها شخصية معروفة في بلاط صاحبة الجلالة الصحافة، ولا ريب أن رجلاً كالأستاذ أحمد عمر بافقيه كرس جهوده في خدمة الصحافة ومارسها طول حياته، لهو جدير بأن يخلق صحافةً جديدةً، ونشاطاً بارزاً في ذلك الميدان».

إلى آخر ما سطره ذلك الكاتب من ثناء على الكاتب والصحيفة، التي ذكر أنه يؤمل منها أن تترفع عن السباب والشتائم والمهاترات التي أصيبت بها بقية الصحف، وقد علقت إدارة التحرير على هذه الكلمة بالشكر والتقدير على ما كتبه الكاتب عن حسن ظن انطوت عليه كلمته البليغة!

همة قعساء، وظروف عصيبة:

مرت بالصحيفة وناشرها ظروف عصيبة، ونترك الحديث للأستاذ نفسه يحدثنا عن بعض هذه الصعوبات التي مر بها، فهو خير من يجلي الحقائق، ويضع القارئ أمام الصورة الكاملة، كتب الأستاذ في زاويته (كلمتنا) تحت عنوان: **بين «الجنوب العربي» وقرائه**[1]:

«إن من (أبغض الحلالِ) إلينا: الحديثُ عن أنفسنا، لذلك ترانا أيها القارئ الكريم ندأب في العمل لإرضائك دون أن نشغلك بعَرض الجهود التي نبذلها والمشاقِّ التي نعانيها في هذا السبيل، ذلك لأننا نكِلُ كلَّ ذلك إلى ذكاء القارئ نفسه وتقديره. ولقد اتضح ـ والحمد لله ـ أن قراءنا يتمتعون بأعظم قسط من هاتين الصفتين. فانهالت علينا رسائل من

---

(١) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد ١٤، الثلاثاء ٦/ ٥/ ١٣٧٤هـ، موافق: ٣١/ ١٢/ ١٩٥٤م.

أنحاء مختلفة تطفح بعبارات الثناء والشكر والتقدير. وقد نشرنا بعضها ثم أبت علينا سجيتنا التي طبعنا عليها الاستمرار في نشر بقيتها. لذلك لا يسعنا إلا أن نعتذر إليهم، ونقدر لهم في الوقت نفسه تلك العواطف السامية، شاكرين نبلهم وإحساسهم الكريم.

ولكن كرهنا للحديث عن أنفسنا لا يمنعنا في المناسبات من التحدث عن نعمة الله علينا، لقد اجتازت هذه الصحيفة حتى اليوم قرابة ثلاثة شهور من مراحل حياتها الطويلة إن شاء الله، استطاعت في خلالها أن تجاري الصحف التي مرت عليها سنوات وأعوام من ناحية التوزيع وإبلاغ صوتها إلى الأقطار القصية، كما استطاعت أن تسجل عدة انتصارات صحفية مهمة. فقد سبقت الصحف إلى إثارة قضية الحزب السياسي، فتابعتها بعد ذلك الصحف الأخرى . . وتناولت المشروع بقانون الهجرة عندما كانت الصحف تتهيب هذا الموضوع، وأبدت فيه رأيها . فرأينا الصحف والجمعيات تنتهج نفس الرأي الذي أبدته.

ولا ينسى القراء أيضاً أنها الصحيفة التي أثارت موضوع اتحاد الإمارات الجنوبية، وكانت الصحف تلتزم الصمت تجاه هذه القضية، فإذا ببعضها يستفيض بعد ذلك في الكتابة فيها . . هذا عدا الأخبار والأنباء التي أحرزت قصب السبق في نشرها . مما لم يعد يجهله القراء . كل ذلك قد حققته هذه الصحيفة في فترة ثلاثة شهور! في الوقت الذي يتولى إصدارها فيه رجل بمفرده، وهو الذي يقوم بأعمال التحرير والإدارة وكل مهام الصحيفة.

على أن الشيء الذي ينتقد علينا هو: قلة صفحات الصحيفة، والسر في قلتها كما لا يخفى على فطنة القارئ، هو ما ذكرناه آنفاً من انفراد صاحبها بكل أعمالها، ثم لأن الصحف التي مضت عليها السنوات الطويلة قد أكسبتها هذه السنوات إعلانات وفيرة تستغرق صفحاتها، ولو أن القارئ جرد هذه الصحف من الإعلانات لما وجدها تزيد كثيراً في محتوياتها عن هذه الصحيفة . وليلاحظ القراء: أن عدم وقوعنا تحت نفوذ المعلنين هو في مصلحتهم، فقد بلغ من هذا النفوذ أن أضيعت مصالح كثيرة للشعب في سبيل إرضاء

المعلنين . . على أننا نؤكد أنه لن يمضي وقت طويل حتى تصدر هذه الصحيفة في ١٢ صفحة على سُنّة التدرج .

وأخيراً نحب أن نذكر أن كثيراً من القراء لم يرتاحوا إلى تحويل موعد صدور الصحيفة من الثلاثاء إلى الجمعة لأسباب كثيرة أبداها حضراتهم، منها أن هذا الميعاد لا يتفق مع مواعيد البريد إلى الخارج الذي لنا فيه قراء كثيرون، فإجابةً لطلبهم قررنا إعادة إصدارها يوم الثلاثاء من كل أسبوع كما كانت تصدر سابقاً، وذلك ابتداءً من العدد القادم وعليه؛ فإنها لن تصدر يوم الجمعة القادم بل يومَ الثلاثاء الذي يليه في ١٢ صفحة تعويضاً للقراء عن الأيام التي سوف تتأخر فيها عن الصدور».

* * *

استمرت صحيفة «**الجنوب العربي**» في الصدور أربع سنوات تحت إدارة الأستاذ أحمد بافقيه، وصمدت أمام ظروف حالكة أحاطت بها، وكان الأستاذ بافقيه يكتب عمود الافتتاحية في صدر كل عدد، ثم صار عنوان هذه الافتتاحية (**كلمتنا**)، وهي مقالات متنوعة، بين سياسية واجتماعية، يجد القارئ منتخباتٍ منها في قسم المقالات. كما حظيت هذه الصحيفة بتوفّر أقلام عدد من أعلام الكتاب، الذين تستحق مقالاتهم أن تجمع وتصدر على شكل سلاسل أدبية، لما فيها من معلومات قيمة تعبر عن وضع وفكر المجتمع العدني في ذلك الزمن. وكانت الأجواء السياسية ملبدة بغيوم كثيفة، وكانت تباشير الثورة على الاستعمار قد أخذت في الانبلاج.

كانت الأفكار المطروحة، والمقالات الساخنة الملتهبة ضد حكومة بريطانيا، وظهور الأحزاب والتشكيلات الحزبية، كل ذلك كان مؤذناً بنهضة أبناء الجنوب ووقوفهم في صف واحد في مواجهة الاستعمار، ولم تكن الحكومة البريطانية غافلة عن هذه الحركات، ولكنها كانت تنظر إليها من زاوية مصلحتها الذاتية، فأغضت عن الكثيرين، ولكنها ضربت بيد من

حديد كل من لم يرق لها من رجالات الجنوب الذين كانوا يريدون الإصلاح الحقيقي للجنوب.

الصدام المسلح بين بريطانيا والرابطة:

ونعود إلى الحديث عن الرابطة.. فبالرغم من أن (الرابطة) اعتمدت في كفاحها على الطرق السلمية، إلا أن السلطات البريطانية قد اتخذت ضدها الكثير من الخطوات والإجراءات التي استنكرتها (الرابطة) وكل الهيئات الوطنية في الجنوب. يقول الرئيس عوبلي: «كان المستر **تريفاسكس** يحظى بالصداقة الشخصية لدى معظم حكام المحمية الغربية والشرقية، ولذلك لم يهتم بمعارضة (الرابطة) كثيراً، وقد ارتكب خطأين دمرا الحكم البريطاني في الجنوب:

الأول: أنه لم يحاول معرفة السياسة العدنية.

والثاني: أنه لم يهتم بالتفاهم الودي مع (الرابطة) وتفهم مبادئها السياسية.

وقد عقدت جلسات في مقر الحاكم العام لعدن، للشروع في إيجاد اتحاد لإمارات الجنوب العربي، حضرها حكام الإمارات، ولكن (الرابطة) رفضت المشروع جملةً وتفصيلاً، على أساس: أنه مشروع انفصالي، يهدف إلى تجزئة المنطقة إلى دويلات تسير دائماً وأبداً في فلك السياسة البريطانية المتقلبة، ومع ذلك: فإن (الرابطة) لم تقدم مشروعاً مضاداً، لأن الجو لم يكن مهيأً لتقديم أي مشروع للقوى الوطنية، ولم تكن (الرابطة) قد بلغت وضعاً قوياً يمكنها من تقديم أي مشروع، واكتفت بالرفض السلبي»(١).

من اجتماعيات عدن؛ قصيدة للمحضار:

بعيداً عن جو الصحافة والسياسة والرسميات، نتحول إلى الجو الاجتماعي، إلى صورة من مجتمع عدن، والمحبة السائدة بين أفراده، والانسجام الذي يجمع بني البشر مع

---

(١) محمد حسن عوبلي، مصدر سابق (ص٧٨).

بعضهم. هذه قصيدة (حمينية) شعبية، وجدتها في أوراق الأستاذ رحمه الله، وهي من إنشاء رجل كان من أعيان تجار مدينة عدن في ذلك الوقت، وهو السيد عبدالله بن صالح المحضار، الذي كان له دور في رعاية الطلبة في عدن في الخميسنات، والتكفل بمصاريف سفرهم إلى القاهرة بعد أن قامت بعض المدارس في عدن بالتشديد على طلابها. ونستشف من هذه القصيدة أموراً اجتماعية كثيرة ..

كتب الأستاذ رحمه الله في ركن الورقة: «قصيدة للسيد عبدالله بن صالح المحضار، قالها بمناسبة عودة أحمد بن عمر بافقيه من علاج عينيه، وكذلك قدوم آل بوبكر بن فريد من كور العوالق»، وليس لها تاريخ مذكور، ولكنها كتبت بعد المقاومة الباسلة التي قام بها رجال العوالق ضد الحكم البريطاني والجيش العسكري:

يا كريماً أنت أكرم من ستر ... أنت جل الله بالطاعة جدير
لا نعارض في قضاء وقدر ... إن خيرك على خلقك كثير
قال عبدالله أضناني السهر ... وسهر ليلة على الصحة خطير
جئت إلى المكتب أدور خبر ... قال جمعان: بكرة با يطير
قلت من؟ قال: أحمد بن عمر ... قلت حفي رحمة الله بالأسير
ويعود في خير متجلي النظر ... إنه يعقوب قد جاه البشير
وطار الله منه كل شر ... وكأنه شاب في عمره صغير
ألف حيا بسيدنا الأبر ... قد فرحنا بك صغيراً وكبير
وآل بوبكر مصابيح الغرر ... حبهم والله في جبر الكسير
ولهم تاريخ نقش بالإبر ... كم واحد منكم يصلح أمير
يا صحاب الكور يا أهل الفكر ... وجماعتكم إلى الموت تسير
تشهد الوديان معكم والشجر ... يوم يدعوكم داع للنفير
بقلوب ثابتة مثل الحجر ... إنه والله في أسوأ مصير

لا تشلوا هم من خان أو غدر ... ولكم عنده تعالى كل خير
أبشروا بالخير يا خير الأسر ... واعطهم ربي مناهم يا قدير
إنهم يا رب سمعي والبصر ... وابشروا بالخير كالبحر الغزير
إن يوم الشوم ولّى واندثر ... إن صبر الحر على الباطل عسير
أنتم الشجعان يا خير من نصر ... وبني هاشم لكم نعم النصير
ولكم أسوة في خير البشر ... وجزاكم جنة فيها حرير
وصلاة عد طشات المطر ... للنبي المحبوب الهادي النذير

وليس المقام مقام تحليل وتقييم، وإنما هي شواهد تاريخية نسردها من هنا وهناك، ونترك للقارئ البصير النقد والتحليل والتعليق، ولا أقل من أن أقول: إن في القصيدة إشارات رمزية سياسية كثيرة، فذكر: **الموت، والشجاعة، والغدر، والخيانة، وصبر الأحرار على الباطل**، والتعريض **بالنصر، والنُّصرة**، كلها رموز إلى واقع معاش عند الشاعر، ولا تبعد عن سردنا للأحداث السياسية في عدن، ومواقف (الرابطة) وأنصارها من ظلم الحكومة البريطانية، وبيان مواقف الناس من كفاح الرابطة، المتمثلة في هذه القصيدة في شخص أحمد ابن عمر بافقيه وآل بوبكر بن فريد (من العوالق)، وأكتفي بهذا!

نفي شيخان الحبشي:

وفي ١٠ ذي القعدة ١٣٧٥هـ (= ١٨ يونيو ١٩٥٦م)، غادر شيخان الحبشي أمين عام (الرابطة) مدينة عدن إلى القاهرة؛ ليشارك المصريين في احتفالاتهم بذكرى عيد الجلاء، ممثلاً للرابطة ولصحيفة الجنوب العربي، فقامت السلطة الاستعمارية في اليوم التالي مباشرة في صحيفته الرسمية بنشر أمر يقضي بمنع عودة شيخان الحبشي إلى عدن!

وقد كتب الأستاذ بافقيه مقالاً حماسياً بهذه المناسبة في «**الجنوب العربي**» العدد (٨٨) بتاريخ ١٨ ذي القعدة (= ٢٦ يونيو ٥٦م) هذا نصه، وهو بعنوان:

كلنا شيخان



«يظهر أن السلطات البريطانية في (عدن) لا تريد أن تأخذ عبرة وعظة من الأحداث التي مرت على بريطانيا في عهود استعمارها الطويلة!

هي لا تريد هذا! وإلا لما أقدمت بالأمس القريب على محاكمة (عبد الله باذيب)، ثم نفي (محمد عبده نعمان)، ثم أخيراً محاكمة (أعضاء المؤتمر الوطني). هي لا تريد هذا! وإلا لما أقدمت اليوم على نفي (شيخان الحبشي)، ثم على وضع شروط تعسفية أمام (رابطة أبناء الجنوب)، شروط لا نجد أصدق وصف لها مما جاء في بيان (الرابطة) نفسه: من أنها تعني الحيلولة دون عقد الاجتماع العام الذي أرادت (الرابطة) إن تقيمه احتفالاً بأعياد جلاء القوات البريطانية عن مصر! وهي لا تريد هذا! لأنها ـ وهذا هو الأهم ـ تفقد أعصابها لمطالبة (شعب الجنوب العربي) بالاستقلال والسيادة الوطنية الصحيحة!

السلطات البريطانية في عدن لا تريد أن تأخذ عبرة وعظة من الأحداث التي مرت على بريطانيا في عهود استعمارها الطويلة! فمنذ سنواتٍ كانت بريطانيا تحكم الهند وتملي إرادتها على شعب الهند، وسُجِن مناضلون .. ونُفيَ مناضلون ..ولقي مناضلون آخرون ألواناً أخرى من الاضطهاد والتشريد، وانتفض **شعب الهند**، ونال الاستقلال التام والسيادة الوطنية الصحيحة! **وفي مصر**: حدث نفس (**الشيء**) نفس التشريد والاضطهاد، والنفي، والسجن . وانتفض شعب مصر، وكان للشعب ما أراد: الاستقلال التام والسيادة الوطنية الصحيحة! **وفي السودان**: حدث نفس (**الشيء**)، وتكررت نفس النتائج في السودان، وفي مصر، وفي الهند، وفي بلدان أخرى كثيرة، لاحت الأمثلة قوية ساطعة على أن سياسة اضطهاد الأحرار ليست بالعلاج الصحيح لحركتهم. وإنما العلاج الصحيح هو استجابة الحكومات لمطالب الأحرار .

إن نفي (شيخان الحبشي)، المحامي، وأمين عام (رابطة أبناء الجنوب)، والمناضل الوطني، والقائد الشعبي. نُفِيَ (شيخان الحبشي).. نصيرُ الشعب.. وبطلُ الحركة.. ورائدُ الوطنية. إن نفي (شيخان الحبشي) إذن إنما يزيدنا قوةً، ويمد حركتنا الوطنية بوقود جديد، ويسهم في تعزيز نضالنا في سبيل الاستقلال التام، والديمقراطية الحقة!

وشيء آخر .. لقد ربحت القضية الوطنية في جنوبنا العربي الحبيب، ربحت من وراء نفي (شيخان الحبشي). ذلك: أن (شيخان الحبشي) سوف يخدم القضية الوطنية في الخارج، في مصر .. قلب العروبة النابض، وفي كل مكان! وكم حاجتنا شديدة إلى بطل وطني عظيم يدافع عن قضيتنا في الخارج! إن (شيخان الحبشي).. رمز النضال الصادق والوطنية العالية، إن (شيخان الحبشي) إذن معنا.. وكلنا (شيخان) ! وحتى قرار النفي لم يقدر على إبعاده! عاش (شيخان الحبشي).. عاش نضال الشعب من أجل الحرية والاستقلال والعدالة الاجتماعية! عاش (الجنوب العربي) حراً واحداً». انتهىٰ.

وما كاد خبر نفي شيخان ينتشر حتى رفعت (الرابطة) مذكرة احتجاج إلى وزارة المستعمرات والجامعة العربية والحكومات العربية عامة، ثم أوفدت (الرابطة) وفداً مكوناً من الرئيس الجفري وعدد من الأعضاء لمقابلة الحاكم العام، وتمت المقابلة يوم الخميس ٢٠ القعدة (٢٨ يونيو)، فكان رد الحاكم: أن شيخان أجنبي وليس من مواليد عدن، بعد ذلك؛ أعلنت (الرابطة) أن يومَ الأربعاء ٣ ذي الحجة (= ١١ يوليو) يوم إضراب عام في أنحاء الجنوب العربي، وتم الإضراب ونجح، واستجاب له الشعب بكافة شرائحه(١).

إشاعة نفي بافقيه:

في تلك الأثناء، سافر الأستاذ بافقيه إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، وكانت الإشاعات قد انتشرت في عدن بأن السلطات البريطانية قد نفته هو الآخر، وكان مصدر الإشاعة إذاعة صنعاء، ولكن الخبر لم يكن سوى مجرد إشاعة! وكتب علي باذيب في العدد

---

(١) دلال الحربي، مصدر سابق (ص٥٠٩).

(٩١) من الجنوب العربي، الصادر بتاريخ: يوم الثلاثاء ٩ ذو الحجة ١٣٧٥ = ١٧ يوليو ١٩٥٦، في ركن الصفحة الأولى كلمة بعنوان (**صنعاء تذيع نفي البافقيه**):


الجنوب العربي
AL-JANOOB AL-ARABI
صنعاء تذيع نفي البافقيه
الرابطة والجبهة تستنكران تعطيل « العمّ » الحرة

«أذاعت محطة صنعاء مساء أمس الأحد الماضي، خبراً مفاده: أن الأستاذ أحمد عمر بافقيه صاحب ورئيس تحرير الجنوب العربي، والموجود الآن في الحجاز، تلقى من حكومة عدن إشعاراً بمنعه من العودة إلى عدن، ورغم الإشاعات الكثيرة التي تروج في هذه الأيام حول الأستاذ بافقيه وصحيفته، لم يصلنا حتى الآن ما يؤكد هذا النبأ».

نفي الجفري من الجنوب؛ يوليو ١٩٥٦م:

في ١٨ ذي الحجة من نفس العام (= ٢٦ يوليو ٥٦م)، سافر محمد علي الجفري رئيس الرابطة، ومعه رشيد الحريري للمشاركة في أحد المؤتمرات بالقاهرة، تأييداً لتأميم قناة السويس، وكان الجفري من بين الخطباء ممثلاً للجنوب العربي، فبنت حكومة الاستعمار شكوكاً حول وجود اتصالات بين (الرابطة) والحكومة المصرية، فداهمت مقر (الرابطة) صبيحة السبت ٥ محرم ١٣٧٦هـ (= ١١ أغسطس ١٩٥٦م)، وفتشته وصادرت ما فيه من محاضر وأوراق وتقارير، ثم أصدرت قراراً بمنع عودة الجفري إلى الجنوب بتهمة قيامه بنشاطات تحريضية.

عودة الجفري إلى لحج، وتطور الأحداث:

ما لبث السيد محمد علي الجفري أن عاد إلى لحج في ٢٩ شعبان ١٣٧٦هـ (= ٣٠ مارس ٥٧م) عن طريق اليمن! لقد حدث إشكال قانوني دقيق حول صلاحية حكومة عدن في إبعاد الجفري من بلاده (لحج)، إذ أنها ليست مستعمرة بريطانية، و انتهىٰ الأمر بمنعه من دخول عدن التابعة للتاج البريطاني. وكان للسلطان علي عبد الكريم الدور الأكبر في عودته، وبشرط توقفه عن مزاولة أي نشاط سياسي(١). ولكن الأمر لم يطل، فما هي إلا أسابيع ويعود الجفري إلى إلقاء الخطب الحماسية لرفع معنويات أعضاء الرابطة، وعاودت (الرابطة) نشاطها في مظاهر علنية، وقد تغاضت حكومة عدن عن نشاط (الرابطة) الذي تمركز في لحج في هذه الفترة(٢).

محاولة اعتقال الجفري؛ الاحتكاك الثاني:

وبعد إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة (اتحاد مصر وسوريا)، اتخذت قيادة (الرابطة) أخطر قرار في تاريخ الحركة الوطنية: فأصدرت بيانا في ١٣ رجب ١٣٧٧هـ (= ٢ فبراير ١٩٥٨م)، أعلنت فيه مطالبتها بتحرير ووحدة الجنوب العربي قاطبة وضمه إلى الجمهورية العربية المتحدة، وألغت كافة بياناتها السابقة التي كانت متناقضة مع هذا التصريح(٣). ويوم أن وقعت اليمن على ميثاق الاتحاد في ٣ شعبان (= ٢٢ فبراير)، أحست حكومة بريطانيا بالخطر يتهددها من الحدود اليمنية، ولا سيما بعد أن سرت الشائعات بأن سلطنة لحج ستتخلى عن معاهدتها مع بريطانيا وتدخل في الاتحاد هي الأخرى، ومع تزايد نشاط (الرابطة) داخل لحج، وسكوت السلطان علي على تصرفات الجفري وإخوته، قام

---

(١) دلال الحربي، مصدر سابق (ص٥١٢-٥١٥)، و(٥١٧-٥١٨). محمد حسن عوبلي، مصدر سابق (ص٧٩).

(٢) دلال الحربي، مصدر سابق (ص٥٢١ وما بعدها).

(٣) دلال الحربي، مصدر سابق (ص٥٢٧).

الحاكم بطلبه إلى عدن يوم الخميس ٢٨ رمضان (= ١٧ ابريل). وفي اليوم التالي صبيحة الجمعة ٢٩ رمضان اقتحمت القوات البريطانية لحج في منتصف النهار، بهدف إلقاء القبض على السيد محمد علي الجفري، فلم تظفر به، وكان قد تلقى هو والسلطان خبراً من أحد الضباط العولقيين العاملين في القوات البريطانية بنية الحكومة المبيتة ضده، فنجح في التسلل إلى اليمن، ولما لم يجدوه فقد ألقوا القبض على شقيقه عبد الله بن علي الجفري[١].

السلطان العبدلي في لندن، وسحب الاعتراف:

بعد ذلك الاعتداء السافر، أعلن السلطان العبدلي رفضه لهذا الإجراء، وعده مخالفاً لمعاهدة ١٣٧٢هـ (= ١٩٥٢م)، وأعلن ذلك في مقر الحكومة، ولما رأى الحكومة تماطل في سحب القوات، عزم على التوجه إلى لندن لتقديم احتجاجه إلى وزير المستعمرات، وقبل سفره عمد إلى تسوية كافة الأمور داخل سلطنته، ووزع كافة أملاكه على أهله، وسجل ذلك في خفية وسرية تامة في المحكمة الشرعية، كل ذلك خوفاً من أي إجراء يتخذ ضده أثناء سفره خارج بلاده. وصل السلطان إلى لندن في ١٠ شوال ١٣٧٧هـ (= ٨ مايو ١٩٥٨م) والتقى بوزير المستعمرات، ودارت أحداث كثيرة خلال الشهرين اللذين قضاهما السلطان علي في لندن، ثم تسرب إليه خبر خطير مفاده أن السلطات البريطانية ترتب لاحتجازه في لندن، فما كان منه إلا أن حزم أمتعته وسافر سراً من لندن إلى روما، ومنها إلى ميلانو. وفي تلك الأثناء؛ أعلن وزير المستعمرات يوم الخميس ٢٣ ذي الحجة ١٣٧٧هـ (١٠ يوليو ١٩٥٨م) في مجلس العموم نيابة عن الحكومة البريطانية: سحب الاعتراف بالسلطان (السير) علي عبد الكريم العبدلي حاكم لحج. وفي نفس اليوم: نقل نائب القنصل البريطاني في ميلانو إلى السلطان رسمياً قرار حكومة بريطانيا بمنعه من العودة إلى لحج أو إلى أي جزء من محمية عدن! وفي يوم ٢٥ ذي الحجة (١٢ يوليو) غادر ميلانو إلى روما، ومنها إلى القاهرة

---

(١) دلال الحربي، مصدر سابق (ص٥٣٠-٥٣١).

يرافقه السيد حسن علوي الجفري[١].

بافقيه وقحطان يغادران إلى اليمن؛ أبريل ١٩٥٨م:

رمضان ١٣٧٧هـ (أبريل ١٩٥٨م): عقب إفلات الجفري من قبضة البريطانيين، عاد الجنود إلى عدن، ليغلقوا مقر صحيفة الجنوب العربي، ويصادروا ممتلكاتها، تلقى بافقيه خبراً سرياً من عناصر في الجيش البريطاني مفاده: أنه قد صدر أمر بإلقاء القبض عليه من قبل الحكومة البريطانية، وأن عليه مغادرة البلد فوراً. فتحرك بعد سماع ذلك الخبر إلى لحج في وقت مبكر، والتقى **بقحطان الشعبي**[٢] (مدير الزراعة في سلطنة لحج) وكان من أعضاء الرابطة، فأخبره بأن حياة الرابطيين صارت مهددة، وأن عليهما الخروج بسرعة، فرافقه في سيره، حتى وصلا إلى **الراهدة**[١]، وكان قحطان حينها بعيداً خارج نطاق الشبهات التي حامت حوله فيما بعد! ومن الراهدة أبرق **بافقيه** إلى بلاط الإمام في (تعز) بطلب الإذن بالدخول إلى أراضي المملكة المتوكلية اليمنية (بحكم العلاقة القديمة بينه وبين حضرة الإمام

---

(١) دلال الحربي، **مصدر سابق** (ص٥٣١- ٥٦٥)، عوبلي، **مصدر سابق** (ص٨٣). وقد توفي السيد حسن علوي الجفري أواخر العام ١٤٢٧هـ بمدينة جدة.

(٢) ولد **قحطان** في لحج سنة ١٩٢٠م (١٣٣٨هـ)، وتخرج في كلية الزراعة في السودان، انضم مبكراً إلى الرابطة، شغل وظيفة ضابط زراعي في لحج، وبعد مغادرته أرض الجنوب إلى مصر عمل مع الأستاذ بافقيه في القسم الإعلامي، انضم إلى حركة القوميين العرب سنة ٥٩م، عاد عام ٦٢م إلى اليمن مستشاراً للسلال عقب الثورة، وفي ٦٣م تولى قيادة الجبهة القومية في عدن، وتسلم زمام السلطة في دولة الجنوب المستقل عام ٦٧م أثناء مفاوضات الاستقلال مع بريطانيا التي اعترفت به فوراً! وصار أول رئيس لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وفي يونيو ٦٩م نحّي قسراً ووضع تحت الإقامة الجبرية إلى أن مات في ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ). ينظر: «**الموسوعة اليمنية**» (٣: ١٧٢٣)، سعد مهدي شلاش، «**حركة القوميين العرب**» (ص ٦١).

(١) تقع ضمن مديرية خدير جنوبي تعز، تبعد عنها مسافة ٥٠ كلم، وهي مدينة حديثة الظهور تربط بين مدينتي تعز وعدن. «**معجم البلدان والقبائل اليمنية**» للمقحفي (١: ٦٦٧).

أحمد)، فصدر الأمر السامي بخط الإمام أحمد بنفسه بالسماح (للولد أحمد بافقيه ومن معه بالدخول)، عندها زال الخطر، وتنفس بافقيه الصعداء، وتوجه في أمان إلى (تعز) عاصمة المملكة اليمنية آنذاك.

في بلاط ملك اليمن:

لقد أحسن جلالة ملك اليمن الإمام أحمد **حميد الدين** استقباله، وأكرم وفادته، وأمر له بصرف معاش (مرتب)، ولم يكتف بذلك فحسب، بل أمر بصرف مَعاشٍ آخرَ لأسرته المقيمةِ في عدن، فكانت مكرمةً ومعروفاً لا ينساه آل بافقيه للإمام أحمد رحمه الله. وأنزل بافقيه في قصر الضيافة، وكان الإمام يطلبه إلى ديوانه بين الفينة والأخرى، يستمع إلى أخباره وأحاديثه، وكان الإمام على اطلاع سابق بما تنشره صحيفة الجنوب العربي، التي كانت تصله أعدادها في مواعيد منتظمة، عن طريق وكيله في عدن (الشيخ علي الجبَلي).

وفي (تعز) اجتمع شمل الرابطيين بوصول السيد **محمد علي الجفري** رئيس الرابطة، ولبثوا في ضيافة الإمام بضعة أشهر، بعدها انطلقوا إلى أرض الكنانة، لقد أصدر الإمام أمراً بتعيين بافقيه في وزارة الخارجية، ولكنه سرعان ما قدم اعتذاره واستقالته لظروف صحية ألمت به، وطلب السفر إلى مصر، فأذن له الإمام، وأبقى راتبه مستمراً لسنوات كانت أسرته في عدن تستلمه وتصرفه في معاشها قبل هجرتهم إلى القاهرة فيما بعد.

رسالة لم تصل:

في ذي القعدة ١٣٧٧هـ (= يونيو ١٩٥٨م)، وأثناء تواجد السلطان علي في لندن، كتب إليه السيد محمد الجفري رسالةً سريةً من اليمن، بعث بها مع قحطان الذي كان من المفترض أن يسافر إلى القاهرة ومنها في أقرب فرصة إلى لندن لتسليمها للسلطان .. ومفاد هذه الرسالة: أن على السلطان أن يعود إلى لحج عاجلاً عن طريق اليمن، ولو أدى ذلك إلى اعتقاله من قبل حكومة الاستعمار. ولكن **قحطان** (العضو الرابطي آنذاك) تمهل جداً في القاهرة! وبذلك أضاع الفرصة على السلطان في العودة إلى مقر عرشه، إذ اجتمع المجلسُ

التشريعي بلحج وأقام ـ تحت ظلِّ الحراب البريطانية ـ **السلطان فضل بن علي** خلفاً للسلطان **علي بن عبد الكريم العبدلي**. كانت هذه الحادثة مؤكدة لما كان زعماء (الرابطة) يضمرونه من شكوك وريبة حول تصرفات **قحطان**. ولكن .. ليس بيدهم أي دليل عليه(١).

لقد هز نبأ خلع السلطان علي المنطقة بأسرها، حيث أدرك الجميع أن كل السلاطين والأمراء عرضة لأن يفعل بهم ما فعل بالسلطان علي، وأن هذا درس لكافة المحميات، كما أنه في نفس الوقت جعل نظرة الزعماء السياسيين (الوطنيين) تجاه السلاطين نظرة دونية، فهم مجرد حكام (رمزيين) لا خوف منهم(٢).

تصفية مقر (الرابطة) ومتعلقاتها بعدن:

أثناء تلك الأحداث، أغلقت السلطة في عدن مقر صحيفة «**الجنوب العربي**» لسان حال الرابطة، وتم تصفية حزب (الرابطة) نهائياً من عدن، وكانت تظن بريطانيا أنها بهذا الأسلوب سوف تقمع حدة معارضة الاستعمار، فكان الأمر بعكس ذلك، فقد زادت شعبية (الرابطة)، واعتبر رؤساؤها من كبار المناضلين ضد الاستعمار، وانتقلت القيادة إلى موقع آخر في الوطن العربي، إلى القاهرة، حيث عاودت نشاطها بشكل مكثف، وأكثر من ذي قبل.

وبهذا.. يسدل الستار على تاريخ رابطة أبناء الجنوب في وطنها الأصلي (الجنوب اليمني)، ويسدل الستار على فترة حكم السلطان علي عبد الكريم العبدلي، ذلك الرجل الذي ضحى بسطلنته وعرش ملكه في سبيل قضيته الوطنية، إنه رجل والرجال قليل!

وتنتهي هنا فصولُ تاريخ الرابطة في الجنوب، ذلك الحزبُ الذي كان له صولاته وجولاته السياسية الهامة، ويعد منعطفاً تاريخياً هاماً في تاريخ الجنوب العربي.

---

(١) دلال الحربي، **مصدر سابق** (ص ٥٦٠)، عوبلي، **مصدر سابق** (ص ٨٣-٨٤).

(٢) عوبلي، **مصدر سابق**: نفس المرجع.

(٥)

بافقيه في أرض الكنانة

(١٣٧٧ ـ ١٣٨٧هـ = ١٩٥٩ ـ ١٩٦٦م)

المقر الجديد في القاهرة؛ ١٩٥٩م:

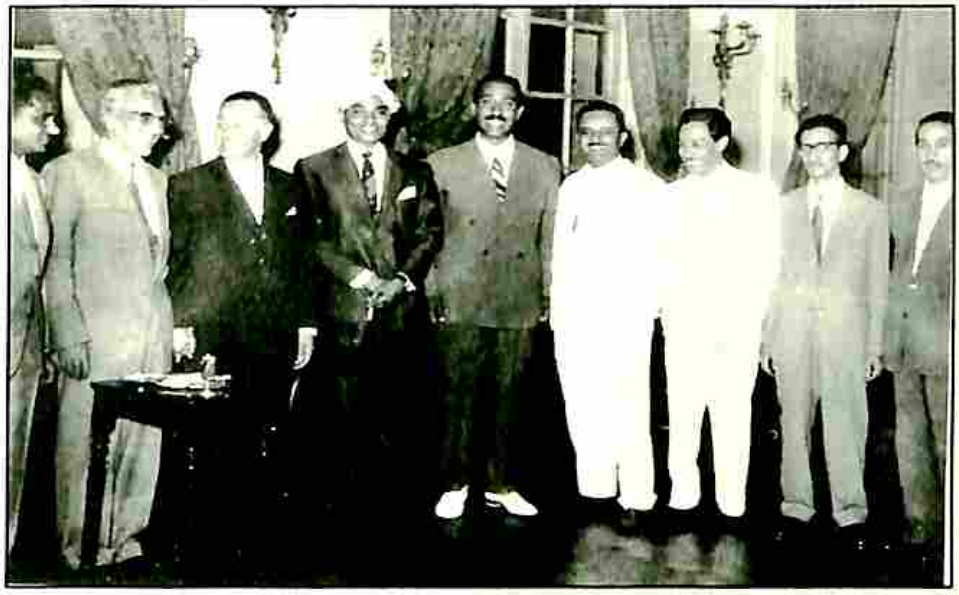


لم تأت سنة ١٩٥٩م إلا وجميع قيادات (الرابطة) وزعاماتها السياسية في الخارج، وبالتحديد في العاصمة المصرية القاهرة، حيث مقر (الرابطة) الجديد.

كان ذلك المقر قد أسسه السيد **محمد الجفري** بعد أن منع من العودة إلى عدن في يوليو ٥٦م كما سبق، فقد مكث في القاهرة أكثر من ثمانية أشهر، كانت كافية لأن يبدأ بمزاولة

نشاط جديد للرابطة في أرض الكنانة. كما كانت الأوضاع مساعدة ومشجعة على ذلك، خصوصاً مع تواجد الأمين العام السيد **شيخان الحبشي** هناك. وقامت (الرابطة) من مقرها الجديد بالانطلاق في عدة ميادين فسيحة من العمل السياسي الحر، وبعيداً عن الرقابة والمضايقة البريطانية.

حكومة عدن تطلب من الرابطيين العودة:



مع الرئيس أنور السادات

من اليمين: طاهر الزواوي، فأحمد عمر بافقيه، فشيخان الحبشي، فالسيد محمد الجفري، فالرئيس السادات، فالسلطان علي عبدالكريم، فعبدالخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية، فسفير باكستان، فقحطان الشعبي.

وفي نفس العام ١٩٥٩م؛ قررت بريطانيا ضم عدن إلى اتحاد إمارات الجنوب، ومن مظاهر سخريتها أنها قدمت دعوة لأعضاء (الرابطة) في منفاهم بالقاهرة وطلبت عودتهم إلى عدن للمشاركة في تشكيل الحكومة الاتحادية، إلا أن (الرابطة) رفضت هذا العرض، وفضل زعماؤها عدم القدوم إلى عدن، فالأحداث لا تزال ساخنة، ولا يؤمن جانب بريطانيا من الغدر. لقد اعتبرت (الرابطة) أن المفاوضات التي جرت في عدن، ثم ما تلاها من

مفاوضات في ١٩٦٢م المتعلقة بذلك الشأن (الاتحادي)، ليس لها أية صفة شرعية، لأن المفاوضين لم يكونوا ممثلين (منتخبين) من الشعب، وإنما هم ممن يدور في فلك السياسة البريطانية، ولا يهتم إلا بالمصالح الشخصية النفعية[١]!

إذاعة صوت الجنوب:

من الأنشطة الإعلامية التي اتخذتها (الرابطة) في القاهرة، وبالتعاون مع الحكومة المصرية، فقد كان للرابطة إذاعة أسبوعية تنطلق عبر محطة (صوت العرب)، وكان متوليها السيد شيخان والأستاذ بافقيه، كما كان عبدالله هادي سبيت الشاعر اللحجي المعروف يلقي عبرها العديد من قصائده الشعرية، كان ذلك في الأعوام (٥٦-٥٨م)، قبل صدور صحيفة النضال.

(الرابطة) في هيئة الأمم المتحدة ١٩٥٩م:

في نوفمبر ١٩٥٩م؛ أوفدت (الرابطة) أمينها العام السيد شيخان الحبشي إلى هيئة الأمم المتحدة[٢]، بعد أن رأت أن الجامعة العربية في وضع لا يمكنها من بحث قضية الجنوب العربي، أو أن تقوم بعرضها على الهيئة، وكانت زيارة أمين عام (الرابطة) في هذه الآونة هامةً جداً، لأنها أوقفت (الرابطة) على حقائق مصيرية هامة، لم تكن لتعرف لولا هذه الخطوة. لقد اصطدم الأمين العام أثناء محاولته إدراج قضية الجنوب العربي بعقبة كأداء، وهي أن قضيته لا يمكن أن تعرض أمام الهيئة ولن تدرج في جدول أعمالها ما لم تكن مقدمة من دولة عضو في هيئة الأمم.

لهذا .. وبما أن جامعة الدول العربية لم تكن متبنية للقضية بل لا ترغب في ذلك! لقد

---

(١) علي الصراف، مصدر سابق (ص ٩٢).

(٢) ينظر: «الجنوب العربي في هيئة الأمم المتحدة» (ص١٩) وما بعدها، وصلاح البكري، مصدر سابق (ص ٢٥٨-٢٥٩).

كانت النتائج إجمالاً مخيبة للآمال(١).



أحمد بافقيه (الثاني عن يمين الصورة)، فقحطان الشعبي، فسفير اليونان، فالسيد محمد الجفري، فسفير شيكوسلوفاكيا، فالسيد أمين الحسيني (مفتي فلسطين)، فسفير باكستان، فشيخان الحبشي (أقصى اليسار).

قحطان والقوميون العرب:

منذ العام ١٩٥٩م بدأت تتكشف للأعضاء الرابطيين أموراً لم تكن معلومة لديهم سابقاً عن قحطان الشعبي، الذي بدأ الخلاف معه يأخذ منحى جدياً قبيل سفر السيد شيخان الحبشي إلى الأمم المتحدة سفره الأول، فقد غضب قحطان بسبب عدم مرافقته لشيخان الحبشي بحجة أنه أقدر على الحديث باللغة الإنجليزية منه(٢).

لم تكن قيادة (الرابطة) تعلم أنه في عام ١٩٥٩م، حضر قحطان الشعبي وابن عمه فيصل عبداللطيف الشعبي ـ عن شعب اليمن الجنوبي ـ أول دورة إعداد قيادية تجريها قيادة حركة القوميين العرب لعدد من أعضائها، وكانت دورة سرية في دمشق، حاضر فيها جورج

---

(١) «الجنوب العربي في هيئة الأمم» (ص١٩-٢٣).

(٢) حديث خاص مع السلطان علي عبدالكريم، جدة، مارس ٢٠٠٦م.

حبش، والحكم دروزة، وهاني الهندي، وغيرهم. وكان الغرض منها: إعداد هؤلاء الخريجين للقيام بتأسيس فروع للحركة في أوطانهم(١).



أحمد بافقيه، فالوزير أحمد رشوان، فالسيد محمد علي الجفري، يليه فائق السامرائي سفير العراق في مصر، فشيخان الحبشي

بادرة أمل، ١٩٦١م:

في أواخر عام ١٩٦١م؛ صدر قرار عن هيئة الأمم المتحدة بتكوين لجنة تصفية الاستعمار، فانفتح بذلك باب جديد أمام الحركة الوطنية في الجنوب، عقب ذلك قامت (الرابطة) بالعديد من الإجراءات واللقاءات تمهيداً لعمل خطوات جريئة وحاسمة تتعلق بمصير الجنوب.

في اجتماع مجلس جامعة الدول العربية؛ أبريل ١٩٦٢م:

توجه وفد مكون من رئيس (الرابطة) السيد محمد علي الجفري، والسيد **أحمد عمر بافقيه** مدير الدعاية والنشر، والسيد علوي علي الجفري مدير مكتب (الرابطة) بجدة، وحضر الوفد اجتماع الجامعة العربية المنعقد في الرياض في أبريل ١٩٦٢م (= ذو القعدة

---

(١) سعد مهدي شلاش، «**حركة القوميين العرب**» (ص٦١-٦٣).

١٣٨١هـ)، وقام الوفد بنشاط واتصالات واسعة بين الوفود العربية، ومع الأمانة العامة للجامعة التي وصلتها أكثر من (٦٠) برقية من داخل الجنوب العربي ومن المهاجر تأييداً للوفد والمهمة التي يقوم بها، بهدف إقناع الجامعة بتبني مطالب شعب الجنوب. ولكن رئيس مجلس الجامعة آنذاك، رئيس الوفد التونسي، تحدث مع وفد (الرابطة) في حديث خاص وأخبرهم أن مطالبهم لم يتم النظر فيها، لاعتراض وزير الخارجية اليمني على تقديم هذه الوثائق لمجلس الجامعة، وبالطبع فقد كان اعتراضه مقبولاً لدى الجامعة، بحكم الصفة الرسمية التي يحملها، فكانت خيبة أمل كبرى للوفد[١] .

مذكرة (الرابطة) إلى لجنة تصفية الاستعمار مارس ١٩٦٢م:

بعد هذا؛ كتبت (الرابطة) مذكرة قدمتها إلى سكرتارية اللجنة في مارس ١٩٦٢م. شرحت فيه وضع الجنوب ومعاناة شعبه، وطالبت بتحقيق الأهداف الوطنية، والوقوف إلى جانب الجنوب في نضاله في سبيل حريته. ثم في أكتوبر من نفس العام توجه الأمين العام للرابطة شيخان الحبشي إلى هيئة الأمم، والتقى بلجنة تصفية الاستعمار التي قررت موعداً في شهر أبريل ١٩٦٣م لبحث قضية الجنوب، والاستماع إلى مندوب (الرابطة) وغيره من أبناء الجنوب، فكانت هذه الخطوة الجريئة مفاجئة للاستعمار، ولأحزاب المعارضة في الجنوب[٢].

---

(١) «الجنوب العربي في هيئة الأمم» (ص٢٦-٢٧).

(٢) «الجنوب العربي في هيئة الأمم» (ص٢٤، و٣١). صلاح البكري، مصدر سابق (ص٢٥٨).

نشرة (الرابطة):



في هذه الأثناء، وفي رجب ١٣٨٣هـ (= نوفمبر ١٩٦٣م)، أصدر مكتب (الرابطة) في مصر[١] نشرة (غير دورية)، صدرت عن القسم الإعلامي لحزب (الرابطة) في مصر، بعنوان «**نظرات في قضية الجنوب العربي**»، قال عنها الأستاذ رحمه الله متحدثاً عن هذه المجلة: «وُلّيتُ مسؤولية الإشراف على صحيفة أسميناها «الرابطة» لتكون لسان حال الإطار السياسي الذي ضمَّنا».

احتوت النشرة على عدد من المقالات، بأقلام: السيد الجفري رئيس الرابطة، ومحمد سالم باوزير (الذي كان سكرتيراً مساعداً لرئيس الرابطة، وكان نشيطاً في المراسلات والمتابعات الرسمية)، وتقرير لشيخان الحبشي، وكانت الافتتاحية بقلم الأستاذ بافقيه، تقع هذه النشرة في ٣٢ صفحة. طبعت بمطابع الناشر العربي بالقاهرة، كتب على صفحتها الأولى:

«نشرة غير دورية، يصدرها مكتب الجنوب العربي بالقاهرة،
تعنى بقضايا الوطن العربي عامة، **وقضية الجنوب العربي** بوجه خاص.
المراسلات: ٧ شارع أمريكا اللاتينية، القاهرة».

---

(١) في نشرة شعاع الأمل، ذكر الكاتب فاروق بن زيمة (رحمه الله): أن حزب (الرابطة) أصدر هذه المجلة في عدن، وهذا وهم منه.

المقال الافتتاحي لنشرة الرابطة:

كتب الأستاذ أحمد بافقيه هذا المقال الافتتاحي لتلك النشرة، قال فيه:

«في هذه النشرة ملامح من المجلة، وسمات من الكتاب، فيها تنوع المواضيع وهو من ملامح المجلة، ولكن جميع هذه المواضيع يربطها رابط واحد هو قضية الجنوب العربي، فإذا اعتبر ذلك بمثابة وحدة الموضوع فهو من سمات الكتاب. وليس لهذه النشرة مواعيدُ محددة، والمجلة من خصائصها أن تصدر دورية في تاريخ معين، ومع ذلك فإنا نؤكد لقرائنا أننا سنحافظ قدر المستطاع أن تطالعهم هذه النشرة في مواعيد متقاربة، لا تتجاوز الشهر، ومهما كانت ملامح هذه النشرة وسماتها، فإن الذي حدانا إلى إصدارها هو ما نشعر به من الفراغ وانقطاع وسائل الصلة بين حزب رابطة الجنوب العربي وقواعده المنتشرة في الوطن والمهاجر المختلفة، بسبب حرمان الحزب في عدن من أي وسيلة من وسائل الاتصال بأعضائه وأنصاره ومؤيديه وبالشعب العربي في كل أنحاء الوطن الكبير.

فمنذ عام ١٩٥٨م ما فتئ الحزب يتقدم إلى السلطات البريطانية في عدن بطلب ترخيص لإصدار صحيفة تنطق بلسانه حتى تجاوز عدد هذه الطلبات عشرة طلبات، وفي كل مرة تجيب عليه السلطات بالرفض بدون إبداء الأسباب، في حين توزع تراخيص الصحف للسائرين في ركابها، ولكل من هب ودب بدون حساب.

ولم تكتف بهذا، فقد حرمت على الحزب حتى عقد الاجتماعات العامة، أو طبع النشرات غير الدورية، ومن هنا نشأ الفراغ الذي نحاول اليوم سده بهذه النشرة، وإعادة الصلة ما بين الحزب وقواعده والشعب العربي في كل جزء من أجزاء الوطن العربي الكبير.

هذا، والنشرة مستعدة لتلقي أي اقتراح أو بحث أو مقال يتفضل به علينا قراؤها، شاكرين لهم جهدهم وكرمهم. والله نسأل أن يوفقنا لطريق الرشد والسداد.

أحمد عمر بافقيه».

(الرابطة) أمام لجنة تصفية الاستعمار؛ ١٩٦٣م:

في أبريل ١٩٦٣م؛ حضر مندوب (الرابطة) وأمينها العام شيخان الحبشي، وحضر من الجنوب ثلاث شخصيات أخرى تمثل اتجاهات وأحزاب مختلفة، وهم: محمد فريد عولقي وزير الخارجية في الاتحاد الفيدرالي، وسعيد صحبي ممثل الحزب الاشتراكي في عدن، وكان الأستاذ محمد علي لقمان مؤسس الجمعية العدنية وأحد أقطاب حزب المؤتمر الشعبي الدستوري قد تحدث أمام اللجنة في سبتمبر ٦٢م أثناء انعقاد سابق للجنة بتنسيق من قبل القنصلية الأمريكية في عدن. في تلك الأثناء قدم حاكم عدن العام (ترافسكس) من عدن إلى لندن، ثم إلى هيئة الأمم ومعه وزير الخارجية الفيدرالي (محمد فريد)، وحاول أن يعكس خط سير اللجنة، ولكن مندوب (الرابطة) وأمينها العام تصدى لكل المحاولات، واستطاع أن يدفع باللجنة إلى الأمام، ورفض أي تأجيل للقرارات الصادرة عنها، وكان من أهم القرارات التي خلصت بها بعد النظر في القضية في اجتماعات متعددة: أن ترسل اللجنة بعثة لتقصي الحقائق في الجنوب، لوضع تقارير عن أسرع الوسائل لتنفيذ القرار الخاص بمنح الاستقلال للمستعمرات، وصدرت القرارات في مايو ٦٣م، وشكلت اللجنة الفرعية لتقصي الحقائق في ١٠ مايو، من خمسة أشخاص.

وبهذا.. تكون كلمة (الرابطة) أمام اللجنة الدولية هي الكلمة الحاسمة في الموضوع، وهي الكلمة التي تمثل صوت أبناء الجنوب العربي، وتكللت جهود أعضائها بالنجاح.



الأستاذ بافقيه يلقي كلمته أمام لجنة تقصي الحقائق الدولية في القاهرة، وبجواره (إلى يسار) الشيخ محمد أبوبكر بن فريد، وخلفهم طلبة أبناء الجنوب بالقاهرة

وبالطبع؛ لم تسكت حكومة عدن على هذه القرارات، بل قامت بمنع اللجنة الفرعية من الدخول إلى عدن، وكان لها ما أرادات، فقصرت نشاطها على أبناء الجنوب في المهجر، والتقت بشتى الأحزاب[١] المعارضة للوجود البريطاني وعدد من أبناء الجنوب، في صنعاء، وجدة، وبغداد، والقاهرة، ودمشق، وقابلت أكثر من ٥٦ شخصية من مختلف الشرائح والهيئات[٢].

---

(١) للمزيد حول تاريخ الجنوب العربي بعد الاستقلال ٦٧م؛ ينظر: عوبلي، **مصدر سابق** (ص ٩٨- إلى آخر الكتاب)، علي الصراف، **مصدر سابق** (ص ١٥١- إلى آخر الكتاب)، أحمد عبيد بن دغر، **مصدر سابق** (ص ٢٢٢-٢٨١)، سقاف الكاف، «**حضرموت عبر ١٤ قرناً**» (ص ٩٦-١١١)، عبدالولي الشميري (سفير اليمن لدى مصر حالياً) «**١٠٠٠ ساعة حرب**» (١: ٤٢-٦٧)، سيف علي مقبل، «**من تاريخ الحركة الوطنية اليمنية**» (ص ١٣٢- إلى آخر الكتاب).

(٢) «الجنوب العربي في هيئة الأمم»، **مصدر سابق** (ص ٤١-٥٧).

القرار الأخير للجنة تصفية الاستعمار:

قدمت لجنة تقصي الحقائق تقريرها إلى اللجنة الخاصة في ١ يوليو ١٩٦٣م، وعلى ضوء هذا التقرير انعقدت اللجنة الخاصة، وأصدرت توصياتها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة التي ناقشت تقرير اللجنة في ١١ من ديسمبر ٦٣م وأصدرت قراراتها بشان تحرير الجنوب العربي وتصفيته من الاستعمار(١).

وضع (الرابطة) بعد عام ١٩٦٣م:

لقد شعرت (الرابطة) بعزلتها داخل الجنوب اليمني، فحاولت التقرب من القوى الوطنية، فدعت أكثر من مرة لتحقيق وحدة القوى الوطنية، لكنها لم تلقَ استجابة من هذه القوى لعدم اقتناعها بمبادئ (الرابطة) التي تراها هي انفصالية، وكان للمؤتمر العمالي موقفاً عدائياً من (الرابطة) وصرح أمينه العام (عبدالله الأصنج): أن الخلاف مع (الرابطة) خلاف عقائدي! وأنها تريد فرض وصايتها على المؤتمر العمالي. وعلى ضوء هذا التصريح قام المؤتمر مع غيره من الهيئات الأخرى بإصدار بيان (برقية) بعثوا به إلى الأقطار العربية ينددون فيه بالرابطة، ويعلنون أن مكتبها السياسي في مصر لا يمثل قضية الجنوب العربي!

تغير الأوضاع في مصر؛ ١٩٦٦م:

ساءت الأوضاع السياسية في مصر بعد ذلك، واتجهت الحكومة المصرية إلى دعم الجبهة القومية في الجنوب، وتخلت الهيئات العربية عن دعم الرابطة. وفي أوائل يناير ١٩٦٦م، وجهت القاهرة دعوة إلى حزب الشعب الاشتراكي والجبهة القومية، وكان قحطان الشعبي متبوئا آنذاك منصب رئيس اللجنة التنفيذية للجبهة القومية، فقدم ومعه ثلاثة من أعضاء حزبه، وقدم ممثلاً لحزب الشعب: عبدالله الأصنج وعبدالقوي مكاوي،

---

(١) صلاح البكري، مصدر سابق (ص ١٦٧، ١٧٥).

اللذين رفض قحطان أن يجلس معهما على طاولة المفاوضات[١]! وما كان من الحكومة المصرية بعد ذلك إلا أن داهمت مكتب (الرابطة) في القاهرة، وقامت بمصادرة كافة محتوياته.

بريطانيا تعدل موقفها تجاه الرابطة:

بعد قيام الثورة في الشمال اليمني واندلاع الكفاح المسلح سنة ١٩٦٣م، وقفت (الرابطة) منه موقف الاستنكار والشجب، مما جعل البريطانيين يغيرون من موقفهم تجاهها، فبعد أن كانوا ينظرون إليها بأنها حركة متطرفة في أواسط الخمسينات، أصبحوا يعتبرونها معتدلة، وسمحوا بناء على ذلك لأمينها العام بالعودة إلى عدن ليعيد تنظيمها.

وسبق أن ذكرنا أنه في عام ١٩٥٩م، حينما دمجت عدن في اتحاد الجنوب العربي، أراد البريطانيون استرضاء الرابطة، فعرضوا على قيادتها العودة من المنفى، والاشتراك في الحكم، إلا أن قيادة (الرابطة) رفضت ذلك العرض، وفضلت الالتحاق بالمعارضة، مع الإبقاء على مسافة بينهما. وذلك ما يؤكده رئيس (الرابطة) السيد محمد الجفري بقوله: إن بريطانيا عرضت علينا السلطة، وأظهرت استعدادها لإنهاء حكم السلاطين، لكننا رفضنا ذلك، وطالبنا بالجلاء وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة[٢].

عودة سريعة إلى عدن؛ يوليو ١٩٦٦م:

بعد أن تقرر رحيل الاستعمار عن الجنوب، أعلنت الحكومة البريطانية إلغاءها لقرارات النفي في العام ١٩٦٤م، فصار من المخول لأعضاء (الرابطة) العودة إلى أوطانهم والتنقل بحرية فيها، فعاد في تلك السنة السيد شيخان الحبشي إلى عدن.

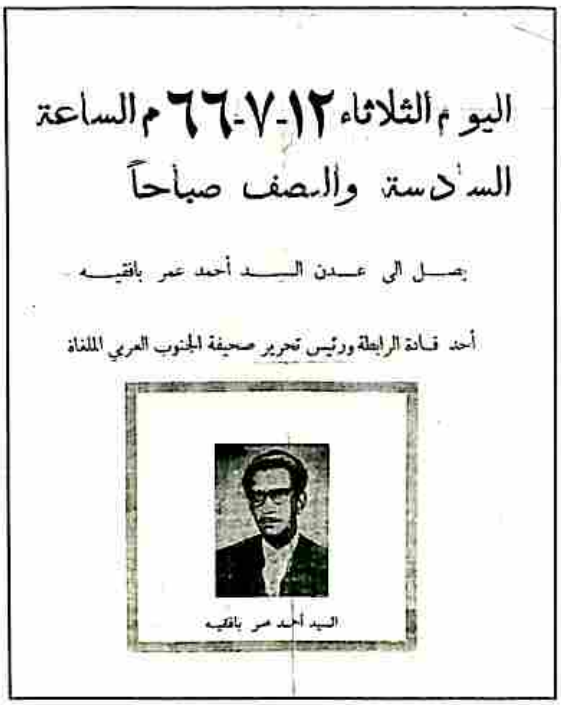
ثم تبعه الأستاذ بافقيه في ٢٤ ربيع الأول ١٣٨٤هـ (= ١٢ يوليو ١٩٦٦م)، وذلك

---

(١) علي الصراف، مصدر سابق (ص ١١٣، ١٤٧).

(٢) إبراهيم العبيدي، مصدر سابق (ص ١٤٨-١٤٩).

قبل إعلان الاستقلال بسنة وأشهر قلائل، لقد نشرت بعض الصحف العدنية خبر وصوله إلى مطار عدن، في الساعة السادسة والنصف من صباح ذلك اليوم، كان حدثاً تاريخياً، عودة المنفيين من الوطنيين إلى وطنهم بعد عشر سنوات من الاغتراب في الخارج.


اليوم الثلاثاء ١٢-٧-٦٦م الساعة السادسة والنصف صباحاً

يصل الى عدن السيد أحمد عمر باقيه

أحد قادة الرابطة ورئيس تحرير صحيفة الجنوب العربي الملغاة

السيد أحمد عمر باقيه

ولكن الاضطرابات في الجنوب بدأت في الازدياد، وكثرت حوادث القتل والاغتيال، والتمرد والعنف المسلح، فغادر الرابطيون عدن من جديد، واتجهوا صوب السعودية، وألقوا بها عصي الترحال، وكانت هناك خاتمة المطاف، بعد أن ضايقتهم الحكومات العربية، ولم يجدوا من يحتضن قضيتهم التي جاهدوا وعانوا وبذلوا الكثير من أجلها.

كتب السيد سقاف بن علي الكاف (ت ١٤١٩هـ) يقول في كتابه «**حضرموت عبر أربعة عشر قرناً**»[١]، تحت عنوان (وجهة نظر): «عندما انتظم أبناء الجنوب في إطار أول حركة وهي حركة **رابطة أبناء الجنوب العربي**، استبشر كل المخلصين من أبناء هذا القطر بهذه الحركة، ولا سيما أنها جمعت صفوة هذا المجتمع من الشباب المثقفين والمتعلمين في شتى فروع العلم، فأشعل هذا الحدث الكبير شمعة الأمل عند شعب الجنوب ومهاجري الجنوبيين، لكي يأخذوا حقهم ويتبوءوا مقاعدهم بين الأمم، ويعود الدور الذي لعبوه في نشر الإسلام في العالم، وسُرَّ الجميعُ بحقِّ تقرير المصير لهذا الشعب.

---

(١) (ص٩٤).

وما لبثت هذه القضيةُ تؤتي أكلها .. حتى دب الشقاق بين هؤلاء الرجال، ولا ندري على ماذا افتتنوا وتمزقوا أوصالاً، اللهم إلا إذا قلنا إن هناك أصابع أجنبية هي التي عبثت برؤوس بعض المتطلعين إلى القفز على السلطة، فأوجدوا منهم شيعاً وأحزاباً يدين البعض للغرب والبعض الآخر للشرق، وبدل أن يكون الولاء والإخلاص والعمل لبلادهم اتجهوا إلى العمالة لغيرهم، ووجهت ألسنتهم وأقلامهم وأسلحتهم لبعضهم البعض».

أنشطة الأستاذ بافقيه في مصر:

أقام الأستاذ بافقيه في مصر بضع عشرة سنة، قام خلالها بتدريس أبنائه وإلحاقهم بالجامعات المصرية، كما سعى هو والأستاذ شيخان الحبشي في توفير فرص تعليمية لأبناء الجنوب في الجامعات المصرية، وقام هو بالعمل ضمن فريق أعضاء حزب رابطة أبناء الجنوب، فعكف على الصحافة من جديد، وكان للإذاعة نصيب من نشاطه، كما سبق. كما كان يلتقي بالأدباء والصحفيين، وغيرهم من المثقفين، ويحضر الندوات والمؤتمرات الصحفية، وبالجملة، فقد كان وقته مملوءاً بالمفيد النافع، وحضر في إحدى المرات مؤتمراً للأدباء العرب في دولة الكويت، كما كانت مساهماته في تذليل الصعوبات للطلاب الجنوبيين مساهمات فعالة ومشكورة.

صحيفة النضال:

وفي مصر كانت للأستاذ رحمه الله تجربة صحفية جديدة، حيث أصدر صحيفة سماها (النضال)، ولكنها لم تصمد أمام التيار الإعلامي المصري الجارف. كانت تجربة طريفة، أترك الأستاذ يتحدث عنها بنفسه، قال رحمه الله: «كانت تجربة مضحكة، ومحل تندر من الأصدقاء، حيث ظهرت في الوسط الإعلامي مثل الذي يبيع الماء في حارة السقائين، كما يقول أشقاؤنا في جمهورية مصر العربية، وكما نقول في حضرموت: (**يبيع اللخم في سيحوت**).



الأستاذ بافقيه (يمين الصورة)، فالعلامة محمد بن أحمد الشاطري (كان في القاهرة للعلاج)، فالأستاذ محمد علي الجفري، ويبدو من الخلف الشيخ محمد بن فريد العولقي

لقد كانت القاهرة منذ أواخر القرن التاسع عشر مركزاً إعلامياً وفنياً مبهراً، وقد تتصور حجم الدهشة التي أصبت بها في القاهرة، أضواء وضوضاء وضجيج من كل لون وطيف، ففيها من المراكز الإعلامية ما لا يحصى أو يعد، ومن دور النشر والإذاعة وصناعة السينما والمسرح الشيء الكثير، وما يكفي لشغل وقت الناس عن مجرد صحيفة أصدرها بجهد ذاتي محض. وحدث أن تراجعتُ عن الاستمرار وتوقفت الصحيفة بعد صدور عددين أو ثلاثة على ما أظن، **وبهذه التجربة ختمتُ تجاربي الإعلامية، وقصَرتُ جُهدي على قراءة ما يصدر من صحف ومجلات.**

لقد أسميتها «النضال»، وإن لم تخني الذاكرة فقد كان صدورها بين عامي ١٩٦٢ – ١٩٦٤م[1]، لقد اتبعت في إصدارها نهج البساطة الذي اتبعته في تجاربي السابقة، دون أن

---

(١) يقول السلطان علي عبد الكريم: إن صدور النضال كان في عام ١٩٥٨م.

أحسب أو أقدر الظرف واختلاف الحيز الذي كنت فيه عن سنغافورا وإندونيسيا، ومن بعدُ عدن».

فلسفة الصحافة عند الأستاذ بافقيه:

ترك الأستاذ بافقيه قلمه يستريح بعد ذلك الجهاد الطويل مع الصحافة، وأنهى في هدوء علاقته بتحرير الصحف، لقد كان العمل الصحفي عند الأستاذ بافقيه رحمه الله ينطلق من مبدأ اجتماعي وفكري، ومواكبة العصر ومجريات أحداثه، كانت بداياته في زمن البساطة والبعد عن التعقيدات التي يعيشها أبناء اليوم.

ومن خلال ما يقصه الأستاذ رحمه الله حول عمله المحبب إلى نفسه في الصحافة يتضح لنا أنه لم يكن يطمح يوماً ما إلى أن تكون هذه المهنة تكسبه الغنى أو تجعل منه رجلاً ثرياً. ذلك أنه بعد أن يقوم بطبع الصحيفة يقوم بتوزيعها في أوساط الأصحاب والأصدقاء والأقارب، مقابل اشتراكات رمزية، وما فاض من الأعداد يوضع في المكتبات العامة، ومن هنا، فإن العائد المادي الذي قوامه الإعلان بالكاد العثور عليه إلا من جهات ترغب في دعم استمرار الصحيفة، هذا كل ما في الأمر.

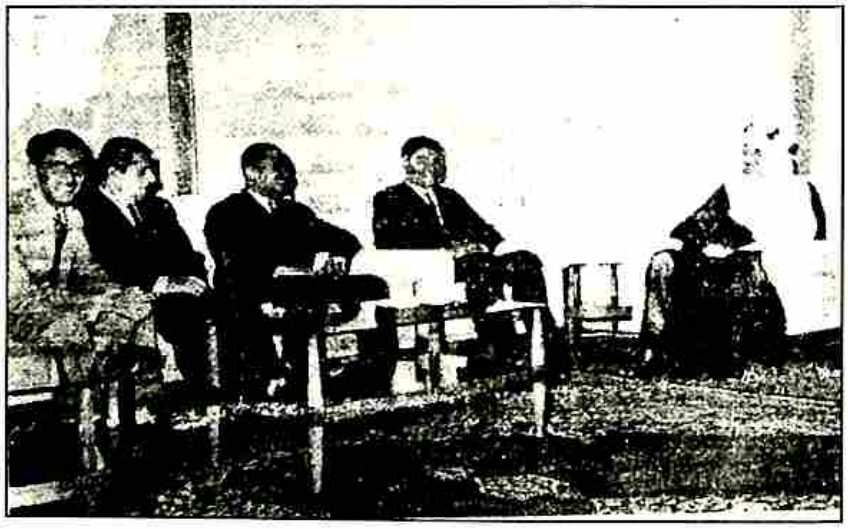
أما عن صحافة اليوم، فإن الأستاذ يسميها «صحافة الملايين»، لأن ما يصرف عليها يقدر بالملايين، قال عنها: «.. هنا جاء التطور التقني، إلى حد أن الصحيفة تصدر في وقت واحد وفي أكثر من مكان، وبالتأكيد عائداتها بالملايين، في أجواء الرصد الرهيب، والصرف المذهل على الدعاية والإعلان، ثم انظر إلى الجوائز المخصصة لقارئها التي هي الأخرى بعشرات الملايين».

(٦)

المحطة الأخيرة للأستاذ بافقيه (مدينة جدة)

(١٣٨٩-١٤٢٦ = ١٩٦٩ – ٢٠٠٥م)

قدم الأستاذ أحمد بافقيه إلى السعودية في المرة الأولى في عهد الملك سعود (توفي ١٣٨٨ هـ)، ثم ذهب إلى مصر وقضى بها سنوات، وبعدها عاد إلى السعودية، وكان توطنه وسكناه مدينة جدة في عهد الملك فيصل رحمه الله، وكانت بداية إقامته بالتحديد من سنة ١٣٨٩ هـ.



الرابطيون في ديوان الملك فيصل رحمه الله

عن يمين الصورة: الملك فيصل رحمه الله، فالسلطان علي عبد الكريم، فالسيد الجفري، فالشيخ محمد أبوبكر بن فريد، فالأستاذ بافقيه (أقصى اليسار)

قال الأستاذ رحمه الله ملخصاً رحلته بعد خروجه من عدن إلى أن قدم إلى جدة: «تطورت الأحداث، وحصلت مجابهات مع الإدارة البريطانية في المستعمرة، وجرى تباعاً وبطرق مختلفة إبعادنا عن عدن، كل في اتجاه، وذهبت أنا إلى مصر قبل التوجه بعد ذلك إلى المملكة العربية السعودية مع أسرتي، حيث لا أزال مقيماً فيها مع أبنائي وأسرتي، معززاً مكرماً كغيري من لدن ملوكها، الملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد طيب الله ثراهم جميعا، ثم الملك فهد أمد الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية».

مؤتمر المنظمات الإسلامية، مكة ١٩٧٤م:



في مؤتمر المنظمات الإسلامية العالمية
السيد سالم الصافي، والأستاذ أحمد بافقيه ممثلَين لرابطة أبناء الجنوب،
(ملاحظة: أخذت الصورة بعد مغادرة أكثر الحضور)

في شهر ربيع الأول ١٣٩٤هـ (= أبريل ١٩٧٤م)، انعقد بمكة المكرمة مؤتمر للمنظمات الإسلامية العالمية، وكان للرابطة دور وتواجد في ذلك المؤتمر، وحضره ممثلاً لها نائبُ الرئيس السيد سالم الصافي (نائب الرئيس)، والأستاذ أحمد بافقيه.

اهتمام رابطة العالم الإسلامي بشأن الجنوب:

بعد ذلك في شوال ١٣٩٤هـ (= نوفمبر ٧٤م)؛ تلقى الأستاذ أحمد بافقيه خطاباً من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، الشيخ محمد صالح قزاز[١] رحمه الله، برقم (٣/ ٥٤٢٣)، بتاريخ ٢٨ شوال ١٣٩٤هـ، هذا نصه:

«صاحب السعادة **الأستاذ أحمد عمر بافقيه**، الموقر.

الأمانةَ العامة لرابطة أبناء الجنوب العربي، جدة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشير إلى خطابكم المؤرخ ١/ ٨/ ١٣٩٤هـ، بشأن اللجنة المرشحة لتأليف كتاب عن أوضاع الجنوب العربي، وتفضلكم بترشيح الأساتذة: سالم عمر الصافي، شيخان الحبشي، أحمد عمر بافقيه، محمد أحمد الشاطري، الدكتور محمد علي البار[٢]، للاضطلاع بهذه المهمة، فنأمل التكرم بالاتصال بسعادة الأستاذ محمد صفوت السقا، أمين المدير العام المساعد للرابطة في مكتبه برابطة العالم الإسلامي بمكة، لإتمام الإجراءات اللازمة بهذا الخصوص، راجين من الله للجميع التوفيق لما يحبه ويرضاه.

وتقبلوا فائق تحياتنا ،،

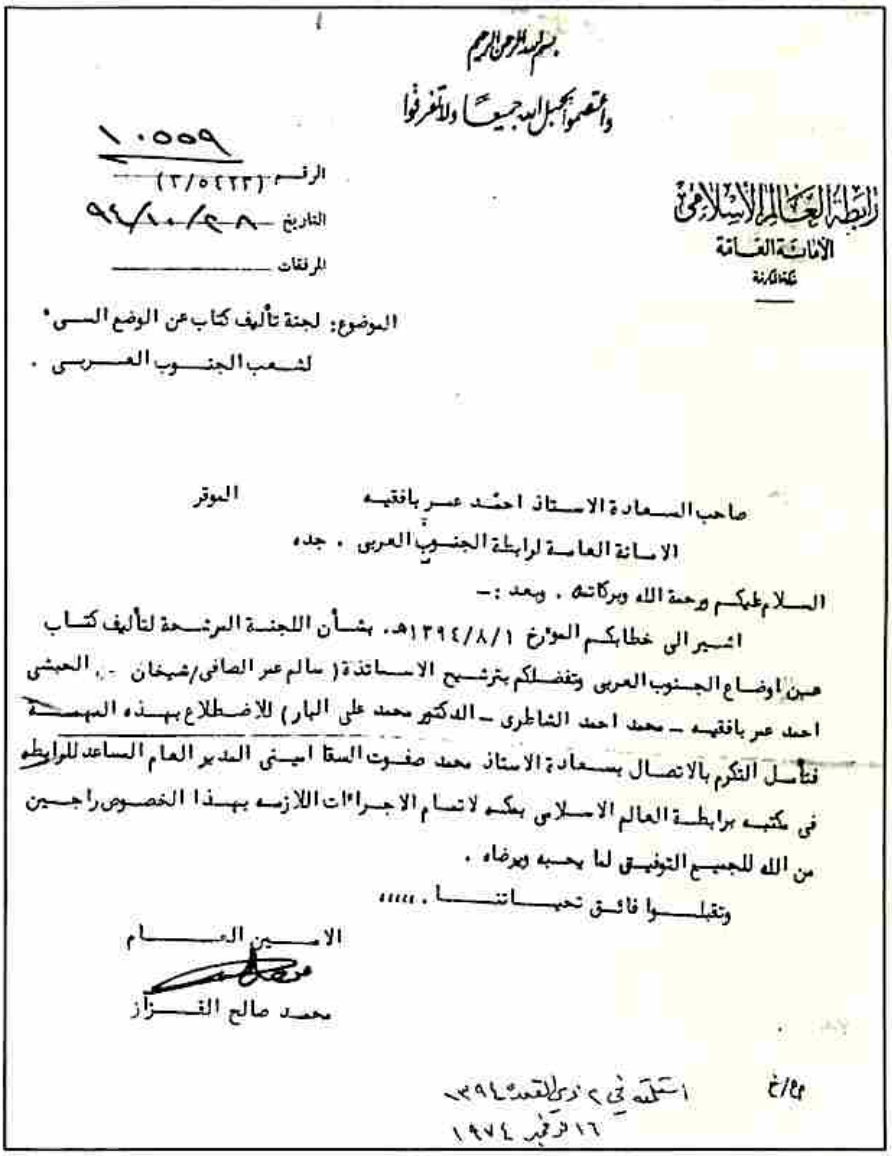
الأمين العام / محمد صالح القزاز».

---

(١) ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م)، وشغل عدة مناصب في وظائف الدولة، وكان مديراً لمشروع توسعة الحرم، ثم أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي، منحته الدولة رتبة وزير مفوض تقديراً لجهوده، ينظر: نزار أباظة ورياض المالح «**إتمام الأعلام**» (ص ٢٤٣).

(٢) كتب **الدكتور البار** بعد أن اطلع على هذا الخطاب: «لم أعلم بهذا الاقتراح من السيد أحمد عمر بافقيه، ويبدو أنه توسم فيَّ الأهلية لذلك، ولما لم يتم لم يخبرني به».

كتب الأستاذ في ركن الخطاب الأسفل: «استلمته في ٢ ذي القعدة ١٣٩٤هـ، ١٦ نوفمبر ١٩٧٤م».



بسم الله الرحمن الرحيم

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة
مكة المكرمة

الرقم ١٠٥٥٩ (٣/٥٤٢٣)
التاريخ ٩٧/١٠/٢٨
المرفقات

الموضوع: لجنة تأليف كتاب عن الوضع السي في شعب الجنوب العربي .

صاحب السعادة الاستاذ احمد عمر بافقيه المؤقر
الامانة العامة لرابطة الجنوب العربي . جده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :-

اشير الى خطابكم المؤرخ ١٣٩٤/٨/١هـ. بشأن اللجنة المرشحة لتأليف كتاب عن اوضاع الجنوب العربي وتفضلكم بترشيح الاساتذة (سالم عمر الصافي/شيخان ـ العيشي احمد عمر بافقيه ـ محمد احمد الشاطري ـ الدكتور محمد علي البار) للاضطلاع بهذه المهمة فنأمل التكرم بالاتصال بسعادة الاستاذ محمد صفوت السقا امين المدير العام المساعد للرابطة في مكتبه برابطة العالم الاسلامي بمكة لاتمام الاجراءات اللازمة بهذا الخصوص راجين من الله للجميع التوفيق لما يحبه ويرضاه .

وتقبلوا فائق تحياتنا . ،،،،

الامين العام
محمد صالح القزاز

ع/ع/خ استلمته في ٢ ذي القعدة ١٣٩٤هـ
١٦ نوفمبر ١٩٧٤

صورة لخطاب الشيخ القزاز أمين رابطة العالم الإسلامي

بافقيه يؤبن رفيق دربه السيد محمد علي الجفري؛ جدة ١٩٨٠م:

وبعد كفاح وجهاد، وطول انتظار لانفراج أزمة الوطن، سافر السيد محمد علي الجفري إلى بغداد، وبأرض الرافدين وافته منيته، في ١٣ جمادى الأولى من عام ١٤٠٠هـ. وطويت بموته صفحة من صفحات تاريخ الجنوب العربي، وفقدت رابطة أبناء الجنوب زعيمها الروحي، ومؤسسها العالم الأزهري. وأقيم له حفل تأبيني في مدينة جدة، حضره لفيف من علماء وأعيان حضرموت في المهجر. وكان من بين المؤبنين للفقيد، الأستاذ أحمد بافقيه، رفيق الدرب، وصديق العمر، الذي رثاه بكلمات مؤثرة، ومعبرة عما يكنه له من حب وإخلاص:



الأستاذ بافقيه يلقي كلمة في حفل للمغتربين اليمنيين بجدة ؛ وعن يساره الشيخ محمد بن فريد، وعن يمينه: السلطان علي عبد الكريم، فالسيد محمد علي الجفري

«**أيها السادة الكرام!** ليس هذا الذي ستسمعونه الآن مني خطاباً ولا تأبيناً، ولا ترجمة لفقيدنا الغالي، وإنما هو دموع حبيسة، أردت لها أن تنسكب فتغسل بعض لـواعج الأحـزان والأشجان التي جثمت على صدري، فإذا بهذه الدموع تسح، فتتجسد في حروف وكلمات.

أيها السادة! لقد كان من المتوقع أن تلبس هذه الدار في مثل هذه الليلة حلة ذات بهجة وروى، فرحاً بعودة بطلنا من معركة الكفاح الشريف، ظافراً بإكليل الغار، لكي يستريح هنيهة يطرح فيها عن كاهله بعض الوعثاء الذي لاقاه في رحلة الكفاح والجهاد، ويستجم نشاطاً مجدداً لمواصلة السير، لاجتياز المراحل التالية.

أجل! ذلك ما كان متوقعاً، لولا أن تلفّت مركبُ القافلة، فإذا به يفقِد فجأة وعلى حين غِرة، قائدَ القافلة، ورائدَها المرموقُ إليه، والمناطةُ به الآمال،فإذا الأنفاس تصعد وتهبط، إشفاقاً وهلعاً، وإذا القلوب خواء، وإذا الأماني مصوحة، والآمال ذاوية، ولا حول ولا قوة إلا بالله . لقد اختلس القدر ركن القافلة الركين، واختطفت المنية الروح النابضة في الركب، فالقلوب حيرى، تشعبت السبل أمامها، والنفوس ولهى، فاضت الدموع بمآقيها، تبكي في الفقيد الغالي: العلم الغزير، والاستقامة التامة، والإخلاص الفذ، والحركة الدائبة في خدمة الوطن وأبنائه. وتندب فيه الأخلاق السامية، ومثالَ تلاشي الذات في خدمة المصلحة العامة. فلقد والله تحامل على عصبه ولحمه ودمه في سبيل ذلك كله، فآدته وثقلت على جسمه مطامح روحه، فقضت عليه!

لله أنت أيها الرجل المبكَى عليه! بالأمس كنت تعمل معنا لتحقيق يوم النصر، وتشاركنا الآراء والأعمال وإعداد العدة ليوم الزهو والافتخار، حتى إذا كاد يقترب موعده اختفيت عن الأنظار. ولَكَمْ كنا نود أن يكون ابتهاجنا وسرورنا مضاعفاً وعظيماً لو طال الأجل، وكنت تطالعنا بطلعتك البهية، فتشاهد نتيجة جهادك وثمرة غرسك . أتراك من فرط إخلاصك لله والوطن في جهادك، ورغبة في أن لا يشوب جزاءَك غيرُ ثواب الله، أديتَ واجبك على أتمه وأكمله، حتى إذا اقترب الموعد الذي تسمع فيه ثناء المثنين، وإطراء المطرين، تواريت عن الأنظار، واحتجبت عن الأبصار، مبالغة في أن يكون عملك لله وحده!

لله أنت أيها الفقيد الغالي! بالأمس كان يرتفع صوتك داوياً من هذا المكان، ويجلجل من هذا الدار، تلقي على أبناء وطنك دروس الوطنية . واليوم أين؟ أين ذلك الصوت الذي كانت تهش له الأسماع وتنفرج القلوب ؟ وخزي العدو فيخسأ طريداً مدحوراً . كلا، كلا! إذا كان ذلك الصوت لم يعد يمتزج بالأثير ولم تعد تحمله إلى أسماعنا موجات الهواء، فإن دروسك الوطنية لم تنقطع عنا، وإنما ارتفعت بها من حدود نطاقها الضيق إلى مجال أوسع وأفسح. فلئن كنت تلقيها على أناس محدود عددهم، وكانت تحبسها الجدران، اليوم تلقى دروسك علينا جميعاً، لا يحدنا نحن عدد، ولا يحبسها هي جدر.

تعلمنا كيف يكون العظيم عظيماً وهو في التاريخ أبلغ في العظمة والدرس منه وهو في عالم حياة الأجساد . تعلمنا كيف أن بكاء الباكين ولوعة الملتاعين على فقد العظيم، إنما يكون على قدر نفعه، وأحب الناس إلى الله أنفعهم لعباده . تعلمنا كيف تكون القدوة الصالحة في جميع نواحي العظمة، فكأنما القدر إنما أوجدك لحكمة خفية، هي أن يجسد منك مثالاً حيّاً من لحم ودم يحتذيه الناس من بعده، حتى إذا ضربت من نفسك هذا المثل.. انتهت مهمتك في الحياة!

وبعد؛ فلشدّ ما وددت أن أطيل القول في تعدد فضائلك وعرض مناقبك، ولكن أنى لي ذلك، ومجال الوقت يضيق على استيعاب ذلك، وإنما هي زفرة كاوية، ونفثة مصدوم، فاض بها الشعور الدامي، نفست بها عن بعض ماجدّ في نفسي من لواعج الأشجان والأحزان، التي تكاد تعصف بالحنايا من الضلوع. وان العين لتدمع، وان القلب ليحزن وإنا لفراقك يا محمد بن علي الجفري لمحزونون إلا ما قال الصابرون: إنا لله وإنا إليه راجعون.

صبّ الله على جسدك سحائب الرحمات، ورفع درجاتك في علياء السماوات، لقاء ما قدمت في حياتك من أعمال، وتركت من آثار خالدات، وأسكنك في عليين بجوار جدك

المصطفى ﷺ وسلفك الصالحين»[١].



الرابطيون في مكتب جدة: الجالسون (من اليمين): الأستاذ بافقيه، فسالم الصافي، ثم شيخان الحبشي.
فمصطفى بازرعة (الواقف من اليمين)، وعن يمينه: محمد ابن عجرومة،
ويظهر من الخلف السلطان علي عبدالكريم.

.. في جدة؛ لم يبق له شيء يذكِّره بماضيه السياسي سوى مكتب صغير في جدة لحزب الرابطة، كان يجتمع فيه مساء كل يوم بأعضاء الرابطة، من الرئيس سالم الصافي، والسلطان علي عبد الكريم العبدلي، ومحمد ابن عجرومة، وغيرهما من الأعضاء.

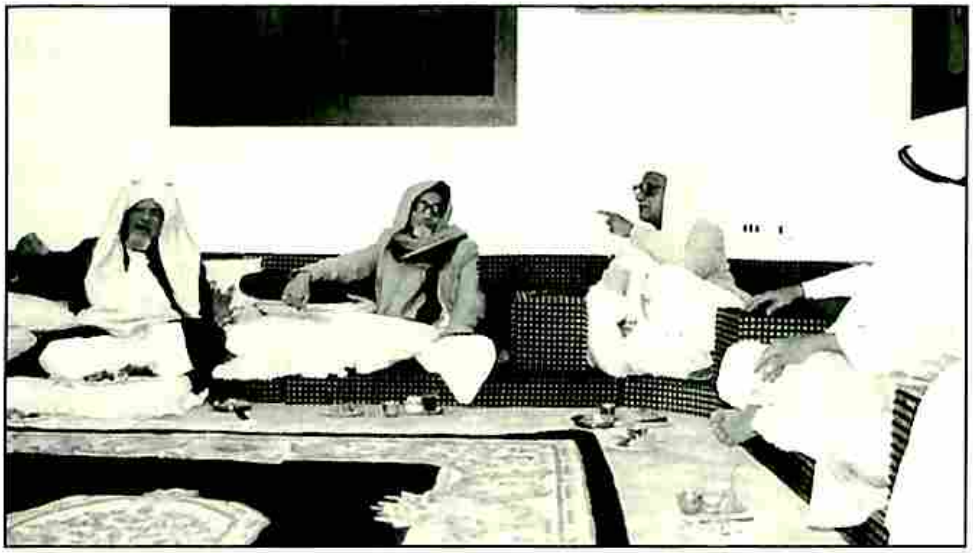
ندوة الأربعاء بجدة:

وكان هناك مجلس أسبوعي (كل أربعاء) يجمعه بصفوة من أعيان حضرموت في مهجرهم السعودي، كان يعقد في منزل السيد محسن بن علوي السقاف، يحضره من العلماء الأجلاء: الحبيب عبدالقادر السقاف، والعلامة الأستاذ الكبير محمد الشاطري، والسيد علي

---

(١) عبد الرحمن علي الجفري، «**محمد علي الجفري، مسيرة شعب وزعيم**»:ص٧٥، وهذا التأبين ألقي في ختم العزاء الذي أقيم له في جدة، ليلة الجمعة: ١٦/ ٦/ ١٤٠٠هـ.

ابن عبدالله بن سميط، وكان من أبرز الحضور فضيلة السيد حامد بن أبي بكر المحضار (وزير القعيطي السابق)، والسيد محمد البيض، والسيد عيدروس المحضار، والشيخ محمد باشيخ، والشيخ سالم عبيد باحبيشي، وربما حضره الشيخ الوزير عبدالله بلخير، وغيرهم كثير.



الأستاذ بافقيه يتحدث في ندوة الأربعاء؛ بمنزل السيد محسن بن علوي السقاف، وعن يمينه العلامة محمد الشاطري، فالحبيب عبدالقادر السقاف

* هذه الصورة مهداة من السيد محسن بن علوي السقاف

كان هذا المجلس تدار فيه شتى الأحاديث والمواضيع، حافلاً بالآراء، في جو من المحبة والألفة والصفاء والإخاء، الجميع في مهجر، الجميع بعيد عن الوطن، رحمهم الله جميعاً، لقد توفي الأكثرون، حتى أن صاحبَ المنزل السيد محسن بن علوي السقاف أخبرني: أنه أصبح يصعب عليه الدخول إلى غرفة ذلك المجلس، لما يشعر به من الألم لفراق تلك الصفوة من الرجال! إنه شعور نبيل[1].

---

(١) في «مذكراتي ومختاراتي» للسيد محسن بن علوي السقاف معلومات مفيدة عن معظم الشخصيات التي ذكرت بالأعلى، ينظر (ص ٢٩٨ وما بعدها).

استقباله الباحثين في منزله بجدة:

كان الأستاذ يفرح ويسعد بمن يزوره في بيته، وكان يستقبل الضيوف بنفسه، وقد أفاد منه عدد من الباحثين والمؤرخين المعاصرين، من أبرزهم: **الدكتورة دلال بنت مخلد الحربي**، التي كتبت رسالة الدكتوراة عن (علاقة سلطنة لحج ببريطانيا بين عامي ١٣٣٧ – ١٣٧٨)، وتلقت منه معلوماتٍ شفويةً هامةً، أودعتها كتابها المرجعي الهام «**علاقة سلطنة لحج ببريطانيا (١٣٣٧ ـ ١٣٧٨هـ = ١٩١٨ ـ ١٩٥٩م)**».

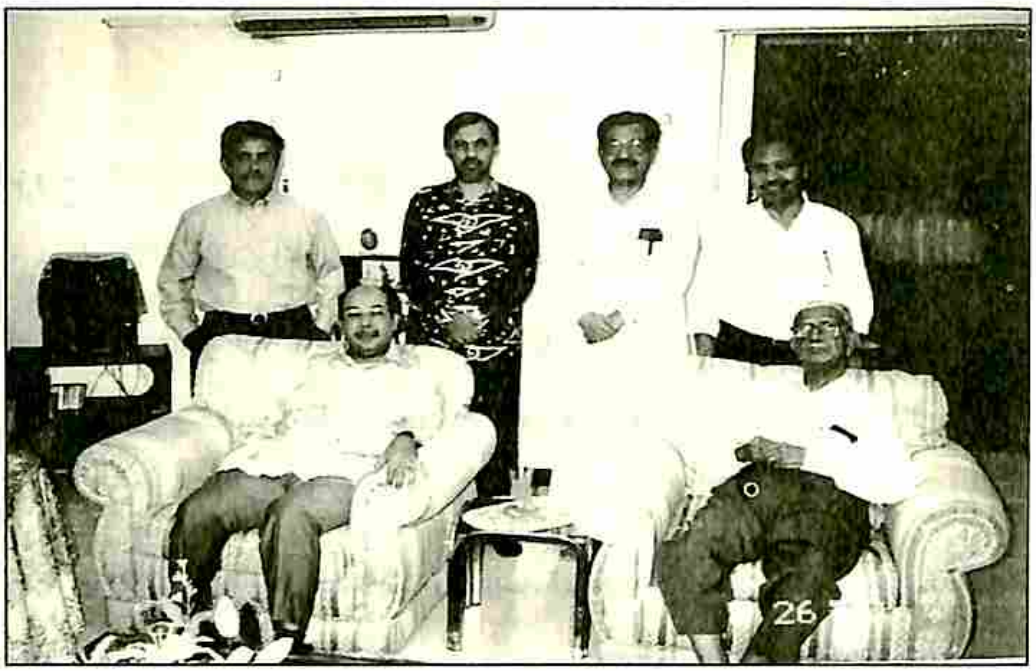


مع الأستاذ بافقيه قبل شهر من وفاته، ويتوسطنا الأخ عبدالعزيز باحفظ الله

ومنهم: **الدكتور يعقوب بن يوسف الحجي**، من الكويت، أفاد من الأستاذ بافقيه في تأليف كتابه عن حياة (الشيخ عبدالعزيز الرشيد)، العالم والأديب الكويتي الذي عاش في إندونيسيا ومات بها، وكان مبتعثاً من قبل الملك عبدالعزيز آل سعود، وأصدر صحيفة (الكويت وعراقي) الشهيرة متعاوناً مع السائح العراقي (يونس البحري)، والتي كانت تصدر متزامنة مع صحيفة «العرب»، وهذا الكتاب مطبوع.

وكان من أبرز الشخصيات التي زارته في أخريات أيامه، **السيد حامد جعفر البار**،

وزير خارجية ماليزيا الحالي، وابن صديقه القديم السيد جعفر البار، وكانت هذه الزيارة بتاريخ ٢٦/ ٥/ ٢٠٠٠م.



الأستاذ بافقيه وعن يمينه وزير خارجية ماليزيا السيد حامد جعفر البار، وخلفهما أبناء بافقيه: عبدالله وعمر وعلي وزيد.

الأستاذ بافقيه رئيساً للرابطة:

بعد وفاة السيد محمد الجفري، انتخب السيد سالم عمر الصافي رئيساً للرابطة، وظل شيخان الحبشي أميناً عاماً إلى وفاته في ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٥م، بعد ذلك: عين أحمد بافقيه أميناً عاماً ونائباً للرئيس، وبوفاة السيد سالم الصافي بألمانيا مطلع العام الهجري ١٤٢٥هـ (فبراير ٢٠٠٤م)، أصبح السيد أحمد عمر بافقيه رئيساً للرابطة، إلى وفاته.

أسرة الأستاذ بافقيه وأبناؤه

تزوج الأستاذ أحمد في سنغافورا زواجه الأول، من السيدة خديجة بنت السيد السري يحيى ابن شهاب(*)، وقد رافقته في جميع رحلاته وأسفاره، وكانت وفاتها في مدينة جدة.

أعقب الأستاذ رحمه الله ستة من البنين وثلاث بنات جميعهم أشقاء، وقد تخرجوا في الجامعات المصرية، وحصلوا على الشهادات الجامعية في مختلف التخصصات، وهم على الترتيب:

١- **زيد**: حاصل على ليسانس الآداب، الأدب الإنجليزي، من جامعة القاهرة.

٢- **عمر**: حاصل على ليسانس الحقوق، من كلية الشرطة.

٣- **حسن**: تخرج في كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

٤- **محمد**: تخرج في كلية الزراعة، جامعة القاهرة.

٥- **علي**: تخرج في كلية الزراعة، جامعة القاهرة.

٦- **عبدالله**: تخرج في كلية الهندسة، جامعة حلوان، مصر.

أما بناته الثلاث: فالكبرى زوجة السيد خضر بن يوسف بن محمد صالح ابن عبدالمعبود الكاظمي الموسوي، (وهو من أسرة عراقية الأصل، هاجرت إلى إندونيسيا، ثم إلى الحجاز، وتربطهم بالأستاذ رحمه الله روابط إخاء وصحبة قديمة). **والثانية**: زوجة السيد

(*) وكانت أختها الكبرى (غير الشقيقة) هي زوجة الأستاذ القدير الأديب طه بن أبي بكر السقاف محرر وناشر صحيفة «النهضة الحضرمية» و«صوت حضرموت».

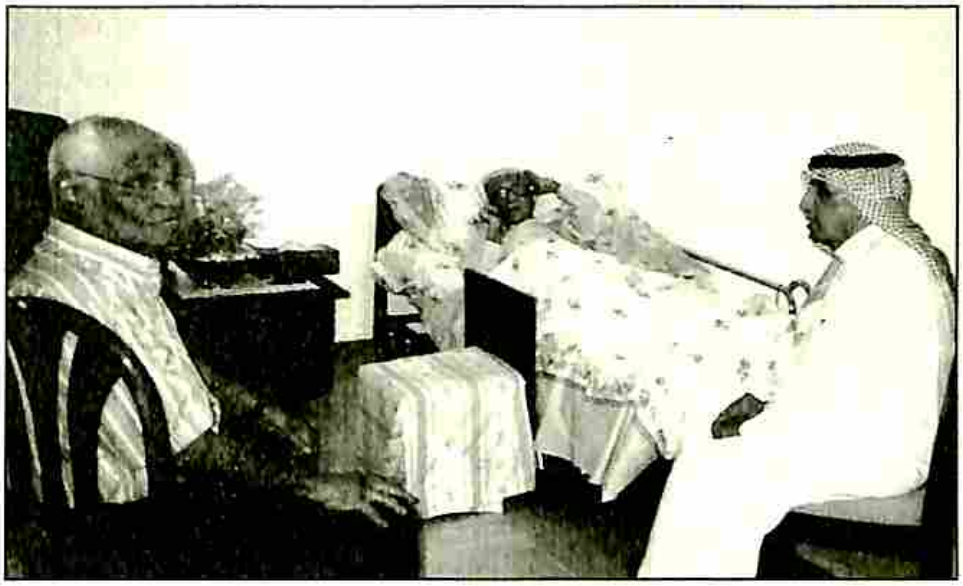
علي بن عبدالله العيدروس، (كان والده السيد عبدالله بن عمر بن زين العيدروس من رجالات الدولة الكثيرية بتريم)، وتوفي بجدة. **والثالثة**: زوجة السيد حسن العطاس؛ والجميع بمدينة جدة.

* * *



الأيام الأخيرة في حياة الأستاذ بافقيه

عاش الأستاذ رحمه الله في شقة في حي الكندرة، لسنوات عديدة، ثم في عام ١٤٢٠ انتقل إلى شقة جديدة في حي الفيحاء الجديد (المطار القديم)، وكان يعاني خلال هذه السنوات من رعشة خفيفة، ومواظباً على استعمال بعض الأدوية المهدئة للأعصاب منذ فترة طويلة، تعود إلى أحداث سجنه في شرق آسيا، وقد أثرت عليه سلباً في أخريات حياته.



السلطان علي عبد الكريم العبدلي (على اليسار)، والمناضل محمد بن عجرومة (على اليمين) في زيارة للسيد أحمد بافقيه في أيامه الأخيرة

ومنذ أن عرفته من عام ١٤١٥هـ، وهو يتردد على الأطباء بصفة دورية، ثم قبل وفاته بنحو سنة أقعد ولم يعد قادراً على المشي، فكان يأتي به أحد أبنائه من غرفته الخاصة إلى غرفة استقبال الضيوف على كرسي متحرك، ثم تدهورت صحته كثيراً، حتى كان انتقاله إلى الدار الآخرة ظهر يوم السبت ٣٠ صفر ١٤٢٦هـ (= ٩ أبريل ٢٠٠٥م)، ودفن مساء ذلك اليوم

في مقبرة بحي الفيصلية بمدينة جدة، رحمه الله تعالى وغفر له، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

نعيه وكلمات التأبين التي قيلت فيه:

نشر نعيه في اليوم التالي في عدد من الصحف السيارة، منها: (نعي أعضاء الهيئة التنفيذية المركزية لرابطة أبناء الجنوب، وجميع أعضاء الرابطة)، نشر في الصفحة الثانية من العدد (٤٤٥٢) في صحيفة «الأيام» العدنية، وفي العدد الصادر يوم الاثنين ١١ أبريل من صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية.

ونشرت «الأيام» العدنية في عددها (٤٤٥٥) بتاريخ الأحد ٥ ربيع الأول (= ١٤ أبريل) تعزية مقدمة من: (أحمد عبده حمزة، والشيخ محمد سعد العمري، وجميل يوسف، ومحمد علي هادي، وعلي عوض كازمي، وعلي محمد السليماني، وصالح أحمد البابكري، ومحمد علي سليمان، ورواد منتدى السليماني بالعريش، عدن).


وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

نعـــــي

أعضاء الهيئة التنفيذية المركزية
لرابطة أبنـــاء الجنـــوب
وجميع أعضاء الرابطة

ينعون ببالغ الحزن والأسى
نائب رئيس الرابطة
الفقيد

السيد/ أحمد عمر أحمد بافقيه

الذي وافته المنية يوم السبت
30 / 2 / 1426 هـ الموافق 9 أبريل 2005م
بالمملكة العربية السعودية
ويعزون الشعب اليمني
ويسألون الله العلي القدير أن يسبغ عليه رحمته ويسكنه فسيح جناته

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

يتقبل العزاء بمنزل ، أبناء الفقيد بجدة
بعد صلاة المغرب بحي الفيحاء رقم 2 المطار القديم بجوار
مسجد الفاتح - شارع يعقوب بن عمر
اعتباراً من يوم الأحد 1 / 3 / 1426هـ الموافق 10 / 4 / 2005م
أو على هاتف ، 6317647 - 6319055 جوال 0500705275

وكتب الأستاذ علي محمد السليماني مقالاً في «الأيام» ،أورد فيه ترجمةً مختصرةً للأستاذ، ومما جاء في هذا المقال (مع بعض اختصار):

«السيد أحمد عمر بافقيه، نائب رئيس الرابطة، وأحد الرواد القلائل الذين تجاوزت عطاءاتهم مساحة الوطن، وحمل مشعل النور والتنوير من سنغافورا وإندونيسيا إلى الشعب العربي في الجنوب.

الكثير من أبناء الوطن اليوم لا يعرفون شيئاً عن جهاد هؤلاء الرواد، ومن واجب أبناء الوطن، لا سيما من تتوفر لديهم ملكة الكتابة، البحث عن هؤلاء في بطون الكتب، وعلى صفحات الجرائد في عصورها الزاهرة خلال عقود الأربعينات والخمسينات والستينات من القرن الماضي.


2 الأيام 11 أبريل 2005

نعي

أعضاء الهيئة التنفيذية المركزية
لرابطة أبناء الجنوب
وجميع أعضاء الرابطة

ينعون ببالغ الحزن والأسى
نائب رئيس الرابطة

الفقيد
السيد أحمد عمر أحمد بافقيه

الذي وافته المنية يوم السبت 1426/2/30هـ الموافق 9 أبريل 2005م بالمملكة العربية السعودية جدة

ويعزون الشعب اليمني ويسألون الله العلي القدير
أن يسبغ عليه رحمته ويسكنه فسيح جناته
ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان

إنا لله وإنا إليه راجعون

يتقبل العزاء بمنزل أبناء الفقيد بجدة بعد صلاة المغرب بحي الفيحاء رقم «2» المطار القديم بجوار مسجد الفاتح شارع يعقوب بن عمر اعتباراً من يوم الأحد 1426/3/1هـ الموافق 2005/4/10م
أو على هاتف: 6317647-6319055 جوال: 0500705275

وقد أحسنت صحيفة «الأيام» وناشراها بإفساح المجال للكتاب والصحفيين لاستعراض بعض ملامح ما اندثر أو تم التعتيم عليه لغايات لم تعد غير معروفة لنا اليوم.

من خلال ما تقدم عن السيرة الذاتية لهذه الشخصية الوطنية التي تتعدد مجالات ريادتها من الصحافة والتعليم والثقافة والدعوة إلى الله والإذاعة، تتضح فداحة الظلم في بلدنا بحرمانه من خبرات هؤلاء القادة الذين كانوا السباقين إلى تحرره من الجهل والمرض والفقر والاستعمار والتجزئة، وبذروا مبادئ الحرية والاستقلال، وكان جزاؤهم النفي والتجاهل، ولكن .. هيهات، فقد سجلوا تاريخهم بأحرف من نور الحقيقة، وضمته دفات الكتب، وقريباً إن شاء الله ستظهر الأيام ما حاول البعض طمسه والاحتيال عليه، وبالله التوفيق».

وإني أقول معقباً على هذه المقالة: أرجو أن يكون في هذه الصفحات التي (بيضتها) بذكر أخبار هذه الشخصية الفذة، بعض العزاء عما فقد أو أضيع من أخباره ومذكراته، ورحم الله أخاً أهدى إليَّ عيوبي، وبصرني بما أخطأت فيه، ورحم الله الأستاذ أحمد بن عمر رحمةً واسعة، وأجزل مثوبته، لقاء ما قدم لهذه الأمة عامة، ولبني قومه خاصة، وعوض الإسلام والمسلمين عن فقده خيراً ..

* * *



تصحيح أخطاء تاريخية
حول تاريخ الصحافة العربية الحضرمية في المهجر
لبعض الكتاب اليمنيين المعاصرين

أثناء متابعة سيري في كتابة صفحات هذا الكتاب، كنت أراقب الجديد من الإصدارات حول الصحافة العربية في اليمن، ووقع نظري مؤخراً على كتاب أسماه مؤلفه الأستاذ عبدالوهاب بن علي المؤيد «**موسوعة الصحافة اليمنية**»(١)، وهذا الكتاب نتاج جهد مضن وشاق، وكما قيل لا يعرف الشوق إلا من يكابده. لقد جمع المؤلف معلومات قيمة عن الصحافة اليمنية في الوطن والمهاجر، وكان للمهجر الإندونيسي نصيب الأسد من الحديث عن صحافته.

واستغرق حديثه في وصف «**صحيفة العرب**» حوالي أربع صفحات، ثم ثلاث صفحات عن «**صحيفة السلام**»، وفيها إفادات مشكورة، وقد أبدى رأيه وأظهر إعجابه بـ«**صحيفة العرب**» في قوله: (**هذه الصحيفة من أشهر مطبوعات الصحافة اليمنية الحضرمية في المهجر!**).

ومن تقييم الأستاذ المؤيد لـ«**صحيفة العرب**» ننقل هذه العبارة إتماماً للموضوع، وجمعاً لأشتاته، قال:

---

(١) صدر عن نقابة الصحافيين اليمنيين بصنعاء، في طبعته الأولى لعام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ويقع في (٦٨٨) صفحة، وقدم له رئيس الوزراء اليمني (السابق) عبد القادر باجمال، وقد حصلت على نسخة من هذا الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب للعام ٢٠٠٧م.

ومع أن «**العرب**» آثرت أن تصف نفسها بصفة عربية أسبوعية جامعة، دون صفات أخرى، مثل: سياسية، أو اجتماعية، أو أدبية، إلخ. فإن فيها ـ على الأقل بمقياس فترتها ـ ملامح ومؤشرات واضحة وكافية لأن تجعلها مؤهلة لكل هذه الصفات (سياسية اجتماعية أدبية)، ومن خلال اهتماماتها بالأحداث والتطورات العربية، وبما تنشره من مقالات وموضوعات في مجال الأدب والشعر. كما أن هذه الاهتمامات العربية، لا تفسر أو تبرر للصحيفة هذه عروبة الاسم والصفة فقط، بل ترقى إلى ما يمكن وصفه بالاتجاه القومي، ولكن بالمفهوم العام لهذه الصفة، لا المفهوم التنظيمي لها، وبالصبغة الدينية العامة أيضاً. انتهى.

لكن المؤلف الفاضل وقع في أخطاء تاريخية تتعلق بـ«**صحيفة العرب**»، أما «**صحيفة السلام**» فقد كانت معلوماته عنها صحيحة ومطابقة، لذا رأيت أن من واجبي التنبيه على ما ورد في هذا الكتاب لأنه مرجع تاريخي مهم في بابه، لاستيعابه وشموليته عن غيره من المراجع الأخرى. وإن كثيراً من هذه الأخطاء أرى أن المؤلف الفاضل إنما تبع فيها مصادره التي نقل عنها، لأنه لم يطلع على الصحيفة بنفسه، وقد قال في (ص ٩٤): (وفي إطار المشكلة العامة لصحافة المهجر، وهي ندرة التوثيق الكامل لها معلومات ومطبوعات، يحدث القصور والنقص والخلط في مراجعها المتوفرة، وسأحاول مناقشة هذه المشكلة وآثارها في المكان المناسب، وبصفة عامة، والمهم هنا: ما يتعلق بهذه الصحيفة، حيث ظهرت مفارقات وتناقضات في الجوانب الخاصة بتوثيقها لدى بعض المراجع ..) إلخ. وعلى كل حال فهذا يدل على أن المؤلف حاول الاستقصاء والوقوف على جلية الأمر ما استطاع، وله الشكر على هذا المجهود.

وهذه ملاحظاتي:

١ - نقل الأستاذ المؤيد (ص ٩٣) عن مصادره: أن صاحب امتياز «**صحيفة العرب**» هو (أحمد بن عبدالله العلوي)! وهذا خطأ، فإن صاحب الامتياز هو الأستاذ أحمد بن عمر

بافقيه، وقد ذكره في نفس الصفحة بعد سطرين فقط. وقد أورد المؤلف الفاضل تساؤله وتشككه في صحة هذه المعلومة في (ص ٩٥)، مما يدل على عدم تقبله لتلك المفارقة غير المقبولة. وأرى أن هذا الخطأ وقع فيه قبله من اطلع على مصورة لبعض أعداد «**صحيفة العرب**»، وكان التصوير سيئاً إلى درجة أن تصحَّفَ الاسم من (أحمد بن عمر بافقيه) إلى (أحمد عبدالله العلوي)! وكرر خطأه في اسم الأستاذ بافقيه أيضاً في (ص ١٤٩) عند حديثه عن صحيفة «**الجنوب العربي**» فسماه (محمد بن عمر)، وهذا خطأ آخر.

٢- تاريخ صدور أول عدد: ذكر الأستاذ المؤيد في نفس الصفحة (نقلاً عن د. الزين ص ١٦٩) أن تاريخ صدور أول عدد من «**صحيفة العرب**» كان في ديسمبر ١٩٣١م، وهذا خطأ، والصواب: أنه صدر في الأول من أكتوبر عام ١٩٣١م.

٣- وفي آخر الصفحة نفسها: ذكر أن الصحيفة صدرت في (٨) صفحات، وهذا صحيح، ولكن تحديده أنه طبع منها (٣٠٠٠) نسخة أمر غريب، لا أدري ما هو مصدره فيه، ولم تأت في الصحيفة إشارة لذلك لا من قريب ولا من بعيد!

٤- في (ص ٩٤) ذكر أن للصحيفة مراسلين في القاهرة وعدن والسعودية. وهذا غير صحيح، فلم يكن للصحيفة أي مراسلين، إنما كان الأستاذ رحمه الله يتتبع الأخبار من الصحف المصرية وغيرها، وكان الكتاب أكثرهم من سكان بلاد الملايو، وكان من بينهم السيد علوي بن عبدالرحمن السقاف الذي يوقع مقالاته باسم (السقاف المصري)، لأنه من خريجي المدارس المصرية، ولكنه عندما كان يكتب لم يكن في مصر، فلعل ذلك الأمر اشتبه على المؤلف. وكذلك الأمر بالنسبة لعدن، فلم يكن يصل للصحيفة سوى مقالات من الأستاذ لقمان، ولكن كاتب المقالات لا يسمى مراسلاً في عرف الصحافة، وأعتقد أن المؤلف لا يخالفني هذا الرأي.

٥- قوله في نفس الصفحة: إن «**صحيفة العرب**» غيرت اسمها لتصبح «**صحيفة**

السلام». أقول: هذا الكلام غير دقيق، إذا كان محرر «**العرب**» الأستاذ بافقيه قد أصدر صحيفة أخرى بعد إغلاق صحيفة «**العرب**»، فهل يلزم من ذلك أن تكون العرب ظهرت بزي جديد؟ إن ذلك غير لازم، فالرجل أنهى علاقته بـ«**العرب**» ثم أصدر صحيفة أخرى بعد ما يزيد على عام كامل. ولذلك أبعاد وخلفيات سبق أن شرحت وذكرت في موضعها من هذا الكتاب.

٦- تشكُّك وتساؤُل المؤلف عن تاريخ مولد الأستاذ بافقيه، والجواب عليه ما تقدم من أن مولده في ١٠ أو ١١ مايو ١٩١٢م، وليس ١٩٢٠م كما أورده المؤلف نقلاً عن الباحث عبدالرحمن خبارة.

٧- في (ص ٩٥) أورد تشككه حول صحة التاريخ الذي صدرت فيه «**صحيفة السلام**»، وهو ١٩٢٠م نقلاً عن عبدالرحمن خبارة، وتشكك المؤلف في محله، لأنها صدرت في ١٢ ابريل من عام ١٩٣٦م، كما سبق ذكره في موضعه من الكتاب. وأورد المؤلف رأيه واستنتاجه للتاريخ الصحيح لسنة صدور العرب و«**السلام**»، وهو مطابق في «**السلام**»، وقريب من المطابقة في العرب.

٨- ومن التنبيهات الهامة التي يجب أن لا أغفل الإشارة إليها: ما أورده المؤلف في (ص ٩٠) من قوله (ملتقطاً): «إن الحضارمة كانوا ـ كما هو معروف عنهم في مهاجرهم ـ ... دعاة إلى الدين والتفقه فيه ... عبر (**الحوزات**) و(**المرابط**) و(**الحلقات**) التي أسسوها لتعليم الفقه والفكر الإسلامي».

وأقول: إن أول هذه الفقرة وما تلاها مما لم أنقله أمر صحيح، وهو قيام الحضارمة بالدعوة ونشر الدين، أما آخرها فقد احتوى على ألفاظ غريبة، ومصطلحات غير متداولة على الصعيد الحضرمي خاصة ولا الصعيد اليمني عموماً، فمصطلح (**الحوزة**) مصطلح إمامي شيعي، لا يمت إلى ثقافة أهل اليمن عامة والحضارمة بالذات بصلة.

أما كلمة (المرابط)، فأظن المؤلف يقصد بها (الأربطة)، وهذه مما خانه فيها اللفظ أو التعبير، ففرق بين الأربطة (وهي منتشرة في عموم اليمن) وبين المرابط. ولعل الأستاذ المؤلف لم يراجع أو يسأل أحداً من الحضارمة ليتأكد من صحة هذه الألفاظ، لأنها تشعر بوحشة في استخدامها، وكأن ثقافة أهل حضرموت بمعزل عن ثقافة أهل صنعاء! مع أنه قد مر على قيام الوحدة اليمنية ما يزيد على (١٧) عاماً، أفلم يكن في مقدور الباحثين التواصل الفكري والثقافي مع أبناء جلدتهم، والتوثق بشكل أكبر من صحة المعلومات والمصطلحات، حتى لا يحصل خلط معلوماتي ثقافي، ويرمى قوم بما هو بعيد عن ثقافتهم، ثم يصير ذلك الخلط أمراً لازماً واصطلاحاً لا يكاد يفارق أقلام الباحثين الذين يعتمدون على أمثال هذا الكتاب، وتصبح مراجعهم المعتمدة لا يحيدون عنها ولا يفارقونها.

* * *



خاتمة

القسم الأول من الكتاب

وبعد، فهذا ما استطعت أن أجمعه وأدونه من أخبار أستاذنا القدير، الرجل الذي سعدت بصحبته ومجالسته أسابيع وأشهراً طوالاً، رجل حر الفكر، صافي الضمير والسيرة، نير السريرة، أحب أن يخدم الناس فلاقى متاعب وأهوالاً، صمد في وجه التغيرات السياسية، وجابه الطغاة، وجاهد في حياته جهاداً مريراً.

رحم الله السيد أحمد عمر بافقيه رحمةً واسعة، فقد كان مدرسة في الصبر والثبات، ومدرسة في العمل والجد والنشاط، ورائداً من رواد الصحافة العربية.

لاشك أن هذا جهد المقل، وإنما هي محاولة لجمع الأشتات المتفرقة، ولعل الله يسخر من يأتي بعدي ويكتب عنه بشكل أوسع ويحلل ويفند ويأتي بالجديد .. ولكن هذا دَينٌ عليَّ لهذا الرجل، أحببتُ قضاءه، ودينٌ عليَّ لأبناء جيلي أردتُ لهم الاطلاع عليه، ليعرفوا قدرَ آبائهم، وليحرصوا على الإفادة من الكبار، والبحث عن الرجال الذين نسيهم الناس، وأغفلهم أهل العصر.. وذكّر فإنّ الذكرىٰ تنفع المؤمنين، والحمد لله رب العالمين.

* * *



القسم الثاني

المقالات الصحفية

- مقالات صحيفة العرب
- مقالات صحيفة السلام
- مقالات صحيفة النهضة
- مقالات صحيفة الجنوب العربي



أولاً

المقالات المنشورة في «صحيفة العرب»

تغطي هذه المقالات المختارة، الأعداد (٢-٦٧)، أي فترة سنة ونصف تقريباً، من ١٨ جمادى الأولى ١٣٥٠هـ إلى ٢٢ رمضان ١٣٥١هـ، وهي الأعداد التي توفرت لي من الصحيفة في فترتها الأولى قبل أن يستقل بتحريرها الأستاذ بافقيه بمفرده. أما بعد أن استقل بالتحرير وصار هو صاحب امتياز الصحيفة، وهي الفترة الثانية للصحيفة، فلم أعثر إلا على عدد وحيد هو العدد رقم (٧١) بتاريخ ١٠ ذي الحجة ١٣٥١هـ (= ٦ أبريل ١٩٣٣م)، وقد أدرجت افتتاحية هذا العدد ضمن الترجمة، كغيرها من الافتتاحيات، حيث إن هذه الافتتاحيات تمثل انعطافات ومحطات تاريخية في حياة الأستاذ. ويلاحظ على هذه المقالات أنها لا تعدو الحديث في أربعة مواضيع أو محاور رئيسة: دينية، واجتماعية، وأدبية، وتاريخية، بينما لم تتسع مساحة المقالات السياسية سوى لمقال واحد وهو بعنوان: (**الحضرميون لا يمثلهم أحد في المؤتمر الإسلامي**).

كانت الصفة الغالبة على «**صحيفة العرب**»: معالجة القضايا الاجتماعية الخاصة بالحضارم في تلك الأصقاع، ومحاولة علاج الحالة المتفاقمة جراء الاختلافات الجانبية التي أضرت بالمجتمع وأصابته بفاقرة التعنصر والتعصب للجنس، مما أضر بالصالح العام، وذلك نتيجة تدخل أياد خفية استعمارية، لم ينتبه لها القوم إلا بعد ردح من الزمن. وقد أعرضتُ تماماً عن نشر تلك المقالات الحساسة التي كانت تنبع من الواقع اليومي الذي كان

يعيشه الحضارم في تلك الآونة، لأنني أرى عدم جدوى نشرها. ولم أثبت من المقالات إلا ما كان ذا هدف واضح، ومافيه جوانب مضيئة من تاريخ الإسلام والعرب في شرق آسيا، وإن كان الأستاذ قد تحدث في بعض المقالات عن مآثر العلويين، فذلك جزء من تاريخنا العظيم، يجب أن يعلم ويذكرَ، ولا ينسى ويكفَر، إننا حين ننكر مثل هذه المآثر والأمجاد نغالط أنفسنا، ونجحد الشمس ضوءها.

كما أوردت المحاورات الأدبية التي جرت على صفحات «العرب» بين الأستاذ بافقيه والأديب الكبير الأستاذ محمد علي لقمان، أحد كبار رواد الأدب في عدن، وتلا ذلك إيراد بعض الوفيات التي نشرت على صفحات «العرب».

* * *

النّادي الأدبي العَربي تُسجَّل لَه مَفخَرة (*)

قبلَ ثمانِ سنواتٍ كانت مواريثُ المسلمينَ بهذه البلاد -رغمَ كونِها إسلاميةً- لا تُقسّم بمقتضى شريعةِ المسلمين، فإذا اخترمَتِ المنيةُ أحداً ولم تكُن له وصيةٌ يُعمَل بها قُسِّمت تركتُه على غيرِ قَوانينِ الميراثِ في الإسلام.

وعلى ذلكَ مضَتْ برهةٌ من الزمانِ طويلةٌ.....(١) على كونِ البلادِ إسلاميةً، وكثرَةِ [وجود] العلماء الدينيين، والمدَّعينَ للغَيرةِ على الإسلام بها، لم ينبِسْ أحدُهم ببنتِ شَفةٍ استنكاراً لانتهاكِ الشريعةِ، بل قد تناول بعضٌ من أشرافِ العَربِ وعُلمائِهم ما خَصَّهم في تَرِكة أحدِ الأغنياءِ معَ علمِهم أنها لو لم تُقسّم على الشريعة المسيحِية لم ينالوا شيئاً!

ولكنْ قَد يجمَع اللهُ الأمةَ في وَاحدٍ، وهكذا قد وقع! فقَد كان يُوجَد إذ ذاك بسِنغَافُورةَ رجُلُ الغيرة الإسلامية، يغضبه أن تنتهك حرمات الله. كان يوجد العلامة السيد **محمد بن عقيل** يتّقد غيرة ويفيض إخلاصاً للإسلام.

لم تواته نفسه الوثابة للمعالي أن يشاهدَ شرائعَ الله تُنتهَكُ على علمٍ من المسلمين عامة، والعرب خاصة، وهو لا يوالي سعيه ضد ذلك. فتقدّم إلى «**مجلسِ فَنْصِيحَةِ إسْلام**» باقتراحٍ، طالباً إياه مطالبةَ الحكومة بسنّ قانونٍ يخول للمسلمين أن تقسم تركاتهم بموجب الشريعة الإسلامية، فقامت تلك الجمعية بدورها، وعرَضَت على الحكومة طلباً بذلك في ديسمبر

(*) «**صحيفة العرب**»، السنة الأولى، العدد الثاني، الخميس ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ

(١) كلمة غير واضحة.

سنة ١٩٣٢م، فوافقت على طلبهم وسنّت قانوناً جديداً، ومنذ ذلك اليومِ والعملُ جارٍ في قَسْم التركات بموجب الشريعة الإسلامية السمحة.

غير أن الإنسان مهما بلغ من الذكاء وبعد النظر قد تفوته أمور لا ينتبه لها، مع كونها من ألصق الأمور مساساً به، فعندما سعى المرحوم السيد ابن عقيل وتلك الجمعية المتقدم ذكرها في مسألة المواريث لم تطرُقْ أذهانهم مسألة هي من أمس الأمور بها، تلك هي مسألة (إبطال الوصية بتزويج الموصِي).

فإن الجاري إلى الآن بموجب قانون البلاد: أن من كانتْ له وصية ثم تزوج بطلت وصيته، فلا بدّ إذاً ـ إن شاء ـ من وصيةٍ جديدة بعد زواجه، ثم لو قدرنا أنه تزوج مرة ثانية بطلت الأخرى أيضاً، وهكذا دواليك، ففي كل مرة يتزوج يجب عليه تجديد وصيته، وفي ذلك ـ على مخالفته لشريعتنا ـ أضرارٌ جمة.

ولنفرضْ أن أحداً كانت له وصية، وكان موصياً بمبالغَ من ماله للمصالح العمومية ولأرحامه وأقربائه والفقراء والمساكين، ثم تزوج، وبعدَه وافته المنية قبل أن يتمكن من تجديد وصيته، فإن المصالح العمومية وأولئك الأرحام والفقراء الذين كانوا ينتظرون نصيبهم بشوق وتلهف عظيمين، يُحرَمون مما لهم في الوصية، لأنها في نظر القانون قد بطلت بتزوج الموصي، وكم يكون شديداً وقع ذلك الحرمان على نفوس الموصَى لهم، وقد بنوا على ما ينتظرونه عَلالِيَ وقصُوراً شامخات.

أما من حيث حكم المسألة: فغنِيٌّ عن البيان أنّ الوصية في شريعتنا لا تبطل بتزوّج الموصي، وأنّ فرضَ الزوجِ هو النصفُ إذا لم يكن يوجد فرع، أو الربُعُ إذا كان يوجد فرع. وأنّ نصيبَ الزوجةِ ـ أو الزوجات ـ هو الربُع إذا لم يكن يوجد فرع، أو الثمُنُ إذا كان يوجَد فرع، وعليه ؛ فلا داعي لإبطال الوصايا بموت الموصِين.

إن من العيبِ الفاضح على مسلمي هذه البلاد ـ على كثرتهم واختلاف أجناسهم ـ

أن تمر المدد الطويلة بدون أن يتنبه أحد منهم إلى مطالبة الحكومة بإلغاء ذلك القانون وإبداله بما يوافق شريعتنا، وخاصةً لأن حكومةَ هذه البلادِ مشهورةٌ بمراعاة شعور سكان بلادها فضلاً عن أديانهم.

لقد بثّ هذه الفكرة مجلسٌ كنت أنا وحَضرةَ الفاضلِ السيدِ سالم البار نتداول الحديث فيه، فألفت نظري إلى هذه المسألة، وطلبَ مني أن أحرِّر اقتراحاً على «النادي الأدبي العربي» نطالبه به أن يعرض اقتراحه هو بدوره على «مجلس فَنْصِيحَة إسْلام» يحثه على مطالبة الحكومة بإلغاء ذلك القانون وإبداله بما يوافق الشريعة، فوقّع لفيفٌ من أعضاء النادي على ذلك الاقتراح، وقدموه إليه، وهو بدوره قدمه إلى «مجلس فَنْصِيحَة إسلام» وقد أجابته «سكرتاريته» بوصوله.

ونحن لا يسَعُنا إلا أن نقدّم شكرَنا الجزيل لإدارة النادي، فقد قامت بما توجبه الغيرة الإسلامية، وعملت ما في مقدورها، ولنا وطيدُ الأمل في إدارة «مجلس فَنْصِيحة إسلام» أن تبذُل جهدَها في هذه المسألة، فإنها بغاية الأهمية لتعلقها بالدين، وإنا لمنتظرون لما سيُظهِرُه الغدُ القريب.

والدين الإسلامي يُعلَمُ تفوّقه على غيره من الأديان، من جمعه لمظاهر الحضارة السابقة التي لا تجتمع لغيره من الأديان، فهو أفضل الأديان وأكفَلُها بتمدينِ معتنِقه ورُقيِّه.

هذا ما قُدِّر لي ـ سادتي ـ أن أسوقَه في موقفي هذا عن الحضارة الإسلامية بغاية الإيجاز، والمنقب النشِطُ يظفَر بأوسعَ وأكثر منه، وما ذكرته ليس إلا قطرة من بحر.

وختاماً أُشعِرُكم سادتي بأن ليسَ القصدُ من التغني بمآثر الأجدادِ إلا الاحتذاءَ لمثالهم، والسيرَ على منوالهم، لا أن نقول كما قالت جُرْهُمٌ عندما أتى عليها دور الانحطاط:

لاهُمَّ إن جُرهُماً عبادُكا　　الناسُ طِرْفٌ وهُمُ تِلادُكا

حضارة الإسلام(*)

موجز كلمة ألقاها محرر «العرب» في قاعة دار «النادي الأدبي العربي» ليلة الثلاثاء ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ، ٥ أكتوبر سنة ١٩٣١م.

الحضارة هي كلُّ مظاهر التقدم الإنساني من حين صقل الحجارة إلى صنع الطيارة ومن الكوخ اللبني الخشبي إلى القصر الفخم، ولها مظاهر أربعة أسوقها هنا بإيجاز، منوِّها بحظ حضارة الإسلام من كل مظهر من تلك المظاهر مدعماً ذلك بدلائل شهادات فاهت بها السن المنصفين من علماء أوربا:

*والفَضْلُ ما شَهِدتْ به الأعْدَاءُ(١) *

(١) المظهر المادي. (٢) المظهر الفني. (٣) المظهر الاجتماعي. (٤) المظهر الديني.

* * *

(أ) فأما المظهر المادّي: فنحن إذا ألممنا بحضارة الإسلام من ناحيةٍ صعُبَ علينا جدا أن نوفّي المقام حقه، فنتائج العرب وصنائعهم في أيام ازدهار دولتهم من السعة والعظمة بحيث تحتاج إلى تآليف مفردة، غير أن ذلك لا يمنعنا أن نشير إليها بشيء من الإيجاز.

(*) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد الثالث، الخميس ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠ هـ.

(١) شطر بيت للسريِّ الرفَّاء، المتوفى سنة ٣٦٦هـ.

إن الصناعات كانت في أيام دولة العرب قائمةً على قدمٍ وساقٍ وخاصة في الأندلس، وقد اشتهرت دمَشقُ وطُلَيطِلة بصنع الأسلحة، واشتهرت قرطبة بدباغة الجلود، ومالقة بعمل الفخار والزجاج، والمِرْيَة بعمل الأجواخ والحديد والنحاس وبناء السفن، وسَرْقُسْطَة بعمل السمّور والأقمشة الحريرية والكُتّانية، وشَاطِبة بعمل الورق، وكانت إشْبِيليةُ مشهورةً بنسْج الحرير، وكان فيها مُدّةَ العرب (١٣٠ ألف) نَولٍ، فأصبحت بعد استيلاء الإسْبانِ عليها وليس فيها غير (أربعين) نولاً.

ويذكر التاريخُ كثيرين من مخترعي العربِ؛ وقد كان من تشجيع أمَراء العرب في الأندلس: أن كانوا يُنيلون كلَّ من أسدى إلى الصناعة يداً جوائزَ عظيمة.

ويُذكَر من مخترعي العرب: **ابنُ فِرنَاسٍ** وهو من كبار علماء الرياضيات، وقد اخترع آلةَ المثقال لمعرفة الزمَن، ورسَمَ في بيته هيئةَ السماء بما فيها من نجوم وغيوم وبروق، وهو أول من فكر في إمكَانِ الطيران، فعمل له جناحين من ريشٍ طار بهما مسافةً في الهواء، ولكنه لم يحسنِ الوقوعَ، لعدَم تفكيره في عمل الذَّيل الذي ينظم حركةَ النزول ويمنع السقوط، فسقط سقطةً كان فيها حتفُه. ثم حذا حذوه من أوربا «**دَانْتِ**» في أواخرِ القرن الخامس عشر، ثم «**أوليفييه**» في القرن السادس عشر، وعملا مثلما عَمِلَ فأصيبا برضُوضٍ وكسور، ثم أتى بعدهما كثيرون، وما زال الطيرانُ يتطور حتى وصلَ إلى حالهِ اليوم.

ومن مخترعي العرب: الوزير **ابن بَدرٍ**، فقد اخترع طريقةً للطباعة كان يطبع بها المنشوراتِ والأوامِر ويرسل بها إلى نواحِي المملكة، ويظهر أن ذلك كان قاعدةً لـ«**غوتِمْبِرج**» بنى عليها اختراعَه لحرُوف الطبع في سنة ١٤٣٦م، ويؤيد هذا قولُ «لارُوس» في «دائرة معارفه»: أن الطباعة كانت معروفة في أورُبا في أوائل القرن الثاني عشر. فلعلّه يريد أن يقول: إنها كانت موجودةً بالأندلس في ذلك العهد.

وقد ساعدتْ الحروبُ الصليبية الأوروبيين على اقتباسِ كثير من الصناعات عن

العرب باختلاطهم بهم، وكذلك ساعدهم استيلاءُ العربِ على الأندلُس وصِقِلِّية، فقد كان العرب لما اتصفوا به من السماحة، ينشرون المعارف والعلوم بدون تفريق بين الأجانب وبين أنفسهم، وكانت جامعاتهم ملأى بطلاب العلم من الأوروبيين، ولكنهم بعد ما تزودوا وآنسوا من أنفسهم القوةَ انقلبوا، فكان جزاؤهم للعرب: أن قتلُوهم وشردُوهم ونصَّرُوهم، وارتكبوا فيهم كل كبيرة، والشيء من معدنه لا يستنكر.

وهنا أُورِدُ عن كتاب «فلسفة التاريخ العثماني» للأستاذ بيهم، كلاما للعلامتين «بلانشِهْ» و«تُوتانِي»، كدليلٍ على ما بلغه العربُ في الصناعة، فهما يقولان في معرض كلام عن الحروب الصليبية: «.. فضلا عما أصابته الزراعةُ من النجاحِ في الحروبِ الصليبية، لما عرَفَه العربُ وقتئذٍ من الأصناف ـ وعددها المؤلفان ـ التي لا تزالُ أسماؤها عندنا عربيةً فإن الصناعةَ اقتبست من الشرق اختباراتٍ جديدةً، فإلى تلك الحروبِ يرجعُ الفضْلُ في معرفةِ صُنع السكَر من القصَب السكّري، ونسج الأقطان والحرائر والمخامل الدمشقية والكِرَيشة والموصلي، وإن طنافِسَنا التي هي على مِنوال الشّرق كانت تُعرَف بالطَّنافس العربية، وأما الأسلِحةُ فكانت تُعمَل على نسَق صَنعةِ دمشق وطُلَيطِلة، على أنه قد حَدَث أيضا تجدُّدٌ في الصناعةِ عُموماً حتى صارت معاملُ الخزَفِ والزّجاج والمدَابغِ تأتي بأنموذجاتٍ كانت مجهولةً من قبلُ لدَينا..».

ويدل على مركز العرب الصناعي آنذاك: أن الملك «**رُوجَار الأول**» ـ وقد كان يمتاز بحصافة الرأي ـ عندمَا استعاد صِقلِّيةَ من العربِ واستولى عليها، أبقى كثيراً من العرب لديه لحاجته اليهم، وعدم وجود متأهل بينهم لإدارة المصانع والمعامل، والقيام بأمور الدولة وأمور الزراعة على الطريقة العلمية.

(ب) **أما المظهر الفني**: وهو يشمل الشعر والموسيقى والزخارف الفنية والفنون الجميلة بأنواعها، فحضارة الإسلام المؤسسة على أيدي العرب ـ وهم كما هو معلوم قادة الأمم الإسلامية ـ كانت مزدهرةً بالفنون وقد بلغت في أيامهم اسمى منزلة.

وكان لهم الأثر العظيم في الموسيقى الغربية كما يقول بذلك علماء الغرب أنفسُهم، وقد ظهر حديثاً للاستاذ الدكتور فارمر الإنجليزي كتابٌ يسمى «حقائق تاريخية عن تأثير الموسيقى العربية»، بسط فيه مؤلفه حقيقة الموسيقى العربية وما كانت عليه من الشأن قديماً، وما أحدثته من التأثير في الموسيقى الغربية. وله أيضاً «تاريخ الموسيقى العربية» و«المخطوطات العربية الموسيقية» و«تأثير العرب في الموسيقى».

ويقول الدكتور المذكور: «.. إن فضل العرب تجلى في فن الموسيقى والعلوم الرياضية أكثر من أي علم أو فن آخر، وإنه لولا ما بذله العرب من الجهد في ترقية الفن الموسيقي والعلوم المشار إليها لاختفت معالمها». ولا أخال يخفى عليكم سادتي إن مخترع «القانون» ـ الآلة الموسيقية المعروفة ـ هو العربي محمد بن طرخان الفارابي.

ومن حيث الزخارفُ الفنية فأمر ذلك أشهر من نار على علم، ولا أحسب أحداً لم يقرأ أوصاف قصور الأندلس وزخارفها، كالحمراء والزهراء وجامعة قرطبة، فأنا إن تحدثت عنها يكون حديثي تكراراً مملاً. ويوجد ببرلين متحف «القيصر فريدريش»، وهو يجمع كثيراً من التحف الفنية، ويرجع الفضل في تنظيمه إلى المستشرق الأستاذ «ساره»، وفي مقدمة التحف المعروضة هناك جزءٌ من قصرٍ بناه الأمويون في الصحراء، كان السلطان عبد الحميد قد أهداه إلى الألمان.

ويبدو ما في الفنون الإسلامية من قوة الابتكار في التحف الأثرية الباقية من مباني «سُرَّ مَن رَأى»، المدينة التي أنشأها العباسيون على نهر دِجْلةَ بجوار بَغداد سنة ٨٣٦م.

وأسوق لكم سادتي ـ للمناسبة ـ ما قاله «بلانشه» و«توتاني» في هذا الموضوع، فقد قالا: « أما الفنونُ الجميلة فإن الغرب مَدينٌ بها كثيراً لليونان عموماً، وللعرب خصوصاً، فقد اكتسَبنا من هؤلاء ما لا يحصى من مظاهر الزينة، كالنقش العربي واليوناني والفسيفساء ورسوم الجدران والطنافس والخزف».

وقال «جوانان وفاكوفر»: «إن الهندسة التي تسمى ـ بغير حق ـ (قَوطَبَةً)، ليست هي إلا هندسةً عربية مزخرفةً ومتطورة على حسَبِ ما يلائم مُناخَ بِلادِنا ». وأحسبني لستُ بحاجةٍ إلى زيادةٍ في الاستدلال بعد ما سقت ما قاله الأجانب أنفسُهم، وهم الذين يؤلمهم أن يُقِروا للإسلام بأي فضلٍ.

بقيَ **الشِّعرُ**؛ وقد قلنا إنه من الفنون، ومع اعترافي واعترافُ كلِّ منصف بسمُوِّ الشعر العربي وعلوِّ مرتبته ونبوغِ كثيرٍ من الشعراء العربِ الذين كان لهم خطَرُهم ومنزلتهم، فإنّ الإذعانَ للحق يحدونا إلى أن نقِرّ مع الأسف بنقصِ النوعِ التمثيلي من الشعر العربي، ولكنّ ذلك لا يقدَحُ فيه، فإن في الشعرِ العربي من الحكَمِ والأمثال ما لا يوجدُ في شِعر أيِّ أمةٍ أخرى. وإنّ من دواعِي سرورِنا العظيم أن يُسديَ إلينا أميرُ الشعراء «**شوقي**» آونةً بعد أخرى من سِحر بلاغَتِهِ، أمثالَ روايةِ «كليوبترا»، و«مجنون ليلى»، فيسدّ بذلكَ ما الشعرُ العربي في أشدِّ الافتقار إليه.

(ج) أما المظهر الاجتماعي:

فهو القانون الأخلاقي المنظِّم الذي به يتبادل أفرادُ المجتمع حقوقهم، ولا ريب أن القوانين الاجتماعية الإسلامية التي شرعها القرآنُ الكريم والنبيُّ الأميُّ العظيم، صلى الله عليه وآله وسلم، هي من أسبابِ هناءِ الآخِذين بها، لما اشتملتْ عليه من المبادىءِ السامية، كالحرية والمساواة والتوحيد، وهي مع ذلك لم تكن ولن تكون سداً حائلاً بين السِّلْم والمدَنيةِ

والرقي، بل إن مبادئها أسْمَى المبادىءِ التي تسَاعدُ على التقدّم في مضْمارِ الحياة، وتسير مع المدنية جنباً لجنبٍ.

أما تقَهقرُ المسلمين في الوقت الحاضرِ، فهو يعود إلى إهمالهم لتلك المبادىء الإسلامية السامية لا غير؛ قال المستر «وِلْز»: «إن الديانة الحقّة التي وجدتُها تماشي المدنيةَ في كل أدوارِها هي الديانة الإسلامية، ومن كان ذا ريبٍ فليتصفحِ القرآنَ وما فيه من نظرياتٍ علميةٍ، وقوانينَ وأنظمةٍ لربط المجتمع، فهو كتابٌ علمي ديني اجتماعي تهذيبي خُلُقي تاريخي، وأكثر نظُمِه وقوانينِه نستعملُها في وقتنا الحالي، وستبقى مستعملةً حتى قيامِ الساعة. ولو طلب مني أحدٌ تحديدَ الإسلام فإني أحدّدُه بالعبارة الآتية: «الإسلام هو المدنية»، وهل باستطاعة أحدٍ أن يأتيني بدورٍ من الأدوار كان الإسلام فيها مغايراً للمدنية والتقدم».

وقال مسيو «هاناتو»: «... وهذا الدين ـ يقصد الدين الإسلامي ـ يدعو إلى إله واحدٍ، ويجعل الإيمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل الذاتية والاجتماعية، ويستولي على المؤمن استيلاءً شديداً، فلا يعود قادراً على التفلّتِ منه. فمن الواجب أن ندرس هذا الدينَ، ونبذُلَ جَهدَنا في فهمه، وعلينَا أن نتخِذَ الكلمةَ الإسلامية: ﴿لا إكراه في الدين﴾ شعاراً لا نخرج عن حدود معناها، وأن نحترمَ الدينَ الإسلامي ونحميَه من كلِّ طارىءِ سوءٍ».

(د) أما المظهر الديني:

فقد أبانَت الاكتشافات الأثريةُ والمباحثُ العلمية أنّ جُلَّ الحضاراتِ التي عُرفَت إلى الآن، كان العاملُ الرئيس لبروزِها وتقدمها هو الدِّينُ. فنجِدُ مثَلاً: أنّ المصريّينَ لم يكن الحادِي لهم اكتشافُ تصْبير الأجسادِ غَير مسألةٍ دينية، فإنهم كانوا يدينون بخُلود الروح ما دام الجسد لم ينله البِلَى. ولذلك اضطرّوا إلى استنتاجِ طريقةٍ بها يحفظون الجسَدَ سالماً مدّة طويلة، وكذلكَ نجِدُ أكثر الحضاراتِ يبدو عليها جليًّا روحُ التديّن مما يجعلنا نعتقِدُ أن الدِّينَ كان الدافعَ الأولَ لاستنارة العقول من قديمِ الأزمنة.

هَل فِينا غَيرةٌ إسلامِية؟!(*)

لكل دعوةٍ صحيحةٍ برهَانٌ، وللعواطفِ والنوازعِ النفسانية دلائلُ تدلُّ المرءَ عليها، ومهْما أرادَ المرءُ سَترَ الحقائقِ فإنَّ الحقيقةَ لن تستُرَها ستائرُ المغالَطة، فإذا كنتَ تحبُّ وتعشَق فإنَّ آياتِ ولَهك وغَرامك ونُحولِكَ تشي بحبِّك، ولن تدعَك تستطيعُ إخفاءَه عن عارِفيكَ وإن بالغتَ في إخْفائِه، وأنّى لك وبأي حجابٍ تستره!

وأنت إذا ذُكرتْ أمامَك محبوبتُك بدتْ عليك أماراتٌ تشِفّ عما يكنُّه قلبُك من هُيامٍ،فما يرنّ بسمعك اسمَها حتى يعتريك ارتجاف وتصاعد منك الآهات تتلوها الآهات. وإذا أصيبت بمكروه كنت كأنك المطروق دونها بالمصيبة.

والمرء إذا أراد أن يظهر للمَلأ شجاعةً مصطنعةً وهو جبانٌ، فإنه لن تطول به المدة قبل ظهورِ حقيقَته بارزةً، مهما تصنّع الإقدامَ، وارتدى ثوب الشجاعةِ المستعار.

قد تَنطلي حيلتُه فتغطّي على الحقيقةِ، ولكنْ لن يمتدَّ به الزمنُ حتى يفتضحَ، فهو في استطاعتِه أن يصِفَ نفسه بأنه الليثُ الغضنفَر، والأسدُ الهزَبر، وأنّ له من المواقع التي ظهرتْ فيها شجاعتُه وإقدامُه كذا كذا، وأنه قد ثبتَ لمئاتِ الأبطال فلم يهتب، ولم يداخلْه الرعبُ حتى تغلّب عليهم، ولكن عند الامتحان يحصحِصُ الحقُّ، عندما يشاهَدُ أمامَ الواقع، عندما ينتشبُ واحداً في مناوشةٍ، عند ذاك تتخاذلُه رجلاه فتعتَريه «**حُمّى النّافِض**».

مالي وللذهابِ بعيداً في ضربِ الأمثال! أريد أن أقرر حقيقةً واحدةً، هي: أنّ

(*) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد (٤)، الخميس ١٠ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠ هـ.

المغالطاتِ لا تُخفي الحقائق، فهل نَحنُ مغالِطون في ادعائنا الغَيرة على الإسلام؟ على رِسلكم فلا ترموني بعَضِيهةٍ[١] ـ كشأنكم إزاءَ كلِّ غيور ـ إذا كان جوابي بالإيجاب، فأنني متألم مكلومُ الفؤاد، يتسعّر بين جوانحي جَمْرُ الغَضا، وقد تؤدّيني شدّةُ ما أحسُّ به إلى مجاوزةِ الحد، ولكنّي لا إخالُني إلا صادقاً مُصيباً فيما أقرر، نعم! فإنه لو كانت الحقيقةُ غيرَ ما أقول، أي: لو كانت فينا غيرةٌ إسلاميةٌ صادِقةٌ لظهرت أماراتها!

بالأمسِ كان من (إيطالية) الظالمة نحو إخواننا الطرابلُسيين ما كان، من انتهاك حرماتٍ واستبدادٍ، مما لم يعُد يَخفَى على أحد، وقد ضجَّ له العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وكان من صداهُ مقاطعتُها، فهل كنَّا على الأقل من المستائين لأفعالها؟ لكي نظهِرَ للعالم أن الأمم الإسلاميةَ لا تزال كجسَدٍ واحد، وأننا عُضوٌ منه حَي؟

واليومَ تحملُ إلينا أنباءُ (روما) خبَر أسْرِ وإعدامِ الطليانِ ـ ويالِلكَمدِ وشِدَّة الحزنِ ـ للزعيمِ الطرابلسي البَطَل «**عمر مختار**»، ذلك الأسدُ الهصور الذي كثيراً ما طَوى ألويةَ الإيطاليين لواءً بعدَ لِواء، وطالَما تنقالتِ «الشُّورى» و «الفَتح» والجرائدُ العربيةُ أخبارَ بطولته وانتصاراته.

وأقول: (الجرائدُ العربيةُ فقط). فإن الصحفَ الإيطاليةَ والاستعماريةَ كانت تتحذّر من تسرُّبِ تلك الأخبارِ خوفَ الفضيحة والعار، ولكِنْ ما بالُها اليومَ عندما دارتْ الدائرةُ فكان الفوزُ بجانِبها بعدَ مئات الاندحاراتِ طيَّرت النَّبأَ على جَناحِ البرقِ إلى أنحاءِ العالم فرحةً متهلِّلةً. ولقد أسَرتْهُ وتمكّنتْ منه، فهلْ أبقَت عليهِ وقد بلغ من العُمْرِ الثمانين؟ لا، لا. بَل لم تدعْه أرْبَعاً وعشرين ساعةً حتى نفّذتْ فيه حكمَ الإعدام.

نعم بالأمس كان من إيطاليا الغاشمة ما ذكرنا، واليوم تأسِرُ فتعدمُ بطَلاً مجاهداً في سبيل الحق والحرية، يُعدُّ في صَفِّ علي وخالد رضي الله عنهما، فما يتحركُ منا الشُّعور، ولا

---

(١) **العضيهة**: الكذب والسحر، أو الافتراء والبهتان، و العرب تسمي الساحر: العاضه.

نُحِسُّ بمضَضِ الألم! حتى الصلاةُ على روحِه الطاهرة الزكية صلاةَ الغائب لا نصَلِّيها!

لو كنا صادقِين في دعْوانا الغيرةَ الإسلاميةَ لظهرتْ منا الدّلائلُ، ولكنا نقِيمُ المآتم ونلبسُ الحدادَ على هذا الفقيد العزيز، فقيدِ الإسلام والوطنية.

ياللعجب! نُصابُ في مثلِ هذا الفقيدِ، فنقرأ نبأَ المصيبةِ فيه والابتسامةُ لا تفارق شفاهَنا، كأن لم يحدُثْ حادثٌ جَللٌ، ومع ذلك ندعي الغَيرةَ الإسلامية! عندما وصلتِ الأنباءُ بإعدامِه كنتُ متيقّناً لا يخالجُني ريبٌ أن الصلاةَ على روحه الزكيّة ـ على الأقل ـ ستُقَام في كلِّ المساجد، ولكن ما أشَدَّ دهشَتي عندما أسْفَر الواقع عن خيبةِ الأمل.

إننا إن لم تكنْ تستفِزّنا الغَيرةُ فقد كان من الواجِب على الأقلِّ إظهارُ شيءٍ من الاستياء، لكي نُرِي المستعمرَ المتربِّصَ بنا أن الرابطةَ الإسلاميةَ لا تزالُ متينةً فما يُصِيبُ إخواننا بطرابُلُس يؤلمنا، نحنُ الذِينَ بهذا (البُوغَاز)، فيعلم أننا لم نصبِحْ بعدُ لقمةً سائغة له.

إن هذا البطلَ الراحلَ كان قد لجأ إلى (مصْرَ) سنة ١٩٢٣م مفوّضاً الأمر لله العلي، ولكن أخذتْ ترِدُ عليه أنباءَ الظلمِ والاضطهاد والقسوةِ التي لاقيها إخوانه بنو وطنه المسلمون، فلم يطقْ صبراً، ولم تواته نفسه أن يكون في مأمَنٍ والمسلمونَ بنو وطَنِه يسامون من العذابِ ما تقشَعِرُّ من سماعه الأبدان. وكيف تلَذُّ له الراحةُ أو يهنأُ بالمنام! وهو الذي يحمِلُ بين جنبيه نفساً عَربيةً أبيةً لا تخنعُ للذلِّ ولا تهابَ المنايا إذا كانت للعز ثمناً.

فخرجَ في سبيلِ الله مجاهداً طالباً للموت، أتدري أيها القارئ في كَم خرَج؟ في خمسةٍ أو ستةٍ! فالتقَوا بأول جيشٍ لإيطاليا فدحَروه، ولما وصَل إلى «جردس» امتنعَ فيها مع نحوِ الأربعين ممن وهبوا أنفسهم لله، وأخذتِ (الدولة الطِّليانيةِ) تسوق عليهم اللواءَ بعدَ اللواءِ وتختارُ القائد بعد القائد، والمختَارُ يخرج من كل لهيبٍ مصهوراً، وكلما طَوى علماً من أعلامِهم نشَر لواءً من ألويةِ الإسلام والعربية.

وفي سنة ١٩٢٥م استولى (الطليانُ) على (جُغْبوب) و(جالوا) و(أوجلَهْ)، فأصبحَ

المختارُ وجيشُه في حصارٍ من جميع الجهات، فهل سَمِع البشَرُ بقائدٍ يعيشُ بجيشِه في حصارٍ ستَّ سنين.

قد يظُن البعض أن «المختارَ» كان يقود جيشاً عرمرماً لمقاومة (الطِّليانِ) والواقعُ: أن جيشَه لم يبلغ عدده يوماً ثلاثة آلاف قط، والعدو لم ينزلْ عددُه عن الثلاثينَ ألفاً،وقد سَاقَ أحياناً الستين ألفاً، ولا يخفى أيضاً ما بين الجيشَين من تفاوتٍ وبَونٍ في العُدَّة والسلاح.

هذا هو «**المختار**» الذي جاهد في الله لإعلاءِ كلمَته، والذي أعدمته إيطاليا، فلم نواسه حتَّى بالصلاة عليه. ووقفتُنا هذه التي وقفناها إزاءَ إعدام «**المختار**»، والتي إن كانت تدل على شيء فعلى انعدام الغيرة الإسلامية. هي بعينها التي وقفناها إزاءَ كلِّ مصيبةٍ حلّت بالإسلام والمسلمين، فأين هي غَيرتُنا الإسلامية؟!

تعقيب (*)

[لقد كان لافتتاحية العدد الفائت من جريدتنا بعض أثر في نفوس القراء، يدل على ذلك قيام حضرة الأجل الغيور السيد **محمد المشهور** ـ إمام مسجد جامع السقاف ـ بالصلاة على روح بطل الإسلام المغوار السيد عمر المختار، وتوالى إرسال رسائل التحبيذ من كثير من القراء الغيورين، نذكر منها فيما يلي رسالة حضرة الفاضل الغيور صاحب التوقيع، فقد أرسلها ليشاركنا شعورنا الديني، مما يدل على إخلاص وغيرة].

(*) نشر في «صحيفة العرب»، العدد (٥)، الصادر بتاريخ ١٧ جمادى الثانية ١٣٥٠هـ، موافق: ٢٩ أكتوبر ١٩٣١م (ص ٣).

«حضرة الفاضل محرر صحيفة العرب الغراء تحية وسلاماً

أتشرف بإفادتكم أني قرأت العدد الرابع من العرب، وقد أعجبتني منه افتتاحيته بعنوان (هل فينا غيرة إسلامية)، فتقبل مني أيها المخلص لدينه شكري على تحبيركم ذلك الفصل الممتع الذي تبرز من بين أسطره روح الإخلاص والغيرة التي ينبغي أن تكون في كل مسلم على وجه البسيطة.

إن خسارة الإسلام لعظيمة في ذلك البطل المغوار، المجاهد السيد عمر المختار، وإن من جحود المسلمين لأبطالهم أن لا ينال أمثال ذلك البطل قليلاً من التقدير ولو بعد مماته؛ إذا صح. وإن دليل الجحود لقائم، حيث إننا لم نؤد الصلاة على روحه الزكية الطاهرة حتى صلاة الغائب، وهي أقل ما يمكن أن نقوم به نحو البطولة الإسلامية، والمثل الأعلى للتضحية في الخدمة للدين والوطن.

وبهذه المناسبة؛ أذكر لكم حادثة حدثت أمامي، مما يدل على أننا لا نقدر الرجال، ولا توجد في قلوبنا ذرة من الغيرة الإسلامية التي نزعمها، ففي ربيع الثاني سنة ١٣٤٨هـ (وسبتمبر سنة ١٩٢٩م) حدثت الحوادث المعروفة بين العرب واليهود في فلسطين، وذهب من العرب في هذه الحوادث عدة أشخاص كانوا أبطالاً بدون شك، لأنهم ضحوا بأرواحهم في الدفاع عن أولى القبلتين، وعن حمى فلسطين العربية.

فطلبت من إمام مسجد العرب في (فكالوغن) أن يقيم على أرواحهم الطاهرة صلاة الغائب، فماذا تظن كان رده علي؟ قال لي: سأسأل أولاً إن كانت تجوز عليهم صلاة الغائب أم لا؟!

أترك لك أن تتصور مبلغ اندهاشي من جهل هذا الإمام، وقدر غيرته الإسلامية، مع أنه دائما يصلي صلاة الغائب على أناس لا يكونون شيئاً مذكوراً بجانب أولئك الأبطال. من

قصتي هذه تجد لك قوة تدعم بها قولك في انعدام الغيرة الإسلامية من قلوب بعض المسلمين، وإنه لمن المؤسف أن يكون زعماؤنا من أولئك الناس عديمي الغيرة الدينية.

وقبل أن أختم رسالتي أكرر لك شكري الخالص، وأرجوك أن تواصل كتابتك في الأمور والمسائل المتصلة بحياتنا، والتي لها مساس بأمورنا، وذلك ما تنشأ لأجله الصحف. وتقبل مني فائق الاحترام، والسلام.

من المخلص
عبدالله عمر عمار، سنقافورة
٩ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠هـ
٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣١م».

* * *

حولَ تهجّم المستر (ب. د. نولس) على الإسلام(*)

طالعَ القراءَ في العدد الفائتِ تهجّمُ المستر «ب. د. نولس» على الـدين الإسـلامي في محاضَرته التي ألقاها في «روتَري كلَبْ» عن موضوع **القرصنة**، برَمْيه الدّينَ الإسـلامي بأنـه دينٌ لم ينتشِرْ بغير السَّيفِ والجبروتِ، وأن الذين اعتنقُوه لم يكن اعتناقُهم لـه تسـليماً بسـمُوِّ مبادئِه، ولكن خوفاً من السَّيفِ وتحت سيطرةِ القوّةِ الغاشِـمة، وقـد ترجَمْنـا للقـرّاءِ تعليـقَ مراسلِ جريدَةِ «مَلايَ تريبيون» ـ المنصِفِ ـ على تلكَ المحاضرة.

والذي يبدُو: أن المحاضِرَ صدر منه ذلك التهجّمُ الخالي عن الإنصَافِ تحـت سـيطرةِ العاطِفة، وقد تجرد عن العَقلِ المفكّر الذي يلزَمُ بالإنسان الحدودَ، ويمنعه عن تخطيها، فإنـه لو كان ساعَتئذٍ ألقَى كلمته مهتدياً بالعقل ومسترشداً بالبرهان، لم يصدرْ منه ذلك الـتهجّمُ الذي إن كان قَد دلَّ على شيء، فعلى جَهلٍ بالتاريخِ، وخروجٍ عن دائرة العقـل، فـإنّ الـذي ادّعاه لا يؤيدُه دليلٌ، وينبو عن التّسليم به العقلُ السليم.

إننا وهو لم نكن من الشّاهدين لعصرِ بـزوغِ الإسـلام، فنعـبّر عـمّا رأتـه الأَعـينُ مـن أسبابِ انتشارِ الإسلام، أكانَ لسُموِّ مبادئِه، وتغلغل حبه إلى القلـوب والأفئـدةِ، أم لتـذرّع حُـمَّـالِ رايتِه بالقوة والوحشية، وإرغامِهم كلَّ من يخالفُهم دينـاً عـلى اعتناقـه، كـما يـدعي حضْرةُ المحاضِر؟! ولكن التاريخَ وميزانَ العقـل همـا اللـذانِ يهـديان الباحـثَ إلى الحقيقـة والصواب، فبأيِّ تاريخٍ استرشَد المحاضرُ إلى رمي الإسلام بهذه الفريةِ التي هو براءٌ منها؟!

(*) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، الخميس ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ هـ.

أيُّ تاريخٍ دوّن بين دفتيه أنّ المسلمين هجَمُوا على هذا البُوغَازِ بأسَاطِيلهم فأرغَمُوا أهلَه على اعتناقِ الإسلام تحتَ تهديد السيف؟!

إنّ ما قرأناهُ مما حفظَتهُ الأجيالُ والتاريخُ، وقال به علماء الفِرنْجَة أنفسُهم، هو: أنّ نفراً من العرَبِ المسلمين نزلوا إلى هذه الديار ابتغاءَ الاتجار، خصوصاً في معادن القَصدير، وما أن نَزلوا بها، وأقامُوا مراسِمَ العبادةِ حتى طفق الأهالي جُموعاً وفرادَى يعتنقون الإسلام على يدَيهم، وقد استهواهُمُ الإسلام بمبادئه ونُظُمِه وتعاليمه، وبهذا قال الأستاذ «مارْسِلْ جراتيه» في «محاضرة له عن الشرق الأقصى». وبالصفة التي انتشَر بها الإسلام بهذه البلادِ انتشَر في جُلِّ غيرها من البلدان التي استنارتْ بالإسلام، فلم تكن الرهبةُ يوماً حاديةً لأمةٍ من الأمم إلى اعتناق الإسلام، كذب المفترون، وأتَوا منكراً من القَولِ وزُوراً. إذا كان التاريخُ حجةً والعقلُ برهاناً، فلا نأخذُهُما إلا مؤيدَينِ لنا، ومسفِّهَينِ دعوى المحاضرِ؛ فالتاريخُ طافحٌ بما يدعَمُ القولَ بأنّ المسلمينَ كانوا أعدلَ الأممِ، تطفَحُ قلوبُهم بالرحمة والإنسانية، وما تلك الرحمةُ والإنسانيةُ إلا أثَر تعاليمِ الإسلام ومبادئه.

وأي امرئ ذي مَسكةٍ من العلمِ وذرّةٍ من العقلِ ينكرُ الرحمةَ والعدلَ اللذين بهما كان المسلمون يعامِلون أهلَ الذّمة، انقياداً لأوامر نبيهم ﷺ في مثل قوله: «من آذَى ذِمِّياً فقَد آذاني»(١)، و: «من آذى ذِمِّياً فأنا خَصْمُه، ومن كُنتُ خَصمَهُ خَصَمْتُه يومَ القِيامَة»(٢).

---

(١) لم أجده مرفوعاً بهذا اللفظ، وإن كان صاحب **موسوعة أطراف الحديث** عزاه إلى **تاريخ بغداد** للخطيب، و**كشف الخفا** للعجلوني، وهذان الموضعان إنما ورد فيهما نص الحديث الذي يليه، وحكم عليه الملا علي القاري بالوضع في **«الأسرار المرفوعة»** (٢: ٤٨٢).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في **«تاريخ بغداد»** (٩: ٣٤٣) من حديث ابن مسعود، وأورده ابن الجوزي في **«الموضوعات»** (١٠٣٨)، والسيوطي في **«اللآلي»** (٢: ١٤٠)، والكناني في **«تنزيه الشريعة»** (٢: ١٧١)، و**«كشف الخفا»** (٢: ٣٠٣)، وأصله عند أبي داود (٣٠٥٢) بلفظ: **«ألا من ظلم معاهداً**

وها هي ذِهْ أقوالُ علماء الفِرَنْجَة المنصفين تَـدحَض مـزاعمَ المحـاضِر وتهـدمها مـن الأساس:

يقول الأستاذ **غوستاف لوبون**: «وهم ـ أي: الخلفاءُ المسلمون ـ كـانوا بعيـدين عـن التوسل لنشر اعتقاداتِهم بواسطة القوة، وكانوا يصرّحون حيثما نزلـوا بـاحترامِهم المـذاهبَ والعاداتِ والتقاليدَ عامّةً. ولقاءَ حمايةِ البلادِ اكتفَوا بجِزيةٍ زهيدةٍ هي أقلُّ مطلقاً من الرسومِ التي كان يتقاضاها الحكّام القدماء. وإنّ سيرةَ عمرَ بنِ الخطاب في القُدس توضِّـحُ لنـا بـأيِّ عُذُوبةٍ كان العربُ الفاتحون يعاملونَ المغلوبينَ، خلافاً لما ارتكبه في تلك المدينـةِ الصـليبيونَ بعد بضْعةِ قُرون».

وقال **ڤانْ دانْ بِرْخْ**: «كلُّ الحرّياتِ الشخصيةِ والعمومية ولا سِيّما حريةَ الدينِ مكرَّسةٌ للذمِّيين»، أي: في الإسلام.

وقال م. **هوداس**: « يتمتعُ الذمّيون بحظٍّ وافرٍ، فهم أحرارٌ في مزاولةِ دينهم، يحتفظون بقوانينهمُ الخاصّة. ولـمّا لا تكونُ علاقةٌ مَّا لمسلمٍ، يُقضَى بينهم في خصوماتِهم الجزائية والحقوقية بواسطةِ واحدٍ منهم مفوضٍ من السلطة».

ويقول الدكتور **انريكو انسباتو**: « إذا رُوعيَت هذه القواعـدُ حسـبما قررتْـه الشرـيعةُ الإسلامية، فإن مواقفَ المسلمين تُـجَاهَ خصومِهم لا تكونُ مواقفَ إنسانيةً فقطْ، بل تكـون أوفرَ عدالةً مما طالما عاملتْ به جملةُ حكوماتٍ أوروبيةٍ رعاياها، ولا سـيما في المسـتعمرات». وبمثل هذا قال دوزي المستشرق الهولندي.

أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيـب نفـس فأنـا حجيجـه يـوم القيامـة»، وعنـد البيهقي في **«السنن الكبرى»** (٩: ٢٠٥).

إن قول الله سبحانه: ﴿لا إكراه في الدين﴾، هو المبدأ الذي درجَتْ عليه دُولُ الإسلام منذُ بزوغِ شَمسِ الرسالة في سماء الكونِ، وعلَّمه الرسولُ ﷺ خلفاءه من بعده، فقال كما تقدم: «**من آذى ذمياً فقد آذاني**».

وذاك أبو بكر ﷺ أولُ الخلفاء، ومن أشدهم تمسكاً باحتذاءِ سيرةِ الرسول ﷺ وانقياداً لأوامره، قال في وصيته إلى أسامة بن زيد: «لا تخونوا، ولا تغُلّوا، ولا تغدُروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا طِفلاً، ولا شَيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً، ولا بقرة، ولا بعيراً، إلا لمأْكَلِه، وسوف تَمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسَهم في الصَّوامع، فدعُوهم وما فرغوا أنفسَهم له».

وقد قال عليٌّ كرم الله وجهه: «إن الذمِّيين ملزمون بأداءِ الجزية ليكونَ لهم ما لنا وعليهم ما علينا». أي: الذمِّيُّ ينال مقابلَ دفع جزيةٍ بسيطةٍ حريةً كاملةً في شؤونه كلها: الدينية، والاجتماعية. وذلك منتهى التسامح.

وتلك الجزيةُ التي يدفَعُها الذمِّي تكونُ لقاءَ قيامِ المسلمين بالمدافعةِ عنهم، وصيانةِ أرواحِهم وأموالهم، لا من غيرِ مقابلٍ، وليس من بابِ الظلم وابتزاز الأموال، كشأن حكوماتِ أوروبّا الاستعمارية، التي تبتزُّ منّا الأموالَ بمزاعِمَ شتَّى وأساليبَ متنوعة!

يزعُمون أنّ المسلمين أجبروا الأمم على اعتناق الإسلام مع أنه قد بلغَ ببعضهم التساهل والتسامح إلى أن هَمّوا بإقامةِ العقَبات في طريقِ الراغبين في هداية الإسلام، فإنه لـمّا كثُرَ إسلامُ نصَارى الأقباطِ بمِصْرَ، خاف عاملُها من نقْص الإيرادات، فكتب بذلك إلى عمرَ بنِ عبد العزيز يقول: «إذا استمرَّ الحالُ على هذا المنوالِ فعَمّا قليلٍ يسلم جميعُ أهلِ مصرَ، وبذلك تفقِدُ الدولةُ الإيراداتِ التي يدفَعُونَها إلى بيتِ المال».

فأرسل إليه عمَرُ رسولاً، وأوصاه أن يضرِبَه على رأسه ثلاثينَ ضربةً عقاباً له على ما كتبه، وأن يأمره برفْعِ الجزيةِ عن كلِّ رجل يعتنقُ الإسلام، وأن يبلّغه أنه ـ أي: عمر ـ يكون سعيداً إذا أسلمَ جميعُ النصارى، لأن الله أرسَلَ رسولَه هادياً ولم يرسلْهُ جابياً».

وقد كانَ المعتزُّ في مِصرَ يحرّضُ ملوكَ النصرانيةِ على ديننا الحنيفِ، وغيرُه كثيرون كانوا يسعَون ضِدَّ الإسلام، مع التظاهُر بالتديّن به، وفي الحقِّ لقد أصيبَ الإسلام بيدِ أبنائِه الذين هم دخيلون عليه، ممن لم تتشرَّبْ قلوبُهم بروحِه، أكثرَ مما نال منه الأجانبُ.

الإسلام انتشر بقوَّةِ السَّيفِ والوحْشِية! هكذا يقول المستر **نَولِسْ!** فلنُلْقِ عليه هذا السؤال:

إذا كانَ ما تفوَّهْتَ به هو الحقُّ فلماذا لا يزالُ وجْهُ البسيطةِ يضيق بالمسلمين؟ ولماذا لا يزالُ الإسلام ينتشِرُ حتَّى في أوروبّا ذاتِها مع أنّ من المعلومِ أنه لم تبقَ أيةُ قوةٍ للإسلامِ، حتى ليدافعَ عن نفسِه ويردَّ عاديةَ المعتدين، فضلاً عن أن يكرِهَ غيرَه على التدين به!

ولماذا نسمعُ آونةً بعد أخرى بإسلامِ كبيرٍ من عُظماء الغربِ؟ لماذا يسلم **اللُّورْد هِدْلِي** ومركِزُه العظيمُ معلومٌ؟ ولماذا يسلِمُ الكاتبُ العلامةُ «**مَرمدْيُوكْ بِكتُولْ**» مترجِمُ القرآنِ الشريف؟ ولماذا يسلمُ الآلافُ من الأوروبّيين والأمريكيّين مع قلّة القائمينَ بالتبشِير من المسلمينَ، وكثرةِ القائمينَ به من المسيحيِّين؟!

أليسَ كلُّ ذلكَ لأن الإسلام بمبادئِه الساميةِ يستهوي الألبابَ ويخترقُ شغافَ القلوب؟ بلى، بلى. ولكن هي البغْضةُ والتعصُّب تدفعُ بالبعضِ إلى إنكارِ وضَحِ الشمسِ رأدَ الضُّحى[1].

---

(١) رأدَ الضحى ورائدُه: وقت ارتفاعه. «القاموس».

عِظَاتٌ في مَلاهِي (*)

في حوادثِ الأيام وما يُشاهَدُ أمامَ الأعينِ والأبصَارِ ممَّا يمُر المرءُ عليه لا يلقِي له بالاً، عبرٌ وعِظاتٌ بالغةٌ، هي أبلَغُ وأوقَعُ في النفسِ من الدروس التي يتلقاها في المدارسِ، ومن العِظاتِ التي يسمعُها في المساجد والمجامع، غيرَ أن الإنسانَ قلَّما يستخلصُ من مرئياتِه ومشَاهَداته في هذه الحياةِ التي كلها دروسٌ، شيئاً من ذلك، وهذا طبيعيٌّ، لأنّه قد أَلِفَ أن يرى ذلك كلَّ حينٍ، وإنَّما يلفِتُ أنظارَ المرءِ ما كان غريباً.

أقولُ هذا؛ لأني شاهدتُ في أحدِ الأسابيعِ الخاليةِ واقعتين، ألفَتتا واجتذَبتا أفكاري ـ لا أقول أنظَاري ـ وأخذَتا بمجامعِ قلبي، ومرَّتْ عليَّ أيامٌ لا أفكّر في سواهما، وليستا تلكُما الحادثتانِ غريبتَين، وقد يكونُ كثيراً ما شاهدَهما غيري، ولكن مرَّ عليهما كما يمُرّ على شيءٍ مألوفٍ يقع كلَّ آنٍ تحتَ الأبصار.

أما الأولى: ففي ليلةٍ كان استولى عليّ الهمُّ ونوعٌ من الانقباض، وبينما كنتُ أعاني تلك الأزمةَ النفسيةَ طرق البابَ صديقٌ لي يخلصني المحبةَ وأخلِصُه، وبعد أن أخذَ مجلسه قُبالتي لاحظ كآبةً باديةً عليَّ وما كان يعتادُ ذلك مني، فكأنه أرادَ تسليتي فطلبَ أن يصطحبني إلى الملهَى المسمّى «الدنيا الجديدة»، وما كان يطرقُ ذهنَه ولا ذهني أني سأرجعُ مثقلاً بضعفَي تلك الهموم.

ذهبنا سوياً، فطُفنا على أنواعِ الملاهي المنبثّة بذلك الملهَى، بين سينماءاتٍ ومراهجِ

(*) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد السادس، الخميس ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠هـ.

تمثيلٍ وغيرها، حتى قادتنا أقدامنا إلى مرسَحٍ[١] متواضع تمثَّلُ فيه روايةٌ عربية، كما قرأنا من الإعلان.

هناك، وعلى ظهر ذلك المرسَح شاهدْنا امرأةً في شَرخِ الشبابِ، ترقُصُ بلباسٍ عربي، تبدو عليها الملامحُ العربية، وتظهرُ على شفَتيها ابتسامةٌ تدُلُّ على أنها تُضمرُ وراءَها آلاماً وتضجّراً من الأقدار القاسية التي ساقتْها إلى الظهورِ في تلك البؤْرةِ الفاسدة، وأنها لم تعتلِ ظهرَ المرسح إلا بسائقٍ من الفَاقة، فقد كانتْ تنكمِشُ وتجمَعُ بعضَها إلى بعض، ولم تكن كأولئكَ اللوَاتي يتفنّنَّ في إغواءِ النظَّار بحركاتهنّ وتلوّياتهنّ الشيطانية، فمن يا ترى تكونُ تلك المرأةُ وما جنسُها أهي عَربيةٌ؟ بينما كنتُ أسائِلُ نفسي هذا السّؤالَ التفتَ إليَّ صديقي قائلاً:

- هل عرفتَ جنسيةَ هذه المرأة؟
- أنَّى لي أن أعرفَها ولم أشاهدْها من قبلُ، غيرَ أني شعرتُ كأنها تناجيني.
- إنها عربيةٌ شريفةٌ من سُلالة البتول، ولا أعلمُ من أيٍّ من قبائلِ السادة.

خرجَتْ تلك الكلماتُ من فَم صديقي كأنها قذائفُ اخترقتْ فؤادي، عربيةٌ شريفةٌ تمثل على المرسَح! عرَبيةٌ شريفةٌ في بؤرة الفسادِ! عرَبيةٌ شَريفةٌ بين العاهِراتِ والبغِيّات!

أبلَغَ بالعرَبِ وأبناءِ فاطمةَ الزهراءِ الطاهرةِ أن يصِلُوا إلى هاتِهِ المواطنِ؟! مواطنِ الفجورِ والفُسوقِ! يالَلعِرضِ المضَاع! يا لَلخِزيِ والعَار!

على من يعودُ الذنبُ؟ عليها أم عَلى العلَويين الذين ملؤُا الأسماعَ بطَنينِ «الكفَاءةِ»؟!

شعَرتُ أنها ـ وقَد رأتْ أمامَها «الطَّرابيشَ» ـ تناجيني قائلةً: «أنتُم تنشُدونَ السُّلوَّ إذا أناخَتْ عليكم الهمومُ برؤيتنا، تُشاهدونَنا ضاحكين معجّبين بجَمال هذه وتلك، وهنَّ يظهرن

---

(١) المرسح: هو المسرح، حسبما اختاره بعض المصريين.

فيتكلّفْنَ بطبيعة المهنة أن يبتعِثنَ إعجابَ النظّارِ بابتساماتِهنّ وحركَاتهنّ، فهل خطَـر ببـالِكم ما تُـخفِي الواحدةُ من آلامٍ مبرِّحةٍ وراءَ ابتسامتها؟! وهل انتُزِعت الغيرة منكم فلم تعودوا تغضبون لرؤيتكم مثلي ـ وأنا بنتُ جِلـدَتِكم ـ بـين العـاهرات والبغيـات دفعتنـي الأقـدار القاسية أن أظهر بينهن دفعتي الفاقة بعد أن أصبت في أبي وأمي ومن يكفلني».

وهكذا شعَرتُ كأنها تناجيني، فأخذ مني الألم والغَيرةُ كلَّ مأخذ ولكـن! ولكـن مـا حيلة الضعيف؟

لم أستطع إطالةَ مشاهدة ذلك المنظر المؤلم، فطلبت من صديقي أن نرجع إلى بيوتنا، فأُبْتُ مثقَلاً بأضعاف الهموم التي كنت ذهبت إلى الملهىٰ لأتخلى عنها.

هذه الواقعة تري القارىءَ مبلغَ ما وصلَ إليه العربُ عامـةً والعلَويـون خاصـةً مـن ضياعِ الأنساب وذهابِ الغَيرة منهم للعرض المثلوم، وتصورله مستقبلهم الرهيب.

فينا ذوو الثروات الضخمة والذين يدّعونَ الغَـيرة، و يطنطنـون بالـدعوة إلى حفـظِ الأنساب، فهل فكروا يوماً في انتشال مثل هذه الممثلة العربية الشريفة من بؤرة الفساد؟!

وهذه (**الشريفة**) ليست هي الوحيدةَ في مهنتهـا، فقـد توجـدُ كثـيراتٌ مثيلاتهـا أو شبيهَاتها في المهنة من(**الشرايف**)، والقراء يعلمون فلا داعي للفضْح.

* * *

يبلغُ بي العجبُ منتهاه، إذا ذكرت تلكَ الضجّةِ التي أثيرتْ حولَ مسـألة «**الكفـاءَةِ**» في الزّواج، والحركةَ التي أقيمتْ لإنشاءِ **جمعيةِ الرابطةِ العلويةِ**، صوناً للأنساب والأعـراض كما يدّعون فقد ألِّفتْ الكتبُ، وملئَتِ الصحف ردًّا على الثائرينَ عـلى «**الكفـاءة**» والمبتغـين إسقاطَها، ولكن هل تعدّى ذلك مجردَ الكلامِ والكتابة؟!

أما كان الأجدرُ بهم أن يبرهِنُوا على كـون «**الكفَـاءةِ**» في الـزّواج مرعيّـةً في الإسـلام

بانتشال «الشرايف» اللواتي أناخَ الفقرُ والفاقَةُ عليهنّ بكَلكلِهِ، فيكونَ البرهانُ أقوى دعامةً من الطنطنةِ بالكلمات الجوفاءِ، ولكن يبدو لي وللأسَفِ أنّ قومي رجالُ أقوالٍ أكثرَ منهم رجالَ أعمالٍ.

تلك هي الواقعةُ الأولى؛ وهي ولا ريبَ دروسٌ ـ لا درسٌ واحِدٌ ـ بالغةٌ، وعِظاتٌ صَامتةٌ لكلِّ امرءٍ يفكّر فيها تفكيراً جدِّياً.

فيا أيها القارىء! وخاصةً من كانَ أباً لبنتٍ، خُذْ ساعةً جانباً من ركنِ بيتِكَ وأعطِ هذه المسألةَ ما هي جديرةٌ به من التفكيرِ، تستشِفُّ منها مستقبلَك ومستقبلَ أنْسَالِك.

* * *

الأستاذُ عبدُالعَليمِ الصِّديقيُّ
ومجلةُ «الكُوَيت والعِراقيّ» الغَـرّاء![*]

يسُوؤنا ـ وأَيْمُ الله ـ أنْ أن يبلُغَ سوءُ التفاهُم بينَ فضيلةِ العلامة مولانا عبدِالعَليمِ الصديقيِّ والعلاّمة الأستاذ عبدِالعزيزِ الرّشيدِ والمحترَمِ الأستاذ يونُس البحْرِي، إلى حدٍّ ما ظهرَ في (العدد الثاني) من (مجلة الكويت والعراقي) الغراء، ولقد تعجّبْنا مما تقولُه: من أنّ مولانا عبدَالعليمِ ينشُرُ دعْوىً ضدَّ الحجَازِ وحكُومتِه الحالية، لأنه زار سِنقَافُورةَ مراراً وتهيأتْ لفضيلتِه ظروفٌ كبيرةٌ لنشْرِ الدعوةِ ضدَّ الحجَازِ، في مئاتِ الاجتماعات التي حضرتْها الألوفُ أو عشَراتُها لسماعِ محاضَراته ووعظِه، ولكنّ أحداً لم يسمعْ منه شيئاً من ذلك.

لا نَعني بهذا أنّنا نكذِّبُ أو نصدّق (مجلة الكويت والعراقي) فيما نسبته إلى فضيلته من أنه قال: «إنّ في الحجاز كذا... وكذا...»، ولكن أردْنا تقريرَ حقيقةِ ما سُمِعَ هنا من فضيلته، لأن موقفَنا وخطّتنا هي المسالمةُ والحيادُ والإصلاحُ بين الناس ما استطعنا.

أما الدعايةُ ضدَّ الحجِّ فلتَشْقَ (الكويت والعراقي) الغراءُ أنها أقلَّ من أن يُلتفَتَ إليها في هذه البلاد، حتى وإن كان القائمُ بها من أمهرِ الناسِ وأقدَرِهم على نشرِ الدعايةِ المؤثرة، ونحن نَرى أن الردَّ ـ سيما إن كان بشدّةٍ ـ على من يقولُ أو ينشُرُ ـ شيئاً من التّرَّهاتِ ضدّ الذهاب إلى الحجَاز للحج، هو مِمّا يساعدُ المردودَ عليه على نشرِ ما يريدُ، ومما يزيدُه عناداً

(*) «صحيفة العرب»، العدد السابع، الخميس ٧ رجب سنة ١٣٥٠هـ.

يحمله على مضاعفةِ ما كان يعمله، وتكرارُ الدعايةِ يفيدُ غرَضَ الداعي في الجملة، ولو كان على غير حقٍّ كما هو ثابت، وكل شيء يمكن تقبيحُه بالكلامِ، كما جاء في قول الشاعر:

قَد قِيلَ ما قيلَ إن صدقاً وإن كَذِبَا

والحالةُ الحسنةُ اليومَ في الحجاز، وما ينقُلُه عنها عشراتُ الألوفِ من القادمين منها، هو أكثرُ من كلِّ دعاية. فالحجازُ لم تَر منذُ مئاتِ السنينِ أماناً وإدارةً أصلحَ مما هي عليه الآنَ بشهادةِ الحجّاج، على أننا لا نعني بهذا أنّه بلغَ حدَّ الكمال، وأنْ ليسَ في حالته الحاضرة إلا كلُّ ما يستحقُّ عظيمَ الثناءِ والمدحِ، فإن الكمالَ له تعالى، والناسُ والأحوالُ لا تستكمِلُ صلاحَها إلا بالنقد النزيه، ومن يمدحُ في كلِّ شيءٍ لا يُعدُّ صديقاً نافعاً، ولو كان عن حُسْنِ نيةٍ. وفّقنا الله إلى إصلاح أمورنا وتقويم مُعوَجِّنا.

والذي زاد في ألَمِنا: أنّ فضيلةَ مولانا عبدِ العليم و(الكويت والعراقي)، كلّهم من العاملين على نشرِ مفَاخرِ الإسلام، المدافعينَ عنه أمامَ أعدائه، من مبشّرين وقاديانيةٍ. فَفي هذا الخلافِ نوعٌ من ثغرةٍ في صفوفِ الذّادةِ عن الإسلام، يشمُتُ بها ـ ولا شكَّ ـ أعداؤُه.

ولا نبالغُ إذا قلنا: إنّ الألمَ عامٌّ عندَ كلِّ من قرأ (الكويت والعراقي)، لمكانة المختلفِينَ الأفاضلِ، ولما شهده أهالي آراضِ الملايو من جهادِ مولانا عبد العليمِ الذي لا يكِلُّ ولا يمَلُّ في نشر الدين الإسلاميِّ، ورفع لوائه عالياً في كل بلدةٍ وجِهةٍ هنا، وعلى ما نسمَعُ في جميع الأراضي التي يزورُها ويحُلُّ فيها.

إن أيامَ مولانا عبدِالعليم عندَنا في سِنقَافُورةَ جُلُّها أو كُلُّها أعيادٌ ومظاهراتٌ إسلاميةٌ، يرفَعُ فيها المسلمونَ رؤوسَهم على أعداء الإسلام، من مبشرين وقاديانيين.

تمضي هنا عشَراتُ السنينَ ولا نسمعُ سوى فضيلتِه يعلنُ على رؤسِ الأشهادِ في الصحُف وغيرها استعداده لمناظرةِ أيِّ شخصٍ كان من مبشرين أو قاديانية، وكلِّ من عنده أي شبهةٍ في الدينِ، وإقناعِه بجُمْلةِ لغاتٍ. وبالفِعْلِ؛ لا يأتيه أحدٌ ويخرجُ من عنده إلا وهو

إما مغلوبٌ معاندٌ، أو مُهتَدٍ مُقتَنِعٍ.

وقد أسلَم على يده هُنا جملةُ أفرادٍ، وتَواترت الأخبار بأنّ ألوفاً من الهندوسيين أسلمتْ على يده في الهند، هذا كلُّه إلى ورعٍ وتقًى وتعبدٍ وعفةٍ ونزاهةٍ بالغةٍ، ولو أردنا ذكرَ كلِّ ما رأيناه هنا فقَط من فضيلتِه لما وَسِعَتنا هذه الصحيفةُ، وذلك من فضْلِ الله يؤتيه من يشاء، مما أكسَبه حبَّ وإعجابَ الناسِ وتقديرَهم لمكانته العالية.

وما يومُ سفَرِه من سِنقافُورةَ ببعيدٍ، فلم يَرَ أحدٌ من المسلمينَ أو غيرَهم يوماً مشهوداً وُدِّع فيه أحدٌ بمثلِ ما وُدِّع به مولانا عبدُالعليم، فكانت مظَاهرةً إسلاميةً بالغةً، اشتَرك فيها الجمُّ الغفيرُ من جميع الأمَمِ الإسلاميةِ عرَباً وعجَماً، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، حتى كادَتِ الأنفاسُ تختنق في البَاخرة.

أما جَلدُهُ العظِيمُ في إلقاء محاضراته ووعظه، فمما ـ والله ـ يُضرَبُ به المثلُ، يلبَث يرتَجِلُ ويخطُبُ الساعاتِ الطِّوالِ بكلِّ حرارةٍ وحماسة وإيمانٍ، حتى لتشفِقَ من أن يصيبَه بعدَها الإعياءُ أو المرضُ، فما يُدهِشُك إلا وأنت تَراه في اليوم التالي وهو يقومُ بمجهودٍ أشدَّ، ويخطُب ساعاتٍ أطولَ.

وفضيلتُه من أشدِّ ـ بل لم نَرَ نحنُ أشدَّ منه ـ على القاديانيةِ، لذلك حقَدَ عليه أتباعُها، وأضمَرُوا له العِداءَ الشديدَ، ولكن في جبنٍ ودناءَةٍ، فاختلقُوا عليه الأكاذيبَ، ورمَوهُ بكلِّ فِريةٍ وسقوطٍ، ما زادَه إلا رفعةً وتقديراً عند عموم المسلمين، لذلك نخْشَى ـ وجِدًّا نخشَى ـ أن يتظاهَر أذنابُهم أو أحدٌ منهم بالغَيرةِ على الإسلام، وبعد أن يستُر قاديانيتهِ، يأتي إلى (الكويتِ والعراقي)، منتهِزاً فرصةَ سوءِ التّفاهُم، ناقلاً إليها بعضَ ما اختلقُوه على فضيلتِه من إفكٍ وبهتان.

إنّ السائحَ لم يعرِفْ مولانا عبدَالعليم إلا في (سِنغَافُورة)، وافتَرقا فيها وهما على أحسن ما يكون، فلا بُدّ أن وصلتْ إليه تلك الأشياءُ في (جَاوَا). ونرى من واجبِ الإسلام

أن نحذِّره من أذنابِ القاديانيين، الكثيرِي الانتشارِ في (جَاوا)، الذين قد يستغلّون حُسنَ نيته وسوءَ التفاهم بينه وبين مولانا عبدِالعليم لحسابهم.

وإننا نناشدهم اللهَ أن لا يشمّتوا المبشرينَ والقَاديانيينَ في مولانا عبدِالعليمِ، لا لشَخصِه الفاضِلِ فحسْب، بل لتطوّعِه في جهادِ أعداءِ الدّين، جهاداً لا يتأتّى مثلُه للكثير من المسلمين، لمعرفَتِه بخفَاياهم، وتخصُّصِه في هَتكِ أضاليلهم، وبما آتاه الله من قُوّةٍ في الخطابة والمباحثة بلغتهم الهنديةِ، وباللغة الإنكليزية.

وإن ننْسَ فلا ننسَى محاضراتِه ووعظَه في القاعة الكبرى لمدينة (سنقافورةَ) باللغة الإنكليزيةِ بطلاقةٍ وبلاغةٍ، شهد بها الأعداءُ قبلَ الأصدقاء، وحضَرَها الألوفُ من كلِّ الأجناسِ والملل، أوروبيين وغيرهم. وبما أنّ رجالَ الدّين هنا لا يعرفون إلا العربيةَ والملايو، فكَمْ هو عظيمٌ قيمةُ ما يلقيهِ مولانا بالإنكِليزيةِ على شبابِ المسلمينَ والمتخرّجين من المدارس الإنكليزية، الذين لا يعرِفُ أكثَرُهم من الدّين إلا مراسِمُه، ولكنْ سمِعْنا منهم من يقول: «ما أحسنَ دينَنا! »، بعدما سمِعَ تلك المحاضرة، فما أبردَهُ على القَلبِ من قَولٍ.

واليومَ مولانا عبدُالعليم قد سافر من (جَاوا)، وهذا شيءٌ من أعماله وفضلِه، فلو بدى منه شيءٌ غيرُ موافقٍ في نظرِكُما فالكمال لله وحدَه، والمرجُوُّ وضعُ حدٍّ لما يشمَتُ منه أعداؤه وأعداؤكُم المبشرون والقاديانيون، نسألُ الله أن يوفّق بين رجالِ المسلمين.

* * *

وبمناسبةِ ما ذكرناه عن مولانا عبد العليم: نحُثُّ رجالَ الدينِ منّا على دراسةِ بعضِ العلومِ العصرية، واللغاتِ الأجنبية، سيَّما الإنكليزية، فإنّ للأُممِ الإسلاميةِ من العرَبِ والهنود والجاويين والملايو والأتراك مجالاً لتفهّم دينهم، من المؤلّفاتِ والمجلاّتِ والجرَائدِ الإسلامية المكتوبة بلغاتِهم، وما يلقَى في مدارسِهم ومساجدهم من تعليمٍ ووعْظٍ، وإن كانَ ذلك يستلزم المزيد. ولكن كيف نُوصِلُ نورَ هذا الإسلام وهدايتَه وتعاليمَه إلى الأمم

الأخرى بغير مخاطبتها بلغتها؟

والإنكليزيةُ تكَادُ تصبحُ اليومَ لغةً عالمية، وأغلَبُ الشبابِ ـ أي: رجَالَ المستقبلِ ـ من الأمم الإسلامية وغيرِها، هم مِمن يفهَمُ الإنكليزية.

أما شبابُ المسلمينَ في المستعمراتِ، فإنهم متضلّعون فيها أكثرَ من لغاتِهم الأصليةِ، وهم أو أكثريتهم الساحِقةُ متعلِّمونَ في مدارسَ لا أثرَ لدِينِنا فيها، فإن لم نغذِّهمْ بمبادئِهِ وتعاليمِه بواسطةِ المحاضراتِ والمطبوعاتِ بتلك اللغة، فقد خَسرْناهم وكَسِبَهم أو كَسِبَ أبناءَهم غيرُنا، والدين الصحيحُ لا يكون إلا عن عقيدةٍ وإيمانٍ، وكيف يأتيانِ إلا لمن وصلتْ إليه هدايةُ الإسلام ومبادِئُه بما يفهمُه ويقتنع به شخصياً.

ونحن بإهمالِ رجالِ ديننا تعلُّمَ اللغاتِ الأجنبيةِ فقَدْنا كثيراً من الفُرَصِ لإدخالِ أحدٍ من الأمَم الوثنيةِ إلى حَظيرةِ الإسلام، بينما اغتَنم المسيحيون ذلك بما استعَدَّ له رجالُ دينهم. وأمامكم الملايينُ من الهنودِ والصينيينَ الذين دخَلوا في المسيحية، وما زالوا يدخُلونَ فيها كلَّ يومٍ، وكنا أولى بِهم لأنّهم شرقِيونَ، تقرُبُ أذواقُهم وميولُهُم إلينا أكثَرَ عن غيرِنا من الأوروبيين.

وفوقَ ذلك ؛ لنا من دِيننا ما يساعدُنا عليه، من فِطرَته ومتانةِ أركانِه، وخلوه من الخيالاتِ والخرافاتِ، ومماشاته العلمَ والمدنيةَ، وهذا مولانا عبدُالعليم قد أتى بما لم يأتِ به المئاتُ من العلماءِ، حتى في مِصرَ! وما ذلكَ إلا لتثقّفِه ببعضِ العلومِ العَصرِية، ومعرفته لعددٍ من اللغَاتِ، خصوصاً الإنكليزية، وفّقنا اللهُ لما يُعلي وينشرُ الإسلام.

* * *

عِبَرٌ مِمّا حَولَنا(*)

ذهبت وجمعاً مع أصدقائي ليلة إلى الملهى الذي افتتح أخيراً بالقرب من «هَفْ لُوكْ رُودْ»، وبعد أن تجوّلنا في أرجائه، وأمتعنا البصر و الأسماع من المناظر المختلفة، وأنغام الموسيقى، هممنا بالعودة، ولكنّ أحدَ الأصدقاء الذين كانوا معي أخذني بيدي، وقادني ليريَني محلاً لم أره في جولتي، فتوجّه بي إلى واجِهة مخزَنٍ مزدانٍ بالثُّرياتِ الكهربائية الملونة والمرتبة، تلويناً وترتيباً يأخذان بأبصار الناظر، حتى أنه ليردد النظرةَ تلوَ الأخرى فلا تكاد أنظاره تودّ الانصراف.

وأشعرَني بأنّ هذه المحل بمثابة معرض للمصنوعات الصينية، فطفت به متأمّلاً تلك المصنوعات الشرقية الصينية، فوَعَمْرِكَ أنه لو لم يخبرني صديقي بأنها من مصنوعاتِ الصين، لما كنت أستطيع التمييزَ بينها وبين مصنوعات أوروبا، فقد كانت بغاية الإتقان والجودة والانسجام، لدرجة أنها إن لم تفُقْ مصنوعاتِ أوربّا لا تقلُّ عنها.

مالي وللإطالة في الوصف! ففي وُسعِ أي أحد أن يشاهد ذلك، وما تكلفُهُ المشاهدةُ عسيراً، ولكني أريد أن أقول: إنّ تلك المشاهدة لم تمرَّ عليَّ كأي حادث اعتيادي، فقد كنت وأنا راجعٌ في المركبة (ترولِّي بَاسْ) أتقلب بين: شعورٍ بألَمٍ مُمِضٍّ، وشعورٍ بفَرَحٍ ناتجٍ عن تَفاؤُلٍ.

شعورٌ بالألم: لأن أمّةً وثنيةً كالصين، تتقدّم في الحضارة شوطاً بعيداً، فتزاحِمُ الغرْبَ

(*) «صحيفة العرب»، العدد السابع، الخميس ٧ رجب سنة ١٣٥٠ هـ.

في المصنوعاتِ، وتنافسُها في المعارف والعلوم. ونحن الذين يوسَمُ ماضينا بالحضَارة والعِرفانِ لا نزال مستعبَدِين، يسومُنا الغربُ صنوفَ الاضطهادِ، فما تتحركُ لنا شَعرةٌ، لا أقول: شعورٌ، فقد ذهبَ عنا بذِهابِ الآباءِ البهاليل، ومع ذلك نختلفُ على أنفُسِنا لأسبابٍ طفيفةٍ دينيةٍ، فيستفيدُ العدوُّ من خِلافِنا، **وإذا قيل**: لنأخذْ بمَعَارجِ الرُّقيِّ و الحضارة، بتعلم الصناعاتِ وتلقِّي العلوم. **أجبنا**: لا،لا؛ لندَعِ الغرْبَ يخدمْنا!

وشعوري بالفرح: كان لأن تقدّمَ الصينِ ورقيَّها يبعث في نفسي التفاؤل، بأنّا وإن كُنا في حالةِ انحطاطٍ، فسننجح في المسقبل، بإنشاء نابتةٍ تفهم الرقيَّ بمعناهُ الصحيح، فأمةٌ الصِّين قد انتابتها أدوارٌ بلغتْ فيها أشدَّ أنواعِ الهمَجيةِ والانحطاطِ، فما كان ذلك حائلاً لها دون استعادةِ مَجدِها الغابر.

يقول البعضُ: إن الأمةَ إذا ذهبَ عنها مجدُها كان معناهُ أنه: قد دالتْ دولتُها، وأن لا أمَلَ في استرداد مجدها ودولتها! ولكن هذه أمةُ الصينِ كان لها قبلَ آلافِ السنين فلسفةٌ عاليةٌ، وحضارةٌ ساميةٌ، ثم تدهْورَتْ إلى الحضيضِ، وبلغت من الانحطاط ما يعلمُه كلُّ ملمٍّ بالتاريخِ، والآنَ ها هي ـ على رَغمِ الفتَنِ الداخلية ـ معالِمُها قائمةٌ، تورِّدُ منتوجاتِها إلى أنحاءِ الأرض، وعليها طابَعُ الصين بأحرفٍ صينيةٍ، وأبناؤُها يتيهُون مستبشرين بمستقبَلِهم. إذا فحجةُ الذينَ يقولون: بأنْ لا أملَ لأيةِ أمةٍ في استعادَةِ مَجْدِها الغابرِ داحضةٌ، وإذاً فأمة العرَبِ ذاتِ الفلسفةِ التي لا تضاهَى، والحضارةِ المنقطعةِ النظير، يجب أن لا يتطرَّقَ إلى رُوعِها التشاؤمُ بالمستقبل، ولتسعَ ولتجدَّ، ولتنبذِ الجمودَ وراءَها ظِهريًّا، ولتُنشِ نابتةً تفهمُ الرقيَّ بمعناه الصحيح.

وبعد هذا ؛ ألستَ أيها القارئُ توافقُني أنّ فيما حولَنا مما لا يؤبَهُ له عبراً لمعتبرٍ ومدَّكِرٍ؟!

مِثَالُ أخلاقِ طَلبةِ مدَارسِنَا العرَبيَّة(*)

(لا تظُنّني أعْمَى إنّ عَينيَّ صحِيحتان!).

هذه كلمةٌ صدرتْ من تلميذٍ بمدرَسةٍ عربيةٍ، يُعدُّ نجيباً بين أقرانه، بلهجةٍ حارةٍ شديدةٍ، جواباً على عمِّه الذي كان قد سلَّم إليه ورقةَ (بنكَنُوت)، من فئةِ الخمسِ الريالات، ليشتريَ بها حاجةً ويردَّ الباقي. وكنتُ حاضراً تلكَ الحادثة.

ولم يقتصِرِ الأمرُ عندَ ذاك فقط، بل قَد قصَّ عليَّ العمُّ: أنه صباح اليوم التالي قال لابنه: «إن أباك البارحةَ كان أرسلَني لشراءِ حاجةٍ، وسلَّم إليَّ ورقةَ (بنكنُوتْ) ذاتِ الخمسِ الرِّيالات، وكأنه ظنّني خائناً أو أعمى، لا أفرّق بين فئة الخمسِ الريالاتِ وريالٍ واحد»، فنبهني قائلاً: «إنّها ذاتِ الخمْسِ الريالات»، ولكني قطعتُ جهيزتَه بجوابٍ شافٍ».

أوردُ للقارئ هذه الحادثةَ التي يعدُّها البعضُ تافهةً! لأدلِّلَ له على مثالِ الأخلاق عند ناشِئَتنا، ومبلغَ فسادِ تربيةِ تلاميذِ مدارسِنا العَربية، الذين يُعدُّون ذخيرةَ المستقبلِ ورجالَه، والكنزَ الذي يعلِّق عليه أهلُه آمالَهم، وقد يحاجّني البعض بأن حادثة كهذه فردية لا يسندها دليل من الخطل في الرأي جعلها مثالاً لكل الناشئة والتلاميذ، غير أنهم إذا أمعنوا معي وأعطوها جدارتها من الفكر الثاقب والبصيرة النافذة لم يترددوا عن موافقتي.

فهذا تلميذٌ نجيب في نظر أساتذته، مقرب لديهم، محبب بينهم، يفتخرون به في مواطن افتخار الأساتذة بنبوغ تلاميذهم الذين غذَّوهم بمعارفهم، وأرضعوهم لبان

(*) «صحيفة العرب»، العدد ١٣، سنقافورة، يوم الخميس، ١٤ شعبان ١٣٥٠هـ.

ثقافتهم، ولا ريبَ أنهم كذلك تأسَّوا بأخلاقهم.

تلميذ ذلك شأنُه ومرتبته بين معلميه وأساتذته، يجابه عمه الذي له السلطة التامة فيه، والذي يعد كأبيه، بمثل ذلك الجوابِ الخشن الشديد، الذي ينُمُّ عن روح تنطوي عليها جوانحه، ممتلئةٍ بالكبرياء والصلف والغرور. جوابٌ أقلُّ ما يقال فيه: أن المجيبَ به نِدَّه وقرينه خميصٌ من الأدب والأخلاق الحسنة، فضْلا عن عمِّه ومن له الولايةُ عليه، إنها وأيمُ الحقِّ لإحدَى الكُبَر.

وليس هذا التلميذ في الأخلاق غريباً بين أقرانه، وشاذاً بين أنداده، فيكون من باب النادر لا حكمَ له، ولكن الكلَّ أو الأغلبية على شاكلته، على تفاوتٍ في الدرجات، ولا أكونُ مبالغاً إذا قلت: إنه معدود في صفوف الصفوة والطبقة المنتقاة لدى أساتذته.

وفي الحق أني عندما أضطر لمخاطبة تلميذٍ أتحذَّر الحذر كله، أكثرَ مما أتحذَّر أيَّ إنسان آخر مهما سما وعظم، مخافةَ أن أُجابَهَ بمثل ما جُوبِهَ به ذلك العمُّ، وكما نالني مراراً مثلُ ذلك.

ذلك مثال أخلاق تلاميذنا وتربيتهم التهذيبية، فجنايةُ من يا ترى ذلك السوء في الأخلاق، والفساد في التربية؟ أجِنايةُ التلاميذِ على أنفسهم؟ أم جِنايةُ أساتذتهم ومربيهم؟

أما أنه جنايةُ التلاميذِ على أنفسِهم؛ فلا إخالُني بحاجةٍ إلى دليل في دحضه، فهو إذاً جناية الأساتذة والمربين!

فإن الطالب يسلمه ولي أمره إلى القائمين بأمر التهذيب والتعليم والتثقيف في المدارس، عُوداً لَدِناً، تكيِّفه أيديهم أنّى شاءت، وصفحةً بيضاءَ ليملئوا مصقُولَها بالحكمة والمعرفة، لا بالبذاءة وما تلوكه ألسُنُ من لا خلاقَ لهم، يقابلونَ بها مخاطَبهم متخيِّلين أنها أجوبةٌ مسكِتة، مفتخِرينَ بأنهم قطَعُوا جهيزةَ ذلك المخاطِبِ، مهما كان محترماً وعظيماً، فهل يؤدي أولئك المعلمون والأساتذة واجبهم كما يلزم؟ ذلك ما هو خليق ببحث القارىء.

الضعف في الأخلاق والتهذيب يتسرب إلى نفس التلميذ من ناحية الغرور، والغرور ينمّيه في نفسه أساتذتُه ومهذبوه، فالضَّررُ من حيثُ يُرجى النفع، وذلك لجهلِ الأساتذة والمعلمين أساليبَ التربية الصحيحة المجدية.

أستغفر الله! كيف لي أن أقول لجهلهم؟ وإنما لعدم اتّباعهم تلكَ الأساليبَ ترفّعاً عنها، فالزلّةُ مغفورة إن شاءت سماحة حضراتهم!

فإن التربية الصحيحة تختطُّ لنا طريقها، وتوضح أسلوبها قائلة: إن من حق المربي والمهذبِ أن لا يتبذّل لتلميذٍ إلى حدٍّ يُسقِطُ مهابته من عين الناشئ، كما أن من الواجب أيضاً عدم المبالغة في الجانب الآخَر، لئلا يقتل بذلك إرادة الناشئ واستقلاله.

وإذ رأى من أحد التلامذة جداً ومثابرةً فلا يبالغْ في مدحِه والثناء عليه ورفعِه إلى العَيُّوقِ أمامَ سمعه وبصره، بدعوى تشجيعه وإدخال السرور عليه وبعث روح النشاط فيه، فإن النتيجةَ تكون عكسيةً. فما يريده تشجيعاً يتحول غروراً في نفس الطالب، بعيد الأثر، يعسُر فيما بعد إزالته وانتزاعه.

وكثير من طلابنا من أصيبوا بهذا الداء العضال، ولو دُرسَت نفسياتهم ونظرتهم إلى من حولهم، لعلمتَ أن المتساهل منهم من يرى مخاطبه لا بأسَ من إجابته، خليقا بأن يظهر له نوعاً من البشاشة. وترى كثيراً منهم لا يجيبُ وليَّ أمره ـ بله غيره ـ عندما يصدِرُ عليه أمرَه، إلا لافتاً صبيح وجهه إلى الجانب الآخر، كأنما يحاول أن يريه صفحةَ خدِّه الناضر.

لستُ من أنصار المدرسةِ القديمة التي تقتل من نفس التلميذ إرادته واستقلاله كما قد يخالني البعضُ، ولا كذلك من أنصارِ إطلاق الحرية للطالب حريةً لا تحدُّها الحدود. ولا ممن يستحسن بذْرَ الغرور في نفوس الطلبة بمجاوزة الحدِّ في التحدث أمامه بمناقبه، ولكني أحبُّ التوسطَ بين هذه الأمور.

وقديماً قال الحكيم: (خير الأمور أوساطها)[١]، وإني أقدر للقائمين بأمر مدارسنا من نظّار ومدرسينَ فضلهم في إنارة عقول الطلبة بالمعلومات النافعة، وخدماتهم الجلّى، مما نلمَسُ أثرهُ اليومَ، غير أني أرى رأيَ الصُّوفيةِ، من أن: (التخَلِّي قبل التحَلي)، فإصلاحُ الفاسد من أخلاقهم أقدَم من تزويدهم بالمعارف، وذلك ما يؤيده المنطق.

وهل من المعقول أن تتزينَ بأحسَنِ لبُوسِكَ وأنظفها، وعلى بدنِكَ طبقاتٌ متراكمةٌ من الأوساخ؟!

حَولَ مقَالِ

مثَالِ أخْلاقِ طلَبةِ مدَارِسِنا العَربيَّةِ(*)

بقلم / أحد قراء صحيفة العرب (أ. م)

قرأتُ في جريدة «العرب» الغراءِ مقالاً عنوانه: (مثال أخلاق طلبة مدارسنا العربية)، فآسفني ما فيه من نقد على أعمال أساتذةٍ أفاضِلَ في (مدرسة الجنيد الإسلامية)، التي تعمل وحيدةً في هذه الديار على بثِّ التعاليم الدينية، وتعزيز الروح العربية.

فقد عجِبتُ للمحرر أن يتخذَ ذريعة له حصولُ حادثة واحدةٍ من تلميذ في تلك المدرسة، وإذا تمشّينا معه بأن ذلك التلميذ من النابهين لدى أساتذته، فهل معنى ذلك أنه معصومٌ من أن يأتي بخطأ واحد؟!

---

(١) رويت هذه الحكمة كحديث نبوي، إلا أنّ سنده ضعيف، كما نقله العلامة العجلوني في «كشف الخفا» (١: ٤٦٩)، وقال السخاوي في «المقاصد»: «رواه ابن السمعاني في «ذيل تاريخ بغداد»، لكن بسند فيه مجهول عن علي مرفوعاً». انتهى.

(*) «صحيفة العرب»، العدد (١٥)، الخميس ٢٧ شعبان سنة ١٣٥٠هـ.

وكيف يجيز لنفسِه أن يقيسَ سائرَ أو أكثريةِ تلاميذِ المدرسة على ذلك التلميذ؟ حتّى على فرضِ أنّ كلَّ أعمالِه سلسلةُ خطيئات! وينسى الفوائد المحسوسةَ الكثيرة التي يجنيها التلامذة من تلك المدرسة، من تعاليم عربية ودينية، ووضعِهم في قالَبٍ عربي إسلامي، يُسَرُّ له كلُّ عاقل؟ لم نسمع شيئاً من التقدير والتشجيع، حتى سمعنا النقدَ، وليت لذلك من مسوِّغٍ.

أيّها الإخوان! ليس النقدُ وحدَه في حالتنا الحاضرة بأداةٍ حسنة للإصلاح، ولكنه مُضر بالناقد والمنتقَدِ عليه. إن (مدرسة الجنيد الإسلامية) أوجدَتْ من العدم بيئةً عربيةً صالحةً لصِغارنا، ليسَ من السهل إيجادُها، فقد حاولَ البعضُ منا تعليمَ أولادِه اللغةَ العربيةَ سنيناً فلم يستطع، فلما أدخل أحد ابنائه إلى هذه المدرسة وأمضى فيها أقل من شهرين أمكنه أن يتكلم بكثير من التحسن عما كان عليه. هذه حسنةٌ واحدة من حسنات (مدرسة الجنيد الإسلامية) الكثيرة، وأساتذتها الأفاضل، هذه المدرسةُ من واجبنا تشجيعها تباعاً، وعدمُ نقدها إلا للضرورة ولأسباب لا تقبل جدلاً، وبأسلوب نافع لطيف.

وإذا وضعنا كلَّ تلك الاعتبارات السابقة جانباً، وقلنا: إن أخلاقَ أكثرية التلامذة سلسلةُ خطيئات، فمن الإنصاف أن نقول للكاتب: إن التربية الخُلُقيةَ والعاداتِ التي يتأثر بها الصغار لا تأتي من المدرسة، فقد أجمع علماءُ التربية على أنّ كلَّ ما انطبع على الأحداث من أخلاق وعادات لم يأتِ إلا من البيت لا من المدرسة.

فالتلميذ يتأثر في جميع أدوار حياته حتى المماتِ بما انطبعَ في ذهنه وتكيّف به من السَّنةِ الأولى لولادته إلى السنة الرابعة، وتأتي المدرسةُ بعد ذلك لتصقُلَ ما فيه من حسَنٍ، وتُصلحَ ما يمكن من قبيح، وليس هذا الإصلاحُ بسهلٍ، لأنّ ما يتأثّر به الصغيرُ تصعُبُ إزالته، اتفق الناس على هذا قديماً وحديثاً.

فهل نحمّل المدرسةَ تبِعةَ أخطاءِ البيت والله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، بل

الواجبُ: أن ندلي إلى أساتذة المدرسة بما يظهر لنا من وسائلَ مفيدةٍ تساعدهم على إصلاح تلك الأخلاق غير الحسنة في التلامذة، لا أن نحاسبهم على ما ليسوا سبباً له. وفقنا الله إلى ما فيه فلاحنا وخيرنا.

نقْدٌ على نقْدٍ: مقَالِ

مثَال أخلاق طَلبةِ مدارِسِنَا العرَبية(*)

بقلم / السقاف المصري(١)

لقد كانت «جريدةُ العرب» الغراء نعمَ الوسيلة لي لأبثّ حضراتِ إخواني القراء من آونةٍ لأخرى ما يعتلِجُني من خوف وفزع على اللغة وآدابها، والدين الحنيف وتعاليمه.

وكثيراً ما بينتُ لكم ما يعتريني من خجلٍ، كلّما وجدتُ من هم أولى بإحياءِ اللغة العربية ينكُصُون على أعقابهم ولا ينهضون بها، مع أنها لغةُ آبائهم وأجدادهم، فتركوها ظِهْريا، ولم يبق لهم إلا أن يفخروا بتراث المال، إن كان هناك مال متروك، ثم هم يتشدّقون بعروبتهم، وأنّهم من نسلٍ عربي، دون السعي وراء المجدِ العربي.

ولقد دعاني كثرةُ لَجَاجي في شؤون اللغة والدين، إلى زيارة مدرستَي السقّاف والجنيد العربيتين، وكانت الفرصةُ سانحةً لذلك في أيام الامتحان السنوي، فشاهدتُ ما شاهدتُ، وأردتُ الكتابةَ لأنير الطريق عن حقائق كانت مجهولة، فرأيتُ الطريقَ مشوَّكاً، والريحَ عاصفةً، ففضَّلتُ أن أغتنم فرصةً أخرى للكتابة، فجاءت افتتاحيةُ (العرب) في

(*) «صحيفة العرب»، العدد (١٦)، الخميس ٥ رمضان سنة ١٣٥٠هـ.

(١) هو السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف، من مواليد سنقافورا، درس في مصر، وله العديد من المقالات في صحيفتي «العرب» و«النهضة» السنقفوريتين.

عددها (الثالث عشر)، وأراد فيه زميلُنا المحرّر أن ينتقدَ ناحيةً من نواحي أخلاق الطلبة، أو ما يعبِّر عنه بسلوكهم.

ولا أنكِرُكُم أني ـ رغمَ موافَقتي على نفسِ الموضوع ـ أرى الزميل قد شطَّ قلمُه، وتجاوز في نقده، ولكنه لم يتجاوزْ بعيداً كحضرةِ المنتقد (أ.م)، الذي اضطرّني للكتابة، بعد أن طلب مني بعضُ الإخوان ألا أكتب عن التعليم في مدارسنا حتى تستقِرَّ الريحَ العاصفة. وإني أتركُ الخوضَ في المقالة الافتتاحية لفرصةٍ أخرى، مفضلاً تفنيدَ نقدِ (أ.م) إظهاراً لعدةِ حقائقَ لا بدَّ من كشفها للعيان، خدمةً للتعليم نفسِه، وتسجيلاً للتاريخ.

ولكني قبلَ كلِّ شيء؛ كنتُ أوَدُّ أن يعرّفَني (أ.م) بشخصيّته الناقدة، دون أن يرمز لنفسه، لأني كنتُ أريدُ أن أهمِسَ في أذنه، دون التجاء إلى صحيفة (العرب)، فأقول له: إن زميلنا المحرر كان يندفعُ في انتقاده العموميِّ طلَباً لعلاجِ نقصٍ ارتآه، وقد مهَّدَ لنفسه الطريقَ بسردِ واقعةٍ، وكلُّ رجالِ الإصلاح يأتون بالمثل، ليسلكوا به الطريق الذي يريدون سلوكه النفع العام.

وحيث إنّ جريدة (العرب) قد ظهرت إلى عالم الصحافة، وأظهرتْ للملأ أنها قامت لتسعى لما فيه صالح العرب وعلوِّ شأنهم، وإنقاذهم من الهُوَّةِ التي كادوا يسقطون فيها، وحيث إنّ تلك الجريدة أيضاً أوقفتْ نفسها لخدمة اللغة العربية والدين الإسلامي، فلا أرى مبرراً لما وصمتم به محرِّرَها من أنه اتخذ سلوك تلميذٍ ذريعةً للانتقاد على أساتذة (مدرسة الجنيد الإسلامية)، ولا إخالُكُم أصبتم في حدْسِكم، وقد لا يوجد من يشارككم هذا الرأي.

وأما نقدُ التعليمِ وضعفِ طُرُقِه في مدارسنا العربية، وضمنَها (مدرسة الجنيد)، فهو مما يعضُدُني فيه الكثيرُ طلباً لتحسين حالة التعليم العامة، ولولا النقدُ لاستكانَ حضرات الأساتذةِ إلى ما هم عليه، وظنوا أنهم بلغوا شأواً بعيداً في عملهم، ولست أريد بذلك الحطَّ من مجهودهم وما قد بذلوه في سبيل مهنتهم الشريفة، ولكن هذا لا يمنع من النقد لتنوير

الطريق وتنبيه حضرات الأساتذة إلى ما قد سهوا، أو أخذتهم الغفلة عنه، وجلَّ من لا يسهو ولا يغفل.

[مدرسة السقاف بسنقافورا]:

ولكن لا يؤخذ من هذا أن المحررَ قصدَ (مدرسة الجنيد) بالذات، وأني آسف أيها الأخ لأسفك، ومتأثرٌ من تأثرك وانفعالك النفسي الذي أساء اليك وإلى الحقيقة والتاريخ.

أساء إليك؛ لأنه وصمك بأنك تكتب عما لا تدري.

وأما إلى الحقيقة؛ فلأن بسنقافورة مدرسةٌ بل مدارسُ غير (مدرسة الجنيد) تعمل على إحياء اللغة العربية والدين.

وأما إلى التاريخ فلأنه ينبىء بوجود (مدرسة السقاف) التي أنشئت منذ عام ١٩١٢م وعمِلتْ ولا تزالُ تعملُ في تعليم اللغة العربية والديانة الإسلامية، ولئن كنتَ في شك مما أقول فاذهب إلى المدرسة نفسِها وشاهدْ ما أنكرتَ وجوده.

وإن أردتَ المزيد: فاذهب إلى الأخِ الفاضل السيد إبراهيم بن عمر السقاف، واطلب إليه أن يراجعَ دفاترَ المرحومِ والده السيد عمر بن محمد السقاف، يثبت لك همّته وأعماله في سبيل تنفيذ وصية محمود المآثر السيد بن أحمد السقاف وبناء المدرسة المذكورة. فقد أحضر معلمين أكفاء من مصر لتعليم العربية والدين، وجلب من مصر الكتب والأدوات الدراسية، وإني لا أرتاب فيما بلغني من أن المرحوم السيد عمر بن محمد السقاف صرَفَ من دراهمه الخاصة في إكمال هذه الخدمة العربية الاجتماعية.

ثم أدلكم على السيدَين محمد بن حسن بن شهاب، وأبي بكر بن طه السقاف، وهما من أفاضل رجال العلم، ولا أظنهما نسيا فضل الأساتذة المصريين وطول باعهم في التعليم، وقد يزيدانك بذكر أسماء الأساتذة. فمنهم: الأستاذ محمد عبد الحليم عامر، وقد ترأس

مدرسةً مصرية عقب رجوعه إليها، ثم الأستاذ محمود عبد اللطيف وله نعم الذكرى هنا، وقد عُيِّن مفتشاً للعربية بالمدارس الابتدائية في وزارة المعارف العمومية بمصر، ثم الأستاذ عرفات منصور، ويعرف فضائله عرب سنقافورة وجُوهُر. وقد خدم التعليم العربي والديني بتلك المدرسةِ كثيرٌ غير المصريين، منهم: السيد علوي المديحج، ولا أظنكم تجدون من يجحَد فضلَه، ثم الشيخ فضل الله السحيمي، وهو الرجل العامل، ويكاد يكون المثلَ الأعلى لإخواننا الملايويين، في منهجه القويم وسعيه المتوالي وطرقه الحكيمة في نشر التعليمات الدينية.

وإني أكتفي بما ذكرت لأبرهن لكم كيف غمطتم مدرسة **السقاف** حقَّها، وأنكرتم وجودها، أو عملها وسعيها في نشر العربية والديانة الإسلامية، ولعله لأنكم رأيتم ما اعترى المدرسة من ضَعفٍ في النظام لتفوق نفوذ التعليم الإنجليزي في المدرسة، وهذه حقيقة لا يسعني إنكارها، ولست بدفاعي من تلك المدرسة أريد أن أسقِطَ ما للسادة آل جُنيدٍ من فضلٍ في بذل جهدهم لإحياء اللغة والدين في مدرستهم، وتوظيف أساتذةٍ عاملينَ أقصى مقدورِهم في القيام بأعباء مهنتهم، فالحق يقال.

وإني شخصياً أغبط السادةَ آل جنيد لجعلهم اللغة العربية لغةَ تخاطبهم صغاراً وكباراً، فهم يضربون بأنفسهم مثلاً في التعضِيد والتعاون على إحياء تلك اللغة، وهذا ما لم أجد له نظيراً لدى السادة آل السقاف. وهنا أيضا الحق أحق أن يقال؛ ولست أستحي منه وإن كنت منهم، ولكني آمُلُ أن يكون لهم في ذلك نعم الدرس.

وهنا أوجِّه نقديَ البريَ لحضرات السادة حسن بن محمد بن أحمد، وأحمد بن محمد بن أحمد، وابراهيم بن عمر بن محمد، وعبد الرحمن بن طه السقاف، لعلهم يستيقظون وتكون لهم عبرةٌ مما فات.

ويتحقق **الأولان** من أنهما خلَفا أباً صالحاً مبرورَ المآثر، ورافع لواء العربية والدين، بما

وقفه لبناء ومصاريف مدرسة السقاف. ويتحقق **الثالث** من أن والده هو الذي نفّذ وصيةَ خاله، وعمِلَ بشرف وأمانة في تدعيم بناء المدرسة والتعليم فيها، ثم وقَف عليها من ماله الخاص عقب وفاته. ويتحقق **الرابع** من أنه هو الموكَلُ إليه أمرَ تلك المدرسة، والمسؤول عن أعمالها، والمسدَّدُ إليها سهام منتقدي نظامها وأحوالها.

وناهيك بأن يتحقق هؤلاء السادةُ الأربعة من واجبهم تُجاه مدرسة السقاف خاصة، واللغة والدين عامة، وإن نسوا فإني لا أنسى أن أذكِّرهم بأن جُلَّ أولادِهم يكادون ينسلخون عن العروبية لجهلهم للغة العرب، وعدم رغبتهم فيها، فحبذا لو أصلحوا حالَ المدرسة وأدخلوا فيها أولادهم وفلذةَ أكبادهم ليستقوا منها لغة أجدادهم ودين جَدِّهم، مع اللغة الثانوية، وهي الإنجليزية لغة المعاملة والتجارة فحسب، فهل من مستمع؟!

لا تغضبوا أو تحنقوا، فإني ابن من أبنائكم، ألفتكم إلى ما يرفع من شأنكم، ولا تجعلوا الأخ (أ.م) يمحو آثار مدرستكم من عالم الجهاد التعليمي.

وأخيراً أقدم يدَ المصافحة للأخ (أ.م) شاكراً له تمهيده الطريق لتسجيل الحقائق في هذه الصحيفة الغراء، ولإثارة الغيرة العملية العربية في قلوب السادة آل السقاف. وفقنا الله لما فيه الصالح والنفع العميم.

تعليق (*)

وصلتنا مقالتان رداً على افتتاحيتنا في (العدد الثالث عشر)، أولاهما بتوقيع الفاضل (أ.م) وقد نشرناها في (العدد الخامس عشر)، والأخرى من الأديب السيد أبي بكر بن يحيى، ولا بد أن القارىء قد اطلع عليها في العدد الفائت.

(*) «صحيفة العرب»، العدد (١٧)، الخميس ١٣ رمضان ١٣٥٠هـ، ٢٢ يناير ١٩٣٢م.

ولقد برهنّا بنشرنا لتِيكَ المقالتين على حُرِّية الرأي في صحيفتنا، الأمرَ الذي نميل إليه بطبعنا، والذي لأجله أنشأنا صحيفَتنا، وإنا لنودُّ أن نُفضِيَ إلى قرائنا بأنا إذا انتقدنا أمراً فلا نقصد بنقدنا الإساءة إلى أحد، ولا إثارة حفيظته، ونحن من أبعد الناس عن الإسفاف إلى ذلك، بل كل ما نرمي إليه هو احتكاك الآراء، الذي يؤدّي إلى ظهور الرأي الصحيح على غيره، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. وإنا نشكر المنتقدَين الفاضِلَين على نقديهما، الذين لا نخالهما قصدا بهما إلا نشر وتسجيل رأيهما، وندع الحكْمَ للقراء في استصواب ما كتبناه أو ما كتبه المنتقدان، وإلى هذا الحد نستحسن أن تنتهي المناقشة في هذا الموضوع.

غير أنا نستسمح الفاضلين في أنا نعرِبُ عن إجحافهما في النقد، فقد رميانا بأنا عنينا بمقالنا أساتذةَ (مدرسة الجنيد)، وفي الواقع: لم نقصد سوى طرقِ موضوعٍ اجتماعي فقط، ولا نعرف لهما مبرِّراً في تلك التهمة، وقد جاء في مقالنا: «وإني أقدر للقائمين بأمر مدارسنا من نظّار ومدرسين فضلهم في إنارة عقول الطلبة بالمعلومات النافعة، وخَدَماتهم الجلّى مما نلمس أثره اليوم... إلخ».

* * *

الحضْرَميُّونَ

لا يُمثِّلهُم أحدٌ في المؤتَـمرِ الإسلاميِّ(*)

قلنا: إنّ قومَنا رجالُ أقوالٍ أكثرَ منهم رجالَ أعمال، **فقالوا**: أُخرجوا من البلد. ولكن ها هو ذا اليوم برهانٌ جديد يقوم دليلاً على أنا رجالُ أقوالٍ أكثرَ منا رجال أعمال.

فهذا هو المؤتمر الإسلامي العام ينعقد لأوّل مرة في فلسطين، فيحضُرُه ممثلو جلِّ الأمم الإسلامية، ولا يمثلنا أحد. يالله للفَظاعةِ والحادثِ الجلل!

حينما دُعيتْ الأممُ الإسلامية إلى هذا المؤتمر، ونُشِرت الدعوة للعمـوم في الصـحف السيارة، وكنا ولا ريب من المدعوين، نشرت صحُفُ مهجرِنا أسماءَ من سيمثلونا، فابتهجنا لذلك، وخالجنا سرور فائق، وشعرنا بأن لنا عرقاً حساساً، وأننا ذوو عاطفـة سـامية، وأننـا الحضرميين ـ رغم كياننا المنحلِّ وتدهْورِ مستوانا الاجتماعي بالنسبة للغير ـ لا تزال جوانحنا تكِنُّ غيرةً إسلامية تفيض بها عندما يحزُبُ المسلمين أمرٌ.

شعرنا بكل ذلك؛ وتمثلنا الصحفَ العربيةَ سـتحملُ إلينـا في أبـرز أعمـدتها وأظهـر صفحاتها اقتراحاتِ مندوبينا وآراءَهم الصائبة، ومشـاركتهم لرجـال المـؤتمر في الأغـراض السامية التي لأجلها عقد المؤتمر، مما يقوّي دعامة الإسلام ويجمع كلمتـه المتفرقـة، وينشـئ عهداً جديداً، يعيد للإسلام جِدَّته ومجده الغابر.

(*)«صحيفة العرب»، العدد (١٥)، الخميس ٢٨ شعبان سنة ١٣٥٠هـ.

ولكن! ويالَشديدِ الأسفِ، ما أمَرَّ صدمةَ خيبةِ الأمل، وما أشدَّ وقعِها على النفوس. لقد أصبحت آمالنا أحلام نائم. وبنياننا الذي بنيناه على هاته الآمال مهدماً على الأنقاض.

كل حين نترقب البريد ونتطلع إليه عن شوق وتلهف ونعد الأيام عداً يوماً فيوماً، كل ذلك لنتلو ذكر الأمة الحضرمية بين المؤتمرين من المسلمين، حتى وافانا البريد الأخير بصحف البلاد العربية فتناولناها متلهّفين، وطفقنا نقلب صفحاتها ونجيل النظر بين أعمدتها، ونكرر النظرة تلو الأخرى في أنهرها، وما نكاد نصدق أن كلمة (الحضرمي) لن تذكر في قاموس المؤتمر.

فإذا بنا نصدم بالواقع المرير المِمِضِّ، الواقعِ المحسوسِ الذي لا نُكرانَ فيه، وهو: أن الأمةَ الحضرميةَ الإسلامية لم يمثلها ـ ويالَخيبةِ الأملِ ـ أحدٌ في المؤتمر الإسلامي! وصحُفُ المهجرِ التي نشَرت أسماءَ المندوبينّ لقد أصبح خبرها ضمنَ تلك الأقوالِ التي لا تبرز إلى حيز العمل.

إننا لأول وهلة ـ رَغْم كونِنا لم نظفَرْ باسمِ أحد ممثلينا في المؤتمر ـ ما زلنا نغالط أنفسنا بالحدْسِ والتخمينِ والفَرْضِ، بأنه لا بدّ وقد سقطَت أسماؤهم، أو قد تعمدت الصحف إهمالها! وإن كانت هذه الفروضُ بعيدةً عن مدارك العقول، ولكن هي النفسُ تتطلب العزاءَ بالأكاذيب، غير أنّه في الأخير وقعَ نظرنا أثناءَ مراجعةِ الصحفِ المصرية على اسم أحدِ من أشِيعَ تمثيلُهم لنا في المؤتمر، مقروناً بما يتَّخذُ دليلاً على كونه لا يزال مقيماً بمصر أثناء انعقاد المؤتمر! وهنا لم يسعْنا غيرُ تحملِ الصدمةِ المريرة، مذْعِنين صاغرين.

* * *

إنّ المؤتمر مؤتمر إسلامي، والأمةَ الحضرمية أمةٌ إسلامية عريقة وفوق ذلك فهي عربيةٌ صميمة، ومن أمسِّ الأمم الإسلامية حاجةً إلى مثل هذا المؤتمر، للنظر في شؤونها التي أضحتْ أعقدَ من ذنَبِ الضبِّ، والتي أعيى علاجُها كلَّ نطِّيسٍ بارع. بل إنّ من أغراضِ

المؤتمر التي تكاد تكونُ أساسيةً: هو النظر في الخلاف الواقع بين الحزبين العلَوي والإرشادي، كما فقُهنا ذلك من تعليقِ الأستاذ محب الدين الخطيب - صاحب (الفتح) الغراء - على مكتوبِ مولانا عبدالعليم لأمير البيانِ شكيب أرْسَلان.

ولقد كانت الفرصة سانحة لعرض وجهة نظر كلا الفريقين في هذا المؤتمر الإسلامي العظيم الذي ضم ممثلي معظم الأمم الإسلامية ـ حتى الهرسك والأورال والروس ـ ليفهم الحقيقة من لم يدرس المسألة منهم حق الدرس، فيحكموا بعد البحث والتدقيق وادلاء ممثل كل فريق بما يراه أساس الخلاف ـ بما يتضح لهم أنه الصواب، وحينئذ لا يبقى أمام من يحكم بخطئه إلا الإذعان لذلك الحكم، فإنه يعد بمثابة الاجماع، وإلا فيتعرض لسخط العالم الإسلامي أجمع وذلك ما لا قبل لفريق به ـ نعم لقد كانت الفرصة الثمينة سانحة ولكن أضاعها الإهمال وكثرة الأقوال على قلة الأعمال.

وقد يتساءل أحد عن أغراض هذا المؤتمر الذي ننوه عنه، التي من أجلها عُقدَ ودعي إليه المسلمون من أقطار المعمور، فوفَدوا زُرافاتٍ ووِحداناً، فمع أننا لا نِخالُ أحداً يجهلها، نستطيع أن نجملَها في قاعدتين أساسيتين.

الأولى: المحافظة على ما بقي للإسلام من ميراث مشترك، بعد ما كادت تعبث به الأهواء والمطامع الاستعمارية.

والثانية: السعي إلى تنمية وحدةٍ فكرية في البلدان الإسلامية المختلفة.

فالقاعدة الأولى: تشمل المحافظة على الأماكن المقدسة، كالبراق والمسجد الأقصى أُولى القبلتين وثالث الحرمين، وهما المقامان اللذان لهما مركز سامٍ في التاريخ الإسلامي والعقائد الإسلامية، وقد صارا بسبب السياسة الاستعمارية معرَّضَينِ للانتقال إلى أيد غير إسلامية، أي: أيدي اليهود، بدعوى أن المسجد الأقصى قائمٌ حيثُ كانَ هيكلُ سليمان، وأن

البراق الذي يبكون كلَّ سنة عنده هو جزءٌ من جدارِ ذلك الهيكل، ومتى انتقلا فإنّ اليوم الذي يصبحان فيه طللاً دارساً لتقوم على أنقاضها آثارُ ومعالمُ يهوديةٌ يصبحُ قريباً.

وتشملُ هذه القاعدةُ أيضاً: المطالبةَ بحق إعادةِ السِّكَّة الحديديةِ الحجازية إلى أيدي المسلمين، فقد أنشئت بأموالهم، وهم أولى بها وأحقُّ برعايتها. ولقد أقيمتْ هذه السكةُ الحديدية بأموال المسلمين من أنحاء العالم، وكان لها في عهد العثمانيين إدارةٌ خاصة بصفتها وقفاً إسلامياً، ولكن عندما انفصلت الأقطار التي نمر بها من دمشق إلى المدينة عن الأتراك، تقاسمتها الحكومتان المنتدَبتان: البريطانية والفرنسية.

وأما القاعدة الثانية: فتدخل تحتها إقامة جامعة إسلامية في القدس، تكون منبع الثقافة للعالم الإسلامي، وواسطة للدعوة والإرشاد وتوحيد الثقافة، وبذلك تتكوّن وحدةٌ فكرية بين الأمم الإسلامية، من غربي إفريقيا إلى أقاصي الهند والصين، ينشأ عنها التفاهم العام الذي يجعل كلَّ بلدٍ إسلامي يعطفُ على الآخر في محنته وبلواه.

هذا هو مجملُ أغراضِ المؤتمر الإسلامي، وتكادُ تكونُ أهمَّ مشاكلِ العالم، فإذا أدركناها حق الإدراك، وفقُهناها حقَّ الفِقه، اتضحت جسامةُ خسارتِنا، بعدم تمثيل أحدٍ لنا في ذلك المؤتمر العظيم. وما قصدتُ بمقالي هذا بعد أن فات أوانُ المؤتمر إلا أن أنبه بني قَومي إلى خَلَّةِ العَيب فيهم، وهي إهمالهم وكثرة أقوالهم على قلة أعمالهم، فعسى أن يتداركوا ما فات ويتخذوا منه عِظةً ودرساً للآتي، وفي الإمكان التدارك إذا عُمِل باقتراح بعض المؤتمِرينَ بأن يُعاد عقدُ مثلِ هذا المؤتمر في كلِّ فرصةٍ مناسبة.

* * *

حِكمةُ مشْروعِيةُ الصِّيامِ(*)

هذا أولُ عددٍ يصدر من صحيفتنا في رمضانَ المكرم، فنرى من باب اللَّياقة أن لا نمُرَّ بالمناسبة دون تعرّض للصيام الذي هو مِيزةُ رمضانَ بذكرٍ، وإن كان هذا البابُ مطروقاً، قد سلكه الكثيرُ قبلَنا فكتبوا فيه ما يغني.

وقبل أن نتحدّث إلى القُرّاء في الموضوع، نقدّم تهانينا باستهلال هذا الشهر الفضيل الذي تتنزل فيه الرحمات، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، سائلينَ المولى أن يعيدَه في خيرٍ، وحالةٍ هي أحسنُ من حالتنا الحاضرة، التي تكاد لشدّتها تخنقُ النفوسَ وتميلُ بها إلى اليأسِ والقُنوط. ولنمهِّدِ القولَ بكلمةٍ قصيرة قبل التحدث عن الصيامِ كمسألةٍ دينية، كما يقول عنه النّشْئِيون.

يقول النشْئيّون ـ وهم الذين يبحثون عن أصلِ منْشأ كلِّ شيء: إنّ الصيام على الأرجح هو بقيةٌ من عبادة الموتى، نشأ أولاً من استشعار الحزْنِ لفُراقهم، مع ترك الطعام والشراب بعدهم ساعاتٍ أو أياماً، إلى أن تهدأ سَورَةُ الحزن، وتبردُ لذعةُ الألم، ثم صارت للحِدادِ أياماً معدودة، وشعائر معروفة، وأصبح الصومُ الطبيعي الذي لا كُلفةَ فيه ولا مشقَّةَ صوماً مقرراً في العرف والعادة، ثم اصطبغ بصِبغَة الدّين حينَ عبَدَ الناسُ آباءهم الغابرين فانفصَل شيئاً فشيئاً عن منشأه الأوّل واستقلَّ على توالي العُصور عن شعائر الحِداد، وإن كان

(*)«صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد (١٦)، الخميس ٥ رمضان سنة ١٣٥٠هـ.

الحدادُ لا يزالُ يتبعه الصوم عن كلِّ الطعام أو بعضه أحياناً، إلى أمدٍ يختلفُ بين الناس باختلاف العادات.

ولما ثبتت الكهاناتُ وتفرّغ النساكُ للعبادةِ، كان الصومُ أحدَ رياضاتهم الأولى التي راضُوا بها نفوسهم على التقشف والزهد في الحياة وممارسة المكروه، إرضاءً للآلهة التي كانوا يتعبدُونها ويتقربون إليها بالتّوبة، وهي لا تُقبَل ـ في حكم الأديانِ كلِّها ـ إلا مقرونةً بما يؤلم النفس ويثقُلُ عليها احتماله. ثم تجرد الصومُ من هذه الأغراضِ وتهذبَ من ضلالاته الأولى، حتى امتزجَ بالتصوُّفِ الفلسفيِّ والتأدبِ الروحي، وفرضه بعضُ الفلاسفةِ الحكماءِ على أنفسِهم لقمْعِ هواها، أو تهيئةِ ملَكَاتها الباطنة لما يسمّونه (حالةَ الإشراق والصفاء)، التي تعينهم على الوصول إلى الحقائقِ واستكناهِ خفَايا الوجود.

ذلك ما يقوله النشْئيونَ عن الصيام؛ ومنه يعلم أنّ الإسلام لم يبتدِعْه، بل قد فطن إلى فضْلِه الحكماءُ والفلاسفة فأوجبوه على أنفسهم، اختياراً دون وضع واضع ولا تشريع ديني يلزِمُهم ذلك، فأنت ترى أنّ الحكماء الفلاسفةَ لم يلزموا أنفسهم الصيام عَبَثاً، ولكن لقمْع هواهم بغيةَ الوصول إلى الحقائق، وذلك أمرٌ مرغوب فيه من كلِّ أحد، والمسبَّبُ عينه، ولأسبابٍ أخرى أوجبَه الإسلام وجعله ركنا من أركانه.

فالصيام هو الركنُ الرابع من أركان الإسلام، وقد وردتْ فيه الآياتُ والأحاديث؛ فمن الآيات قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣]، ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾.

ومن الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحدٌ أو قاتله فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف

فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره،وإذا لقى ربه فرح بصومه».

ولكن هل شرع الإسلام وجوبَ الصيامِ لغير حكمة تبرِّرُ حكمَ وجوبها؟ ذلك ما يستبعده عقلُ كلِّ من درسَ الإسلام وتشرّبته روحُه، ولم يرِنْ على قلبه الإلحادُ وظلامُ الجهل. لقد علمنا من درْسِنا لأحكام الإسلام: أنه لم يحرِّم محرَّماً إلا لحكمة أو حِكَمٍ تبرز حكمَ تحريمها، وأنه أيضاً لم يلزِمْنا أمراً إلا لحكمةٍ أو حِكمٍ تبرر حُكمَ وجوبها، إذَنْ ما هي الحكمةُ أو الحكَمُ التي تبرِّر مشروعيةَ وجوبِ الصيام؟

إن للصيام حِكَماً عديدةً تكفي واحدةٌ منها فقط مبرِّراً لوجوبه لو اقتُصِرَ عليها، فمنها: أنه مِرانٌ على الجوع، ليشعُرَ الأغنياء المكفيُّونَ بما يشعُر به الفقراء المعوِزُونَ، فإنّ أحدَ عشَر شهْراً تمرّ على الأغنياء يلتذّون أثناءَها بأنواع الطعامِ وشهية لا يشعرون بآلام الانسانية ولا ما يعانيه المعْوِزُون والأراملُ والأيتامُ من شظَفِ العيش و الجوع، فكم أرملةٍ تبيتُ طاويةً وحولَها أطفالها الزُّغْبُ يتصايحون، وكم شيخٍ منقبعٍ في رُكنِ كُوخِه مضَتْ عليه أيامٌ لم يطعَمْ فيها مأكولاً، وقد منعَته عزَّةُ نفسِه عن البَوحِ لغَيرِهِ بجَليّةِ حالتِه، وعن تكفُّفِ الناسِ با لسؤال.

فمَن لمثلِ هؤلاء؟! ومن يفطَنُ لقَسوةِ الدهر عليهم، وما يعانونه من آلامٍ مبرِّحةٍ إذا لم يتمكن الأغنياءُ شهراً، بعدَ الأحدَ عشَرَ شهراً، يكلفون أنفسَهم فيه الجوعَ، ويروضونها على اجتناب الملذاتِ لكي يشعُروا بما يشعر به الفقراءُ والأراملُ والأيتام في أكواخهم، وما يلاقونه من شظَفِ العيش ومرارته، بعدَ التجربةِ والتذوقِ فعلياً، ومعلومٌ أن المرءَ لا يقدِّرُ حقيقةَ الشقاوةِ ولا يشعر بها كما هي، إلا إذا عاناها بنفسِه، وتجرَّع كأسَها المرير.

هذه إحدى حكَمِ الصيام، فمن يداخله ريبٌ أنها ليست حكمةً بالغةً؟! إنها وأيْمُ الحقِّ حكمةٌ تؤاخي بينَ القلوبِ، وتُشِيعُ بينها المرْحَمةَ والعطْفَ، إنها حكمةٌ تؤلِّفُ بين

الأنفسِ المتباعدةِ، والقلوب المتنافرة، وإذا شاع العطف والرحمة بين القلوب، فهل يبقى سبيل للشحناء والخلاف وعدم الاتحاد وقيام المجتمع كجسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى؟! وكيف نتصور ذلك والغني يعطف على الفقير فينفحه بما يقيم أَوَدَه ويدخل السرور عليه، والفقيرُ يرى أن وجودَ الغنيِّ لازمٌ لحياته واستمرارِ عيشتِه هنيئةً لما يلقاه منه من إحسان.

وهناك حكمةٌ أخرى صحّيةٌ تعودُ بالفائدةِ على الجسم، وقد أشادَ بها الأطباء، وهي أن الصيامَ تطهيرٌ للجسم واستجمام له من آفات الطعام والشراب، فإن المعدة تكون تعبةً طول السنة من تأدية وظيفتها باستمرار، فيجب لذلك أن تنال قسطاً من الراحة الوقتية لتستعيد قوتها، ولا توجد فرصة تُنتهَزُ أعظمَ من شهر رمضان، فالصيام بمثابة أيامِ راحةٍ للمعدة بعد طولِ عَنائها ومتواصِلِ حركتها في عملها. ويمكننا أن نتفهم فائدةَ الإمساكِ عن الطعام للإنسان من الوجهة الصحية، إذا عرفنا أن المعدةَ هي بيتُ الداء، ولذلك فإنا نرى الأطباءَ في الغالب كلما اشتكى أحد إليهم مرضاً كان أولُ نصيحةٍ يعطونها للمريض هي: استعمال الحمية.

ومن الحكَمِ الثمينة في الصوم: أنه تدريبٌ النفس على تحمل المكارِهِ وفطمها عن اللذائذ، لينشأ المسلم جَلْداً لا ينساق للأهواء النفسية، ولا تزعزعه الحادثاتُ والتقلبات.

وفي الواقع؛ لسنا نعرفُ معنى النفسِ في حالة الاستسلام والاسترسال للشهوات، وإن حُكمَ أولئك الذين ينقادون لشهَواتهم ولا يقِفُونَ للنفس في مطلبٍ من مطالبها كحكمِ الخشَبةِ المنساقةِ في تيار الماء، أو الحجَر الهابط إلى الأرض، أو الريشة المتطايرة في الهواء، أي: أنه كحكم الجماد بلا إدراكٍ ولا شعورٍ ولا إرادة. ولا يزال الإنسانُ شيئاً لا استقلالَ لكيانه حتى يمتنعَ عن شيء يُدفَع إليه ويقفَ في وسَط التيار الذي يحيط به، فهناكَ يشعُر بمعنى رفيعٍ هو أسمى معاني الحياة، لم يسْمُ إليه إلا الإنسانُ من بين الأحياء.

هذه نبذةٌ من حكمةِ مشروعيةِ الصومِ، سقتها إلى القراء بحكم المناسبة، مع إيقاني بأنها لم تُحِطْ حتى بجُزءٍ مما يجبُ، ولكن ما لا يدرَكُ جُلُّه لا يترك كُلُّه.

* * *

كيفَ يجِبُ أن نقْضيَ أوقَاتَ فَراغِنا(*)

لكل أمرىءٍ من يومِه وأُسبوعِه ساعاتُ فراغٍ يسرِّي فيها عن نفسه، ويستجم نشاط قواه الفكرية أو الجسدية، أو كلتيهما، حسْبَ عملِه.

فمن كانَ عملُه مثلاً سيرتكِزُ على إجهادِ التفكير، كالمحاسِب أو الصحفي، كانَ بالطبعِ مفتقراً لاستجمام نشاط قُواهُ الفكْرية والتسرية عنها، بعد إجهادها الطويلِ وعملها المتواصل، ومن كان ينبني عملُه على عضَلاتِه الحديدية وقواه الجسدية، فإنه مهما كان شديدَ المراسِ، حديديَّ البنية، يـَجِدُ نفسَه ـ ولا ريبَ ـ مضطراً إلى استعادة نشاطِ قواه الجسدية، وتخفيف المتاعب عن نفسِه. إذ أن الإنسانَ كائنٌ حيٌّ، ومن سُننِ الوجود في الكائنِ الحيِّ، أن يشعُرَ بالتعبِ والسأم من العمل المتواصِل على وتيرةٍ دونَ أن تتخلّله مسرّياتٍ، ويرجِعُ شعورُه بذلك إلى عللٍ وأسبابٍ قد شرحها العلماء، ولا داعي لذكرِها الآن.

إن ما ذكرْناه هي حقيقةٌ مسلّمةٌ بديهيةٌ، لا يمتري فيها اثنان غير أن المهم أن يكونَ المرءُ ذا لباقةٍ وفطنةٍ وحِذْقٍ في إنفاق أويقاتِ الفراغ فيما يجني منه الثمرتين: ثمرةَ التسرية عن نفسه، وثمرةً أخرى تعود بالفائدة على معلوماته أو تجاربه أو صحته، مثلاً، فتُستغَلُّ بذلك أوقاتُ الفراغِ الثمينة في منافعَ مزدوجةٍ.

وذلك ما يحدوني الآنَ إلى تقليبِ أوجه حالتنا، لمعرفةِ مبلَغَ فِطنتنا وحِذْقِنا في استغلال هذه الأوقات وإنفاقها. وقد جاءَ في المثل: (كُلُّ نفَسٍ من أنفاسِك جوهرةٌ لا قيمةَ لها)، وهذا

(*) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد ١٧، سنقافورة، يوم الخميس، ١٣ رمضان، ١٣٥٠هـ.

دليلٌ على نفاسةِ الوقتِ وعِظَمِ قيمتِه، فإنه إذا كان النفَسُ الذي لا يبلغ ربُعَ دقيقة يساوي جوهرةً، فما بالك بالساعاتِ تتلوها الساعاتُ تذهب سُدًى في غير ما فائدة ولا عائدة، أنها وأيْمُ الحقِّ لخسارةٌ جسيمةٌ وغَبنٌ فاحش.

وفي الحقيقة: إن الوقتَ لا يقوَّمُ بقيمةٍ، ولا يثمَّن بثمَن، فإنه لحظاتٌ من العمر تمضي سراعاً، فإذا قُطِعت مرحلةٌ عزَّ على المرء أن تفوت، وصار من المستحيل عودُها، فمن لازم كلِّ أحدٍ أن يحافظَ على لحظاتِ عمره، محافظتَه على أثمن شيء تحت حوزه.

ومن المؤسِف أن أقرر هنا ظاهرةً مؤلمة في مجتمعنا، وحقيقةً مرة تتجلى لكل ذي نظر نافذ دقيق، وبصيرة نافذة، وهي: أنّ معظَمَ ـ إذا لم نقُلْ: كلَّ ـ أوقاتِ فراغنا تذهبُ سدًى فيما لا عائدةَ فيه أدبياً أو صحياً البتة، أستغفر الله بل فيما يعودُ علينا بأسوأ النتائج، وأوخَمِ المغَبَّاتِ، وذلك لكوننا لا نحسِنُ استغلالَ وتصريفَ الوقت، تلك الجوهرةُ الثمينةُ بالطريقة المرغوبة، ليتأتّى بها جني الثمارِ اليانعة.

وخُذ مثالاً لذلك: إن لنا في كل أسبوع يوماً ـ هو هنا يوم الأحد ـ للعطلة، كما أنّ لنا في كل يومٍ ساعاتُ راحة، فكيف يا ترى نصرِفُها وننفقها؟ أننفقها فيما يعودُ علينا ولو بنوعٍ فائدةٍ؟ ليس أحدٌ إخَالُه لا يوافقني على النفي، فإن ذلك حقيقةٌ ملموسةٌ واقعة تحت العيان!

لنقسّم رجالَ مجتمعِنا إلى ثلاثةِ أقسام ـ مع إسقاطِ أولئك الذين تجاوزوا دَور الكُهولة عن الحساب غالباً، فأنظارُهم تُباينُ كلَّ المباينة أنظارَ الجيل الحديث ـ لنقسّمهم إلى: كُهول وشَبابٍ وأحداث. ثم لننظُرْ كيف تقضي كلُّ طبقةٍ من الطبقات الثلاثِ أوقاتَ فراغها.

سنَرى **طبقةَ الكهول**: يلتفُّ كلُّ ثلاثةٍ أو أربعةٍ منهم حولَ مِنضَدةٍ، فيتلهَّون بلِعْب (الدَّومنة) أو (أوراق التَّرَف)، يتخلل ذلك فتراتُ استراحةٍ لشُرْب القهوة أو الشاي، لا تخلو من أن ينَالُوا فيها أحداً بما يكره، لا عن قَصدٍ، ولكنْ لأنه يحلُو على اللسانِ فقط، أوترى البعضَ منهم ـ وهم الأقلِّية ـ يزُجُّون أوقاتَهم في الذهاب إلى دُورِ السينما أو غيرها.

وأما طبقةُ الشَّباب: فتراهم يتحدّثون عن أحسنِ روايةٍ ـ رَقْصِيةٍ بالطبع، إذ الأغلبيةُ لا تفهمُ الإنجليزيةَ التي هي لغةُ السينما فلا تروقُ لنظرهم الراقِصاتُ ـ تمثّلُ في سينما (الهمبرا)، أو (كافيتول)، أو يتساءلون عن أبدعِ روايةٍ ستظهَرُ على إحدى المسارح ليذهبوا لمشاهدتها، أو ترى الأقليةَ منهم يشاركونَ الطبقةَ الأولى في تمضية الأوقاتِ على مائدة (الدَّومنة)، أو(الترف)، وهذه الأقليةُ هي المتعقِّلةُ نوعاً مّا في صفوف طبقتهم.

وأما الأحداثُ: فلا تسلْ عن حالتهم، فقد ألقى أهلُهم وأولياءُ أمورهم الحبالَ على غوارِبهم، فتركوهم يذهبونَ أين شاءوا، ويزُجُّونَ أوقاتهم كيف أرادوا، فما تركوا ضِداً إلا اختلطُوا به، وكانت النتيجةُ أن سرَقُوا من طباعه وعاداته، وتخلقوا بأخلاقه التي تتقذى منها الإنسانية، وشهرُنا هذا – رمضانُ – شهرُ عطلةٍ بأكملِه لدى الطلبة، فليبحث وليُّ الأمر: هل فتَحَ الطالبُ الذي يأتمر بأمرِه كتبَ دروسِه فعطف عليها ولو بنظرة سطحية؟

وليكن في بالِ القارئ أنّي إذ أصَوِّر الحالةَ لا أعني سوَى الأغلبيةَ، وإلا فقدْ يوجَدُ نفرٌ من أضَنِّ الناسِ على أوقاتهم أن تذهبَ سُدًى.

وقد يشكِلُ على البعضِ فيخَالني أعني أن نشغِلَ أوقاتَ الفراغِ التي هي للراحةِ فقط بأعمالٍ مرهِقةٍ، فننتقل من عملٍ إلى عمل، فمتى نجِدُ الراحةَ والسُّلوَّ؟! وأين نجِدُ متنسَّماً للتخفيفِ من أعباء متاعب الحياة؟!

غير أن الأمرَ بخلافِ ما يظُنّون، فإني أرمي إلى غرَضٍ آخر: وهو أن هناك وسائلَ أخرى تجمَعُ بين اللهوِ البريءِ والنفع البيّن، يجب الأخذُ بها، فهي خيرٌ بالطبع من تلك الوسائلِ التي تقتصِرُ على التسلية، وليس فيها غُنم، بل قد تعود بغُرم!

أمامَنا الجمعياتُ والنوادي، فهي من خيرِ وسائلِ التسلية، وهي فوقَ ذلك مُهُودٌ للثقافةِ والمعارف، فيمكنُنا أن نجتمع إليها فنجني أولَ ثمرةٍ من ذلك الاجتماع: الاتصالُ بأُخوَةِ الدين والوطن، ومن قد تمرُّ الأسابيعُ أو الشهورُ دونَ أن نجتمعَ بهم فيحصلُ بذلك

الارتباطُ الأخوي، وتتوطّد أواصرُ المودةِ والصداقة.

وفائدةٌ أخرى ثقافيةٌ: بأن يتكرَّمَ أحدُهم بكلمةٍ مما استفادَه من معارفِه أو تجاربه، فيشرِكُ إخوانَه في العلمِ بها والاستفادةِ منها.

ولسنا نفتقر إلى تأسيسِ نوادٍ لذلك الغرض من جديد، فيقال: إن دون ذلك متاعب. فها هو (النادي الأدبي العربي) تقومُ دارُه في أحسَنِ بقعةٍ مؤثثةٍ بخير أثاث ورِياش، وليس ينقصُها سوى إقبالِ رجالِنا عليها، من كهول وشباب وأحداث، فننوّع فيها وسائلَ التسلية التي تجمع بينها وبين الفوائد الصحية أو الأدبية، كالألعاب الرياضية من: تنس، وكرةِ قدم، وغيرهما مما يرغبُ كلُّ أحدٍ ـ خصوصاً الشبابُ، وبالأخص الطلبة ـ على الإقبال عليها.

وأودُّ ـ للمناسبة ـ أن أعرِبَ عن أسَفي الشديد لكُفرانِ كثيرٍ من رجالنا بفضلِ الرياضة البدنية، التي لم يعُد يوجدُ مِراءٌ في حُسنِ نتائجها، حتى لَتراهم يحسِبونَ الألعابَ الرياضية من الملهياتِ التي لا يتعاطاها غيرُ من لا خلاق لهم، ويعدُّونَها من المسقِطاتِ للمروءة، وما درَوا أو تجاهلُوا أنّ كبارَ الوزراءِ وذوي الشخصياتِ البارزة من رجالِ العلم والحكمِ الذين لا تَفتأُ أسماؤُهم ترنُّ في البرقياتِ كلما حزَبَ العالم أمرٌ، هُم من أشدِّ الناسِ ولُوعاً بالرياضة، لأنهم يؤمنونَ بالمثل: (العقل السليم في الجسم السليم)، وإني أسائِلُهم: أليسَتْ الألعابُ الرياضية التي تسرِّي عن النفوسِ همومَها؟ ثم هي أيضاً تفيد المرء صحةً ونشاطاً، أليستْ هي خيرٌ من قضاء وقتٍ طويل بين لعبة (الدومنة) و(الترف) التي لا تجدي ثمرةً مّا؟!

وينعى البعض ممن يرغبون في الاجتماعات الأدبيةِ عدمَ إقبالِ الشبابِ العربي على (النادي الأدبي العربي)، ويتناسَون أنهم لم يحفُلوا فيه بالرياضةِ وغيرها، مما يستدعي إقبالَ الشباب عليه، فليَعملوا من جديد في تنويع أساليبِ اللهْوِ البريء، التي تجمع بينه وبين الفوائد الصحية أو الأدبية، وإني لكفيلٌ بإقبالِ الشباب عليه.

خَواطِرُ عزَب[١]

- آلامُ العزوبةِ..
- مقارنةٌ بين حال العزَبِ والمتزوِّج..
- الصعوبات التي تقوم في وجه الشاب العربي الراغب في الزواج..

لقد قطعتُ من مراحلِ حياتي عشرينَ ربيعاً، قضيتُ الربُعَ الأخيرمنها في عذابٍ وشقاءٍ وضنًى، مقسَّمَ الفكر، مبلبَلَ البالِ، لا لأنّ الفقرَ جثَمَ في هذه السنواتِ على سبيلِ حياتي فأذاقني الأمرَّينِ، أو أنّ عزيزاً أفديه بالمهجة قد فتنِّي فأخلَفني للحسرةِ وألم الفؤاد، ولا لأيِّ أمرٍ مما يتبادرُ إلى خواطر القُرّاء لأولِ وهلة.

ولكن لشيء آخرَ سأقْدِمُ ـ ملتزِماً الصراحةَ، ومتحرراً عن قيود التقاليد ـ إلى كشْفِ القناع عنه رغمَ كونِ العادةِ والتقاليدِ، قد جرتْ على عدمِ البَوح بمثله، غير أنه تدفَعُني حُرقةُ الفؤاد وجواه، إلى أن أزفُرَ زفرةً تخفّف عني بعض ما أشعر به وأحبِسُه، وتنطوي عليه جوانحي من متأجَّجِ المشاعر، ويشجّعني على ذلك: أني في مأمنٍ من افتضاحِ أمري وظهور شخصيتي، فإنّ الفاضل محررَ (العرب) أعرفُه كتوماً للأسرار!

من سنِّي يعرفُ القارئُ أني لا أزال في مقتَبلِ الشبابِ، والشابُّ غالباً لا يأبه لصدْمات الحياة كثيراً، فهو قويٌّ بصحته، معتَدٌّ بشِبَّته، واثقٌ بنشاطه، كلَّما كبا بِهِ الدهرُ قام فنفضَ الغبارَ عنه كأن لم يكْبُ ولم تصِبهُ صدمةٌ، فلمَ كلُّ هذا التشكِّي والتألم؟!

---

(١) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد ٢١، سنقافورة، يوم الجمعة، ١٨ رمضان، ١٣٥٠هـ.

ذلك ما أخذتُ على نفسي أن أتحدثَ عنه، مع وثوقي بأنّ كثيراً من إخواني الشباب يشاركونني في شعوري، وإن كانتِ التقاليد قد منعتهم عن البَوحِ بها.

لا شيءَ من متاعبِ الحياة ومكدراتها كان سبباً لآلامي وتضجري غير أنّي شابٌّ قد بلغَ العشرينَ سنة، أي: طورَ اشتدادِ حيويةِ الشبابِ واستفزازِها، وإحساسِ المرءِ بحاجته إلى شريكةٍ لحياته تقاسمُه السراءَ والضراءَ، وتسرّي عنه همومَه إذا آب من أعماله اليومية منهوك القوى تعباً خائراً، ومع ذلك فلم أظفرْ حتى اليومِ بشريكةِ حياتي، ولم تساعدْني المقاديرُ بأن أعثرَ عليها.

فهذا هو مبعثُ آلامي ومتاعبي، أي: بقَائي عزَباً إلى اليوم. إذ أني أعتقد أنّ المتزوجَ من أبعدِ الناس عن آلام الحياة إذا كانت زوجةٌ صالحةٌ تشاركُه السراءَ والضراءَ، وأنّى للمتزوِّج أن تجدَ لديه المتاعبُ والآلامُ مرتعاً، وهو إن كانت آلامُه ناشئةً عن نكبةٍ في التجارة أو كسادٍ في بضاعةٍ تحمّل من أجلها الهموم، فإنه إذا عاد إلى بيته متحمّلاً وِقرَها ممتقِعَ الوجه حزيناً، قابلته زوجتُه بالبِشر والترِّحابِ، وعلمتْ مبعَثَ حُزنِه، فجعلتْ تخفِّفُ عنه بكلماتٍ تقع على النفسِ فتكونَ الرقيةَ الشافيةَ، وإذا به بعدَ برهةٍ وقد نسيَ كلَّ تلكَ الآلامِ وعاد منبسطَ الأساريرِ فرحاً مسروراً.

وإن كانت ناشئةً عن شيءٍ متوقَّع يخيفُه وقوعُه، فهو وقد علمَ إخلاصَها ومحبتَها لا يمتنع لحظةً عن الإفضاء إليها بما يتوقّع، فإذا أفضى إليها بذلكَ فتحتْ أمامَه بابَ التفاؤلِ، وعادت تذكّره بحوادثَ من هذا البابِ كانت تخيفُه فلم يقعْ شيءٌ مما يخافُه. وهكذا ما فتئتْ تعيدُ إلى ذاكرته حوادثَ هذا البابِ حتى عاد مسروراً. هذه هي حالُ المتزوج، قلبانِ متحابّانِ، يحنُّ أحدُهما على الآخر ويتبادلان العطفَ ويتشاركانِ الأفراحَ والأتراح.

ولكنّ العزبَ! يعودُ من عملِهِ اليوميِّ منهوكَ القُوى، متأثّراً بصدماتِ الحياة التي قلَّما خلَى يومٌ منها ـ وخاصةً في هذه الأيام التي نالت الأزمةُ فيها من كلِّ أحدٍ ـــ يعودُ إلى بيته أو

غرفتِه فما يتلقّاه إلا الجدرانُ، وثيابه وأمتعته هنا وهناك مرميةً على غير نظام، فتخنق أنفاسَه الهمومُ والغمومُ، وتضيق به جدرانُ غرفته، حتى فراشُه يَخاله يضيق بامتداده عليه، فما يكون منه إلا أن يدعَ مسكنه، وما يزالُ بنفسِه يطوّح بها من هنا إلى هناك حتى يُؤوِيه الليلُ ويعود به إلى مسكنه، وهكذا! فما أتعسها من حالةٍ، لولا مخافةُ حرمةِ الدِّينِ لما أحجمَ عزَبٌ فيما أظنُّ عن الإجهازِ على حياته، إذ العُزوبةُ إن هي في الحقيقةِ إلا انتحارٌ بطيء، فلا تثريبَ إذَن من الاستعجالِ، فهو أرْيحُ للنفسِ من بابِ: « **إذا قتَلْتَ فأحْسِنِ القِتلَةَ** ».

وهنا؛ لا إخالُكَ تمتلِكُ نفسَك عن إلقاء هذا السؤال: إذا كان قد بلغَ بك الميلُ إلى الزواجِ والرغبةُ فيه إلى هذا الحدِّ فما يمنعُكَ عن التزوّج والنساءُ كثيرات؟ فهذا السؤال هو بيت القصيد، وما تلك المقدِّمةُ الطويلةُ إلا تمهيدٌ لهذا السؤالِ لتسألَنِيه فأجيبَ عنه.

إن الشابَّ العربي الراغبَ في التزوجِ بهذه البلاد يجابِهُ مشكلةً هي في الحقيقةِ حربٌ بين الإحساس والشعور والضمير، وبينَ الأنانية، أي: النظر إلى المنفَعةِ الشخصية فقط.

فإنّ الشابَّ هنا أمامَ إحدى خصلَتين: إما أن يكون أنانياً معدوم الضمير والغيرة والإحساس، فيصفو له الجوُّ ويتزوجُ بأيةِ امرأةٍ كانت، ملايوية أو غيرها، وما أكثرَ الملايويات وأبخسَ نفقاتِ التزوجِ بهن! وما ألطف معاملاتهن للأزواج! فإن الملايويةَ باقترانها بك تصير لكَ عبداً مِطوَاعاً فلا تعصي لك أمراً! وإما أن يكون ذا ضميرٍ يحتكم إليه وإحساسٍ وشعورٍ بالواجبِ، فيؤلمه أن يتخطى بيوتَ قومه العربِ ليتزوج بأجنبيةٍ، وهو يرى أنّ جدرانَ بيوتِ بعض العربِ تضمُّ بنات عازباتٍ بل عانسات، قد يبلغ عددُهنَّ عند بعضِهم عشرُ بناتٍ وأكثر، وقد تبلغ سنَّ بعضِهنّ الثلاثين والأربعين وما زالت عانسة.

فمثلُ هذا الشابِّ لا يطاوعُه ضميره ولا شعوره أن يتخطى العربياتِ فيتزوجَ ملايويةً مثلاً، وهو يعلم أنّ من العربياتِ من قد تجاوزْنَ سنَّ العشرين أو الثلاثين وما زلن عانسات، ويعلم أنهنّ ـ ولا ريبَ ـ يشعرْنَ ما يشعر به الشابُّ الذي بلغَ هذه السنَّ من رغبةٍ

في الزواج وميلٍ إليه، إذ أنّ كُلاً من كِلا الجنسينِ مكمِّلٌ للآخَرِ، ولا تكون حياة أحدهما هنيئةً سعيدةً حتى يقترِنَ بالآخَر، ولكن ماذا يفعلنَ وقد حبسَهنَّ سقفُ الديارِ وفقَدَ أولياءُ أمورِهنّ الشعورَ والإحساس.

إن مثلَ ذلك الشابِّ يرمي بنظرِه البعيدِ إلى المستقبل ـ ويوشِك أن يكون قريباً ـ فيبدو له رهيباً مرعباً، فهو يتخيّل أنه لو اقتدَى بنوعِ الشابِّ الأولِ فترك العربيات ينعَينَ حظوظَهنّ وتزوجَ بملاويةٍ مثلاً واحتذى حذوهُ شبَّانُ العرب الآخرون، أن ستصبح بيوتُ العربِ تضيقُ بالعانساتِ لا يجدنَ قريناً كفْؤاً.

ولكنّ معضلةَ المعضلاتِ هنا هي: أنّ الشابَّ إذا أراد أن يرضي ضميرَه وواجبَ شعورِه فيتزوج من عربية، تقوم في وجههِ وسبيلِ مبتغاهُ العقباتُ التي يصعُب بل يتعذَّر تذليلُها من جانبِ آبائِهنّ وأمهاتهن من جهة، ومن جانبِ العوائدِ والتقاليد المتبعةِ من جهةٍ أخرى، فالآباءُ والأمهاتُ لا يحيدونَ قِيدَ شعرةٍ عن التمسكِ بالعوائد والتقاليد، واتِّباعُها يكلفُ الشابَّ ـ وجلُّ شباننا لا غِنَى عندهم ـ ما لا قِبلَ لهم بتحمل نفقاته، والنتيجة: أنه يحرمُ الشابُّ العربي من مشاركته الحياةَ شابةٌ عربيةٌ من بني جلدته، وأن تحرمَ الشابةُ العربية هي كذلك من الشابِّ العربي، فيا لَفَظاعةِ تلك العوائدِ والتقاليد، ويالَقسْوةِ القلوب المتحجرة!

وإذا قلتُ (الشاب)، في مقالي هذا فإنما أعني نوعَ معظمِ شبابِ اليومِ، وهم متوسِّطُو الحالِ المعيشية، فإن أغلبَهم موظفون يتناولون معاشاً شهرياً، ومن المعلوم أنّ أحسنَ معاشٍ يناله عربي من عربيِّي اليومِ يتراوحُ ـ في الغالب ـ بين الأربعين والستين ريالاً، ويالحسنَ حظِّ من يصيبُ المبلغَ الأخير، فإنه يحسده على ذلك الكثير.

فإذا كانت هذه هي حالُ معظمِ الشبابِ، وكانت العوائدُ والتقاليدُ المتبعةُ في مراسمِ الزواج تكلفُ الراغبَ في الزواج ـ على الأقلِّ مع التساهلِ إلى أقصى حدٍّ ـ خمسَمِائةَ ريال إلى

الألفِ ريال، فكيف يا تُرى يستطيعُ الشابُّ تحملَ هذا المقدار من المالِ وقد علمتَ حاله؟ هذا إذا تجاوزنا عن العراقيلِ التي تقامُ من جانبِ أولياء أمورِ البنتِ، فهي أيضاً تذيق الشبانَ الأمرَّينِ، وترغمهم على النفُور عن التزوُّج.

وبهذه المناسبةِ: لا يسعني إلا أن أسطِّر زواجاً وقعَ قبل يومٍ، يجدر أن يكون مثالاً يحتذَى، فقد خطبَ أحدُ السادةِ العلويين عند علويٍّ آخرَ من البيوت الشريفة الباذخة الحسب والنسب، نائلٍ لمرتبة: (جيه. ڤي ـ قاضي صُلح) من الحكومة، فما مرّتْ غيرُ أيامٍ يسيرةٍ حتى عقدَ له، وتمتْ مراسمُ الزواجِ بمأدُبةٍ بسيطة لم تكلِّفْ إلا يسيراً، فيا حبّذا لو اقتدى بهم المقتدونَ.

وهناك علةٌ أخرى تنفّر الشابَّ عن التزوجِ بالعربية، وهي: غرورُها وعجْرَفتُها، مما لا تتأتي معه السعادة الزوجية، وذلك لإهمال التربية والتعليم. وقد تحدّثَ إلي مرةً أحدُ من قضتِ المقادير بتزوّجِه مرتين، في الأولى بعربية، والأخرَى. فقال: لقد خبَرتُ شقاءَ الزوجيةِ وسَعادتها بتزوّجي بالملايويةِ بعدَ العربية، فقد قضيتُ أيامي مع العربيةِ وكلُّها شقاءٌ في شقاء، حتى لم يبق في قوسِ الصبرِ منزعٌ، ففارقتها، ثم تزوجتُ بأخرى ملايويةٍ، ولا أزال أشاطرها الحياة التي لا يجدُرني أن أصِفَها إلا بأنها سعيدةٌ رغِدَة.

هذه نفثةُ مصدورٍ (على المكشوف)، سلكتُ فيها منتهى الصراحةِ، وهي طريقةٌ في النقدِ الإصلاحيِّ الاجتماعي يجبُ أن يطرُقَها كتّابنا.

وفي الختام؛ فكلمتي هذه ـ وإن كانت موجهةً إلى كافّة العربِ ـ فهي إلى العلويين قبلَ غيرهم، إذ الكفاءةُ الواجبةُ تلجِئُهم إلى أن ينشُدوا لبناتِهم شباناً أكفاءً، لا أن يقيموا العقَبات في سبيلهم، وإلا فليرقُبوا مستقبلاً غدافيَّ الإهابِ!

أمِصْرُ بِلادٌ إسلامِيةٌ؟![*]

ـ أهلْ حقاً مصرُ بلدةٌ إسلاميةٌ، ودينُ حكومتها الرسميُّ الإسلام؟!

هذا سؤال يعتلجُ في صدورِ الكثير من قراءِ العربية، فتنطلق بها ألسنتهم كلما حدَثتْ مناسبة، ولا تثريبَ عليهم في تساؤلهم عن ذلك، فإنّ موقفَ مصر ـ إزاء الدين الإسلامي يجعلُ المسلمَ ويلجئه أن يسأل ذلك السؤال، وإن كان دستورُ البلاد المصرية ينص على أن دينَ حكومتها الرسميَّ الإسلام!

فإنّ لوجودِ أيِّ أمرٍ أو إثباته لا بدَّ من براهينَ وقرائن، فلا يكفي أن تدّعي ادعاءً مَّا، إذا لم تؤيده بالبراهين والأدلة، وإذا لم تُقِم القرائنَ والأمارات على صحة الادّعاء.

وهل ـ مثلاً ـ تصدقُ امرءاً يبدي لك التفاني بمحبتك، وإخلاصَ المودة لك إذا كان وراءَ ظهرك جاحداً يكيدُ لك من كلِّ سبيل؟ أم هل تؤمِنُ بولهِ وغرامِ مدعيهما إذا لم تقم أماراتُ النحولِ والاصفرارِ فيه دليلاً على ذلك، وكان ممن يعشقُ لكل نظرةٍ كلَّ غانيةٍ وحسناء؟ وبعبارة أخرى: فهل يكونُ صادقاً في اعتناق دينٍ، من ينتصر لدينٍ آخرَ ينافيه كلَّ المنافاة، ويفارقه في المبدأ والأصول، كأن يدّعي الإسلام ويجادل عن المسيحيةِ بأنّها الدينَ الصحيح، أو بالعكس؟

وحكومةُ مصرَ ينصُّ دستورُها بأنها ذاتِ دينٍ إسلامي، ولكن متتبع الماجرياتِ وحرَكات تلك البلاد وحوادثها وطوارئها، يقف حائراً دهِشاً، ليس في إمكانه أن يوفِّقَ بين

(*) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد ٢٢، سنقافورة، يوم الجمعة، ٢٥ شوال، ١٣٥٠هـ.

موجاتِ اللادينية والإلحاد الفاشي بتلك البلاد، وتركِ حكومتِها الأيديَ العاملةَ لوأْدِ الإسلام ومحوِهِ تعبثُ كيف شاءتْ، وبينَ نصِّ دستورِها بأنّها إسلاميةٌ!

فلو كانت حقاً إسلاميةً لكان من واجبها أن تغارَ عليه من طعْنِ الطاعنين، وأن تبتر أي يدٍ تحاول التوصل إليه بسوء، لا أن تسندَها بقوتها لتكمل برنامجها في محو معالم الإسلام في حراسة حكومةٍ ينصُّ دستورُها بأنها إسلامية، حقاً إنّ هذا لتناقضٌ غريب!

لقد أصبحت مصرُ بدلَ أن تكون حاملةَ لواء الإسلام، وناشرة فضله، ومبعث نوره، لما وقر في نفوس المسلمين منذ عهدٍ سابق أنها كعبتهم لأن بها أكبرَ معهدٍ إسلامي، وهو الأزهر. لقد أصبحت مصرُ بدلَ أن تكون كذلك تخالها أكبرَ خطرٍ اليومَ على المسلمين عموماً، وعلى قراء العربية منهم خصوصاً.

فقد ظل راسخاً في الأفهام مُذِ القديم أنها لكلِّ نازلة تحلُّ بالإسلام والمسلمين، ولكل مكروه يصل إليه بسوء، وأنها حاميةُ ذمار الإسلام. ومصدرُ تعاليمه الحقة ومبادئه السمحة، فصارت أنظار المسلمين ترنو إليها بعين الاجلال والتقديس، وصاروا يتقبلون ما جاءهم منها دون فرز وتمييز، قضايا مسلمةً، إذْ هم يرونَ فيها لهم المعلّم الأكبرَ النصوح، وهنا المصيبةُ والطامةُ الكبرى، فقد أصبحت مصرُ اليومَ غيرَها بالأمس، أصبحت عكسَ ما كانت تماماً، ولكنّ اعتقادَ المسلمين الحسنَ فيها ما زال راسخاً، فالخوفُ هو من أن تتسمّم أفكارُهم مما يجيئهم منها، أو يتخذونها أموراً لا تقبل تمحيصاً ولا جدلاً، وكَفى أنها صادرةٌ عن مصر! وفي الحقيقة؛ هي ممزوجةٌ بأسرعِ السمومِ فتكاً، وأخطر المكروبات عدوى.

لست متحاملاً على مصرَ، ولا أعني أنه لم يبقَ بها من يغارُ على الإسلام، أو يسدي إليه خدمة، أو يعلي منارَهُ، فما زال بها صادقو الإسلام، والمضحّونَ بالمصالح الذاتيةِ في سبيل رفع علَمه الخفاق، وكلمته العليا، وما زالَ بها الأزهرُ الذي يؤمُّه الطلابُ من أنحاءِ

المعمورة، غير أني أقصد أن خطرَها على الأمة الإسلامية صار أقربَ من نفعها، وقد يعجَبُ القارىء لهذا، غير أنه تنقشع عنه غيوم العجب إذا أنصت لما يأتي:

لم تبق دار إسلامية في المعمور لم تدخلها الصحف والمجلات المصرية، وجل صحف مصر ومجلاتها تسيطر عليها أيدي اللادينيين والملاحدة والمسلمين الجغرافيين، وهؤلاء لا يفتئون يدسون في كتاباتهم السموم من حيث لا يتنبه لخطرها المهدِّد سوى المحنَّك البارع الذي يلمسُ مواطن الخطر فيتجنبها، وهم ولا ريب نزْر قليل. بل لم تقف مكائدُهم على الدسائسِ الخفية، فصاروا يعلنونها جهاراً على صفحاتِ الصحف والمجلات والمؤلفات، مما لم يعُدْ خافياً على القراء.

وبين يديَّ الآن أعدادٌ من (الأهرام)، وبينها عددان فيهما مقالانِ للأستاذ محمد فريد وجْدي مؤلِّف «دائرة المعارف». محمد فريد وجدي! المعروفُ بالعلمِ، والتوفيق بين العلم الحديث ونصوص الدين، أتدْري أيَّ موضوعٍ طرقَه بذينك المقالين؟ من المظنونِ أن يقومَ منافحاً عن الإسلام، ذاباً عن تعاليمه! ولكن هُوَذا يدافعُ عن تركيّا اللادينية، ويستحسنُ خطتها ونهجها من الألف إلى الياء، لا يستثني من ذلك شيئاً، حتى ليدفَعُ به استحسانه لخطتها إلى أن يفضّل الأحرفَ اللاتينية على العربية، لأن تركيا فضّلتها! وإلى أن يستحسن ترجمةَ القرآن العربي الكريم إلى التركية، وإقامة الصلاة بها دون العربية، لأن تركيا فعلتْ ذلك!

وقد كنتُ قرأتُ له سابقاً حديثاً يستحسن فيه استبدال الطربوش بالقبعة، فحِرْتُ في أمره، غير أن مقاليه الأخيرين فسَّرا لي نزعتَه. هذا هو (فريدُ وجدي)، مفسِّرُ القرآن، ومؤلف «دائرة المعارف»، والمقيمُ نفسَه مقام الغيور على الإسلام، فما بالُك بغيره من العصريين الذين لم تتوافر ظروفُهم على أن يكونوا مثله، رسوخاً في الاطلاع على محاسِنِ الإسلام واستكناهِ أسراره!

لا أعني بما تقدم أن ليسَ في مصرَ صحفٌ تدافعُ عن الإسلام، وكتَّابٌ يذودون عن حياضه، غير أنّ الصحفَ المعاكسةَ لمبادئ الإسلام أكثرُ عدداً وأموالاً، وأوسعُ انتشاراً، لما هي مزودةٌ به من الوسائل المغرية للمرء على المطالعة، ولذلكَ أتخوَّفُ ما أتخوّف على المسلمين.

وهناك ظاهرةٌ تؤيد تساهلَ الأمةِ المصرية بالدّين، وتجعلهم أقربَ إلى اللادينية منهم إلى التدين، وهي: جعلُهم السياسةَ فوقَ الدين، وكان الأجدرُ لو كانوا صادقي الغَيرةِ على الإسلام أن يجعلوه فوقَ السياسة، وهذه الظاهرةُ تلجِئهم أن يجاملوا أشخاصاً من أعظم الناس كيداً للإسلام، كما نشاهدُ ذلك في (جريدة البلاغ). فهذه جريدةٌ يومية من كبريات صحفِ مصر، صاحبها مسلم، وهو الأستاذ عبد القادر حمزة، ولكن تراه يستكتبُ من عُرف بمحاربته للإسلام، ويوظفه في جريدته، كسلامة موسى، الذي كان يحرر مجلته (الجديدة)، ويحارب على صفحاتها الإسلامَ والعروبةَ والمشخَّصاتِ القومية والمميزات الشرقية، ولكن مجاملة الأستاذ صاحبِ (البلاغ)، للأقباطِ قد دفعَه إلى أن يرفعَ شأنه، ويستلحقَه بجريدته، فما حالتْ غيرتُه الإسلاميةُ دونَ ذلك. إن هذا مما يفسرُ لنا مبلغَ الغيرة الدينية في نفوس مسلمي المصريين عموماً، ولنحوّل أنظارنا إلى الحكومةِ بالخصوص فلندرُسْها.

هذه هي صحف البريد الأخير من مصرَ بين أيدينا، وأمام أنظارنا، نطالع فيها ثلاث قضايا تبشيرية، كلُّ واحدةٍ فريدةٌ في نوعها، لا يحدث مثلها في هذه البلاد التي نحن قاطنون بها وهي من مستعمراتِ الإنجليز، ولكنها تحدثُ في مصرَ التي ينصُّ دستورُها أنها إسلاميةٌ.

وأولى تلك الحوادث: أن شاباً يبلغ من عمره الثامنة عشرة يدرس في الجامعة الأميريكية، تعاون رجالُ الجامعة مع آخرين فنومُوه تنويماً مغنطيسياً لكي يسهُلَ عليهم التأثير في عقيدته، ولما اكتُشِف سرُّ هذه الجريمةِ فأبلغ الأبُ الأمرَ إلى البوليس كان المظنونُ أن يلقى لديهم انتصاراً له، ولكنه بالعكس لم يلق إلا الإعنات والمعاكسة.

والحادثة الثانية: أن جماعةً من المبشرين فتحوا في شارع (وجه البركة) بمصر، حيثُ يسهُلُ عليهم مباشرة عملهم بين السذّج، مقهًى وضعوا على بابه لوحةً مكتوبٌ فيها العبارة الآتية: (قال المسيح: أنا هو نورُ العالم، ومن يتبعُني فلا يمشي في الظلمة)، وجعلوا يغرونَ السذَّج والجهلة على دخوله، وأخذوا يطعنونَ في الإسلام ونبيِّ الإسلام تحتَ أسماعهم وأبصارهم، فما كان من بعضِ أنفارٍ إلا أن حملُوا على هذا المقهى فأتلفوا ما فيه، أما الحكومةُ فإنها بعدَ الحادثة أرسلت جندياً لحراسَته ريثما يتمكّن أصحابه من إصلاح ما خرِبَ فيه!

وأما الحادثة الثالثة: فقد حدثت بأسْوان، وتتلخّص في أنّ جماعة من المبشرين استهووا شاباً اسمه (علي محمود) يشتغل (مُلاحِظ مُؤن بخزان أسوان)، حتى أعلنَ اعتناقه الدين المسيحيَّ، وأسمى نفسه (يوحَنا)، ولما حاول أقرباؤه أن يردّوه إلى دينه، وعلم المبشرون، أرسلوا معه إلى الخزّان اثنين منهم صحبهما معاونُ بوليسِ الخزان، وهناك طلبوا ألاّ يتعرضَ له أحدٌ، مهدِّدينَ متوعدين.

فهذه ثلاثُ حوادثَ وقعت متعاقبةً في مُدد متقاربة، وهي تعطي القارئَ مثالاً لتساهل حكومة مصر إزاءَ المبشرين، تساهلاً لا نِخَالُه يحدثُ من حكومة إسلاميةٍ، وما كنا نودّ أن نطرقَ هذا الموضوعَ فنمِسَّ إحساسَ إخوانِنا المصرين الذين نحترمهم كلَّ الاحترام، غير أنه يؤلمنا أن نطالعَ كلَّ حين انتشارَ حركاتِ التبشير بها مع سكوت الحكومة، ويؤسفنا أن يطلُعَ قرنُ الإلحادِ واللادينية من تلك البلاد.

تعقيب(١)

أمصر بلاد إسلامية؟ قرأت في «**جريدة العرب**» الغراء مقالاً افتتاحياً تحت هذا العنوان، فاستغربته، وحملت ما جاء على أن المحرر لم يطلع على ما فعلته

---

(١) «**صحيفة العرب**»، العدد (٢٣) الصادر بتاريخ ٣ ذي القعدة ١٣٥٠هـ، موافق: ١١ مارس ١٩٣٢م: (ص ٦).

الحكومة المصرية إزاء الحادث الذي استغوى فيه أحد المبشرين مصرياً وخدعه بوسائل دنيئة أساء بها المبشر حتى إلى دينه نفسه. فلو لم تكن مصر بلداً إسلامية بل وزعيمة البلاد الإسلامية لما أثار فيها ذلك الحادث البسيط تلك الضجة الكبيرة التي أقامت مشيخة الجامع الأزهر وأقعدتها، حتى احتجت رسمياً لدى الحكومة. ثم اهتمت هذه الأخيرة به اهتماماً كبيراً، فتناول البرلمان المصري هذا الأمر في إحدى جلساته، وأعلن أخيراً: أن الوزارة ستلقي في البرلمان بياناً عاماً عما اتخذته من التدابير التي ترد كيد أعداء الإسلام إلى نحورهم وتكبح جماحهم.

فأي بلاد اليوم في العام ـ مسيحية كانت أو إسلامية ـ تفعل نصف هذا إزاء حادث يشبه الذي حصل في مصر، بالرغم عما يحيط بها من عوامل كثيرة تسير في عكس الاتجاه الذي اتخذته الحكومة المصرية في هذه المسألة. ولم يقتصر اهتمام مشيخة الجامع الأزهر، وهي هيئة رسمية تكون جانباً من هيكل الحكومة المصرية، على ما يحدث بمصر فقط ضد الدين الإسلامي، بل هي تحتج أحياناً على ما تراه ماساً بكرامة الدين الإسلامي في البلاد الأوربية، كما احتجت على بعض أفلام سينمائية عرضت في إنكلترا منذ بضعة شهور مضت، مع أن الهيئات الرسمية تتحفظ جداً وجداً في كل ما تفعله.

وهناك أيضاً جمعية الشبان المسلمين، ترفع دائماً لواء الإسلام عالياً بحمية وجرأة، يحق للمسلمين أن يفتخروا بها.

أما الأستاذ العلامة فريد وجدي، الذي تناوله المحرر في المقال بما وددنا أنه لم يسقط في حقه تلك السقطة، لأن الأستاذ كان ولا يزال من علماء الإسلام العاملين، الذين يندر اليوم وجود أمثالهم، فإني وإن كنت لا أوافق على كل ما كتبه فضيلته عن تركيا، إلا أني لا أحمل ذلك إلا على كونه صادراً عن غيرة وحمية واستنهاض للشعوب الإسلامية التي رقدت طويلاً، لأنه يعترف في مقالاته بما

يفهم منه: أن الأتراك أخطأوا المرمى في بعض الأمور، وغالوا في البعض الآخر، وأمّل أن يعودوا إلى الاعتدال والصواب. انتهىٰ.

حول «أمصر بلاد إسلامية؟»[١]

ناولني أحد الأصدقاء «جريدة العرب» الغراء، فوجدت بين مقالاتها الطنانة مقالة رد فيها كاتبها على مقال نشر في «جريدة العرب» تحت عنوان (أمصر بلاد إسلامية؟)، وإني ولو لم أكن قد اطلعت على المقالة الأولى، ولكن يظهر من الرد ما تضمنته تلك المقالة.

على أن استغراب الكاتب في كون مصر بلاداً إسلامية الاسم فقط يوجب استغرابنا له، إذ ربما أنه لم يطلع على الماجريات التي تنصب على الإسلام والمسلمين يومياً، إنه إذا بحث بحثاً دقيقاً عن الوزارات المصرية يرى جلياً فيها ضعف الروح الإسلامية.

ومن يرتاب أن في أيام الوزارات الماضية ظهرت فكرة الحضارة الفرعونية والمجد الفرعوني؟ الفكرة التي لا يرتاح إليها المسلمون في كافة أنحاء الأرض- كما نخاله - مادام للمسلمين مجد وحضارة.

أتعلم أيها الكاتب أنه عندما عرضت على النحاس[١] ـ حينما كان رئيساً للوزارة ـ المساعدة بتقديم احتجاج لبريطانيا على ما تفعله الصهيونية في فلسطين

---

(١) «صحيفة العرب»، العدد (٢٦) الصادر بتاريخ: ٢٤ ذي القعدة ١٣٥٠هـ، موافق: ١ أبريل ١٩٣٢م: (ص ٧).

(١) هو النحاس باشا.

العربية المسكينة، طلبوا منه رفع احتجاج فقط لا أقل ولا أكثر، أتعلم بماذا أجاب؟ أجاب بقوله: إن مصر لا تتدخل ولن تتدخل!

هذه مصر التي يقال إنها إسلامية، ودينها الرسمي الإسلام، وملكها مسلم، ورئيس وزارتها مسلم، لما عرضت مساعدة لإخوانهم المسلمين بفع احتجاج، أجابوا بتلك الكلمات القاسية الجارحة، وتفضل؛ أخبرني بأي مبلغ قام النحاس زعيم الوفديين أو رجال الوفد لمساعدة فلسطين؟ وهكذا محمد محمود[٢]، الذي لا يهمه ولا يشغله إلا الأحرار، الدستوريون!

وأما **صدقي**؛ رئيس الوزارة الحالية، فإنه أول من اعترض للإسلام، وهل تعلم أن **صدقي** منع نشر أخبار حوادث طرابلس الأخيرة؟ وأنه في وزارته القائمة يهدد كل من نشر الأخبار الحقيقية عنها، وأن **صدقي** قام يكذب تلك الأخبار الصادقة رعاية لخاطر إيطاليا على قوله، لأنها صديقة مصر! مصر الفرعونية! وهل تعلم أن **صدقي** منع أن يؤبن الزعيم المسلم **عمر المختار** في مصر، لما رأى المسلمون أنه من الواجب تأبينه، لأنه زعيم مسلم!

وهل تعلم أن وزير المعارف أيام وزارة النحاس قرر إدخال التمثيل رسمياً في مدارس البنات والأولاد، وقرر توحيد مدارس البنات ومدارس الأولاد؟ وقرر تعليم كتب الآداب الغربية في مدارس مصر ـ الإسلامية، بدلاً من كتب الآداب الإسلامية! وهذا مع خلوها من تدريس الديانة الإسلامية هناك تدريساً يكفل بالمراد.

وهل تعلم أن **قبر زغلول** بِنيةٌ فرعونية، بناية هائلة جداً، استغرقوا في إقامتها أربع سنوات، وأنفقت لأجلها مئات الجنيهات، وهل تعلم أنه صنع لزغلول تمثال هائل، أليس هذا كله مناقضاً للإسلام؟ وهل تعلم أن الأبواب مفتوحة للمبشرين

---

(٢) يقصد: محمد محمود الزبيري اليماني.

ودعاة الإلحاد والفراعنة يسبون الإسلام كيفما شاؤوا، وأينما أرادوا، بدعوى حرية الأديان؟ بعكس المسلم، فإنه لا يستطيع أن يتكلم على الديانة النصرانية، وإن يتكلم فيجازى بالتكبيل والتعذيب والسجن.

وهل هذا دليلك على أن مصر إسلامية، ولو كانت إسلامية لما كنا نرى الإلحاد منتشراً انتشاراً هائلاً، حتى تغلغل إلى رجال الأزهر الشريف، ألم يكن منصور فهمي أزهرياً، ألم يكن طه حسين أزهرياً، ومن مشايخ الأزهر؟! ألم يكن على عبدالرازق أزهرياً، وقاضي قضاة مصر؟ ألم يكن زكي مبارك أزهرياً، وهؤلاء كلهم ممن يديرون دفة الإلحاد في مصر، وغيرهم كثيرون جداً من خريجي الأزهر فضلاً عن باقي المدارس التي لا تدرس فيها الديانة الإسلامية قط، اللهم إلا بعض مدارس مدة ساعتين في الأسبوع، وهل هذه المدة كافية! إذا كانت جامعة الأزهر وهي دينية، ومن متخرجيها ملاحدة؛ فماذا تقول في بقية المدارس في مصر؟!

وهل تعلم أن في مصر جمعيات للملاحدة، ينشرون مبادئهم وسمومهم في الأمة المصرية حيث لا يجدون من الأمة أو الحكومة أي اعتراض، فهل هذا معنى أن مصر إسلامية؟!

وهل تعلم أنك تجد المبشرين في كل زقاق، وفي كل طريق، بينما ليس للمسلمين إلا النزر اليسير، كجمعية الشبان المسلمين، والهداية، ومكارم الأخلاق القريبة العهد بالوجود، ولكن: هل تعلم كم عدد الأعضاء في الثلاث الجمعيات الآنفة الذكر؟ لا يزيدون على بضع مئات فقط، بينما لجمعية الشبان المسيحيين في القاهرة فقط عشرة آلاف عضو! فانظر الفرق العظيم بين هذا وذاك.

وهل تعلم أن ليس للمسلمين في مصر جريدة، اللهم إلا مجلات شهرية أو أسبوعية، بينما للملاحدة والنصارى جرائد يومية، ولا أظن أن أحداً لديه اطلاع ينكر هذا، فهذه الجرائد والرسائل والخطب والمحاضرات تدلنا على ذلك، وهذه

الجرائد اليومية تبين تفصيلاً وشرحاً كافياً عن الحالة في مصر، فهي إسلامية الاسم لا أقل ولا أكثر.

هذه صورة أقدمها للكاتب عن مصر، راجياً أن يكون هذا سبباً لاطلاعه على الأخبار والماجريات في مصر.

بتافيا سنتروم **محمد أسد شهاب العلوي**

* **العرب**: نشرنا هذه المقالة تحت مسؤولية الكاتب الفاضل جرياً على قاعدة حرية النشر.

* * *

الحدُّ القاطِعُ لمهزَلةِ اتِّهامِ العلويينَ بالرَّفْضِ (*)

يتشدَّقُ بعضُ ذوي الأغراضِ باتهامِ العلويينَ بالرفضِ، وهم أبعَدُ الناسِ عنه، بمعناه المعروف عند أهلِ السنة والجماعة من كل جماعةٍ أخرَى في المسلمين، ليسوا أبعدَ عن الرفضِ فحسب، بل أبعدُ عن كلِّ تشيعٍ لا يتفقُ مع مذاهبِ أهلِ السنة، لأنهم من أشدِّ الناس تمسّكاً بطريقةِ الرسولِ ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده وسلفِ الأمة. وإذ لا يجدُ هؤلاء المغرضونَ ما يدعمون به اتهامهم الباطل، يقولون: إنّ العلويينَ يتستّرون عن الظهور أمام الناس بالرفض.

وقد اصطلحَ الناسُ على تسمية أنصارِ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أولاد علي بن أبي طالبٍ ﷺ شيعةً، والشيعةُ فرقٌ، أقربهم إلى الصواب الزيديةُ، وليسَ بينهم وبين أهل السنة كبيرُ خلافٍ في المعتقدات كما ذكر المحققون. والعلويون ليسُوا حتّى من هذه الفرقة، كما هو الثابتُ من أعمالهم وكتبهم وسيرةِ سلفهم، بل هم كما قلنا: من أشدِّ الناسِ تمسكاً بمذهب أهل السنة، ولو كانَ هناك شيء مما يرميهم به المغرضُون لجاهروا به ودعوا الناس إليه، لأنّ من يعتقدُ شيئاً ـ خصوصاً فيما له اتصال بالدين ـ يعملُ على بيانه ونشره، ما دام لا يضطره على كتمانه أمرٌ قاهر.

والعلويون أحرارٌ في إبداء آرائهم، سواءً كانوا في هذه البلاد أو في غيرها، فلمَ لا يعلنون الرفض إن كانوا يرونه؟ ويدعون إليه نهاراً جهاراً؟ فهل هناك قوةٌ قاهرةٌ تمنعهم؟ أم

(*) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد ٢٣، سنقافورة، يوم الجمعة، ٣ ذي القعدة، ١٣٥٠هـ.

هم كغيرهم أحرارٌ، وغايةُ ما في تظاهرِهم به: أن يكون موقفُهم من بقية المسلمين موقفَ شيعةِ اليمنِ والعراق.

والغريبُ أنه بالرّغم من أنه لم يبدُ من العلويينَ إلا ما يدلُّ على شدة تمسّكهم بمذهب جمهورِ أهل السنة، لا يتهّمهم المغرضونَ بما يشبه تشيّعَ الزيديةِ فحسبُ، بل بـ«الرفضِ» الذي هو الغلوُّ في التشيع.

للعلويين مؤلفاتٌ تعدُّ بالألوف، فهل حوتْ شيئاً مما يتهمهم به أعداؤهم؟!

للعلويينَ من المساجدِ ما ربما يبلُغ الألفَ، فهل ظهر في واحدٍ منها شيء مما يتهمهم به ذوو الأغراض؟! أم أنهم في جميع مساجدهم بلا استثناءٍ يترضَّونَ عن الخلفاء الراشدين في خطب الجمعة، على الترتيب المعروف في مساجد جمهور أهل السنة، فيترضَّون عن أبي بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم.

* * *

وإذا قلنا (**العلويون**)، فإنما نعني طبعاً الأغلبية الساحقة منهم، أما أن يرَى فردٌ أو أفرادٌ قليلونَ غيرَ ما تراه أكثريتهم المطلقة، فلا ينهض دليلاً ينفي ما عُرفَ عنهم من حرصهم على التمسك بمذهب أهل السنة والجماعة، بل إن كونَ هذه الأقليةِ لا تتجاوز أصابع اليدينِ مما يؤيدُ أن العلويينَ من أبعدِ الناسِ تأثراً بالتشيع، معَ أنهم من أهل البيت، وأولى به وبالغلوِّ في محبة الإمام علي كرم الله وجهه، غير أنهم لا يرَون ذلك. وإن زعمَ المغرضونَ أن هذه الأقليةَ أكثرُ من عددِ أصابع اليدين، لا يستطيع أحدٌ مطلقاً أن يزعمَ أنها تبلغُ ولو عشرَ العشرِ من العلويين، على أنّ هذه الأقلية لم تذهبْ في تشيعها إلى أكثرَ مما ذهبت إليه الزيدية.

ومع أن الخلافَ بين مذهبِ شيعةِ العراق ومذهبِ جمهور أهلِ السنة أكبرُ منه بين هؤلاء وبين شيعة اليمن، فقد قدّم علماءُ الإسلام وعظماءُ رجالِه في القدسِ مجتهدَ شيعةِ

العراقِ إماماً يصلّي بهم فريضةَ الجمعة في المسجد الأقصى، احتراماً وتقريباً وتأليفاً لقلوب المسلمين، وإظهاراً لهم بأنه يتحتّم عليهم أن يرمُوا وراءَهم التنابزَ بالألقاب، والتباغضُ لأجلها. الأمرَ الذي أحدثه المتأخرونَ وفرّقوا به بين الأمة، وقطعوا به رحم الأخوة الإيمانية الذي عقده الله بينهم في كتابه، وجمع تحت لوائه كلَّ من آمن بالله ورسوله ولم يفرقْ بين أحد من رسله.

يتمسك المغرضون بأوهى الأسباب فيما يزعمونه، فلو أنّ العلويين وحدَهم هم الذين أبَنُوا المرحومَ فقيدَ الإسلام العلامة السيدَ محمدَ بنَ عقيلٍ وذكروا مناقبه، لقالوا: ألم نقل أنهم روافضُ؟ ولكن لمَّا اشتركَ في تأبينه معَهم كثيرٌ من علماءِ المسلمين وعظمائهم، اضطرُّوا إلى السكوت وعدمِ استغلالِ الحادث.

* * *

وإذا ذكرْنا السيدَ محمد بن عقيل في هذا الغرَض، فليس معناه أننا نغمِطه فضله وعمله وجليلَ خدماته للإسلام، الأمرَ الذي يشاركنا فيه كلَّ منصفٍ، مثل أولئك العلماء والعظماء، وإنما ذكرناه لنثبتَ أنّ العلويين مع تقديرهم العظيمِ لفقيد الإسلام السيدِ ابن عقيل، لم يروا رأيَه في كلِّ ما ذهب إليه، بل خالفته أغلبيتُهم الساحقة فيما ذهب إليه في مسألة بعضِ الصحابة.

ولنوردْ ظاهرةً تقطع الدلالة على ما ذكرناه هي أن فضيلة المرحوم إنما أمضى الشطر الأكبر من أدوار حياته بين عائلتي آل الجنيد وآل السقاف المقيمتين بسنقافورة فقد صاهر الأولين وعاشرهم معاشرةً تامةً ثم امتزج بالآخرين امتزاجاً كاملاً حتى إن المغفور له المرحوم السيد محمد بن أحمد السقاف كان يصطحبه في رحلاته إلى اوربا ومع حب أفراد هاتين العائلتين له وعظيم تقديرهما لعلمه وفضله لم يتأثر فرد واحد منهم بما ذهب إليه في

مسألة بعض الصحابة فإن كان هؤلاء الملازمون له كذلك فغيرهم من باب أولى، ولكن قاتل الله الغرض الذي يعمي عن رؤية الحقائق ويصم ويبكم عن الاعتراف بها.

لقد يكثر بعض الناس من ذكر مشاهير العلماء والحكماء والفلاسفة حتى غير المسلمين منهم للاستشهاد بأقوالهم أو أعمالهم فلم ينكر عليهم أحد وينكر المغرضون على من يشيد بذكر علي رضي الله عنه ويروي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه: «**أعلم أمتي من بعدي علي ابن أبي طالب**»(١) وقوله له: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»(٢) أو يذكر غير ذلك من الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي دلت على فضله وعلمه مما لم يصل إلى عشرة، أكثر أولئك المشاهير. دع عنك تقواه وحكمته وقربه من الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

قلنا: إن المغرضين يتعلقون بأوهى الأسباب فيما يتهمون به العلويين ولذلك فكلما سمعوا من يتغنى بذكر الإمام علي كرم الله وجهه أو أبنائه أو فاطمة الزهراء رضي الله عنهم أو يذكر هؤلاء عند المناسبة في كتابه أو جريدته أو يعلق لوحة فيها أسماؤهم مع احترامه وترضيه عن جميع الصحابة قالوا: إنهم روافض فإن كان هذا هو الرفض في نظرهم فإنا نقول لهم ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله:

إن كَانَ رفضاً حُبُّ آلِ محمدٍ ... فليشْهَد الثقلانِ أني رافِضِي

ويظهر أن معنى أن يكون المسلم من غير الشيعة أو الروافض في نظر هؤلاء المغرضين هو أن يهمل ذكر آل بيت النبي ﷺ، ويعرض بالمرة عن التنويه بعلمهم وفضلهم، أو أن ينسب إليهم كل غلط وخطأ، وينسب إلى من خاصمهم كل صواب وحق، ومن البديهي أن من يرى هذا ليس معناه أنه غير شيعي فقط، بل معناه أنه خارجي، يكنُّ في قلبه

---

(١) عزاه صاحب «**كنز العمال**» برقم (٣٢٩٧٧) إلى الديلمي في «الفردوس».

(٢) متفق عليه، **البخاري** في فضائل أصحاب النبي برقم (٣٧٠٦)، **ومسلم** في فضائل الصحابة (٦١٦٨).

البغض والحسد لآل بيت النبي ﷺ، وحسبه ما أخرجه الطبراني في الكبير عن السيد الحسن رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار**»(١).

* * *

(١) أخرجه الطبراني في معجميه «**الكبير**» (٣: ٨١ برقم ٢٧٢٦)، و«**الأوسط**» (٣: ٣٩ برقم ٢٤٠٥)، وفيه عبد الله بن عمرو الواقفي متروك «**مجمع الزوائد**» (٩: ٢٧٢).

الشَّغَفُ بالسِّبَابِ هوَ ما تقْتضِيهِ طَبيعةُ الجهْلِ (*)

في المجتمع الحضرميِّ ظاهرة منذرة بالخطر، تسترعي أنظار ذوي الفكر الثاقب، وقد أصبحت هذه الظاهرةُ داء يعيى عن علاجه النِّطِّيسُ البارع.

هذه الظاهرةُ هي: انهماك عامة الحضارم ـ إلا من رحمَ الله ـ في حمأة السِّبابِ والشتائم، فقد أصبحوا لا يلَذُّ لهم من الصحف والجرائد سوى تلكَ الصحفِ التي تصدرُ ملأى بالمطاعن والمثالب، فتوغر صدورَ الحضرميين بعضهم على بعض، وما تزال بشُقَّةِ الخلاف توسعها، لأنه قد علم أربابها من أين تؤكل الكتف، وعرفوا ميول الشعب الحضرمي، فتبين لهم: أن خيرَ سبيلٍ وأقصرَ طريقٍ إلى الربح الوفير والرواج، هو التظاهر بالتحيّزِ لفئةٍ والتسبيح بحمدها، والنيل من الأخرى بكل ما عرفَ من البذاءة والشتائم، مما يندى له جبين المروءة والإنسانية، وتحيُّنُ الفرص والمناسبات لإيلاع نار الفتنة، وتوسيعِ شُقة الخلاف، فما تكاد تسنح لهم مناسبة يخالونها فرصةً حتى يطبّلوا ويزمّروا عليها تهويلاً لأمرها.

وفي الحقيقة لا يستغرب من أولئك الدخيلين على الصحافة أن يصدر عنهم ما ذكرت، ولكنّ الغريبَ: أن يشغلوا أنفسَهم ويملأوا فراغَ صحفِهم بما يفيد جمهور الشعب الحضرمي، فهم مرتزِقون بصحفهم، وما داموا كذلك فمصالحهم الشخصية تلجئهم إلى أن يدرسوا رغائبَ الشعب وميولهم، فيدخلوا عليه من جانبها، وما داموا قد تحققوا شغف

(*) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد ٢٣، سنقافورة، يوم الجمعة، ١٤ محرم سنة ١٣٥١ هـ.

الحضرمي بالشتائم والمشاحنات، حتى كاد يكون طبعاً له، فليملَؤوا صحائفَ صحفهم من أول سطر إلى آخر سطر بالمطاعن والمثالب، وما من شأنه إيغارُ الصدور، فذاك ما يوجبه عليهم تطلبُ الربح والرواج، وماذا عليهم بعد ذلك؟ محزنٌ جداً ومنذرٌ بعقبى الويل والوبال أن تدومَ هذه الحال، فالأمرُ ليسَ هيّنا من الهينات، ولكنه يتطلب العلاجَ الناجعَ السريع، فدوامُ هذه الحالِ معناه أن تتمكنَ البغضاءُ والضغينةُ من نفوسِ الكهول والشِّيبِ، وأن تنشأ ناشئةُ المستقبلِ عليها، وأن تشغلهم عن تطلب أسبابِ الرقي والسعي للوصول إلى مصافِّ الأمم الناهضة، فيا ضياعَ المستقبلِ إن طالت تلك الحال!

هنا قد يحسب القاريء أن الداءَ عياءٌ في نفس الحضرمي لا يرجى له علاج، وأن اللومَ في توغل العداءِ والشقاق يعود عليه نفسِه لا غير، حيث إنه عضَدَ أولئك المرتزقة في تصيّدهم في الماء العكر وقد كان في الإمكان والمستطاعِ نبذُهم نبذَ النواة وعدم الإصغاء إليهم، غير أني ـ وإن كنتُ لا أخلي الحضارم من اللوم ـ أرى أن الجرمَ مشتركٌ بين ثلاثة: بين المرتزقةِ المشار اليهم، والحضرميِّ نفسِه، والأخيرِ ـ وهو الذي يتحمّل أوفرَ اللوم، وإليه تعود مصائبنا ـ ألا وهو الجهلُ.

الجهلُ الذي ما كان رفيقَ قوم ولا مصاحبَ شعبٍ إلا وكان قائدَهم إلى الدمار والهلاك، بالانمحاق والتلاشي، وكان جاعلَهم في المؤخرة من شعوبِ العالم، ويكفي للجواب **إذا قيل**: إنّ الحضارمَ ميالون للشغب وحبِّ نهشِ الأعراض، **أن أقولَ** مع مزيدِ الأسف: إن أغلبيتهم جاهلة! **وإذا قيلَ**: أن جلَّ الحضارم شغوفون بمطالعة الصحف الساقطة، والمقالات البذيئة، يُمضُّونَ على قراءتها سهراتهم، ويطرَبون بها، وينتعشون بتلاوتها، فيكفي علة حاسمة لذلك أن تجيب: أنّ الجهل سببه.

الحضرميُّ بطبيعة اختلاطه في المهجر بالأمم المتمدنة، التي ترى الصحف من لوازم حياتها، شعرَ بحاجةٍ إلى الصحف، ولكن ماذا يقرأ، وهو كما علمتَ غيرُ مثقف! أفي الأدب؛

وهو ليس له إلمام به! أفي المعارف والعلوم؛ وهو جاهل بها! أفي التربية والأخلاق؛ وهما كما هو واضحٌ ينبنيانِ على الآدابِ والعلوم، وليس له معرفة بها! إذاً لم يبقَ تجاهه مما يكتَبُ بأشباه الصحفِ سوى الشتائمِ، فينكب عليها ويقتُلها تلاوة.

لم أردْ بهذا التحاملَ على الشعب الحضرمي، وهو أصلي وإليه أنتسبُ إذا انتسبت البطونُ، غير أنّ غرضي الوحيدَ هو تقريرُ الحقيقةِ وإظهار الداء، فلعلّ الغيورينَ يتداركونه بالعلاج، وهذه الحقيقةُ وإن كان الكثيرُ يتحاشى التسليمَ بها، لأن الإنسان يترفّع غالباً عن الخنوع للحقائق إذا كانت تمس من عليائه، فقد تظهر على ألسُنِهم من غير تنبه لها، فقد رأيت مرةً بيدِ أحدهم مجلةً ساقطةً لا يخرج منها المرء بطائلٍ، فأنّبتُه على مطالعةِ أمثالِ هذه الصحف فأجاب: «وأيه نطالع؟ نحن ما نفهم إلا مثل ذي الجرائد».

ولا أنكر أن في الحضرميين جملةً صالحةً مثقفةً، ولكنا إذا نسبناهم إلى الأغلبية وجدناهم نزراً يسيراً، وإنما المرء يصدر حكمَه بالنسبة إلى الأغلبية، ولعل أكثرية الطائفة المثقفة هي من العلويين، ولذلكَ ترى الصحفَ المفيدة تذيع غالباً لديهم، وهم أقلُّ اشتغالاً بالسفاسفِ من غيرهم.

بعد هذا يتضح أن لا رجاءَ في انصرافِهم عن البذاء والشتائم بسوى انتشار التعليم والثقافة، وعند ذلك يصدِفُون عنها لانشغالهم بأنواع الثقافة والآداب، ولا أرى الجوَّ مما يبشر بانتشارِها في القريب، فأولئك الشِّيبُ والكهول المتمسِّكون بما نشأوا عليه، لا سبيل إلى تغيير مجرَى ما يترسَّمونه حذواً للسابقين، فقد صلُبَ العودُ، ولم يعد من المستطاع تصليحُه، وتلك الناشئةُ المناطُ بها الآمالُ الكبار، والتي تغدو وتسرَحُ إلى المدارس هي التي نرفع أكفَّ الضراعةِ إلى البارئ بحرارةٍ أن ينبتَها نباتاً حسناً، ويجعلها عماداً متيناً للمستقبل.

أيتها النابتةُ! أننا كلما حـدّقْنا بالأنظـار إلى جـوِّ المسـتقبلِ، تمثـل لنـا مكفهِـرّاً إلا مـن ناحيتكم، فامضوا قدُماً متمثلين بآثار الأمم الراقية، ولا يضعِفَنَّ من إقـدامكم مـا سـتلقونه من مشاقَّ ووعورةٍ تقابلكم، لقْيَ الذين تقدّموا بأممهم نحو الرقيِّ الصعابَ والمشاقَّ.

* * *

كَلِمةٌ بمُناسَبةِ قُربِ المولِدِ النَّبَويِّ(*)

في الثاني عشرَ من مثلِ هذا الشهْر من العام الماضي ظهرتْ (سنقافورةُ) لأول مرة في حُلةٍ جديدة، فشاهدناها بمظهر التعظيم لشعائر الدين، حيث احتفلَ مسلموها قاطبةً بمولد النبي العظيمِ المرسَلِ رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وآله وسلم.

فعطّلوا فيه دواليبَ أعمالهم التجارية عن الحركة، إذ أقفَلوا حوانيتَهم، وتبرعوا من أموالهم بالشيء الكثير لبسط الموائد العمومية، يتعاقب عليها المسلمون من جميع الطبقات طيلةَ ذلك النهار، يضافُ إلى ذلك الاحتفاءُ بأبناء المدارس الإسلامية قاطبةً بتخصيص ساعةٍ يحضرون فيها، مجتمعين في سيارات مخصوصة، ينشدون فيها الأناشيد الدينية وغير ذلك، ويطوفون بشوارع المدينة في رَتلٍ من السيارات حاملين الأعلام.

وقد علمنا ـ كما أشَرنا إلى ذلك في (العدد الفائت) ـ أنّ جمعية الدعوة الإسلامية كما قامت في العام الماضي بذلك الاحتفال، قد انتخبت من أعضائها لجنةً لتهيئة احتفال هذا العام.

فإلى إخواننا المسلمين من كل الطبقاتِ! نوجّه رجاءَنا، مؤملين أن يكونَ مظهرُ احتفال هذا العام أبهى وأروع منه في العام الماضي، حتى يبرهنوا أنهم سائرونَ إلى الأمام، وأنهم في رقيٍّ مستمر، مع علمهم بأنّ ما يبذلونه من أموال ويُظهِرونه من حفاوة وسرورٍ

(*) «صحيفة العرب»، السنة الأولى، العدد ٤٠، سنقافورة، يوم الجمعة، ٤ ربيع الأول، ١٣٥١هـ.

إزاءَ يوم مولد النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وآله ليسَ إلا بعضُ واجبِ شكرِ هذه النعمةِ التي تفضّل بها علينا ذو الفضل العظيم، وإن عملهم هذا إنما هو كعنوانٍ لما تكنّه جوانحُهم من التقوى، وينطوي عليه وجدانُهم من حياة وشعور راقي، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، أي نعَمْ؛ وأية شعيرةٍ من الشعائر الإسلاميةِ أجدرُ وأحقُّ بإحيائها وتعظيمها والاحتفال بها، من ذكرَى مولدِ المنقذِ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهي التي تجدّد في الأذهانِ، وتعيد إليها ذكرى مولدِ أجلِّ مصلحٍ اجتماعي، كان مولدُه بمثابة بشرى للبشر، بأعظمِ تحوُّلٍ عرفه التاريخ: من دور الجهالة ودياجي الهمَجية، إلى دَورِ العلم والعرفان والحق الأبلج، ونورالحضارةِ والمدنيةِ الحقّةِ.

ولو كانت الأهواءُ والعصبياتُ لا تحولُ دون الإذعانِ للحقيقة، ولا تدفع بالإنسان إلى نكران الحقائق الناصعة، لاشترك في الاحتفال بذكرى ميلاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم جميعُ بني الإنسان على اختلاف أديانهم ونِحَلِهم وألوانهم، باعتبار أنه صلى الله عليه وآله وسلم منقذُ الإنسانيةِ جمعاءَ، قبل اعتبار كونه نبيَّ الإسلام، وداعيةً لدين الإسلام.

إنّ عادة الاحتفال بموالد العظماء والصلحاء ليست خاصة بالمسلمين، فولَعُ الغربيين بها يفوق بأضعافٍ وأضعافٍ اهتمامَ المسلمين بها، فقد جَرتْ عادتُهم أن يحتفلوا بمولد عظمائهم الذين قاموا بأعمالٍ جليلة خالدةٍ لفائدةِ المجتمع الإنساني عامةً، أو لفائدة أُمَمِهم خاصة، كمولد المسيح عليه السلام، وموالد القدِّيسينَ، و(جانْ دارْك) عند الفرنسيين، والمخترعين والمبتدعين، والمسْدِينَ فضلاً للعلوم والصناعات، كـ(غليلي)، و(نيوتن)، و(كوخ)، و(أديسُن). بل إنه يتعدّى ذلك عندهم إلى أن يُشعِروا الطفلَ بأن يهتمَّ بعيد ميلاده، فتجد المدرسة تسامحه ذلك اليوم، ويهدي إليه أهله وأقرباؤه ومحبّوه الهدايا والتحف.

وليس إيرادُنا لما ذُكرَ من ولَعِ الغربيين بذكرى ميلاد عظمائهم معناهُ الاحتذاءُ بهم والترسُّمُ لخطاهم، فإن هذا الأمرَ الحسنَ غيرُ حديثٍ عندنا، ولا طارئٍ علينا، وقد كانت

الدولة الفاطمية تقيمُ الاحتفالاتِ الباهرةَ في غاية الأبهة والعظمة والفخامة بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومولدِ أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومولدِ فاطمةَ رضي الله عنها، ومولدِ الحسن والحسين عليهما السلام.

وصف للاحتفال بالمولد النبوي أيام الفاطميين:

وبهذه المناسبةِ؛ أرى أن مما يحسُنُ بي أن أوردَ هنا وصفاً للمولد النبوي أيامَ الخلفاء العبيديين مستعيراً قلمَ العلامةِ المقريزيِّ، ليتضح لنا مقدارُ عنايتهم واهتمامهم به، قال العلامة المقريزي:

«.. فإذا كان اليومُ الثاني عشر من شهر ربيع الأول، تقدم بأن يُعمَل في دارِ القَطْرة عشرون قنطارا من السكّر اليابس حلواءَ يابسة من طرائفها، وتعبّأ في ثلاثمائة صينية من النحاس، فتفرّق تلك الصواني في أربابِ الرسوم من أربابِ الرتَب، وكلُّ صينية في قُوّارة من أول النهار إلى ظهره، فأولُ أرباب الرُّسوم: قاضي القضاة، ثم داعي الدعاة. ويدخل في ذلك القراءُ بالحضرة، والخطباءُ، والمتصدِّرون بالجوامع بالقاهرة، وقامة المشاهد، ويخرج ذلك بدعوةٍ تخرجُ من دفتر المجلس (يعني دفتر مجلس الخليفة).

فإذا صلى الظهرَ ركب قاضي القضاةِ والشهودُ بأجمعهم إلى الجامع الأزهر، ومعهم أربابُ تفرِقَة الصواني، فيجلسون مقدارَ قراءةِ الختمة الكريمة، ثم يُستدعَى قاضي القضاة ومن معه، فإن كانت الدعوةُ مضافة إليه، وإلا حضر الداعي معه بنقباء الرسائل، فيركبون، ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من السُّيوفيين، قبل الابتداء بالسّلوك بين القصرين.

فيقِفون هناك وقد سُدَّت الطريقُ على السالكين من الركن المخلّق، ومن سويقة أميرِ الجيوش عند الحوض هناك، وكُنِسَت الطريقُ فيما بين ذلك، ورُشَّت بالماء رشاً خفيفاً، وفُرِش تحت المنظرة التي فيها الخليفةُ بالرمل الأصفر، ثم يستدعَى صاحبُ الباب من دار الوزارة، ووالي القاهرة ماضٍ وعائدٌ لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة، فيكونُ

بروزُ صاحبِ الباب من الركن المخلّق هو وقتُ استدعاء القاضي ومن معه من مكانِ وقُوفهم، فيقرُبون من المنظرة، ويترجلون قبلَ الوصول إليها بخطوات. فيجتمعون تحت المنظرة دونَ الساعة الزمانية بسَمتٍ وتشوّف لانتظار الخليفة، فتفتحُ إحدى الطاقات، فيظهر منها وجْهُه وما عليهِ من المنديل، وعلى رأسه عدةٌ من الأستاذين المحنّكين، وغيرُهم من الخواص منهم.

ويفتَح بعضُ الأُستاذينَ طاقة، ويخرِج منها رأسَه ويدُه اليمنى في كُمِّه، ويشيرُ به قائلاً: «أميرُ المؤمنينَ يردُّ عليكم السلامَ»، فيسلِّم بقاضي القضاة أولا بنعوته، وبصاحبِ الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملةً جملةً من غير تعيين أحد، فيَستفتح قراءُ الحضرة بالقراءة ويكونون قياماً في الصدر، ووجوهُهم للحاضرين، وظهورهم إلى حائطِ المنظَرة، فبعد خطيبِ الجامع الأنور المعروفِ بجامعِ الحاكم، فيخطب كما يخطب فوقَ المنبر إلى أن يصل إلى ذكر النبي ﷺ فيقول: « وإنّ هذا يومُ مولده..»، إلى: « ما من الله به على ملة الإسلام من رسالته»، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة.

ثم يتأخر، ويتقدم خطيبُ الجامع الأزهر فيخطب كذلك، ثم خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك. والقراءُ في خلال خطابة الخطباء يقرأون، فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ رأسه ويدُه في كمِّه من طاقته، وردَّ على الجماعةِ السلامَ، ثم تغلق الطاقتان فتنفض الناس، ويجري أمرُ الموالدِ الخمسة الباقية على هذا النظام».

ولما كان الإنسان متعطشاً إلى معرفة أسرار الأمور وحِكَمِها، فقد يتساءل المرء عن حكمةِ الاحتفالات بموالد العظماء، فالسِّر في ذلك: أنّ هذه الاحتفالات التي تدل على إكبار المحتفَل به وعظمته، تحفِّزُ غيره إلى تطلب الأسباب التي صار به المحتفَلُ به عظيماً ليسجلَ نفسه في سجلِّ أهل العظمة والفخر.

ومن أعظم أغراض احتفالنا بمولدِ نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، هو: أن ينبعث في القلبِ ميلٌ إلى التخلق بتلك الأخلاق المحمدية في الأقوال والأفعال، ثم مطالبة النفس بالتحلّي بها جهد الاستطاعة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

* * *

لماذا صادرَت الحكومةُ الهولنديةُ
كتابَ «حَياة الشَّرقِ» من جاوة(*)

منعت حكومة هولندا دخول كتاب «**حياة الشرق**» لمؤلفه الكاتب الاجتماعي الأستاذ محمد لطفي جمعة إلى جاوة، وصادرت نُسَخة التي وقعت بأيدي البعض. وقد علم بعضُ الناسِ وخاصة بخارج (جاوة) هذا الخبر ولم يعلقوا عليه أهميةً كبيرة، ولم يبحثوا عن الأيدي التي عملت في الظلام لتحقيق هذا الأمر، فما عدوا نظرة سطحية.

والواقع الذي يلزم القراء الاطلاع عليه، وخاصة قراء الخارج، بوجه أخصّ الأستاذ **محمد لطفي** مؤلف الكتاب، هو: أنّ الكتاب ـ للفَصل الذي خصصه الأستاذ فيه بعَرَب جاوة ـ قد أغضب الحزب الذي يدعي نفسه الإرشاد، إذ رأى فيه ما يكره، ومن ديدن هذا الحزب محاربة كل ما لا يوافق مشاربه ومناوأة من لا يعضده على كل ما يروم وإن كان محقاً في مناوأته له، فليس بعيداً منه إن هو عمِلَ تحت ستارِ الظلام، وبذل الجهود لدى الحكومة الهولندية لمنع تسرب هذا الكتاب إلى جاوة، لأنه يشمل ما لا يحب، كجعله هذا الحزب مؤلّفاً من الطبقات السفلى من الحضارم و... و... الخ.

وهذا ما وقع بعينه فعلاً، فالحكومة الهولندية لم توقظها لمصادرة الكتاب من جاوة ومحاربته سوى جهودُ (حزب الإرشاد) لديها، ويؤيد للقارىء هذا: كونُ الكتابِ لم ينتشر- حتى حينَ مصادرته انتشاراً كبيراً بجاوة، فينبهَ الحكومة عاملُ مفعولِ الانتشار كما يقتضيه

(*) «**صحيفة العرب**»، العدد (٦٠)، يوم الخميس، ٢٦ رجب سنة ١٣٥١ هـ.

المنطق، ولكن الحقيقة المرة كما مر بالقارىء هي أن (حزب الإرشاد) لما علم أن الكتاب يشمل ما يشمل، مما لا يرضاه، أخذ يثير الحكومة عليه بدعوى أنه يذكي في الوطنيين روحاً لا تحمد الحكومة عاقبتها، وأن انتشاره بين الوطنيين يقيمهم ويقعدهم ضد الحكومة، وهكذا حتى نجح تدبيره وصودر الكتاب. وقد يصور تأثرَهم بما كتب الأستاذُ، وتألمهم منه تلك الجملةُ التي أسبق بها يونسُ البحْري مقال الأستاذ الذي نشره في (جريدته) ـ وهي كما هو معلوم لسان للإرشاد ـ مشيراً إلى الفصل الذي نشره الأستاذ في «كتابه»، واصفاً عند ذلك (حزب الإرشاد) بأنه: القوي بالله (كذا)، ومعنى ذلك أنهم متألمون لما كُتِب ولكنهم لا يبالون به لأن حزبهم قوي بالله! والآن وقد نجح مسعاهم في مصادرة الكتاب سيتنفسون الصعداء ويقولون: إن من نصرة الله لحزبنا القوي به أن صودر الكتاب.

نحن لا نقول: إن الأستاذ محمد لطفي جمعة قد أصاب فيما كتب عن عرب جاوة ففيما كتبه عنهم أخطاءٌ جمةٌ، لا نحسبها صادرة إلا عن المصادر التي استقى منها معلوماته، ولعله قد قسا على العلويين أكثر من غيرهم، ولكن لم تبلغ بالعلويين دناءة النفوس إلى حد أن يعملوا في الظلام ويدسوا الدسائس ضد مثل هذا الكتاب، ما دام بمُكنَتِهم أن يوضحوا الحقائق على صفحات الصحف لتفهيم الأستاذ وتفهيم كل من وصلت إليه الحقائق مشوهة. ولكن هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم (حزب الإرشاد) لما رأوا سمو مركز الأستاذ **محمد لطفي** في العالم العربي، وأحسوا من أنفسهم قصورَهم عن المقارعة بالحجج، لم يهتدوا لمحاربة الكتاب إلى شيء سوى تلك الوسيلة الدنيئة. وقد فهموا أنهم سيعيَّرون بتلك الوسيلة التي لجئوا إليها فسوّلت لهم أنفسُهم أن يشركوا العلويين في مثل هذه الدنيئة فأخذوا يُرجِفون بأن العلويين يعملون لمصادرة كتاب «**نظرات الشورى**»، وغاب عنهم أن ليس في ذلك الكتاب ما يلجىء العلويين إلى محاربته ولكن «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

نَزْرٌ مِن آثارِ وخَيراتِ السَّادةِ العلَويِّين(*)

لقد أتى في بيان السيدِ النبيل إبراهيم بن عمر السقاف ـ الذي علق به على ردِّ الشيخ أحمد السّوركتي ـ من قبيل الشكوى والعتاب للإرشاديين مما تفعله وترتكبه صحفهم، قوله: «وهذه عائلاتٌ من العلويين، ربما لا تزيد عن أربعين شخصاً، لهم ما لهم من آثار جليلة، كمدارس ومساجد وأوقاف خيرية متعددة، ليست هي بالقليل لو نسبت إلى ألوفٍ من الناس، بدلاً عن أن يذكروهم بكلمةِ خيرٍ ولو للتشجيع على الأقل، ويترحموا على موتاهم أو يسكتوا عنهم فلا يسبوهم، سبَّوهُم وألحقوا بهم الطعنَ في المجموع العلوي وأزعجوا حتى الموتى في قبورهم، فإلى الله المشتكى».

فلو أن حزبية الإرشاديين من النوع الذي لم يتعدّ كلَّ حدٍّ، لكان لهذا العتاب والشكوى أثر بعيد، يجعلهم يراجعون أنفسهم فيما يلقاه العلويون منهم ومن أذنابهم، ولكن أنّى لهم ذلك وكاتب صحيفتهم التي ما عاشت إلى اليوم إلا من وراء اتساع الفتنة بين الحضارم، يقلب لهم الحقائقَ رأساً على عقب، ويتخذ ما لا غبارَ عليه من شكوى وعتابٍ وسيلةً لتوسيع الخرق والفتنة، فيصوره لهم بالتحرش، وبأن ذلك تعيير للإرشاديين، بأن السيد إبراهيم إنما قصدَهم ـ لا غيرهم ـ بقوله: «لو نسبتْ إلى ألوفٍ من الناس»، مع أن المفهومَ لكل أحد من سياق الكلام أن كلمة «**ألوف**» هنا منصرفة إلى العموم كما يدل عليه ما بعدها من كلمتي: «**من الناس**»، ولو قصد السيد إبراهيم تعيير الإرشاديين بأعمال العلويين،

(*) «**صحيفة العرب**»، العدد (٦٦)، الخميس ١٥ رمضان ١٣٥١هـ.

لذكر ذلك صراحة، ولما قاس عمل عـائلاتٍ علويـة بـألوف مـن النـاس، أي: عـلى وجـه التعميم.

والذي عرفناه من السيد إبراهيم: أنـه ضربَ بـذلك مـثلاً عـما لقيتـه أخـيراً عائلتـا السقاف وآل الجنيد من سفَهِ جرائد الإرشـاديين، والواقـع؛ أن هـاتين العـائلتين تُعَـدّان في مقدمة البيوت الإسـلامية في العـالم كلـه مـن حيـثُ تقاليـدِها السـامية، وأعمالهـا الخيريـة، وحسناتها الكثيرة التي لا تخفى إلا على من ينكر ضوء الشمس عن رمد، وهما عائلتان فقـطْ من مئاتٍ من عائلات العلويين، الذين تلعـنهم وتسـبهم (جريـدة الملحـد الهنـدي) أحيـاءً وأمواتاً. ويكفي في معرض حسناتهم ومآثرهم أن نذكر أن تسـعينَ في المائـة مـن المسـاجد، وأكثر معاهد التعليم والملاجئ في القطر الحضرمي هي من آثار السادة العلويين، وإليك بعدَ هذا بياناتٍ عن آثار وحسناتِ تينك العائلتين مما تأتّى نشره اليوم، وربما كان هناك أكثر مـن ذلك.

آثار وخيرات

السادة آل السقاف المشهورين بسنقافورة

(مدرسـة السـقاف العربيـة)، وهـي واقعـة في أهـم وأوسـط الأحيـاء الإسـلامية بسنقافورة، ومساحة الأرض التي تشغلها لا تقل عن فدان، وقد تكلفَ بناؤها منذ عشرين عاماً نحو أربعينَ ألفِ دولار، عندما كان الـدولار يسـاوي ثلاثـة أمثـالِ قيمتِـه الآن. وإذا ضممنا هذا إلى قيمةِ الأرض والأملاك الموقوفة على المدرسة، لما قلَّ ذلك عـن مـائتي ألـف ريال (دولار).

خيراتُ المغفور له السيد محمد بن أحمد السقاف
عاهل عائلة السقاف وأكبر مؤسِّسي مجدِها

وما كنا لنذكر هذه الخيراتِ بصفة خاصة لولا أنها مما يفرَح له قلب كل مسلم، فقد وقف هذا السيدُ الكريم ثلثَ جميع ماله، ويزيدُ ذلك عن (مليون دولار) في وجوهٍ كلها برٌّ وإحسان، مذكورة في وصيته. وقد يبلغ في بعضِ السنوات حاصلُ تلك الأموال نحو (ثمانينَ ألف دولار) لسنة واحدة.

وهذه **الجمعية الخيرية الإسلامية** المسماة (جمعية وقف أموال المسلمين)، التي أصبحت اليومَ في سنقافورة أكبر ملجأ للمساجد والأوقاف الإسلامية، التي ليس لها ما يقوم بنفقات صيانتها، وسد نفقات ما يلزم لإقامة الفروض والشعائر الإسلامية فيها، ويقدّر ما تناله هذه الجمعية وحدها من هذه الخيرات بأكثر من (٩٩ في المائة) من كل ما تناله، وهو نحو (خمسة عشر ألف دولار) في سنة واحدة أحياناً، وكثير غيرها ينالُ من هذه الخيرات العميمة.

ملجأ لأيتام المسلمين ويبلغ ثمنُ بنائه والأوقافُ الموقوفة عليه (سبعين ألف دولار)، يقيم فيه الأيتام آكلين شاربين، ويتعلمون في (مدرسة السقاف العربية)، كل ذلك مجاناً.

دار العيادة الطبية المجانية، مع صيدليتها العصرية المجانية أيضاً، وبها طبيب خاص لمعالجة الفقراء مجاناً، ثم أيضاً يعطون الدواء مجاناً.

مدرسة النهضة العلمية بسيوون(*) لواقفها المغفور له السيد عمر بن محمد السقاف العاهل الثاني لعائلة آل السقاف، وهي أكبر مدرسة اليومَ في القطر الحضرمي، بها ما يزيد

(*) «صحيفة العرب»، العدد (٦٧)، الخميس، ٢٢ رمضان، ١٣٥١= ١٩ يناير ١٩٣٣.

على ٥٠٠ طالب. وقد تكلف بناؤها والأوقاف التي ـ حسب غَلاتها ـ عليها نحو (مائة ألف دولار) و ٩٥ في المائة منه من آل السقاف.

وقد وقف المرحوم السيد عمرُ بن محمد السقاف ما يزيد على ثلثِ ماله على خيرات وحسنات، وعلى ما بلغنا أن جلّ أفرادِ هذه العائلة ـ الغنيةِ بطيبة نفسها قبل غنائها بمالها ـ يوصي بثلث ماله للخيرات.

ملاجئ السادة آل السقاف وخيراتهم في الحجاز: وبعضُ هذه الملاجئ مخصصٌ لسكنى الفقراء، وهو أكثر من ثمانية دُورٍ مستقلةٍ بمكة المشرفة، وملجأ كبير في (حارة الباب) فيه ٢٤ مسكناً بني سنة ١٣٤١هـ، وتكلّف نحو (خمسين ألف ريال/ دولار)، وبعض الملاجئ أوقاف محبوسٌ غلتها على الأعمال الخيرية من صدقات وسبيل زمزم، وما أشبه ذلك ويرسل من سنقافورا لمثلِ هذا ـ عِلاوةً على ما يرسل من مبلغ الصدقة السنوية ـ من خيرات ساكن الجنان السيدِ محمد بن أحمد السقاف لفقراءِ الحرمين، وهو بضعُ مئات من الجنيهات، يزيد وينقصُ ذلك تبعاً لحاصلِ الوقف.

المسجد الكائن بشارع (جاوا رود):

وهنا خطر ببالنا قبل أن نأتي على خيرات وحسنات السادة آل الجنيد أن نذكر المسجد الكائن بطريق (جاوا رود)، ويذكره البعض بـ(مسجد السقاف)، ويسميه أفرادُ هذه العائلة ونظّارُه منهم بما هو مكتوب فوقه، وكذلك في أوراقهم ودفاترهم (مسجد الحاجة فاطمة). ولكن الحسد والغرض ذهبَ يصيح ببعضِ الناس بما يفهَم منه أن هذه العائلة انتحلت لنفسها نسبةَ هذا المسجد اليها، لما سبقَ ذكره من إطلاق بعض الناس عليه اسم (مسجد السقاف)، وإذا عرفتَ أن لهؤلاء عذراً، وقرأتَ ما بعد هذا عرفتَ أن ليس في الأمر إلا غرض وحسد كما قلنا. فالحاجة فاطمة إنما هي جدةُ العددِ الأكبر من آل السقاف الموجودين بسنقافورة، من جهة الأم، وكانت لا تثق ولا ترى أحدا أقربَ إليها منهم، فكان مما أوحاه

إخلاصهم ومحبتهم لها أن سعوا لديها في عمَل ووقفِ هذا المسجد، فعهِدتْ بذلك إليهم، فقاموا به حق القيام، وصاروا يساعدون على كلِّ ما يلزم له، ويحافظون عليه كل المحافظة، ويوقفون عليه من خيراتهم السنوية، ويحسّنون ماليته من يوم إلى يوم. وهاهو يحتاج الآن إلى توسيعٍ وتعميرات كبيرة تستغرق أكثر من (١٣٠٠٠ ريال)، قد أرصِدتْ من أوقاف آل السقاف، وسيبدأ العمل في ذلك قريباً.

آثار وحسنات

السادة آل الجنيد المشهورين بسنقافورة

(مدرسة الجنيد الإسلامية): الواقعة في وسط مدينة سنقافورة وأهمّ أحيائها، تشغل من الأرض ما مساحته نحو (إيكر ونصف = ما يساوي تقريباً فداناً ونصف)، ولا تقل تكاليف بنائه الحديث وتوابعه مع المسجد وغيره عن نحو (خمسين ألف ريال/ دولار)، غير ثمن الأرض. وإذا أردنا تقدير ثمن الأملاك الأخرى الموقوفة من السادة آل الجنيد على المدرسة، لما قل ذلك عن (مائة وخمسين ألف دولار)، ولا يملك زائرُها نفسه عن إبداء الإعجاب والسرور بما يراه يتجلى فيها من الروح العربية الإسلامية.

المسجدُ الكائن بحي (كامفوغ ملاكا)، الموجود والمعمور الآن والحمد لله بالعبادات، وعليه أوقاف تصرف غلتها عليه. ولم نتمكن من تقدير قيم ذلك بالأرقام اليوم، ولعلنا نذكره فيما بعد.

المسجد الكائن بحي (بقكولو)، الموجود والمعمور الآن والحمد لله بالعبادات، وعليه أوقاف تصرَف غلتها عليه.

المسجد الكائن بحي (سوسو)، الموجود والمعمور الآن والحمد لله بالعبادات، وعليه أوقاف تصرف غلتها عليه.

المقبرة المعروفة بحي (كامفوغ كلَـمْ) في وسـط سـنقافورة، الموقوفـة لـدفن أمـوات المسلمين، ولو جاز أن تباع أرضها لأتت بأكثر من (مليون دولار).

المقبرة الكبيرة المعروفة باسم (بوكت وقف)، الموقوفة مقبرة لعموم المسلمين، والتـي هي أكبر ما يكون من نوعها في سنقافورة، وتبلغ مساحتها أكثر من عشرـة (إيكـر/ فـدان) ولو يراد بيعها لاتت بمال طائل.

الأرض الكبيرة الواسعة ذات الموقع الصحي الموقوفة، والتي تقوم عليها الآن المبـاني الكبيرة **للمستشفى الخيري** للفقراء بشارع (ولْـَمنْ رُود)، والتي تمتد حتى شارع (تومسـون رود) من الشمال، وشارع (بلستر رود) من الجنوب.

الأراضي الكبيرة التي هي في وسط سنقافورة، **والموقوفة** لتكون غلتُها مما يصرف على ذلك **المستشفى الخيري العام**، ولو بيعت هذه الأراضي لأتت بأكثر من (مليوني دولار).

ملاجىء السادة آل الجنيد وخيراتهم في الحجاز:

هي جملة دورٍ موقوفٌ بعضها لسكنى الفقراء، وبعضها لتصرَف غلتها على أعمال البر والإحسان، **وملجأ كبير بمكة المكرمة** في (حارة الباب) فيه نحو عشرـين مسـكناً للفقـراء، تكلفَ أرضاً وبناءً ما يقرب من (أربعين ألف دولار)، **وملجأ كبير بالمدينة المنورة**، فيه أكثـر من خمسة عشر مسكناً للفقراء لا ندري كم تكلف، وقد لحقه خراب كبير عندما هدم **فخْرِي باشا** البيوت التي حولَ الحرم النبوي، فرمّم منذ سـنتين بنحـو (ألـف جنيـه) مـن خـيرات المغفور له السيد محمد ابن أحمد السقاف.

* * *

صُحُفُ العلَويِّينَ وصحُفُ الدُّخَلاءِ (*)

صحفُ كلِّ أمةٍ عنوانُ نهضتها، ولسانها المعبر بأفصحِ عبارة عن مبلغ رقيِّها وحظِّها من الثقافة، وصحافةُ الأمم مرآتُها التي تنعكس على صفحتها المجلوّةِ صورُها كما هي، والصحفُ معرِض الأفكار والثقافات تعرضُ على صفحاتِ صحفِ كلِّ أمة أفكارُ بنيها وثقافتُهم، فمنها يعرَف حظُّها من النضوج أو إن كانت لا تزال فجّةً. ونحن إذا كنا نعجَب بأمةٍ كالأمة المصرية أو السورية، ونعظّم شأنها فإنما ذلك لما وقَر في أذهاننا من صحُفها التي تعرِب عن رقيّها ونضوج ثقافتها.

وعليه؛ فصحُف الحضرميين التي بدأتْ تكثرُ في الآونة ـ وأقصِد بصحُف الحضرميين: التي تتكلم عن ألسنتهم، وإن كانت تديرها أيدٍ أجنبية ـ هي لمن بالخارجِ من المتتبعين للقضيةِ الحضرمية صورةٌ للحضرميين، بها يستطيعونَ تفهّم حقيقةِ الأمة الحضرمية النائية عنهم، فبأيِّ مظهرٍ يا تُرى تبدِينا هذه الصحفُ لأولئك؟ وبأي صورةٍ ترسِمُنا لأنظارهم؟ هذا ما يجب أن نتحققَ منه، كيلا ندعَ صحيفةً تبدينا بغيرِ مظهرنا اللائق، أو تصورُنا صورةً شوهاءَ لا نرضاها لأنفِسنا، ولا ترضاها أمة لها كرامة، ترفع عقيرتَها بين ظهرانِينا، فنسرعُ في وأدِها متكاتفين، حفظاً لسمعتنا وكرامتنا، عند من لا يعرفنا بسوى صحفنا. صحفنا هي قسمان:

(١) قسمٌ لا يدَ لأجنبي عليه، فهو (حضرمي بحْتٌ) وطَني صِرف.

(*) «صحيفة العرب»، العدد (٤٩)، يوم الجمعة، ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ.

(٢) وقسم تصدرها أيدٍ أجنبيةٌ متظاهرة أو مستترةٌ، والستارُ الشفاف ينِمُّ عن المتستِّر، والحقيقة لا تخفيها حجبُ الأكاذيبِ والتمويهات.

فأما القسم الأول: فتمثله صحفُ العلويين، إذ القائمون بإصدارِها حضرميون، والأقلام التي تحرّرها حضرمية، وهي لذلك بالطبع مخلصةٌ في جهادها، ولا غايةَ لأربابها من إصدارِها غير خدمةِ القومية، ونشر الثقافة، وتبادل الأفكار الإصلاحية على صفحاتها، شأنَ الصحافة الحقيقيِّ، وغايتِها التي من أجلها برزت فتبوأت المكانةَ السامية واستحقت بكلِّ جدارة أن تلقب بـ(صاحبة الجلالة الرابعة).

وصحفُ العلويين على كونها تمثل الصحف الوطنية تمتاز بميزة أخرى أهم، وهي: أنه بجد فيها القارئ متعة وفائدة، وتعطيه فكرة عن تقدم الحضرميين ورقيهم، فيجد فيها التحريرات الراقية، والأبحاث الأدبية، والأشعار الرائقة، والاتزان والتروي في مواطن الدفاع، فلا تستعمل ألفاظ الشتام والسباب أداة في الدفاع كديدن سواها من صحف الدخلاء.

وبالاختصار: فإن المحايد البعيد عنا وإن كان قد يظن صحف العلويين من الصحف الحزبية، فهو يرى فوائد جليلة من مطالعتها، إذ لا تستغرق المسائلُ الدفاعية صفحاتها، ولا تخلو أعدادها من مفيد طريف لا يستغنَى عنه، ويكفي للمرتاب أن يقابل بين أعداد صحيفةٍ من صحف العلويين، وأعدادِ صحيفة تتكلم بلسان الإرشاديين الحزب المناوئ للعلويين، فيلمَسُ ما قلنا بارزاً. وكون صحف العلويين كذلك نتيجةٌ طبيعية لما مرَّ بك من أنها وطنية صرفة، وإذا لم تخلص الصحفُ الوطنية في خدمتها للوطن فأيُّ الصحُف ـ لعَمْرُ الحق ـ تخلص له! وإنما عبّرت فيما مر بـ(ظن المحايد البعيد عنا)، في كون صحف العلويين حزبية: لأني لا أعتقدها حزبيةً بل مدافعة تجاه تهجمات واختلاقات محضةٍ لا عقل لها ولا سمع ولا بصر.

وأما القسم الثاني من الصحف: فهي الصحف التي يسيطر عليها الدخلاء الأجانب الذين نفتْهم بلادهم إلى ما بيننا، وهذه الصحف هي التي تنطق عن لسان (حزب....)، الذي ارتضى الدخلاءَ رؤساءَ وألسنةً لنفسه، فأوردوه موارد سيئة غير مشرفة. هذه الصحف هي التي تسيء إلى سمعة الحضرَميين عند من بالخارج، لكونها تمثلهم على سبيل الإجمال، شعباً لا يجيد سوى السباب والشتائم وألفاظ القذع والفسوق، ومن لم يضجَّ ويصرخْ لما ظهر ويظهر على صفحات مثل (**الضلال**) و(**القِصاص**) من سباب وشتائم، مما يستحيى من النطق به، فضلاً عن تسطيره على صفحات صحُف سيارة.

ولم ترعوِ تلك الصحف حتى عن إيراد ألفاظ الفسُوق، و... وأشباهها، وعن تكفير المسلمين، وتلقيب الزعماء المسلمين المدافعين عن الإسلام بألقاب يختص بها علماء النصارى واليهود الدينيون، كألفاظ: **الحاخام، والراهب**، بل ولم تقفْ عند هذا الحدّ فتعدت ذلك إلى الخوض في الأمور الداخلية والأسر. ثم إذا تسنى لك أن تقلب صفحاتِ تلك الصحف لم تجد من أول سطر إلى آخر سطر ما يفيد ويجدي، فكل ما فيها تهجمات لا تقوم على أساس، واختلاقات وأكاذيب باطلة تبدو فريتها للقارئ لأول وهلة، كما ترى نموذجاً من ذلك في موضوع آخر. لقد مر في مستهل المقال: إن الصحف مرآة الأمم! فبأي صورة ترى تصورنا هذه الصحف في الخارج؟ وماذا يقال فينا إذا قرئت تلك الصحف؟! أتراهم يقولون: «أمة ناهضة متيقّظة» أم يقولون: «أمة لا تتقِن غير السباب والفحش والبذاء»!

الحق: إن تلك الصحف لطخة سوداء في جبين الحضرميين عموماً، والذين تنطق عن ألسنتهم خصوصاً، بل وصفحةٌ سوداء في تاريخ الصحافة، حيث أدرجت نفسها ضمن الصحافة، والصحافة أجلُّ من أن تنتسب إليها، وأخلَقُ منها ومن الحضرميين بالمحاربة، وأما أولئك الذين تتكلم عن ألسنتهم ـ وهم الإرشاديون ـ فلا أدري أين ضاع رشدهم ضحية الحزبية المتوغلة في نفوسهم، فعضدوها بالأموال الوفيرة.

الحقَّ أقول ولا أكون مغالياً أو متحزباً: أنه لولا صحفُ العلويين التي تتخذ الرزانة في الدفاع، والإخلاص للقضية الحضرمية نبراساً لها، لكانت سمعة الحضرميين لدى المتطلعين المشرئبين لفَهْم حقيقتهم ومعرفة كنههم سمعةً سيئة شوهاء، ولفهمُونا شعبا لا يجيد سوى أساليبِ السباب والقذع والفحش.

* * *

مَاهيةُ (الدّخَلاءِ) و(الأجَانبِ) فِي عُرفِنا(*)

لعلّ صحيفتَنا هذه هي أولى صحُف المهجر التي أطلقت على الآفاقيين الملهِبين نارَ الفتنة بين الحضارم كلمة (**الدخلاء**) فيما نظن، ثم شَاع استعمالُها، أو أن ذيوعَها كان عقب تكرّرها في صحيفتنا، ونعتقد أن هذه الكلمة لم يستجدّها القراء فتتكرر في كتاباتهم إلا لكونها جاءت طبقَ الواقع، فكانت كثوب أتَى على قياس لابسِه، فلا طول ولا قصر، ولا زيادة ولا نقصان، وإلا لحكمنا بفساد أذواق القرّاء؛ لتلقفهم هذه الكلمة بكلّ سرعة وللذوق حكمه الذي لا ينكر.

غير أنّ البعضَ استنكر منا تطبيقَ تلك الكلمة وكذا كلمة (**الأجانب**) على من ينتسب إلى العروبية، ورآها نابيةً عن الانطباق عليهم، وهذا ما فهمناه أيضاً من مقال الأستاذ محمد علي لقمان المنشور بهذا العدد، فقد جاء فيه: «وقولكم إن الأجانب هم الذين يصطادون في الماء العكر، وهم الذين يشوّشون الحالة فإني أوافقكم عليه، ولكني لا أعني بالأجانب العربَ، فإني إذا قلتُ ذلك خالفتُ المنطق، لأن جميع العرب في جاوا لا يعدون جاويين... إلخ».

وقد تسربتِ الشبهةُ إلى الأستاذ في فهم معنى كلمة (الأجانب) التي نعني بها (الدخلاء) أنفسهم، من حيث أن خالَنا نقصد به الأجانبَ على جاوا، والواقع: أنا نعني **الأجانب** عن الحضرميين و **الدخلاء** عليهم، الذين انشقّ الحضارم ونالهم كل الأسواء

(*) «**صحيفة العرب**»، العدد (٦١)، الخميس ٣ شعبان ١٣٥١هـ.

بفضلِ مكْـرِهم. والحضـارم وسـواهم مـن العـرب مـن مصـريين وحجـازيين وعـراقيين وسوريين ومـن إلـيهم يتفقـون مـن ناحيـة أنهـم **أجانـب** عـن جـاوا في المـوطن الجغـرافي والإقليمي، ويمتاز الحضارم عن غيرهم بفضل السبق إليها ونشر دعوة الدين بين ربوعهـا، وإنارة أذهان بنيها بمشعل الهداية.

فنحن إذا أطلقنا على أولئك الذين استدّت عليهم وجوه الرزق في بلادهـم فجاءونـا ليتعيّشوا بتفريقنا وإشعالِ نار البغضـاء بـين أهـل وطـن واحـد، نحـن إذا أطلقنـا علـيهم: (الدخلاء) أو (الأجانب)، فإنما نقصد بذلك أنهم **أجانب** عن الحضـارم الـذين ينتمـون إلى وطن واحد وهو حضرموت، الذي هو مخلافٌ من مخاليف اليمن، وله حـدوده الجغرافيـة، ولسنا نعني بذلك أنهم هم فقط **أجانب** عن جاوا، فكلنا من هذه الوجهة سواسية، وإن كنـا نمتاز بأفضليةٍ للاعتبارات المادة كما سبق بالقارئ.

ولعلّ أحداً **يقول**: إن فيما قررتَ نزعةً ميالة إلى تجزئةٍ وتقسيم الوحدة العربيـة، التـي أخذ الغيورون على العروبة بالدعوة إليها، فـالعرب جميعـاً تضـمّهم رابطـة العروبـة بـدون التفات إلى الفوارق الإقليمية، وبغير أن يقال: هذا حضرمي، وهذا سـوري.. إلـخ، فـدفعاً لهذا الوهم الذي لا أستبعد سبقه إلى كثير من ذوي الفكر الناضج بلْهَ غيرِهم. **أجيـبُ**: بأننـا مع كوننا من أعظم العرب تشجيعاً ومناصرةً لهذه الروح السامية التـي أيقظتهـا في العـرب المشاركةُ في آلام العبودية والاضطهاد، ومع كون نفوسِنا من أشرب النفـوس بهـذه الـروح المتحفزة لكسر قيود الرق والعبودية، واستعادة مجد الآباء التالد، لا نراها تتنافى مع تقـديمنا رابطةَ حضرميتنا، وإطلاق كلمـة (**الـدخلاء**) أو (**الأجانـب**) عـلى أولئـك الآفـاقيين غـير الحضرميين.

وذلك لأن الروابط التي تربط الجماعات والأمم متعددة ذات مراتب، فالبعض منهـا مقدم على البعض الآخر حسب سمتها ومتانتها، فهناك الرابطة العائلية، والرابطة الوطنيـة،

والرابطة الدينية، والرابطة الإنسانية، ولا مشاحة مثلاً في أن الرابطة العائلية مقدمة على كل الروابط، كما أنها أقدمها وأمتنها، إذ هي أول رابطة تكونت في تاريخ تدرّج الإنسانية تحت الشعور بالحاجة إلى التعاون الإنساني.

وقولنا: (إن الرابطة العائلية مقدمة على سواها من الروابط)؛ نعني به: إننا إذا شعرنا وتحققنا حصول ضُرٍّ يَحيق بها من جانب بعض أعضاء غيرها من الروابط فيجب محاربتهم، كأن أحست عائلة أنْ سيدركُها من بعض مواطنيها ما يمزّقها كلَّ ممزق، ويوقعها فريسة لأنياب الشقاق، فهنا لا يختلف اثنان في وجوب محاربة أولئك المواطنين ـ رغم الرابطة الوطنية ـ حفظاً لسلامة العائلة، وهكذا هلم جراً غيرُها من الروابط على ترتيبها.

وكما أن الرابطة العائلية مقدمة على غيرها، فرابطة وطنيتنا الحضرمية أقدمُ على رابطة الوحدة العربية مع مناصرتنا لها، فليس من المنطق ولا من واجب الوطنية الاستخذاء[1] لنفرٍ رمتْ بهم بلادُهم إلى ما بيننا فأخذوا يبنون علالي ثرواتهم ومجدهم على أنقاض ثروتنا ومجدنا، إن كنا ضنينين بسلامة وطنيتنا وحفظها!

ومما ذكرتُ يفهم القراء أننا لا نحارب ولا نقصد **بالدخلاء والأجانب** إلا من يريد بقوميتنا الحضرمية كيداً، ولو كان ممن ينتمي إلى العروبية اسماً، وذلك لأن سلامة قوميتنا الحضرمية ووحدتها أولى بالحفظ، أما من جاءنا منهم ومدّ إلينا يدَ الأخوة العربية والإسلامية، فله علينا ما للأخ على أخيه من حدْبٍ وحنوّ، وما سبق هو على فرض أن في أولئك الدخلاءِ على الحضارم من ينتمون إلى العروبية، مع العلم بأنهم ليسوا من العرب في شيء، فهم ما بين سُوداني وهندِي وأرْمَني..، إلى غيرهم.

يميناً بالله العليِّ الأعلى إنه إن نفي من بيننا أولئك **الدخلاءُ** فستسودُ بيننا الأخوة، ويعود ماضي الوفاق والاتحاد، فهم الداءُ العِياء الذي يلهِب نار الفتنة، ولن يطفئ جذوتَها

---

(١) الاستخذاء: الاسترخاء وزناً ومعنى. «**القاموس**» مادة (خذو).

سوى طردهم من مجتمعنا. اللهم رحماك لقد قرُبنا إلى حرفِ الهاوية وما من منقذ لنا من مكائد **الدخلاء** سواك؛ فدراكِ دراكِ!

* * *

بين بافقيه ولقمان

من وراء البحار إلى عرب جاوة (*)

العرب: كاتب هذا المقال هو الأستاذ محمد علي لقمان، وقد عرفه القراء على صفحات (الشورى) و(الفتح) وصحف مصر العديدة، وعرفوه أيضا بشهادة أمير البيان شكيب أرسلان.

عدن، في ٢٢ يولية ١٩٣٢م

جناب محرر «**جريدة العرب**» الغراء حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد؛ فإني أتشرف بالكتابة إلى العرب الغراء، وأعدكم أن لا أتوانى في الاستمرار، مؤملا أن أقوم بواجب، والله ولي التوفيق:

قد ينكر علي بعض أهل الفضل وضع التاريخ الإفرنجي على رسالتي هذه بدلاً من التاريخ العربي المقدس، فأعتذر قائلاً: إن أبناء يعرب قد نسوا تاريخهم، ونسوا مجدهم، وهاهم اليوم يرفلون في قيود الاستعباد، وأغلال الأسر، وهم يعدون أيام البؤس بالتاريخ الإفرنجي، مخمنين أن السجان سيلطق سراحهم بعد حين، ولما يتحققوا رغم جميع الويلات النازلة بهم أنه قد حكم عليهم بالسجن المؤبد، ولذلك أعد نفسي ـ أحد المسجونين الذين

(*) «صحيفة العرب»، العدد (٤٥)، سنغافورة، الجمعة ٩ ربيع الثاني ١٣٥١هـ.

يحسبون أيامهم من تاريخ حبسهم في سجن العدو الإفرنجي، مستعداً على كل حال لكسر القيود، والعدو في ميادين الحرية. هذه مقدمة لما أقوله الآن، مؤملاً أن تنشروا كل ذلك على ما به من غلط:

* أخذت الضائقة المالية، والجائحة الاقتصادية بخناق الأوروبيين حينا من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، فهبوا جميعاً يفكرون في مصدر المصائب، وأصل البلاء واستئصال الداء، فاجتمعوا بالأمس في (لوزان) وقرروا أن يخففوا عبء ألمانيا، وأن يلغوا الحواجز الجمركية، وأن يتعاونوا، مع أن كل دولة لها من قوتها وبنيها ومستعمراتها ومصانعها وعلمها ما يمكنها أن تستغني عن جاراتها، ولكن هؤلاء القوم الذين جبلت نفوسهم على درس كل ما يعود على أفرادهم بالخير والنفع العام لا يتركون فرصة تمر دون أن يستثمروها ويوطدوا السلام في ربوعهم، بعد أن كادت الحرب العظمى تذهب بعزمهم وجبروتهم، وإذا ألقينا نظرة على هذه الدول نراها أمام مشكلة عظمى، أمام معضلة تطور الشرق ومحاولة بنيه أن يستقلوا عن الغرب.

ولكن هذه الزوابع لا تتوتر لها أعصاب الأوربيين فإنهم يستخدمون القوم ليدس بعضهم على بعض، وليوقع الأخ بأخيه، ومتى ساد الشقاق ووجب الفراق نال العدو بغيته، وهكذا دواليك. وسبب كل هذه الويلات التي نرزح تحت كلكلها: أننا انشققنا على بعضنا، ونسينا أننا مسلمون قبل كل اعتبار آخر في جاوا، وهنود في الهند، وعرب في الجزيرة العربية، ومصريون في مصر، ولكن السياسة بعيدة الغور، وهي التي تدير دفة الأقوام، فكلما قربت من شاطئ السلامة عرجت بها نحو اللجة، وقذفت بها إلى بين الأمواج الثائرة.

ولهذا؛ فقد آن للمسلمين في جاوا أن ينبذوا الأحقاد، ويتركوا الأغراض، وينسوا الضغائن، فليس من وارء الحفيظة سوى التفرق، وليس من وراء التفرق سوى الفشل، ما بال القوم سدروا في غلوائهم، وتطرفوا في القذف والسباب والشتم والسلوك المشين؟!

أيظنون أنهم بذلك يحسنون صنعاً؟! ألا يعلمون أن شرف العربوة في بلاد الجاوة ضاع؟! وأنهم المسؤولون أمام الله ورسوله عن هذا المصاب؟! أما آن للجرح أن يلتئم، وللقروح أن تبرأ؟!

علم الله أن المشادة الواقعة بين العرب في الجزيرة الخضراء في (جاوا الجميلة) لما يتفطر لها قلب كل عربي، ويرقص لها قلب كل عدو يتربص بنا الدوائر! ولعمري؛ أما تلقوا من جمال الطبيعة درساً في الهدوء والوقار؟ أما هدأت خواطرهم نسمات الأزهار، وتعانق الأشجار، وتآخي الأطيار؟ فإن الأسد الكاسر، والتمساح الشرس، يعيش مع إخوانه على وئام ووفاق، فما بال عرب حضرموت يتنابزون بالألقاب؟ ويتقاطعون، والقطيعة بين الإخوان حرام، ويوقعون ببعضهم وهم يكادون أن يخسروا كل شيء.

لقد أتيح لي أن أتعرف إلى كثير من رجل الإرشادين، فلم أجدهم يبغضون أهل البيت الكرام، وآل المصطفى العظيم ﷺ، فهم إذا إنما وقعوا مع إخوانهم من العلويين الأماثل في سوء تفاهم أدى إلى هذا النزاع الهائل الذي لا بد أن يقضي على الفريقين أو على الباغي، وقد عرفت رجالاً من السادة هم قدوة لأهل الفضل ومثال للكمال. وإذا فكرنا في أسباب النزاع لا نظنه إلا موجوداً في تنازع المكانة في البلاد، ونيل أكبر حصة من حاصلات الأرض، ولكن هذه ضاعت الآن من يدي الفريقين بفضل انشقاقهم، ووجب عليهم أن يتحدوا ليدرأوا عن أنفسهم خطر العدو المشترك، والدين النصيحة!

ولقد كان لي أمل عظيم: أن الأخ الفاضل يونس بحري (السائح العراقي) سيعمل قصارى جهده في إصلاح ذات البين، ولا أزال أرجو أنه سيقوم بذلك، وأن جميع الزعماء على أقل تقدير إن لم يتمكنوا من الصلح، سيتركون الشتم المشين، والتحرش ببعضهم بعضاً، لأنه غير خليق بهم أن يبرهنوا للأجانب أن المسلمين لا يمكن أن يجمعهم الدين الإسلامي،

وأما الاعتقاد فلكل معتقده، طالما المسلمون ليس لهم دولة تجبر الكل على اتباع الحق، والسلام.

المخلص: محمد علي إبراهيم لقمان

* المحرر:

نشكر حضرة الأستاذ على نصيحته التي لا ريب في أنها صادرة عن إخلاص ومحبة، ورغبة في توحيد كلمة المسلمين على اختلاف نحلهم ومذاهبهم، غير أننا نستسمح حضرته في الاستدراك على فقرة قصيرة مما جاء في مقاله الثمين، استداركاً لا يخرج عن حد المناقشة الودية، قال حضرته: (لقد أتيح لي أن أتعرف إلى كثير من رجل الإرشاديين، فلم أجدهم يبغضون أهل البيت الكرام، وآل المصطفى العظيم ﷺ، فهم إذا إنما وقعوا مع إخوانهم من العلويين الأماثل في سوء تفاهم أدى إلى هذا النزاع... الخ).

نحن لا ننكر أن الإرشاديين يتظاهرون بحب آل البيت ليستروا بذلك نحلتهم، وهم مدفوعون إلى التظاهر بذلك مرغمين، كيلا تنالهم لعنات العالم الإسلامي إذا تظاهروا بذلك بحقيقة اعتقادهم في أهل بيت المصطفى ﷺ، غير أن الذي يجب على الأستاذ أن يتفطن إليه: هو أنهم في وقت ادعائهم حب أهل البيت والتظاهر به، ينكرون انتساب العلويين إلى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فيقولون تارة: إنهم يهود، وأخرى: إنهم زنوج، كيفما أملت عليهم أهويتهم، لا يرقبون إلا ولا ذمة ولا قرابة من رسول الله ﷺ، رغم أن جحاجحة المؤرخين - كما يعلم حضرة الأستاذ - قد أثبتوا اتصال نسبهم بالمنقذ الأعظم ﷺ، ورغم أن كاتب الشرق وزعيم الإسلام الأكبر شكيب أرسلان شهد بفضلهم وانتسابهم، حتى لقد أدى بهم اعتراف الأمير بفضل السادة العلوية إلى شيء من الاشمئزاز عنه، لعدم موافقته لهم على هواهم.

وقد عُرفتْ هذه الطائفة بالتودد من المتنقِّصين لآل البيت وإن كانوا كفاراً وملحدين،

كما عرفت بالبغض لكل محب لآل المصطفى ﷺ، إن كان مثلاً في التقوى والصلاح، وأسوق للأستاذ مثالاً: قضية الملحد (فلان) معها، فلم يعد خافياً على الأستاذ ولا على غيره ما نشره ذلك الملحد في (السياسة الأسبوعية) من الكفريات والإلحاديات، ولكن لما أنه لم يكن له دين يردعه عن منكر، ويحول دونه والافتراء، ورأى مصالحه تتطلب الاقتراب والالتجاء إلى هذه الفئة بعد أن خسر العلويين لقيامهم عليه عقب نشره الإلحاديات في (السياسة) وفطن إلى أن خير وسيلة لخطب ودهم هو الإقذاع والسب في السادة العلوية، كال لهم جزافاً الافتراءات والاختلاقات، فوصفهم باليهودية والزنجية وما إلى ذلك، فما هي إلا عشية أو ضحاها حتى صار فيهم مرموقاً إليه بالأبصار، ومشاراً بالبنان، وهاهم يتغنون باسمه وأسماء أمثاله من المتصيدين في الماء العكر أكثر مما يمر على ألسنهم اسم الأمير شكيب وأمثاله من زعماء الإسلام.

قلتُ في بدء التعليق: «إن هذه الفئة لم تدع فرصة تمر دون النيل من عالي مقام ونسب العلويين»، وها أنذا بين يدي العدد الأخير من (جريدتهم) أورد منه على سبيل المثال فقرات من مقال لأحدهم يوافق فيها اعتداءات (فلان)، قال: «حقاً لم يرجم السيد (فلان) بالغيب، ويضرب بالحصى فيما أتى به من الحقائق التي يتفق بعضها مع ما هو مبسوط في التواريخ الإسلامية (كذا) لا سيما الرأي الثالث الذي رجحه الأستاذ بوجود ملامح الزنوج في البقية الباقية (كذا)»، ثم قال: «ولست أحاول في هذا المقال كشف الغطاء عما تحقق من مثابرهم (كذا) ولا أن أندد بها وأستحث الناس على مقتها، فتلك أشياء أصبحت معلومة لدى الخاص والعام، ولكن أريد أن ألخص قصة جدهم الزنجي الدعي (كذا) الذي لا يعرف لهم الهاشميون نسباً ولا رحماً»، ثم أورد قصةً ملفقةً.

وأخيرا، فإني أسائل الأستاذ: هل يلام العلويون بعد كل هذا؟!

إلى عرب جاوا أيضاً(*)

بقلم الأستاذ الغيور الأديب
محمد علي إبراهيم لقمان
عدن: في ١ سبتمبر ١٩٣٢م

جناب محرر «**العرب**» الغراء حرسه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد؛ فإني تلقيت العدد (٤٥) من «**العرب**»الغراء، وقرأت بتدبر وإمعان تعليقكم المفيد على خطابي الموجه إلى إخواني العرب في جاوا، وعند ذلك تذكرت الحادث التاريخي الآتي:

لما هاجر سيدنا محمد ﷺ إلى المدينة المنورة حاول اليهود أن يجعلوه في جانبهم ليتغلبوا على المسيحية في جزيرة العرب، فلما شاهدوا ما عليه النبي من صدق العزيمة والثبات في الدعوة إلى الله، ولما رأوا سيدهم وابن سيدهم وحبرهم وعالمهم عبدالله بن سلام مال إلى الإسلام، أجمعوا أمرهم على أن يكيدوا لمحمد ﷺ وينكروا نبوته. ولم يكن بأسرع من أن اجتمع معهم من بقي على الشرك من الأوس والخزرج، وهنا بدأت حرب جدل بين النبي ﷺ واليهود، أشد من التي كانت بينه وبين قريش بمكة.

(*) «صحيفة العرب»، العدد (٥١)، سنغافورا، الجمعة ٢٢ جمادى الأولى ١٣٥١هـ.

فانثنوا يدسون الدسائس، ويسعون في الوقيعة بين المسلمين حتى أن شاس بن قيس مر على نفر من الأوس والخزرج في مجلًى خيم عليه الإخاء، فغاظه ما رأى، فأمر شابا من اليهود كان معهم أن ينتهز فرصة يذكر فيها يوم بعاث وما كان من ظفر الأوس فيه على الخزرج، وتكلم الغلام فذكر القوم ذلك اليوم، وقال بعضهم: إن شئتم عدنا إلى مثلها! وبلغ النبي ﷺ الأمر، فخرج إليهم مع أصحابه فذكرهم بما ألف الإسلام بين قلوبهم وجعلهم إخواناً متحابين، وما زال بهم حتى بكى القوم، وعانق بعضهم بعضاً، واستغفروا الله جميعاً.

وقد آن أن يقتدي بالأوس والخزرج: العلويون والإرشاديون!

إن عدو اليوم الذي يريد أن يوقع بين العلويين والإرشاديين لهو وربي أوسع حيلةً واشد خطراً من يهود يثرب، فإن أولئك القوم عجزوا عن الوقيعة بين المهاجرين والأنصار، أو بين الأوس والخزرج، لأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان ساهراً على أمته، محافظاً عليها من الوقوع في براثن الأعداء، وهكذا آخى بين المهاجرين والأنصار، وجعل الجزيرة العربية للعرب، لا يكون فيها غير دين الإسلام، كما عمل في العصور الأخيرة (منرو) الشهير حين وضع ذلك المبدأ الذي يتلخص في أن أمريكا للأمريكان!

فليتذكر العلويون والإرشاديون نعمة الله عليهم بدينه القويم ذي المحجة البيضاء والشريعة السمحاء، وليرجعوا عما هم فيه من مهاترة ومنازعة وخصام غير مبني على قواعد النقد البرئ، حتى يجد فيه الناس عبرة وذكرى، وإني لا أجد في هذه المشادة سوى الميل إلى السباب فقط بين أبناء وطن واحد ودين واحد ومصلحة واحدة ولغة واحدة، وهو ما ينافي المنطق والمعقول.

هب أيها الأخ النبيل أن الإرشاديين أساءوا إلى إخوانهم العلويين، ألا يجدر بالعلويين أن يتحملوا ويصبروا حلماً وكرماً، اقتداءً بالنبي الكريم ﷺ الذي صبر على قومه وعشيرته حتى عرفوا فضله وأمانته فسلموا له واتبعوه! إنه غير خليق بالعلويين أن يزيدوا الطين بلة

بمقاومتهم، وإني لعلى يقين أن الحق لا يحيق به المكر السيء، ولا حاجة إلى شتم بعضنا بعضاً أمام الخلائق، لأن ذلك لا يزيدنا شرفاً قطعاً، وأحسن الوسائل هو السكوت والدفاع بالحجة إذا لزم الحال.

وعلى الإرشاديين أن يفكروا في الأمر طويلاً، ليستنتجوا ما الذي جنوه من هذه المشاغبة وهذا النضال! فإذا كانوا يريدون تأييد مبدأ فما عليهم إلا الدفاع عنه بالحجة من دون سب أو هتك أعراض الناس، لأن رجل المبدأ القيوم لا يضطهد الناس، بل يقربهم إليه. وقد قال الله لنبيه الكريم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والآن نفكر في أسباب اتساع هذا الخرق بين الفريقين، لنرى هل له من مبرر أم أنه خبط عشواء..

* بلغ المنصور ذات مرة أن أحد الناس اكتنز أموالاً طائلةً لبني أمية، فدعاه وطالبه بتسليمها، فقال الرجل: أخبرني يا أمير المؤمنين! هل أنت وارث لبني أمية أو وصيهم؟ فقال المنصور: لا هذا ولا ذاك، ولكنها أموال المسلمين. فقال الرجل: لقد كان لبني أمية أموال خاصة بهم، فكيف تثبتون أن هذه الأموال التي تطالبونني بها هي أموال المسلمين؟ فلم يسع المنصور إلا إطلاق سراح الرجل، ولكن الرجل عاد فأخبر المنصور أن ليس لديه مال لأحد، ولكنه وجد أن الإنكار لا يجديه نفعاً كالحجة! وطلب من الخليفة أن يعرفه بالواشي، فظهر أنه خادمه، وكان قد سرق عليه نقوداً وفر، وظن أنه سيتخلص من الدين والجريمة بالوشاية بمولاه، فما كان من سيده إلا أن عفا عنه وزاده مالاً فوق ما أخذ.

ونحن إذا بحثنا بحثاً دقيقاً في التنافر الحاصل بين **عرب جاوا**، لا نجد مع أحد منهم حقاً، فلا دماء أريقت يطالبون بثأرها، ولا أموال نهبت يريدون استرجاعها، **وكل ما هنالك: أن الأيدي الأجنبية تدسُّ الدسائس، والمصطادون في الماء العكِر يعكِّرون صفوَ الوفاق لأغراضٍ شخصية ومطامعَ أشعبية**. وأحسن وسيلة للإخاء والصفاء: أن لا

يشجع أحد من أولئك القوم، وكل رجل يشتم أو يسب يجب أن يلجم بلجام من نـار، وأن لا يصغي إليه أحد. **أما السادة العلويون**: فإنكار طيب أرومتهم مكابرة، وكـرمُ النِّجـادِ بـادٍ على حركاتهم، والإرشاديون إخوانهم في الدين والوطن واللغة والمصلحة.

وإني أقول باختصار: إن كل ما هو واقع بينهم من الخصام ليس له من مبرر، وإذا كان الزعماء والصحافيون يحجمون عن نشر هذه المعايب، فإن الوفاق لابد أن يسود، وعلى الفريقين أن ينشروا بدل ذلك محاسن الإسلام ومجد الإسلام، وتعاليم الدين الحنيف، والنقد البريء الذي لا يقصد الناقد من ورائه الهدم، اقتداءً بعمر بن عبدالعزيز رحمه الله، إذ أبطل عادة سب الإمام علي كرم الله وجهه، وأحل محلها الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقد عرفتُ العلويين والإرشاديين، واتفقـت بكثـير مـنهم، وفـيهم بعـض أصـدقاء يحبوني كما أحبهم، وكلهم أهل فضل، مما يجعلني أعتقد أن الصحافة في جاوا إذا رفضـت أن تنشر السب فإن القوم يعودون إخواناً في الله كما كانوا، ولا أرى إلا أن قـد آن الأوان لتعـود المياه إلى مجاريها، والسيوف إلى قرابها.

ولكم تألمت لأن بعض الناس يسيئون إلى أمير البيان لأنه يقول ما يمليه عليه ضميره الحي ووجدانه، فليعلم إخواني عرب جاوا: أن كاتب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسـلان هو اليوم دعامة من دعائم الإسلام التي يرتكز عليها هذا الدين، وأن لهمتـه وفضـله يعـود الفضل في هذه الحركة النشطة التي نراهـا في الـيمن والحبشـة والحجـاز وأفريقيـا الشرـقية وجاوا، دع عنك ما أحدثه الأمير شكيب من انقلاب أدبي عظيم في طرابلس وبرقة وتونس والجزائر ومراكش، وما له من مكانة سامية في أميركا وسوريا والعراق ومصر، يقـدره كـل

من عرف فضله وجهاده في سبيل دين الله، يعمل ليلاً ونهاراً دائباً في خدمة الدين الإسلامي، حفظه الله وأطال بقاءه.

وأملي أن عرب جاوا سينصفون أنفسهم أولاً، وسينصفون غيرهم من إخوانهم المصلحين ثانياً، وسيعتقدون أن ما أقوم به الآن من الكتابة في هذا السبيل ليس هو سوى إخلاصي لأمتي، وأن المسلمين في نظري إخوان لا يجب أن تفرقهم الأغراض، ولا تباعد بينهم الأحقاد، وأرجوكم أن تسبلوا على عثراتي ثوب الستر، والله ولي التوفيق.

المخلص: محمد علي لقمان

مدير نادي الإصلاح العربي الإسلامي بعدن

* **العرب**: نشكر الأستاذ على عواطفه الرقيقة، وإخلاصه الجم لإخوانه عرب المهجر، ولنا تعليق على هذا المقال النفيس، نرجئه إلى عدد قابل.

(١) تَعلِيقٌ علَى مَقالٍ (*)

للأستاذ أحمد عمر بافقيه (محرر العرب)

نشرنا للأستاذ محمد علي إبراهيم لقمان في العدد (٥١) مقالاً افتتاحياً، هو بمثابة مناشدة عرب جاوة إلى توحيد الكلمة، وضم الصفوف، وتوجيه الجهود إلى الأغراض

(*) «صحيفة العرب»، السنة الثانية، العدد (٥٥)، سنقافورة، يوم الخميس، ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٥١هـ.

السامية، ونبذ الأجانب الدخلاء، الذين يدسّون الدسائس ويعكرون صفوَ الوفاق لأغراض شخصية، ومطامع أشعبية، كما جاء في (مقال الأستاذ).

وقد كنا نودّ أن نعقّب (مقال) الأستاذ بكلمة منا شكراً له، لقاء إخلاصه في نصيحته الثمينة، وتوضيحاً لنقاط أبهمت عليه يجب علينا رفع الستار عنها والكشف عن حقيقتها، لقد كنا نود أن نعقبه في العدد التالي للعدد الذي نُشِر فيه مقال الأستاذ لئلا يطول الفصل، ولكن اضطرتنا ظروفٌ ومناسبات إلى إرجاء التعليق إلى هذا العدد، وأهمها: حدوث طوارئ تستدعي الإسراع في الكتابة والخوض فيها، ورسائل للمراسلين طال العهد ببقائها بين أدراج المكتب، حتى لقد خِلناهم يخالجهم ريبٌ في نشرها وهي قمينة بالنشر، وكل ذلك مع صغر حجم الجريدة.

إن الإخلاص لشأنٌ عظيم، وتكاد مواعظ ونصائح المخلص تنفذ إلى القلوب المتحجرة، وهذا ما يقوم عليه برهاناً جديداً (مقالُ) الأستاذ محمد علي لقمان المشار إليه، فقد كان له في نفوس القراء وجوانحهم أثره الطيب الجميل ولقد شاهدت أشخاصاً متوغّلين في الحزبية لا يأتون على آخره حتى يحوقلوا ويسترجعوا، ثم ينعطفون إلى من كانوا سبباً في إشعال نار هذه الفتنة وإلهابها بنفوس حانقةٍ تكاد تميّز من الغيظ، فيتمتمون فيهم بما شعروا من نواياهم الخفية الخبيثة. ولكنهم كما جاء في المثل: (اكفُر ولا تغتلب).

لقد أصاب الأستاذ شاكلةَ الصواب ووقع على المحزِّ حينما قال: «... وكل ما هنالك: أن الأيدي الأجنبية تدس الدسائس، والمصطادون في الماء العكر يعكرون صفو الوفاق لأغراض شخصية ومطامع أشعبية، وأحسنُ وسيلة للإخاء والصفاء: أن لا يشجع أحد من أولئك القوم، وكل رجل يشتم أو يسب يجب أن يلجمَ بلجام من نار، وأن لا يصغي إليه أحد».

أجل! إن هذا أيها الغيور لكبِدُ الحقيقة التي لا مماراة فيها، وهو ما تمسك العلويون بالإيمان به بعد أن تلقّوا من التجارب خير درس، بعد أن لمسوا بأيديهم نوايا الدخلاء التي من أجلها وفدوا إلى هذه البلاد، والتي من أهمها: تفريق كلمة العرب ليعودَ ذلك عليهم بالأرباح الشخصية، وإن أدى إلى ضررِ الحضارم وتدهورهم، مما سبق لنا الإلمام به تفصيلاً في مقالات عديدة، غير أن الأمر كما قال الشاعر:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ... ولكن لا حياةَ لمن تنادي
ونارٌ لو نفختَ بها أضاءتْ ... ولكن ضاع نفخُكَ في الرمادِ

مراراً وتكراراً بيّنَّا أن الدخلاء لا يطيب لهم العيش بسوى الفتنة، وأنهم أصل البلاء والشقاق، وليس أنجع لعود الوئام محلَّ الخصام، والوحدةِ محلَّ الفُرقة من عدم تعضيدهم ونبذهم نبذ النواة. ولكن ماذا كانت النتيجة؟

احتضن الإرشاديون كلَّ قادم مرتزِق أجنبي وأحلّوهم المحلَّ الأرفع بينهم، وأغروهم بنبز أعراض أحياء العلويين ونبش قبور أمواتهم، حتى وصل ببعضهم أخيراً أن يضع جائزة أعلن عنها في (جريدته) وهي اشتراك فيها مدة سنة، لمن يكتب أحسن مقال - كما يقول - في النّيل من مقام سيدنا الفقيه المقدم جدِّ طائفةٍ كبيرة من العلويين، مضت عليه سنون، وقد قدم على كنف الله ورحمته بما قدم إن خيراً أو شراً.

وأن يقول في كتاب «**المشرع الروي**»: إنه أقذر كتاب على وجه البسيطة! وهو مؤلَّف شهير مطبوع، متداول منذ وقت طويل، في تراجم بعض صلحاء العلويين، ذكره العلامة الشيخ الزركلي في كتاب «الأعلام»، وترجم للمترجم لهم فيه، ولا أخال أمير البيان وكاتب الدنيا عطوفة الأمير شكيب أرسلان لا يعنيه بقوله في (الشورى) التي كانت تصدر بمصر: «.... وإني لأتذكر لي مجلساً مع العلامة الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري قدس الله روحه كنا

نقرأ فيه كتاب تراجِم وما تمر بنا صفحة إلا وفيها ترجمة عالم حضرمي يقول عنه: ولد بتريم، فما زال المؤلف يقول ولد بتريم حتى قلت للشيخ طاهر: يا أستاذ دعني أؤلف كتاباً أسميه «**الحجر الكريم فيمن ولد بتريم**». وذلك لأن «المشرع» هو الكتاب الذي جلُّ تراجمه على هذا النمط: «ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم». ذكرنا هذين المثالين فقط ـ وهناك شيء كثير تمجه الطباع ـ لا لأنهما أشنع من سواهما بل لكونهما أقرب من غيرهما فقد صدرا في هذا الاسبوع. انتهكت أعراض أَحيائنا وسب أمواتنا وآباؤنا فأنصفونا يا رعاكم الله! أبعد ذلك أيضاً صبر يدخل تحت المقدرة البشرية؟!

أما العلويون فلتفطنهم إلى ما تنبهتَ له أيها الغيور من أن الدخلاء الأجانب هم الذين يعكرون صفو الوفاق، ويصطادون في الماء العكر، وبعد أن أعطتهم التجارب خير درس، فقد تحذّروا من كل أجنبي يقدم للتعيّش من وراء الفتنة، ولكن (حزب الإرشاد) بضد العلويين، صار يجمع إليه الدخلاء المرتزقين ويمدهم بالمال، ويؤيدهم، وهذا ما جعلهم يوجّهون جهودَهم إلى ثلب العلويين والتعدي على كراماتهم، بما تمجه الطباع السليمة، وتأباه المروءة الإنسانية، ولسان حالهم يقول: «ما دامت تدرّ لنا هذه الأحبولة أموالاً من الحضرمي المخدوعِ فلنعشْ منها عيشة راضية، ولنوقد أتون الفتنة بينهم، ودعهم في أنفسهم يتطاحنون، فما علينا من جريرتها ضرر».

فأنت ترى أيها الأخ أن هذه الحكمة التي تذرع بها العلويون إزاء الأجانب والتي تحثّ الحضارم على الأخذ بها، هي نفسها قد عرضت أحياءهم وأمواتهم للثلب والسبّ والشتم، فلتنصفنا يا رعاك الله! ولسنا الأمة الوحيدة التي نالتها الأضرار من أيدي الأجانب الدخلاء، فإن شأن الدخلاء الأجانب الذين لا ضمير لهم أينما حلوا شأنُ من بلينا بهم منهم، ولا أحسب أحدنا يجهل تلك الحملة الشعواء التي أثارتها الصحف الوطنية بمِصر- على صحف الأجانب المسترزقين مذ أمد قريب، وذلك لما ظهر لها من أن هذه الصحف التي

تديرها أيدٍ أجنبية عن مصر لا غرضٌ لها سامٍ ولا مبدأ، بل هدفها الوحيد هو استدرار المال بكل السبل والوسائل. وهنا أقف بالبحث على أن أعود إليه في العدد القادم.

(٢) تَعلِيقٌ على مَقالِ الأستاذ محمّد عَلي لُقْمان (*)

عندما بدأت بالتعليق على مقال الأستاذ محمد علي لقمان في العدد الفائت، كنت أوقن ألا يتجاوز ذلك العدد، ولكن لعِظَم ما نحسُّ به من آثار التعدي وانتهاك الأعراض، وهول ما نلقى من الدخلاء ومن معاضديهم، وشدة ما نشعر من نتائج الفرقة والخصام بين أهلِ وطن واحد وملة واحدة، في وقت نحن أحوج الناس فيه إلى الاتحاد وضمِّ الصفوف.

لكل ذلك استرسل القلم في البث والحزن والتوضيح كشفاً للقناع عن موقفنا نحن العلويين تجاه ما يثار ضدنا، لا خوفاً ولا لعدم احتمال وصبر، إذ لا صبر ولا احتمال فوق ما صبرنا واحتملنا عشرين عاماً لم تكف فيها أسنة الأقلام عن الطعن والتجريح في أحيائنا وأمواتنا حتى في عهود الصلح حينما يسعى الساعون فيه.

فقد لا يجهل الأخ أنه في حين أن كانت المفاوضات جارية لإتمام الصلح، وقلوبُ العلويين مستبشرةٌ بقرب حلول عهد الوئام والاتحاد مع إخوانهم، الذين وإن كان منهم ما كان، فهم مادُّون إليهم أيديهم للتصافح والتصافي وتناسي ما سبق منهم، أنه في حين ما ذكرنا، كانت أقلام كتّاب جريدة الإرشاديين (**الهدى**) تسطّر مقالاتٍ يستعيذ المرء من شرورها، مما يلهب الفتنة ويثيرها ويعيدها جذَعةً أفظع مما كانت. ولا إخال الأستاذ ينسى أن قد أصيب برشاشٍ منها، فاضطر أحدُ أصدقائه أن ينشر رداً وتكذيباً في (**حضرموت**)، وأن يرسل الأستاذ نفسه بالتفنيد إلى جريدتنا. فلتمعن النظر أيها الأخ المنصف! كيف وصل

(*) «**صحيفة العرب**»، السنة الثانية، العدد ٥٦، سنقافورة، يوم الخميس، ٢٧ جمادى الآخرة، ١٣٥١هـ.

بهم التعدي إليكَ وأنت البعيد عن هذه الفتنة لا اتصال لك بها، وإن هي إلا روابط صداقةٍ بينك وبين المرحوم العلامة السيد محمد بن عقيل ذي الشهرة العالمية، والذي أشاد بفضله رجالات هذا العصر، وخاصة أمير البيان عُطُوفة الأمير شكيب أرسلان في مناسبات شتى.

وإني لأذكر آخرَ شهادةٍ من الأمير في المرحوم، قالها في صحيفة (**الفتح**) الغراء، في افتتاحيةٍ تحت عنوان: «**واحُرقَتاه على سيف الإسلام**»، فقد قال فيها: «... وقد جاء مصابُه (المرحوم سيف الإسلام نجل جلالة الإمام يحيى) بعد مصاب السيدِ محمد بن عقيل بن يحيى، رحم الله الإثنين، فكان كل منهما بنيانَ قوم تهدم، وفقدت بهما العربية السعيدة فرقدين نيرين». إن هي إلا تلك الروابط بينك وبينَ المرحوم العلامة، أدت بهم إلى أن ينالوك أيها الأخ بما لا تحب ولا نحب، كان هذا حظك منهم أيها الأخ لمجرد روابط صداقتك بالمرحوم السيد محمد بن عقيل، أما هو نفسه فقد رموه بانعدام الدين منه، وبالرفض، وعدم المبدأ، وبكل عضيهة.

وفي مُكنةِ الأخ أن يرجع إلى أعداد (جريدتهم) فيقرأ ما قلتُ بصريح العبارة، وإني أقتصر هنا على نقلِ فقرات من مقال في العدد (٣٤) من جريدة (**الهدى**) على سبيل ضرب المثال جاء فيه: «... وإن كان هذا هو المعروف الشائع، كان ابن عقيل مسلماً ونصرانياً ويهودياً ووثنياً وملحداً في وقت واحد»، «رجل مثل ابن عقيل يمكنه أن يبيع دينه ووطنه وأهله وزوجته في سبيل مصلحته! ولا يستبعد أن يرتكب كل محرم في سبيل أطماعه! فهو الذي يدس الدسائس وينصب المكائد، حتى تدخل البلاد الإسلامية المقدسة تحت حكم الأجنبي».

فما هو رأي الأخ في هذا؟ بعد مقارنته بما قال أجلة وجهابذة الإسلام والشرق في شأن الإشادة بفضله وعلمه ودينه، ومقارنته بما عرفتَ فيه طيلة إقامته بعدن، أيامَ كان بيته ندوة العلماء والأدباء؟ أظنك سيتملكك شعورٌ باشمئزازٍ لقراءة تلك الفقرات، وكأني بك

وقد استولى على عواطفك ووجدانك الغضب، لانتهاك حرمات السيد المرحوم وعرضه المصون، غيرة دينية عُرفتَ واتصفتَ بها!

فتصور مبلغَ أثر ذلك على نفوس السادة العلويين، الذين هم وإياه أغصانُ دوحةٍ، وفرع شجرةٍ، تجمعهم به وشائج القرابة والرحم! ألا تراهم أخي محقِّين إذا تألموا لاعتبارين: اعتبار الدين، واعتبار الرحم والقرابة؟! وليتفطن الأخُ إلى أن قد كان يجري كل هذا في عهد مساعي الصلح، في حين قد كفت صحفُ العلويين عن خطِّ كلمة ـ بلْهَ مقالةٍ ـ تشتم منها ريحُ الحزبية رغبةً في الصلح، وحباً بالاتحاد والتقارب.

(٣) تَعْليقٌ على مَقالِ الأستاذ محمدِ علي لُقْمان (*)

استغنينا في (العدد الفائت) بمقال الأستاذ السيد أحمد الجفري الذي نشر تحت عنوان «إلى الله وحده المشتكى»، عن مواصلة التعليق على مقال الأستاذ الفاضل محمد علي إبراهيم لقمان، وذلك أنا رأيناه بحثاً ألمّ بجانبٍ مما كنا مزمعين على طرْقِه والخوض فيه، كأنما كشف لحضرته عن السرائر فعلم ما نُكِن! فقام عنا ببعض من الواجبات.

وحبذا لو يشعر كل علوي بشعور هذا الأخ فيشارك غيره من المتصدين جهودهم، فالقضية هي قضية الكل، وليست إثارة الرأي العام بإظهار الحقائق التي قد تخفيها اختلاقات وتمويهات الدخلاء المرتزقين وكتّاب (الإرشاد) هي وقفاً على أحدٍ دون أحد، وما يعلم هذا قد يخفى على ذاك وبالعكس، فإذا تضافرت الجهود برزت الحقائق أجلى وأوضح.

(*) «صحيفة العرب»، العدد (٥٨)، سنقافورة، الخميس ١١ رجب سنة ١٣٥١هـ.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده: قال الأستاذ محمد علي: «هَبْ أيها الأخ النبيل أن الارشاديين أساؤوا إلى إخوانهم العلويين، ألا يجدر بالعلويين أن يتحملوا ويصبروا حلماً وكرماً، اقتداء بالنبي الكريم الذي صبر على قومه وعشيرته، حتى عرفوا فضله وأمانته فسلّموا له واتبعوه، إنه غير خليق بالعلويين أن يزيدوا الطين بلةً بمقاومتهم، وإني لعلى يقين أن الحقَّ لا يحيق به المكر السيء، ولا حاجةَ إلى شتم بعضنا بعضاً أمام الخلائق، لأن ذلك لا يزيدنا شرفاً قطعاً، وأحسن الوسائل هو السكوت والدفاع بالحجة إذا لزم الحال».

لا أرى إزاء هذه الجملة القيمة خيراً من أقول: إن ما تضمنته ـ مع كونه يكاد يكون من أوصاف عباد الله الصالحين الذين يعملون بقول المسيح: (إذا ضربك أحدٌ في خدّك اليمنى فأدرْ له خدّك اليسرى) ـ هو ما عمِل به العلويون، وتمسكوا بأهدابه، وهو موقفهم تجاه مناوئيهم منذ ظهور قرن هذه الفتنة التي أثار عَجاجها المتصيدون ممن مرَّ ذكرهم. فالعلويون منذ بداية الفتنة وهم متذرعون بالصبر والحلم، ولمناوئيهم (حزب الإرشاد) كلَّ يوم حملات جديدة عليهم، سُداها السفاهةُ والسباب، ولُحمتها الاختلافات والأكاذيب، فيوماً ينكرون نسبَهم، ويوماً يقولون إنهم أبناء يهود، ويوماً أنهم من الزنج. ويتناولون مقام الإمام علي كرم الله وجهه و... و...، لا يدرون بماذا يغيظون العلويين، إذ غرضُهم الأهمُّ هو إغاظتُهم، ليدفَعوا بهم إلى النزول إلى ميدانهم، ميدانِ السباب والسفاهة، فيتلوّثوا بقاذورات حمأتها. وما قرَّبَ الملحد الهندي إليهم ـ كما علم الكل ـ سوى كتابتُه في «**السياسة الأسبوعية**» كتابةً خبّط فيها، ونال من سامي نسب السادة العلويين.

ويؤيد ما قلناه ـ من كون غرضهم هو الإغاظة وإثارة الحفيظة ـ أنهم لا يقفون عند قول، فإذا رأوا رميهم للعلويين باليهودية قد سمُج ولم يعد يكون له أثره الذي يريدون في نفوسهم، اختلقوا فرية أخرى فقالوا: إنهم زنوج، وكتبوا مقالات يكرّرون بها تلك الفرية، حتى إذا ما رأوها سمُجَت أيضاً استنبطوا غيرها وهكذا، ومعلوم منطقياً أن تعدد القولِ في أمرٍ دليلُ إضرابه، واضطرابه برهانٌ على فساده. فيعلم مما ذكرنا غايةَ هدفهم وهي إغاظةُ

العلويين، وإثارةٌ حفائظهم، حسداً من عند أنفسهم، فهم كل يوم يتخذون أسلوباً جديداً لذلك ولو أدّى بهم ـ والعياذ بالله ـ إلى مضادّة الدين كلياً، إذ هو عندهم ثانوي، كما كان منهم في مناصرتهم للملحِد الهندي.

ولكن أترى العلويين قابلوهم بمثل ما عوملوا به منهم؟ كلا ! فإنهم لم يزيدوا إزاء كل تهجماتهم واختلاقاتهم على السكوت عند سفاهاتهم، والدفاع بالحجة إذا لزم الحال، فلم يعدُوا ما تشير إليه أيها الأستاذ الغيور بقولك: «وأحسن الوسائل هو السكوت والدفاع بالحجة إذا لزم الحال». وإني لأعتقد أنه إن كانت قد انطلت التمويهات على بعض من لم يطلعوا على الحقائق ناصعة، فإنما ذلك لمجاوزة العلويين في السكوت حدّه، وغير خافٍ على الأستاذ أنّ السكوت على بعض الأمور غيرُ مستحسن، بل مستقبح، وخاصة إذا كان لها مساس بالدين كمسألتنا.

فإن ذلك الحزب المناوئَ للعلويين ليس مقصوراً أمرُه على مقاومة العلويين، فقد انفتح بظهوره بابٌ جديد للفتنة في الدين، فإنّ مبدأَ شيخهم الأساسي تلقينهم كلمة (الاجتهاد المطلق)، واجتهادُهم المطلق هو الذي جرَّ وما يزال يجرُّ الويلاتِ على الدين. فقد نشأوا منذ الصِّبا بمفعول تلقينِ شيخهم يدّعون الاجتهادَ، وهو الذي يحذَر منه فطاحلُ العلماء فضلاً عن عامةٍ جهلاءَ، كأمثال تلاميذ الشيخ ومريديه، الذين قد يكون تسنّى للأخ التعرُّف بهم جيداً، فهل رأى فيهم بعض مؤهلات الاجتهاد، بلْهَ جُلَّه أو كله؟! ليتهم كان فيهم نوع استعداد للاجتهاد فنقول: هناك وجهٌ للإغضاء عنهم، ولكنهم ـ كما قد يعلم الأستاذ وكلُّ متحككٍ بهم ـ لا يحسِن أحدُهم الكتابة أو يفهم العربية العالية، حتى دفع بهم الأمر إلى استئجار الدخلاء لتحرير جرائدهم، ومع ذلك يدعون الاجتهاد، كأنما هو لعبة يتلهَّونَ بها. ويكفي لتصويرِ جهالتهم أن نقول: إن أساتذتهم حاملي لواء الاجتهاد يجهلون المسائل الضرورية من الدين، فالسوركتي أستاذهم الأكبر كتَب في مجلته (الذخيرة) يقول بالحرف: «وهكذا تطلق كلمة (إله) على جميع صفات الألوهة، كما أنه اسم جنس للمعبود»،

وكتب الملحدُ الهندي في (وُرَيقته) يقول: بعدَم جواز الرق في الإسلام، وهذا بعد إلحاده المعلوم في (السياسة). فإذا كانَ ملقّنوهم بهذه الهوّة السحيقة من الجهل بالإسلام، فما رأيك في أتباعهم؟!

مما مر بالأستاذ في هذه الحلقة من (سلسلة التعليق) وما قبلها، يُعلم أن دفاع العلويين لا يعدو أن يكونَ دفاعاً عن دينٍ أو عن تمويهاتٍ واختلاقاتٍ يجب كشف القناع عن الحقيقة فيها، وقد أعرضوا كشحاً عن السّفاهات التي هم ليسوا معدنها، وكلٌّ اناء بالذي فيه ينضح.

فأما الدفاع عن الدين: فلا يخرج عن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل مسلم مطالب دينياً بذلك. وقد قال منقذنا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ما لفظه أو معناه: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان»، وأي منكر أعظم مما يرتكبه أولئك كل يوم بدعوى الاجتهاد؟!

وأما الدفاع ضد التمويهات والاختلاقات التي قد تنطلي على البعض: فهو لَو فرضْنا عدم اندراجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ مع أنا نعتقد اندراجه فيه ـ فهو دفاع مشروع عمل به النبي ﷺ حين شجّع حسّان شاعره ﷺ في مناوأة الشعراء الذين كانوا يهجون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في زمنه، فقد عد صلى الله عليه وآله وسلم من حُسن شعره جهاداً، كما أنه أشار بقتلِ كعب بن الأشرفِ وظهيرِه رافعِ بن أبي الحقيق، فانتدب لهما رجال فقتلوهما.

ومع أن العلويين محقّون في دفاعهم ـ كما يعلم مما سبق ـ فهم مادُّون أيديهم للتصافي والتصافح مع كل تساهل، رغبةً في الوئام والاتحاد، ولا أدلَّ على ذلك من الأمرين الآتيين الذين أقتصر عليهما على سبيل المثال، مجانبة للتطويل الذي قد ينتج عنه ملـلُ للقارىء الكريم:

عندما أوشكت مساعي الصلحِ الأخيرة أن تكلَّل بالنجاح، كانت جريدة (الهدى) تدحرج الجنادِل التي ليس من شأنها سوى توسيع شُقّة الخلاف، وبازاء هذا وبالرغم عنه أغضت صحف العلويين عن كل ذلك، فكنت ترى صفحاتها كلها مشغولة بالمفيد من الأخبار والمقالات القيمة في الردود على نحل القاديانية وغيرها وعلى الملاحدة وما كنت تقع على كلمة تشم منها الدفاع، فهل كان ذلك إلا حبّاً للاتحاد والتصافي؟!

ثم ها هي صحف العلويين لا تعدم فيها دعوة إلى الاتحاد والوفاق منشورة على أظهر صفحاتها، فتلك صحيفة (حضرموت) مثلاً كتبت بقلم تحريرها في حين مساعي الصلح تنعي فيه عهد الشحناء وتدعو فيه إلى الصلح، وهذه صحيفتنا ليس تعليقنا هذا فيها إلا على مقال الأستاذ الذي هو دعوة بحتة إلى الاتحاد، وقبله قد نشرنا للأستاذ مقالاً، في الموضع نفسه دليلاً وبرهاناً على أننا أرغب الناس في الاتحاد والوئام، ولكن هل يرضى بهذا مسيّرو دَفّة حزب الإرشاد (الدخلاء) وهم لا عيشَ لهم بسوى دوام الخلاف؟!

إلى هنا نكتفي في التعليق، مع الإشعار بأننا لم نفِ بكل ما يجب وإنما أوردْنا فيه أمثلةً فقط، وأما الإتيان على كلّ ما يلزم فهو يتطلب وقتاً طويلاً وأعداداً كثيرةً، والمقالات التي نشرت على صفحات (حضرموت) و(العرب) سابقاً فيها غنية.

تعليق على تعليق(*)

بقلم الأستاذ محمد علي لقمان

وصلني العدد (٥٦) من العرب الغراء، فقرأته وبي من الهيام ما بي، وإني لا يسعني إلا أن اشكركم على اعتنائكم بهذا الموضوع، رغم أني أرغب أن تضربوا صفحاً عن الماضي،

(*) «صحيفة العرب»، العدد (٦٢)، الخميس ١٠ شعبان ١٣٥١هـ.

وأن تستقبلوا عصراً جديداً في حلة قشيبة، وكونوا على ثقة أن كل مسلم صاحب وجدان وشعور حساس يتألم جداً عند قراءة تلك المهاترة والشتائم والتنابز بالألقاب بين قوم قبلتهم واحدة وقرآنهم واحد.

ولقد تحتم على كل مسلم يرى الخطر محدقاً بأمته أن يرفع صوته عالياً داعياً إلى ضم الصفوف وترك الأحقاد:

سَاورتني على بلادي همومٌ ... أصبحتْ لوعةً فزاد الهيامُ
نبصر الكيدَ من عدانا ونبقى ... في جُمودٍ كأننا أصْنامُ
خبرينا يا نائبات الليالي ... كيف كنا وكانت الأيامُ؟

كانت العُرْبُ في الخيام مُلوكاً ... أتكونون في القصُورِ عَبيدا؟
كانت العُرْبُ أرحبَ الناسِ صَدراً ... ولدَى الضيم أصلبَ الناسِ عودَا

ولايسع العربي الحزين إلا أن يقول:

مَن لي بردِّ جماحٍ من غِوَايتها ... كما يُرَدُّ جماحُ الخيلِ باللجمِ

وإني أشكر العرب الغراء على سيرها سيرةَ الاعتدال، وأتمنى لها الفوز والنجاح. وأما ماقيل عني في (جريدة الهدى) فأنتم تعلمون يا سيدي أن كل من اقترب من صخور الشاطئ عند هياج الأنواء لا بد أن يصيبه الرشاش. وأما ما كتبه الناس عن العلامة الجليل السيد محمد بن عقيل فذلك كما قال الشاعر:

إذا متَّ كان الناسُ صنفان: شامتٌ ... وآخرُ مثنٍ بالذي كنتَ فاعلُ

ولابد أن تبرهن الأيام على موقف المرحوم ونواياه، والتاريخ لا يبخس الناس أشياءهم، وعلينا الآن أن نبحث في أمور أهم من كل هذه الحوادث التي تثير الذكريات

المؤلمة المثيرة للأشجان والأحزان، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. واسلكوا سبل الرشاد، وانهجوا نهج سلفكم الصالح، واصبروا على المكاره، ولتكن أعمالكم الدليل القاطع على طيب أرومتكم وكرم نجاركم. وأما الإرشاديون: فإنهم إخوانكم في الدين واللغة والوطن والمصلحة، فاصبروا عليهم، واضربوا لهم مثلاً بالصبر والاعتدال واتباع الحق، وإن الله تعالى يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

* والآن اسمحوا لي أن أقص عليكم حادثةً تاريخيةً، علكم جميعاً تجدون فيها عبرة وذكرى: ذكرت بعض المعاجم: أن **براق بن عمار** القائد الأندلسي ـ عدو الله الخائن ـ ذهب إلى روما وقابل **الأذفونش** (رئيس الفاتيكان)، وكان معهما (دوق فينيزيا)، فقال لـ**براق**: إن البابا قد استدعى جميع المفكرين في أوربا ليشاروهم في الطرق الناجعة لا سترجاع الأندلس من أيدي العرب، فقال **براق** ـ خائن قومه ووطنه: إن الأسد لا يصطاد في عرينه إلا بالمكر والخديعة، وقد يستعين الصيادون بالخمر للقبض على ليث العرين، ولا يفل الحديد إلا الحديد، ثم ذكر أخلاق العرب وكرمهم، وشدة تمسكهم بالدين.

وقال للبابا: إن العرب يخدعون بسهولة، وتستهويهم الظواهر الخداعة، فاجعلوا بينكم وبينهم معاهدة على:

١) **حرية الدين.**

٢) **حرية التعليم.**

٣) **حرية التجارة.**

ـ فإن لم يتبعوا **دينكم** فهم على الأقل يهملون دينهم، فيفقدون حمية الإسلام التي تحبب إليهم الجهاد والذود عن الأوطان والأعراض.

ـ وأما **حرية التعليم**: فإنها ستولد لهم غلماناً شؤماً عليهم، يكرهون الأوطان والآباء والأجداد، ويلتصقون بمعلميهم.

ـ **وأما حرية التجارة**: فإنها ستجعلهم يهجرون أزياءهم الإسلامية، وقيافتهم العربية، وثقافتهم الشرقية، فضلاً عن تجارة الخمر، فمتى شاعت بينهم أقدموا على المنكرات، وفقدوا النخوة والشرف، وضعفت عقولهم وأجسامهم. ومتى ارتبكت أحوالهم، فإنهم يكونون لكم لقمة سائغة، تستبيحون دماءهم وأموالهم، ولا تنس أن البذخ والإسراف في الشهوات، والإهمال لسيرة الآباء والأجداد هي من أقوى أسباب انحطاط الممالك القوية، وتفكك عرى الروابط القومية.

وقد قبل ملوك العرب في الأندلس تلك المعاهدة، رغم نصح الناصحين، فباءوا بالخسران، لأن القسيسين انتشروا في البلاد انتشار النار في الهشيم، وأخذوا يبثون سمومهم حتى أنهم شيدوا ضيعة جميلة على ضفة نهر قرطبة وسط البساتين الغناء، والحدائق الزاهرة، فكانت منتزهاً جميلاً للعظماء والأمراء والشبان أيام الآحاد، حيث ترى ضروب الخلاعة. وأقام (**دوق فينيزيا**) على حسابه الخاص أربع مدارس تبشيرية، فأقبل العرب عليها إقبال الأرض على أوائل القطر، وامتزجوا بالرهبان امتزاج الماء بالراح، وأخذوا عنهم لغاتهم وعوائدهم وأخلاقهم، خصوصاً لأن أحد النواب المعروف بذي النون الفاقري أطلق لدعاة النصرانية الحرية، يعيثون في الأرض الفساد، فأخذ الناس يشربون الخمر ويهجرون المساجد، حتى أن أحدهم اشترى عنباً من قرطبة ولم يبق شيئاً من حاصل السنة كاملها.

وكان أحد الرهبان المثريين، وعصره جميعه خمراً، وأقسم أن لا يسقيه إلا للمتعلمين من أبناء العرب في مدارس المبشرين، فخرج شبان قحطان وأحفاد عدنان وشربوها جهاراً في ضواحي قرطبة، وخلعوا رداء الحياء والحشمة، وحقروا عوائد الآباء، ولبسوا الحرير، ونبذوا الصوف والشعر، وأخذوا يذهبون إلى العاهرات في حانات النزلاء الدخلاء،

ويتهالكون في عشقهن، حتى أن المعتصم بن صمادح عشق فتاة رومية واغتصبها من أبيها، فاستجار أبوها بجندل بن حمود، وكانت بينهما حرب شعواء، أبادت الزرع وأهلكت الضرع، واستنجد جندل بدوق فينيزيا على أخيه العربي ابن صمادح، وأقيمت لهم الولائم على مرأى من بقية ملوك عرب الأندلس، وهم ينظرون فلا يبدون ولا يعيدون!

وعاد دوق فينيزيا إلى البابا بالبشرى، وقال له: لقد آن أوان الانقضاض على العرب بعد هذا التفرق، وكان عدد المبشرين في الأندلس (ألفاً)، والمعلمين (٤٨٥)، وقد صرف البابا نصف مليون من الذهب الوهاج لترويج الخمر فقط بين أبناء يعرب، وهكذا.. جاءت جيوش النصرانية فاحتلت بلنسية، ونهبت المدينة، وفضحت الأبكار أمام آبائهن، والسيدات المصونات أمام أزواجهن الذين غادروا البلاد تاركين المال والبنين خشية القتل بعد أن قتل من العرب ١٢ ألفاً لدفاعهم عن أعراضهم فقط، و٣٠ ألفاً لامتناعهم عن اعتناق النصرانية، وأحرقت المعاهد الدينية، وحولت المساجد إلى كنائس، وجلس ابن الأذفوش على تخت الأندلس، فأحرق ٨٠٠ ألف مجلد من كتب المسلمين، وقتل ٤٠٠ عربي قرباناً للمسيح:

أعندكُم نبأٌ من أهلِ أندلسِ ... فقد سَرى بحَديثِ القَومِ ركبَانُ
كم يستَغيثُ بنو المستضعَفينَ وهُم ... أسرَى وقتلى فما يهتزّ إنْسَانُ
بالأمسِ كَانوا ملُوكاً في منازلهم ... واليومَ هم في بلاد الكُفر عُبدانُ
ولو رأيتَ بكاهم عند بَيعِهم ... لهالَكَ الأمرُ واستهوَتك أحزانُ

فياعرب جاوة، كفوا عن التفرق، ويكفي ما بنا، والسلام.

المخلص الحزين: محمد علي إبراهيم لقمان
مدير نادي الإصلاح العربي الإسلامي بعدن

وفيات وتعازي

هذه بعض التعازي التي نشرت على صفحات «**صحيفة العرب**»، مما يدل على تتبعها كل صغيرة وكبيرة في الوطن العربي، واهتمام القراء بمراسلتها بكل جديد مفيد، وسأقتصر على ذكر نماذج من هذه التعازي، بعضها لشخصيات من حضرموت، والبعض الآخر لشخصيات من مصر، وأترك الباقي إلى فرصة أخرى، عند مزيد من الدراسة والتحليل لمواد ومواضيع صحيفة العرب، الجديرة بالاهتمام.

(١) وفيات تريمية

وفاة عظماء:

نشر في العدد (٥) الصادر بتاريخ ١٧ جمادى الثانية ١٣٥٠هـ، الموافق: ٢٩ أكتوبر ١٩٣١م (ص ٦)، تحت هذا العنوان ما نصه:

«**تريم** ـ وافت المنية يوم ٧ جمادى الأولى الفقيه العلامة الشيخ **محمد بن أحمد الخطيب**، وقد كان عالما ذا سيرة حسنة، وأخلاق فاضلة، وقد لحد رحمه الله صباح يوم الإثنين ٨ جمادى الأولى، هو والشيخ الصالح **فضل بن عبدالرحمن بافضل** في آن واحد.

وكذلك قد أدركت المنية السيد الصالح **محمد بن عبدالرحمن الحداد**، فرحمهم الله رحمة واسعة، وأسكنهم فسيح جنته، وألهم ذويهم وآلهم الصبر والسلوان».

مرض ناظر رباط تريم ووفاته:

ونشر في العدد (٢٠) الصادر بتاريخ ١١ شوال ١٣٥٠هـ، موافق: ١٩ فبراير ١٩٣٢م، (ص ٦) الخبر التالي: «السيد الجليل **عمر بن أحمد الشاطري** طريح الفراش لإصابته بمرض الفالج، وقد تسلم أعماله العظيمة في هذه المدة، السيد عيسى بن عبدالقادر الحداد، فنرجو الله أن يلطف به ويعجل له بالشفاء الكامل».

وفي العدد الذي يليه (٢١) (ص ٣)، نشر خبر نعيه تحت عنوان (إلى الرحمة والرضوان) ونص الخبر: «في العدد الفائت نشرنا رسالة من حضرموت جاء فيها ذكر مرض السيد الجليل المرحوم **عمر بن أحمد الشاطري**، وما كاد العدد يذيع بين القراء يوم الجمعة، حتى نعت البرقية خبر وفاته إلى السادة الأفاضل آل الحداد، فحزن لوفاة هذا الفاضل عارفو فضله وخدماته الجليلة للإنسانية والعلم والعلماء. فقد كان ناظراً على رباط تريم، موئل طلاب العلوم من البلدان النائية والأنحاء المختلفة، وكم لاقى في سبيل ترقيته وخدمته من المشاق العظيمة، فما ونى حتى وافاه الأجل المحتوم.

ومما يسطَّر له رحمه الله بالفخر: أن نجله العلامة المرشد إلى الله **أستاذنا** السيد عبدالله ابن عمر الشاطري قضى جل أدوار حياته كأبيه في خدمة الرباط وتعليم نشئه وطلابه الواردين إليه من أقاصي البلدان ودانيها، وما يزال إلى اليوم يقضي أنفس أوقاته وحياته في خدمتهم.

ولئن قال الناس: مات السيد عمر الشاطري، فإني أقول: ما مات من خلف مثل العلامة السيد عبدالله، أسأل الله أن يتغمد الراحل برحمته، ويسكنه فسيح جناته، وألهم نجله **أستاذنا** السيد عبدالله وذويه وآله الصبر والسلوان».

(٢) نعي شاعرين

فقيد الأدب والشعر، حافظ إبراهيم:

جاء في العدد (٤٥) من «صحيفة العرب» الصادر بتاريخ ٩ ربيع الثاني ١٣٥٠هـ، موافق ١٢ أغسطس ١٩٣٢م، تحت العنوان المسطور ما نصه: «حملت إلينا صحف مصر، والجريدة جاهزة للطبع، نبأ يفجع له كل أديب ومشتغل بفن الشعر، ألا وهو وفاة ثاني ثلاثة من شعراء العربية في العصر الحاضر، حافظ إبراهيم، فقد انتقل إلى رحمة باريه ليلة الخميس ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٥١هـ ـ ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٢م.

والراحل غني عن التعريف، فقد عرفه القراء بآثاره الشعرية والأدبية، وهو أحد الذين جمعوا بين السيف والقلم، فقد انتظم في الجيش المصري، ثم اتصل بالشيخ محمد عبده، وعلت منزلته في عالم الشعر والأدب، وأخرج ديوانه الذي لا يخلو منه بيت مشتغل بالأدب، ولعل من آثاره الخالدة ترجمته لرواية (البؤساء)، لأديب فرنسا الكبير فيكتور هيجو. فرحم الله الفقيد رحمةً واسعةً، وألهم آله وذويه وعشاق مآثره الأدبية الصبر والسلوان».

شوقي بك:

وفي العدد (٥٨) الصادر بتاريخ ١١ رجب ١٣٥١هـ، موافق ١٠ نوفمبر ١٩٣٢م، (ص ٤) جاء نعي أمير الشعراء، فكتب الأستاذ بافقيه تحت العنوان السابق، ما نصه: «ما كاد جرح القلب حزناً على شاعر العربية الكبير حافظ إبراهيم يندمل، وما كاد سهم نعيه يستقر في الفؤاد، حتى تلاه آخر مرق الفؤاد فأدماه، لم تكد تمر أشهر على وفاة المرحوم حافظ، وما زالت الصحف والمجامع تنعاه، وإذا ببريد الكنانة الأخير يحمل إلينا نعي أمير الشعراء شوقي، شاعر الفضيلة والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وآل البيت، فما أعظم

الفادحة، وأجل الخطب! حقاً، إن اليوم هو أخلق الأيام بإقامة المآتم على العربية، فقد فقدت بفقدهما علميها النيرين، فمن لها يحمل رايتها بعد اليوم؟!

لقد كان شوقي رحمه الله شاعر العربية على الإطلاق، وكان شاعراً إسلامياً ينبض قلبه بحب الإسلام، ويتقد غيرة عليه، وكان محباً لآل البيت، وكان شعره متيناً جدد به ما أخلق من جدة اللغة العربية وبهائها، فجمع بين المعاني الحديثة، والديباجة العربية القح، وحلق في سماء الخيال إلى أبعد مدى. غير أن مصيبتنا فيه وإن كانت عظيمة، فلا يسعنا إلا الرضا بقضاء المولى. لقد كانت وفاته رحمه الله ليلة ١٤ جمادى الآخرة، فجأة دون سابق مرض، وكان قد أعد قصيدة لتلقى صباح ليلة وفاته في الاحتفال بوضع حجر الأساس في مصنع القرش، فأراد الله أن يصحب إلقاءها نعيه، وأن يستمع إليها السامعون وهم باكون. رحم الله فقيد العربية، وعزى فيه آله وذويه وكل ناطق بالضاد، وألهم الجميع الصبر والسلوان».

* * *

ثانياً

المقالات المنشورة في «صحيفة السلام»

وعدد هذه المقالات ثمان، منها مقال من جزأين، والمقالان الأولان منها (من العددين: التاسع، والحادي والعشرين) يمثلان الفترة الأولى للصحيفة إبان صدورها من سنقافورا قبل الحرب العالمية الثانية. أما افتتاحية العدد الأول الصادر بتاريخ ٣٠ محرم ١٣٥٦هـ (= ١٢ أبريل ١٩٣٦م) فقد أدرجته في ترجمة الأستاذ كما صنعت في بقية الافتتاحيات. وآخر عدد بين يدي من أعداد هذه الفترة يحمل الرقم (٣٢) وتاريخه ٢٨ رمضان ١٣٥٧هـ (= ٢٠ نوفمبر ١٩٣٨م). وقد امتازت هذه الفترة من عمر الصحيفة بالحديث عن موضوعات اجتماعية متعلقة بحضرموت والدول العربية، وخصصت زاوية ـ عبارة عن صفحة كاملة وقد تزيد ـ للحديث عن الأوضاع في حضرموت والجنوب العربي عامة.

وبقية المقالات ـ بدءاً بالمقال الثالث ـ أخذتها من «**صحيفة السلام**» التي صدرت في جاكرتا بدءاً بالعدد الأول الصادر في ١٣ ربيع الثاني ١٣٦٦هـ (= ٦ مارس ١٩٤٧م)، وانتهاء بالعدد (**الإندونيسي**) الأخير ١٦ الصادر في ٢٥ رمضان ١٣٦٦هـ (= ١٢ أغسطس ١٩٤٧م)، فهذه تغطي مساحة زمنية قدرها ستة أشهر من تاريخ الأستاذ في إندونيسيا، ونظراً لأنها صدرت في ظروف سياسية صعبة، فقد كانت الطباعة رديئة للغاية، وكانت مواضيعها ذات صبغة سياسية بحتة. ومثلت الصحيفة وجهة نظر معارضة لتوجهات حكومة إندونيسيا بعد الاستقلال، مما أدى إلى عدم استمرارها، وبالتالي رحيل محررها عن

البلاد الإندونيسية، وبداية صفحة جديدة في كفاحه الصحفي الحر!

أما بعد عودة الصحيفة إلى الصدور في (مهدها الأول) سنقافورا، فلم أعثر من أعدادها إلا على العدد الأول والذي يحمل رقم (١٧) مسلسلاً، وصدروه بتاريخ ٢٠ ربيع الآخر ١٣٦٧هـ (= ١ مارس ١٩٤٨م)، وقد أدرجت افتتاحية هذا العدد ضمن الترجمة حسب الترتيب المتبع.

* * *

جلالة الملك فاروق(*)

لجلالة الملك العظيم (فاروق الأول) كلَّ يوم مكرمة عظمى جديدة، ويد بيضاء جليلة، يقلد بها أعناق العرب والمسلمين لا يختص بصقع ولا يقتصر على قطر، فتتناول مَن بأقصى الغرب، كما تصل إلى مَن في أقاصي الشرق، وتثبتُ أنه الملك الصالحُ بحق، وأنه إنما يصدر ويرد في كل أعماله، وفي كل حركاته وسكناته، عن عاطفةٍ دينية متمكنة من سويدائه، وروح إسلامية متغلغلة في أعماله.



فتراه لذلك السرِّ قد اقتعد عرشَ المهَجِ من أربعمئة مليون مسلم منتشرين في أقاصي المعمور وأدانيه، قبل أن يتبوأ أريكة عَرضِ مملكة تحتضن بضع عشرة ملايين فحسب، وها هو ذا يبرهن اليومَ جلالته برهاناً جديداً على مكارمه وروحه الإسلامية بعطفه على بعثة (الرابطة العلوية) الذي لم يكن له من باعث غير الأخوة الإسلامية ورعاية البضعة النبوية.

فقد علمنا من سيادة النبيل السيد إبراهيم بن عمر السقاف: أن (الرابطة العلوية) تلقت بالبريد الطيار من صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي،

(*) «صحيفة السلام»، السنة الأولى، العدد (٩)، الأربعاء ٢٥ شعبان سنة ١٣٥٦هـ، ٣ أكتوبر ١٩٣٧م.

مرسوماً متضمناً أن عريضة (الرابطة العلوية) بشأن بعثتها في مصر، قد رفِعتْ إلى جلالة الملك فاروق، فنالت منه العطفَ السامي، فأصدر إرادته الملكية بالإنعام بمرتّب شهري مقداره (٢٣٠) قرشاً، لكل فردٍ من أفراد البعثة الخمسة، على أن يثبُتَ الاستحقاقُ بالتحاق أفراد البعثة بالأزهر الشريف.

ونحن إزاءَ هذه المأثرة لجلالته لا نملك غير شكرٍ يكنه الجنان، فلا يتناوله الحد ولا يعبر عنه اللسان، أدام الله المليك المحبوب ملاذاً للإسلام والمسلمين، ومجدداً لما اندرس من عهد الدين.

* * *

الموارد الاقتصادية بحضرموت (*)

كنا افتتحنا العدد (١٢) بمقال تحت عنوان (الموارد الاقتصادية بحضرموت)، ووعدنا بتتمته في العدد الذي يليه، ولكن طرأت طوارئ وجدت مناسبات حالت دون الغرض، والآن، أستأنف إتمام الموضوع على عجلٍ وأنا على أهبة السفر إلى جاوا، فليعذرني حضرات القراء إذا ما بدا المقال مضطرباً غير متماسك الأجزاء، فالمثل الحضرمي يقول: (مسافر أو مجنون).

لم أكن بالطبع حين أهبت في المقال السابق ببني جلدتي إلى التفطن لموارد بلادهم الاقتصادية، وحذرتهم من تسربها إلى أيدي الأجانب، لم أكن إذ ذاك على علم بما ظهر ظهوراً بارزاً من نشاط البعثات التي ترتاد الوطن اليوم منقبة باحثة، ولم أكن إخالها تسرع هذه الإسراع إلى بعثرة دفائن أرض الوطن وكنزوها، مما يدلنا على أن الأجانب ما كانوا يسرعون ذلك الإسراع عبثاً، لو لم يكونوا يعتقدون أن أحشاء تلك الأرض تضم خيرات جديرة بالجهود المبذولة في سبيل الاستيلاء عليها.

لم نكن على علم بذلك، لأن رسائل حضرموت التي رفعت إلينا أخبار هذه البعثات إنما وردتنا بعد كتابة المقال، غير أنا كنا نظلُّ على الموضوع من كوى التجارب التي علمتنا أن الأجنبي لا يضع يده على بلاد حبا في سواد عيون أهلها، بل لمطامع اقتصادية وأغراض

(*) «صحيفة السلام»، العدد ٢١، الأربعاء ٢٩ ذي الحجة ١٣٥٦هـ (= ٢ مارس ١٩٣٨م): مقال الافتتاحية.

سياسية وحربية. فهذه بعثة (شيل) التي ارتادت حضرموت، لقد علم من أبحاثها أن زيت الخروع الحضرمي هو أجود أنواع زيت الخروع في العالم، وأن القطن الذي سيزرع في حضرموت يأتي في الدرجة الثانية من أقطان العالم، وقد درست هذه البعثة أيضاً المياه المعدنية التي كنا نأمل أن تكون مادة من مواد مقال اليوم، قبل أن تصير في حكم ما قد خرج من أيدينا. فكم حز في فؤادنا ما قرأناه في رسالة مراسلنا بحضرموت من أن هذه البعثة قد وعدت بامتيازات فيما تتوصل إليه من خيرات البلاد، لأن معنى ذلك: أن هذه الموارد وغيرها من الموارد التي ما زالت مجهولة لدينا لتكتم البعثة بأبحاثها قد أصبحت في حكم الملك للشركة التي بعثتها، وأبناء البلاد يغطون في نوم عميق!

وأمامنا الآن بعض الصحف العربية نقرأ فيها: أنه يستدل من تقرير المستر فلبي على وجود منابع للبترول بجوار (شبوة)، ولا ندري ماذا سيكون مآلها، وأي جهة ستستحوذ عليها؟ ولكنا نستطيع الحكم بالنظر إلى تقاعس المسؤولين من أبناء الوطن بأن مصيرها محقق إلى أيدي الشركات الأجنبية.

وكل هذا يؤيد ما ذهبنا إليه في مقالنا السابق: من أن حضرموت بالرغم من جدوبتها وقحطها، لا تخلو من موارد اقتصادية، ولكن ماذا يفيدنا تقرير هذه الحقيقة ما دام أبناء البلاد لا يمنحونها ولو قسطاً يسيراً من عنايتهم، اللهم إلا تسجيل الخزي والعار عليهم. هذا نوع من الموارد الاقتصادية بحضرموت، وهي الموارد التي تعوزها الجهود العلمية في البحث والتنقيب، ضربنا له أمثلة ملموسة.

وقد يقابلنا بعض المسؤولين بالمعاذير قائلين: ما دمت تعترف بافتقارها إلى الجهود العلمية فكيف تسمح لنفسك بإلقاء التبعة علينا ما دمنا لا نجد بيننا خبراء اختصاصيين؟ وهو عذر أقبح من ذنب، فالاستعانة بخبراء من الخارج غير عسيرة عليهم!

وهناك نوع آخر من الموارد: وهي التي بين أيدي أبناء البلاد، ولا تفتقر إلا إلى شئ من العناية بتحسينها وتطبيقها على مقتضيات لوازم التطورات الحديثة، وما سيتبعها من رفاهية وملابسات وعادات، ولنضرب مثالاً فيما يلي:

جرت عادة المزارعين بحضرموت أن يزرعوا في الغالب الذرة، ويسيراً من الحنطة، وقد كان ذلك موافقاً لمقتضيات العهد السابق، حينما كانت تقتصر معيشة أبنائها على أقراص الذرة والحنطة، أما اليوم؛ فقد بدأت الأحوال تتحول، والعادات تتبدل، نتيجة لازمة لاتصالهم بالمهاجر، ودخول التطورات الحديثة. وقد شاهدنا المتصلين بالمهاجر ـ فضلاً عن مواليدها ـ لا يستسيغون أقراص الذرة والحنطة إذا عادوا إلى الوطن، فيقلدون المهاجر في مآكلهم، ويقوم الأرز لديهم مقام الذرة، ونعتقد أن البادية التي لَـمَّا تكتسحها بعد رفاهية الحضارة لن يمر عليها زمن قصير بعد وضع السلاح حتى تتشبه بالمتحضرين المترفهين في المآكل والمشارب، بل والعادات العامة. ويومئذ لن تجد الذرة من يأكلها!

فهلا فكر الحضارم في زراعة الأرز بدلا من الذرة؟! لعلها تسد مسداً من حاجة البلاد من الأرز، فتستغني ولو عن بعض ما تستورد منه من الخارج، خصوصاً بعد نجاح تجربة سمو الأمير علي بن صلاح في زراعته. نعم! هناك عقبة صعبة التذليل، وهو الماء، فإن الأرز يجب أن يتوفر لزراعته المياه، وحضرموت شحيحة بالماء، ولكن.. أي شئ بقي عسيراً في زمن تجرى فيه التجارب لاصطناع الغيث والمطر؟!

* * *

اللغة العربية في بريد الجمهورية(*)

كلمة لمقتضى الحال:

تواجه هذه الصحيفة مشكلة لا يملك لها حلاً سوى (حكومة الجمهورية الإندونيسية)، ولا يقتصر أثرها على صحيفتنا بل يتعداها، فتتخذ شكل معضلة تهم العرب خصوصاً، ويجب أن تهم المسلمين عموماً.

تلك هي: مشكلةُ عدم السماحِ باستعمال اللغة العربية، بل حتى حروفِها إذا كتبت بها اللغة الإندونيسية نفسها، فيما يتولى توزيعه بريد هذه الجمهورية من المناطق الواقعة تحت سيادتها وإليها من مطبوعات ورسائل. فإن لصحيفتنا قراءً وعشاقاً في الداخل يترقبونها بلهفٍ وشوق، ولا سبيل إلى إرسالها إليهم ما دام ذلك الحائل قائماً لَـمَّـا يذلل. وقد رزح العرب والمسلمون تحت عبء هذا القانون، الذي يحظر استعمال لغة غير الإنكليزية والفرنسية واللغات المحلية منذ صدر في شهر (أبريل) من العام المنصرم تقريباً، دون أن يحركوا ساكناً أو ينبسوا ببنت شفة، معللين أنفسهم بأملِ أن تتفطن الدوائر المسؤولة إلى هفوتها هذه فتتلافاها من قبل نفسها، أو لعل الأمر قد رُفع إلى بعض الموظفين فلم يعيروه اهتماماً، لأنهم يجهلون الاعتبارات التي يجب أن تتمتع بها تلك اللغة بصفة خاصة في هذه البلاد الإسلامية، كل ذلك محتملٌ، بل قد قيل وتهامست به الألسن والأفواه.

على أن الذي نرجوه هو أن الجهاتِ المسؤولة العليا، لـمّـا يُلفَتُ نظرُها بعد على هـذا

(*) «صحيفة السلام»، العدد الأول، جاكرتا، ١٣ ربيع الثاني ١٣٦٦ هـ (= ٦ مارس ١٩٤٧م).

الأمر، وباطلاعها على كلمتنا هذه ـ التي رائدنا فيها الإخلاص ـ تعنى به، فتنسخ ذلك القانون من أصله، أو تسمح على الأقل باستعمال العربية في بريدها، وذلك لأنه إذا كان الدافع لإصدار ذلك القانون هو خشيةُ الجاسوسية والمخابراتِ السرية، فالأقرب استعمال غير اللغة العربية فيها من اللغات المسموح باستعمالها، لأنها لغاتُ من قد توجّه إليهم التُّهم السياسية، أما اللغة العربية فلا شأنَ لها بهذه التهَم ولا تلك المهمات.

على أن قلم المراقبة (سنسور) ما زال يؤدي وظيفته على وجهها الأتم، ولذلك قد يحتج بصعوبة الحصول على مراقبين للغة العربية، ولكن هل الذين يحسنون الفرنسية مثلاً ـــ وهي مسموح بها ـ أكثرُ عدداً في هذه البلاد، إذا أجرينا مقارنة بينها وبين العربية بالنسبة المئوية؟ لا أزال أظنّ ـ بل أعتقد ـ أن الفرنسية سوف تفشل فشلاً تاماً، بل الإنكليزية نفسها ما زال مشكوكاً في مصارعتها للعربية في المقارنة النسبية.

إذن.. فما الذي أنزلَ العربية منزلةً هي أقلُّ من منزلة تينك اللغتين؟ ألكونها لغة القرآن الذي يتلى ليل نهار في جميع منازل أبناء هذا الوطن الإسلامي، اللهم إلا الأقلية التي لا عبرة بها؟ أم لكونها لغة (٤٠٠ مليون) مسلم منتشرين في أنحاء المعمورة، ومنها هذه البلاد؟ ربما يقول البعض: إننا إن سمحنا باستعمال العربية، فسيضطرنا ذلك أن نساوي بها غيرها من لغات الجاليات القاطنة بهذه البلاد، كالصينية مثلاً!

غير أنا نلفت نظرهم: إلى أنهم قد أجازوا في قانونهم استعمال اللغات الأهلية، فهل نكون مسرفين إذا طالبناهم باعتبار العربية من اللغات الأهلية، لانتشارها وانتشار الحروف العربية بين الإندونيسيين، انتشاراً يدل عليه الواقع وتؤيده المعلومات المستقاة من مصادر لها اتصال بالحكومة؟ ولأنها منذ ظهور الإسلام لم تعُد تعتبر لغة قومية خاصة بالعرب، فقد جعلها الإسلام لغة الجنسية الدينية لجميع المسلمين، وقد برهن التاريخ على تحقق ذلك في

عهود الإسلام الزاهرة في البلدان التي دانت به، فبناء على ذلك، وباعتبار أن الأغلبية الساحقة من أبناء هذه البلاد مسلمون، فالعربية لغة من لغاتهم المحلية.

هذه كلمتنا نوجهها إلى الحكومة الجمهورية الفتية، راجين أن تلقى اهتمامها وعنايتها، لأن الدافع لكتابتها هو حسن النية، ورجاءُ التدارك والإصلاح.

* * *

(١)

حول أجوبة سعادة القنصل المصري(*)

يحسب بعض الناس أن اليابانيين ـ أو قرودَ البشرية ـ قد ذهبوا بخيرهم وشرهم، إن صح بأن كان لهم حظ من الخير. والواقع أنهم قد خلفوا من ورائهم تراثاً ممقوتاً، وتركوا آثاراً سيئة لن تمحى بسهولة، وفي وقت قريب. وذلك ليس في الأنظمة والعمران والعادات والتقاليد فحسب، بل في النفسيات والأخلاق، ومن آثارهم هذه التي ما زالت متمكنة من بعض النفوس التي عاشرتهم وخدمتهم وامتزجت بهم أثناء حكمهم: أن لا تخجل من القيام بدعاية قائمة على أساس عكسي مضاد، أو لا أصل له البتة، وأن لا ترى غضاضةً في الظهور بمظهرين متناقضين. وذلك وما تشاهده من صفات بعض الإندونيسيين الجدد في الآونة الأخيرة.

ففي الوقت الذي يتبرءون فيه من العروبة ويتهكمون بها، ويعملون للإضرار بأبنائها بطرق خفية، نراهم يزُجّون بأنوفهم في كل شيء يهم العرب وحدَهم، سيما في داخلية البلاد، فنشاهدهم ونستمع إليهم وهم يعلنون براءتهم من كل شيء له علاقة بالعرب، حتى ليصل الأمر بزعيمهم أن يعلنَ على رؤوس الأشهاد: أن شؤون البلاد العربية، بل قضية فلسطين نفسها التي أقضّت مضجع العالم الإسلامي كله، لا تسترعي اهتمامهم، ولا تشغل زاوية من أفكارهم ولا حيزاً من مشاعرهم.

(*) «صحيفة السلام»، العدد الخامس، جاكرتا، ٢٨ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ (= ٢٠ أبريل ١٩٤٧م).

وأن يكتب كاتبهم ويحتجّ على صحيفة وطنية لكونها ذكرت أن زعيمهم **عبدالرحمن باسويدان** قد عُيِّن في الوزارة باعتباره **عربياً**، كأن إلصاق العروبة به تهمةٌ معيبة يجب أن يبرأ منها! أستغفر الله! لماذا أشير إلى هذا، والزعيم نفسُه قد أعلنَ عقيب تعيينه في الوزارة بخطابه ألقاه في مدينة (مالاغ) أن تعيينه هذا لم يكن بصفته يمثل الجالية العربية بهذه البلاد، كأنما عدم فيها الأكفاء من أبنائها الأصلاء فافتقرت إليه! نشاهد ونسمع منهم ذلك كله، ثم لا نشعر بهم إلا وقد دسُّوا أنفسَهم في شؤون العرب الخاصة، فهم يريدون أن لا ينتقل أحدُ العرب من بلدة إلى أخرى في الداخل بغير تأشيرة من هيئتهم الخاصة، وهنا يمثلون دورهم في إرغام المسكين المحتاج للتأشيرة على الاعتراف بما يوَدُّون.

وهم يريدون كذلك أن يكون لهم الإشراف على مصالح الجالية العربية أجمعها، ثم لا يقدم سعادة **محمد عبد المنعم** (مندوب الجامعة العربية)، حتى يهرولوا إليه ويلتفوا حوله، كأن الدافع لهم إلى ذلك التكريم والتبجيل، والدافع الخفي إنما هو: أن لا يدعوا لسعادته فرصة التفاهم مع العرب الأقحاح الذين يحيَون للعروبة، ويجاهدون لتأييدها، ويلقون ربهم في سبيلها.

والحق أن اخواننا الإندونيسيين الأُصَلاءَ والأقْحَاح، أقرب إلينا عواطف وألصق بنا مشاعر من هؤلاء، كيف لا؟ وهم ـ أي الأندونيسيين الجدد ـ يكتبون في (صحيفتهم مشاركة – العدد ١٣) ليبرروا موقفهم:أنهم لا يقصدون قطع كل صلة بالعالم الخارجي بما فيه البلاد العربية، وأنهم: يمدون يدَ الصداقة ويحيون تحيةَ الإخوة، ليس البلدان العربية، بل جميع أقطار المعمورة التي ترغب في صداقتهم. فهذا مبلغ صلتهم بالعالم العربي ومدى عطفهم عليه، وتلك جمل وكليات يرتلها كلُّ شعب، تجاهُلَ شعبٍ لم تربطه بالآخر رابطةٌ خاصة. ومعناها: أنهم ينظرون إلى العربي بالعين التي ينظرون بها مثلاً إلى الصيني أو الفرنسي أو التيبتي سواء بسواء.

وليس الأمر كذلك، وحاشاه أن يكون كذلك لدى إخواننا الاندونيسيين الأصلاء الأقحاح المسلمين، فاذهب إلى أيِّ منهم واسأله: أتُراكَ تُنزِل العربيَّ بالمنزلة التي تُنزِلُ الصينيَّ بها من مشاعرك وعواطفك؟! ثم انتظر الجواب، فسيقول لك: إن العربي يحلّ من قلوبنا مكاناً لا يحله سواه، فقد جمعت بيننا وبينه وحدةُ الدين، وصلة التاريخ، ورابطة الصهارة، مما أوجد تقارباً في الإحساسات والعواطف وتشابهات في المنازع والميول والأذواق.

(٢)

حَولَ أجْوِبةِ سَعادةِ القُنصُلِ المصريِّ(*)

إن من الجلي أننا لا نعني بما كتبناه في المقالين السابقين سائرَ مواليد العرب بهذه البلاد، كما أنّ من الواضح أيضاً أننا لا نقصد به مقاومةَ ـ بلْهَ محاربةَ ـ الرعويةِ الإندونيسية (وِرْكَا نكارا إندونيسيا). فبين إخواننا المواليد من هم أعزاءُ علينا ويعتبرون فخراً للعروبة وجنوداً مخلصين لمبادئها، وإنما يتوجه خطابنا ـ كما لا غبار عليه ـ إلى أولئك الذين يعلنون براءتهم من العرب والعروبة، ويحاولون الانسلاخ منها ويتهكمون بأبنائها، مما هو ـ فوقِ مباينتِه للعقل والمنطق والتاريخ وجميعِ الحقائق المعتبرة ـ مضرٌّ بسياسة البلاد التي يعيشون فيها ويحاولون الاندماج في أبنائها.

ونحن لا يؤلمنا أن ينسلخوا عنا، ولا يبعث فينا الحسرة. وإنما يؤلمنا أن تكون تصرفاتهم هذه مسيئةً نحو العلائق الحسنة الأخوية المتينة العتيدة بين الشعبين العربي والإندونيسي في دور كفاح إندونيسيا لاستقلالها، الدورِ الذي يجب أن تلقى فيه كلَّ تأييد ومناصرة من الأقطار العربية التي لها اليوم (٦) أعضاء في منظمة الأمم المتحدة (U.N.O)،

(*) «صحيفة السلام»، السنة الخامسة، العدد (٦)، ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٦٦هـ، ١٠ أبريل ١٩٤٧م.

والتي أصبحت تشعر بشعورٍ واحدٍ، ويهتم ويتألم ـ كما يبتهج ـ بعضها لبعض، مما أعلنته قرارات (جامعة الدول العربية)، وأعربت عنه تصريحاتُ أمين سرِّها العام سعادة عبد الرحمن عزام، سواء في ذلك من انضم منها إلى الجامعة ومن لم تسعفه الظروف بالانضمامِ إليها.

ومعلوم أنه لو قام هذا الفريقُ بتصرفاته ومناوراته وهو باقٍ على عروبته لقال العرب في أقطارهم: هذا خلاف داخلي تجب معالجته؛ أمّا وهو يقوم بها مع ادعاء إندونيسيته فنخشى أن يفهمها بعض البلاد العربية على اعتبارِ كونها عداءً موجهاً من الأمة الإندونيسية نحوها، وحاشاه أن يكون!

وقد كانت الكياسة السياسية تقضي ـ لو كانوا يريدون خدمة إندونيسيا خدمة صادقة ـ أن يدخلوا في الرعوية الإندونيسية مع الإبقاء على جنسيتهم، (أي: الإبقاء على عروبتهم)، ليكون ذلك مظهراً من مظاهر الدعاية الطيبة، ووسيلةً للتأثير الحسن في العالم العربي، بجَعْله يشعر أن إخوانه عربَ هذه المهاجر القاصية يشاركون إخوانهم الإندونيسيين في الحقوق والواجبات. إذ إننا نعتقد أن الرعوية التي يمكن اكتسابها بالطرُق القانونية شيءٌ آخر غير الجنسية التي لا يمكن اكتسابها بتلك الطرق، بل هي لحم ودم وثقافة وتاريخ ومقومات أخرى.

فلم تكن ـ مثلاً ـ الرعوية الأميركية التي كان يحملها فيلسوفُ العرب أمين الريحاني حائلةً بينه وبين الافتخار بعروبته وخدمة الأوطان العربية إزاء خدمة أميركا التي كان يحمل رعويتها. كما أن رعويتي ورعويةَ كثير من العرب الإنجليزية ليست مانعةً لنا عن الافتخار بعروبتنا، ووقْفِ حياتنا على خدمة الأوطان بالعربية.

وليس شعورُنا العربي هذا أيضاً صادّاً لنا عن خدمة الأوطان الإسلامية، وفي مقدمتها إندونيسيا، التي نعيش فيها وننعم بخيراتها ونأنس بجوها البديع الطليق، وتستنشق

عبير هوائها الأريج، فذلك ما يقتضيه منا ديننا ما دامت إندونيسيا مسلمةً فوقَ حقوق الوفاء وعرفان الجميل، على أن هذا ليس بأمر جديد يجب أن يبدأ به، فقد سجل التاريخ في صفحاته: أن خدمةَ العربِ لهذا الوطن الإسلامي لم تكن وليدةَ عهدٍ قريب. فعلى ضوء الحقائق التي كتبنا عنها: يجب أن يفهمَ الناسُ أجوبة سعادة القنصل المصري محمد عبد المنعم وتصريحاته، وإلا.. فهل يعقل أن يزور سعادته هذا المهجر مندوباً من جامعة الدول العربية ليدعو العرب للانسلاخ من العروبة؟!

* * *

لَنْ تحلَّ قضِيةَ فِلسْطينَ إلاّ في فِلَسطِينَ(*)!

لم يعد خافياً على حضرات قرائنا الكرام موقف (جامعة الدول العربية) من قضية فلسطين، وكانت دول الجامعة قبيلَ ذهاب وفودها لحضور (دورة الجمعية العمومية الاستثنائية لهيئة الأمم المتحدة) للنظر في قضية فلسطين، قد قررت فيما بينها في مؤتمرٍ عقدته دمشق: أن تتقدم كلٌّ واحدة منها على انفراد باقتراح إدراجِ مسألةِ (إعلان استقلال فلسطين) في الحال، وإلغاء الانتداب البريطاني، ووقف هجرة اليهود وقفاً تاماً، في جدول أعمال (الجمعية العمومية).

ولما اجتمعت اللجنة التوجيهية لهيئة الأمم المتحدة لتصدر قرارها في مطالب العربِ، صادفوا في الحال اعتراضاً قوياً من أعضاءِ وفود **بريطانيا والصين والولايات المتحدة**، وكلهم أجمعوا على وجوب انفراد هذه (الدورة) بنظر المقترحات البريطانية الخاصة بتشكيل لجنة جديدة للبحث عن حقيقة الحال في فلسطين، توطئة لعرض ما سوف تقدمه من تقرير إلى (الدورة العادية لهيئة الأمم المتحدة) التي تعقد في سبتمبر القادم. أما **روسيا** فقد وقفت موقفاً مذبذباً فلم تشأ أن تحدده تحديداً صريحاً، بل حتى دول **أميركا اللاتينية** التي تكهن البعض أنها ستؤيد العرب في وجهة نظرهم قد قلبت لهم ظهر المجَن، وأخيراً صدر السهم وتغلبت وجهة النظر البريطانية، وتقرّر أن تؤلَّف لجنة تحقيق من ممثلي ١١ دولة هي: كندا، تشكوسلوفاكيا، إيران، بيرو، السويد، أورغواي، غواتمالا، يوغوسلافيا، الهند، أستراليا،

(*) «صحيفة السلام»، السنة الخامسة، العدد (٨)، ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٣٦٦هـ، ٢٠ مايو ١٩٤٧م.

هولندا، ومهمة هذه اللجنة أن تضع المقترحات التي ترى فيها حلاً لمشكلة فلسطين.

ونحن لا نستغرب موقفَ بريطانيا أو أميركا من مطالب العرب، لأن من الواضح أن الأولى منهما (**بريطانيا**) لا تريد حلَّ مشكلة فلسطين بعرضها على هيئة الأمم، وإنما تريد به التسويف واكتساب الوقت، وتخفيف ضغط الصهيونيين الذين أحرجوها إحراجاً، إذ ترجو بوضع هذه المشكلة فوق بساط البحث أمام الهيئة العالمية أن ترعى الصهيونية نوعاً ما عن استرسالها في الضغط، اكتساباً لعطف الرأي العالمي الذي وضعت المسألة تحت أنظاره الآن.

أما الأخرى منهما (**أميركا**) فمن تحصيل الحاصل أن نشير إلى نفوذ اليهود الصهيونيين وسيطرتهم عليها، بحيث لا نغالي إذا قلنا: إن المنصفين يعتقدون أن لا حيفَ يلحق الصهيونيةَ إذا لم تمثَّل في هيئة الأمم المتحدة ما دامت أميركا ممثلةً فيها!

أجل! لا نستغرب موقف تينك الدولتين، وإنما الذي يقضي بالعجب موقف **الصين**، تلك الدولة الشرقية التي ذاقت دهراً مرارة استعباد اليابان وعدوانهم عليها، فكان المنتظر أن تكون نصيرة الشعوب المستضعَفة، فإذا بها تخيب الرجاء، وتعصف بآمال الشعوب الشرقية المستضعفة، لا لشيء.. إلا خضوعُها لنفوذِ الدولار الأميركي، أو بالأحرى الصهيوني على (الكومنتاغ). وهكذا يلعب المال دوره في كل شيء. والحق، أننا لا نستطيع فهم ضرورة تأليف لجنة تفتيشية جديدة لمشكلة فلسطين، في حين أننا نعلم، ويعلم معنا العالم: أن فلسطين تستقبل ثم تودع منذ نحو عشرين عاماً لجنة تفتيشية بعد لجنة تفتيشية، مما لو جمعت تقارير تلك اللجان لوزَنتْ حملَ بعير إن لم تزن حِملَ طائرة من نوع (ب ـ ٢٩) فهل لم يجدوا فيها بأجمعها غنية؟! وهل لم تكن على ضخامتها كافية ليبنوا على ضوئها حلهم للمشكلة؟! وإذا لم تكن اللجان السابقة على كثرتها مختطة لهم سبيل الحل فهل اللجنة الأخيرة سوف تنير لهم الطريق؟!

ولعل مندوب الهند (آصف علي) لاحظ هذا عندما وجّه سؤاله في اجتماع (اللجنة

التوجيهية) إلى مندوب بريطانيا: عما إذا كانت بريطانيا سوف تقبل توصيات هيئة الأمم المتحدة أم لا تقبلها، فتهرب المندوب البريطاني عن الإدلاء بجواب صريح.

وبعد.. فليثق العالم أن قضية فلسطين لن تحلَّ في هيئة الأمم المتحدة، ولا في أي هيئة أخرى، ولن يقضي فيها في لكس سكسس، ولا جنيف، ولا لندن، وإنما سيفصل فيها في فلسطين.. وفلسطين وحدها!

* * *

المرحلةُ الأخِيرةُ
في المفاوضَاتِ الهولَنديةِ الإندُونيسِيةِ

لم يرمز الخطاب الإيضاحي الذي ألقاه معالي (شهرير) رئيس الوزارة السابق بواسطة الراديو، دون استشارة (جوكجا) ـ كما يقال ـ أحزابَ اليسار في الداخل. لأنها اعتبرته قد تساهل كثيراً وتنازل أكثر من اللازم، ولم تكن تدرك أنّ معاليه أدقّ فهماً للظروف، وألصق اتصالاً بالحالة الدولية. وقد ندمتْ فعلاً عندما رأت معاليه يقدم استقالة وزارته ليلة ٢٧ الماضي، كنتيجة محتّمة لموقفها هذا، الذي يعني عدم الثقة بها، ويظهر أنها كانت تحسب أنه سيعدل عن موقفه ولن يستقيل.

وقد أبدى الواقع بعد نظر (شهرير) حتى قدم قنصل أميركا العام يوم ٢٨ مذكرةَ حكومته إلى الجمهورية الإندونيسية، وتلك المذكرة التي تؤدي معنى الضغط على الجمهورية كي تقبل مقترحات هولندا لإنشاء الحكومة الانتقالية، وتعد بإعطائها قرضاً مالياً إذا قامت، وتبعتها مذكرة أخرى من الحكومة البريطانية بواسطة قنصلها تعتَبِر المقترحاتِ الهولندية معقولة.

وقد رأى فخامةُ رئيسُ الجمهورية (سوكَرنُو) أن لا يحرم من دهاء (شهرير) فعينه مستشاراً خاصاً له، واستدعى رؤساء الأحزاب الكبرى وأسند إليهم تأليفَ وزارة قومية جديدة، فكانت مداولاتٌ ومناقشات طويلة أسفرتْ عن تصلبِ حزب (ماشُومي) على الاختصاص بأربع وزارات مهمة هي: الرئاسة، والخارجية، والداخلية، والدفاع، مما لا يوافق عليه الآخرون. فانشق عنه حزب (شركة إسلام)، واشترك مع الأحزاب الأخرى في

تأليف الوزارة الجديدة التي تكونت من (٣٤) عضواً وزارياً، برئاسة معالي (شريف الدين) وزير الدفاع السابق. منهم (٥) من الاشتراكيين، و(٦) من الحزب الوطني، و(٧) من حزب شركة إسلام، و(٤) من حزب العمال.

وكان رئيس الجمهورية عقب استقالة (شهرير)، وقبل قيام الوزارة الجديدة، قد تولى قيادة دفّة الحكومة، وبعث برده على مذكرة الحكومة الهولندية المستعجلة. ولكن نائب الوالي العام لم يجد من الوضوح بحيث يكون فيه مقنع، فعقبه تداول مذكرات إيضاحية استعملت الطائرات الهولندية في بعضها لنقل الوفد الإندونيسي بين (جاكرتا) و(جوكجا)، انتهت بالمذكرة الإيضاحية المؤرخة ٨ جولي الجاري التي اتضح منها أن (أمير شريف الدين) إنما ينفذ سياسة (شهرير)، وأن حكومته قد وافقت على جميع محتويات المذكرة الهولندية، اللهم إلا البوليس العسكري المشترك، ولكن اختلاف الرأي في هذه النقطة انما يمس شكل النظام. وما زال في الإمكان الوصول إلى حل بالمفاوضة، لأنه ليس خلافاً رئيسياً، ونعتت الحكومة الهولندية ردّ الجمهورية: ليس غير مرض، أي: أنه لا بأس به.

قبل أن تنشر إدارة الاستعلامات الهولندية هذا النبأ كانت الإذاعات الإندونيسية المختلفة جميعها تبدو غير واضحة لشدة أصواتها، وكانت كلها تتحدث عن حرب العصابات (غوريلا) وإحراق الأرض (بومي أغوس)، فكانت روحها أقرب إلى روح زمن (سياف)، وأن الناس ليتساءلون بالنظر إلى هذه الأصوات التي تميل مع الأهوية، ماذا سيكون رد الفعل في داخل تجاه قرار وزارة (شريف الدين)، وموقف هولندا الذي يجنح أيضاً إلى التنازل قدر الإمكان؟

إن الزعماء السياسيين على العموم يدركون بالرغم من كون الموقف في الأيام القادمة القريبة كان جد متوتر، إن الشعب بوجه الإجمال قد أصبح في الحقيقة بعيداً عن روح زمن (سياف)، حتى لقد أعربت إذاعة (جكجا) وبعض الصحف عن تذمرها وانتقادها لأن

الشعب يبدو هادئاً وادعاً. غير أننا بالرغم من ذلك نكون مبالغين في التفاؤل إذا اعتقدنا أن جميع الطبقات والهيئات ستتقبل وتنصاع لقيادة حكومة الجمهورية المركزية دون تحريك ساكن، فليس بمستبعد أن تواصل بعض الهيئات جهودها لمقاومة سياسة (لينكرجاتي) بكل ما أوتيت من قوة، ليس في جانب الجمهوريين فقط، بل كذلك من جانب الهولنديين المتطرفين. قد يكون الوقت ما زال الآن مبكراً بالنسبة للتظاهر والتجمع، ولكن قليلاً من التفاؤل لن يلحق الخسارة بالغاية التي يتوخاها الأكثرية من السلام والعمران.

وهكذا نجد أن الغرض الذي كان يستهدفه شهرير إذا لم يكن قد تحقق وهو رئيس وزارة فقد تحقق وهو مستشار، ولقد بذل نائب رئيس الوزارة (ستياجد) واسطة الاتصال بين الطرفين كل جهوده ونفوذه للوصول إلى تلك النتيجة. ولقي موقفه تأييداً قوياً من ضميره، للثقة بزملائه السابقين في الصراع ضد النازيين أثناء احتلالهم لهولندا، من أمثال (سخرمير هورن) و(قود هارت).



* * *

القوة تحكم(*)

عقب أن رفض الفريق الإندونيسي مشروع البوليس العسكري المشترك (الجندرمة)، وإعلان وقف القتال، وضع وفد المفاوضة الهولندي العام، والوالي العام الدكتور(فان موك) أمر اتخاذ القرار النهائي تحت إرادة حكومة (دنهاخ)، وفي جلسة سرية اتخذت الوزارة الهولندية قراراً يفوض إلى الدكتور (فان موك) أن يرقب الحوادث ويختار بنفسه الوقت المناسب للبدء باستعمال القوة.

وقد اختير فعلاً أن يكون ذلك الوقت ليلة الاثنين ١٣ جولي الجاري، فزحفت القوات الهولندية إلى الميادين، واستولت الحكومة الهولندية على جميع الدوائر التي ما زالت إلى ذلك الوقت تحت سيطرة الجمهورية في (جاكرتا)، بدون أن تسيل قطرة دم أو يحدثَ أي صِدام.

إن الخطط (الاستراتيجية) والتدابير العسكرية في كل حرب تتمشى جنباً إلى جنب مع السياسة والاقتصاد، ولكن ذلك يبدو أكثر وضوحاً في الحرب الحاضرة بإندونيسيا. فإن المناطق التي استولى عليها الجيش الهولندي وجعلها هدفه هي بصفة خاصة مناطق الأرز، والمناطق الغنية ببضائع التصدير: كالمطاط. والسكر، والزيت، والشاي، والتبغ، ونحوه. فالتوسع الهولندي في هذه النواحي معناه الحصول على الاعتماد المالي (دفيزن). وقد وجدت هولندا في مدينة (شربون) وحدها (٣٠ ألف طن) من المطاط، عدا غيره من البضائع

(*) «صحيفة السلام»، السنة الخامسة، العدد (١٥)، ١٣ رمضان سنة ١٣٦٦هـ، ٢٩ جولي ١٩٤٧م.

الأخرى، ويعني هذا التوسع أيضاً: زيادة الثقة بالقرض، وتداول أوراق بنكنوت (يافاس بنك).

أما خسارة الجمهورية بفقدها مناطق الأرز الواسعة فبالعكس من ذلك، تعتبر ضربةً قاصمةً لها، إذ بالإمكان مواصلة المقاومة والقتال بغير بترول ومعدات حديثة، ولكنها متعذرة بغير أقوات. بينما ضياع الموانىء كذلك من يدها يعني أعظم تعطيل لنشاطها عندما قام الفريق الهولندي بهجومه بترتيب دقيق في مختلف الميادين منتصف ليلة الاثنين، فوجئ الفريق الجمهوري بذلك فيما يظهر وأفقدته الدهشة نظامه. أضف إلى هذا مفعول الطابور الخامس وجواسيس وأعوان (نيكا)، الذين لم يكن من المظنون توغلهم وانتشارهم بالكثرة التي ظهروا بها في جيش الجمهورية نفسه.

فكانت من الأسباب التي أدت إلى سقوط جُل الجسور والكباري، وكثير من المصانع، والمراكز والمولدات الكهربائية، ومخازن بضائع التصدير وغيرها بيد (هولندا) في حالة سليمة، وإلى أن يكون بإنالته سياسة الإحراق والتدمير مما لا صلة له بالتدابير العسكرية كالمسكن والمزارع وما إليها. فمحاربة الجاسوسية في الجمهورية لم تكن منظمةً تنظيماً كافياً، وكانت حركة احتراس الشعب من جواسيس العدو (ماتا ماتا موسوه) كثيراً ما تخطىء الهدف.

لقد كان تقدم الجيش الهولندي سريعاً جداً، مما أضعف ثقة بعض الجمهوريين في أنفسهم، ولكن توزعه في مناطق عظيمة الاتساع يوجد نوعاً من الضعف، فيما لو كان الشعب ما زال حقيقته على حماسته وجرأته إبان بداية الثورة، وهنا يظهر مقدارُ أهمية السياسة التي ستتبعها هولندا، فهل ستفوز باستجلاب قلوب الشعب وبعض الزعماء؟

بقي أن حادثاً خطيراً كحادث وإقدام هولندا على تنفيذ أعمالها العسكرية في إندونيسيا من الطبيعي أن يكون له رد فعل يتناسب مع خطورته في الهيئات الدولية.

إنه ليتضح من رد الفعل الناجم عنه: أن القنصليات الأميركية والانجليزية والصينية لم تكن تنتظر هذه الحركة في هذا الوقت على الأقل، كما يبدو كذلك شعور الخيبة من ناحية حكومتي (واشنغتون) و(لندن). لأن المفاوضات التي استغرقت وقتاً طويلاً وتطلبت جهوداً عظيمةً قد انتهت بالفشل. لقد ألقى رئيس الوزارة الهولندية (بيل) خطاباً صرح فيه: بأن الحرب الحاضرة في إندونيسيا ليست حرباً حقيقيةً، وإنما هي (إجراءات بوليسية) محدودة، ليس الغرض منها الاستيلاء على سائر المناطق الجمهورية، ولكن ذلك لم يقنع الصحافة الأميركية والإنجليزية.

إن **أمريكا** التي تبذل الآن نشاطها لتأمين العالم وتوحيده تحت زعامة الدولار، لمقاومة نفوذ الجبهة السوفياتية الروسية، في حين تعمل لنشر نفوذها الخاص السياسي والاقتصادي، ترقب إجراءات هولندا هذه بحذر وريبة.

أما **إنجلترا** فقد أجهدت الفكر لحماية مركزها فيما حوالي المحيط الهندي والبلدان الإسلامية، وهي تخشى أن تؤدي هذه الحرب في إندونيسيا إلى إثارة تلك الأقطار، سيما الإسلامية لتجديد الصراع. فهل تتدخل أمريكا وإنجلترا لحل القضية وتدارك الأمر؟

يظهر بالرغم من أدلة وجود هذه النية أن (مارشال) وزير خارجية أمريكا، و(بيفن) وزير خارجية إنجلترا، مازالا مترددَين حتى الآن، بينما يبدو جلياً موقف البلدان العربية وباكستان وهندوستان المقاوم لهولندا، مما قد يؤثر على موقف أمريكا وإنجلترا، اللتين لهما مصالح عظمى في المحيط الهندي. وفي حالة دولية كهذه: من المهم جداً بالنسبة للجمهورية أن يتسلل (شهرير) من جاوا على جناح طائرة هندية إلى سنقافورا، ومنها إلى الهند وإنجلترا وأستراليا وأمريكا، وقد وصل في رحلته هذه (حين كتابة المقال) إلى الهند، ويظهر أنه نجح في التأثير على (نهرو) الذي صرح باعتزام الهند على عرض القضية على مجلس الأمن. ويبذل الحاج (أقوس سالم) نشاطه للتأثير في البلدان العربية، وقد ظهر أن عطفها على إندونيسيا لا

يقل عن عطف الهند، غير أن قضية مصر التي سيجري بحثها بمجلس الأمن في (أقستس) تستغرق جهودها وتستنفد نشاطها، فتحول دون توليها تقديم قضية إندونيسيا في الظروف الحاضرة.

ومهما يكن من أمر.. فقد كادت هولندا أن تنتهي من الاستيلاء على جزيرة (جاوا)، كما قد استولت على العواصم الكبرى في (سومطرا)، ويقدّر الهولنديون أنهم سينتهون من أعمالهم العسكرية خلال أسبوع، وتقديم القضية إلى مجلس الأمن ومناقشتها فيه يستغرق وقتاً ليس بالقصير، فبناء على ذلك كله: قد لا يأتي القول الفصل من هذا المجلس فيما لو قدمت القضية إليه إلا وقد حققَت هولندا أهدافها وغاياتها!

* * *

قَضِيةُ إندُونيسِيَا

تنتقلُ من المعتَرَكِ العسْكَري إلَى المعتَرَكِ السِّياسيِّ (*)

انتقلت قضية إندونيسيا من المعترك العسكري إلى المعترك السياسي الدولي، بعد أن تقدمت أستراليا باقتراحها على مجلس الأمن أن يصدر أمره بوقف القتال بإندونيسيا في الحال، قبل البحث فيمن يكون من الفريقين المصيب أو المخطىء باعتدائه، كما تقدمت الهند باقتراحها تدخل المجلس في قضية إندونيسيا باعتبارها تهدد الأمن العام.

وأخيراً.. انتهى الأمر بموافقة أعضاء المجلس على عرض أمريكا أن تتوسط هي لحل ذلك النزاع، وقد بعث الرئيس (سعادة فارس الخوري) بقرار المجلس إلى كل من حكومتي هولندا والجمهورية الإندونيسية، كما اتصلت بهما مباشرة الحكومة الأمريكية التي تقرر أن تكون الوسيطة، وبفضل ذلك أعلن الفريقان المتحاربان وقفَ القتال، وإن كانت المناوشات ما زالت مستمرة حتى اليوم. مع العلم بأن كل ذلك قد جاء بعد أن وصلت هولندا إلى الحدود، والتي كانت قد رسمتها للتوسع منذ بداية الهجوم، إذا لم تكن قد تجاوزتها.

يظهر لمن أمعن النظر في رد الجمهورية: أن (جوكجا) ترفض قبول عرض أمريكا، ولكن بكلمات معسولة وأسلوب غامض، بحيث يبدو منه عكس ذلك لأول وهلة، ويمكننا أن نفهم موقفها هذا إذا علمنا أن (جكجا) ليس بوسعها أن تنسى ضغط قناصل أمريكا وانجلترا والصين على الجمهورية لتقبل المذكرة الهولندية، وذلك قبل نشوب القتال، فهي

(*) «صحيفة السلام»، السنة الخامسة، العدد (١٦)، ٢٥ رمضان سنة ١٣٦٦هـ ١٢ أغسطس ١٩٤٧م.

تعقد آمالها اليوم بمجلس الأمن، حيث ترجو أن تجد أصدقاء أعظم انتصاراً لها.

وطبيعي أن يقاوم الجانب الهولندي طلب الجمهورية: أن يعيّن مجلسُ الأمن هيئة تحكيم ـ دولة أو أكثر ـ تقوم بوظيفة (وسيط الصلح)، كما وقع سابقاً من بعض الدبلوماسيين الانجليز والأمريكان، فالمستر فان كلفن (ممثل هولندا) مصِرٌّ على أن القضية قضية داخلية تخص حكومة هولندا، وليست نزاعاً بين حكومتين ذاتي سيادة.

إن مجلس الأمن يتألف من (٥) أعضاء دائمين هم: أمريكا وروسيا، وانكلترا، وفرنسا، والصين، ولكل من هؤلاء حق الاعتراض (الفيتو)، ومن (٦) أعضاء غير دائمين هم الآن: استراليا، وبلجيكا، وسوريا وكلمبيا، وبولندا، والبرازيل. ومن المؤكد أن تنال الجمهورية تأييد (٤) أعضاء من هؤلاء الـ(١١) عضواً، هم: روسيا، وبولندا، وسوريا، وأستراليا، بينما لا يمكن الجزم بموقف البرازيل وكولومبيا. ولكن جميع قرارات مجلس الأمن يمكن تعطيلها بصوت الاعتراض (الفيتو) من أحد الخمسة الأعضاء الدائمين، ولدى كل من هؤلاء من الأسباب مما يجعله يحول دون تدخل منظمة الأمم المتحدة فيما يعتبره من شؤونه الداخلية، فإذا تدخلت في قضية إندونيسيا فهناك قضية الهند الصينية ومشاكل أخرى تقتضيها أن تتدخل. وقد ضربت روسيا المثل عندما قدمت أستراليا اقتراحها بوقف القتال في اليونان، فعارضه مندوبها بصرامة.

ليس لهولندا حق (الفيتو) ولكن إذا ما وقفت إلى جانبها إحدى الدول التي لها هذا الحق، فإن جميع الجهود والأصوات ستذهب أدراج الرياح، ولعل القارىء يستطيع أن يدرك هنا بعض سر الصخب والضجيج المرتفع اليوم من الجالية الصينية بهذه البلاد.

وقد يكون أعظم أهمية موقفُ وتصرفات مختلف البلدان خارج قاعات منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، من نحو مقاطعة الهند للمواصلات الجوية الهولندية، بمنع مرور طائراتها بالأراضي الهندية، ومقاطعة عمان الموانئ في البلاد العربية، وسنغافورا وأستراليا.

واعتزام الصلبة في (الفيلفين) التطوع وإمداد الجمهورية بالأسلحة، فكل هذا ليس في صالح هولندا ولكن هناك ما يخفيها أكثر من ذلك كله وهي مقاومة المعارضة لسياسة الحكومة في نفس هولندا.

إن إجراءات منظمة الأمم المتحدة ومداولات المراقبين السياسيين في الخارج سوف تستغرق وقتاً يمنح هولندا فترة استراحة، تقوم فيها بما تسميه (أعمال التطهير) في المناطق التي قد احتلتها. ولقد تحصلت هولندا على قرض من البنك الدولي بمبلغ ١٧٥ مليون دولار. وأخذ نقدها يرتفع في أسواق سنقافورا، وتم استيلاؤها على مناطق الأغذية والأقوات وبضائع التصدير، وهذه نقاط لعل هولندا تراها أعود بالفائدة من الأصوات التي ترتفع في قاعات منظمة الأمم ومجلس الأمن.

لقد حولت إنجلترا (البور) في أفريقيا الجنوبية من أعداء ألداء إلى أصدقاء طيعين، واستطاعت أخيراً بأعجوبة أن تحول مستعمرة مخاصمة هي (الهند) إلى بلاد (دومنيون) صديقة مخلصة. كما جعلت أمريكا سكان (الفليپين) شعباً يرتبط معها بروابط المحبة والوداد، فهل هولندا ـ يا ترى ـ على استعداد لأن تحذو حذو هذه الأمثلة. إن بينها وبين (الإنجلوسكسون) تشابهاً في الصفات والمميزات الثقافية، فليس بعسير عليها أن تحقق هذه الأعجوبة، أما إذا لم تنجح في ذلك فكل انتصار تناله في الوقت الحاضر إنما هو انتصار مؤقت.

* * *

ثالثاً

مقالات نشرت في صحيفة «النهضة» العدنية

مقالات الأستاذ بافقيه التي نشرت على صفحات صحيفة النهضة العدنية، لصاحبها الأستاذ عبدالرحمن جرجرة، مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة المراسلة من المكلا، وهذه المقالات كانت تصدر تحت عنوان (رسالة حضرموت) في زاوية أسبوعية ـ غالباً ـ لم تكن تتخلف عن القراء إلا لأسباب قاهرة، وعدد هذه الرسائل (١٥) رسالة، من العدد (٣٥) وحتى العدد (٥٦)، غطت الفترة الزمنية الواقعة من: ١٢ شوال ١٣٦٩هـ (= ٢٧ يوليو ١٩٥٠م)، إلى ١٩ ربيع الثاني ١٣٧٠هـ (= ٢٨ ديسمبر ١٩٥٠م)، أي فترة ستة أشهر كاملة من تاريخ حضرموت الساحل والداخل. رصد خلالها الأستاذ بافقيه رحمه الله تطورات سياسية هامة، وكشف النقاب عن قضايا اجتماعية خطيرة، وتحدث عن واقع المنطقة بعين الناقد الخبير الذي يقع على مواطن الخلل فيطلق صرخات النذير للمسؤولين وصناع القرار.. لقد أدى الأستاذ رسالته في حضرموت على أكمل الوجوه، ولم يرحل عن المكلا إلا بعد أن ألقي القبض عليه بتهمة التحريض ضد الحكومة!

والمرحلة الثانية: مرحلة المشاركة في التحرير بمقر الصحيفة في مدينة عدن، وتقدم الحديث عنها في ترجمته، وذلك في الفترة من: ٢٦ ربيع الثاني ١٣٧٠هـ (= ٤ يناير ١٩٥١م)، إلى ٢١ سبتمبر ١٩٥٢م، وفي هذه المرحلة كان نشاط الأستاذ مقصوراً في الغالب على أعمال إدارية ومراقبة، وكان نشاطه الكتابي أقل من السابق بكثير، ولكن هذه المرحلة

حفلت بمقالاتٍ ذات وزن ثقيل، وأسلوب مميز، لا سيما المقالات الأدبية والتاريخية، فهي تعد مرجعاً في بابها، وعدد هذه المقالات (٤)، منها مقال مفرد، والبقية مسلسلة: مقالان في حلقتين، ومقال في ثلاث حلقات.

والغالب على مقالات الأستاذ في النهضة: الأسلوب التاريخي الاستقصائي، كما أنه في رسالة حضرموت كثيراً ما يتطرق إلى ذكر القبائل وأنسابها ويتحدث عن أوضاعها الاجتماعية، مما لم نقف عليه في كتاب مفرد، كما أن الكثير من المعلومات التي أوردها كشاهد عيان على المنطقة في تلك الحقبة، يجعل هذه المقالات مصدراً أصيلاً لقضايا تاريخية لا توجد في سواها.

* * *

(١)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

تَـمَرُّد قَبيلةٍ في لِوَاءِ عِرْمَة:

تلقت (المكلا) قبل أسبوع، استغاثة من (لواء عرمة الجديد)، بطلب نجدة من القوات الحكومية لإخضاع قبيلة (آل بادُخْن)(١) المتمردة، التي تقع منازلها في: دُهْر وعِرْمَه بجوار شبوة. فأرسِلتْ في الحال ثلة من الجيش النظامي وجيش البادية تحت قيادة الميجر (سنيل)، بكامل معداتها وأسلحتها الحديثة، من مدافع خفيفة ورشاشات ونحوها، وقد قدّر عددها بنحو ثمانين جندياً. والإشاعات متضاربة عما إذا كانت قد استطاعت حتى الآن الاستيلاء على ناصية الحال هناك، وتمكنت من إخضاع المتمردين أولاً؟ وعلى كل حال.. فمن المستحسَن بهذه المناسبة، أن نورد للقراء طرفاً من المعلومات التي قد يجهلها بعضهم عن هذا (اللواء الجديد) الذي كان مسرحاً لحركة التمرد المشار إليها، وعن القبائل التي تقطنه، بما فيها قبيلة (آل بادخن) المتمردة.

كانت السلطنة القعيطية إلى ما قبل عهد قريب تتألف من (خمسة ألوية)، ثم لما نشأت قضية شبوة، وقيلَ عن وجود منابع للبترول فيها ما قيل، وتنازعتها عدة جهات مما لم يعد خافياً على أحد، سارعت الحكومة القعيطية قبل بضعة أشهر إلى إنشاء (لواء سادس) جديد

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٣٥)، ١٢ شوال ١٣٦٩هـ، ٢٧ يوليو ١٩٥٠م.

(١) آل بادخن: يتفرعون من آل سلم، فخذ من قبيلة آل بلعبيد الحميرية.

أسمته (لواء عرمة) وعينت عليه نائباً السيد هادون بن أحمد العطاس، كما تمركزت فيه فصيلة من الجيش بقيادة ضابط أو ضباط أردنيين. ويظهر.. أن قبائل تلك النواحي لم تبدِ مقاومةً تذكر، فتمّ كل ما أشرنا إليه بأيسر الوسائل، وجرى الحال على خير ما يرام، حتى حدث هذا العصيان من قبيلة (آل بادخن)، وكانت أول بادرة لتمردها: اعتداؤها بالقتل على قبيلة محالفة للحكومة، قيل: إنها قبيلة بن عمرو.

وقبيلة آل بادخن هذه، هي إحدى قبائل آل بلعُبَيد العظيمة الخطر، والقوية الشكيمة، التي تنقسم إلى قسمين: حَيّاني وسَلْمي. وتنتمي إليها قبائل كثيرة، منها: آل الهميم الذي منهم آل باهيصمي، ومن هؤلاء: مقدّم تلك القبائل سالم بن ثابت. ومن القبائل التي تنتمي إلى آل بلعُبَيد: قبيلة (آل بن عمرو)، الذين ينسبهم البعض إلى آل عمرو بن معاوية لعَناء رسول الله صلى الله وآله وسلم، كما جاء في كتُب السير. ومنها: آل باوهّال، والكُرَب المشهورون، وآل بادُخْن؛ موضوع الحديث. ويقدّر عدد مقاتليهم جميعاً بنحو ألفين إلى ثلاثة آلاف مقاتل، أما (آل بادخن) وحدَهم فيقدر مقاتلوهم بنحو مائتين. وأقلّ هذه القبائل عدداً هي: قبيلة (آل بن عمرو)، الذين يقدرون بنحو ستين مقاتلاً فقط، ولكنهم أشجعهم وأعظمهم بأساً وأشدهم مِراساً، ومما يذكر عنهم: أن رؤساءهم اجتمعوا ذات مرةٍ يتذاكرون ما عليهم من دماءٍ وذحُول[1] وأحصوها، فبلغت ضعفي عددهم أو ثلاثة أضعافهم.

ومما يتقدم يتضح أن الحكومة قد تلقى بعض الصعوبات في اخضاع القبيلة المتمردة فيما لو انضمت إليها القبائل الأخرى. أما إذا تركتها هذه القبائل دون مساعدة، فلن تجد الحكومة كبير مشقة في إخضاعها كما نعتقد.

---

(١) جمع ذُحل: وهو الثأر. «القاموس».

أولُ إضْرابٍ في تاريخ (المكلا):

إذا استثنينا الإضرابَ العام الذي حدث في حينه، احتجاجاً على تقسيم فلسطين، فإن الإضراب الذي قام به ملاّك السيارات بالمكلا في الأسبوع الماضي احتجاجاً على لائحة الضرائب الجديدة على السيارات، يعتبر أول إضراب في تاريخ هذه البلاد.

فمن المعلوم: أن السيارات الذاهبة من المكلا إلى المدن والقرى الساحلية كانت معفية من الضرائب، وقد صدرت اللائحة الجديدة متضمنة ضريبةً جديدة لم تكن موجودة من قبل، فرضت على هذه السيارات، يختلف مقدارها بحسب بعد أو قرب الناحية التي تتجه إليها من الساحل، وكان على السيارات الذاهبة إلى الداخل ضرائب تتراوح بين (٣٠ و ٦٠ ربية)، فجاءت اللائحة تحمل زيادةً فيها. لذلك؛ رأى ملاك السيارات أن في هذه الضرائب الجديدة حيفاً عليها، ولمقاومتها المقاومة الفعالة قرروا الإضراب الذي استمر ٢٤ ساعة، قابل في أثنائها وفد منهم (صاحبَ العزّة سكرتيرَ الدولة)، وانتهت مقابلتهم له بوعده إياهم بإعادة النظر في تلك الضرائب الجديدة، وإرجاء العمل بها إلى أن يتم القرار النهائي بشأنها، وعلى هذا الأساس انحل الإضراب. غير أن هذا الحادثَ لم يمرَّ دون أن يترك له أثراً كما يظهر، فقد علمتُ أن العملَ جارٍ لإنشاء نقابةٍ لمالكي السيارات وسائقيها. فإذا صحَّ قيامها فستكون أولَ نقابة في هذه البلاد، والملاحظ: أنها تشمل طائفتين: الملاك، والسائقين، ومن الطبيعي تضارب مصالحهما في كثير من الأحوال. لذلك نخشى أن يستبد فيها الملاك بالسائقين.

مستشرقٌ يزورُ حضرَموتَ:

علمتُ من المصادر المطلعة: أن من المنتظر أن يزور حضرموت (الكولونيل أندرسن) الأخصائي في أصول الشريعة الإسلامية، ومن المحتمل أن يكون وصوله في ٢٣ أغسطس القادم، وغرضه من هذه الزيارة: الاتصال برجال الدين وفقهائه ومحاورتهم.

(٢)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

بمناسبة عرض أول (فيلمٍ) حضرمي:

لعظمة سلطاننا المفخّم، السلطان صالح بن غالب القعيطي، نواحي عظمةٍ، بعضها شائع معروف، كسَعَة اطّلاع عظمته، وغزارة علمه وتفننه، مما تشهد له به مؤلفاته القيمة، ككتابيه: «مصادر الأحكام الشرعية»، و«الآيات البينات» المطبوعين وعددٍ عديد من المؤلفاتِ التي ينتظَر طبعُها في شتى الفنون. على أنّ بعضَ نواحي عظمته مغمور مجهول، لا يعلمه سوى القليل من المتصلين عن كثَب، كولعهِ العظيم بالميكانيكا، وشغفه الفائق بالصناعة الكهربائية، فقليل جداً من الشعب من يعلم أنّ ديمقراطية عظمة السلطان تجعله يتنازل في بعض الحالاتِ متطوعاً لإصلاح المولد الكهربائي، فينجح في ذلك حين يحتارُ المهندسون ويقفون مكتوفي الأيدي، بل إنه كثيراً ما يتجاوز أقصى ما يمكن تصوره من ديمقراطيةِ سلطانٍ عظيم في جلالة قدره، فيتناول بالإصلاح أجهزةَ الراديو لبعضِ خدمِه وموظفيه.

وها هو ذا عظمته يبدي ناحيةً جديدةً من نواحي ديمقراطيته وتعشقه للفن، فيعرض على رعَاياه، في مساء اليوم الخامس من أيام عيد الفطر السعيد، الفيلم الحضرمي الأول (عبثُ المشيب)، الذي أشرف عظمته بنفسه على إخراجِه وتصوير مناظره، وقام بتمثيله

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٣٧)، ٢٦ شوال ١٣٦٩هـ ١ أغسطس، ١٩٥٠م.

أساتذة المدارسِ الحكومية، فسجّل بذلك حادثاً تاريخياً في العالم السينمائي بالقطر الحضرمي، بل الجنوب العربي بأسره، لأنه ـ كما أعتقد ـ أولُ فيلم عربي أنتجَه هذا الجنوب، ومع كونه باكورة أفلام الجنوب، فقد كان ناطقاً وملوناً وناجحاً إلى حد بعيد، بفضل جهود مولانا عظمة السلطان.

وبهذه المناسبة يكِرُّ بي الفكرُ راجعاً القهقرى سنواتٍ خلت، عندما استشيرَ أصحابُ الفضيلة والأعيان في تأسيس دار للسينما بهذه العاصمة، فحظروا ذلك وحالوا دونه، بالرغم من عدم زهدهم عن مشاهدةِ الأفلام التي تعرض في القصر السلطاني العامر بصفة خصوصية!

لا ننكر أنهم بنَوا ممانعتَهم وحظرَهم على حجج وأسباب، غير أنا في الوقت نفسه لا نستطيع أن نكتم عنهم أنها حججٌ وأسبابٌ لا تقومُ على أسسٍ صحيحة ودعائم متينة. وكيف نعقل أن يمانعوا في شيء ثبتَ تشجيعُ عظمة السلطان له؟! أو أن يحرموا الشعبَ من التمتع بفنٍّ يتعشقه سلطانهم المحبوب، على علو منزلته وعظيم تقواه وغزارة علمه؟! بل من التمتع بفنٍّ لا يكرهه محظِرُوه لخاصة أنفسهم؟! بفنٍّ قد دوّن فضيلة الشيخ بخيت مفتي الديار المصرية فتواه فيه؟!

لهم أن يقولوا: أن شعبنا معدم فقير! وأنّ السينما إذا سُمح بها للعموم، سوف تثقِلُ كاهله بما لا قبل له به إلا ضرورة داعية إليه. ولكنا نقول لهم: ألا ترون هذا الشعبَ المعدَم نفسَه يقضي أوقات بطالته ويزجّي ساعاتِ فراغه الطويلة في القهاوي ومواطن اللهو (الشاذ)، حيث ينفق يومياً ما يكفي لمشاهدة فيلمين على الأقل، لا فيلم واحد، في الليلة الواحدة؟ لا يمكننا أن ننكرَ حق الأفراد في طلب التفريجِ والتنفيسِ عن أنفسهم من متاعب الحياة، التي تزداد تعقيداً كلما تعقدت الحياة نفسها بحكم الحضارة الآلية، وكثير منهم إذا لم يجدوا الطرق والوسائل البرئية إليه لجأوا على الوسائل والطرق (الشاذة) التي لا تتنافى مع

الدين فحسب، بل كذلك مع الرجولة والإنسانية. وهل نستطيع نكرانَ أننا نعاني من هذه الطرق والوسائل الشاذة المخجلة، ما لا نبالغ إذا ما صرحنا بأن حظّ شعبنا منه أوفرُ من حظ أي شعب آخر؟ شأننا في ذلك كالسيل المنحدر، إذا سدَّ أمامه المجرى الطبيعي طغى على السدود وهدم الحواجز واتخذ مجاري غير طبيعية.

نعم؛ إن السينما قد تكون أداةً لإفساد الأخلاق، ولكنها كذلك تعتبر أداةً لتقويمها وتهذيبها، كما أنها كثيراً ما اتخذت وسيلة فعالة لنشر الثقافة والمعارف، وربَّ فيلمٍ واحد كان أوعظَ من ألفِ خطيبٍ يلوكُ الكلام! وما مثلُها إلا مثلُ العلم، قد يتخذ أداة للشر ومهمته في الأصل النفع، فهل يبرر ذلك تحريمَه يا سادة؟! وفي بلاد مستقلة بشؤونها الداخلية كبلادنا، نستطيع فرضَ رقابة لا يمكن معها عرض أي فيلم إلا إذا تحقق خلوّه من الضرر. نحن نطلب يا أصحاب الفضيلة ويا أيها الأعيان لهواً بريئاً فهل تسمحون به؟!

٦٥ ألف روبية لتأسيس ورْشَاتٍ:

علمتُ من مصادر يمكن الوثوق بها: أن الحكومة قد منحت (شركة ابن كوير) قرضاً يقدر بنحو (٦٥ ألف روبية) لتأسيس (ورشات) للمضخّات (الآلات الرافعة للماء)، والمسموع: أنّ الشركة تتهيأ الآن لتأسيس (ورشة) في سيوون عاصمة الدولة الكثيرية. وهذا عمل مشكور، كان ضرورياً إبرازه قبل اليوم. على أنه إن كان قد جاء متأخراً فقد دل على الاستفادة من غلطات الماضي، والأخذ بالحكمة القائلة: (الغلطة لا تتكرر مرتين).

٧٥ ألف جنيه من خزينة الدولة للمشاريع الزراعية:

كان يوجد للحكومة القعيطية في بعض بنوك لندن، منذ عهد استشارة (المستر إنجرامس) مبلغ احتياطي يقدر بنحو(٧٥ ألف جنيه)، وحدث قريباً أن انبرى سعادة المستشار المقيم (الكولونيل بوستيد) يخاطب أعضاء مجلس الدولة في لهجة مؤثرة، ذاكراً لهم كيف أنه وقفَ في إحدى رحلاته دامع العين، حزين القلب، أمامَ وادٍ من أودية حضرموت

يفيضُ ماؤه، فيسيل على وجه الأرض دون أن ينتفعَ به أحد، بينما يشكو أبناء هذه البلاد الجدب والقحط والمجاعات المتتابعة، وكأنهم:

كالعيسِ في البيداءِ يقتلُها الظما والماءُ فوقَ ظهورِهَا مَحْمُولُ

ثم لفت نظر الأعضاء إلى المبلغ الاحتياطي المشار إليه، واقترح عليهم سحبه والانتفاع به في المشاريع الزراعية وبناء السدود وشراء المضخات، وفعلاً وافق (مجلسُ الدولة) على هذا الاقتراح، وتمّ لسعادته ما أراد، كما علمت ذلك من مصدر عليم.

* * *

(٣)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

هل تنجح الحركة الزراعية بحضرموت؟

تساءلت في (رسالة ماضية): عما إذا كانت الحركة الزراعية الحاضرة بحضرموت قد قدر لها النجاح أولا؟ ووعدت بالإجابة على هذا السؤال في (الرسالة التالية)، غير أن أحداثاً أخرى جدت؛ بعد ذلك كان إرجاء الكتابة عنها يفقدها قيمتها، فاضطررت لتأخير الإجابة بالرغم من إدراكي لأهمية السؤال، التي تبدو من خلال الرسائل الواردة من إخواننا الحضارم بالمهاجر المختلفة، الذين يتطلعون إلى معرفة حقيقة تلك الحركة ومآلها بشغف زائد. للإلمام بهذا الموضوع من أطرافه، مع الإيجاز جهد الإمكان، وتناوله من وجوهه المقربة للحقيقة من أذهان القراء النائين، أحسِبُني لا أعدو الصواب إذا ما قررت: أن الحركةَ الزراعية الحاضرة بحضرموت ذات نوعين ـ أو بعبارة أخرى: قائمة على أساسين: فردي، وجماعي.

١ - وأقصد **بالحركة الفردية**: قيام طائفة من الأفراد أرباب رؤوس الأموال ـ الصغيرة أو الكبيرة ـ باستصلاح أراض زراعية، ابتاعوها أو استأجروها لهذا الغرض، أو كانوا يملكونها من قبل، وذلك بمحض الاختيار ودوافع الرغبة الشخصية، وتشغيل رؤوس الأموال رجاء الربح، في شكل محاولاتٍ وجهود فردية، غير مبنية على تضامن

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٣٩)، ١١ ذو القعدة ١٣٦٩هـ، ٢٤ أغسطس، ١٩٥٠م.

الجماعة وتأسيس الشركات.

وقد كان مجال أو ميدان هذا النوع من الحركة الزراعية: في بعض النواحي الساحلية، وحضرموت الشرقية: (القطن وشبام، ونواحيهما من المنطقة القعيطية، وتريم وسيوون ونواحيهما من المنطقة الكثيرية).

فمن المعلوم: أن في هذه البقاع من حضرموت أراضيَ مترامية الأطراف صالحة للزراعة كانت مهملةً من قبلُ، مع خصوبة تربتها، وتوفر المياه بها، ووجود أرباب الثراء من سكانها الذين يظهر أنهم تيقّظوا أخيراً ـ بعد سُبات طويل ـ لاستغلالها والاستفادة، منها بفضل تشجيع المستشار المقيم، فأقدموا على ذلك بنشاط عظيم يشكرون عليه. وحيثُ إن هذه النواحيَ إنما تعتمد في الريِّ على الآبار المتوفرة هناك ـ مع قرب مياهها من سطح الأرض ـ لا على الأمطار كما هي الحالة من نواحي أخرى، فقد ابتاع أهلها عدداً وفيراً من المضخات (الآلات الرافعة للماء)، لاستعمالها في الري، فكنتَ إذا ما تجولت في ضواحي بعض المدن المشار إليها كدتَ تستشعر أنك في ضاحية مدينة صناعية، لما تسمع من أزيز المضخات الكثيرة.

ولكنّ الذي يؤسفُ له: أن تلك الحركة النشيطة قد صُدِمت في بدايتها صدمة عنيفة، أوشكت أن تقضي عليها، أو تشلها عن متابعة العمل، لما ظهر من أن المضخات التي استوردتها الحكومة بواسطة المستشارية لم تكن صالحة للعمل في الأغراض الزراعية بحضرموت، مما أدّى إلى عطلها وتوقفها عن أداء وظيفتها في أدوارها الأولى، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في كلمة سابقة.

فكان طبيعياً أن ينجُمَ عن ذلك تحملُ القائمين بهذا النشاط الزراعي لخسائر فادحة، قدّرها البعض ببضعِ مئات من آلاف الروبيات، وهي خسارة قمينة بأن تجعل أعظم الناس

جرأة يقفون متهيبين عن مواصلة الكفاح، فما بالك بمن تعتبر محاولاتهم بمثابة تجارب أولية؟!

على أن من الإنصاف أن أشير هنا إلى: أن المشروعَ في حدِّ ذاته ليس مجلبة للخسارة، بل هو على العكس مضمون الفائدة، يدلنا على ذلك: أن الذين استعملوا في مزارعهم مضخاتٍ مستوردة من المصانع الأخرى غير المصنع الذي استوردت منه الحكومة قد نجحوا نجاحاً يبشّر بمستقبل باسم، وما زالوا يواصلون الدأب على العمل، وهذا أيضاً رد كاف من ناحية أخرى على من يزعم بأن منشأ عُطلِ المضخات هو عدم معرفة الحضارم بطريقة استعمالها!

٢- وأعني **بالحركة الجماعية**: الحركة القائمة الآن على أساس تضافر الجهود، وتضامن الجماعة، وتأليف الشركات الزراعية، وهذه على نوعين:

(أ) إجباري أو شبه إجباري.

(ب) واختياري.

(أ) وتعتبر الشركة الزراعية التي تأسست في لواء دوعن (غربيَّ حضرموت) من **النوع الأول**، فقد استدعى نائب هذا اللواء عند تأسيس الشركة أعيان البلاد ومتموليها، وأعلمهم بوجوب قيامها، وفرضَ على كلّ فرد منهم شراء نسَبٍ معينةٍ من أسهمها بحسب تقديره الخاص، وكانت قيمة السهم الواحد (١٠٠ روبية)، وخيّرهم بين الاستجابة لدعوته، أو النزول بدار الضيافة، حسب تعبيره، ويعني بها: (السجن)، فلم يكن لهم بد من القبول والرضوخ. بهذه الطريقة تم تأليف (شركة دوعن الزراعية)، كما علمنا من المصادر المطلعة والمساهمة في الشركة نفسها، وقد تكوَّن رأسمالها من (مائة ألف روبية)، وألفت لها هيئة إدارية من الأهالي والأعيان.

ولما كانت (مقاطعة دوعن) ضيقة الرقعة، شحيحةً بالمياه، تعتمد في زراعتها على

الأمطار فقط، ومع ذلك فليس هناك قطعة أرض مهملة لم تستغل في الزراعة، فقد استؤجرت لمشروع الشركة أراضٍ بعيدة عن المقاطعة بشرقيِّ حضرموت في (العقاد)، و(دار الرّاك)، ما بين مدينتي (القطن) و(شبام)، وهي مساحات واسعة خصبة تسقي بماء الآبار الصالحة للمضخات.

غير أن من دواعي الأسف: أن معظم المساهمين في هذه (الشركة) ـ كما يبدو لنا من التتبع والاستقصاء ـــ يعتبِرونَ مساهمتهم بمثابة اشتراك في التبرع لمشروع دُعُوا إليه أو فرِضَ عليهم، ولم يقنعوا بنجاحٍ يحتسبون أجره عند الله، فهم لذلك لا ينتظرون منه ربحاً مادياً، ولا يعملون له بدافع الإخلاص والرغبة، ولعل مرجعَ هذا الشعور السائد بين أكثريتهم ـ ولا عبرة بالأقلية ـ إلى الطريقةِ التي اتُّبِعت في دعوتهم إليها، وإن كانت السلطة هناك تجد ما يبررها. كما لعل القارىء الكريم يوافقني على أن مشروعاً ينهضُ على مثل هذا الشعور غير المدعّم بالحماس والوجدان، مقضيٌّ عليه بالفشل ولا ريب، ويمكنه إدراك بعض مظاهر ذلك من عدم تقدم (الشركة) أي خطوة في أعمالها، رغم مرور عدة أشهر على تأليفها، اللهم إلا قيام أعضاء إدارتها بالمعاينة والمشاهدة والرحلات.

(ب) ومن النوع الثاني القائم على محض الإرادة والاختيار: (الشركة الزراعية الحضرمية)، التي مركزها الرئيسي بالمكلا، والتي أعلنت في (قانونها الأساسي): أن في مقدمة أهدافها عمارة أراضي (ميفعة) الواسعة الخصبة، وهي أجلّ المشاريع الزراعية بحضرموت وأجدرها بالعناية والاهتمام، فالحديث عنها يجب أن يفرد له مقال خاص، فإلى اللقاء القريب.

* * *

(٤)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

حول مناصب سكرتارية الدولة:

من المؤسف جداً أنّ بعضَ الصحف تتقصّد تضليلَ قرّائها وخداعهم، بنشرها أخباراً لا أساس لها من الصحة، راميةً بذلك إلى أحد أمرين أو كليهما معاً:

(١) أن توهم قراءها أنها فازت بقصب السبق أو انفردت بالنشر.

(٢) أو أن تحقق غرضاً شخصياً لمحررها أو أحد مساعديه في النكاية بشخصية محترمة أو جِهة معينة، إطفاءً لغليل حقدٍ يتأكّل صدره، على حساب القارىء المسكين، الذي يدفع ثمنَ الجريدة من عرق جبينه، وما يدري أنه يبتاع كذباً ومیناً. ومن هذا القَبيل ما نشرته (صحيفة عدنية): من أن سعادةَ الشيخ القدّال باشا مرشّح الآن لملءِ منصِبِ صاحب العزة **الشيخ سيف** (سكرتير الدولة) الحالي، مما يوهم تأكيد الاستغناء عن خدمتِه، وعدم بقائه في منصبه بتجديد العقد الذي ينتهي في أكتوبر القادم.

والواقع أن أقلّ ما يقال عن هذا النبأ أنه سابق لأوانه، إذا لم نقل أن الدلائل متوفرة على بطلانه وتكذيبه، فلقد قمت بتحرياتي في الأوساط المطلعة هنا فتوصلتُ منها إلى أن صاحب العزة الشيخ سيف باشا (سكرتير الدولة القعيطية)، بعث بخطاب إلى السلطات العليا، ملفتاً نظرها إلى انتهاء الأجل المقرر لخدمته ـ حسب التعاقد بينه وبين الحكومة ـ في

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٤٠)، ١٨ ذو القعدة، ١٣٦٩هـ، ٣١ أغسطس، ١٩٥٠م.

أكتوبر القادم، ومفهوم من ذلك: أن الغرض هو أن تتخذَ الحكومةُ القرار النهائي بصدد تجديد العقد أو الاستغناء عن الخدمة.

غير أن عزّته لم يتلق الرد حتى الآن، والمطلعون يؤكدون أن بحثَ هذه المسألة قد أرجئَ إلى حين عودة سعادة المستشار المقيم من إجازته، كما ينفونَ بصورة باتةٍ كون قضية خَلَفِ لعزّته قد وضعت على بساط البحث، أو أنّ أحداً مّا قد رشح لذلك المنصب حتى الآن، ويستبعدون استبعاداً كلياً أن يخلفَ عزتَه سعادة الشيخ القدال، في حالة افتراض عدمِ بقائه في المنصب، ويعللون استبعادهم لذلك بالعلاقاتِ الأكيدة جداً والصداقة المتينة بين الشخصيتين المحترمتين.

أما الشئُ الذي يمكنني أن أؤكده: فهو أنّ عدةَ تعديلات وتحويلات منتظرة في مناصب (سكرتارية الدولة القعيطية)، من أهمها: تحويل (نائب السكرتير) سعادة الشيخ سالم باصدّيق إلى منصب (أمين قصر عظمة السلطان)، وكذا تحويلُ أحد مساعدي السكرتير إلى (رئاسة إدارة حكومية) أخرى، وتعيين مساعد أو أكثر في (السكرتارية) من السودانيين الذين ينتظر وصولهم قريباً!

موظفون سودانيون جدد:

مما يتهامس به الناس هنا: أنّ من مهام (مدير المعارف) سعادة الشيخ القدال باشا، التي سافر من أجلها إلى السودان، اختيارُ موظفِينَ سودانيين للحكومة القعيطية، وقد علمت من مصادر يمكن الوثوق بها: أن عددهم يتراوح ما بين ٩-١٣ موظفاً، من بينهم (٥) معلمين لثانوية الغيل، التي يجرى العمل للفراغ من تشييد بنائها بنشاط، ومستشار قضائي، وعددٍ ممن يحتلون مناصب رفيعة في السكرتارية، منهم: (المساعد الإقليمي) الذي لعله سيكون بمثابة (مفتش عام) لجميع دواوين الحكومة.

فإذا صحّ ما ذكرناه.. أمكننا أن نشير إلى أن إدارةَ معارفنا في جميع أطوارها ومراحلها

ستصبح بيد **إخواننا السودانيين** بصفة مباشرة، فمدير معارفنا العام ـ كما يعلم الجميع ـ هو سعادة الشيخ القدال، ومديرُو مدارسِ الغَيل بأنواعها، من وسطى ومعهد ديني، هم كذلك من **إخواننا السودانيين**، وعما قريب سيصل ـ كما ذكر آنفاً ـ مديرُ ومدرّسُو الثانوية من السودان أيضاً!

تنظيم البريد إلى الداخل:

بالرغم من وجود (إدارة بريد) في بلادنا، فإن البريد إلى الداخل لم يكن منتظماً وكان في حالة فوضى محزنة، بحيث أن الرسالة التي يبعث بها أحد سكان **المكلا** إلى **الداخل** لا تصل لصاحبها قبل (١٥) يوماً على الأقل، وذلك ما جعل الناس يستغنون عن البريد في مراسلاتهم إلى الداخل في الغالب.

ولكن يظهر: أن الحكومة شعرت أخيراً بهذه الحالة المعيبة، فأعلنت عن مناقصة لنقل هذا البريد، وقد علمتُ: أن المناقصةَ رست على (الشيخ سعيد بن كُـوَير) مؤسس (معامل الأسماك) بالمكلا، وسينقله أسبوعياً على سياراته العديدة التي ستغادر المكلا يوم الأربعاء من كل أسبوع بالطريق الغربية، ويوم السبت بالطريق الشرقية، فالآن يمكننا أن نطمئن إلى انتظام بريد الداخل بفضل إخلاص وكفاءة (الشيخ سعيد بن كوير).

توسيع ميناء المكلا:

وصل (عدن) سعادة المستشار المقيم (الكولونيل بوستيد)، في طريق عودته إلى مقر منصبه بحضرموت، بعد أن قضى أسبوعين في إجازة بالسودان! وقد اتصل بي أنّ سعادته سيستصحب معه مهندسَين اثنَين لمعاينة (رصيفِ ميناء المكلا) ليضَعا تقريراً عن مشروع توسيعه إلى مقربةٍ من (الروضة). ولا يستبعد أنّ ذلك تمهيداً لتوسيعِ المكلا بردْمِ البحر إلى قريبٍ من قصر عظمة السلطان، فيما لو توفر المال الكافي لذلك في وقت من الأوقات، فهو مشروع ضخم يعني زيادةَ مساحةٍ تضاهي مساحة المكلا الحاضرة تقريباً.

ضريبة رأس!

راجت في الأسبوع الماضي إشاعةٌ مؤدّاها: أن (نائب لواء الشحر) فرض على السكان (ضريبة رأس) جنيهاً واحداً على كل فرد، وسادت بين الأهالي موجة استنكار لهذا الإجراء الذي رأوه لا يتناسب مع فقرِهم وعوَزهم، وكان الاستغراب عظيماً بسبب اقتصاره على الشحر فقط، فكان هذا مدعاةً لأن أقوم بتحرّياتي.

وقد علمتُ: أن اقتراحاً بهذا الصدد قد قدم إلى الحكومة، ولعله من قِبل الاستشارات، يرمي إلى فرض جنيه واحد سنوياً على كل رجلٍ ـ لا امرأة ـ من سكان (السلطنة القعيطية) جاوز الـ ١٨ عاماً، على أن تدمجَ المبالغ المتجمعة من ذلك ضمنَ الميزانية العامة، وإنما تصرَف على المشاريع العمرانية الخاصة بالناحية التي جمعَت منها.

ويظهر: أن الحكومة استشارت نُوّابَها في هذا المشروع، وتعجل (سعادة نائب الشحر)، فجمع أعيان البلاد للتداول معهم، فكان ذلك منشأ تلك الإشاعة.

* * *

(٥)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

(البلاد) تقدم مطالبها إلى عظمة السلطان:

إن من أبرز الأحياء في المكلا نشاطاً وعملاً للصالح العام: (حارة البلاد)، التي هي أقدم أحياء هذه العاصمة، والتي يمكن أن تعتبر بمثابة المدينة القديمة فيها، كما يمثل أهلُها السكانَ الأصليين في الغالب. والفضل في هذا النشاط ـ الذي ظهر ملموساً في الآونة الأخيرة بصفة خاصة ـ يرجع إلى زعمائها وعقلائها الأفاضل، ومن أنصعِ الأدلة الشاهدة على ذلك: مقابلاتهم لعظمة سلطاننا المحبوب في الشهر الماضي، وتقديمهم إليه العرائض التي دلت على كثير من الجرأة في سبيل الحق والمصلحة العامة، وعبّرت عن آلامٍ وآمالٍ كان يضمرُها سائرُ أفراد الشعب، وفي الوقت نفسه كانوا يخشَون الجهر أو الإفضاء بها إلى المراجع الرسمية.

فقد تقدم وفد من زعماء وعقلاء (حارة البلاد)، والتمسوا مقابلة صاحب العظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي، فأذن لهم بذلك وحَظُوا (يوم ١٢ شوال الماضي) بشرف المثول بين يدي عظمته، فأفضوا إليه بآمال الشعب وآلامه، وقدّموا عريضتهم الأولى التي تستنكر مطالبَ الحمْقى المدسُوسين على العروبة بالمحاكم القنصلية، كما تطالب بتنفيذ الأحكام الشرعية في البلاد، وشمولها لجميع السكان، بدون تفريق بين المواطن والأجنبي،

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٤١)، ٢٥ ذو القعدة ١٣٦٩هـ، ٧ سبتمبر، ١٩٥٠م.

والضرب على أيدي العابثين المستهترين بأحكام الدين.

ثم تشرفوا مرة أخرى ليلة (١٣ شوال الماضي) بالمثول بين يدي عظمته أيضاً، وقدموا إليه عريضتهم الثانية التي تتضمن الشكوى من ثلاث مسائل نجملها فيما يلي:

١. **وضعية (الخيرية) وطريقة صرف أموالها**، فهم يقولون: إنها صارت مغنماً مخصّصا للشخصيات البارزة، من رواتب شهرية، ورحلات، ونفقة بعثات إلى الخارج من أبنائهم، بينما كان تأسيسها ـ كما يفهم من اسمِها ـ لأغراض خيرية محضة كتخفيف وطأة المجاعة ومواساة الفقراء. وهم يطالبون بحقِّ الاطلاع على حساباتها وميزانيتها ووجوه دخلها وصرفها بالتفصيل، كما يعربون عن المطالبة بحق اشتراكهم في اختيار (الهيئة المشرفة) عليها ممن يثقون بهم، ويبنون مطالبهم هذه على أساس أنّ أموال (الخيرية) إنما تجمع من عرق جبين الشعب.

وبهذه المناسبة يجدُر بنا أن نذكر أن دخل (الخيرية) يتكون من نسَبٍ معينة تفرض على الصادرات والواردات في جميع أنحاء السلطنة القعيطية، بطريقة إجبارية تماشي الضريبة الجمركية، ومقدارها: على الطرد أو الكيس: (٦ آنات)، وما عدا ذلك: نسبة (١٪ من ثمنه). وهي شبه جمعية، إلا أن الملاحظ أن الشعبَ لم يُمنح حقَّ انتخاب هيئتها، كما لم يُعطَ فرصة مناقشة ميزانيتها وحساباتها.

٢. **طريقة توزيع ماء الشرب**: فهم يشكون من الامتياز الحاصل فيه، وعدم توزيعه على الناس توزيعاً عادلاً.

٣. **الضرائب الباهظة**: لا سيَّما الضريبة المفروضة على بيوت السكنى، وخاصة بالنسبة إلى من لا يملكون سوى مساكنهم التي ورثوها خلفاً عن سلف، وجُلّها قديم ومرهون.

وكلا العريضتين بإمضاء نحو (٣٠) من عقلاء (البلاد)، في مقدمتهم: عوض محمد

بكير، وسالم أحمد شهيلان، وحسن أبو بكر باغويطة، وعبد الله سالم باحاتم، ومحمد سالم بوسبعة. وقد أبدى عظمة السلطان لأعضاء الوفد الذي تقدم بالعريضتين مزيدَ اهتمامه، ووعدهم بالنظر في مطالبهم وتحقيقها، وسألهم عما يمنعهم من الاطّلاع على حسابات (الخيرية)؟ فأجابوه: بأن الهيئة المشرفة عليها تأبى ذلك!

علماء (الداخل) يوافقون على القانون الجنائي:

عاد صاحبا الفضيلةِ الشيخُ عبد الله بكير (رئيس المجلس العالي)، والشيخ محمد بن عبدالله باجنيد (ناظر الأوقاف والتركات)، من رحلتهما التي نوهنا عنها وأشرنا إلى أسبابها في (رسالة) ماضية.

وقد تحقق ما كنا تكهنّا به: من دخولهما في مناقشةٍ مع علماء الداخل حول (القانون الجنائي). ويمكننا أن نذكر: أنهما نالا موافقةَ جميع علماء الداخل عليه، ما عدا فضيلة الشيخ سالم سعيد بكير، والأستاذ عبد اللاه بن حسن بلفقيه، إذ أبديا عدم استعدادهما للمناقشة في مواده، أما فضيلة العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف فقد أضاف إلى موافقته: أن أعاد كلَّ مادةٍ من القانون إلى ما يقابلها من المذهب، وعلمتُ أنه كتبَ بذلك إلى عظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي.

* * *

(٦)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

افتتاح أول مجلس بلدي:

افتتح يوم (٢٧ أغسطس) الماضي، لأول مرة في تاريخ هذه البلاد، أولُ مجلسٍ بلدي، وقد دعيتُ لحضور حفلة افتتاحه بصفتي (مراسلاً لصحيفة النهضة). أقيمت الحفلة في (الحصن) المعروف بالمكلا، الذي اتُّخِذ مركزاً للمجلس، وحضرها عدد من كبار رجال الدولة والمستشارية، وفي مقدّمتهم سمو ولي العهد الأمير عوض بن صالح القعيطي، وصاحب العزّة الشيخ سيف (سكرتير الدولة)، وسعادة المستر كندي (نائب المستشار المقيم). وكان افتتاحها حوالي الساعة (الرابعة والنصف) مساءً بخطاب موجه من قبل صاحب العظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي إلى أعضاء المجلس، تلاه (رئيسه) السيد عبد القادر بن أحمد بافقيه، ثم بعد أن اختلى الأعضاء في غرفة أخرى لوضع صيغة الرد على الخطابِ، ريثما تدار كؤوس الشاي على الحاضرين، عادوا إلى قاعة الحفلة، وناب الرئيسُ عن زملائه في إلقاء الرد على الخطاب السلطاني، وبذلك انتهت الحفلة. ولست بحاجة إلى أن أنوّه بأغراضِ هذا المجلس وغاياته، والآمال المعلقة عليه، فقد تضمن كلَّ ذلك خطابُ عظمة السلطان الذي يراه القارىء منشوراً في (صفحة ١٤).

غير أن مما لوحظ في الحفلة: عدم حضور كبار التجار، باستثناء عضو المجلس السيد

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٤٣)، ٩ ذو الحجة ١٣٦٩هـ، ٢١ سبتمبر ١٩٥٠م، ص٣.

علوي الصافي، وعلمتُ أنهم قد قاطعوها احتجاجاً على عدم انتخاب الأعضاء، فقد جرى تعيينهم من قبلِ الحكومة، ولم يكن بينهم أحد من هؤلاء التجار سوى السيد علوي الصافي. ويجيب عليهم المتصلون بالحكومة: بأن الظروف غير متهيئة لاجراءِ الانتخاب في الوقت الحاضر، لأسباب كثيرة، منها: وجود مشاكل ومنافسات بين (الحارات). وقال لي بعض عقلاء الحارات من التجار: إنما أعلنوا مقاطعتهم لأنهم لم يعطَوا السيطرة على المجلس، كما هو الواقع في الهيئات الأخرى.

ويجد القارئُ أن عظمةَ السلطان قد تناولَ هذه الناحية في خطابه، ووعد بإجراء الانتخاب عند تهيؤ الظروف له.

وعدد الأعضاء (١١) عضواً:

(أ) منهم ٤ رسميون هم:

١. السيد عبد القادر بافقيه (الرئيس).

٢. عمر بن محمد باحشوان (من المعارف).

٣. عبد الرحمن بازرقان (من السكرتارية).

٤. ومحمد عبد القادر بامطرف (من المستشارية).

(ب) و ٧ أعضاء غير رسميين هم:

١. السيد علوي بن محمد الصافي (من التجار).

٢. السيد محسن بن شيخان.

٣. فرج امبارك وحدين.

٤. سالم أبو بكر باغويطة.

٥. سالم عمر بالكور.

٦. سعيد سالم باسنبل.

٧. وعبود سالم بوعسكر (ممثلون للحارات).

مستشرق إنجليزي يناقش علماء الدين:

كنت قد ذكرت في (رسالة) ماضية: أن حضرموت تنتظر مقدم المستشرق الإنجليزي الأستاذ (أندرسن)، الاختصاصي في الشريعة الإسلامية. وقد وصل المكلا فعلاً يوم (٢٨ أغسطس) الماضي، وأقيمت له حفلة استقبال وتعارف في مساء اليوم نفسه (بالمكتبة السلطانية)، ثم عقدت جلستان في اليومين التاليين (بالمجلس العالي) جرت المباحثة فيما بينه وبين هيئة علماء البلاد برئاسة فضيلة الشيخ عبد الله عوض بكير. والزائر كهل مديد القامة، ممتلىء صحةً ونشاطاً، وعلى جانب عظيم من اللباقة والتواضع ودماثة الأخلاق، واسع الاطلاع على أصول الشريعة الإسلامية وفروعها، ودارس لمذاهبها المعروفة دراسةَ متمكنٍ فيها، يجيد اللغة العربية ويتكلمها بطلاقة كأحد أبنائها، وحسبك أنه مدرس الشريعة الإسلامية في (جامعة كمبرج).

وقد ذكر أن غرضه من رحلته هذه في البلاد العربية التي يبدأها بحضرموت: دراسة الطريقة التي تطبق بها الشريعة الإسلامية في هذه البلاد، وهو وإن كان قد زار بعضها من قبل، إلا أن زيارته تلك لم تكن لهذا الغرض. وقد قدم إلى هيئة العلماء نحواً من (٦٠ أو ٧٠) مسألةً، ناقشهم فيها مناقشةَ خبير، وكنموذج لهذه المسائل نعرض على القارىء الكريم مسألتين فقط هما:

١) بيع العين الموقوفة إذا بطل الانتفاع بها، واستبدالها بغيرها، وهو يرى هذا الرأي.

٢) إقرار المريض في مرض موته بشيء من تركته لبعض أولاده، مع ملاحظة قصد حرمان الآخرين، وهو يميل إلى ابطاله.

ومما ناقشهم فيه أيضاً قطع يد السارق، فقد كان يرى في ذلك شيئاً من القسوة. فأوضحوا له أن هذا الحد قد أحيط بكثير من القيود بحيث إنها إذا اجتمعت كلها في السارق لم يكن في الحد قسوة. وطلب نسخة من (القانون الجنائي) الذي ثارت حوله الضجة، وبعد

أن درسه وناقشهم به، صرح أنه من ناحية عامة لا يراه خارجاً عن حدود الشرع وإن لم يتقيد بمذهب، وطلب المراجع التي أخذ منها القانون فأعطيت له، كما سلمت إليه أيضاً المواد التي يجري العمل بها في المحاكم على خلاف المذاهب، مراعاةً للمصلحة العامة ومسايرةً للتطور، وهي (٩٩) مادة بمراجعها، وقد أبدى إعجابه بها. وقد غادرَنا في الأسبوع الماضي بعد زيارة حضرموت الداخل لمواصلة رحلته في البلاد العربية(١).

وفاة قاضي (دوعن) السابق:

نعت الأنباء فضيلة الشيخ العلامة عمر بن أبي بكر الحوَيرث قاضي (دوعن) السابق، فقد اختطفته يد المنونِ إثر إصابته بالفالج الذي لم يمهله أكثر من يومين، فصعدت روحه إلى بارئها مبكياً عليه من جميع عارفي فضله ونبله، فقد كان إلى غزارة علمه وسعة اطلاعه على جانب عظيم من كرم الأخلاق والأناة والصبر، مما قل أن يوجد له نظير. ومن **المصادفات المؤلمة**: أن وفاته كانت في آخر يوم من أيام إجازته التي تنتهي بإقالته من منصبه، وأن (مراسل دوعن) كان قد كتب عن إقالته كلمة ينتصر له فيها، ولكن الأقدار لم تمهله حتى يقرأها.

وبهذه المناسبةِ أذكر أن بعض المسؤولين قد اتصل بي على إثر نشر تلك الكلمة، وأبلغني أنّ عدم إحالة الفقيد إلى المعاش إنما كان سببه عدم قضائه الفترة المقررة لذلك في الخدمة، غير أنه منح مكافأةً ماليةً تقديراً لخدماته. تغمد الله الفقيد برحمته الواسعة وألهم آله وذويه جميل الصبر والعزاء.

---

(١) بعد أن اطلع حضرة الأستاذ جعفر السقاف على ما ورد هنا، رجعت به الذاكرة إلى ما قبل ٥٧ سنة مضت، حينما زار ذلك المستشرق مفتي حضرموت العلامة ابن عبيد الله السقاف، بعد زيارته لعلماء المكلا كما ذكر، وكتب كلمة من فيض الذكريات، وقد جعلتها ملحقاً لهذه المقالة. (باذيب).

ملحق (*)

بقلم الأستاذ جعفر السقاف

مع عالم اللاهوت البريطاني (أندرسن)
مقابلته مع مفتي حضرموت عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

بحكم عملي كرئيس لقلم التسجيل بالمحاكم الشرعية بالدولة الكثيرية، كنت ضمن الحاضرين لقاء هذا العالم البريطاني بمفتي حضرموت في بيته، والذي رتب هذا اللقاء هو السيد سالم عمر المشهور، سكرتير الدولة الكثيرية، وحضر اللقاء قضاة المحاكم الشرعية بسيون، وكتبت مجموع الأسئلة التي قدمها (**كورنيل أندرسن**)(١) لمفتي حضرموت، وعددها (١٥) سؤالاً، أذكر منها:

س١: هل يجوز أن تنكح المرأة نفسها بدون ولي؟

ج: لا يجوز في مذهب الإمام الشافعي، لكن الإمام أبوحنيفة يجيز ذلك وغيره من أصحاب مذاهب قديمة قبل المذاهب الأربعة وبعدها.

س٢: هل تجوز العقوبة بالمال؟

(*) راجع ما تقدم بعنوان: «**مستشرق إنجليزي يناقش علماء الدين**».

(١) انظر كتابه عن زياراته للبلدان العربية بما فيها حضرموت بالإنجليزية، ولدي الصفحات المتعلقة بحضرموت ترجمها لنا الأستاذ محمد بامطرف الذي حضر اللقاء، وهي في مكتبي بسيون، وهذا أكتبه في الرياض في ٢١/ ٢/ ١٤٢٨هـ (ج.س).

ج: في مذهب الإمام الشافعي لا تجوز، لكن أجازها غيره من العلماء، ورأيت في القانون الجنائي الذي أمر به السلطان إجازة ذلك. وقد دعت الحاجة لذلك، مثاله: من خالف نظام مرور السيارات، وهي لو كانت أيام الشافعي أو ابن حجر لراعوا هذه الظروف.

س٣: هل يجوز أن تطلق المرأة نفسها إذا كرهت زوجها؟

ج: يجوز لها ذلك بإعادة المهر للزوج كما جاء في الحديث عن قصة زوجة ثابت بن قيس التي أمرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «أعيدي له الحديقة، ويطلقك تطليقة».

ولا يحضرني بقية الأسئلة، وهي أسئلة في مسائل حساسة، جلها تتعلق بحق المرأة، وقابل الكورنيل اندرسن الأستاذ محمد الشاطري، وكما هو في مذكراته بالإنجليزية، وكما أخبرني الأستاذ محمد بامطرف: أن إعجاب كورنيل أندرسن بالأستاذ محمد الشاطري كان أكثر من إعجابه بابن عبيدالله، ولدي بمكتبي صفحات بالإنجليزية من «مذكرات كورنيل أندرسن». وهكذا اسمه مسجل بها (كورنيل أندرسن)، لأنه كان بالجيش بهذه الرتبة قبل اتجاهه إلى علوم اللاهوت، أي علوم الأديان، ومنها الدين الإسلامي.

كتبه جعفر محمد السقاف (أبو كاظم)(*)

(*) وكتبته بعجل مع مغادرة الأستاذ الباحث محمد أبوبكر الرياض، ونحن بمكتبة ومنزل رفيق العلماء والباحثين وفاتح مكتبته لروادها من مختلف البلدان الشيخ محمد بن عبدالله آل رشيد، أبو نواف، منحه الله تعالى بركة في عمره وماله وولده، إنه سميع الدعاء. (ج.س).

(٧)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت الثانية(*)

حدث تاريخي له ما بعده:

لقد تم في هذا الأسبوع حدث تاريخي مهم بالنسبة لهذه البلاد، جدير بأن يسجل بمداد الفخر والإعجاب، ذلك هو اتفاق (الأحياء الثلاثة) التي تتألف منها عاصمتنا (المكلا): البلاد، الحارة، وبرّع السدة. تلكم (الحارات) التي مر عليها عهد طويل بغيض - نأمل أن لا يتكرر - في تدابر وتناحر لا نجد لهما أي مبرر أو سبب مستساغ، مما أضاع عليها وفوت على الشعب المسكين كثيراً من الحقوق المشروعة، وفتح للمَصْلَحيين وذوي الأغراض ثغرة يلِجُون منها لكيده ومناوأة حقوقه، ومن تحصيل الحاصل، بل من البديهيات، أن نقول: إن الفرقة لم تكن يوماً ما من دواعي الفوز والنجاح، إذ هي دائماً من أسباب الخسار والتباب.

ويرجع الفضل في جمع كلمة هذه الحارات ولم شتاتها، إلى المطالب التي كان بعض العقلاء والمفكرين من أبنائها قد ضمّنوها عريضتَهم التي رفعوها إلى عظمة السلطان (مما نشرت النهضة تفاصيله في العدد ٤١)، فقد حدث بعدَ ذلك أن تلقّوا من سكرتارية الدولة رداً على هذه العريضة فحواه: أنها ترشدهم إلى الاتصال رأساً بـ«**اللجنة الخيرية**» للتفاهم مع أعضائها فيما ورد في العريضة بخصوصها. أما عن الماء؛ فقد قالت: إن الحكومة تبذل

(*) «صحيفة النهضة»، (٤٣)، ١٩ ذو الحجة ١٣٦٩هـ، ٢١ سبتمبر، ١٩٥٠م، ص٤.

جهدها في زيادته، وذكرت عن رسوم البلدية: أنها قليلة جداً بالنسبة إلى المصروفات.

وقد ظهر أن هذا الرد لم يكن فيه ما يقنع مقدّمي العريضة، ولا ما يتفق مع مجال الأمل الذي فسحه لهم عظمة السلطان حين تشرفهم بالمثول بين يديه، لذلك رأوا معاودة الكرة مرة أخرى، ولكن مع تحويل اتجاه الخطوة إلى ناحية (المستشارية)، ويظهر أنهم في هذه المرة قد فطنوا إلى موضِع العلة ومكمن الداء في فشلهم، وعرفوا أنه الفُرقة ونشازُ الصوت واختلاف الكلمة، فانبرى فريقٌ منهم قبل كل شيء لعلاج هذا الداء المستعصي- منذ أمد مديد.

ولما كان الجميع متحدي المشاعر والأحاسيس، فقد أبرزت المساعي المبذولة أن سائر (الحارات) على أتم الاستعداد لتناسي الماضي ودوس أحقاده بالأقدام، واستقبال عهد جديد مليء بالأخوة والتصافي مفعم بالحيوية والنشاط. وهكذا والَى ممثلو (الحارات) عقد اجتماعاتهم ليالي متتابعة في دار (الحزب الوطني)، وأسفرت (ليلة الأربعاء ١٢ سبتمبر) عن اتخاذ قرار باتحاد (الحارات الثلاث) وتكوين هيئة ممثلة لها جميعاً مؤلفة من (١٢) عضواً يمثل فيها كل حارة ٤ أعضاء، وهم:

- من (**البلاد**): المقدم سالم تمامان، عوض سعيد بكير، أحمد بن نبهان، عبد الله ابن طُرُش.
- ومن (**الحارة**): المقدم صالح دِحَي، سعيد مطران، علي باحسين، فرج بوسَبعة.
- ومن (**برّع السدة**): المقدم عبود بوعسكر، عوض القُحُوم، عبيد الفَضْلي، سالم دَعْكيك.

وكان أول عمل افتتحت به الهيئةُ الجديدة عهدها: أن قررت تقديم عريضة أخرى إلى سعادة (المستشار المقيم) بنفس المعنى والمطالب الثلاثة التي تضمنتها العريضة الأولى التي

رفعت إلى عظمة السلطان، وذلك لإجماعهم على عدم الاقتناع برد (السكرتارية)، على أن تحمل العريضة الأخيرة توقيعات أعضاء الهيئة مع توقيعات أكبر عدد ممكن من الشعب.

وقد خصص لتسجيل التوقيعات في دار (الحزب الوطني) ثلاثة أيام بلياليها تبدأ بليلة الجمعة (١٥) سبتمبر، فما وافت هذه الليلة حتى كنت ترى العاصمةَ في حالة غير اعتيادية، والجو فيها مكهرب، وليس للناس حديث غير هذه الحركة، والجماعات تفد زرافات ووحداناً إلى (دار الحزب)، بحيث لم يبق فيها تلك الليلة متسع لقدم، وما زالت التوقيعات مستمرة وقد بلغت حتى مساءَ اليوم (١٦ سبتمبر)، كما اتصل بي أكثر من ألفي توقيع، والمظنون: أن العريضة ستقدم صباح الغد.

وقد خلّفت هذه الحركة أثراً يعبر عنه تساؤل البعض: عما إذا كان القائمون بها محقين في التجائهم إلى (المستشارية)، وهي أجنبية عنّا ما دامت (السكرتارية) تحيلهم إلى التفاهم مع أعضاء (الخيرية)؟ وقد حاولتُ الاتصال بأفراد يعبرون عن آراء الطرفين (الطرف القائم بالحركة الشعبية)، و(الطرف الممثل للخيرية)، ففهمت من خلاصة أحاديثهم: أن الطرف الأول لا يرى أيّ جدوى من التفاهم مع رجال (الخيرية)، الذين يقول عنهم: إنهم برهنوا في مناسبات عدة على عدم استعدادهم للتفاهم، بل بالعكس قد ردّوا بجفاء عظيم على كل من حاول ذلك معهم من قبل، فهم يسيطرون على (الخيرية) بصورة ديكتاتورية، ولا يسمحون لأحد غيرِهم برأي، ويستغلونها استغلالاً لا يرضي الشعب، فالسكوت عن تصرفاتهم هذه وعدم محاسبتهم على أموال ضخمة تجمع من الشعب لمصالح الشعب، وقد بلغت في بعض السنين نحو (المئة والأربعين ألف روبية)، ظلم ليس بعده ظلم، ونعتبر أنفسنا مسؤولين عنه أمام الله والتاريخ، إذن فلا ضير ـ بل لا مندوحة ـ من الالتجاء إلى (المستشارية) بعد استنفاد الجهد، هذه خلاصة ما يقوله الطرف الأول.

بينما الطرف الثاني يؤكد أنه على استعداد تام لعرض الحسابات وقبول المقترحات

التي تقدم إليه، ويرمي الطرف الأول بالتعجل في رفع شكواه إلى (المستشارية)، غير أن الأيام القريبة كفيلة بكشف النقاب عن الحقيقة، فلننتظر.

لماذا السودانيون والسودانيون فقط؟!

بدأ يتحقق ما كنا قد ألمعنا اليه في (رسالة ماضية)، عن قرب وصول موظفين من السودان للحكومة القعيطية، فقد بعث إلينا سعادة الشيخ القدال بالفوج الأول منهم، المكون من أربعة سودانيين جدد، وصَل **أولهم** مع سعادة المستشار المقيم، وهو معين لوظيفة التدريس، وقدم **الثلاثة** الآخرون في الأسبوع الماضي، **وأحدهم**: معين لوظيفة في السكرتارية، **والآخر**: مدرس، **والرابع**: مهندس لمضخات الري.

وقد أفضى إليَّ مصدر عليم: أن سعادة الشيخ القدال كتب إلى المراجع الرسمية يشكو ما يلقاه من الصعوبات في اختيار بقية الموظفين المطلوبين من السودان، وهذا يجعلنا نتساءل عن سر الاستماتة والاستقتال في اختيار السودانيين لوظائفنا؟!

وليس معنى ذلك: أنا نكره إخواننا السودانيين، أو ننكر عليهم أخوتهم، أو نعقّهم ونجحد فضلهم، كما أنا نعترف صراحة بأنا في دورٍ من التطور يقتضينا الانتفاع بكفاءات غيرنا، وما في ذلك من بأس، فتلك سنة الطبيعة في جميع الشعوب. ولكن الذي يحيرنا: أن يكون إخواننا السودانيون هم وحدهم ضربة لازب بالنسبة إلينا. نعم؛ إنهم إخوان لنا كرام، نجل أخوّتهم، ونقدرها حق قدرها، ونشكر من أسدى إلينا منهم أيّ خدمة، غير أن رابطة الاخوة التي تجمعنا بهم ليست بأوثق من رابطة أخوتنا للشعوب العربية الأخرى، فمن البر بهذا الإخاء أن تكون استفادتنا من كفاءات إخواننا العرب جميعاً على اختلاف مواطنهم بصفة مشتركة، وإلا كنا قد برَرْنا بالبعض في حين قد عقَقنا الآخرين!

يحاول البعضُ أن يهمسَ في آذاننا ليفهمنا أن السرّ في وقوع الاختيار على السودانيين هو كون سعادة (المستشار المقيم) قد قضى وقتاً طويلاً في (السودان)، فهو يرغب في رد

الجميل لها بتوظيف أبنائها في حضرموت، فهل يمكننا أن نعقل: أن سعادته يرعى حقوق صداقته على حساب عقوق أبناء الوطن لإخوانهم؟! إننا نستبعد ذلك!

على أن لنا إخواناً من أبناء الحضارم أنفسِهم، لديهم من الشهادات والكفاءات ما يبوّئُهم أعلى المناصب في بلاد آبائهم وأجدادهم، ويفسح لحكومتنا مجال الانتفاع بمواهبهم، ومع ذلك.. نراهم مشتتين في بقاع الأرض، لا تريد حكومتنا أن ترفع إليهم طرفاً، ولا أن تعيرهم سمعاً، فقد أهملت شأنهم، بينما نشاهدهم موضع الرعاية والتقدير من الحكومات والشعوب العربية والإسلامية الأخرى، ولسان حالهم يرد قول الشاعر:

أحَرامٌ علَى بلابِله الدَّوحُ حَلالٌ للطّيرِ من كلِّ جِنسِ

* * *

(٨)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

سفر عظمة السلطان:

قذفت عاصمتنا المكلا وغيرها من مدن الساحل، صباحَ يوم الاثنين الماضي (٢٥ سبتمبر)، بأفلاذ كبدها وصفوة أبنائها إلى مطار (الريان)، حيث احتشد جمع غفير من رؤساء الدوائر والوجهاء والأعيان وجماهير الشعب، لتوديع صاحب العظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي، الذي أزمَع القيام برحلة إلى الهند ماراً بعدن، فكان يوماً مشهوداً، دل على مبلغ تعلق الشعب بسلطانه، ومظهراً رائعاً تجلى فيه مقدار ما يكنه لعظمته من عواطف الحب والإخلاص والجلال. وقد استقبلت عظمته عند نزوله من السيارة إلى ارض المطار ثلة من الجيش بأداء التحية العسكرية وعزف النشيد، كما ودعت عظمته بمثل ذلك عند صعوده إلى الطائرة. وكان في مقدمة مودعيه سمو ولي العهد، وسعادة المستشار المقيم، وعزة سكرتير الدولة.

وقد علم أن غياب عظمته لن يطول أكثر من ثلاثة أشهر، وسينوب عن عظمته أثناء هذه المدة سمو ولي العهد الأمير عوض بن صالح القعيطي. ويرافق عظمته في هذه الرحلة سعادة مساعد السكرتير السيد عبد الرحمن الجيلاني. والمشاع أن الغرض من زيارة عظمته للهند هو تصفية بعض المشاكل المالية والعائلية الخاصة بالأسرة الحاكمة. كلل الله مساعي

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٤٤)، ٢٣ ذو الحجة ١٣٦٩هـ.، ٥ أكتوبر، ١٩٥٠م.

عظمته بالنجاح ومد في حياته، وكان معه في حله وترحاله.

كلمة الشعب من كلمة الله:

كنت قد أشرت في رسالتي الماضية إلى أن من المظنون أن عريضة الأهالي المتضمنة مطالبهم والتي تحمل بضعة آلاف توقيع، ستقدم إلى سعادة المستشار المقيم يوم الأحد (١٧ سبتمبر). ولم يكن ذلك مني رجماً بالغيب، فقد كانت النية معقودة إلى حين كتابة (الرسالة الماضية) على ما ذكرت، ولكن يظهر أن ممثلي الشعب كانوا أحصفَ وأبعد نظراً وأعظمَ إخلاصاً بكثير مما يظن الظانون، فرأوا في اللحظة الأخيرة ـ على ضوء المصلحة الوطنية والاخلاص للوطن ـ أن يستفرغوا الجهود حتى الثمالة في سبيل التفاهم المباشر مع السكرتارية، سيما بعد ما أبدته في النهاية من الاستعداد للتفاوض والتفاهم مع الهيئة الممثلة للشعب. وذلك خشية أن يستعجلوا أمراً قد يكون فيه مساس بكرامة الحكومة واستقلالها، أو يتخذ سلاحاً لطعنها أو التلويح به في وجهها، اللهم إلا إن أعيتهم الحيل ونفد ما في الجعبة من مهام، فليس على مطالبٍ بحقه من سبيل. وهكذا تمَّ وصْلُ ما انقطع، واستؤنفت المقابلات والمفاوضات وتبودلت الرسائل بين ممثلي الشعب والسكرتارية، التي طلبت في خلال ذلك: الاقتصار على (٦) أشخاص فقط بدلاً من (١٢)، يتولون تمثيل الشعب.

وقد انتهت هذه الاتصالات التي استمرت إلى ما بعد العيد، بكتابة خطاب مؤرخ (٢٧/ ٩) موجهٍ من عزة سكرتير الدولة إلى سكرتير اللجنة الخيرية، يأمرها فيه بعرض حسابات (الخيرية) وكيفية صرف أموالها، والتفاهم مع الهيئة الشعبية على ذلك. وعلمت أنها تقوم الآن باختيار محاسبين خبراء يتولون تفتيش الحسابات. كما وجه عزته خطاباً آخر بالتاريخ نفسه إلى سكرتير البلدية يشير فيه بدرس موضوع الماء ورسوم البيوت وإبداء رأيها في المسألتين.

وقد بدأ المجلس البلدي اليوم (٣٠/ ٩) بعقد أولى جلساته الخاصة بذلك،

والمتوقع: أنها ستكون حاميةَ الوطيس، وسيطول فيها الأخذ والرد، ويشتد النقاش، لأن بين أعضائه أعضاء غير رسميين يمثلون (الحارات)، أو بكلمة أخرى: (الأهالي)، وهؤلاء لا ينتظر منهم أن يتساهلوا في شيء من مطالب الشعب، أو يفرطوا في حق من حقوقه. على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد! فقد استدعى المهندس المستر (بكين)، وها هو ذا يقوم منذ عدة أيام بتفتيش عيون الماء في: الصفاء، والبقرين، والمنورة، والمعاوص وغيرها، ليقيس أبعادها وغزارتها وقوة اندفاعها وصلاحيتها لإجرائها إلى داخل المدينة سداً لحاجة السكان.

حقاً! إن كلمة الشعب هي من كلمة الله، فإن هذه المطالب ليست في الحقيقة وليدة اليوم، فقد انطلقت بها الصيحات من قبل، ولكنها كانت ترتفع من أوزاع من الناس وأشتات، فلم تكن لتؤثر أثرها، ولم تكن لتزعجَ الرجال المسؤولين وتهيب بهم إلى الاستجابة لتلك الصرخات، حتى إذا ما توحدت الكلمة وجلجلت صرخة الشعب مدوية ومنطلقة من حنجرة واحدة، كان لها فعل الإكسير، ومعنى كلمةِ الله! ومن ذا الذي يصد كلمةَ الله أن تنفذ! إن الشعب قد ملكَ الإكسير، ونادى بكلمة الله، فهل لنا أن نرجوه الاحتفاظ بهما والحرص عليهما صوناً لمصالحه المتعددة وحقوقه الكثيرة؟! إن ظننا فيه لجميل.

وفد (الغيل) يشكو ويستغرب:

يوجد في العاصمة اليوم وفدٌ من أعيان مدينة (الغيل) المشهورة بزراعة (التنباك) يتكون من ٩ أشخاص، وقد قدموا للتفاهم مع سعادة المستشار المقيم الذي فرض عليهم شراء (١١٠) مضخة لاستخدامها في الزراعة.

ومن المعلوم أن (الغيل) تعتمد في زراعتها على العيون الجارية هناك بكثرة، فهي ليست بحاجة إلى المضخات، وهم لذلك يستغربونَ إجبارهم على شرائها، وبفرْضِ أن سعادة المستشار يريد منهم القيام بمشاريع زراعية في نواحي أخرى غير (الغيل)، فلا يكادون يفهمون سرّ حملهم على شراء نوعٍ خاص من المضخات قد ظهر عدم صلاحيته

للأعمال الزراعية في حضرموت، كما اتضح ذلك عملياً وأيده تقرير المهندسين، مما أدى بمزارعي الداخل إلى الامتناع عن شرائه، ويقولون: إنه إذا كان ولا بد من شراء مضخات فلتكن من نوع (يونيبورن)، الذي تحققت صلاحيته واستوردته الحكومة حديثاً.

وقد علمتُ ممن اتصلتُ بهم من أعضاء الوفد: أنهم في حالةِ إصرار سعادة المستشار على رأيه سيقفون موقفاً سلبياً يتلخص في الامتناع عن الشراء، وإن أدى بهم ذلك إلى دفع الثمن في غير ما مقابل. والاتصالات حتى كتابة هذه الرسالة (٣٠/ ٩) ما زالت مستمرة، فنرجو أن تنتهي بتسوية مرضية.

* * *

(٩)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

جنود الحكومة تحتل معاقل آل بارشيد:

شوهد المقدّم عبد الله بدّريس ـ زعيم قبيلة آل بارشيد بحَجْر ـ يتردد على سكرتارية الدولة في المكلا، تبدو عليه علائم الاستياء وعدم الارتياح، فكان ذلك مبعث تساؤل واستغراب بالنسبة إلى من يعرف قوة شكيمة القبيلة التي يتزعمها ومجاملة الحكومة لها، فقد كانت دائماً مخطوبةً لا خاطبة، ولم يكن من المظنون ولا من المألوف أن يأتي زعيمها ساعياً إلى دوائر الحكومة. وهذا ما حدا بنا إلى محاولة استكشاف ما وراء الأكمة، وإماطة اللثام عن سر مقدمه، فعلمنا: أن جنود الحكومة قد احتلت حديثاً بعض المراكز المنيعة لآل بارشيد، ومنها (المصنعة): حصن واقع في نقطة ـ يمكن أن تعتبر استراتيجية ـ تشرف على ما تحتها من خطوط المواصلات وتسيطر عليها سيطرةً تامة.

ولذلك لم تكن الحكومة لترضى ببقائها محتلة من قبل آل بارشيد، غير أنها في الوقت نفسه كانت تخشى ـ كما يظهر ـ إغضابها أو إثارتها، لما كان يبدو لها من منعتها وعزتها، مما حملها على الاستخفاف بأوامر الحكومة وعدم التقيد بها في بعض الأحيان، فبقيت هذه على مضض تتحين الفرص، حتى إذا ما لاحت لها تذرعت بمخالفة تلك القبيلة بعض الأوامر لكي تضربها الضربة القاضية، فكان ما كان من احتلال الجنود لحصونها وقلاعها مما سردناه

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٤٥)، ١ محرم ١٣٧٠هـ، ١٢ أكتوبر، ١٩٥٠م.

آنفاً.

وقد كان من المتوقع أن تثور ثائرتها من جراء ذلك، ولكن الواقع كذّب كل حدس وتخمين، فبدلاً من الثورة أو الاحتجاج رأينا زعيمهم عبد الله بدّريس يقدم إلى المكلا راضخاً وباذلاً الطاعة، فيتم الاتفاق بينه وبين الحكومة على الاحتكام إلى القرار الذي سيصدره نائب لواء حَجْر، ومعلوم بالبديهة أن هذا القرار لن يكون في غير صالح الحكومة، إذ لم يعد سراً أنها طالما كانت تتحين الفرص لطرد آل بارشيد من تلك المواقع الحصينة.

و(قبيلة آل بارشيد): هي إحدى فروع (قبائل نوّح) العديدة، العظيمة البأس، والشديدة المراس، وهي أكثرها عدداً وأعتاها، ومواطنها في مقاطعة حجر. **وزعيمها**: عبد الله بدريس، شيخ طاعن في السن. وقد بلغ من استخفافها بأوامر الحكومة: أنها كانت قد حظرت تصدير التمور إلى خارج اللواء بغير ترخيص منها، محافظةً على حاجة البلاد، ولكن قوافل آل بارشيد استمرت تجلبها إلى مقاطعة دوعن، وفي هذه السنة نقلت كميات وفيرة من التمر إلى موضع قريب دوعن لتهريبه منه بدون ترخيص، وزيادة على ذلك كانت لا تخضع لأي نفوذ على بلادها، بل كانت تأبى أن يساكنها الأجنبي عنها وترغمه على النزوح.

أما (**الحصن**) الذي احتلته جنود الحكومة فقد شيد منذ سنتين تقريباً، عقب مؤتمر «**السويرقة**» الذي عقد بالقرب من دوعن، وينازع في ملكيته شيخُ «بضه» الذي يؤكد أنه بنيَ بأمره في عهد الرابطة البدوية، وكذلك آل بن دغار، ويقول هؤلاء: إن آل بارشيد لم يكونوا سوى منفذين لما تقرر في (**مؤتمر السويرقة**).

من أجل خدمة سكرتير الدولة:

لقد علم القراء من (رسالة ماضية) أن عقدَ الخدمة بين الحكومة وصاحب العزّة الشيخ سيفِ سكرتير الدولة القعيطية، ينتهي أجله بهذا الشهر (اكتوبر). ولكني علمت من مصادر يمكن الوثوق بها أنه لم يبتّ حتى الآن في موضوع تجديد عقد خدمته أو إنهائها، غير

أنه رؤيَ أن يواصل عزته مهام منصبه الحاضر ثلاثة أشهر أخرى إلى مفتتح العام الجديد، ريثما يعود عظمة السلطان من رحلته إلى الهند، ويتخذ القرار النهائي بصدد من يتقلد منصب سكرتير الدولة.

الشعب و(الخيرية):

اتصل الأعضاء الستة الممثلون للشعب برجال (الخيرية) للتفاهم معهم على طريقة صرف أموالها وتفتيش حساباتها، حسب الأوامر التي استصدرت من السكرتارية. فعقد أول اجتماع من ممثلي الطرفين، وقد رغب الأعضاء الستة في الاستعانة ببعض الخبراء المحاسبين للتفتيش، فأبى رجالُ (الخيرية) عرضَ الحسابات على غير أولئك الستة الذين وردت أسماؤهم في خطاب سكرتير الدولة، وكادت أن تحدثَ من جرّاء ذلك مشادة تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، لولا تعقّل ممثلي الشعب وتذرعهم بالصبر، فقد جارَوا رجال الخيرية مؤقتاً على ما يريدون، ريثما يستصدرون أمراً آخر من السكرتارية يخوّلهم حقَّ الاستعانة بالمحاسبين، بالنظر إلى أنهم ـ على الرغم من وقوع اختيار الشعب عليهم ـ يعترفون بقصورهم وافتقارهم إلى خبرةِ المختصين بشؤون الحسابات.

ولقد كنا نود أن لا تمانع (الخيرية) في السماح لهم بذلك، لكي تبرهن أنها حقاً ـ كما تحدّث رجالها في غير ما مجلس ـ مستعدة لعرض الحسابات على كل من يطلبها من أفراد الشعب، بدون حاجة إلى أوامر أو وسائط.

إن كلمةَ الحق التي يجبُ أن تقال في هذا الموضوع هي أن أيّ هيئةٍ مفاوضة يحق لها أن تستعين تحت مسؤوليتها بمن تشاء من الخبراء الذين لهم صفة العضوية الرسمية كما جرت العادة بذلك حتى بين الحكومات في مفاوضاتها، مع حرص كل واحدة منها على التفوق واكتساب أكثر ما يمكن على حساب الأخرى، فما بالك **بالخيرية**! التي هي من الشعب وللشعب، والتي لم تؤسس على اعتبارات التفوق والاكتساب!

ولا نكتم عن القراء: أن تفتيش الحسابات من قبَلِ من لا خبرةَ لهم بها لـن يـؤدي إلى النتيجة المتوخاة، اللهم إلا أن يقال ان (الخيرية) قد عرضَـت حسـاباتها عـلى ممـثلي الشـعب تبريراً لموقفها، في حين أن عرضَ شئ على من لا خبرةَ له به وعدمَ عرضه سيّان.

* * *

(١٠)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

زيارة الشحر:

ليس بخاف على قرائنا الكرام أن أكثرَ الأقطار الإسلامية، قد اعتادت الاحتفال بذكرى عظمائها على اختلاف في مظاهره. ولم يكن ليشذَّ عن ذلك قطرُنا الحضرمي بالطبع. فكان مظهره عندنا إقامة ما يسمي بـ (الزيارات)، التي أصبحت بتوالي الزمن بعضَ عادات البلاد وتقاليدها.

ولم نعلم أن زيارةً من هذه الزيارات أحدثت ضجةً وزوبعة عظيمتين في الأوساط الشعبية والدوائر الرسمية، كزيارة الوليّ الصالحِ الحبيب سالم بن عمرَ العطاس، التي تقام في منتصف شهر المحرّم من كل عام بمدينة الشحر، وتعتبر من أعظم الزيارات التي يحجّ إليها الناس من مختلف النواحي الدانية والشاسعة، وتنشَطُ فيها الحركةُ التجارية نشاطاً عظيماً، يمكننا أن نعتبرَه المورِدَ الوحيد الذي بقي لسكان تلك المدينة التي أَخْنَى عليها الدهر بعد تاريخ حافل مجيد يمتد إلى ما قبل ألفي سنة:

وإذا نظرت إلى البلاد رأيتها ... تشقى كما تشقى العباد وتسعد

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٤٩)، ٢٩ محرم ١٣٧٠هـ، ٩ نوفمبر، ١٩٥٠م.

وهي حالة تستثير لواعج الأشجان، وتستدر عطفَ كلِّ وطني مخلصٍ، وتتطلب منه أن يكون معيناً ومسعفاً لها في محنتها التي أسالت عبرات شاعرٍ من أصدقائنا عندما زارها، فجعلته يقول من قصيدة مطولة:

جئتُ مرتادَها فشاهدتُ ربعاً ... لوَّحَتْ حُسنَه الخطوبُ العوادي
فتأمَّل بالى الديار تجدْهَا ... لابسَاتٍ ثوبَ الأسَى والحدادِ
كنَّ بهجةً وحُسنَ رواء ... آهلاتٍ برائح وبغَادِ
ثم بانَت لفَقدِهم فعَليها ... وحْشَةُ الثَّكلِ في الوَحيد المفادِى
وقَفَ الشِّعرُ باسِماً وحَزيناً ... في رُبُوعٍ وفي طُلولِ (سعادِ)
هيّجتْه الأطْلالُ فانسَاب يبكِي ... مَعلَماً مِن مَعَالم الأجدادِ!

يظهر أن الاستطراد شطَّ بي عما أنا بسبيله، غير أني أردت إلفات نظر المواطنين إلى أن تلك الحالة الباعثة على المرثية والإشفاق لم تكن من حقها أن تسمح لوطني يحمل أرق العواطف لبلاده بأن يكون إلباً عليها مع الدهر!

ولعل ذلك كان في طليعة أسباب الضجة التي أثارها في العام الماضي إلغاء الزيارات من قِبل (لجنة الشؤون الدينية)، بحجة ما يحدث فيها من المنكرات واختلاط الرجال بالنساء، لا سيما وقد جاء هذا المنع في مصادفة (زيارة الشحر)، وكان سكانها قد استعدوا لاستقبالها بما اعتادوه سنوياً من جلب السلع وحشد البضائع وتزيين الأماكن وتهيئة وسائل الراحة للضيوف الزائرين. فكان طبيعياً أن تنكب البلاد بالمنع نكبة اقتصادية هائلة، مع أن في الامكان تفادي ما تشكو منه اللجنة بإصدار الأوامر واتخاذ الاحتياطات التي تحولُ دون وقوعِ المفاسد والمنكرات، ولو على اعتبار كون الزيارات ليست من الدين في شيء، بل بصفتها بعض عادات البلاد وتقاليدها، ومواسم اقتصادية تنشط فيها الأسواق، كصورة

مصغرة من أسواق العرب المعروفة في التاريخ التي اشتهر منها (سوق عكاظ)، وعرف من بينها (سوق الشحر) أيضاً.

ومما يجدر بالذكر: أن المنع لم يسر مفعوله على غير (زيارة الشحر) من الزيارات الكبرى، فقد حدث بعد ذلك أن حان موعد (زيارة النقعة)، وهي من الزيارات المشهودة أيضا، فاتصل القائمون بها مباشرة بعظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي فسمح بإقامتها، وقيل لي: إنه شهدها بنفسه. ولعل حضرات القراء لم يزالوا يذكرون الجدل الذي أثارته (زيارة الشحر) على صفحات بعض (الصحف العدنية) في العام المنصرم.

وأخيراً صادف أن كان سموُّ ولي العهد الأمير عوض بن صالح القعيطي في (زيارة للشحر) عقيب عيد الأضحى، فاستلفت نظره البؤس المخيم على ربوعها، والبطالة السائدة بين أهلها، ووقوف دولاب الحركة التجارية في أسواقها، فذعر لهذا المصير المؤلم وتساءل عن سره ودواعيه. ولما علم أن من بين أسبابه العديدة: تعطيل الزيارة، التي تحالفت الظروف السيئة على أن لا تدع لها مورداً غيرها تنتعش به حالته الاقتصادية، اهتم سموه بالأمر وبمعالجة الحالة، وأصدر أمره السامي بالغاء (منع الزيارة)، مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لاستبعاد اختلاط الرجال بالنساء، والحيلولة دون كل ما ينافي الشرع.

وهكذا شاهد الناس (زيارة الشحر) تعود سيرتها الأولى في هذا العام، وقد بلغت أوجَ عظمتها، واشترك فيها سمو ولي العهد بنفسه، كما ساهمت فيها (الموسيقى السلطانية)، وجاءها الزوار من النواحي القاصية وكل حدب وصوب. حتى لقد ذكر بعض الطاعنين في السن من سكان الشحر: أنهم لم يشاهدوا طيلة حياتهم عدداً من الزوار يضاهي في كثرته زوار هذا العام، وقد قدرهم البعض بنحو (ثلاثين ألفاً). أما الانتعاش الاقتصادي فيكفي لتصوره أن بعض الخبراء بحركة الأسواق قدر ما تم في الزيارة من الصفقات والتبادل التجاري بنحو ثلاثمائة ألف روبية.

[ترجمة صاحب الزيارة، وتاريخ تأسيسها]:

وقد كانت وفاة صاحب الذكرى الذي تقام باسمه الزيارة السيد سالم بن عمر العطاس، في الفترة الواقعة ما بين (١٢٢٢ــ ١٢٣١)، وهو من أسرة **العطاس** المشهورة والخصبة بإنتاج العظماء من الرجال، والتي يتصل نسبها بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان قد اشتهر بالصلاح والتقوى مع التواضع، فأحبه الناس في عهده وعظموه، وطلب منه سلاطين آل بن بريك أن ينتقل من مسقط رأسه بحريضة إلى الشحر. وبعد وفاته ببضع سنوات بذرَ نواة الزيارة ووضع أساسها عظمة السلطان علي بن ناجي بن بريك، فاستمرت من ذلك العهد تزداد اتساعاً، ويشترك فيها السلاطين بصفة رسمية، ويعتبرونها مظهر من مظاهراً عظمتهم ومجلى من مجالي القومية.

حتى إذا كان عهد عظمة مؤسس الدولة القعيطية المغفور له السلطان عوض بن عمر القعيطي، كتبت وثيقة اعتراف بمشروعية إقامة هذه الزيارة، بجميع ما يلابسها من عوائد وتقاليد وألعاب شعبية، وبمنحها ما يسمى بـ(الإكرامية)، دلالة على مشاركة الدولة فيها، وهي كما في الوثيقة: (كيس رز ورأس غنم وعشرين ريال).

وقد وقع عظمة مؤسس الدولة القعيطية على هذه الوثيقة، واستمر السلاطين من بعده يوقعون عليها بالتعاقب، كلما تولى أحدهم مقاليد الحكم حتى كان آخر من وقع عليها عظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي مد الله في حياته، وبقيت (الإكرامية) تمنح للقائمين بالزيارة، على الصفة التي وردت في الوثيقة، حتى عدلتها الحكومة الحاضرة وجعلتها (خمساً وثلاثين روبيةً) فقط، وعدا هذه (الإكرامية) فليس على هذه الزيارة أوقاف كغيرها من الزيارات، ولا تتناول هباتٍ أو مِنحاً ذات قيمة، والقائمون بشؤونها وتنظيمها الآن هم أحفاد صاحب الذكرى: السادة عبد الرحمن بن محمد العطاس، وأخواه: أحمد وعمر، والأخيران منضمّان في سلك موظفي الحكومة، الأول منهما: في **سكرتارية الدولة**، والثاني: **قائم** بوادي عمد.

(١١)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

سكرتير الدولة الكثيرية يزور عاصمة الدولة القعيطية:

قدم من الداخل في هذا الأسبوع سعادة سكرتير الدولة الكثيرية السيد سالم المشهور، يرافقه الأستاذ الأديب محمد بن أحمد الشاطري، وسيمكثان بالساحل نحواً من أسبوع، ثم يعود سعادة السكرتير إلى مقر منصبه (سيون)، أما السيد محمد الشاطري فقد يواصل سفره إلى عدن للتداوي، أو يعود إلى تريم.

أسباب الزيارة ودوافعها:

وبتتبعي لأسباب هذه الزيارة ودوافعها ظهر لي أنها ذات وجهين أو صفحتين: **الصفحة البادية** منها للنظرة العابرة، وهي: أنها رد لزيارة عزّة سكرتير الدولة القعيطية، وتوثيق لروابط المودة والإخاء بين الحكومتين القعيطية والكثيرية.

مطالبة المنطقة الكثيرية بحصتها من تبرعات الحجاز:

أما **الصفحة الأخرى** التي تختفي وراء الصفحة المكشوفة، والمضروب حولها نطاق من الكتمان، والتي تكررت من أجلها اجتماعات الطرفين في إدارة سكرتارية الدولة القعيطية، فقد استشففْتُ بعض أسرارها بوسائلي الخاصة. فعلمت: أن المحادثات قد

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٥٠)، ٦ صفر ١٣٧٠هـ، ١٦ نوفمبر، ١٩٥٠م.

تناولت مطالبة المنطقة الكثيرية بحصتها من تبرعات الحجاز لمجاعة حضرموت، وإضافة أعضاء منها إلى لجنة هذه التبرعات.

وقد اتصل بي: أن السلطات العليا بالساحل وافقت مبدئياً على إضافة عضوين من المنطقة الكثيرية إلى اللجنة بشرط موافقة هيئة التبرع في الحجاز.. وليس بخاف على القراء أن هذه التبرعات التي ينيف مجموعها على مائتي ألف روبية، قد جمعت من الحجاز باسم مجاعة حضرموت عامة، ولكنها وضعت تحت اشراف لجنة من أعيان المكلا وأثريائها. ولا يدري الشعب حتى الآن شيئاً عن مصيرها ووجوه صرفها.

خزينة الحكومة الكثيرية لا تحتمل شراء المضخات المخصصة لها:

ومما تناولته المحادثات أيضاً: المضخات المخصصة باسم الحكومة الكثيرية وعددها (١٣ مضخة)، وهي التي يجب على نفس الحكومة دفع ثمنها، بمعنى أنها غير ما ابتاعه أو يبتاعه الشعب الكثيري، ووجهة نظر الحكومة الكثيرية في هذه المسألة: أن خزينتها لا تحتمل شراء هذا العدد من المضخات.

اقتسام ورشة ابن كُوَير:

ولم تقتصر المحادثات على ما سبق، فقد شملت كذلك (الورشة) التي أسسها **الشيخ سعيد بن كُوَير** بقرض من الحكومة. فقد تقرر في هذه المحادثات ـ كما بلغني ـ انتزاعها من مؤسسها وتحويلها إلى الحكومتين بنسب معينة من أسهمها، لكي توضع تحت اشراف مهندسين سودانيين، وبذلك حُرِم مواطنٌ نشيط سباق إلى المشاريع المنتجة، من إدارة مؤسسة وطنية، لينفسحَ المجال لإخواننا السودانيين.

ومما يجدر بالذكر: أن الزائرين الكريمين من الموظفين المخضرمين ـ إذا صح هذا التعبير ـ في الحكومتين الحضرميتين، فالسيد **سالم المشهور** قد كان يتولى منصباً في سكرتارية

الدولة القعيطية قبل توليه منصب سكرتير الدولة الكثيرية، كما أن السيد **محمد الشاطري** كان إلى عهد قريب أحد أعضاء الأسرة القضائية في حكومة المكلا.

فهما ـ لذلك ـ من خيرة من يتولى السَّفارةَ بين الحكومتين، وخليق بالإشارة هنا: أن ما أبداه سعادة السيد سالم المشهور من كفاءة وجدارة في منصبه الحالي، وتسيير دَفة الحكومة الكثيرية بسلام، دليلٌ ساطع على كون الوظائف العليا بحضرموت في غنى عن إسنادها إلى غير المواطنين؛ فنرحب بالضيفين الكريمين ونرجو لهما طيب الاقامة.

(سَودنة) المعارف:

ما زال تدفق الموظفين السودانيين مستمراً، حتى لقد صعب علينا تعدادهم! غير أن من الملحوظ ـ على وجه الإجمال ـ في الدفعات الجديدة: أن الحكومة الكثيرية قد نالت قسطها منهم، وكانوا إلى عهد قريبٍ من حظ الحكومة القعيطية دون سواها!

ويوجد ضمن (**الوارد الجديد**) أستاذ سوداني تجري المناقشة الآن في توظيفه معلما بمدرسة البنات، لأن هذا التوظيف يلقى معارضةً من بعض الجهات التي تعتبره غير متفق مع عادات البلاد وتقاليدها، وقد كان الحديث عنه مثار تعليقات شتى.

والمتعقلون الموسومون بالرزانة يقتصرون على الاستغراب من هذه البدعة الجديدة في نظرهم، سيما وأن تعليم البنات ما زال في دوره الابتدائي، فهو لذلك في غير حاجة إلى جهابذة وعباقرة (يستَوردُون) من الخارج، وإذا كان توظيف الأجانب قائماً على اعتبارات الحاجة وسداد النقص، ففي أبناء الوطن كثير ممن لديهم المؤهلات الكافية لمثل هذه الوظيفة، اللهم إلا إن كان رجال المعارف ..... وهذا ما ينهض الدليل على خلافه! على أن هؤلاء المستغرِبين أنفسهم يعودون فيدفعون الاستغراب عن أنفسهم، قائلين: إن المراد هو (سودنة) المعارف، وقد تمت فعلاً من جميع نواحيها عدا (تعليم الفتاة)، وقد جاء دور سد هذه الثغرة!

وتستطرد بنا المناسبة إلى همسٍ يدور في بعض مجتمات الخاصة يشير إلى أن بعض الموظفين السودانيين سيتقاضون مرتباتهم من (الخيرية)، ولا ندري ما هو المبرر لذلك.

على أن الكلمة النهائية يجب أن تكون للشعب، فقد أصبح اليوم صاحب الكلمة التي يحسب لها حسابها، إذا عرف كيف يستغلها للمصلحة العامة.

تأسيس فروع للحزب الوطني:

خطا (الحزب الوطني) خطوةً جديدةً مباركةً، خرج بها من النطاق الضيق والأفق المحدود بـ(سور المكلا)، إلى مجال أوسع لم تسبقه اليه أية جمعية أو هيئة أخرى من قبل بهذه البلاد. وذلك بالعمل لتأسيس فروع له في الألوية والمقاطعات المختلفة من السلطنة القعيطية، ليثبت بهذه الخطوة الهامة أنه يمثل الشعب تمثيلاً صحيحاً، ويقطع ألسنة المرجفين الذين يحاولون التصغير ـ لغرضٍ في نفس يعقوب ـ من شأن الوعي الجديد الذي بدأ يشع في أفق الحياة الحضرمية، بتصويره في صورة حركة محلية مصطنعة لا يمثل الرأي العام.

فكانت تلك الخطوة من قبل الحزب وما قوبلت به من الترحاب، بمثابة رد عملي على مزاعم هؤلاء، التي هي أشبهُ شيء بمحاولة تغطية الشمس بمنخل، أو إقدام النعامة على دفن رأسها في الرمال هروباً من الحقيقة التي تلاحقها، ولاتَ حين مناص!

وقد بدأ الحزب خطوته هذه بإرسال وفد إلى العاصمة القديمة (**الشحر**) ومدينة (**الغيل**)، وقد قوبل فيهما بما لا مزيد عليه من الترحيب والابتهاج، مما يتفق مع ما اشتهر عن المدينتين من حسن القِرى وكرم الضيافة، فأقيمت له المآدب الرائعة السخية، وعقدت الاجتماعات التي شرح فيها الوفد غرضَه الذي قدم من أجله، وهو: تأسيس فروع للحزب. فأبدى (المناصب) والأعيان والزعماء من البلدين بصوتٍ واحد موافقتهم التامة على ذلك، وطلبوا من الوفد أن يرسل اليهم الحزب نسخاً من القانون واللائحة الداخلية، تمهيداً لتأسيس فرع في الشحر وآخر في الغيل، كما أعربوا عن تأييدهم مادياً وأدبياً وبكل قواهم

للحركات التي قام بها الحزب، وضمّنوا ذلك كلّه رسالة وقع عليها (مناصب) **الشحر** وأعيانها وزعماؤها، وأخرى وقع عليها أعيان **الغيل** وزعماؤها.

والذي هو أدعى إلى الفخر والإعجاب: أن أهالي (**الديس**) بعثوا بوفدهم إلى المكلا للاتصال بالحزب قبل أن يتمكن هو من الاتصال بهم، فقد قدم ليعلن رغبتهم في تحويل ناديهم الحالي إلى فرع للحزب، وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على الوعي العام الشامل الذي يترقب الفرص للظهور والبروز! وهذا الوفد مكوّن من الأفاضل: عوض محمد باخوّار، وعبد القادر عمر باخوار، وابراهيم مكنون، وعبد الرحيم جنيد، وسعيد باخوار.

وبهذه المناسبة أقيمت في دار الحزب ليلة الأحد ٤ نوفمبر الجاري: حفلة تكريم واستقبال لوفد الديس، ولأعضاء الحزب العائدين حديثاً من الحج، وهم الأفاضل: عبدالله باعامر، وهادي بهيان، وسالم بوعسكر، وأبو بكر بامنصور. وفي هذه الحفلة أيضاً: استعرض وفد الحزب العائد من الشحر والغيل ما حققه من مهمته التي تكللت بالنجاح كما يظهر مما سبق، وتلا على الحاضرين رسالتي الشحر والغيل الآنفتي الذكر.

تحقق استقالة سكرتير الدولة:

أرجو أن لا يستغرب القارىء إذا ما منحت منصب سكرتارية الدولة القعيطية بعض الاهتمام الزائد فكررت الكتابة فيه، فإن اهتمامي به من اهتمام الشعب نفسه، لأنه قلق على مصير هذا المنصب الخطير الذي يظهر أنّ الدوائر العليا تفكر في ترشيح كل أحد له إلا المواطنَ ابنَ البلاد! متجاهلةً بذلك أبسط رغبات الشعب وحقوقه.

ويمكنني اليوم أن أذكر استناداً إلى مصادرَ يوثق بها: أن عزة الشيخ سيف سكرتير الدولة القعيطية الحالي قدم حديثاً استقالته النهائية من منصبه، وقد نشأ عن ذلك قيام صراع عنيف في الدوائر العليا حول ترشيح أحد اثنين خلفاً له: سعادة الشيخ القدال، مدير

المعارف (وهو من السودان)، والمستر جهان خان، السكرتير المالي (وهو من الهند) ولكل واحد منهما مؤيدوه ومناصروه في الدوائر الرسمية.

أما الشعبُ، صاحبُ الحق الشرعي: فقد أدركتُ من استطلاع الآراء أنه إنما يريد أن يتبوأ هذا المنصب أحد المواطنين الأكفاء، كما هو الواقع في سكرتارية الدولة الكثيرية، وهو أمر لم يحاول المسؤولون التفكير فيه. ولذلك أحببتُ أن أكون واقعياً فأستشفَّ رأي الشعب عما إذا كان ولا بدّ من اختيار أحد الاثنين، فأيهما يفضلون؟

فوجدتُ الأكثرية منصرفةً عن إبداء رأي فيما فرض على الشعب فرضاً ولم يعترف له بحقه فيه، مع احترام الشخصيتين الكبيرتين اللتين لهما ميزاتهما الجديرة بالإعجاب والتقدير، ولكن المسألة مسألةُ حقوقٍ وطنية يجب أن لا تضيع على حساب المجاملات! **والطريف** أن أحد من استطلعتُ آراءهم في الموضوع يرى أن من مصلحة الوطن وجود التوازن في الموظفين الأجانب! وهو يعني بذلك أنه يفضل أن يكون سكرتير الدولة من الهنود بالنظر إلى تكاثر الموظفين السودانيين، ويفسر نظريته هذه برغبته في سد باب التواطؤ في حالة ما إذا آلت الوظائف الكبيرة إلى أيدي طائفة خاصة من الأجانب! كما هي الحال الآن، أو كما هي صائرة إليه. على أنه يجب أن لا نغفل الاشارةَ إلى أن عزة الشيخِ سيفٍ سيبقى مؤقتاً في منصبه، إلى حين عودة عظمة السلطان صالح من الهند.

غموض أو إهمال..؟

كتب إليّ أحد أهالي دوعن يطلب مني نشر كلمته التالية ضمنَ إحدى رسائلي، وهأنذا أجيبه إلى طلبه وأضع كلمته تحت أنظار الجهات المسؤولة، قال:

«منذ بضعة أشهر أطلق رجل من قبيلة آل (بافلان) عياراً نارياً على آخر من قبيلة (الجاسرة)، فأصابه في لحيه، وأخذ المجني عليه للمعالجة، ولم يفهم الباعث لهذا الاعتداء. وقد مرت بضعة شهور على الحادث دون اتخاذ أي اجراء فيه، ويتساءل الناس عن المتهم

الذي اختفى بعد الحادث، ويخشون أن يكون مصيره كمصير من قبله من القتلة الذين فروا من وجه العدالة بعد ارتكاب جناياتهم.

إذ إن هذا الحادث يذكرنا بحادثة وقعت منذ مدة قريبة، ذهب فيها (باراسين) ضحية اغتيال واختلاس نقودٍ كان يحملها معه، ولم يعثر على الجاني، كما لا ننسى حادثة (بافلان) الذي قتل عبد القادر باصبرين في بلدة (القرحة)، وحادثة محكم باحكيم الذي قتله حسين با(فلان). ومن الغريب أن لواء دوعت قد تعددت فيه مثل هذه الحوادث. فما سبب ذلك؟ ولماذا لا يهتم بها المسؤولون؟! وما هو سر اختفاء الجناة؟!

ويجب أن نلاحظ أن قبيلة المتهم: (آل بافلان) تنتمي إلى قبائل (الزِّي) التي منها قبيلة نائب دوعن: (آل باصرة)، بينما الجسري من قبائل (نوّح).

هذه كلمة الدّوعني.. وقد قمت بتحقيق صحفي في الدوائر، فعلمت أن إدارة المستشارية قد تنبهت لحادثة (بافلان) قبل نحو أسبوعين، واستفسرت عنها بعض الجهات المسؤولة فوجدتها تجهل كل شيء عن الواقعة، ولكني فهمتُ أن المستشارية مهتمة بها اهتماماً جدياً، وستُظهِر الأيام القريبة ما خفي من الحقائق.

* * *

(١٢)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

الحزب الوطني يطالب بتعيين مواطن في منصب سكرتير الدولة القعيطية:

للحزب الوطني كل يوم خطوة جديدة تدل على أن هـذا الوليـد الناشـىء يشـبّ في اليوم شباب الشهر، ويندرج في أطوار النمو بسرعة مدهشة، كما ينحو صوب الكمال بخطى قوية جبارة، تبشر باستواء عوده وبلوغـه دور النضـج في سـن مبكـر، شـأن الوليـد الـذي استجمع عناصر التكوين، واستكمل النواميس الطبيعية للحياة.

ولقد عرف القرّاء كيف ضمّ تحت لوائه شتات الشـعب، وكيـف تقـدم بمطالبـه إلى الجهات المسؤولة، ثم كيف تجاوبت أصداء ندائه واستجابت لدعوته القلـوب قبـل الآذان، فأخذت تنتشر فروعه في المدن والعواصم، كل ذلك في مدة وجيزة لا تتجاوز ثلاثـة شـهور فقط، مما لم يعهد له مثيل في تاريخ حضرموت!

ولم يكن كذلك ليدل إلا على كُمون الوعي القوي المتحفز للظهور والبروز، بـالرغم ممن يحلو لهم الاطمئنان إلى أن الشعبَ الحضرميَّ مقضيٌّ عليـه إلى الأبـد، ويمنـون أنفسـهم بالإجهاز عليه، وبالتالي اقتسام تركته وأسلابه. وإن كانت شريعتنا لا تخول القاتل أن يـرث قتيله مهما قربت بينهما الوشائج، فكيف وقد باعدت بينهما الأواصر؟!

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٥١)، ١٣ صفر ١٣٧٠هـ، ٢٢ نوفمبر، ١٩٥٠م.

وها هو ذا (الحزب الوطني) يخرج اليوم من نطاق المطالب المحصورة في (الخيرية) والماء والضرائب، إلى مجال المطالبة بالحقوق السياسية، فقد شعر بانتهاء أجل خدمة سكرتير الدولة الحالي. واتصل به: أن الدوائر العليا تعمل جاهدة لاختيار من يخلفه في منصبه الخطير، دون أن نرى من واجبها - ولو لمجرد الاستئناس فقط - أن تستطلع رأي الشعب الذي ترتبط مصالحه بهذا المنصب، وتتصل به اتصالاً مباشراً، كما تستوجب ذلك نظم الحكم الديمقراطي، الذي تحاول تلك الدوائر اقناعنا بأنا نعيش في ظله. لمس الحزب ذلك وشاهده والألم يحز في نفسه، فهالَه تجاهلها إرادة الشعب، سيما وقد قامت له هيئة تمثله أصدق تمثيل، فلم يشأ أن يقفَ مكتوف اليدين، وأحبَّ أن يعرب عن إرادته هذه، سواء أخذ بها المسؤولون أو لم يعيروها جانب الاهتمام فهو على الأقل قد أراح ضميره وخرجَ من عهدة المسؤولية القومية، مسجلاً على من بيدهم الحلّ والعقد بصفة واقعية ما إذا كانوا يعملون بإرادة الشعب أو مستندين إلى القوة!

وعلى أساس هذه الفكرة: عقدت ليلةَ الجمعة (١٦ نوفمبر) هيئةُ الحزب التنفيذية جلستَها التي قررت فيها أن ترفع إلى سموٍّ ولي العهد الأمير عوض بن صالح القعيطي النائبِ عن عظمة السلطان، عريضةً تتضمن مطالبة الشعب بتعيين مواطن كفؤ نزيه في منصب سكرتير الدولة، ويحملها إلى سموّه وفدٌ مكوّن من ٦ أعضاء.

وقد علمتُ أن الوفدَ تشرّف فعلاً بالمثول بين يدي سموه، وقدمَ إليه العريضة التي أبرق سموُّه بفحواها إلى عظمةِ السلطان، وما زال الجو متلبداً لم تنقشع عنه الغيوم، مما أوجد للتكهنات المختلفة سوقاً رائجةً، وستتمخض الأيام القريبة من الحقائق.

* * *

(١٣)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

أسبوع البعث والخلود في حضرموت:

مرّ الأسبوع المنصرم على هذه العاصمة حافلاً بأحداثٍ جسام، من حقها أن تمنحه صفة الخلود، وتجعله جديراً بأن يعتبر نقطةَ ارتكاز وتحوّل في مجرى تاريخ هذا الجزء الحبيب من الجنوب العربي!

نقطة ارتكاز.. يقف عندها المؤرخ فيقول: هنا ينتهي تاريخ، ويبدأ تاريخ! هنا تنطوي صفحة من تاريخ الشعب الحضرمي، تغيم فوق سطورها سحابةٌ سوداء من اليأس، ويجللها إطار قاتم من الخنوع والخذلان، لتبدوَ صفحةٌ أخرى مشرقة وضيئة، كلها قوة وإشعاع وتضامن وإيمان!

هنا يتحول مجرى تاريخ شعب تكمن فيه جميع عناصر القوة والمجد، كانت قد تألبت عليه عوامل شتى شلّت من تدفق حيويته ونشاطه فترة من الزمن، كادت لطُولها أن تحمل التاريخ على تعْفِيةِ آثاره وإسقاطه من الحساب وإهماله، ولكنه شعب عريق لا يمكن القضاء عليه، شعب لم يمت! وإنما خمدت فيه جذوة الخلود إلى حين. وقد جلجل اليومَ صوتُ هاتف السماء، مؤذناً بأن قد حان أن ينفض عنه غبارَ الماضي القريب، ليبعث من جديد حياً خالداً يشقّ طريقه في مجرى التاريخ إلى حيث المجد، إلى حيث الانطلاق، إلى حيث يشارك

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٥١)، ١ ربيع الأول ١٣٧٠هـ ١٤ ديسمبر، ١٩٥٠م.

ركبَ العروبة في أداء رسالتها.

لقد صحا ذات يوم من أيام هذا الأسبوع على صوتِ مؤذنِ الفجر، وشاقه الإصغاء إليه، فإذا بترانيم الأذان تتخلل مقاطعها تراجيعُ نداء القومية والوطن، تنبعث من الأغوار فتسلك سبيلها إلى الأعماق، وهبَّ متثائباً يتمطّى ويفرك عينيه ليستقبل سنَا الإصباح الوليد، فإذا بالشمس تطل بوجهها المتهلل الصبوح من بين الجبال الداكنة الشم، فترسل من أشعتها خيوطاً تنساب على قممها وسفوحها حروفاً ذهبيةً تأتلف سطوراً فتحكي أسمى آيات الوطنية والكفاح، الرامزة إلى أن: هنا يقبع شعب كريم النجار طال هجوده.

وقد خطّ القدرُ أن يكون إشراق هذا الصباح الضاحي بمثابة دقات الجرس المؤذنة ببعثه ونشوره، وكأن وهج إشعاعاته يبعث دفءَ الإيمان، فيغمر به القلوب المفتحة ويملأها ثقة بنيل حقوق الشعب المهضوم، والانطلاق من غفوته وعبوديته. وهكذا كان إيذانٌ ببعث! فرددت الأصداء: أن البعثَ حياةٌ وخلود! وارتفعت تراتيلُ الاحتفال به نشيداً شجياً نديّاً:

إذا اللهُ أحيا أمةً لم يردَّها إلى الموتِ قهّارٌ ولا متجبر

وخرج الناس من منازلهم؛ ليذهب كلٌ إلى حال سبيله حيث تبتلعهم أعمالهم ومشاغلهم، فلم يكونوا يجتازون الأعتاب ويدلفون إلى الشوارع والأسواق، حتى يشاهدون عجباً: حيويةً جديدةً، وحركةً غيرَ عادية، وبلاداً غير التي ألفوها، وشعباً غير الذي عهدوه.. هذه منشوراتٌ ولافتات ملصقة بكل جدار، تحمل معاني الوطنية: (حضرموت تناديكم ـ تحيا حضرموت ـ رشحوا ابن الوطن ـ الوطن لابن الوطن ـ حضرموت تنتبه لمآلها ـ إلخ..). وتلك مظاهرات تطوف بالشوارع وتجوس خلال الديار، مؤلفة من النابتة الناشئة، رجال الغد، تمشي أفواجاً أفواجاً وتهتف بعبارات الوطنية، وتنشد الأناشيد الحماسية.. وهنا وهناك طوائفُ تأتلف وتجتمع، وليس لها من حديث إلا هذه

المظاهر الرائعة الجديدة.. ويقفُ أناسٌ مشدوهين يتساءلون: ما هذا؟ فيأتي الجواب: هذا بعثٌ! ويردّد هاتف:

* إذا الله أحيا أمة.. * إلخ

أما أنا.. فقد وقفت على إفريز شارعٍ، أستعرضُ تلك المظاهر، فكرت بي الذاكرةُ كرةً في السنين إلى ما قبل بضع سنوات، ومرت من أمامي أشرطةٌ من صوَر صراعِ الشعب الإندونيسي الباسل. لقد كنتُ إذ ذاك هناك، وقد شهدتُ كيف آذنَ صبحُه بالبعث على أيدي شباب المدارس والجامعات الذين باتوا طيلة إحدى الليالي الحالكة يختلِسونَ السوانح والفرص من خلال أزيز الرصاص وهزيم المدافع، فيعلقون اللافتاتِ ويطْلُون الجدران والعربات بعبارات ملتهبة، تحمل معاني الدعوة للجهاد والذود عن حرية الوطن، وتنادي: (إما الحياة عزيزة وأما القبر..)!

فلما سطع الفجر كنتَ ترى كلَّ إندونيسي قد استحالَ جندياً، أقل شيء يستهين به هو الموتُ فداءً للوطن! وكنت ترى أمواجاً بشريةً من الجيل الناشىء تطوف هاتفةً بحياة الوطن. وهناك وقفَ أناسٌ ساخرينَ من تلك الحركة، التي سموها صبيانية، كما يقف هنا آخرون مثلهم ساخرين، ولكن هؤلاء سيدركون خطأهم كما أدرَكه زملاؤهم هناك من قبل، عندما نالَ الشعب الإندونيسي حقوقَه كاملةً غير منقوصة، بفضْلِ تلكَ الحركات التي بدأت في صورة صبيانية في نظر أولئك الساخرين.

إن هؤلاء المتألهين المؤلهين، الذين يتألهون على كراسي المناصب ويؤلهون من فوقهم من أرباب المناصب، إنما ينظرون إلى وقائع الحياة بعيون تلحظ المنافع والمصالح المادية، فالمادة هي التي تملي عليهم آراءهم وخواطرهم، وأطهَر منهم ولا شكَّ أولئك الأطفالُ رمزُ الغد المأمول، ومناطُ الرجاء الباسم، فالهتافات التي تنطلق بها حناجرهم إنما هي صدى

الإلهام ونداء الفطرة! لأن «**كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**».

وبعد.. فإني أختم هذه الكلمة بفقرة من خطابٍ خالدٍ للزعيم أحمد سوكَرنُو، باعث الشعب الإندونيسي وموجده من عدم، وقد ألقاه عام ١٩٣٠م، في الدفاع عن نفسه وهو متهم، قال: (سطع الفجر، وسيزداد سطوعه شيئاً فشيئاً، وليس هناك قوة للإنسان في الأرض ولا للدول لو اجتمعت جميعاً، بل ليس لأي قوة أياً كان نوعها على وجه البسيطة أن تمنعَ بزوغَ تلك الشمس التي تُحيي ما يجب أن يحيا، وتميت ما يستحقّ الموت، وستذوب جميع العقبات، وستتبدد سائر العراقيل كما تذوبُ الثلوج تحت أشعة الشمس الساطعة، وتتبدد السحب أمام الرياح العاصفة. ولقد استعد الشعب بقلوبٍ ملؤها الأمل، لاستقبال طلوع الشمس، فمع الشعبِ نتحمّل الأتراح، ومع الشعب نستقبل الأفراح).

سمو ولي العهد يزور (الحزب الوطني):

عرِفَ سمو ولي العهد المحبوب الأمين عوض بن صالح القعيطي بعطفه الفائق على الشعب، وتشجيعه العظيم لحركاته الإصلاحية. وقد استلفت أنظار سموّه أخيراً ما شاع وذاع من مساعي (الحزب الوطني) المحمودة، فأراد أن يباركها ويمد الحزب العتيدَ بفيض من قبسِ روحه وسناه، فأبدى رغبته في تشريفه بالزيارة الكريمة لداره.

وفي الموعد المضروبِ لها مساء يوم الجمعة الماضي (١/ ١٢/ ٥٠ م) شهدَت العاصمة مظاهرةً شعبيةً كبرى، يضنّ الزمان بمثلها، امتدت جموع المشتركين فيها الذين قدروا ببضعة آلاف، من تحت دار الحزب إلى مسافةٍ بعيدة في اتجاه السوق، مما عطل حركة المرور إلى الجمرك، وكانت أصوات الجماهير المحتشدة تدوي في الفضاء الرحب، هاتفةً بحياة الأمير المحبوب وحياة الوطن، بينما غصّت الدارُ بالمدعوين حتى لم يبق فيها متسع لمزيد.

ولما استقر سمو الأمير بمكانهِ على منصة عالية بالصدر، أديرتْ أكوابُ الشاي، وتناول الحضور أنواع الفطائر والحلويات، ثم أخذ الخطباء يتبارون في الإعراب عن مشاعرهم وخلجات نفوسهم ابتهاجاً بهذه المناسبة الميمونة.

وكانت الكلمة الأولى الافتتاحية باسم (سكرتير الحزب)، ألقاها **الأديب الشيخ أحمد باجنيد**، وقد افتتحها بقوله: «إننا نرحب بكم ترحيباً قلبياً تهتف به القلوب من الأعماق، وتترجمه الألسن، وها هو ينتشر في الفضاء، فيعبر ـ يا صاحبَ السمو ـ عن شعور شعبكم المخلص، تعبيراً صادقاً يفيض بالولاء لكم ولوالدكم العظيم ولعرشكم المفدى». ثم قال: «إننا يا صاحب السمو شعبٌ كلنا آمال بما يسعد هذا القطر البائس وينهضه، ويضعه في مصاف الأمم الراقية، إننا قد شعُرنا بالواجب المقدس نحو أنفسنا وبلادنا فسعينا إليه، وها نحن في الانتظار، يحدونا الأمل. ولكن سوف لا يتحقق يا صاحب السمو ما لم تتضافر الأيدي وتتوحد المقاصد، وتسير بخطى ثابتة أساسها المساواة والشورى والتفاهم ونيل الحقوق» وختم خطابه بقوله: «.. إن للشعب في همتكم القعساء أكيد الأمل في الفوز والنجاح».

وبعد كلمة الافتتاح ارتجل الأستاذ **السيد محسن بن علوي السقاف** خطاباً قيّماً تحدّث فيه عن شخصية سمو الأمير، منوهاً بمزاياه، وناصحاً الشعب بأن يكونَ واثقاً بنفسه وسلطانه، وأعقبه الشاب الناهض **سالم بن محفوظ باني** بكلمة ضمنها الترحيب بسمو الأمير وحفز بها الهمم، ثم نهض الشاعر المطبوع **عبدالرحمن باعمر** وألقى قصيدةً أستعيد كثير من أبياتها، وحازت إعجاب سمو الأمير، مما جعله يهدي الشاعر عقيب الانتهاء من إلقائها ساعة ذهبية فاخرة، ومطلعها:

الشَّعبُ يهتِفُ بالثناءِ مردِّدَا لا زالَ ذكرُك في الحياةِ مخلَّدا

ومنها:

يجد من يبتاع منه شربةَ ماء يبل بها أُوامَه، فكأن هذه العاصمة قد اختُزِلت وجُمعتْ في شيء واحد هو: المظاهرة، ولا شيء غير المظاهرة.

والذي يسترعي النظر مع ذلك: أن كلّ ما ذكر قد تم في جو سلمي لم يكدر صفوه أي حادث مريب، أو مخل بالأمن يضطر الشرطة إلى التدخل، بالرغم من الاحتياطات التي اتخذت. والفضل في ضبط النظام يعود إلى تعاون رجال (الحزب الوطني) مع الشرطة في المحافظة عليه، وإلى التعليمات التي أصدرها زعماء (الحزب) إلى المتظاهرين قبيل تحرك المظاهرة من تحت دار (الحزب) حوالي الساعة الرابعة بعد العصر. فقد بلغ من حرصهم على تفادي كل ما قد يؤدي إلى تعكير جو السلام: أن منعوا الهتافات على الإطلاق، خشية صدور هتافات عدائية قد تسيء إلى بعض النفوس، واستعاضوا عنها بإعلان مطالبهم بواسطة ثلاث لافتات كبيرة ركِزَت كلّ واحدة منها إلى عمودين يقلهما عدد من الشبان الأقوياء على امتداد عَرض الشارع.

١. وكانت **اللافتة الأولى** في مقدمة المظاهرة، وقد كتب عليها بحروف بارزة تقرأ من مسافة بعيدة: «**الشعب يريد تحقيق مطالبه**».

٢. **والثانية** في القلب، وكتب عليها: « **نريد سكرتيراً وطنياً**».

٣. **والثالثة** في الساقة، وكتب عليها: «**الوطن للوطني**».

وقد أخذت المظاهرة طريقها، يسودها الجلال، وتضفي على العاصمة رهبة غريبة، مبتدئة من فناء دار (الحزب)، ومخترقة الشارع الرئيسي، إلى أن انتهى بها السير إلى فناء قصر سمو ولي العهد ونائب عظمة السلطان، وهناك انتدب ستة من زعماء الحزب وقادة المظاهرة للتشرف بمقابلة سموه بإذن خاص منه، حيث قدموا إلى سموه العريضة التي تتضمن مطالب الشعب.

وقد تلطف سمو الأمير في استقبالهم وتحدث إليهم حديثاً ودياً كريماً، زادهم تعلقاً

بسموه وإخلاصاً لعرش السلطنة القعيطية، كما تناول معهم الشاي، ثم برز للمتظاهرين، وأمر سعادة نائب سكرتير الدولة **الشيخ سالم باصديق** بأن ينوب عن سموه في إلقاء خطابه الذي شكر فيه الشعب على شعورهم الحسن، ونوّه بوصول سموه مع الزعماء الذين يمثلونهم إلى اتفاق مقنعٍ للجميع حول المطالب التي تقدموا بها، ووعدهم بتحقيقها عند عودة عظمة السلطان المنتظرة في الأسبوع القابل، كما أكد لهم أن سكرتيراً وطنياً بالنيابة سينهض بأعباء السكرتير بعد سفره، وهنا دوت التصفيقات وتعالت الهتافات تشق عنان السماء بحياة سمو ولي العهد المحبوب، وبذلك انتهت المظاهرة كما بدأت بسلام قبيل المغرب بوقت قصير.

نص الخطاب الذي تقدم به المتظاهرون إلى سمو الأمير:

جاء فيه:

«نحن نعتقد ونجزم أن الحكومة والشعب شيء واحد، غير أن للحكومة امتيازٌ هو بمثابة امتياز مقام الأبوة، والشعبُ كالولد، ولا بد للولد من التمتع بحقوقه كاملة مع الحرية التامة، وقد تقدمنا بأربع طلبات إلى صاحب العظمة حفظه الله، ولمسنا من مقابلته ومخابرته لنا ما يجعلنا نطمئن إلى الفوز والنجاح.

وكان إلى قرب سفره يؤكد لنا بتوصيته لسكرتيره، وقد طال التردد المثمر بالمواعيد الفارغة، وأخيراً استلمنا جواباً من سعادة السكرتير بتأخير البتِّ إلى عودة صاحب العظمة، ونحن نطالب الحكومة بتولية سكرتير وطني نعتقد فيه المقدرة والكفاءة لهذا المنصب الخطير، ولدينا كمرشحين أربعة أشخاص.

والمسموع: أن حضرة **الشيخ سيف** سيغادر المكلا قبل حضور صاحب العظمة، فنلتمس من سموكم قبول السكرتير الوطني، أو تأخير **الشيخ سيف** إلى

حضور صاحب العظمة، أو تسليمه المنصب إلى نائبه، وما دامت طلباتنا البسيطة قد تأخرت قبل حضوره فهذا الطلب الأخير أهم وأعظم».

* * *

(١٥)

رِسَالةُ حَضْرَمَوت(*)

بعثة الآثار الأمريكية تهدي الحكومة (ماكينةً) لتعبيد الطرق:

رست في ميناء المكلا ليلة الإثنين (١١ ديسمبر الجاري) باخرة أميركية عظيمة، نزل منها بعض أعضاء بعثة الآثار الاميركية التي تقوم بتنقيباتها في **بيحان** منذ بضعة أشهر، كما أفرغت شحنتها المكونة من عدة سيارات (لوري) ومعدات أخرى خاصة بالبعثة. وقد بقيت راسيةً إلى يوم الثلاثاء.

وشوهد من بين ما أفرغته: (ماكينة) ضخمة لتعبيد الطرق ما زالت باقية على رصيف الميناء إلى حين كتابة هذه الرسالة، والمشاع: أنها هدية من البعثة للحكومة أو لعظمة السلطان. وعلمت من مصدر مطّلع أن ثمنها يقدر بنحو (٢٥ ألف ربية)، ولا يستغرب هذا الثمن بالنظر إلى ما شاهدناه من ضخامتها، وما وصف لنا من مهمتها ووظائفها الكثيرة، فهي تعبد الطريق، وتحطم الصخور وتسويها بالأرض، وتحمل الحجارة والرمال والأتربة، و.. و.. إلخ، وكل ذلك بطريقة أشبه بأن تكون (أتوماتيكية)، ويقال: إن البعثة ستدرب أحد الموظفين على سياقتها وتسيير آلاتها.

وحضرموت التي ما زالت طرقاتها غير معبدة تعبيداً كافياً، في حاجة ماسة إلى مثل هذه (الماكينة) ولا شك، فنحن في الوقت الذي نزفّ فيه إلى البعثة شكرنا العظيم على تلك

(*) «**صحيفة النهضة**»، العدد (٥٦)، ١٩ ربيع الثاني ١٣٧٠هـ، ٢٨ ديسمبر، ١٩٥٠م.

المنحة (إن تحققت)، لا ننسى أن نهمسَ في أذنها: برجائنا أن تكون خالصةً لمحض وجه الإنسانية!

كما لا ننسى أيضاً أن نلفتَ أنظار المسؤولين إلى أن تلك الآثار التي تنبش من التربة التي امتزجت بأشلاءِ أجدادنا أبناءِ هذا الجنوب العربي، ليست هي مجردَ حجارة أو تماثيل أو أدوات خزفية أو ما إلى ذلك، وإنما هي تاريخُ أنصع أحقاب المجدِ والفَخار لجنوبنا هذا، وأجل ما يعتز به الأحفاد من تراث الآباء والأجداد! فإذا لم ير المسؤولون أن يضنوا بتسربها إلى الخارج، فهل كثير علينا أن نتساءل: عن الأساس الذي جرى التعاقد عليه في التنقيب؟ وعن الفوائد التي سنجنيها من ورائه؟ وأن نكون على علم تام بما يتم العثور عليه من تلك الآثار؟ أو أن يعترفَ لنا ـ على الأقل ـ بحق الأسبقية في مشاهدتها و(التفرّج) عليها؟ أو بعبارة أخرى: توديعها وداع الأبد؟!

موظفو الحكومة يحتفلون بتوديع الشيخ سيف، ويقدمون إليه هدية تذكار:

امتاز الأسبوعُ الماضي في العاصمة بتعدد الحفلات وكثرتها، لتزاحم الأسباب والمناسبات في أيام متقاربة، وقد لا يتسع صدر صحيفة (النهضة) الغراء لاستيعابها جميعاً، لذلك اقتصر على الإشارة إلى أهمها:

أقيمت عدة **حفلات توديعية** لسعادة الشيخ سيف بن علي البوعلي، بمناسبة إزماعه العودة إلى وطنه بعد أن قضى أكثر من عشر سنوات في منصب سكرتير الدولة بهذه البلاد، وكان أبرزُ تلك الحفلات: الحفلة التي أقامها له موظفو الحكومة ورؤساءِ إدارات السكرتارية مساء يوم السبت (١٦ ديسمبر) في ساحة القصر السلطاني، وقد شرفها سمو ولي العهد الأمير عوض بن صالح القعيطي، وحضرها سعادةُ المستشار المقيم، الكولونيل بوستيد، وما لا يقل عن مائتي مدعو. وقد افتتحها الأستاذ السيد أحمد بن محمد العطاس بكلمة عن لجنة تنظيم الحفلة تتضمن الشكرِ وإعلان البرنامج، ثم تعاقب الخطابة على

الترتيب: كل من سعادة المستشار، وفضيلة الشيخ عبد الله بكير رئيس المجلس العالي، وسعادة الشيخ سعيد القدال مدير المعارف، والأديب الشيخ عبد الرحمن باعمر، وقد ألقى قصيدة قوبلت بالاستحسان. ثم تقدم الأستاذ أحمد العطاس إلى سمو ولي العهد، والتمس منه أن يقلِّد المحتفَى به هديةَ موظفي الحكومة والسكرتارية، كتذكار تقدير ووداد، وهي سيفٌ أثري في قِرابٍ فضي محلّى بالذهب، وكانت الخطب كلها تنوّه بما اتصف به سعادة المحتفى به من تواضع ودماثة أخلاق، وتشيد بما تم في عهده من تقدم وإصلاحات.

وأخيراً نهض المحتفَى به، وألقى خطاباً ضافياً، شكر فيه المحتفِلين على عواطفهم الكريمة، وأشار إلى أن ما قام به من خدمات لحضرموتَ إنما يرجع فضلها إلى الموظفين الوطنيين الذين كانوا له عوناً على تأديتها، وأشاد بصفة خاصة بكفاءة الوطنيين التي لمسها فيهم طيلة سني خدمته، مما يجعلهم جديرين لتقلد المناصب الرفيعة، وبذلك انتهى الحفل. وقد غادرنا سعادتُه يوم الإثنين الفائت (١٨ ديسمبر) على جناح طائرة إلى عدن؛ ليواصل سفره إلى موطنه، وكان في وداعه بالمطار جمهور كبير من رؤساء الدوائر والموظفين والأعيان وأصدقاء سعادته، فعلى الطائر الميمون وصحبته السلامة في الحل والترحال.

وبهذه المناسبة نود أن نقول: إن بعض الناس يطيبُ لهم أن يرددوا في إحدى الصحف اتهامنا بالانتصار لسعادته، والعمل لتأييد بقائه في منصب السكرتارية، والواقع: أن رأينا في توظيف الأجانب قد جهرنا به منذ كنّا في المهجر في بداية عهد سعادته، أي: في الوقت الذي كان فيه هؤلاء الذين يطعنونه اليوم من خلفِه يهتفونَ باسمه، ويحبّرون الفصول الضافية في تمجيده وتقديسه، وينثرون في طريقه الورود والرياحين، حتى إذا ما تأكدوا من انتهاء خدمته وأيقنوا انقطاع نفعه، لجؤوا إلى وسائل الجبناء، فذهبوا يطعنونه من خلف!

أما نحن! فيأبى علينا خلقنا العربي مثل هذا الصنيع، وقد أعلنا رأينا وسعادته مقبل على منصبه حينما كان نفعه مرجواً، ثم لما رأيناه يتأرجَح في منصبه، وشاهدنا الأغراض

تنتاشه، وقفنا منه موقفاً سلبياً، لنصارح برأينا الذي جهرنا به من قبل في وجه من سيخلفه، كما تملي على الكاتبِ شجاعتُه الأدبية، ونزعته الوطنية، وسنظل مخلصين لمبادئنا ندعو إليها على بصيرة وبالطرق السلمية، ما لم يضق بها صدر الديمقراطية!

(الحزب الوطني) يحتفل بتكريم الشيخ علي بن كُوَير:

أقام (الحزب الوطني) يوم الأحد (١٧ ديسمبر)، حفلة استقبال وتكريم لحضرة العصامي الشيخ علي بن كُوَير المعروف بمشاريعه الاقتصادية الكبرى في حضرموت، وتأسيس معمل الأسماك بالمكلا، وذلك بمناسبة مقدمه عائداً من المهجر (مقاديشو).

وقد غصت دار (الحزب) بالمدعوين، وافتتح الحفلَ بالنيابة عن اتحاد سكرتارية (الحزب): الشاب الناهض عبد الله صالح داود، بكلمة قيمة شكر فيها المدعوين، وأثنى على المحتفل به ثناءً مستطاباً، باعتباره أحدَ بناة دعائم الوطن بمشاريعه الاقتصادية النافعة التي لم يجارِه فيها غيره من الوطنيين. وعقبه الأستاذ السيد محمد بن شيخان السقاف بخطاب كان له وقعه الحسن.

وأخيراً نهض المحتفَى به وألقى خطاباً رائعاً في معناه يفيضُ إخلاصاً ووطنية، ومما جاء فيه بعد عبارات الشكر **قوله**: «إنني لما رأيت كلَّ أمة تهتم بترقية بلادها، دفعتني الغيرة لأن أهتم ببلادي لئلا تبقى متأخرة عن غيرها من الأقطار، لذلك نقلت أكثر ثروتي إلى هذه البلاد، بالرغم من أن سيرَ الأعمال في المهجر كان على خير ما يرام، وغرضي أن أستفيد وأفيد الوطن وأبناءه، وأنا مستعد لتوظيف ما لا يقل عن ثلثمائة إلى ألف عامل في مشاريعي الحاضرة والتي سأقوم بها في القريب.

وكنت آملُ أن ألقى التشجيع، ولكن! ـ ويا للأسف ـ لم أجدْ من تجار هذه البلاد وأغنيائها غير التثبيط والاعتصاب ضدي، مع أني أريد المساهمة في خدمة وطني، ولو

جاءهم أجنبي لشجعوه وأيدوه، ولكني قد جئت بهذه النية، وسأواصل كفاحي، والله معي من وراء القصد»، وبذلك انتهى الحفل...

فحيا الله العاملين.

* * *

الموارد والإمكانيات الاقتصادية بحضرموت (*)

أشعر أنّ واجبي كأحدِ أنصار وحدَة الجنوب، ومعتنقي مبدَئِه العتيد، كان يقتضيني أن أجعلَ العنوان هكذا (**الموارد والإمكانيات الاقتصادية في الجنوب العربي**)، فأتناول الموضوع من وجهة عامة شاملة للجنوب كله بأجزائه المختلفة، لا من وجهةٍ خاصة بعضو واحد من جسم الجنوب. ولكني قدّرت ناحيةَ الاختصاص في معالجة الموضوع، ورأيت أنَّ من المفروضِ وجودُ زملاء أجدر مني بتناول الأجزاء الأخرى من هذا الجنوب بالدرس والفحص، كلٌّ من ناحية اختصاصه التي يلامسها صباحَ مساء، ويساير تطوراتها عن كثَب، ولذلك هو أعرف بإمكانياتها، وأكثر إدراكاً لخفاياها.

فدعاة (وحدة الجنوب) يجب أن يكونوا بمثابة الأطباء، اختص كل واحد منهم بعلاج عضو من أعضاء جسمه المنهوك، في عصر من أبرز مميزاته: الاختصاص في كل شئ، أو بمثابة الجنودِ الموزَّعين على ثغوره المهدرة، الذين اتخذوا شعارهم: (أنت على ثغرة من ثغور الجنوب، فلا نؤتين من قبلك). على أن هذا الجنوب ـ من ناحية أخرى ـ قد وحّدت الطبيعة بين أجزائه من جميع الوجوه أو أكثرها، بحيث قلّ أن تجد إقليماً في مثل تشابكِ المصالح في أجزائه، وتشابه المظاهر في أهله، وتماثل الخصائص في أقطاره، ومميزات تربته الطبيعية، وإن رغم أنف الانفصاليين الذين يحاولون أن يفرقوا ما وحّد الله، ألا ساءَ ما يزرون.

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٥٧)، ٢٦ ربيع الثاني ١٣٧٠هـ (= ٤ يناير ١٩٥١م).

وكلّ ذلك يبدو لنا منه: أن الحالات والإمكانيات أو النظريات الاقتصادية التي تنطبق على أيّ قطر أو جزء من أجزاء الجنوب ـ كحضرموت مثلاً ـ سوف لا يشذّ عنه غيره من الأجزاء الأخر في أكثر الأحوال، فموضوعُنا إذا كان بعنوانه خاصاً بحضرموت، فهو في جوهره عام يندرج تحته سائر أنحاء الجنوب.

ونحن إذ نقول هذا.. إنما نرجّي أن تتلاقى أقلامُ المفكرين من أبنائه على صفحات هذه الصحيفة النيرة، رائدة الجنوب الأمينة، كاشفة النقاب عما قد نغفله من مصادر ثروته وإمكانياته الاقتصادية، مرشدة إلى دفائنها المطمورة ومظانها المهملة، شارحة أنجح الوسائل لاستغلالها وأقرب الطرق للاستفادة منها، فعسانا بذلك نضع الحجر الأساسي لبناء نهضتنا المنشودة، ونقيمه مدعّمَ الأركان، شامخ البنيان.

إذ لا يخفي أن الاقتصاد هو أولُ مقومات كل قومية ناشئة، وأهمّ الأسس التي شيدت عليها صروح جميع أنواع الاستقلال والنهضات التي عرفت في عصور التاريخ، ولا بقاء - بل لا وصول - إلى استقلالٍ أو نهضةٍ لم يدخلْ في حسابِ القائمين بها ضمانُ سلامتها الاقتصادية، وأكثر من ذلك: ليسَ في الإمكان القضاءُ على استقلالٍ أو نهضة كانت سليمةً وقويةً من الناحية الاقتصادية.

إن وضعيةَ **جنوبنا** (الشاذة) التي فُرِضَت علينا بالرغم من إرادتنا، قد جعلت بلادنا نهباً مقسّماً بين شتيتٍ من السلطات المتحكمة، التي لم تحاول واحدة منها ولو محاولة عابثةً أن تأخذ بأيدي المحكومين، لتنشلهم من وهْدَة العَوزِ والشقاء التي هووا إليها، ولو بمجرد الرأي والفكر، فتتشبه بدولة استعمارية **كهولندا** التي كانت تقيمُ في بعضِ عواصم (إندونيسيا) مكاتب للإرشاد الاقتصادي، توظّف فيها خبراء اقتصاديين ليس لهم مهمة سوى بذلِ النصيحة، وانتهاجِ الطريقِ لمن يأتيهم من أبناء الشعب، سائلاً معونتهم، وإرشادهم بالرأي والفكر دونما مقابل، فيستفسرونه عن مقدار ما يملك من رأسمال مهما

قلّ أو كثر، وعن كفاءاته وميوله واتجاهه، وعلى ضوء ذلك كله ـ مع ملاحظة حاجة البلاد ـ يضعونَ له برنامجاً واضحَ الخطوط والمعالم، وخطةً مرسومةً مدروسةً لاستغلال ما بيده من مال، بطريقةٍ مأمونة العواقب، ومضمونة النتائج. فهل كثيرٌ علينا ـ نحنُ أبناء هذا الجنوب وقد حرمنا ـ لا أدري لسوء حظ الحاكمين أو المحكومين! ـــ من مثلِ هذا العطف من حكوماتنا، أن نعتمدَ على أنفسنا؟! فنتبادل الإرشاد على صفحات منبرنا العام (النهضة)، سيما وقد أخذَ الوعي القومي يتيقظ ويشعّ في أجوائنا قبساً من نورٍ يضيء لنا السبيل نحو الوحدة والنهوض.

سأحاول أن أبدأ هذه التجربة التي سيرَى فيها الكثيرُ من فاتِري الهمم وخائري العزائم إسرافاً في الآمال، وإغراقاً في الخيال، وغلوّاً في طلبِ محاكاة شعوبٍ نهضَ بهم الزمن وكبا بنا أمداً طويلاً، حتى لم يعُد في الإمكان ـ كما يخيّل إليهم ـ أن يشقّ لهم غبار، أو يؤمن علينا في اللحاق بهم من عثار. بيد أني أؤكّد: أنّ هذا الخيال هو من نوع الخيال المؤدي إلى الحقيقة الذي يقول عنه الشاعر الخالد المرحوم علي محمود طه المهندس[1]:

ويضيقُ بالشّعبِ الطموحِ يقينُه ... ويُثيرُ مِرّتَهُ الخيالُ فيُعدِمُ
قوتُ الشّعوبِ وِريُّها أحلامُهَا ... إنّ الخيالَ إلى الحقيقَةِ سُلَّمُ

كما لا أنكر أني قد أكون متأثراً ـ فيما يحسبه البعض مجردَ إسراف في الأمانيِّ العذاب ـ بالدرسِ الذي وعيته في (المعتقل الياباني العَشْري)، الذي لا أحمل لأيامه المريرة أي ذكرى طيبة غيرَ فضلِ ذلك الدرسِ على نفسي.

---

(١) شاعر مصري، ولد بالمنصورة سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م)، تخرج بمدرسة الهندسة التطبيقية، وخدم في الأعمال الحكومية إلى أن صار وكيلاً لدار الكتب المصرية، توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م).

فمن هناكَ تعلمتُ أن ليسَ في الكون مستحيلٌ إذا صحّت الإرادة الصادقة، وآمنتُ بأن المثلَ العربي الذي يقول:(إذا لم يكن ما تريدُ فأرِدْ ما يكون)، يجب أن يحلَّ محله المثل الياباني: «رِدْ أيَّ شيء فلا بدَّ أن يكون». شعرَ الشعبُ الياباني ذات يوم أن بلاده تكاد أن تضيق بعيشه، فأحالَ الجبال الجرداء مزارعَ خصيبة، ولم يترك شبر أرضٍ غير منزرِعةٍ، وزاد على ذلك: أن هيأ من سقوفِ القصور وسطوحِها حدائقَ وبساتين، وجعلَ من كلِّ شخصٍ ياباني يداً عاملةً منتجةً، ومن كل منزل ياباني معمل يبهر العالم بصناعته المتنوعة. وأراد شُذَّاذُ الآفاق وأذلُّ الشعوبِ وأقلُّهم شأناً إلى مَا عهد قريب، أن يكونَ لهم وطنٌ قومي في معقلٍ من معاقل العرب، فبدَت فكرتُهم حلماً يبعث على السخرية والضحك، ولكن - وما أمرَّ لكن - ماذا حدث؟ لقد تحقّق هذا الحلُم، وساسةُ العرب ودهاقينُهم في شغُلٍ شاغل بفلسفة (هيئة الأمم السفسطائية)، ونظريات السلام الجوفاء عن التصميم الصحيح على إرادة الدفاع عن معقلهم الأشَبِّ. وهكذا صحّ خيالٌ بنيَ على الإرادة القومية، ومُنِحتْ حقيقة لاذَت بالفلسَفات والنظريات البيزنطية!

وكم في صحائفِ الوقائع والتاريخ من أمثلةٍ نخلُصُ منها إلى أن السرَّ كلَّ السر لتحقيق الغايات وبلوغ الغايات - مهما نأتْ وصعبت - كامنٌ في تصميم الإرادة القوية التي لا يُعرَف في قاموسها معنى (المستحيل)، على أن مشاريعَنا التي سنشير إليها إشارة خاطفة، ليستْ في درجةِ ما كان يبدو من استحالة كثيرٍ من المشاريع التي أصبحت فيما بعدُ حقائقَ ملموسةً منظورة، كما يدل على ذلك ماضي هذا الجنوب، الذي يحفظ بين طيات صحائفة صوراً رائعةً من مدنيات وحضارات:

* أخْنَى علَيها الذِي أخنَى على لُبدِ *

فهل كانت تقوم فيه وتزهر لولا قابليته لذلك، وصلاحيته لمستلزماتها من خصوبة وعمران؟! وما زالت البلاد هي البلاد، والأرض هي الأرض، فما الذي يمنع من إحياء

مجدها التالد، أو بعبارة أخرى: ما الذي يحول دون تنفيذ مشاريعنا في بلاد قد برهن ماضيها على استعدادها له؟!

ليست حضرموت أثيرةً عندي على غيرها من أجزاء وطننا (الجنوب)، إلا أن ظروفها الحرجة في الآونة الحاضرة أدعى إلى التفكير والعلاج السريع الحاسم، فقد تألبت عليها عوامل كثيرة جعلتها في حالة تبعث على المرثيةِ والإشفاق، وتآزر المخلصين من الجنوب على العمل لإيجاد حلول لمعضلتها المزمنة، وفي مقدمة هذه العوامل: اعتمادُ بَنيها على المَهاجِر، في حين إهمالهم الوطن، ثم تيقّظ القومياتِ الجادّة بتلك المهاجِر في الآونة الأخيرة.

فقد عرفَ الحضارمُ الهجرةَ منذ عهدٍ سحيق، وابتسم لهم الحظ في مهاجِرِهم ردحاً من الزمن، حتى خيِّلَ إليهم أنهم قد أخذوا فيها لأنفسهم ضماناً من القدَر، وأنساهم ما لقوا من بُلَهنِيةِ العيشِ ونعيمِ الحياةِ، أن يمنحوا وطنهم شيئاً من العناية والإهتمام، أو على الأقل: أن يحتفظوا بما كان قائماً فيه من مصادر المعيشة ووسائل الاكتساب، فاندثر كل ذلك بمرور الزمن وامتدت إليه يد البِلَى، وان كانت الآثار وما زالت باقيةً والمعالم شاهدةً. ثم ما عتَموا أن صحَوا على أصواتِ القوميات تجتاحُ مهَاجِرَهم، كما اجتاحَت كلَّ البلاد، فتلهِبَ ظهورَ الغرباء عنها الطارئين عليها مطالبةً بقذفهم إلى ما وراءِ حدودها، والاحتفاظ بثرواتها عن أن تتسرب إلى الخارج.

وهكذا ألغى الحضارم أنفسهم! وقد أقفرت، بلادهم، وأُوصِدَت أبوابُ المهجر في وجوههم، وحِيل بينهم وبين ما قد تأثّلوا من ثرواتٍ في الخارج، وهي كَدُّ الأجيال وجُهدُ الاغتراب عن الوطن والأحباب، فماذا نصنع؟ أنقف تجاهَ هذه الحالةِ مكتوفي الأيدي لنموت كما تموتُ الفئران في حجورها؟!

إن الحياةَ عزيزة، وإن لنا وطناً سيرعانا ما رعَيناه، ويعطينا بمقدار ما نعطيه! وفيه من الموارد والإمكانيات المهمَلَة ما يتكفّل بحياتنا في أحضانِه حياةً عزيزةً كريمةً، فيما لو صدقَتْ

إرادتنا، وعقدنا العزيمةَ على استغلالها والاستفادة منها، وليس لمعضلةِ الحضارم المستعصيةِ من حلٍّ -في نظري- غيرِ هذا، مما يحملني على استعراض أمثلةٍ ونماذجَ من تلك الموارد والإمكانيات الاقتصادية في المقال الآتي[1].. إن شاء الله.

* * *

(١) لم أجد في الأعداد التالية مقالاً متمماً لهذا.

إندونيسيا وصلتها بالجنوب العربي (*)

حديث قيم عن التطورات الأخيرة فيها

تعتبر إندونيسيا الدولة الإسلامية الثانية بعد باكستان، إذ يبلغ تعداد سكانها نحواً من (٧٠ مليوناً)، كلهم مسلمون، عدا طائفة ضئيلة تمكن الهولنديون بوسائل غير مشرفة من تضليلها وتنصيرها في عهد استعمارهم لإندونيسيا.

الجنوبيون يسودون البحار:

وهي ذات صلة جد وثيقة بهذا الجنوب العربي، يمتد عهدها إلى ما قبل بضع مئات من السنين، عندما كانت سفن الحضارم من أبناء هذا الجنوب تمخر البحر كالأعلام، وتسيطر تجارتهم على المياه الهندية، وما زال التاريخ يحفظ لنا بين طياته كثيراً من أسماء هذه السفن الشراعية التي لن تزال رمزاً خالداً لمجد أبناء الجنوب وسيادتهم على البحر فترة من الزمن، في أقاصي حدود الشرق الأقصى، نذكر منها: (نسر البحر، البيرق، فتح السلام، بركة الإسلام، بركة الرسول، فتح الأرزاق، هداية الرحمن).

الإندونيسيون يعتنقون الإسلام:

فأخذت هذه السفنُ ترتادُ موانئَ الشرق الأقصى سالكةً طريقها عبر الهند، تبيعها البضائع المختلفة، وتنقل إليها في الوقت نفسه تعاليم الدين الإسلامي بواسطة بحارتها وركابها من التجار، الذين كانوا على جانبٍ كبير من الأخلاق وحسن المعاملة، فكانت هذه

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٩٧)، ٢٤ محرم ١٣٧١هـ، ٢٥ أكتوبر ١٩٥١م، ص ٩.

الصفاتُ مضافةً إلى رَوعة الدين الجديد وسمو مبادئه، مما أغرى سكان جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) باعتناق الإسلام بقلوب منفتحة له، وإقبال عظيم، دون أن تراق قطرةُ دم، أو يكون السيف وسيلتَه. وقد كانوا إذ ذاكَ يدينون بالبُوذية التي حملها إليهم الاستعمار الهندي، الذي كان قد غزا ديارهم من قبل، وترك فيها آثاراً لا تمحَى من التعسف والجَور، وكان عاملهم معاملة الأسياد للأرقاء المتعبدين.

سلاطين وأمراء من أبناء الجنوب:

على أن الأمر لم يقفْ عند حد الإقبال على اعتناق الإسلام، فقد تجاوزه إلى الترحيب بدعاة هذا الدين، وترغيبهم في النزول بين ظهرانيهم واستيطان بلادهم ومصاهرتهم، وقد بدأ بذلك في المقدمة ملوكُهم وأمراؤهم، فلم تمضِ فترةٌ قصيرة حتى كان من نتائجِ وشائج هذه القربى: أن تربعَ على عروشها سلاطينُ وأمراءُ من سلالة (أبناء الجنوب)، ما زالت بقيةٌ منهم حتى اليومَ، يحتفظ البعض منهم بنسبه، والبعضُ الآخَر لم يعد يعلَم غير أنه من سلالة العرب.

المستعمراتُ الحضرمية:

من هنا يبدأ تاريخ صلة (الجنوب) بجزر الهند الشرقية، أو إندونيسيا، والحقُّ: أنها ـ كما ذكرتُ آنفاً ـ صلةٌ جدُّ وثيقة، تغلغلتْ آثارها في سائرِ مناحي الحياة: الدينية والاجتماعية والثقافية وغيرها، مما حدَا بعضَ المؤرخين الأوروبيين أن يضعَ كتاباً بالفرنسية عن جزُر الهند الشرقية هذه فيختار اسم (**المستعمرات الحضرمية**).

وقد تأخذك الدهشة والاستغراب عندما يقص عليك الأستاذ (سامي صلَيبا) في كتابه الذي وضعَه بالإنجليزية عن (الفلبين) العجبَ العجابَ من أخبار هؤلاء الجنوبيين في جزر (الفلبين)، وكيف أتاها (السيد زين) في عددٍ من رجاله الذين جيّشهم من (جُوهُر) في

ملايا، وأسّس بهم (سلطنة فليبن) في المحيط الهادئ، التي استمر أحفاده يحكمونها إلى عهد قريب.

معركة بحرية يقودها أحد (أبناء الجنوب):

ويزداد بك الدهَشُ والإعجاب عندما تقرأ للأستاذ (ديوس ديكر)، قصة الموقعة البحرية التي دارت رحاها على الشواطئ: (سنداكلاپا) ـ جاكرتا اليوم ـ بين مسلمي إندونيسيا والبرتغال، حينما هاجموا بأسطولهم الضخم، فقاد جيوشَ المسلمين فيها إلى النصر المبين مولانا (هدايةُ الله) من سلالة (أبناء الجنوب)، بإدارة حازمةٍ وحنكة تدل على عبقرية القيادة الحربية، فمزق الأسطول البرتغالي شرَّ ممزَّق، وشبَّ الحريقُ في بعضها وكان مصيره قاع اليمّ، ولاذتْ البقية الباقية بالهزيمة والفرار.

إندونيسيا مجال حيوي للحضارم:

إن الحضارم هم من عباقرة هذا الجنوب، ما في ذلك من شك، غير أنّ وضعية بلادهم وظروف حكمهاالفاسد، لم تكن لتساعد على بروز هذه المواهب والعبقريات فيها، فأخذت تلتمس مجالها في الخارج. وهي إن تكن قد تركت أثراً في كل بلد تديّرته، إلا أن مجالها الحيوي الذي برزت فيه بأجلى صورها الرائعة هي (إندونيسيا) أو (جزر الهند الشرقية)، حيث تركت أثراً بارزاً في كلِّ نواحي الحياة هناك: في الثقافة، في الاجتماع، في الاقتصاد، في العادات والتقاليد، في مظاهر وطريقة أداء الطقوس الدينية، إذ وجد أولئك الجنوبيون في تلك البلاد مَجالاً فسيحاً لنشاطهم الذي ضاقت به بلادهم، فمرتْ عليهم فترةٌ من التاريخِ كانوا فيها أربابَ الحول والطول والثروة الباذخة.

الحلقة الثانية(*)

تأثر عرب إندونيسيا بالحركة التجديدية:

ولما ظهرت الحركة التجديدية في العالم العربي بعد اليقظة الحديثة، كانوا أسرع إلى التأثر بها وترسم خطواتها من أوطانهم في الجنوب ذاته. فشيدت بها المدارس العربية على المناهج الحديثة، قبل أن تعرف أقطارُ الجنوب شيئاً عن المدارس ونظمها الحديثة، وظهرت فيها الصحفُ العربية والمؤلفات القيمة، قبلَ أن يعرف للجنوب أي مؤسسة صحفية أو مطبعية. ولعلَّ بعضَ المشتغلين بالصحافةِ من أبناء (عدن) ما زالوا يذكرون أن صحفَ (إندونيسيا) هي التي كانت تحملُ (صوت عدن) في عهد من العهود القريبة، في الوقت الذي لم تكن للعدنيين فيه صحيفة ما.

مساهمتهم في الحركة الصناعية والفنون:

وإذا كان الجنوبُ محروماً حتى اليوم من الحركة الصناعية على العموم، ومن المصانع والمعامل، فإن من مفاخرهِ أن يكون لبعض ابنائه في ذلك المهجر القاصي نشاطٌ محمود بارز في دنيا الصناعة، وأن يمتلكوا فيه معاملَ و مصانعَ ضخمة كثيرة، للنسيج، والزجاج، والجلود، و(لمبات) الكهرباء، وغيرها من الصناعات المختلفة.

ويجدر بنا أيضاً أن لا ننسى في هذا المعرِض: الإشارةَ الى تبريز فنانيهم في الموسيقى والرسم، ولعلّ كثيراً من قرائنا يجهلون نابغةَ الرسم (الرادين صالح)، الذي أطلق اسمه على

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (٩٨)، ٢ صفر ١٣٧١هـ (= ١٨ نوفمبر ١٩٥١م): ص ١١.

شارع من شوارع العاصمة (جاكرتا)، كما أظن أنهم يجهلون أيضاً اسم نابغة الموسيقى الملايوية: (س. عبدالله)، وكلاهما من أصول عربية، غير أنهم لا يجهلون نابغةً آخر في الموسيقى العربية هو المرحوم الأستاذ (شيخ البار)، الذي تذاع أغانيه من محطة لندن، وجاكرتا.

نشاطهم الاقتصادي والصناعي:

وبالرغم من الركود الذي اعتوَرَ نشاط العرب بإندونيسيا في العهد الأخير، لعوامل شتى ليس هذا مجالُ استقصائها، فما زالوا يحتفظونَ بشيء من ذلك النشاط في الميدانين: الإقتصادي والصناعي، على الأقل. ولعل ما يبدو لنا من ركود في الناحيتين: الثقافية والاجتماعية في الوقت الحاضر، مرجعُه إلى: أن العرب في إندونيسيا لم يعودوا يستقلّون بنشاطهم وحركاتهم بعد استقلال (إندونيسيا) كعهدهم في السابق، فقد أصبحوا يقومون بها مندمجين في حركات إخوانهم الإندونيسين.

ومن أبرز رجالِ الصناعة من أبناء عرب الجنوب في إندونيسيا: آل العَرْمى بن سُنكَر، الذين مرّ بعدن حديثاً مديرُ مصانعهم للنسيجِ، الوجيه الشيخُ الفاضل (سالمين بن سنكر)، ونشرَت (النهضة) خبره في حينه، وكان قد طاف البلاد العربية، وزار مسقط رأسه بحضرموت. فلم يشأ أن تمرَّ هذه الزيارة دون أن يترك ذكرَى خالدة، فاستصحب معه بعثةً من خمسةِ طُلاّب يتلقون تعليمهم على نفقته بمعاهد العراق، كما تبرع لمدارس (الغيل) بألف روبية كذكرى لزيارته لها.

ومصانع النسيج هذه الذي يمتلكها (آل العَرْمِي)، تقعُ في ضاحية من ضواحي مدينة (الصولو) بـ(جاوا الوسطى)، حيث تقومُ مباني هذه المصانع وما يستتبعها من مخازن ومنازل لسكنى العمال، بحيث تكوّن قريةً مستقلة، ولهذه المصانع مولّد كهربائي خاص، ويشتغل فيها نحوُ ألفٍ وخمسمائة عامل، ويوجد بها ثلاثمائة منسَجٍ تدارُ بالأيدي، وهي تنتج أنواعاً

مختلفة من منسوجات لا تقلُّ جودتُها عن المنسوجات الأوروبية، من (الكتان) و(البوبلين)، والأُزُر (الصواريم)، ونحوها.

حديث عن التطورات الحديثة:

وقد سألنا الأستاذ (سالمين) عن التطورات في (إندونيسيا) خلال الثلاث سنوات الأخيرة بعد نيلها الإستقلال؟ فكانت أجوبته تخلُصُ في: «أن تطوراتٍ كثيرة قد مرّت في (إندونيسيا) خلال هذه المدة، أهمها في النواحي الثلاث التالية: الأمن، الاقتصاد، الثقافة.

فمن ناحية الأمن: ضربت الحكومة بيد من حديد على المخلّين به، وأخذت تضيق الخناق عليهم، حتى لقد ألقت القبض على بعض أعضاء المجلس الوطني أو البرلمان، لظهور اتصالهم بتلك الحركاتِ الهدامة، وبفضلِ هذه الإجراءات الصارمة، أخذ الأمن يستتبّ في نواحي البلاد وتستقر أمورها، ويخلد أهلها إلى الهدوء والطمأنينة. ولارتباط الحركة الاقتصادية بالأمن: فقد نجَم عن ذلك **انتعاش اقتصادي عظيم**، نال العرب من أرباحه قسطاً كبيراً لا يستهان به، وعاد دولاب المصانع يتحرك كعهده سابقا.

أما من الناحية الثقافية: فقد حدث فيها بالنسبةِ للعرب أكبرُ تحوّل في مجرى تاريخه بذلك المهجر، فمن المعروف أن مدارسَهم كانت تقوم على مناهجَ خاصة تستهدف الاقتِصار على العربية فقط، أو تغليبها على غيرها من اللغات، فكانت ثقافتُها عربيةً محضة، كما أن إقبالهم على المدارس الأجنبية كان ضئيلاً جداً.

وقد شعُروا أخيراً أنه إذا كان لذلك مبررَه في عهد الاستعمار الهولندي، فلم يعد له من معنى بعد استقلالِ (إندونيسيا)، وانتزاع معارفها من يد الأجنبي، فقرر الحزبان العربيان المعروفان هناك: (الرابطة العلوية)، و(الإرشاد)، تطبيق برامج الحكومة على مدارسهما، وجعل نسبة تدريس العربية في الفصول الأولية ٤٠٪، والفصول الراقية ٢٠٪. وقد أقبل أبناء العرب في العهد الأخير إقبالاً هائلاً على التعليم العالي بشكل لم يعهد له مثيل من قبل».

وأردف حضرته قائلاً: «وإني أتكهن بناء على هذا الإقبال الزائد على المعاهد العلمية والرغبة في التعليم الصحيح، أن لا تمضي ١٠ سنوات حتى يصبح كثير من العيادات الطبية ومكاتب المحاماة والمرافق الأخرى تحت أيدي أبناء العرب». «وهنا يجب أن لا أغفل شكر حكومة إندونيسيا التي تعتبر العربي فيها مواطناً يتمتع بكل الحقوق التي يتمتع بها الإندونيسي، ولعلكم لا تجهلون أن بعض أبناء العرب قد تولوا الوزارات والقيادات الحربية وغيرها».

* * *

الأدب الحضرمي العامي (*)

(١)

على ضوء كتاب:
«مختارات من الأدب العامي الحضرمي»
للمستشرق الكبير الدكتور روبرت سارجنت

لغة قومية ولهجات محلية:

للعرب كما لا يخفى لغة قومية عامة، ولهجات محلية خاصة مشتقة أو متفرعة عنها في الأصل، وإلى القرآن الكريم والحديث الشريف يعود الفضل الأكبر في بقاء اللغة العربية القومية محتفظة بكيانها وجدتها ورونقها، كعهدها منذ أكثر من (١٣٧٠) سنة، بحيث لا يصعب على عامة العرب اليوم، بله خاصتهم، فهم المعاني المتبادرة من آيات القرآن ونصوص الحديث، بالرغم من اجتيازها تلك الحقبة الطويلة من التاريخ.

وبحيث لا تبعد كثيراً لغة كتاب العصر الحديث عن لغة ما قبل ألف سنة بعكس ما تجده في بعض اللغات الأخرى. ففي الإنجليزية مثلا تجد أن (لغة شكسبير) وهو أقرب عهداً من القرآن بكثير، تختلف تماماً عن لغة كُتّاب الإنجليزية في العصر الحاضر. وإنما كان الأمر كذلك لأن العربَ خاصةً والمسلمين عامةً لم يجعلوا من القرآن والحديث مثلهم الأعلى في التشريع والأخلاق فحسْب، بل كذلك أخذوا منهما مثلهم المحتذَى في أدب اللغة.

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (١١٣)، بتاريخ: ١٤/ ٩/ ١٩٥٢م.

القرآن يوحد اللغة القومية:

ولكننا نرى إلى جانبِ اللغة القومية الموحدة التي هي لغة القرآن، والتي احتفظت بطابعها القديم إلا بمقدار ما استدعته المعاني المستحدثة والمخترعات المستجَدَّة، نرى إلى جانبها لهجاتٍ محليةً قد سايرتها واختصت كل لهجة منها بمقاطعة أو إقليم من الأقاليم العربية، وإنما أسميناها (لغة قومية) لأنها التي يتفاهم بها جميع أبناء العروبة في سائر أقطارهم، ولأنها أعظم مقوماتهم القومية، والرابطة الوثقى فيما بينهم منذ الأجيال السحيقة، كما أنها لغة التأليف والخطابة والآداب المشتركة.

في حين أن اللهجات المحلية بالرغم من تفرعها عنها، فهي تنحرف عنها بمقاييس تختلف باختلاف العوامل التي أثرت عليها في كل قطر من الأقطار العربية، من جراء الاحتكاك بالشعوب الأجنبية والتأثر بلغاتها، وما إلى ذلك من العوامل والمؤثرات، بحيث قد يصل التباين والتباعد بين بعض هذه اللهجات إلى حد يجعلها وكأنّ إحداها مستقلةٌ عن الأخرى، كما يبدو ذلك بالمقارنة بين لهجاتِ (الجنوب العربي) مثلاً ولهجة (العراق). مما يؤكد لنا أنه لولا فضلُ القرآن والحديث على اللغة العربية لفقدت الأمة العربية أعظم مقوماتها القومية وهي وَحْدة اللغة، وتحولت شعوباً لا يفهم بعضها بعضا، كما كان من أمر (اللاتينية) التي تفرعت عنها عدةُ لغات استقلت عنها تماماً، في حين أضحتْ هي أشبه بلغة أثرية.

وهذا ما حدا بالغيورين على القومية العربية إلى محاربة الحملة القوية التي كان قد شنّها بعضُ الكتّاب القِصَار النظر، للاستعاضةِ بالعامية عن الفصحى، تلك الحملة التي باءت والحمد لله بالفشل الذريع.

اللهجاتُ المحلية ليست حديثةً:

على أنّ تلك اللهجات المحلية فيما يظهر لنا ليست إلا استمراراً وامتداداً للهجات محلية كانت موجودة منذ عهد بعيد سابق لعصر الإسلام، كما ندرك ذلك من نزول القرآن على سبعة أحرف، ومخاطبة الرسول ﷺ للوفود بلهجاتهم التي يختلف بعضها عن بعض، وقوله: «**خاطبوا كل قوم بلغتهم**»(١).

ولقد يبدو لنا أحياناً مما يرويه التاريخ عن عثمان بن عفان ﷺ: من أنه أُرتِجَ عليه ذات مرة عندما صعد المنبر ليخطب خطبة الجمعة، ويبدو لنا من ذلك أن الخطب لم تكن تلقى بلغة التخاطب التي كان يتفاهم بها الناس في ذلك العصر في حياتهم العامة، لأن في استطاعة أي كان التفاهم بلغة التخاطب في أي وقت شاء، وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى الخطابة، مع ملاحظة أن عثمان كان قد جاء المسجد وهو مدرك تماما أنه سيخاطب المصلين، ومعنى ذلك أنه كان مستحضراً لموضوعه ولكن التعبير خانه، وندّتْ عنه الجملُ والألفاظ المناسبة لمقام الخطبة التي كان قد أعدها.

ومما يدل أيضا على أن لغة التخاطب لم تكن هي نفس لغة الخطابة والكتابة، حتى فيما قبل عصر الإسلام: تلك العادةُ التي كانت متبعة في ذك العصر، من إرسال الأبناء إلى أحضان البادية صيانةً لألسنتهم وتقويةً لملكاتهم العربية. ومن هذا يتضح: أن النبي ﷺ هو الذي وحد لغة العرب، بواسطة القرآن، وجمعهم على لغة فريش التي سادت فيما بعد سائر الشعوب الناطقة بالضاد، والمنضوية تحت لواء الإسلام، وما زالت هي السائدة حتى اليوم.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأصله عند البخاري في «صحيحه» في كتاب العلم (باب ٤٩: من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا) من قول الإمام علي رضي الله عنه: «**حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله**».

اللهجات المحلية كوسيلة لدراسة الشعوب العربية:

ونحن عندما نعترف بفضل هذه اللغة، ولا نرتضي عنها بديلاً، لا ننكر في الوقت ذاته أن للهجات المحلية فضلها الذي لا يجحد في تفهم ودراسة نفسية كل شعب من الشعوب العربية على حدة، والتعرف إلى خصائصه ومميزاته وعاداته وتقاليده، بل كذلك حركاته السياسية المحلية، وأحداثه التاريخية الموضعية، مما يصعب الوصول إليه أحيانا بواسطة الأدب العربي المشترك، وهذا لا يتنافى طبعاً مع وحدة شعور الأمة العربية، وتقارب نفسياتها وأذواقها، وتشابه مميزاتها وخصائصها من وجهة عامة.

فلقد مرت على بعض أنحاء الجنوب العربي فترة من التاريخ، ركد فيها نشاط الأدب وحركة التدوين، بحيث يعسر على الباحث دراسة غوامض أحداثها السياسية والتاريخية، إذا لم يتخذ مما حفظ عنها في هذه الفترة من مقامات وأشعار عامية وسيلته إلى تلك الغاية.

* * *

الحلقة الثانية

الأدب الحضرمي العامي (*)

(٢)

اللهجة الحضرمية من أقرب اللهجات إلى الفصحى:

إذا كانت اللهجات المحلية تنحرف عن اللغة العربية القومية (الفصحى) بنسب متفاوتة، حسب العوامل المؤثرة فيها كما أشرنا إلى ذلك في المقال السابق، فلعل من الإنصاف للحقيقة أن نذكر أن اللهجة الحضرمية من أقرب اللهجات إلى الفصحى.

وليس على الباحث ليتحقق من ذلك إلا أن يتتبع مفرداتها ويراجع الأصول اللغوية، ثم يقابل بينهما فتتضح له الحقيقة جلية ليس عليها غبار.

ومن المؤسف: أننا لا نعلم من اضطلع بهذه المهمة غير اثنين، اخترمت المنية أحدهما قبل إتمام بحثه، وهو اللغوي النابغة المبكى على شبابه وعلمه المرحوم السيد محمد بن أحمد ابن يحيى، فواصل البحث من بعده الأستاذ الشهير السيد محمد بن هاشم، سالكاً فيه مسلك الدراسة اللغوية المستفيضة. غير أن مما يحز في النفس ويضاعف الألم: أن مثال هذه الأبحاث القيمة لا تجد من يهتم بها من أثرياء حضرموت، فيشجع المتفرغين لها على المضي في إتمامها، ثم العمل لطبعها وتيسير تداولها في أيدي الباحثين والمتتبعين.

(*)«صحيفة النهضة»، العدد (١١٤)، بتاريخ: ٢١/ ٩/ ١٩٥٢م.

على أن اللهجة الحضرمية قد تشترك مع غيرها من اللهجات العربية في بعض الظواهر التي تنحرف بها عن الفصحى، كما نشاهد في ذلك استبدال (السين) و(سوف) أداتي التسويف في المط بالباء. فهذه الظاهرة معروفة في أكثر اللهجات العربية، في حين أنها قد تنفرد ببعضها فيكون من مميزاتها الخاصة، كاستبدال (كاف) خطاب المؤنث (بالشين)، ولكن هذه الظاهرة ترجع إلى أصل معروف في كتب اللغة بـ(لغة الكشكشة)، كما هو الواقع أيضا في إبدال العين في (أعطني) بالنون فتنطق (أنطني)، فهي إذا لم أكن مخطئاً لغة بني تميم، وقد وردت بها قراءة شاذة في سورة الكوثر (إنا أنطيناك الكوثر..) إلخ السورة.

تأثرها بالإندونيسية:

وجدير بالتنويه: أن اللهجة الحضرمية في جميعها لا تفترق كثيراً عن لهجات بقية أجزاء الجنوب العربي، وذلك طبعي لأنها جميعاً تكون وطناً واحداً، وإن تعددت الأسماء واختلفت الأوضاع السياسية في بعضها عن البعض الآخر، ومن المألوف أن تردد ألسن سكان... واليمن ولحج مثلاً، الأشعار الحضرمية، ويتغنوا بها في محافلهم ومسامرهم، مثلما يردد أشعارهم ويتغنى بها سكان حضرموت.

غير أن من المجافاة للحقيقة: أن لا نعترف بأن اللهجة الحضرمية قد تأثرت في العهد الأخير إلى حد ما باللغة الإندونيسية، كما تأثرت عدن وبعض الإمارات المجاورة بالأردوية، ولكن هذا التأثر بالإندونيسية قاصر في الغالب على نواحي من حضرموت خاصة، وهي التي اكتسحتها الهجرة إلى الشرق الأقصى، كتريم وسيون وما يجاورها، حيث تسمع على ألسن السكان كلمات كهذه: (باجو فنص = الشعار)، و(كاوس كاكي = الجورب)، و(سافوتاغن = المنديل).

جرأتها حيث تجبن الفصحى:

وليس في الإمكان إنكار أن اللهجة الحضرمية تحوي كنوزاً دفينةً وذخائرَ قيمةً من

الأشعار والمقامات والملاحم التي يمكن أن تكون من خير الوسائل لصاينة كثير من العادات والتقاليد ومظاهر الحياة العامة من أن تعبث بها يد النسيان، بعد أن تعدو عليها عاديات الأيام والمدنية الحديثة، التي تحبو إليها متوغلة في أرجائها.

كما أنها تحفظ لها بعض التراث التاريخي عن الأحداث والتطورات الخطيرة التي يخشى الكتاب والمؤلفون تناولها على صورتها الصادقة فيما يكتبونه وينشرونه عنها، في حين أنا لم نجدها بثوبها الحقيقي في مثل تلك الملاحم التي كانت مثلاً تنشر بين الناس فيتناقلونها منسوبة إلى من يرمز إلى نفسه بـ(الفرزدق)، وما عهد (الفرزدق) الحضرمي وملاحمه ببعيد، هذا عدا ما يمكن أن نفيده بدراسة تلك الأشعار والمقامات في التعرف إلى خصائص الشعب الحضرمي وتفهم نفسيته.

أول من ألف فيها:

ولكن بالرغم مما يظهر لنا من الفائدة والمصلحة في تدوين هذا النوع من المقامات والأشعار، فإنا لا نعرف أن أحداً حاول قبل الدكتور (سارجنت) النهوض بهذا العبء غير فضيلة **السيد محمد بن سالم بن أحمد العطاس** المقيم الآن بسنقافورا، والذي وضع كتابا سماه (الطرفة)، حشد بين دفتيه مجموعة ضخمة من الأشعار الحضرمية (الحمينية) العامية، وجعله أقساماً، خص كل قسم منه بناحية من نواحي حضرموت، مع شرح الألفاظ الغامضة.

وقد كتب مقدمته الأستاذ **السيد حامد السري**، وكان قد عرضه عليَّ أثناء إقامتي بسنغافورا وهو إذ ذاك يهم بطبعه، ولا أدري ما الذي صرفه عنه فيما بعد، مع أني كنت أقدر له الرواج والانتشار، ففيه ضنائن من الشعر (الحميني) تلذ مطالعتها سيما للحضرمي، ومن أغربها قصيدة مطولة لشاعر قالها وهو في حيدر أباد (الدكن)، وتنبأ فيها بالأحداث

والتطورات الأخيرة بحضرموت، قبل نحو (٧٠) عاماً من حدوثها، وسمى الطائرة التي تنبأ بتحليقها في جو حضرموت قبل أن تعرف بـ(الفرارة).

الدكتور (سارجنت) أول من يستقل بأدب عامي حضرمي:

إلا أن الدكتور (سارجنت) نحا منحى آخر في كتابه «مختارات من الأدب الحضرمي العامي»، لم يقتصر فيه على تدوين الأشعار كما صنع الأستاذ العطاس، بل وضع به نواة لأدب عامي حضرمي مستقل، يستوعب أكثر الأغراض التي يتناولها الأدب العربي العام، من غزل ونسيب ومديح وهجاء وتهاني وأشعار مناسبات، ومقامات، ومحاورات في المفاضلة بين البيض والسمر (الخضر) والصفر من النساء، والشاي والقهوة، وفي وصف بعض الأطعمة المعروفة بحضرموت، وبعض الأنظمة والعادات والتقاليد وأساليب الحياة الحضرمية، وحروب يافع وآل كثير.

ومن هذا يتبين أن الدكتور (**سارجنت**) قد افتتح فتحاً جديداً لم يسبقه إليه أحد، بإيجاد كيان قائم بنفسه **للأدب الحضرمي العامي**، الذي كان هو أول من ألف فيه، وطبع مؤلفه هذا طبعاً أنيقاً على نفقة (معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن)، فيسر بذلك تداوله في أيدي القراء والإفادة منه، وإني لكفيل لكل من عثرت يده على نسخة منه أن يشاركني ما وجدت من الفائدة واللذة والمتعة، بتسريح النظر بتلك الروضة الفينانة، التي نسقها لنا الدكتور (سارجنت) باسم «**مختارات من الأدب العامي الحضرمي**».

ولعل من حقي بهذه المناسبة أن أعتبر الدكتور (**سارجنت**) مواطناً حضرمياً أو جنوبياً، بالنظر إلى ما يلمسه كل من عرفه عن كثب من افتتانه بحضرموت وغرامه بهواها وتشوقه إليها تشوقاً لا يقل عن تشوق الحضرمي في مهجره إلى مسقط رأسه، بعد أن قضى بها مع عقيلته فترة ليست قصيرة، باحثاً ومنقباً عن دفائن المكاتب الحضرمية، بالنظر إلى هذا

مع الخدمات الأدبية القيمة التي أسداها إليها بما كتب عنها وعن الجنوب عامة، من فصول ضافية لمجلة (الأدب والفن) لمحطة إذاعة لندن.

ملاحظات:

على تقديرنا العظيم لكتاب «مختارات من الأدب العامي الحضرمي»، لا يحول دون إبداء بعض ملاحظاتنا عليه:

١. بعض التصحيفات وتشكيل الكلمات وضبطها، ولعلها حدثت من المصحّح.

٢. أن الدكتور لم يتعرض فيه لذكر شئ من القصائد المطولة التي قيلت في الأحداث الأخيرة.

* * *

على أن اللهجة الحضرمية قد تشترك مع غيرها من اللهجات العربية في بعض الظواهر التي تنحرف بها عن الفصحى، كما نشاهد في ذلك استبدال (السين) و(سوف) أداتي التسويف في المط بالباء. فهذه الظاهرة معروفة في أكثر اللهجات العربية، في حين أنها قد تنفرد ببعضها فيكون من مميزاتها الخاصة، كاستبدال (كاف) خطاب المؤنث (بالشين)، ولكن هذه الظاهرة ترجع إلى أصل معروف في كتب اللغة بـ(لغة الكشكشة)، كما هو الواقع أيضا في إبدال العين في (أعطني) بالنون فتنطق (أنطني)، فهي إذا لم أكن مخطئاً لغة بني تميم، وقد وردت بها قراءة شاذة في سورة الكوثر (إنا أنطيناك الكوثر..) إلخ السورة.

تأثرها بالإندونيسية:

وجدير بالتنويه: أن اللهجة الحضرمية في جميعها لا تفترق كثيراً عن لهجات بقية أجزاء الجنوب العربي، وذلك طبعي لأنها جميعاً تكون وطناً واحداً، وإن تعددت الأسماء واختلفت الأوضاع السياسية في بعضها عن البعض الآخر، ومن المألوف أن تردد ألسن سكان... واليمن ولحج مثلاً، الأشعار الحضرمية، ويتغنوا بها في محافلهم ومسامرهم، مثلما يردد أشعارهم ويتغنى بها سكان حضرموت.

غير أن من المجافاة للحقيقة: أن لا نعترف بأن اللهجة الحضرمية قد تأثرت في العهد الأخير إلى حد ما باللغة الإندونيسية، كما تأثرت عدن وبعض الإمارات المجاورة بالأردوية، ولكن هذا التأثر بالإندونيسية قاصر في الغالب على نواحي من حضرموت خاصة، وهي التي اكتسحتها الهجرة إلى الشرق الأقصى، كتريم وسيون وما يجاورها، حيث تسمع على ألسن السكان كلمات كهذه: (باجو فنص = الشعار)، و(كاوس كاكي = الجورب)، و(سافوتاغن = المنديل).

جرأتها حيث تجبن الفصحى:

وليس في الإمكان إنكار أن اللهجة الحضرمية تحوي كنوزاً دفينةً وذخائرَ قيمةً من

الأشعار والمقامات والملاحم التي يمكن أن تكون من خير الوسائل لصاينة كثير من العادات والتقاليد ومظاهر الحياة العامة من أن تعبث بها يد النسيان، بعد أن تعدو عليها عاديات الأيام والمدنية الحديثة، التي تحبو إليها متوغلة في أرجائها.

كما أنها تحفظ لها بعض التراث التاريخي عن الأحداث والتطورات الخطيرة التي يخشى الكتاب والمؤلفون تناولها على صورتها الصادقة فيما يكتبونه وينشرونه عنها، في حين أنا لم نجدها بثوبها الحقيقي في مثل تلك الملاحم التي كانت مثلاً تنشر بين الناس فيتناقلونها منسوبة إلى من يرمز إلى نفسه بـ(الفرزدق)، وما عهد (الفرزدق) الحضرمي وملاحمه ببعيد، هذا عدا ما يمكن أن نفيده بدراسة تلك الأشعار والمقامات في التعرف إلى خصائص الشعب الحضرمي وتفهم نفسيته.

أول من ألف فيها:

ولكن بالرغم مما يظهر لنا من الفائدة والمصلحة في تدوين هذا النوع من المقامات والأشعار، فإنا لا نعرف أن أحداً حاول قبل الدكتور (سارجنت) النهوض بهذا العبء غير فضيلة **السيد محمد بن سالم بن أحمد العطاس** المقيم الآن بسنقافورا، والذي وضع كتابا سماه (الطرفة)، حشد بين دفتيه مجموعة ضخمة من الأشعار الحضرمية (الحمينية) العامية، وجعله أقساماً، خص كل قسم منه بناحية من نواحي حضرموت، مع شرح الألفاظ الغامضة.

وقد كتب مقدمته الأستاذ **السيد حامد السري**، وكان قد عرضه عليَّ أثناء إقامتي بسنغافورا وهو إذ ذاك يهم بطبعه، ولا أدري ما الذي صرفه عنه فيما بعد، مع أني كنت أقدر له الرواج والانتشار، ففيه ضنائن من الشعر (الحميني) تلذ مطالعتها سيما للحضرمي، ومن أغربها قصيدة مطولة لشاعر قالها وهو في حيدر أباد (الدكن)، وتنبأ فيها بالأحداث

صَفْحَةٌ من أَمجَادِ عَربِ الجنُوبِ في الشَّرقِ الأقْصَى (*)

(١)

ملخص محاضرة ألقاها الأستاذ أحمد عمر بافقيه في «دار رابطة أبناء الجنوب العربي» بعدن، ثم أعاد إلقاءها بدار «نادي الإصلاح» بالتواهي.

صادرات بشرية!

سادتي الأجلاء:

كنت ذات مرة أقوم بزياره لإحدى المدارس بحضرموت، وصادف أن كان دخولي الفصلَ والمدرسُ يسرد صادرات حضرموت، وقد عد (التمباك = التبغ) في رأس قائمة هذه الصادرات. فحملتني صداقتي للمدرس أن أعاتبَه، فقلت له: إنك أغفلتَ أهمَّ صادرات حضرموت، فقال لي مستغرباً: ما هو؟ قلت: الصادراتُ البشرية! فقهقَهَ ضاحكاً واعتبرها مجرد نكتة، وإني وإن كنت أسلّم بأنها نكتة قد تكون خفيفة وقد تكون ثقيلة، إلا أنها على كل حالٍ تصوّر الواقع في حضرموت تصويراً قد لا يجافي الحقيقة كثيراً.

حضرموت لا تستوعب أبناءها:

فحضرموتُ منذ عصورها القديمة تقذِف بموجات مستمرةٍ من الهجرة إلى مختلف الأقطار القريبة والنائية، وهي في ذلك بمثابة الأم الولود المعدمة الصارمة، أنعم الله عليها

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (١١٧)، ١٨ سبتمبر ١٩٥٢م.

بكثرة الولد، وحرمها سعة اليد، ولكن ألهمها في نفسِ الوقت ـ ولحسنِ الحظ ـ تربيةَ أبنائها تربيةً أساسُها الاعتماد على النفس، فهي لا تكاد تلفظ أحدَهم إلى نور الحياة، وما يكادُ يستوي عوداً، حتى تجابهه بالحقيقة المرّة التي تعني أنها لا تملكُ الإنفاقَ عليه، فيجب أن ينقّب في زوايا الأرض عن مطالِب حياته ولوازم معيشته!

هكذا تفرّق أبناءُ حضرموت وتوزّعوا في كلّ صقع وناحيةٍ، في موجاتٍ متدفّقة لم تعرِف الانقطاع، منذ تضافرت عواملُ الطبيعة على أن تجعل منها أرضاً غير ذات زرع. وهذه الظاهرة الملحوظة إذَن كانت قد حرمت ذلك الجزء من وطن الجنوب من جهود أبنائه وكفاحهم في سبيل إسعاده، فقد أبقَت لهم أثراً خالداً في كل بلاد تديروها واتخذوا منها مقراً لنشاطهم في مختلف صوره وأشكاله، من: اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وسياسية. وقد ساعد الحضرميَّ على ذلك طموحُه وحلمُه وصبره على المكاره وتحمل المشاقّ التي ندر أن يتحملها غيره، في سبيل نيل أهدافه وتحقيق غاياته، تلك الصفاتُ التي أقرّ بها له سائر من كتبوا عن هذه العائلة الجنوبية.

تاريخ هجرة الحضارم:

ولحضراتكم أن تتساءلوا بعد هذا.. عن تاريخ بدءِ هِجرةِ هؤلاء الجنوبيين الحضارم، ويبدو لي أن ولَعهم بالهجرة يرجع إلى ما قبل تاريخ الإسلام، والتي كانت قد اتخذت شكلها البارزَ منذ القرون الأولى بعد الإسلام. فإن العواملَ التي تدفعُ بهم اليوم إلى الهجرةِ ليست حديثةَ العهد، فقد وجدت منذ نُكِبَ الجنوبُ بسيل العَرِم وأبدِلَ أهلُه ﴿بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦].

بل إن بعض المؤرخين يذكر: أن (الهكسوس) الذين حكموا مصر في فترة من عهود الفراعنة كانوا قد اندفعوا إليها في موجة من موجات هجرة (أبناء الجنوب)، ولا شك أن حضراتكم لا تجهلون رحلةَ امرئ القيس الشاعر الضليل، الذي لجأ إلى قيصر الروم، تاركاً

صَفْحَةٌ من أَمجَادِ عَربِ الجنُوبِ في الشَّرقِ الأَقْصَى (*)

(١)

ملخص محاضرة ألقاها الأستاذ أحمد عمر بافقيه في «دار رابطة أبناء الجنوب العربي» بعدن، ثم أعاد إلقاءها بدار «نادي **الإصلاح**» بالتواهي.

صادرات بشرية!

سادتي الأجلاء:

كنت ذات مرة أقوم بزياره لإحدى المدارس بحضرموت، وصادف أن كان دخولي الفصلَ والمدرسُ يسرد صادرات حضرموت، وقد عد (التمباك = التبغ) في رأس قائمة هذه الصادرات. فحملتني صداقتي للمدرس أن أعاتبَه، فقلت له: إنك أغفلتَ أهمَّ صادرات حضرموت، فقال لي مستغرباً: ما هو؟ قلت: الصادراتُ البشرية! فقهقَهَ ضاحكاً واعتبرها مجرد نكتة، وإني وإن كنت أسلّم بأنها نكتة قد تكون خفيفة وقد تكون ثقيلة، إلا أنها على كل حالٍ تصوّر الواقع في حضرموت تصويراً قد لا يجافي الحقيقة كثيراً.

حضرموت لا تستوعب أبناءها:

فحضرموتُ منذ عصورها القديمة تقذِف بموجات مستمرةٍ من الهجرة إلى مختلف الأقطار القريبة والنائية، وهي في ذلك بمثابة الأم الولود المعدمة الصارمة، أنعم الله عليها

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (١١٧)، ١٨ سبتمبر ١٩٥٢م.

بكثرة الولد، وحرمها سعة اليد، ولكن ألهمها في نفسِ الوقت ـ ولحسنِ الحظ ـ تربيةَ أبنائها تربيةً أساسُها الاعتماد على النفس، فهي لا تكاد تلفظ أحدَهم إلى نور الحياة، وما يكادُ يستوي عوداً، حتى تجابهه بالحقيقة المرّة التي تعني أنها لا تملكُ الإنفاقَ عليه، فيجب أن ينقّب في زوايا الأرض عن مطالِب حياته ولوازم معيشته!

هكذا تفرّق أبناءُ حضرموت وتوزّعوا في كلّ صقع وناحيةٍ، في موجاتٍ متدفّقة لم تعرِف الانقطاع، منذ تضافرت عواملُ الطبيعة على أن تجعل منها أرضاً غير ذات زرع. وهذه الظاهرة الملحوظة إذَن كانت قد حرمت ذلك الجزء من وطن الجنوب من جهود أبنائه وكفاحهم في سبيل إسعاده، فقد أبقَت لهم أثراً خالداً في كل بلاد تديروها واتخذوا منها مقراً لنشاطهم في مختلف صوره وأشكاله، من: اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وسياسية. وقد ساعد الحضرميَّ على ذلك طموحُه وحلمُه وصبره على المكاره وتحمل المشاقّ التي ندر أن يتحملها غيره، في سبيل نيل أهدافه وتحقيق غاياته، تلك الصفاتُ التي أقرّ بها له سائر من كتبوا عن هذه العائلة الجنوبية.

تاريخ هجرة الحضارم:

ولحضراتكم أن تتساءلوا بعد هذا.. عن تاريخ بدءِ هِجرةِ هؤلاء الجنوبيين الحضارم، ويبدو لي أن ولَعهم بالهجرة يرجع إلى ما قبل تاريخ الإسلام، والتي كانت قد اتخذت شكلها البارزَ منذ القرون الأولى بعد الإسلام. فإن العواملَ التي تدفعُ بهم اليوم إلى الهجرةِ ليست حديثةَ العهد، فقد وجدت منذ نُكِبَ الجنوبُ بسيل العَرِم وأبدِلَ أهلُه ﴿بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦].

بل إن بعض المؤرخين يذكر: أن (الهكسوس) الذين حكموا مصر في فترة من عهود الفراعنة كانوا قد اندفعوا إليها في موجة من موجات هجرة (أبناء الجنوب)، ولا شك أن حضراتكم لا تجهلون رحلةَ امرئ القيس الشاعر الضليل، الذي لجأ إلى قيصر الروم، تاركاً

عرش آبائه ومنازل قومه في (دمّون) بحضرموت، في قصة طويلة أشار إليها بأبيات يقول فيها:

بكَى صَاحِبي لما رأَى الدَّرْبَ دُونَه ... وأيقَنَ أنا لاحقانِ بقَيصَرا
فقلتُ لَه: لا تَبكِ عَيناكَ إنّما ... نُحاوِلُ مُلكاً أو نَمُوتَ فنعذُرا

ففي قصة الشاعر الضَّليلِ هذه ما يدل على أن (أبناء الأحقافِ) في عصره كانوا قد عرفوا الهجرةَ إلى البلاد الشاسعة تحت ضغط دوافع مختلفة.

أما بعد ظهور الإسلام: فقد اندفعوا مع الفتُوحات الإسلامية يرِدُونَ كلّ بلاد تنضوي تحت لواء الدين الجديد، لعلهم يلقون فيها مجالاً لطموحهم الذي يضيق به مسقط رؤوسهم، مما هيأ للتاريخ أن يحدثَنا عن شخصيات كثيرة من هذه (العائلة الجنوبية)، برزت في مختلفِ فروع الحياة ومجالات النشاط في تلك النواحي، منذ بداية القرن الثاني للهجرة.

آثارهم في المهاجر:

فكان منهم: الرؤساء، والقواد، والقضاة، والرواة، والمحدّثون، كما كان منهم أربابُ النِّحل ومثيرو الفتَنِ والقلاقل، وقد تولى عددٌ كبيرٌ منهم قضاءَ مصر- وعواصم إسلامية أخرى، ويذكر المقريزي: أنه كان لهم في القرَافة بمصْر من ناحية الجبل ثلاثمائة قبة، ومهما توهمنا المبالغة في هذا الخبر فإن أصله يدل على الكثرة. ويسجّل التاريخُ أسماء عدد منهم من أصحاب الإمام الشافعي ورواة مذهبه، كحرملة بن عبد الله التُّجِيبي، وأحمد بن يحيى ابن الوزير بن سليمان التُّجِيبي، وإسحاق بن الفرات وكثيرين غيرهم (وتُجِيب - كما لا يخفى - من حضرموت). كما ينوه الحافظ السيوطي بعدد من مجتهدي الحضارم.

ومما يجدر بالإشادة أن عبد الله الحضرمي المتوفى ١١٧ هـ كان من أوائل من عالجوا القياسَ والتعديل في النحو، ويؤكد المصريون: أن قاتلَ عبد الله بن الزبير إنما كان حضرمياً

من تجيب، كما أن معاويةَ بن خُدَيج التجيبي كان يرأس طائفةً من الحضارم يشايعون عثمان ﷺ، في حين أن جماعة منهم كانوا ممن انتدبوا لقتله.

ولما هلك يزيد بن معاوية ودعا ابن الزبير إلى نفسه حسب الخوارجُ في مصر أنه على مذهبهم فأوفدوا إليه وفداً من بين أعضائه أناسٌ من حضرموت. وعندما ظهرت دعوةُ محمد بن عبد الله بن الحسن ﷺ في زمن المنصور العباسي، كان القائم بها في مصر حضرمياً من الصَّدِف.

هذه أمثلةٌ أيها السادة تدلنا على انتشار (أبناء حضرموت) وتفرقهم في الأمصار في العصور الأولى من الإسلام، كنتيجة لهجرتهم إليها، وقد استمرت هذه الهجرة فيما بعد عصر الفتوحات، وبلغت أوجها حوالي القرن الخامس والسادس عشر حينما اتجهت موجاتها نحو الشرق الأقصى. إذ من الملاحظ أنها لم تكن دائماً تدفَعُ في اتجاه واحد، فقد كانت تخضع لظروف خاصة تتحكم في اتجاهاتها فتحولها من ناحية إلى أخرى، فنراها في فترة من فترات التاريخ تولي وجهَها شطر مصر والبلاد العربية الشقيقة، وفي أخرى إلى أفريقيا وجزائر القمر، ثم نجدها في طور آخر تأخذ سبيلها إلى الهند وجزائر ملَقَا والهند الشرقية، وأحياناً إلى عدة نواح في وقت واحد.

وفي كلٍّ من هذه المهاجر تخلّف آثاراً يتحدّث عنها التاريخ بكثير من الإعظام والإكبار، ولقد أشاد المغفور له عُطُوفة الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته على «حاضر العالم الإسلامي» بكثير من هذه الآثار الخالدة.

* * *

الحلقة الثانية

صَفْحَةٌ من أَمجَادِ عَربِ الجنُوبِ في الشَّرقِ الأقْصَى (*)

(٢)

بسقوط مملكة (موجاپاهيت) الوثنية بجاوا الشرقية، قامت سلطنة (دمَكْ)، أول سلطنة إسلامية في ١٤٧٨م، ولكن كانت لا تزال بجاوا الغربية مملكةٌ أخرى وثنية تسمى (ڤجاجران)، عاصمتها (پاكوان)، وهي بلدةٌ كانت تقع بالقرب من موقع المدينة المعروفة الآن باسم (بوقور).

مؤامرة فاشلة:

وهنا يذكر (سنوسي فاني) ـ على الرغم من تحامله ـ العداوةَ التي كان يكنها البرتغاليون للإسلام والمسلمين، والتي زاد من احتدامِها: الحروبُ التي نشبت بين الفريقين في إسبانيا، ثم يقول: (إنهم ـ يقصد البرتغاليين ـ كانوا يرغبون في إيجاد العلاقات مع ملوك الأرخبيل الهندي الذين لم يكونوا قد اعتنقوا الإسلام بعد، ليتعاونوا معهم على محاربة سلاطين المسلمين).

ويقول المؤرخ (ديوس ديكر) في «تاريخه»: (أن (ڤجاجران) عقدت مع البرتغال معاهدة تجارية عام ١٥٢٦م، وطلبت مساعدتهم، وكانت المعاهدة في صالح البرتغال، ولكنهم أبطؤوا بالمساعدة الموعودة. ثم يذكر نشوب الحرب بين (ڤجاجران) والمسلمين

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (١١٨)، ٢٥ سبتمبر ١٩٥٢م.

وانتصارهم، وهزيمة (ڤجاجران) وطرد البرتغال. ويستمرّ ليزيد الوقائع وضوحاً فيقول: (إن (سُونَنْ جَاتي) قام ينشر الإسلام في **جاوا الغربية**، وهو من الأشراف، جاء من فاس وأقام في دمك، وتزوج بأخت السلطان (ترنقانو)، وقد سار إلى **جاوا الغربية** لطرد الكفار الذين كان يكرههم! (كذا عبارته). ولمهارته استجلب قلب ملك (بانتن) فاعتنق الإسلام، ولم يكن في عمله هذا شيء من الصعوبة، لأن سكان جاوا الغربية هم أيضاً قد باتوا غير مرتاحين للدين القديم).

نجاح متواصل:

(فبالألوف من الجنود الذين جاءوا من (دمَك)، والذين أرسلتهم إليه (فڤيران) — أي السلطان ـ ترنقانو، تَمَّ له فتح (بانتن) و(سنداكلافا = العاصمة جاكرتا اليوم)، وكان ذلك في عام ١٥٢١م إلى عام ١٥٢٤م. (ولم تمض غير مدة يسيرة حتى فتح (شربون) و(سماراغ) حوالي ١٥٢٦م، وبذلك أضحت جميع **جاوا الغربية** معترفةً بأن (فڤيران ترنقانو) ملكَها، ولم تبق غير بلدة (فاكوان) كعاصمة لمملكة (ڤجاجران) الوثنية، فقد ظلت قائمة إلى عام ١٥٤٦م).

وهذا الذي أورده المؤرخ (ديوس ديكر) يؤيده كثير من مؤرخي الإفرنج والوطنيين، ويستخلص مما ذكروه: أن إسلام **جاوا الغربية** كان على يد (سَونَنْ جاتي)، وهو كما مرَّ بِك لقبٌ لمولانا هداية الله. وأنه: بعد إسلام تلك البلاد صارت تابعةً لسلطنة (دمَك) الإسلامية، وأن ذلك كان في عهد السلطان (ترنقانو) سلطان (دمك) الثالث وآخر سلاطينها، فممّن أكد هذه الحقائق: المؤرخ سالم (هاراهاب) فيما ترجمه عن المؤرخ الشهير (فيت ورافلس) في كتابه «أشعة الإسلام بإندونيسيا»، وبمثل ذلك أيضاً قال المؤرخ (بنجِمان).

الرائد الجنوبي الأول:

وذكر المؤرخون من الأندونيسيين كالحاج علي خير الدين، والكياهي محمد أرشد والكياهي عبد الجبار برنغو، وماس رباعي وغيرهم، أن أول من جاء إلى جاوا من جهة الهند هو مولانا جمال الدين الحسين (جد سَونَنْ جاتي) ومرافقوه ممن يلقبون بـ(آل عَظَمةْ خان)، وكل المؤرخين الإندونيسيين، ذكروا اتصال نسب (آل عظمة خان) بالإمام عبدالملك بن علوي بن محمد صاحب مرباط.

ومهما يكن ما اشتهر عن بعض مؤرخي الغرب من تعصب وتحيز، فقد أعيتهم الحيلة في إنكار مزايا مولانا هداية الله (سونن جاتي)، وهاكم ما يقوله عنه (ديوس ديكر): فهو بعد أن نوه باستقالته عام ١٥٥٢م ليتفرغ للعلوم الدينية، وذكر أنه توفي عام ١٥٧٠م قال: (إن ضريحه في حارة (أستانة) بالقرب من (شربون)، وهو معروف بين الناس بالشجاعة والإقدام، ومن أهل الخبرة التامة بالمسائل الكونية، ومعدود من العلماء الأعلام، له كثير من الأتباع).

نسب الداعية:

ولعل من المفيد هنا أن أسرد على أسماعكم أيها السادة نسب مولانا (هداية الله)، نقلاً عن (دليل بانتن) لمؤلفه إسماعيل محمد، قال: (مولانا شريف هداية الله (في شربون) بين راجا عمدة الدين (يعني عبدالله) في (جمفا)، بن علي نور عالم (في أنام)، بن مولانا جمال الدين الأكبر الحسين (في البوقيس)، بن سيد أحمد شاه جلال (في هندستان)، بن الأمير عبدالملك (في هندستان، وهو أول من هاجر من حضرموت) بن السيد علوى (في تريم حضرموت) بن السيد محمد صاحب مرباط).

ثم ساق النسب المعروف في الشجرة إلى الرسول ﷺ، مما لا داعى للإطالة بذكره، وقد قوبل هذا النسب بالشجرات المعتمدة، كالشجرة المحفوظة لَدَى ذرية سلاطين (فليمبنغ)

والشجرة الموجودة إشربون، شجرة (رادين صفوان)، من ذرية (سونن جاتي) نفسه، والشجرة التي عثر عليها في (بانيونقي = باغي واغي)، قوبل بهذه الشجرات كلها فجاءت يطابق بعضها بعضاً.

معركة بحرية يقودها الداعية إلى النصر:

وقد أشرت في بدء كلمتي إلى المعركة البحرية التي قادها مولانا (**هداية الله**) وهزم فيها البرتغال. فرأيت المناسبة تقتضي قبل إنهاء الموضوع، أن أستعير قلمَ المرحوم الأستاذ أحمد بن عبد الله السقاف ليعرض عليكم من مذكِّراته ملابسات القصة وحوادثها الشائقة التي لخصها من أقوال المحققين من مؤرخي الغرب والإندونيسيين، قال:

«كان لسلطنة (**دَمَك**) الإسلامية عدوّان: عدوٌّ داخلي ممن يحنون إلى قديمهم من عادات الوثنيين. وعدوٌّ خارجي، وهم في ذلك الوقت: البرتغال، وكان من أهم مراسي جاوا يومئذ، مرسى (**سنداكلافا**) و(**بانتن**).

فلما علم مولانا (**هداية الله**): أن أمير (**فجاجران**) في (**سنداكلافا**) أمضى معاهدة مع البرتغال، لتثبيت أقدامهم في تلك البقعة، استأذن السلطان (**ترنقانو**)، وذهب مسرعاً لنشر كلمة التوحيد في **جاوا الغربية**، ولطرد الكفار كما يقول (ديوس ديكر)، لأن وجودهم هناك يهدد استقلال البلاد، فتلقاه أهل (**بانتن**) بكل فرح، واعتنق رؤساؤهم الإسلام، ثم أسلم الرعية على يد مولانا (هداية الله)، وبقي يعلمهم قواعد الإسلام وأركانه، ودعا أهل (**سنداكلافا** = جاكرتا) إلى الإسلام فأسلم الكثير منهم.

وقد عرف مولانا (**هداية الله**) أن البرتغال سيأتون بمراكبهم وعدتهم وسلاحهم وبما وعدوا به أهل (**سنداكلافا**) من مساعدة، وكان حازماً فأرسل في طلب جيش من (دمك)، فبادر السلطان (**ترنقانو**) بإرسال جيش مكون من ألوف المجاهدين كاملي العدة يصنعونها بأنفسهم، كما كانوا يصنعون السفن الحربية المستعملة في ذلك الوقت.

فلما وصل الجيش، تولى قيادته مولانا (**هداية الله**)، فكان هو بنفسه يرتب وضع المدافع في القلاع المهمة، فلما جاء البرتغال بمراكبهم نزل فريق من جنودهم إلى البر، فقيل لهم: إن أهل البلاد قد أسلموا، وأن البلاد سارت إسلامية، فغاظهم ذلك وبدؤوا يقاتلون المسلمين. فحمل المسلمون عليهم من كل جهة، وأبادوهم عن آخرهم، وغنموا ما كان معهم من عدة وسلاح، وأخذت مدافع المسلمين تصلي مراكب البرتغال ناراً حامية، وهي بدورها تقذفُ المسلمين بقنابل مدافعها، ولكن المدفعيةَ الإسلامية صمدت لهم، فمزقت أسطول البرتغال، وشب الحريق في بعض تلك المراكب وغرق البعض، وما استطاع أن ينجو منهم إلا القليل».

بطولة ونزاهة:

«وبذلك تم النصر للمسلمين على يد هذا القائد العظيم، ورفعت رايةٌ الإسلام على ربوع تلك البلاد، وعندما عرف مسلمو (**بانتن**) و(**جاكر**) أن هذا الجيش الذي جاء يدافع عن البلاد مؤلف من المسلمين، وأنهم إخوانهم في الدين، زادهم ذلك سروراً وغبطة. وكانوا قد عرفوا عن مولانا (**هداية الله**) صلاحه وتقواه وعطفه على الكبير والصغير، ورأوا ما رأوه من شجاعته وبسالته ومهارته في القيادة، لذلك طلبوا منه أن يكون سلطاناً عليهم، وأبدوا له أنهم سيكونون طوع أمره وتحت حكمه، فاسمع بماذا أجابهم هذا الرجل العظيم! قال لهم: إنني لا أستطيع قبول طلبكم لأني إنما فتحت هذه البلاد بأمر السلطان (**ترنقانو**) وجيوشه: سلطان مسلمي **جاوا** كلهم، المقيم في **دمك**، وأنا قائد من قواد جيشه، وكلنا رعية له، وهذه البلاد أصبحت تابعة **لسلطنة دمك**، فالسلطان(**ترنقانو**) هو الذي له الحق في أن يولي من شاء على هذه البلاد، وعليكم طاعة من يوليه عليكم».

ثم قال الكاتب بعد أن أثنى على هذا الموقف المشرف من مولانا (**هداية الله**)، ووصف السلطان (**ترنقانو**) بالخبرة والحنكة الإدارية والسياسية: «فلما قام مولانا هداية بهذا

العمل العظيم وفتح الله على يد تلك البلاد التي أضيف بها إلى سلطنة (**دمك**) كل **جاوا الغربية**، أراد (أي: السلطان **ترنقانو**) أن يكافئه من جهة، وأن يختار من جهة أخرى، لإدارة شؤون البلاد من يرى فيه الكفاءة التامة ومن يثق به في دينه وتقواه. وكان (**ترنقانو**) كما قدمنا أخبر الناس بالرجال. لذلك اختار لولاية (**بانتن**): مولانا **حسن الدين ابن مولانا هداية الله**. أصاب غرضين بحجر، وكان هذا العمل من السلطان دليلاً على بعد نظره وتفكيره في عواقب الأمور».

ثم قال: «وكانت هذه الحوادث ـ على ما ذكره أكثر المؤرخين ـ في خلال ثلاث سنوات من عام ١٥٢١ ميلادي الموافق عام ٩٢٧، إلى عام ١٥٢٤ ميلادي الموافق عام ٩٣٠ هجري».

سفن الجنوب في مياه الشرق الأقصى:

وبعد، فأظن أن الموضوع يبقى مبتوراً فيما لو أنهيته دون أن أشير إلى بعض النصوص التي نوّهت بسفن عرب الجنوب التي كانت تتردد على شواطئ إندونيسيا، وأكتفي منها بنصين أجعلهما ختام الموضوع الذي أظنه قد طال إلى حد الإملال:

قال (فان دن برخ) في كتابه الذي ألفه بالفرنسية باسم «حضرموت والمستعمرات العربية في الأرخبيل الهندي» ـ وهذا الاسم ملفت للنظر يجب أن نقف عنده طويلاً ـ قال: (إن العرب كانوا يسافرون بمراكبهم من جزائر التيمور إلى غينيا الجديدة وجزائر الفلبين).

وقال الحاج خير الدين: «... وبدأ المسافرون من الأشراف آل عَظَمَةْ خان بمراكبهم يترددون إلى شواطئ **آشي**، وسمطرا، وسيام، وكمبوجا، وكانت لهم مراكب بأسماء عربية»، ثم سرد بعض أسمائها فذكر منها: (هداية الرحمن)، و (فتح الأرزاق)، و (بركة الرسول)، و(دارفور)، و(فتح السلام)، و(نسر البحر).

مفتي جوهور العلامة علوي بن طاهر الحداد
يستكشف تاريخ الجنوبيين في الشرق الأقصى(*)

حاوره أحمد عمر بافقيه

عندما ألقيتُ محاضرتي في دار (رابطة أبناء الجنوب) و(نادي الإصلاح)، تلك المحاضرة التي استعرضت فيها صفحة من أمجاد عرب الجنوب في الشرق الأقصى، شعرت بارتياح السامعين لتناول هذا الموضوع، الذي يظهر أنه كان جديداً عليهم، أو من غوامض التاريخ.

ومن الاعتراف بالفضل لذويه، أن أسجل هنا أني كنت قد استندت في كثير من المعلومات التي ضمنتها تلك المحاضرة إلى كتابات **المؤرخ البحاثة المرحوم أحمد بن عبدالله السقاف**، واعتمدت فيها على تنقيباته في زوايا التاريخ وسراديب الماضي المجهول، هذا الأستاذ المؤرخ الذي تقتضيني المناسبة أن أعرفه إلى القراء، فقد كان بالإضافة إلى تضلعه في التاريخ وجولاته الموفقة فيه، شاعراً بليغاً، وفناناً يخلو بنفسه الساعات الطويلة ليعزف الألحان الخالدة على الكمان أو الهرمنيوم، بالرغم من شيخوخته، كما كان يسهم بنصيب كبير في عالم الكهرباء، وله فيه طرائف وأعاجيب.

هذا إلى كونه يعتبر أول روائي من أبناء الجنوب، غزت رواياته اللغات الأجنبية. فقد ترجمت روايته (فتاة قاروت) إلى اللغة الهولندية، وهي رواية صدرت طبعتها العربية بإندونيسيا في جزأين، منذ (٢٠) سنة، وبالجملة: فقد كان رحمه الله نابغةً مساهماً في كثير من

(*) «صحيفة النهضة»، العدد (١٢٤)، سنة ١٩٥٢م. ولم نظفر بالأعداد التالية لهذا العدد، التي فيها تتمة هذه المقابلة والحوار الهام.

الفنون، يجدر بالجنوب أن يفخر بمثله، ويعنى بآثاره، ويتفرغ بعض أدبائه لترجمته ودراسة شخصيته الفذة. على أن الأستاذ السقاف هو ثاني اثنين يعود إليهما الفضل في الصمود للغارة الشعواء التي كان قد شنها الاستعمار لطمس آثار أبناء الجنوب في الشرق الأقصى، أما الأول منهما فهو سماحة **العلامة المحدث الكبير، والمؤرخ الضليع السيد علوي بن طاهر الحداد،** مفتي سلطنة جوهور بملايا، الذي يخيل إليك إذا ما جاذبته أطراف البحث أنه مكتبة متنقلة حافلة بضنائن الكتب، لما يفيض به عليك من معلومات لن تجدها عند غيره.

لذلك كان من الصدف السعيدة أن يمر سماحته بعدن في فترة الإجازة التي قضاها في مسقط رأسه بحضرموت، وأن أنجح في استدراج سماحته للحديث بالرغم من قيود رسميات منصبه الكبير، وسيجد القارئ الكريم أن هذا الحديث المطول الذي سيظهر في أعداد متتابعة، يعتبر تكملة للموضوع الذي بدأت به، كما يعتبر فتحاً عظيماً واكتشافاً جديداً في مجاهل التاريخ، تاريخ أبناء الجنوب في الشرق الأقصى. وهي من ناحية من التاريخ ما زال يلفها الجهل بظلامه، ويعوزها الرواد الذي يتوغلون في متاهاته، ونحن في دور بعثنا الجديد أحوج ما نكون إلى أن نستمد من ماضينا حافزاً لوصل ما فصمه الإهمال من المفاخر والأمجاد.

ما أهمله المؤرخون:

بدأت الحديث مع سماحته بالسؤال التالي:

– هل اطلعتم في النهضة على المحاضرة التي ألقيتها بعنوان (صفحة من أمجاد عرب الجنوب في الشرق الأقصى)؟

– نعم اطلعت عليها، وفهمت أنك اعتمدت فيها على ما جمعه الأستاذ البليغ **أحمد بن عبدالله السقاف**، وهو قد اطلع على بعض مؤلفات تاريخية وطنية وغربية ألفها بعض المستشرقين، أصدقها ما ألفه قدماء أهل جاوة وجزائر الفليبين، وما جاورها. أما

المستشرقون فهم على عادتهم، يمزجون التاريخ بالسياسة، ويحذفون منه ما لا يناسبهم، وقد يتركون المفهوم من الكلام والمنصوص عليه ليأتوا بتأويل بعيد. لأن الغرض الأول من كتاباتهم لا يخفى. وقليل منهم من يجمع ويؤلف لمجرد العلم، ولذلك كانت كتابة الأولين منهم أسلم من كتابة المتأخرين.

على أن الأستاذ أحمد لم يطلع إلا على القليل من تاريخ الإسلام والعرب في إندونيسيا، لأن الحكومة في عهده وقبل عهده كانت قد حرمت نشر التاريخ الإسلامي، بل واقتناءه، وأوجبت على كل من بيده شيء من ذلك أن يسلمه إلى اللجنة المعنية بهذا الشأن، وفرضت عقوبات شديدة على من وجد عنده شيء من ذلك تصل إلى حد الإعدام، فأتلف ما لا يحصى من التواريخ وكتم الشيء اليسير، وقد اطلعنا على بعض ما بقي، ونحن على تخوف وإشفاق.

وقد قرأ السيد أحمد رحمه الله بعض كتب المستشرقين وشكا مر الشكوى مما رآه فيها، فقد قال لي في مكتوب منه: «لعلكم سيدي قد اطلعتم على كتاب شجرة تانة جاوة، تأليف رجل هولندي اسمه (W.fruin) وترجمه إلى الملايوية رجل اسمه (S.M.Latif) وطبع بمطبعة (فانجني فوستاكا) التابعة للحكومة عام ١٣٤١/ ١٩٢٢م، وهو جزءان: **الأول** في تاريخ جاوة قبل الإسلام. **والثاني** من بعد دخول الإسلام إلى حين استقرار الشركة الهولندية. وكتاب آخر اسمه (حكاية تانة هنديا)، تأليف هولندي آخر اسمه (بيخمان) وقد ترجم إلى الملايوية. وهذا الأخير هو الكتاب الذي كان عليه المعول في تعليم التاريخ بمدارس الحكومة في إندونيسيا سابقاً.

طالعت هذين الكتابين لأعرف كيف يقلبون الحقائق التاريخية ويشوهونها، فوجدت فيهما من ذلك شيئاً كثيراً، وتحاملاً على الإسلام، وقلباً للحقائق، ولكن الأخير أقل كذباً من الأول، غير أن في الكتاب الأول خارطةً ذكر فيها أسماء البلدان في جاوة، كما كانت في ذلك

العهد، وهذا ما لا يوجد في الخرائط الموجودة الآن، وفيه تعليقات يذكر فيها المصادر التي أخذ منها، وهي كثيرة جداً. وكلها من وضع أوربيين عن دخول الإسلام إلى الهند الشرقية، وقد تعبوا في تحقيق تاريخ الإسلام، والتمحل في جعل الذين قاموا بنشره من الفرس والقزراتيين تمحل غريب، وقضايا مبنية على أوهام». هذا ما جاء في خطابه.

ومن أصدق من قرأنا له من المؤرخين (سر توماس ستمفورد فليس F.R S) فاتح سنقافورة صلحاً ومؤسسها، واسم كتابه (History of Java)، وقد اختصر جداً في كتابه هذا، ومع ذلك فقد أورد الحقائق على ما هي عليه، ولو اطلع على تواريخ جزائر برنيو، وترناتي، وميندناناو، وسولو، وسائر جزائر الفليبين وتواريخها الإسلامية، وما كتب عن الإسلام بسيجون (جمفا)، وما والاها، لكان أكثر تحقيقاً. وقد كان من تواريخ الإسلام المحرم اقتناؤها (**تاريخ جويوبويو**) وفيه شيء من الحوادث المتوقعة، وأما أبسط التواريخ الإسلامية القديمة التي وقفنا عليها فهو (تاريخ طباجويو)، والذي أعرفه أن الأستاذ السيد أحمد السقاف لم يطلع على هذين الكتابين.

أما أجمع التواريخ باللغة الإنكليزية فهو التاريخ الذي طبعته الحكومة الأمريكية بمنيلا سنة ١٩٠٥م، وهو في جزأين: **الأول**: في تاريخ ميندناناو وملحقاتها، **والثاني**: في تاريخ صولو ومجامعي الجزائر الملحقة به، وقد كتبت عليه بالإنجليزية ما يلي:

Studies in Moro History Law and Religion
By: Nageeb M.Saleeb 11 manila
Bureau of Public Priniting 1905

ما كتبه الغربيون:

– هل نفهم من هذا أن الأستاذ أحمد بن عبدالله السقاف لم يطلع على تواريخ أخرى غير ما أشرتم إليه من تواريخ مسلمي جاوة؟

- بلى! قد اطلع على شيء من ذلك، كما اطلع على تواريخ للمستشرقين غير ما مر ذكره، والجاويون قد أكثروا من المؤلفات في تاريخ الإسلام بجاوة، وتفننوا فيها، فمنها المنظوم ومنها المنثور، ولقد رأيت تاريخاً جعله مؤلفه مسجعاً على أسلوب مولد البرزنجي. وقد ذكر لي السيد أحمد بن عبدالله السقاف بعض ما اطلع عليه أو اقتناه من المؤلفات الغربية في هذا الباب، يحضرني من أسمائها الآن: تاريخ جزائر الهند الشرقية، تأليف (ل. فن. رخيكوفريل. L. Van Rijckvorsel)، طبع ببتاوي جاكرتا عام ١٩٢٩م، والكتاب الذي أصدرته مطبعة الجامعة الملكية العسكرية في بريدا (Breda)، تأليف الأستاذ (س. سفات) أستاذ الجامعة المذكورة، وأستاذ المدرسة التجارية العليا بروتردام، ومكتوب على ظهر هذا الكتاب أنه نشرة خاصة أو سرية، وهو لطيف الحجم ولم يترجم.

ومنها كتاب (فريانجان) تأليف (Priangan. Dr.Dhaan)، (ف. دي. هان)، وكتابه أيضا المسمى (Gedenkbek V.Batavia)، وفيه كثير من الأخبار المهمة، وكتاب (Pitte: Erkunde)، وفيه نقولات عن (M. Degoeje)، مجلة شؤون المستعمرات (La Reuve Coloniale 1886= 1304)، من الجزء العام، صفحة (١٠١). وكتاب رينود الذي ذكر فيه سياحة العرب والفرس في الهند والصين، وهو كتاب مهم، واسمه (V. Renaod: Relations Desvoyages. Faits Par Les Arabis - Etles Persans Dansi Inde Ettal).

وكتاب (Chineet. Sturler Het Gibid Van Palebanang)، وفيه تاريخ مهم عن فامبنغ في الصفحة (١٩٥). وكتاب (Tijdns Deoost-Indische Comp Comoadens Door.)، وكان مؤلفه (Dr. E.G. Godee Molsbregen Oudhoogleeraar Chivari. Te Batavia) قيماً على المحفوظات القديمة للحكومة الهولندية في بتاوي جاكرتا.

وبقيت تواريخ جمة ليس فيها استقصاء لتاريخ الإسلام في جاوا، بل إن ما فيها لا يزيد على أن يكون استطراداً في أثنائه تظنن وتمحل، واحتمالات وتأويلات يعرف منها

القارئ أنها لم تورد إلا للتشكيك في صحتها، مع إبهام المصادر والالتقاط الذي يدل على أن ما ترك أو كتم أكثر. ومن الكتب التي ذكرت المصادر وإن لم تستوف ما فيها: التاريخ المسمى (Java: Past & Present. Description of The world Its Incient History People Antiquities).

الطريق التي سلكها المهاجرون الحضارم إلى جاوا:

- هل تتكرمون سماحتكم بأن تذكروا لنا الطريق التي سلكها الإسلام إلى جاوا؟

- دخل الإسلام إلى جاوا عن طريق تشمبا (الهند الصينية)، وسومطرا، والفليبين، ثم انتشر إلى سائر جزائر التيمور، وجزائر الملوك إلى ترناتي وجزائرها وبلاد الماهيرا. والذين حملوه إليها هم أبناء الجنوب، جنوب بلاد العرب، أهل حضرموت، لاشك في ذلك، فأسسوا قواعد الإسلام بها، وامتزجوا بالأهالي دماً وديناً، وملكوا وساسوا الأمور، وأقاموا سوق الدعوة ثم الجهاد، ونشروا العدل والنظام والحضارة الإسلامية المبنية على تزكية النفوس ونشر العدل والرحمة، ومحو ما كان بها من النظام الإقطاعي الشهير.

غير أن الذين كابدوا الأهوال فيما بعد عند تسرب الشعوب الغربية إلى الشرق، وانتشارها في ربوعه؛ هم أهل مجاميع جزائر صولو التي تبلغ أكثر من ألف وسبعمائة جزيرة، ويليهم في ذلك أهل سومطرا، وأخبار كفاحهم المجيد تجدها في تاريخ الإسلام بجزائر صولو ومينداناو ما والاها. فهؤلاء هم الذين مضت عليهم حقبة بعد الإسلام كانت تسيطر فيها أساطيلهم على ما بين جزائر الملايو إلى جزائر بحر سالا، وجزائر لوزون (سلدونغ)، وبلاد اليابان والصين، وقد عاشوا على ذلك دهراً، تولى فيه عشرات من ملوكهم، كان بينهم من تفخر بهم الأمة الإسلامية علماً وشجاعةً وعدلاً وأمناً. ولكن الجهل والانحطاط اللذين عمرا الأمة الإسلامية بالشرق الأقصى فيما بعد، واستيلاء الأجانب على مصادر التاريخ وكتبه، كل ذلك ألقى على الحقائق حجاباً كثيفاً، وقطعاً من ظلمات الكتم يتعذر معها

الإبصار.

وجدير بالذكر أنه قد كان فيهم سلاطين على خير ما كان عليه ملوك الإسلام السابقون في تلك البلاد، وقد عقد هذا المؤلف الذي سلفت الإشارة إليه، فصلاً في (صفحة ٢٢٠) من الجزء الثاني، عن إعداد الأسبانيين لمهاجمتهم، ذكر أن الأسبانيين مكثوا في حرب مع هؤلاء المسلمين (٣٢٠) سنةً، هجموا عليهم فيها (١٨٨٨) مرةً، وبين العلل والأسباب التي فشلوا بها في استعمارهم، فذكر منها نفور الأهالي من أخلاقهم وآدابهم، فقال في (صفحة ٢٦٤) ج٢: «إن الرؤساء والأمراء من أهل صولو مجبولون على الأدب والإنسانية، لا يحبون أن يشاهدوا بينهم ذوي الأخلاق المنحلة، والفظاظة والقسوة، ويكرهون أصحاب النزق والطيش والعجلة، ويرونها ماحقة للتقدم المأمول، ولا يصبرون على رؤية الموظفين القساة الغلاظ الذين لا يجدون تربية ولا إرشاداً من كبرائهم، وهم إذا عوملوا معاملة غير حسنة دون احترام ولا مبالاة لا يرضون بذلك، ولا يقرون عليه». هذا نص كلام المؤلف.

* * *

رابعاً

المقالات المنشورة في صحيفة «الجنوب العربي»

هذا هو القسم الرابع والأخير من مقالات الأستاذ بافقيه، وهو يمثل تجربته السياسية في الجنوب، إذ كان نشر هذه المقالات في صحيفته الشهيرة (الجنوب العربي)، التي صدر عددها الأول في عدن بتاريخ ٣٠ محرم ١٣٧٤هـ (= ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤م)، وقد أدرجت الافتتاحية في الترجمة كمثيلاتها. وتبتدئ مقالات الأستاذ التي اخترتها هنا من العدد الرابع الصادر بتاريخ ٢١ صفر ١٣٧٤هـ (= ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م)، وتنتهي بالعدد (٨٦) الصادر بتاريخ ٤ ذي القعدة ١٣٧٥هـ (= ١٢ يونيو ١٩٥٦م)، والذي أعقبه مباشرة نفي شيخان الحبشي، حسبما مر في الترجمة من تداعيات وشرح للوضع الراهن آنذك، فهذه المقالات تغطي مساحة زمنية قدرها سنة وتسعة أشهر تقريباً، كانت فترة حاسمة في تاريخ الجنوب العربي!

وجميع هذه المقالات صدرت في زاوية عنوانها (كلمتنا)، مثلت افتتاحيات معظم الأعداد، ولكنها اختفت فيما بعد، واضطربت أحوال الصحيفة، وصار تحريرها بعد موجة الاعتقالات والتداعيات السياسية في عدن بيد علي عبدالرزاق باذيب الذي كان يتولى الإشراف عليها في غياب الأستاذ، ولهذا فإني جعلت مقالة الأستاذ بمناسبة نفي شيخان خاتمةَ مقالاته المختارة من صحيفة «الجنوب العربي».

ويلاحظ أن الطابع العام لهذه المقالات اجتماعي سياسي، وكلها تصب في محور نقد الأوضاع السياسية في عدن في تلك الحقبة، ونقد حكومة عدن، ومناقشة القوانين الصادرة

في تلك الفترة، كما لا يفوت الأستاذ أن يقارن الوضع القانوني لعدن آنذاك بالأوضاع التي عهدها في سنقافورا، وعقد تحت عنوان (الأوضاع السياسية في سنقافورا وعدن) مقارنة بين وضع البلدين، والخطط الاستعمارية الرامية لفصل عدن عن الجنوب كما فعل بسنقافورا، والمقال سياسي شيق ومهم. كما أن اليمن وأحداثها السياسية أخذت هي الأخرى حيزاً من المقالات، حتى الإمام نفسه كان لبافقيه نقدٌ وجهه إليه في سياسته وأسلوبه في الحكم!

وكعادته.. صريح في كل ما يكتب، لا يبالي بغضب مسؤول أو حاكم، مادام أنه يؤدي رسالته ويخدم أهدافه النبيلة، وهذا ما أدى به إلى الملاحقة من قبل السلطات البريطانية، وكان من أسباب طلبه الهامة: انضمامه إلى صفوف رابطة أبناء الجنوب.

* * *

الهجرة الخطرة إلى عدن (*)

قدمت (حكومة عدن) إلى أعضاء المجلس التشريعي (مشروعاً بقانونٍ) تناول (قانون الهجرة) بشيء من التعديل، لا شكّ أنه قد جاء من حيث نصوصه القانونية في مصلحة المواطن، فقد تضمن قيوداً تضع حدوداً لهجرة الأجانب إلى عدن، فيما عدا حالاتٍ خاصة تستدعيها مصلحة البلاد، من نحو حاجتها إلى الكفاءات المفقودة فيها، مادامت هذه الحاجة قائمة ومستمرة، فإذا سدت وجب أن يعود المهاجر إلى وطنه.

و(عدن) التي طالما شكت وأنّتْ من سيلِ الهجرة، ومن مزاحمة الأجانب لأبنائها في لقمة العيش، تشعر ولا شك بالغبطة والشكر لهذه الخطوة الموفقة من قبل الحكومة، وهي ترجو أن ينال هذا (المشروع بقانونٍ) مصادقةَ (المجلس التشريعي) عند عرضه عليه. ونحن عندما نؤيد هذا (المشروع بقانون) ونباركه، إنما نلاحظ فيه أنه يتضمن الصيانة والحماية لحق من حقوق أبناء هذه البلاد المشروعة، وهو حقُّ تهيئة وتوفير وسائل الحياة الكريمة لهم في تربة وطنهم وبلاد آبائهم وأجدادهم، ذلك الحق البديهي الذي تقره جميع الشرائع والقوانين، ونراه مرعياً في جميع الأوطان والبلدان المتحضرة.

فليس للأجانب الذين احتضنتهم هذه البلاد وآوتهم وأتخمتهم بخيراتها، أن يستاءوا أو يتألموا لهذا (المشروع بقانون) إذا كانوا منطقيين مع أنفسهم، وخير لهم أن يرعوا لهذه البلاد جميلها ويكتسبوا ودَّ أهلها، من أن يكونوا كالرجال ينزل ضيفاً على الدار،فإذا ما لقي

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد ٤، الثلاثاء ٢١/ ٢/ ١٣٧٤هـ، ١٩/ ١٠/ ١٩٥٤م.

منها صنوف الإكرام ادّعى الحقوق فيها لنفسه!

على أن الذي يجب أن نلفت إليه نظر الحكومة الموقرة هو: أنّ الهجرة التي نخشاها والتي تتضرر منها البلاد في الغالب، هي الهجرةُ التي تأتي عن طريق الجو والبحر، لأنها هي التي تحمل العناصر المنافِسةَ الخطرة القوية، التي تنتزع لقمة العيش من أهل البلاد، بما لديها من كفاءات وإمكانيات لا يملكُها هؤلاء مع الأسف. أما الذين يدخلون هذه البلادَ من طريق البر، فإن مستوى كفاءاتهم لا تُخشَى منه المنافسة الخطرة، علاوةً على أنهم إخوة وجيران.

ولقد قلنا في مفتتح كلمتنا: إن (المشروع بقانون) في مصلحة المواطن من حيث نصوصه القانونية، ونقصد بذلك أن النصَّ شيء آخر، فيجب لذلك اتخاذ الصرامة والتدقيق في تنفيذ النصوص القانونية وتطبيقها وعدم إعطاء الفرصة للموظفين والشركات للتلاعب بها.

وقبل أن ننهي الكلمة نحب أن نسجل ملاحظة لا نعتقد أنها تخفي عن الحكومة الموقرة وهي: أن هذه البلاد خالية والحمد لله ـ حتى الآن ـ من المبادئ الهدامة التي بليت بها بلدان كثيرة، كما أنها لا يخشى عليها من هذه المبادئ من نفس البلاد، ولكن الهجرة المستمرة من طريق الجو والبحر هي التي تعرضها لهذه المبادئ، فلقد فتحت (ملايا) أبوابها للهجرة حتى طغت عليها (**العناصر الصينية**)، وكانت من نتائجها: ما تعانيه الحكومة البريطانية هناك من ثورات وإخلال بالأمن.

* * *

ماذا وراء الإحصاء؟(*)

يعقد المستر شيب حاكم القطر مؤتمراً صحفياً بمكتبه حول موضوع الإحصاء في التاسعة من صباح يوم الجمعة (اليوم). وقد علم أن طلبة المدارس سيكلفون بأداء هذه المهمة يوجههم مدرسوهم، ونحن نأمل ونرجو أشد الرجاء أن يدقق القائمون بهذا الإحصاء تدقيقاً تاماً، وأن يكون الإحصاء عاماً شاملاً، لنعرف العدد الحقيقي الذي يسكن هذه الرقعة الصغيرة من جنوبنا العربي.

وجدير بالذكر أن أكبر قسط من مسؤولية صحة هذا الإحصاء يقع على سكان هذه البلاد فعليهم أن يبذلوا أقصى المساعدات للقائمين بهذه المهمة، أن يزودوهم بأصح الأرقام. إذ على ذلك تترتب أشياء خطيرة، وقد يتساءل القارىء عن منشأ هذه الخطورة. فنقول: إنه على قدر صحة أرقام هذا الإحصاء تدرس الحكومة حاجات عدن الضرورية، من المواد الغذائية والأقمشة وغيرها، كما تقدر اعتماد المصالح الطبيّة والصحية والمعارف وما إلى ذلك.

ونذكر بهذه المناسبة أن آخر إحصاء أجرى في هذه البلاد كان قبل نحو عشر سنوات. وقيل إذ ذاك إن سكانها يناهز عددهم ثمانين ألف نسمة بينما كان الشعب يشعر أن العدد يفوق هذا الرقم الكثيرا. وكان على كل شيء ـ حينذاك ـ رقابة، وكانت المقررات المخصصة للبلاد من البضائع الضرورية المختلفة تقاس بالنسبة لهذا التعداد. فنتج عن ذلك إن صار

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد ٩، الثلاثاء ٣٠/ ٣/ ١٣٧٤هـ، ٢٦/ ١١/ ١٩٥٤م.

الفرد ينال نصف حصته من كل شيء ويدفع لذلك ثمنا مضاعفا.. فلم يكن يقدر على دفع أثمان البضائع إلا القليلون.

فقد جاء من الخارج عدد ضخم شاركنا حياتنا وقاسمنا أرزاقنا ومقرراتنا من المواد الغذائية والملبوسات، حتى سرر المستشفى والعلاج الطبي، ومقاعد الدراسة، كما قاسمونا في وظائفنا وأعمالنا واضطرونا إلى بيع منازلنا لقاء (حق المفتاح).

أما اليوم فإنا نعتقد أن الإحصاء العام لسكان عدن يناهز ٣٠٠.٠٠٠ نسمة تقريباً. وسوف تثبت الإحصاءات الرسمية صحة هذا الرقم. لذلك نرجو أن تفكر الحكومة في الخطوة التي يجب أن تتبع هذا الإحصاء. فعليها كخطوة أولى أن تفرغ البلاد من الأجانب الذين جاءونا من وراء البحار ووجهتهم في الظاهر مناطق أخرى. ثم احتلوا عدن لما لقوا فيها من تسهيل الإقامة، وتساهل وتسامح لا يناله أجنبي في بلد من بلدان العالم.

* * *

دعوة إلى التحرر (*)

في صفحة الطلاب من هذا العدد كلمة للطالب محمد أحمد يتحدث فيها عن الوظيفة، وانحصار هم أبناء البلد في العثور عليها والفوز بها، ويصفها بأنها المصير المشؤوم. وقد ذكرتني كلمته بصديق لي من النجارين جاء يزور أخاه الطالب في المدرسة التي كنت أدرس فيها، وكان قد حان موعد خروج الطلبة، فما أن رأى صفوفهم وكثرة عددهم حتى قال لي مبهوراً: يا الله! أين سيتوظف كل هؤلاء عند تخرجهم؟! وابتسمت في ألم، ولم أجب على تساؤله. وها قد مضت سبع سنوات كاملة استطاعت وحدها أن تجيب على سؤاله الحائر، لقد انتهى بعض أولئك الطلبة من دراستهم الثانوية وهي آخر مرحلة تعليمية متاحة في عدن، وقطع معظمهم دراستهم قبل أن يصلوا نهاية الشوط المتاح. وأتيحت الفرصة لعدد لا يتعدى أصابع اليدين بمواصلة الدراسة في الخارج وما زالوا هناك.

فأين ذهب هؤلاء الذين قطعوا دراستهم والذين انتهوا من الثانوية؟ أين ذهب هؤلاء الذين رآهم صديقي النجار وأين ذهب غيرهم، كانوا ساعتذاك يغادرون مدارسهم!

الجواب في حالة جميعهم هو: (إلى الوظيفة).. منهم الكتبة في الإدارات الحكومية والشركات، ومنهم السعاة، ومنهم النجارون العاديون ومنهم المدرسون، ومنهم من ارتحل عن البلد يطلب وظيفة، ومنهم العاطل، ومنهم من لم يفز بوظيفة منتظمة، وللأسف الشديد لم أر منهم أحداً نزعت به نفسه إلى العمل الحر أو خلص نفسه من قيود الوظيفة ليستغل

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد ١١، الثلاثاء ١٤/ ٤/ ١٣٧٤هـ ١٠/ ١٢/ ١٩٥٤م.

مواهبه فيفيد ويستفيد، فما السبب يا ترى؟ الأسباب عديدة.. ولن يعدم أحدهم سبباً يتذرع به.. ولعل أهم ما سيتذرع به الفرد عدم وجود المال الكافي لبدء عمل حر.. ثم المناهج الدراسية التي لا تسلح الطالب التسلح الكافي لخوض معركة الحياة.. ولا تنمي فيه ملكة الخلق والابتكار.. وكأنما مدارسنا مصانع لتموين الشركات ودوائر الحكومة بالموظفين والشوارع بالعاطلين.

إن الحديث عن المناهج الدراسية ذو شجون.. ولست هنا بصدد المناهج الدراسية، لأنني لا أومن بكونها عذراً يحول دون إخواننا والأعمال الحرة، ولست أعتقد أيضاً أن المال حائل دونهم وما تبغي لهم وما يبتغون إن كانوا حقاً يبغون التحرر من الوظيفة والانطلاق في شعاب المهن الحرة، وسأشرح هذا في العدد القادم، فإلى اللقاء.

* * *

حول ولاية العهد في اليمن (*)

كما يستطيع المرء أن يوجه النقد إلى حركة الإصلاح والتقدم البطيئة المتعثرة، فإنه يجد أمامه مجالاً واسعاً للمدح؛ لما تتمتع به اليمن في الوقت الحاضر من أمن واستقرار بعد الهزات العنيفة التي أصابت البلاد من جراء الانقلاب، ورغم المتاعب الخارجية المتجددة على حدود اليمن الجنوبية. ومما لا شك فيه أن ما تتمتع به اليمن من أمن واستقرار يستمد كل مقوماته من شجاعة الإمام وقوة شخصيته وحسن تصريفه للأمور. وهذا أمر يدركه كل الناس. وهذا الإدراك يجعل الناس يفكرون في الشخص الذي سيكون خليفة للإمام ويتحدثون عنه.

ومن خلال حديث الناس في هذا الموضوع يظهر للمراقبين الوضع الغريب الشاذ في اليمن من حيث إنها الدولة الملكية الوحيدة في العالم التي ليس لها ولي عهد معترفاً به اعترافاً رسمياً في الداخل والخارج. ومثل هذا الوضع يثير كثيراً من القلق لدى الحريصين على مستقبل اليمن، العارفين أن كثيراً من الملوك والخلفاء الذين تركوا ولاية العهد معلقة بعدهم قد عرضوا وحدة ممالكهم للخطر، وعرضوا شعوبهم لأخطر الحروب الأهلية المدمرة بسبب النزاعات التي تقوم بين الأقوياء الطامعين في الملك، وقد تنبهت جميع الحكومات الملكية في العصر الحديث إلى الأخطار التي جرها في الماضي عدم البت في ولاية العهد، فعملت جميع الاحتياطات الكفيلة بمنع إتيان الخطر من هذه الناحية.

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (١٦)، الثلاثاء ٢٤/ ٥/ ١٣٧٤هـ، ١٨/ ١/ ١٩٥٥م.

وللمرء أن يتصور حالة اليمن بعد الإمام الراحل لو لم يكن لها ولي عهد قد أخذت له البيعة، ومارس الحكم، وتعود الناس الطاعة له.

ولكن مما يثير الغرابة حقاً في هذا الموضوع ما يذاع من أحاديث عن أن ولاية العهد في اليمن مسألة من صميم الدين، وأن الدين لا يجيز تقريرها والبت فيها إلا بعد أن يصبح عرش المملكة شاغراً. وهذه نقطة حساسة جداً بالنسبة إلى بلد كاليمن تحتل فيها المسائل ذات الصبغة الدينية المكانة الأولى في الاعتبار.

ويصعب علينا الإدلاء برأي نثق بصوابه في هذه الناحية؛ لأن معلوماتنا في الفقه الديني السياسي لا تؤهلنا لذلك. ولكنا نحب أن نسمع رأي رجال الدين المختصين في هذا الموضوع، لذا يبدو للمراقبين أنه من أغرب الأشياء، والذي نرى الاهتمام به يزداد، ولا سيما لدى الأوساط السياسية العربية والأجنبية على السواء.

* * *

ثلاثة مواضيع تسترعي الانتباه(*)

ثلاثة مواضيع استرعت اهتمامنا هذا الأسبوع بصفة خاصة بعد موضوع أخذ اليمن بمبدأ انتخاب بعض أعضاء المجلس التشريعي. وقد أثار الموضوعين الأولين، المؤتمر الصحفي الذي عقده معالي وزير الدولة لشؤون المستعمرات، وأثار الموضوع الثالث خطاب سعادة الوالي في الدورة الحالية للمجلس التشريعي. وسأتناول أولاً في كلمتي هذه الموضوعين الأولين اللذين هما:

- **جعل اللغة العربية لغة رسمية.**
- **ومشروع اتحاد المحميات.**

فقد أجاب معالي وزير الدولة على أسئلة بعض الصحفيين في المؤتمر الصحفي الآنف الذكر بالنسبة إلى الموضوع الأول ذاكراً الصعوبات المادية التي تعترض جعل اللغة العربية رسمية، ولكنه في الوقت نفسه أكد ضرورة ترجمة كل مهم إلى العربية، حتى يحين الوقت لاتخاذها رسمية.

وإذا كان لنا أن نفهم شيئاً من هذا التصريح، فهو اعتراف معاليه ضمنياً بلغة هذه البلاد العربية، وفي هذا رد بليغ على الذين كانوا يسمّمون أفكار الشعب بإيهامهم بأن الحكومة تتجه نحو تجريد هذا الوطن العربي من صبغته العربية. فمعالي الوزير يعترف أن لغة هذه البلاد هي العربية، ولكنه يرى أن الوقت لم يحن بعد لجعلها رسمية لأسباب مادية

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (١٧)، الثلاثاء ١/ ٦/ ١٣٧٤هـ، ٢٥/ ١/ ١٩٥٥م.

كما ذكر معاليه. أما نحن ـ وليعذرنا معاليه ـ فنرى بالعكس أن جعل اللغة العربية رسمية سيخفض من النفقات، بالنظر إلى أن ذلك يقتضي أن يحتل الوطنيون المناصب التي يحتلها الآن الأجانب المجلوبون من الخارج. وبديهتي أن الرواتب التي يتقاضاها الوطنيون أقل بكثير مما يتقاضاه المجلوبون من الخارج.

أما من حيث اتحاد المحميات فقد صرح معاليه بأن الحكومة ليس لديها مشروع آخر للاتحاد ولكنها لن تضغط على أحد لقبول مشروعها. ولا يسعنا إزاء هذا التصريح الذي يعبر عن روح ديمقراطية صميمة إلا أن نسجله للوزير بمزيد من الشكر والامتنان راجين أن يتخذ منه المسؤولون منهاجاً يسيرون عليه.

والموضوع الثالث ـ الذي أشرنا إليه في مفتتح الكلمة ـ هو: إشارة سعادة الوالي في المجلس التشريعي إلى قيام شركة (بترُولْيَم كونشَن ليمِتِد) **بالتنقيب عن البترول في المحمية الشرقية**، وأن برنامج هذا التنقيب قد يستمر نحو سنتين أو ثلاث سنوات، ولعل هذا أول تصريح رسمي في هذا الموضوع. فطالما رددت الصحف والمحافل مسألة وجود البترول في المحمية الشرقية ولكن ذلك لم يلق أي تأييد من الجانب الحكومي ويظهر أن الوقت قد حان اليوم للاعتراف بهذه الحقيقة، لذلك رأينا سعادة الوالي يشير إليها إشارة صريحة.

غير أننا كنا نرجو من سعادته أن لا يجمل الإشارة إليها إجمالاً يجعلنا متطلعين إلى مزيد من الإيضاح بالنسبة إلى موضوع خطير كهذا ينبني عليه مستقبل هذه البلاد وسعادته ورخاؤه. كنا ننتظر من سعادته أن يحدد لنا المكان الذي يجري فيه التنقيب عن البترول في «ثمود» أو غيره؟ وأن يذكر الخطوات التي قد خطتها أعمال التنقيب، وما إلى ذلك مما يتلهف الناس إلى معرفته. ولعل الحكومة في مناسبة أخرى تزيدنا توضيحاً وتنويراً فنكون لها من الشاكرين.

حول انتخابات البلدية[١]

بدأت بوادر الاستعداد لانتخابات البلدية وبدأت الاتصالات تتوالى حول هذا الموضوع. وكانت البلدية وأعمالها بعيدة عن اهتمام الناس. ويذكر القراء أننا كتبنا في هذه الصحيفة نطلب بعضاً من الاهتمام بأمور البلدية. ولم يظهر بوضوح من اهتمامنا المتواصل ما نثبت به أمام أنفسنا قبل كل شيء وفي مطالبتنا للمسؤولين، أن الخطوة الأولى بانتخاب ستة من أعضاء البلدية لم تعد كافية ولا بد من المزيد تمشياً مع سنة التطور، وقد نجحنا إلى حد كبير في التجربة فلم يعد هناك ما يسوغ التسويف والمماطلة إلا إذا أعطينا من أنفسنا شيئاً من هذا.

وعلى كل حال فإنا نشعر أن هناك اهتماماً يبديه الناس الآن، والاهتمام شيء طيب لا بد منه إذا أردنا أن نتقدم ببلادنا، ويجب أن نعترف أن هذا الاهتمام كان يجب أن يشمل بجانب التحضير للانتخابات المقبلة، المطالبة الجدية بالتوسع في عدد المنتخبين وزيادة اختصاصات البلدية ومهامها.

ولا نزال نذكر بكثير من المرارة أننا في الدورة الماضية في الانتخابات لم نقدم في دائرة التواهي غير مرشح واحد، بينما كان عدد نواب البلدية للتواهي اثنين، فمُلئَ المقعد الشاغر بالتعيين فعلى ألا تكرر التواهي ذلك هذه المرة، وإلا كانت مطالبتنا بالمزيد من عدد المنتخبين جوفاء.

---

(١) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد ١٩، الثلاثاء ١٥/ ٦/ ١٣٧٤هـ ٨/ ٢/ ١٩٥٥م.

ويذكر القراء كذلك أنه في الدورة الماضية نجح الثلاثة المرشحون العرب. ويبدو في الأفق أن هناك عدداً أكثر هذه المرة. وهذا أمر لا بأس به فالمنافسة مطلوبة وإنما يهمنا أن تكون نزيهة، وأن يكون المتنافسون رياضيين، يسعون للفوز، ويهنئون الغالب، ويستعدون للدورة المقبلة.

لا نريد من معركة الانتخابات أن تزيدنا تفرقاً أكثر مما نحن فيه، لا نريد من معركة الانتخابات أن تكون صبيانية يهتم بها الصغار بلغة الشارع .. نريد أن يذهب الناس إلى موضع الاقتراع مدفوعين بحماسهم لواجبهم المدني الوطني، ولا يعكر صفو مشاعرهم الطيبة أصوات المأجورين المنكرة التي تعطي عنا صورة مزرية. ولذلك نقترح أن تعقد جلسات انتخابية يخاطب فيها المرشحون الجماهير، ويشرحون لهم الأسباب التي حفزتهم للتقدم للترشيح، وأعتقد أن الصحف كذلك سترحب بكلمات متواصلة وفي الصميم يكتبها المرشحون وأنصارهم يوضحون فيها للجماعات المستنيرة دخائل البلدية، وما ينوون أن يقوموا به فيها. وأعتقد كذلك أن من حق المرشحين أن يطلبوا السماح لهم بإذاعات يتصلون بواسطتها بجماهير الناخبين.

وإلى ما قبل شهر لم أكن ألمس اهتماماً من أعضاء البلدية الحاليين بالتقدم مرة أخرى للانتخابات، ولا أعتقد أن هذه مناورة انتخابية. فقد شعروا أن الناس لا يهتمون الاهتمام اللازم بالبلدية. وجزى الله الأسباب خيراً، فقد حدثت مشكلة ضرائب العوائد، فاهتمت الجماهير، واهتم الأعضاء، فعسى أن جذوة الحماس هذه ستظل مستمرة، وعسى أن الاهتمام سيشمل أموراً أخرى.

ما هذه العنصرية[١]

يرى القارئ في غير هذا المكان نبأ الاجتماع الذي انعقد في الغرفة التجارية بين المستشار العمالي لوزارة المستعمرات المستر (لتروب) وبين رؤساء الشركات والبنوك.

ونحن طبعاً ممن يحاربون النزعة العنصرية و إقحامها في علاج المشاكل العامة. ولكن المؤسف أننا لاحظنا هذه النزعة قد تجلت بصوره واضحة من قبل بعض أعضاء الغرفة في ذلك الاجتماع الذي يكاد يكون الأول من نوعه نظراً لحضور المستشار العمالي. فقد ظهر المستر (فاكيل) نائب رئيس الغرفة التجارية مع الأسف بمظهر المثير لنعره العنصرية في عدن، عندما أشار إلى أن العمال اليمنيين يدخلون عدن بصوره غير مشروعه، وأنهم يبعثون بالأجور التي يتقاضونها إلى بلادهم، ولا ينفقونها في عدن، وأن في ذلك إضراراً بالمستعمرة.

ولم يكتف حضرته بهذا الاستفزاز، فتجاوزه إلى اتهام العرب في كفاءتهم وقدرتهم على الاضطلاع بالوظائف والأعمال. غير أن اثنين فقط ممن حضروا الاجتماع يجب أن ندين لهما بالشكر هما: الأستاذ (جميل بركات) الذي أنبرى للرد على المستر (فاكيل)، ومدير الشؤون والعمل الذي أكد أنه درب عدداً من الموظفين العرب، فأثبتوا جدارتهم وكفاءتهم لما يسند إليهم من أعمال.

إن العمال اليمنيين يا مستر (فاكيل) هم العصب الحيوي لهذه البلاد. وهم الذين شيدت المؤسسات وأقيمت العمارات وعبدت الطرقات على أكتافهم. وإضافة إلى ذلك فهم عرب لحماً ودماً ولغةً، فهم منا ونحن منهم، وليس بيننا وبينهم أكثر من سفر سويعات.

---

(١) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد ٢٠، ٢٢/ ٦/ ١٣٧٤هـ، ١٥/ ٢/ ١٩٥٥م.

ولكنا نسأل المستر (فاكيل) ألا يستغل الهنود خيرات هذه البلاد ثم يحملونها إلى بلادهم؟!

* * *

حقائقُ مرةٌ![*]

حقيقة بديهية لا تفتقر إلى إقامة البرهان أو مزيد من الإيضاح، هي أن حياة كل بلاد أو شعب ترتكز على قواه الاقتصادية، ما في ذلك شك.

ويوجد في مدينتنا (عدن) هذه هيئة تعتبر بصفه رسمية هي المسيطرة على اقتصاديات البلد. تلك هي الغرفة التجارية العدنية، ولكن المؤسف أن لا يوجد بها من الأعضاء العرب غير نحو أربعة أعضاء من ضمن نحو ١٦ عضواً من مختلف الجاليات. إنها حقيقة أخرى مخجله أن لا تضم هذه الغرفة التي تسيطر على اقتصاديات بلاد عربيه صميمه غير أربعه من أبنائها العرب أصحاب الحق الأول فيها! ومع ذلك فإن العضو العربي في الهيئة الإدارية إنما يحضر جلساتها كعضو مستمع فقط؛ لأنه لا يحسن الإنجليزية، وهنا تظهر حقيقة أخرى، هي عدم اعتبار اللغة العربية في هذه الغرفة التي تقوم في بلاد عربية، والمفروض فيها أن ترعى مصالح هذه البلاد العربية.

ولكن الإنصاف يفرض علينا أن نعذر الغرفة التجارية، إذا هي لم تعتبر لغتنا العربية ولم تعنَ بها، ما دام أعضاؤها من العرب قلة لا قيمة لها! إن النتيجة التي نتوصل إليها من وراء عدم اهتمامنا بالغرفة التجارية هي أن ندع السيطرة فيها للجاليات الأجنبية: وهذا يعني بالطبع سيطرة هذه الجاليات على اقتصاديات البلد دوننا، بينما في إمكاننا وفي مستطاع تجارنا أن يكونوا أغلبية من العرب في هذه الغرفة إذا ما انضموا إلى عضويتها.

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٢١)، ٢٩/ ٦/ ١٣٧٤هـ موافق: ٢٢/ ٢/ ١٩٥٥م.

قد يُقال: إنّ تجارنا منضمون إلى الجمعية التجارية العدنية. غير أن هذه الأخيرة ليست لها السيطرة والنفوذ اللذان للأولى على شؤوننا الاقتصادية بحيث يمكن أن تعتبر صفرا على الشمال بالنسبة إليها. ولذا نجد معظم أعضاء الجمعية التجارية غير العرب أعضاء في الغرفة التجارية أيضاً. فهل يفطن تجارنا لهذه الحقائق المريرة، ويعملون لتدارك تقصيرهم نحو مصالحهم هم أنفسهم؟!

* * *

كرامة العامل واختصاص الرئيس (*)

حدث قبل بضعة أيام أن كان أحد عمال شركه أجنبية كبرى معروفه يدخن سيجارة أثناء عمله، حينما فاجأه الرئيس العام للشركة، وخطف السيجارة من فمه، وداسها برجله، ثم أخذ يجرجر العامل إلى خارج محل عمله بطريقة اعتبرها العامل مهينة غير لائقة، مما ضايقه وأثار حفيظته، وبطريقه لا شعورية هوى بصفعة قوية أحدثت أثرها على خد الرئيس المحترم!

ولعل هذا أول حادث من نوعه في عدن كما نعلم، ونرجو مخلصين أن لا يتكرر مرة أخرى. فلا يجوز ولا يصح أن يعتدي مرؤوس على رئيسه، كما لا يجوز أن يتعدىٰ الرئيس حدود اختصاصه أو يمتهن كرامه العامل أو المرؤوس. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: لا يجوز للرئيس العام أن يعتدي على اختصاص الرئيس المباشر للعمل. ففي مثل هذا ما فيه من الفوضى، واختلال التوازن بين السلطة العليا والسلطات الأخرى المفوضة التي من تحتها، والتي هي على اتصال مباشر بالعمل، والتي لها حق التوجيه والنصح والإرشاد والعتاب، أما أن يتدخل الرئيس الأعلى أو من يقوم مقامه متعدياً سلطة رئيس العمل المباشر مهما كانت الأسباب و المبررات، فهذا هو عين الخطأ، وبداية الفوضى وسوء النظام.

وإلا فما معنى وجود هذا الرئيس المباشر إذا كان الرئيس الأعلى يتخطى حدود

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٢٣)، بتاريخ: ١٣/ ٧/ ١٣٧٤هـ، موافق: ٨/ ٣/ ١٩٥٥م.

واجبه كلما عَنَّ له ذلك؟! فليست المسألة مسألة رئيس أعلى ورئيس أدنى، كلا! إن المسألة مسألة نظام واختصاص وكرامة. والنظام يقضى بأن لا يتدخل الرئيس الأعلى فيما لا يعنيه مباشرة وفيما هو من اختصاص الرئيس الأدنى، إلاّ عند الضرورة القصوى التي تستدعي تدخله المباشر. فمتى أخل العامل بواجبه أو خرج عن حدود النظام والأصول المتبعة أو اقترف ذنباً فإن مثل هذه الأمور من اختصاص المشرفين والملاحظين أولاً، ثم الرئيس المباشر إذا استدعت الحال. أما الرئيس الأعلى فيجب أن يكون على الدوام بعيداً عن التدخل المباشر، ففي هذا حفظ لكرامة كل من الرئيس الأعلى أو الرئيس المباشر.

ويجب أن يلاحظ: أن للعامل كرامته أيضاً كإنسان على الأقل، فإذا ما أخطأ في نظر الرئيس فليس من حقه أن يتولى تأديبه بيده أو ينال من عزته وكرامته، فهناك وسائل أخرى للردع والزجر تحفظ للعامل عزته و كرامته.

* * *

نظرات في المشروع بقانون العقوبات (*)

نشرنا في الأسبوع الأسبق خبراً بعنوان (مشروع بقانون الثورة على التاج)، والحقيقة: أن هذا المشروع بقانون ليس في حد ذاته مشروعاً منفصلاً عن المشروع بقانون العقوبات الذي يراد إحلاله محل قانون العقوبات الهندي المعمول به حالياً، بل هو جزء منه، أو بعباره أخرى إنما هو المادة ١٢١ من هذا المشروع بقانون المعروض الآن على المجلس التشريعي.

فالمادة (١٢١) من المشروع تنص على: (أن كل شخص، سواء كان داخل عدن أو خارجها، يشن حرباً ضد الملكة أو يحاول أو يشنها أو يحرض على شنها أو يتآمر على ذلك يعاقب بالإعدام). والملحوظ: أن هذه المادة تفرض عقوبة الإعدام فرضاً بحيث تصبح لزاماً على الحاكم ولا خيار له في فرض عقوبات أخرى أخف منها، كما هي الحال في الجرائم الأخرى.

أما **المادة المقابلة** لها في القانون الحالي المراد تعديله فتجعل العقوبة الإعدام أو النفي مدى الحياة مع الغرامة، والناحية المنتقدة في المادة المشار إليها هي أنها تُلزم المحكمة بفرض عقوبة الإعدام لا غيرها من العقوبات. ولا شك أن هذه المادة تكون خطراً رهيباً وسلاحاً فتاكاً في يد السلطة الحاكمة التي تستطيع استعمالها ضد كل من يقوم بأعمال قد تفسر- بأنها تحريض على شن الحرب، لأن هذه المادة مطاطة قابلة لكل تفسير أما المواد (١٢١/ أ)، و(١٢١/ ب)، و(١٢١/ د)، فكلها جديدة ليست موجودة في القانون المراد تعديله.

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٢٥)، بتاريخ: ٢٧/ ٧/ ١٣٧٤هـ، موافق: ٢٢/ ٣/ ١٩٥٥م

والغريب أن المشروع لم يشر كما هو المتبع دائماً إلى وجود هذه الإضافات الجوهرية، رغم انه ذكر أوجه الخلاف بين المشروع المعروض والقانون المراد تعديله في الجرائم الأخرى. وأهم ما يلفت نظرنا فيها جرائم التجمهر والاجتماع غير القانوني. فقد ضوعفت العقوبات في هذه الحالات بحيث أصبحت خمس سنوات بعد أن كانت سنتين كحد أقصى. أما إذا اقترن التجمهر غير القانوني بحمل السلاح فالعقوبة سجن عشر سنوات بعد أن كانت ثلاث سنوات فقط.

والمفروض أن هذه الأعمال يقوم بها أحداث الطلبة وصغار الشبان للتعبير عن أماني ومطالب قومية. فمضاعفة العقوبة بهذا الشكل أمر خطير جداً لا تبرره ظروف البلاد. ومعلوم أن القانون المراد تعديله كان قد وضع للهند في الظروف التي كانت تستقبل فيها كل يوم حوادث العصيان التي تقتضي فرض أقصى عقوبة ممكنة. ومع ذلك فقد كانت سنتين في حالة عدم حمل السلاح وثلاث سنوات في حالة حمل السلاح.

فما الموجب الآن لمضاعفة العقوبات إلى خمس سنوات في الحالة الأولى وعشر سنوات في الحالة الثانية في بلاد كعدن ما زالت مسالمة؟! وما الذي يدور في رؤوس واضعي المشروع؟ هل نفهم منه أن واضعيه يرمون إلى تزويد السلطات مقدماً بهذه الأسلحة القانونية الرهيبة مبالغة في الإرهاب والترويع مما سيؤدي حتماً إلى تخوف الناس من مزاولة حقوقهم الديمقراطية؟!

* * *

رحمة بأرواح الطلبة(*)

تكررت حوادث اصطدام السيارات التي تنقل الطلبة إلى كلية عدن، ومنها في الشيخ عثمان فقد بلغ عددها في مدة وجيزة نحواً من ثلاث حوادث أو أكثر كانت اثنان منها من حوادث الانقلاب، ولكن الله كان يرعى فلذات الأكباد ويحيطهم بعنايته، فلم تحدث خسائر في الأرواح، وإن لم ينج كثير منهم من الرضوض والكسور.

ولكن الحادثة الأخيرة وهي حادثة الاصطدام التي ذهب ضحيتها الطالب حسن سعيد العمودي يوم الجمعة ١٨ مارس الجاري، كانت فاجعة أليمة تعدو طوق الاحتمال وتتجاوز طاقة الصبر، لما اكتنفها من ملابسات وظروف جعلتها مأساة مروعة لا يصح السكوت عليها. فليس من اليسير الهين أن نشاهد شاباً في مقتبل عمره هو وحيد أمه ومطمح آمالها يمتاز بصفات عالية جعلته محبوباً إلى جميع من عرفه، ليس من اليسير الهين أن نخسر مثل هذا الشاب في لحظة عين ضحية إهمال واستهانة بالأرواح. لسنا بهذا نلقى التبعة على السائق أو على فرد معين، فالقضية لا شك رهن التحقيق، ولا نحب أن نستعجل القضاء في الحكم، ولكنا نريد أن نقول: إن حوادث سيارات طلبة الكلية قد تكررت في مدة وجيزة، وتكررها يستلفت النظر، وأولياء الطلبة إنما يبعثون بهم إلى الكلية ليتزودوا بالمعارف والعلوم لا ليرموا بهم بين أحضان عزرائيل!

فواجب المسؤولين، والمعارف بصفة خاصة، أن يحتاطوا كل الاحتياط لسلامة أرواح

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٢٦)، بتاريخ: ٥/ ٨/ ١٣٧٤هـ، موافق: ٢٩/ ٣/ ١٩٥٥م.

الطلبة. ويتخذوا الإجراءات الكفيلة باطمئنان أولياء الطلبة إلى رعاية أبنائهم وأفلاذ أكبادهم الرعاية التامة من قبل من وكل إليهم أمرهم.

فقد استفزت حادثة الاصطدام كل من سمع بها، وكانت حديث طيلة هذا الأسبوع، وكلهم ناقم وساخط. وليس أدل على ذلك من الاجتماع الذي عقدته جمعية مناصرة الطالب يوم الثلاثاء الماضي، والذي قررت فيه إرسال مذكرة إلى مدير المعارف المستر هارتلي تستنكر فيه هذه الحادثة، وتطالب باتخاذ الإجراءات التي تضمن عدم تكررها.

وقد اطلعنا على نسخة من هذه المذكرة، فوجدناها تعبر تعبيراً صادقاً عن شعور أفراد الشعب تجاه هذا الحادث، ومما جاء فيها: «وقد استخلص الناس من هذه الحوادث حقيقة واحدة هي أن أبناءهم الذين يتلقون العلم في الكليتين في خطر نتيجة لعدم الاهتمام الكافي والاستعداد اللازم سواء فيما يختص بالسيارات المكلفة أم في الإشراف اللازم والضروري من قبل الأساتذة المشرفين على الطلبة». وتستمر المذكرة في طلب، إنزال العقاب الرادع على المتسبب في الحادثة والمرتكب للخطأ، ثم ترجو التأكد من اتخاذ الاحتياطات اللازمة التي تكفل صيانة الأرواح بالوسائل التالية:

١- التأكد من أن السيارات التي تستعمل لهذا الغرض صالحة تماماً للمهمة المنوطة بها، فلا تستعمل مثلاً السيارات التي تنقصها الفرامل أو التالفة.

٢- أن يكون السائق من أهل الخبرة الطويلة بالسواقة فلا يوكل ذلك إلى سواقين تحت التمرين أو قليلي الخبرة.

٣- ألا تزيد السرعة على الحد الضروري.

٤- أن يكون هناك مشرفون على نزول الطلبة وطلوعهم إلى السيارات.

ونحن نتفق مع جمعية مناصرة الطالب في كل ما جاء في مذكرتها. بقي أن ننتظر من المعارف خطوتها الجدية، وإلا.. فلا يستبعد أن يأتي وقت تصبح فيه الكليتان بمثابة الخطر الذي يحذره الناس.

* * *



حول الانقلاب الأخير في اليمن(*)

بدأت بشبه لعبة صبيانية، وانتهت ببطولة أسطورية، تلك هي حركة الانقلاب الأخير في اليمن.

(لعبة صبيانية)؛ لأنها لم تكن من الانقلابات التي تهيئها الظروف والملابسات، والتي تقتضيها مصلحة الوطن العامة، ولأن الهرجلة كان طابعها الذي امتازت به، وحسبك دليلاً على ذلك: أن الجيش قام بحركته هذه غضباً لنفسه وأخذاً بثأره من الشعب بعد أن أحرق بعض قراه، وعاث فيها نهباً وفساداً، فكان ذلك من أدعى الأسباب لأن يحرم من العطف والتأييد. ولقد بلغ من صبيانيتها أنها لم تكن قد هيأت لها حتى الإمكانيات الضرورية. فأصبحت منذ اليوم التالي تتصل ببعض البيوت التجارية في عدن لتطلب منها البترول اللازم للطائرات والسيارات لأن مخازنها فارغة منه.

أما (البطولة الأسطورية) التي انتهت بها هذه الحركة، فهي (بطولة الإمام أحمد) الذي جابه في أحرج الساعات جيشاً كاملاً، وخرج عليهم وحده، ففروا أمامه هاربين مذعورين، إذ لا نكاد نجد بطولات من هذا النوع الذي يتغلب فيه فَردٌ واحدٌ على جيش بكامل معداته في غير الأساطير!

وبعد؛ وقد وضحت تفاهة هذه الحركة وبطولة صاحب الجلالة الإمام، فإنا ننتظر من جلالته أن يعامل الجناة بعد أن ظفر بهم معاملة الحليم الذي يعفو عند القدرة، ولا نقصد

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٢٨)، بتاريخ: ٩/ ٨/ ١٣٧٤هـ، موافق: ١٢/ ٤/ ١٩٥٥م.

بهذا أن يدعهم وشأنهم يستمرئون المرعى كما كان العهد بهم سابقاً، وإنما نقصد أن يبقى على حياتهم مع إبعادهم عن مسؤوليات الحكم والمناصب الحكومية وملاحظة نشاطهم عن كثب. ولعل جلالته ما زال يذكر أننا كنا أول من أشار في هذه الصحيفة إلى الحركات الخفية والجمعيات السرية. فليس من المحتمل أن نحابي هؤلاء، ولكنا نريد لجلالته أن يحتفظ بروعة البطولة التي كسبها بشجاعته وحلمه.

ولقد أظهرت حركة الجيش هذه معادن الخير والنبل المطمورة في بعض الشخصيات التي كانت مضطهدة كالأستاذ النعمان فيجب أن تلقى هذه الشخصيات ما هي جديرة به من إعزاز وإكرام واستغلال للمواهب التي تتمتع بها. وليس كالأحداث والمحن ما يكشف عن معادن الناس! أما سمو سيف الإسلام البدر فقد طلع بدراً كاملاً في سماء اليمن، ومن لِظُلَمٍ تُحرَمُ بعد اليوم من أضوائه! ولو أنّ لرأينا بعض النفاذ، لالتمسنا من جلالة الإمام أن يطلق يده في الحكم، وفي اختيار معاونيه ممن يتألف منهم الجهاز الحكومي، وحسب جلالته أن يرعاه عن كثب، ليقر به عينه.

وقبل أن ننهي الكلمة لا نجد مندوحة عن تسجيل شكرنا لحكومة عدن التي دلتنا تحرياتنا الخاصة أنها وقفت مواقف الحياد التام من هذه الحركة.

* * *

هذا هو الطريق نحو الإصلاح(*)

المصالح المشتركة والتاريخ المشترك، والآلام والآمال المشتركة، والروابط العديدة، كل ذلك يجعلنا أقرب صلة باليمن، وأوثق ارتباطها بها من أي بلد آخر. فلا غرو إذا ما كررنا القول، وأعدناه في موضوع اليمن. وقد تعرضت اليمن الشقيقة الكبرى، لانقلابين خطيرين في فترة وجيزة من الزمن. مما يحملنا على أن نتساءل في شيء من الإشفاق عن الدوافع التي تكمن وراء هذين الانقلابين اللذين لا يمكن أن تكون الصدف وحدها التي هيأت لهما الأسباب.

ويظهر لنا من تتبع الأحوال، وسير الأوضاع في اليمن أن الدوافع المشار إليها يمكن حصرها في نقطتين بارزتين هما:

أولاً: فساد الجهاز الحكومي بشكل بارز، والظاهرة الرئيسة لذلك، هي حرص كبار الموظفين اليمنيين على أن يصيبوا بالشلل كلَّ حركةٍ تهدف إلى محاولة إنعاش البلاد في اقتصادياتها ومرافقها العامة، أو كل مشروع يرمي إلى مس ذلك الجهاز الحكومي الدائر بشيء من التعديل أو الإصلاح، محافظةً على خصوصياتها ورعاية لمصالحها، ولعل في الانقلاب الأخير في اليمن ما يفسر موقف هذه الشلة أوضح تفسير بإثارتها سخط الشعب تمهيداً له.

والنقطة الثانية: هي تعثر الأوضاع الاقتصادية وسوء الأحوال المعيشية والمالية ولقد

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣١)، بتاريخ: ١٠/ ٩/ ١٣٧٤هـ، موافق: ٣/ ٥/ ١٩٥٥م.

كان لذلك أثره في عدم ارتكاز السياسة المالية باليمن على أية أسس سليمة يمكن أن تنهض بالبلاد، ويظهر أثرها جلياً في كلا الجانبين اللذين يعنيهما الأمر، ونقصد بهما الجانب الشعبي والحكومي، فساءت نتيجةً لذلك أحوال الشعب، واضطربت معيشته، وساءت أيضاً أحوال الحكومة. ولو أن الأمر كان على خلاف هذا لكانت الأوضاع الاقتصادية في مستوى لو لم يكن له من نتيجة سوى أنه مستوى يسير سيراً صحيحاً في الطريق التي تؤدي إلى الغاية المطلوبة إلى الهدف المنشود، إلى رفاهة الحاكمين والمحكومين، لكان ذلك وحده كافياً.

ونحن لا نعتقد أن ما نشير إليه ـ في كلمتنا هذه ـ سوف يضله فهم العاهل الكبير للعربية السعيدة، وما من شك في أنه سيعمل مستخلصا العبرة من الماضي ـ الماضي البعيد والماضي القريب ـ للقضاء على كل جهة وعلى كل وضع وعلى كل مصلحة أياً كان نوعها تقف في السبيل لتشل من حركات الإصلاح أو تعدل بقافلته عن النهج القويم الذي لا يرجى صلاح الأحوال إلا بمواصلة السير فيه حتى نهاية الشوط.

ويومئذ ستعرف اليمن حكومةً وشعباً أننا في هذه اللمحات الخاطفة الناصحة إنما نرجو لها الخير كل الخير، ونمحضها النصح الخالص فلتبدأ مناهج الإصلاح اليمني من هنا من هذا الطريق السوي، ولتقض على الأوضاع الفاسدة الشاذة إدارية كانت أو مالية، والله ولي التوفيق.

* * *

أنقذوا هذه المدرسة اليتيمة(*)

حقيقة لا مشاحة فيها ولا تقبل الجدل هي أن المدارس الأهلية دعامة من أقوى الدعائم التي يجب أن ترتكز عليها نهضة هذه البلاد وطالما أعاد الكتاب القول وكرروه في ضرورة تأسيس المدارس الأهلية والإكثار منها. وذلك لشعورهم وشعور كل وطني مخلص بأن البلاد في حاجة ماسة إلى شباب قوي ممتلئ حيوية مشبع بالروح القومية مسلح بالكفاءات التي تتطلبها نهضة البلاد.

هذا مع العلم بأن المدارس الحكومية قد برهنت بما لا يدع مجالاً للشك على كونها لا تفي بهذه الأغراض، وإنما تعمل لإيجاد طبقة خاصة من الموظفين الذين تغلب عليهم روح «اللاأبالية»، والميوعة، مع الأسف الشديد، بالإضافة إلى أن هذه المدارس لم تعد تستوعب من أفلاذ أكبادنا غير عدد ضئيل ثم تقذف بالباقين لتتلقفهم الشوارع.

ومن هنا كان منشأ ما يعانيه الغيارى من أبناء هذه البلاد في مطلع وعيها الجديد، من ألم مرير يحز في نفوسهم، لخلوها من المدارس الأهلية الحرة غير مدرسة يتيمة واحدة هي (**مدرسة بازرعة الإسلامية**)، التي ضاعف من ألمهم أنها كانت قد تعرضت في العهد الأخير لفوضى واضطراب كادا يشلانها عن أداء رسالتها المرجوة.

فلما عهد بإدارتها إلى الأستاذ المربي سعيد حسن مَدِّي قبل نحو ثلاثة شهور هلل الشعب فرحاً واستبشر خيراً بعهد جديد لهذه المدرسة. ولكن لم يطل عهد استبشارهم مع

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣٢)، بتاريخ: ١٧/ ٩/ ١٣٧٤هـ، موافق: ١٠/ ٥/ ١٩٥٥م.

كل معاني الأسف، فقد بدا الخلاف يدب بين المدير الجديد واللجنة المشرفة على المدرسة، مما أدى في النهاية إلى أن يقدم كلاهما الاستقالة ويطلبا التخلي من الاضطلاع بمسؤولياتهما. فوضعا بذلك المدرسة على شفا الهاوية وتركاها للقدر لتتقاذفها الأنواء والأعاصير! ونحن هنا لا نريد أن نوزع التبعات والمسؤوليات. فقد تكون الأسباب التي يتذرع بها الطرفان ـ كلها أو بعضها ـ صحيحةً أو غيرَ صحيحة. فإن المسألة ليست مسألة وظائف أو مناصب، وإنما هي مستقبل شعب بأسره يرجو أن يقيم دعائمه على المدارس الأهلية الحرة التي لا توجد منها في عدن غير هذه المدرسة التي توشك أن تنهار بسبب الخلاف بين مديرها ولجنتها.

إن الأستاذ مدّي قد زاول التدريس طيلة ٢٥ عاماً، وأصبح له تلاميذ يشغلون مناصب مهمة، فيجب أن لا يؤاخذ إذا ما نظر إلى أكثر أبناء هذه البلاد كتلاميذ له، وعاملهم على هذا الأساس، ولعل تشدده أحيانا في معاملة اللجنة إنما كان في هذا الباب. فلنتحمل هذه المعاملة، لأن الدافع إليها نظرته الأبوية، والأب قد يتشدد، ولكن لصالح الابن في نظره على الأقل، وعلى الأستاذ مدي أن يتذكر أنه قد أنفق شبابه، وأعز مراحل حياته في تنشئة الجيل الجديد، فيجب أن لا يقطع حبل الصلة بينه وبين أبنائه في دور الكهولة.

وبالاختصار؛ فإنا نرجو من الطرفين أن يضحيا بكل شيء في سبيل مستقبل أفلاذ الأكباد، وإنقاذ المدرسة الأهلية الوحيدة في هذه البلاد.

* * *

هل من مصلحة الأمن
تشجيع الحركات التبشيرية في الجنوب؟(*)

سؤال هادئ بسيط، نقدمه إلى حكومة هذه البلاد أولاً، وإلى سلاطين ورؤساء المحميات العربية، وإلى رجال الدين والهيئات الشعبية، وبالتالي إلى كل ذي مسؤولية وشعور في بلاد الجنوب العربي.

ونرجو قبل الإجابة عليه أن يفكر هؤلاء وأولئك، ويفكروا طويلاً فيما عساه أن يكون الحال في هذا الوطن المتحد في الدين، وفي اللغة، وفي الشعور، فيما إذا كتب النجاح لهذه الأعمال التبشيرية التي تسير جنباً إلى جنب مع بعض عمليات الصحة، وتفرق أبناؤه شيعاً ومذاهب، وتوزعوا عقائدَ وأدياناً، وأصبح كل فريق يحاول نصر دينه، وكل طائفة تعزز أبناء طائفتها بالحق أو بالباطل؟ إن المصير على هذا القياس مصير غير مجهول، وفي وسع كل منا تحديده، والمستقبل لا يبشر بخير.

ولنا هنا أن نتساءل عما إذا كان من الصواب أن نتغافل عن هذه المنشآت التي إن قيل إنها تخدم أغراضاً إنسانية، بعنايتها بالمرضى وبالشؤون الصحية، فإنها من الناحية الأخرى تعمل على زرع بذور التفرقة والشقاق، بين أبناء الوطن الواحد، بل بين أبناء المدينة الواحدة، وتمهد للأحقاد الدينية أن تنمو وتنمو، وتثور في يوم من الأيام، فيحدث حينئذ ما لا يمكن تلافيه، إذ يكون الخرق قد اتسع على الراقع، وأصبحت الحالة من السوء بحيث لا يمكن للأمن أن يسود هذه الربوع.

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣٣)، بتاريخ: ٢٤/ ٩/ ١٣٧٤هـ، موافق: ١٧/ ٥/ ١٩٥٥م.

وهذا هو كل الخطر الذي يدعونا الحاضر على أن نرعاه، وهو بعد حدث صغير، فلا نسمح لأصوله بأن تمتد على تربة هذه البلاد وتنمو وتترعرع، وتؤدي الثمرة المرجوة التي لن تكون إلا فقدان حالة الأمن والطمأنينة، وانعدام الوئام الأخوي الذي يسود الأفراد والجماعات في ربوع هذا الجنوب.

إننا نأمل بشدة في أن لا تسمح السلطات المشرفة على هذه البلاد، بقيام مثل هذه العمليات التي لا يخفى ضررها، ولا سيما في المستقبل، وبصورة خاصة ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً أنه ليس من مصلحتها تشجيع مثل هذه الحركات، التي سوف تصبح في يوم من الأيام، أكبر معول يهدد أمن الجنوب وطمأنينته، ويذهب بسلامه وسعادته، ولا يخالجنا أدنى شك في أنها سوف تنظر إلى هذه القضية البالغة الخطورة بكل اهتمام وحذر، علما منها بأن من واجبها احترام المعتقدات التي يقدسها الأهالي، ويعتبرونها جزءاً من كيانهم الحيوي.

إننا نكتب هذه الكلمة، بعد أن اتضح لنا بجلاء: أن (**الكنيسة الأسكوتلندية**) الواقعة بالحبشة، والتي تمثل مركز القيادة العامة، **للحملة التبشيرية** بجنوب الجزيرة العربية، هذه الكنيسة أصبحت تعمل بنشاط ملموس لتأسيس **مراكز تبشيرية**، ومحاولة تنصير من تستطيع من أبناء المحميات الذين يقدر لهم أن يتصلوا بها كمساعدين صحيين، أو عمال آخرين، أو كمرضى متطببين وذلك بأن تفرض عليهم القيام ببعض الطقوس الدينية المسيحية، التي هم في غنى عن القيام بها، أو بأن تعطيهم دروساً خاصة في الديانة المسيحية، يقصد بها تضليلهم عن ديانتهم، وبالتالي انسلاخهم كلياً عن هذه الديانة. ولئن تغاضينا عما يقوم به فرعها القائم في عدن، أو فرعها الآخر القائم في الشيخ عثمان، من عمليات التبشير الساخر المكشوف، نظراً لإيماننا بأن الوعي بهذه البلاد هو من الإدراك بحيث يستطيع أن يتبين نواحي الخطر، ويميز بين دروس التطبيب أو دروس التبشير، لئن فعلنا ذلك بالنسبة إلى هذين الفرعين فإننا لن نستطيع أن نهمل ما يقوم به فرع دينه من النشاط التبشيري، الذي يتمثل في التدريس وفرض مزاولة الطقوس الدينية، وتوزيع **نسخ الإنجيل** والمنشورات

المسيحية الأخرى لنقرأ بين أبناء البوادي الجهلة الذين تغلب عليهم البدائية وتجعل منهم مرتعاً خصباً لأمثال هذه التضليلات الخاطئة.

وقد علمنا أن هذه المؤسسة التي هي عيادة تبشيرية تضم أربع ممرضات أوربيات يعملن لهذه الغاية بنشاط المجيب. ولعله لم يغب عن الأذهان بعد قصة إغلاق فرع التبشير التابع لمستشفى أبيَن بواسطة المرحوم السلطان حسين بن عبد الله الفضلي، وذلك حينما أخذ الدكتور (جرني) على إغلاقه يوم الأحد كعطلة رسمية، فأخذ السلطان من جانبه على أن لا يعطل إلا في يوم الجمعة، وهناك حدث الخلاف بينهما فاستقال (جرني) هذا، وهو الآن في (كندا).

وثالثة الأثافي: نشاط هذه الحركة في (بيحان)، وذلك بتأسيس **(إرسالية بيجان)** التبشيرية التابعة في نظامها وأهدافها ومقاصدها لتلك الكنيسة **الإلكوكندية**، وهنا نقف فنتساءل مرة أخرى: ما هو الغرض في هذه العمليات التبشيرية؟ وهل من مصلحة الأمن تشجيع الأعمال التبشيرية في الجنوب؟!

* * *

كذا فلتكن الخطب (*)

كان يوم عيد الفطر المبارك من الأيام الخالدة التي لم تشهد عدن لـه مثيلاً في تاريخها القريب، فقد احتشدت في الميدان العمومي للرياضة جموع غفيرة تقدر بحوالي ثلاثين ألفاً، من سكان هذه المدينة بضواحيها لتأدية صلاة العيد، وسماع خطبة فضيلة الشيخ محمد بن سالم البيحاني(١)، التي استغرقت زمناً غير قصير رغم شدة الحر وكثرة الزحام، وتناولت بحق جميع القضايا الدينية الهامة، والمشاكل التي تشغل بال الرأي العام العربي المسلم بهذه البلاد. ولقد كان خليقاً به أن يصدِّرها قائلاً: إنها خطبة برلمانية يلقيها نيابة عن حكومة السماء، وسلطنة العرش.

* ومن أهم ما جاء فيها:

- المطالبة بجعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد إلى جانب اللغة الإنجليزية، وقد طالب فضيلته المواطنين بالبدء باتخاذ ذلك شعاراً لهم **قائلاً**: «إنه ليس من المجدي مطالبة الحكومة باتخاذ مثل هذا القرار ما دام الشعب لا يكتب بهذه اللغة إلا فوق اللافتات وعناوين الرسائل، ودفاتر الحساب، وسندات الدفع والاستلام».

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣٥)، بتاريخ: ١٦/ ١٠/ ١٣٧٤هـ، موافق: ٧/ ٦/ ١٩٥٥م.

(١) ولد في منطقة بَيْحَان سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، وتخرج في رباط العلم الشهير بمدينة تريم، ثم نال الشهادة العالمية من الأزهر، أسس في عدن معهداً علمياً كبيراً، وكان خطيباً مفوهاً، وسيرته عطرة حافلة، توفي في تعز آخر عام ١٣٩١هـ (١٩٧٢م).

- وطالب فضيلته بالإصلاح في برامج التعليم شاكراً لإدارة المعارف ولرئيسها الجديد ما تقوم به من الأعمال الجليلة في خدمة التعليم، ولا سيما فيما يتعلق بتنفيذ مشروع السنوات الخمس، ولكنه طلب التوسع في دراسة اللغة العربية، وأن يكون الدين مادةً مقررةً رسمياً، وأن يدرس التلاميذ أيضاً ما لا بد منه من جغرافية بلاد العرب وتاريخ أمجادها.

وقال: إنك كثيراً ما تصادف طالباً متفوقاً يعرف الشيء الكثير عن تاريخ بريطانيا وفرنسا وجغرافية أوروبا وعشرين جمهورية في أمريكا، وهو لا يعرف شيئاً عن الجزيرة العربية وخاصة عن جنوب هذه الجزيرة، ومجريات الأحوال فيها.

- وحمل حملة شعواء على التبشير بالمسيحية في الجنوب العربي الطاهر، وإنشاء الكنائس، وأنكر على السلاطين والأمراء سكوتهم على ذلك.

- وطالب بإنشاء محاكم شرعية لغرض تخفيف ثقل المسؤولية عن القضاة المدنيين الذين لا يعرفون المسائل الشرعية، واستبشع أن يفسخَ أحد هؤلاء الحكام نكاح المرأة المسلمة من زوجها مهما يكن علمهم وخبرتهم بالشؤون الإسلامية.

- والى جانب المحاكم الشرعية هذه طالب بتكوين جماعات من ذوي الرأي والحكمة لحل المنازعات والخصومات العائلية التي لا ينبغي أن يطلع عليها حاكم ولا شاهد.

- ونوه فضيلته بوجوب زيادة أجور العمال، وتحديد ساعات العمل والعطلة الأسبوعية، والإجازة السنوية، وتقدير الكفاءة، وتقديم الكفء المستحق من أبناء البلد على غيره.

وبالجملة؛ فقد كانت هذه الكلمة الدينية هي الأولى من نوعها فيما نعلم، ولا غرو، فإن فضيلة الأستاذ البيحاني من كبار علماء الجنوب، الذين يعرفون مكامن أدواء هذه البلاد، ويستطيعون تشخيص الداء. والمرجو من سائر علماء الدين أن يحذوا حذوه في علاج مشاكل هذا الشعب، فإن ديننا دين إيجابي، دين عبادة وعمل وكفاح، لا دينٌ سلبيٌّ يتمثل في التقشف والزهد والحرمان.

هذا الجنوب أولى باهتمام مصر(*)

من ضمن الأسئلة التي قدمها مندوبنا إلى سيادة الدكتور **عبد الوهاب عزام**(١) سؤال هذا نصه: «إن أبناء الجنوب العربي يشعرون بإهمال شديد من جانب مصر، فهل نستطيع أن نفهم أسباباً معينة لذلك؟». وقد **أجاب** سيادة الدكتور على هذا السؤال بما تسمح به صفته الرسمية، ولعل بعض القراء يرى في هذه الإجابة شيئاً من الغموض، إلا أنها من ناحية أخرى تفسح مجالاً للأمل في المستقبل، سيما عندما نسمعه يقول: «وسيرى العرب قريباً ما يبدد هذه الظنون، وما يحقق لهم التعاون والقوة والسعادة».

والواقع أننا لسنا في صدد مناقشة سيادة الدكتور فيما إذا كانت مصر والبلاد العربية قد أهملت حقاً هذا الجنوب العربي حتى الآن، فلم تمد إليه يد العون الذي تقتضيه حقوق الأخوة واللغة والدم والدين وما إلى ذلك من روابط ووشائج غير مجهولة. أجل؛ إننا لسنا في صدد مناقشة هذه الحقيقة. ومن واجبنا أن نعذر سيادة الدكتور إذا ما أتت إجابته مغلفة بصيغة رسمية، فذلك ما تمليه عليه ظروفه الخاصة، ولكن لنا دالة على البلاد العربية ومصر- بصفة خاصة، وهذه الدالة قد تخولنا أن نصارحها بأن هذا الجنوب العربي قد لقي في الماضي من مصر وغيرها من البلاد العربية إهمالاً شائناً ليس له ما يبرره، بالرغم من تحمس هذا

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣٦)، بتاريخ: ٢٣/ ١٠/ ١٣٧٤هـ، موافق: ١٤/ ٦/ ١٩٥٥م.

(١) عالم وأديب مصري، ولد سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م)، وتخرج قاضيا، نال الدكتوراة من لندن في الآداب الفارسية، تولى رئاسة الجامعة العربية، وعين وزيراً مفوضاً في السعودية لعامي: ١٩٤٨م، و١٩٥٤م، وتوفي بالرياض سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٩م).

الجنوب وانفعاله بالأحداث التي تجري فيها إلى درجة لا تقل عن تحمس وانفعال أبنائها أنفسهم، مما يدل على مقدار العواطف المشتركة.

وإزاء هذا أليس من حقنا أن ننتظر منها ما ينتظر الأخ من أخيه من اهتمام ومساعدة وعون؟ أو على الأقل ما تلقاه منها البلاد القصيَّة النائية كملايا والصين والفلبين. ولسنا بهذا نحسد هذه البلدان على ما تلقاه من مساعدات لها كل الحق فيها بحكم الصلات الدينية، إلا أننا نعتقد أن صلاتنا بمصر أوثق، ولذلك فنحن لا نقل جدارة عن الصين أو الفلبين!

لقد أرسلت مصر البعوث العلمية إلى الصين وملايا، وهي تفكر الآن في تأسيس جامعة في عاصمة الفلبين، فكم يحز في نفوسنا أن نرى غيرنا يحظى بمثل هذه المساعدات القيمة، ونحن ـ الأقربين ـ محرومون حتى من جزء يسير منها. يحاول أهالي عدن منذ بضع سنوات إنشاء معهد علمي جمعوا له مبلغاً من المال، ولكنهم ما زالوا عاجزين عن إنجاز المشروع، فهل لمصر أن تحتضنه فتحل الأزمة، وتسدي يداً لا تنسى إلى هذه البلاد؟ إن هذا نوع من العون المنتظر، فهل لنا أن نترقب تلبية الرجاء؟

* * *

لا نريد لليمن هذه الأسطورة(*)

لا نعتقد أن أحداً يرتاب في صدق إخلاصنا لليمن الحبيبة ولكل وطن عربي. ولقد وقفنا من قضية اليمن في كل مناسبة الموقف الذي يمليه علينا ضمير العربي الحر الأبي الذي يرعى دائماً المصلحة العربية دونما محاباة أو تحيز، في كلتا الحالتين... عندما يشتد أو يلين، ذلك لأنا نعتقد أن المصارحة هي إحدى الوسائل أو الطرق لعلاج مشاكلنا وقضايانا العربية، جرياً على المثل السائرة: «من كتم داءه قتله»، أو المثل الآخر الذي يقول: «صديقك من صدَقك (بالتخفيف) لا من صدَّقك (بالتشديد)».

ولعل القراء ما زالوا يذكرون أننا كنا قد أشدنا ببطولة جلالة الإمام أحمد عندما تمكن من التغلب على الانقلاب الأخير. ذلك لأنا نعتقد أن هذا الانقلاب لم يكن قائماً على أساس من المصلحة العربية القومية.

من أجل هذا؛ امتدحنا موقف جلالته واعتبرناه بطولة أسطورية، غير أن «الأسطورية» إذا كانت باعثةً على الإشادة في هذا الموقف بالذات فلن تكون كذلك في كل الحالات، أو بعبارة أخرى نريد أن نقول: إننا لا نريد لليمن أن تعيش حياة أسطورية إلى الأبد. إن جمع السلطات والاختصاصات كلها بيد رجل واحد، في حكومة كبرى كاليمن، أشبه بالأسطورة! مهما كانت الكفاءات والعبقريات التي يتمتع بها صاحب هذه السلطات.

وجلالة الإمام كرجلٍ من أئمة الدين لا نشك أنه يستمد نظام حكمه من النظام

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣٧)، بتاريخ: ١٥/ ١١/ ١٣٧٤هـ، موافق: ٥/ ٧/ ١٩٥٥م.

الذي أقام البارئ عليه هذا الكون. وهو يعلم أن الله قادر أن يقول للشيء: كن فيكون. ومع ذلك فقد وزع الاختصاصات، وجعل ملائكة فوض إلى كل واحد منهم أمر ناحية من نواحي الاختصاص في هذا الكون، ذلك شأن الخالق، فهل يعقل أن يجمع مخلوق مهما بلغ شأنه لكل السلطات والاختصاصات في يده، ثم يستقر النظام وتسير الأمور في مجاريها الطبيعية؟! هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فإن الله قد اختار من ملائكته المخلصين لتوزيع الاختصاصات عليهم، وهذا سر إبعاده إبليس الرجيم. فهل لجلالة الإمام أن يأخذ بنظام الكون، ويبعد عنه أبالسة الإنس الذين ظهرت نواياهم الخبيثة لليمن الحبيبة! كان في الإمكان أن نضرب الأمثلة بالأنظمة المعمول بها في سائر الحكومات، ولكنّا أحببنا أن نخاطب الإمام بلغة الدين، لأنه من أعرف الناس بالدين.

* * *

ضعي حداً لهذه التصرفات..يا سُلطةَ الماء(*)

يبدو أن كل الاحتجاجات التي يرفعها الرأي العام ضد تصرفات سلطة الماء بشأن انقطاع الماء، لا تلقى أذناً صاغية عند المسؤولين في سلطة الماء. فخلال هذا الأسبوع، وطوال يوم السبت، ولأوقات أخرى من اليومين التاليين انقطع الماء فجأة ومن دون سابق إنذار، ولم تشأ سلطة الماء أن تتصرف مثلما تصرفت وتتصرف زميلتها إدارة الكهرباء بمنعها النور عن أحياء من المدينة، ومنحها ضياءً أكثر من المعتاد لأحياء أخرى، وإنما أقدمت سلطة الماء هذه المرة على تعميم انقطاع الماء عن جميع أحياء المدينة وحرمت منه جميع الأهالي في عدن لأكثر من ساعات طويلة.



وهذا تصرف لا يحتمل يا سلطة الماء! ولسنا بالذين نقبل الأعذار والتبريرات. وكل ما قد تقدمونه من أسباب ومسببات لما حدث يا أيها المسؤولون في سلطة الماء! لأن ما حدث لا يمكن اعتباره إلا نتيجة لإهمال أو لعدم وجود مسؤولية صحيحة ترعى واجبها، وتؤدي اختصاصاتها كاملة، وتقدر الأمانة التي تتطلبها خدمة المصلحة العامة. وإننا لنتساءل ما الذي يحدث لو انقطع الماء في بلد آخر، لمدة بضع ساعات وليس لأكثر من ساعات طويلة كما حدث عندنا؟! ما الذي يحدث لو انقطع الماء فجأة في إحدى مدن إنجلترا أو اسكوتلندا أو إيرلندا؟! ستقوم المظاهرات، وتعلن الإضرابات، وسيطالب الرأي العام ممثلاً في صحفه وهيئاته وأفراده الواعين بمحاكمة أولئك المسؤولين عن انقطاع الماء، وسيظل هذا الحادث

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٣٩)، بتاريخ: ٢٩/ ١١/ ١٣٧٤هـ، موافق: ١٩/ ٧/ ١٩٥٥م.

لأكثر من أسابيع وأشهر، حديث الناس والمجتمعات.

أما عندنا فيبدو أن هناك من يخيل إليه أننا قد جبلنا من طينة أخرى غير طينة البشر الآخرين، وإننا لهذا لا نستحق أن يوضع لنا تقدير وحساب، أو لعل المسؤولين في سلطة الماء يحسنون فينا الظن فيعتقدون أننا أكثر صبراً وأكثر مقدرةً على الاكتفاء بالنزر اليسير من الماء! لا يا سادة! غيروا نظرتكم .. وضعوا حداً لهذه التصرفات غير العابئة بمصلحة الشعب والبلاد.

* * *

عالجوا هذه الحالة(*)

المرحلة الخطيرة التي تجتازها هذه الآونة بعضُ أجزاء هذا الجنوب العربي، هذه المرحلة تستوجب من المسؤولين رعايةً وعنايةً وتبصراً وحكمة، بصورة أكثر وضوحاً، وأعظم فعاليةً وأثراً. والحالة الناشئة أخيراً في تلك الأجزاء من الجنوب، حالة التوتر والقلق، والذعر والخوف، واضطراب حبل الأمن، واختلال النظام هذه الحالة، حالة شاذة غير مرضية عند العقلاء، وهي تستدعي العلاج الذي يحسم الداء، ويزيل آثاره، لا العلاج الذي تكتنفه الآلام المريرة، وتبرز على أثره بعض الظواهر المشوهة.

إن بعض الأساليب التي اتبعت في علاج المشاكل القائمة اليوم في وضعها الفظيع المروع، والتي كانت إلى عهد قريب مشاكل بسيطة غير مستعصية الحلول. تلك الأساليب قد يكون لها سهم في تطوير هذه المشاكل واستفحالها، وبلوغها هذه الدرجة من الغليان وإذا لم يكن الأمر كذلك، فإن مما لا مراء فيه أن المصلحة العامة تقتضي أن تجدد أساليب العلاج وتنوع، وأن لا يكتفي منها بنوع واحد هو عبارة عن روتين ثابت لا يكاد يتغير.

ونحن لا ننكر حراجة موقف المسؤولين، ولا دقة الظرف الذي يمر بهم إزاء مشاكل هذه البلاد الآنفة الذكر غير أننا لا نستكثر عليهم التوصل إلى حلول مناسبة معقولة، فيها رضا وغبطة لكلا طرفي المشادة والنزاع، معقولة، وفيها إرضاء لمتطلبات الحكمة والأناة التي يجب أن تكون نصب العين في كل حين، وفي مثل هذا الظرف بالذات.

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٤٠)، بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٣٧٤هـ، موافق: ١٢/ ٧/ ١٩٥٥م.

وبعد؛ فإننا لا يمكن أن ندع المجال لليأس المرير القاتل مفتوحاً إلى نفوسنا، إزاء التغلب على هذه المشاكل التي لا نعتقد أنها من الصعوبة بحيث لا يمكن التغلب عليها بإيجاد الحلول المناسبة لها.. الحلول التي تحفظ هيبة الحكام وترضى المعقول العادل من مطالب المحكومين. أما علاج المشاكل بغير هذه الطريقة، فهو لو نجح في ظاهر الأمر وأوقف بعض الحوادث والماجريات عند حد من الحدود، إلا أن من الثابت أنه سيترك آثاراً سيئة، وذكريات قاسية، لا نريد أن يتصف بها الحكم من هذه البلاد، ولا الرجال المسؤولون عن رعايتها، علاوة على أنه من الطبيعي أن اتباع هذه الطريقة العنيفة في علاج المشاكل القائمة سوف يعطي براهينَ لا تقبل المراء على عجز وفشل الأساليب المتبعة في علاج الأحوال والمشاكل.

فعسى أن يتلمس المسؤولون حلولاً أخرى لمشاكل هذه الأجزاء من الجنوب، وعسى أن يهتدوا إلى إيجاد الحلول التي تهدئ النفوس، وتعيد إلى هذه الربوع الطمأنينة والسلام.

* * *

اليمنيون والمجلس التشريعي(*)

استقبل الكتاب والواعون من أبناء هذا الجنوب العربي، دستور المجلس التشريعي الموعود. بموجة طاغية من الشعور بخيبة أمل. وأبدى الرأي العام معارضته الشديدة لهذا الدستور ممثلاً في الاجتماع الذي عقد بدار «رابطة أبناء الجنوب» والذي أسفر عن اتخاذ قرارات تعبر أصدق تعبير عن شعور الرأي العام في هذا البلد، مما سبق أن نشرناه في العدد الفائت من هذه الصحيفة.

بيد أن ما يلفت النظر هو: أن معارضة الكتاب قد انصبت على جانب واحد من جوانب الخطر في هذا الدستور وهو قلة عدد الأعضاء المنتخبين. ونحن لا نشك في الخطر الناشئ من هذه الناحية، إلا أنا نعتقد بوجود ناحية أخرى في الدستور لا تقل أهمية إذا لم تفقها من حيث شبح الخطر الذي يلوح من جرائها، إن قريباً أو بعيداً على عروبة مجلسنا التشريعي الذي يجب أن يمثل هذه البلاد العربية التمثيل الصحيح.

ذلك لأن دستور المجلس التشريعي المنتظر ينص على أن يكون الناخبون «من الرعايا البريطانيين الذين ولدوا في المستعمرة، أو من الرعايا البريطانيين أو من رعايا الحماية البريطانية الذين سكنوا المستعمرة لمدة سنتين من ثلاث سنوات تسبق الانتخاب مباشرة». وهذا يعني بالطبع: إبعاد إخواننا اليمنيين من مجال الانتخابات. وليس بخاف على أحد أنهم هم الذين يحتفظون للعرب في هذه البلاد بنسبة الأغلبية الساحقة. فإذا ما أبعدوا عن

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٤٤)، الخميس: ٢٦/ ١٢/ ١٣٧٤هـ موافق: ١٦/ ٨/ ١٩٥٥م.

الانتخاب أصبح لزاماً أن تواجه الجاليات الأجنبية وحدها في هذا الميدان لا ندري ماذا يؤول إليه مصيرنا؟ وكيف ستكون نسبتنا إلى الجاليات الأجنبية في المستقبل إذا ما استمرت الهجرة التي تقتحم هذه البلاد من النوافذ التي لم تكن من الأبواب؟ لقد أعلنت نتيجة إحصاء سكان عدن منذ عهد قريب، ولكن هذا الإحصاء لم يوضح عدد كل جالية على حدة. مما يجعلنا لا نستطيع الجزم هنا بنسبة الجاليات الأجنبية التي سيكون لها حق الانتخاب بموجب الدستور.

غير أن شيئاً واحداً لا يمكن إنكاره هو أن هذه الجاليات تكون قوة هائلة تستطيع بها التأثير على سير الانتخاب. ولا يستبعد أن تكتسح نسبتها في المستقبل القريب أو البعيد نسبة من أعطوا حق الانتخاب من عرب هذه البلاد لا سيما مع فتح نوافذ الهجرة، وإقصاء اليمنيين.

لقد أعطيت سنغافورا قريباً حق انتخاب المجلس التشريعي، ولكن النتيجة كانت فوز الصينيين والهنود بأغلبية المقاعد، وكان أن تولى رئاسة الوزارة فيها يهودي! ونحن نخشى أن نقبل هذا العدد الضئيل من المنتخبين اليوم، ثم لا نمنح حق انتخاب المجلس التشريعي إلا وقد أصبحت هذه البلاد سنغافورة ثانية، والعاقل من اتعظ بغيره. على أننا لا ننكر أن وضع اليمنيين في هذه البلاد يفتقر إلى حل وعلاج ولنا إلى الموضوع عودة..

* * *

عتبٌ لا بد منه(*)

في رد على سؤال وجهه محرر الزميلة (البعث) إلى فضيلة الشيخ أحمد محمد نعمان الزعيم اليمني المعروف يستفسره فيه عن رأيه في قضية المحميات قال فضيلته: «لا يجوز البحث في قضية المحميات واليمن في وضعها الحاضر وإنما يجب أن تصحح الأوضاع في اليمن أولاً.. وهذا لا يمنع أن تكون أمة واحدة». هذا ما نقلته الزميلة عن الشيخ أحمد محمد نعمان، ولو أن رجلاً آخر غيره أفضى بمثل هذا الحديث لاتهمناه في وطنيته.

ولكن الشيخ أحمد محمد نعمان أجل من أن تسند إليه مثل هذه التهمة غير أن ذلك لا يحول دون أن نصارحه بخطأ هذا الرأي؛ فالجنوب العربي كله وطن واحد لا يصح أن نغمض العين أو نصرف النظر عن شكوى أي جزء من أجزائه لأن جزءاً آخر منه يشكو ويئن، وإذا ما ضربنا مثلاً بأسرة يوجد فيها مريضان أو أكثر لما صح أن يقتصر العلاج على أحدهم دون الآخرين.

الحق؛ أن مثل هذه الدعوة أنانية ننكرها وتنكرها معنا الوطنية الصحيحة على فضيلة الشيخ نعمان، وقد ذكرتنا بمواقف رجالات الهيئات اليمنية في القضايا التي عرضت في الماضي لهذا الجنوب، فقد كان موقفهم منها سلبياً مع الأسف فيما عدا قضية اليمن التي يوليها أبناء الجنوب جميعاً اهتمامهم، ويحتضنونها في كل المناسبات كما يحتضنون قضاياهم الخاصة! ولكن كيف نعتب على إخواننا هؤلاء موقفهم السلبي من قضايا الجنوب وهم

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٤٥)، الخميس: ٥/ ١/ ١٣٧٥هـ، موافق: ٢٣/ ٨/ ١٩٥٥م.

يقفون موقفهم المائع حتى في أمس القضايا بهم وبنا وبمصالحهم وبمصالحنا كقضية حق الانتخاب والترشيح للمجلس التشريعي، الذي حرموا منه ومع ذلك ظلوا ينتظرون النصرة والدفاع من غيرهم، أما هم فلم يقرروا موقفهم منه حتى اليوم إن هذا عتب لا بد منه، و«**صديقُك من صدَقَك لا من صدَّقَك**».

* * *

من أين نبدأ؟(*)

يجد القارئ في غير هذا المكان مقالاً بإمضاء «سعد الكامل» عقب به على افتتاحيتنا في العدد الماضي، ويمكن تلخيص موضوعه في نقطتين:

أولاهما يحاول فيها الكاتب انتحال المعاذير لتصريح الأستاذ أحمد محمد نعمان الذي علقنا عليه في افتتاحية العدد الماضي، والذي قال فيه: « إنه لا يجوز البحث في قضية المحميات واليمن في وضعها الحاضر.. إلخ».

وفي تبرير هذا التصريح يقول الكاتب: «لعل الزعيم أحمد محمد نعمان يرى وجوب البدء بالأهم قبل المهم، إذ إن تصحيح الأوضاع في اليمن هو في نفس الوقت تصحيح للأوضاع في المحميات باعتبارهما كلاً لا يقبل التجزئة»، وليعذرنا الكاتب إذا ما صارحناه بأن هذا التفسير أو التأويل الذي انتحله لتصريح الشيخ نعمان هو تحميل للألفاظ أكثر من معانيها، أو غير معانيها على الإطلاق.

ولو أن تصريح الأستاذ نعمان جاء بهذا المعنى لكان لنا معه مجال آخر. ولكنه يقول أنه «لا يجوز البحث في قضية المحميات واليمن في وضعها الحاضر»، وذلك يعني - ولا شك - تحريم تناول مشاكل المحميات وقضاياها على الإطلاق في الوقت الحاضر، أي أنه يريد أن لا نوجه إلى المحميات أي عناية واهتمام ما دام الوضع فاسداً في اليمن، وهذه نقطة الخلاف بيننا وبينه، وهذا هو أيضاً ما لا يرتضيه كل جنوبي حر. نحن لا ننكر أن الأوضاع في اليمن

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٤٦)، بتاريخ: ١٢/ ١/ ١٣٧٥هـ، موافق: ٣٠/ ٨/ ١٩٥٥م.

فاسدة، كما لا ننكر أن تصحيح الأوضاع في اليمن يمكن أن يـؤدي إلى تصـحيح الأوضـاع المحميات، ولكن هل يجب أن يكون موقفنا من المحميات سلبياً في خلال كفاحنا من أجـل قضية اليمن؟ كلا! كلا! بل يجب أن نوجه عنايتنا واهتمامنـا إلى أجـزاء الجنـوب كلهـا دون تفريق بين جزء وآخر. أما المثل الذي ضربه الكاتب لوجوب البدء بعـلاج رب الأسرة دون غيره من أفرادها فهو مثل لا يستقيم مع المنطق. فما دام الطبيب موجوداً وما دام في الإمكان علاج بقية أفراد الأسرة، فلما نقتصر في العلاج على رب الأسرة وحده؟!

وهناك حقيقة يجب أن لا تخفى على حضرـة الكاتـب، وهـي: أن الأقـوال والمشـاعر تفسرها الأعمال، ونحن إذا ما نظرنا إلى تصريح الشيخ أحمد محمد نعـمان عـلى ضـوء أعـمال وتصرفات المتزعمين من إخواننا اليمنيين بالنسبة إلى أجزاء الجنوب الأخـرى لـما أمكننـا أن نفهم غير المعنى الذي فهمناه من تصريح الأستاذ نعمان. إذ لم نر مـنهم لا في المـاضي البعيـد ولا القريب ما يشعرنا باهتمامهم بقضايا إخوانهم في الجنوب.

على أن الخطأ الذي يرتكبه كثير من الناس هو زعمهم أن حركة تحرير الجنوب يجـب أن تبدأ من اليمن، والواقع أن أجزاء الجنوب كلها في رتبة واحدة وحيث تتوفر الإمكانيات، فمن هناك يجب أن تبدأ الحركة، سواء كان اليمن أو حضرموت أو عدن ولماذا تنتظر حركتنا من اليمن إذا ما كانت عدن مثلاً أوفر إمكانيات وأكثر وعياً؟

وفي **النقطة الثانية** من المقال: يوافقنا الكاتب على توجيـه العتـب واللـوم إلى إخواننـا اليمنيين، وهذا يستوجب منا جزيل الشكر.

* * *

إلى أعضاء المجلس التشريعي (*)

في العدد الماضي من هذه الصحيفة نشرنا مقتطفات من المشروع بقانون انتخاب أعضاء المجلس التشريعي الذي سيعرض على دورة المجلس القادمة للمصادقة عليه، ونحب هنا قبل أن يصبح قانوناً غير قابل للمناقشة بعد المصادقة عليه، أن نبدي ملاحظاتنا على بعض النقاط التي تناولها هذا المشروع بقانون.

ومن أهمها: أنه قد اشتمل على عدة اشتراطات ضيقت من حق المواطن العربي في الانتخاب. ومن أمثلة ذلك أنه اشترط في الناخب: أن يكون مالكاً لعقار في عدن لا تقل قيمته عن ١٥٠٠ شلن، وأن يشغل منزلاً أو مكاناً تجارياً في عدن لا يقل إيجاره السنوي عن ٢٥٠ شلناً، أو أن يتلقى إيراداً شهرياً لا يقل عن ٢٠٠ شلن.

وكل من عرف المستوى الواطئ الذي يعيش فيه المواطن العربي بهذه البلاد سوف يدرك أن هذه الشروط من طبيعتها تنحية عدد كبير من المواطنين العرب من حق الانتخاب خذ مثلاً لذلك الموظفين الصغار (كالبتاولات) فإن مرتباتهم تبدأ بنحو ١٨٠ شلناً ثم ترتفع سنوياً بنسبة ٣ شلنات فلا تصل المائتين إلا بعد أمد طويل، وهذا يقتضي أن يحرم أكثرهم من حق الانتخاب، دعك من شرط ملكية الناخب العقار وسكناه في منزل لا يقل إيجاره السنوي عن ٢٥٠ شلناً، فإن توفر ذلك أصعب بكثير في طبقة الموظفين الصغار، وهم يمثلون الأكثرية من أبناء عدن، نظراً لمستواهم المعيشي الواطئ كما ذكرنا آنفاً.

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٥٠)، بتاريخ: ١٠/ ٢/ ١٣٧٥هـ، موافق: ٢٧/ ٩/ ١٩٥٥م.

وبالعكس من ذلك؛ فإن جميع أو معظم الرعايا البريطانيين من غير العرب تتوفر فيهم هذه الشروط توفراً كاملاً بالنظر إلى مستواهم المعيشي العالي. وهكذا فإن الشروط المشار إليها في حين تضيق من حق المواطنين العرب في الانتخاب فهي تفتحه على مصاريعه لغيرهم. ولذلك فإنا نرجو أن يعمل المجلس التشريعي في دورته القادمة لتعديل هذه الشروط والاستعاضة عنها بشروط أخرى تكون في صالح المواطنين العرب أبناء هذه البلاد.

بقيت مسألة أخرى، هي: شرط عدم الولاء لحكومة أجنبية وهو الشرط الذي يحرم اليمنيين من حق الانتخاب. وبهذا الصدد نحب أن نكون معقولين مع أعضاء المجلس التشريعي، فنلفت أنظارهم إلى اليمنيين الذين ولدوا بعدن، أو هاجروا إليها منذ أمد طويل، واتخذوها وطناً، لهم ومضت عليهم فيها سنوات، ومع ذلك فإن ظروفاً خاصة بهم تحول بينهم وبين طلب الجنسية العدنية، فإن هؤلاء يجب أن ينظر إليهم أعضاء المجلس نظرة فيها كثير من الإنصاف ومراعاة الظروف الاستثنائية. ونعتقد أن في الإمكان حل مشكلة هؤلاء بإضافة مادة إلى المشروع بقانون الانتخاب تعتبر العربي الذي أقام بعدن مدة محدودة واتخذها وطناً له ولم يكن يحمل جوازاً أجنبياً، تعتبر هذا العربي ـ بطريقة «أوتوماتيكية» أو تلقائية ـ مواطناً عدنياً يتمتع بحق الانتخاب والترشيح، إلا في حالة رفضه لهذه المواطنة. نتقدم بهذه الاقتراحات إلى أعضاء المجلس التشريعي وإن كنا ضعيفي الأمل في وجود من يعمل لتغليب وجهة النظر الوطنية في المجلس، ولكنا نسجلها للتاريخ!

* * *

رجل ورجال(*)

في مجلس ضمنا ببعض الأصدقاء! استطرد الحديث بالحاضرين إلى ذكر ملجأ العجزة الذي تعتزم الحكومة تشييده بـ(بستان ليك) في الشيخ عثمان.

فذكر أحد الحاضرين أن المغفور له الشيخ محمد عبد القادر المكاوي كان قد سبق أن اقترح تخصيص هذا البستان للمجذومين فبناء ملجأ العجزة فيه اليوم إنما هو تنفيذ لفكرة الشيخ المكاوي بصورة أوسع، ومن هنا استعاد الحاضرون ذكرياتهم عن الشيخ المكاوي وذهب كل واحد منهم يشير إلى ناحية من نواحي حياته. والواقع أن أدب الإسلام يفرض علينا ـ كما ورد في الحديث الشريف ـ أن لا نذكر موتانا إلا بخير، وإن كان لا يخلو رجل مهما بلغت مكانته من بعض المآخذ، إلا أنه يجب أن نوازن بين الحسنات والسيئات فمتى رجحت كفه الحسنات في رجل كان جديراً بالتقدير، والعكس بالعكس.

والشيخ **محمد عبد القادر مكاوي** اجتمعت له من الصفات الطيبة ما يفتقده كثير من متزعمي اليوم الذين يحاولون فرض أنفسهم على الناس، وهم يفتقرون إلى النزر اليسير من خلاله ومميزاته، فمهما قيل فيه من شيء فلن ينكر أحد أنه كان نزيهاً إلى حد بعيد، بحيث لم يستغل منصبه العالي ونفوذه الكبير للإثراء أو لكسب منفعة أو مصلحة خاصة لنفسه أو أقاربه وذويه، بل حتى أصدقائه.

ولقد بلغ من نزاهته أن كانت تفرض الفرض لعموم الناس فيأباها سواء لنفسه أو

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٥١)، بتاريخ: ١٧/ ٢/ ١٣٧٥هـ، موافق: ٤/ ١٠/ ١٩٥٥م.

لمن يتصل به من قريب أو بعيد لئلا يتهم في نزاهته، أضف إلى ذلك أنه لم يحاول يوماً من الأيام أن يتخذ من منصبه ونفوذه سلاحاً يهدد به الآخرين لكي يرغمهم على أمر أو ينال منهم مأرباً! فأين هذا من أولئك الذين يتخذون من مناصبهم ونفوذهم لدى الحكومات تجارةً رابحةً يجمعون بها الثروات ويشيدون القصور ويؤلبون حولهم بعض الأذناب والنفعيين الذين يلوحون لهم بالمصالح ويطمعونهم فيها؟!

والشيخ **المكاوي** قدم خدمات كبيرة إلى الحكومة استحق بها تقديرها وإكبارها، هذا ما لا شك فيه ولكنه في الوقت نفسه لم يهمل خدمة الشعب، وإذا لم يستطيع تقديم خدمته للشعب في بعض الحالات، فإنه لم يكن يعمل لإلحاق الضرر به!

ولقد حدث غير مرة أن تأزمت الأحوال بين الحكومة والشعب، فكان رحمه الله سفير السلام بينه وبينها؛ يبعث الطمأنينة، ويهدئ النفوس، ولم يؤثر عنه يوماً من الأيام أن استعدى الحكومة على فرد من أفراد الشعب بله الشعب كله! إنه كان يمثل دائماً حمامة السلام بين الحكومة والشعب، ولم يكن البترول الحارق الذي يؤجج النار، ويزيدها إشعالاً بينها وبينه! وبهذه الصفات اكتسب التقدير وأحرز الإعجاب.

* * *

الأوضاع السياسية في (سنغافورة) و(عدن)(*)

سيداتي وسادتي..

توجد وجوه شبة كثيرة بين الأوضاع السياسية في سنغافورا وملايا من ناحية، وعدن والمحميات من ناحية أخرى، ولا يقتصر هذا الشبه على الأوضاع السياسية وحدها، بل تتجاوزها إلى الحوادث والماجريات، حتى لتكاد تتشابه إلى حد بعيد.

ولما كنت قد عشت في سنغافورا وملايا زمناً ليس بالقصير، فإني كلما مر بهذه البلاد ظرف من الظروف السياسية المشابهة لما مر بتلك البلاد، كلما مر بهذه البلاد ظرف من تلك الظروف تكر بي الذاكرة كرة في السنين، فأتذكر الأحداث التي مرت بملايا وسنغافورا. وأجدني أردد المثل العربي المعروف (التاريخ يعيد نفسه)، والمثل الآخر (ما أشبه الليلة بالبارحة).

أوضاع ملايا وأوضاع المحميات:

في ملايا تسع سلطنات وإمارات، تقع تحت الحماية البريطانية، لا تختلف أوضاعها كثيراً عن أوضاع المحميات التسع في هذا الجنوب. وهناك توجد سنغافورا. ميناء الملايا العظيم، الذي يعتبر مستعمرة منفصلة عن ملايا، كما هي الحال هنا في عدن بالنسبة للمحميات، وقد ارتبطت سلطنات وإمارات ملايا عقب الحرب باتحاد فيدرالي، وذلك نفس ما عرض حديثاً على إمارات الجنوب، ثم صرف النظر عنه، والفارق الوحيد الذي

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٥٧)، بتاريخ: ٣٠/ ٣/ ١٣٧٥هـ، موافق: ١٥/ ١١/ ١٩٥٥م.

نلخصه في هذين الاتحاديين: هو أن اتحاد ملايا يضم تسع محميات، ومستعمرتين هما ملاكاً وفولوفيننغ، في حين أن مشروع الاتحاد الذي عرض على محمياتنا يقتصر عليها دون غيرها.

ما أشبه الليلة بالبارحة!

لن أطيل القول في عرض وجوه الشبه في هذا المجال فإنها أكثر من أن يستقصيها هذا الحديث ولكن حضرات المستمعين الكرام قد يجدرن بعض الطرافة والمتعة في الاستماع إلى ذكرياتي عن أول انتخابات للمجلس التشريعي بسنغافورا. وذلك بمناسبة إقبالنا بعد أيام قليلة على انتخابات المجلس التشريعي بعدن ولعل المستمعين يرددون معي ـ بعد الاستماع إلى هذه الذكريات ـ المثل الآنف الذكر: ما أشبه الليلة بالبارحة.

ملايا بعد الحرب:

كانت سنغافورا قبل اندلاع نار الحرب العالمية الثانية داخلةً ضمن ما كان يسمى بمستعمرات المضيق، مع قسميها الآخرين: ملاكا وفيننغ وكان لها مجلس تشريعي يعين أعضاؤه تعييناً كما كان يوجد إلى جانبه مجلس تنفيذي، وكلا المجلسين يقومان بتقديم المشورة للوالي العام الذي هو المندوب السامي لدى حكومات ملايا أيضاً.

وعقب انتهاء الحرب وعودة الإنجليز إلى ملايا تأسست حكومة مدنية في أول إبريل ١٩٦٤م ووجد آنذاك مجلس استشاري بُدِئ تشكيله عند ما كانت الإدارة العسكرية قائمة، فيما بين فترة نزل الإنجليز إلى ملايا بعد استسلام اليابان ويوم أول إبريل ١٩٤٦م اليوم الذي تأسست فيه الحكومة المدنية.

سنغافورا المستعمرة المنفصلة:

ومنذ أول فبراير ١٩٤٨ فصلت سنغافورا عن بقية أجزاء ملايا، وضمت سلطات ملايا ومعها فيننغ وملاكا إلى «اتحاد ملايا» وبقيت سنغافورا مستعمرة منفصلة، غير أن

الحكومة البريطانية أرادت أن تظهر رغبتها في الأخذ بيد سنغافورا إلى الحكم الذاتي، وكخطوة أولى إلى هذا الهدف: قررت إعطاءها حق انتخاب عدد من أعضاء المجلس التشريعي، وقد عقدت أولى جلسات هذا المجلس الجديد المؤلف من الأعضاء المعينين والمنتخبين يوم أول إبريل ١٩٤٨م.

وكان عدد هؤلاء الأعضاء المنتخبين ستة، كما خصصت ثلاثة مقاعد أخرى لتمثيل الهيئات التجارية الكبرى، أما الأعضاء المعينون فقد كان عددهم ١٣ عضواً. وبهذا يتضح أن جميع أعضاء هذا المجلس اثنان وعشرون عضواً.

أربع (٤) دوائر انتخابية:

وقد قسمت سنغافورا لإجراء الانتخاب إلى أربع مناطق: لكل منطقة من المنطقتين الواقعتين خارج نطاق المدينة (أو البلدية) مقعد واحد بينما لكل من منطقتي المدينة نفسها مقعدان.

هيئة رقابة خاصة:

وكانت ترأس الانتخابات هيئة رقابة خاصة، على المرشحين أن يقدموا أنفسهم إليها مع ضمان مالي مقداره ٥٠٠ دولار تفوت على صاحبها إذا لم ينل في المنطقة التي رشح نفسه لها نسبة ثمن الأصوات، وليس لهذه المنطقة علاقة بالناحية التي يقطنها المرشح. فالذي يسكن في منطقة يمكنه ترشيح نفسه لمنطقة أخرى غيرها، والذين كان لهم حق الانتخاب هم رعايا الحكومة.

* * *

الأرقام تتكلم[*]!

في التقرير الرسمي لإحصاء السكان في عدن لسنة (١٩٥٥م)، حقائق يجب أن نمر بها دون تعليق.

وأولى هذه الحقائق: أن العدنية من العرب يبلغ عددهم (٩١٠ و ٣٦) من مجموع (٤٤١ و١٣٨) ـ أي نسبة (٢٧ ٪) في المائة ـ وأن اليمنيين من أبناء المحميات يبلغ عددهم (٩٦٩ و ٦٦) ـ أي بنسبة (٤٤٪) في المائة ويبلغ عدد الأجانب (٣٥١ و٣٤) ـ أي نسبة (٨، ٢٤) في المائة، ويلاحظ هنا أن الأجانب لا يقلون عن عدد العدنيين العرب إلا حوالي ألفي نسمة. ومعنى هذا: أن على دعاة الانفصالية الانتهازيين أن يفركوا عيونهم جيداً أمام هذه الحقيقة، ليدركوا أنّ المحاولةَ التي يقيمون من أجلِ حرمان أبناءِ المحميات واليمن من مزاولة حقوقهم الطبيعيةً في هذه البقعة من أرض الجنوب العربي تعني تمكين الأقليات غير العربية من منافسة العدنيين العرب، وتحمل في طياتها خطراً على عروبة البلاد، وهي القضية التي يجب أن نوليها جل اهتمامنا في الوقت الحاضر.

والحقيقة الثانية: أن الزيادة الكبيرة التي سجلها إحصاء (٥٥) على إحصاء (٤٦)، وهي زيادة بنسبة (٧٢) في المائة، ترجع بصورة رئيسية من تدفق سيل الهجرة في السنوات الأخيرة. ولا شك أن هذا السيل ينبع بصورة رئيسية من الهند. وهذا يعني أن على الحكومة

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٦٤)، تاريخ: ٢٠/ ٥/ ١٣٧٥هـ، موافق: ٣/ ١/ ١٩٥٦م.

أن تتخذ الخطوات الإيجابية من مواقف الهجرة حرصاً على مستقبل عروبة البلاد، وأن على الهيئات الوطنية أن تتخذ الخطوات الإيجابية بدورها لحمل راية هذا المطلب الشعبي والعمل من أجل تنفيذه.

* * *

هل يقتنع المسؤولون؟(*)

إننا إذ نشكر العضوين المحترمين اللذين أثارا موضوع اللغة العربية في المجلس التشريعي، فإننا نشكرهما لأنهما عبرا عن مطلب جماعي للشعب طالما ردده في كل مناسبة سنحت له. ونحن عندما نؤيد هذا المطلب الشعبي بكل قوانا نستند في ذلك إلى عروبة هذه البلاد القائمة على وحدة اللغة والمشاعر والتاريخ، فمهما كانت الظروف ومهما كانت نسبة السكان، فإن حقيقة واحدة ستظل خالدة هي أن هذه البلاد عربية وستبقى عربية إلى الأبد!

على أن هذا لا يمنعنا من أن نجازي سعادة السكرتير العام على الأساس الذي استند إليه في رده على السؤال الخاص بطلب العربية لغة رسمية إلى جانب الإنجليزية. فقد ذكر سعادته: أن شبه قراء العربية هي ٣٣ ٪ وهو لذلك لا يرى داعياً لترسيمها، فالواقع أن هذه الحقيقة.. حقيقة الاعتماد على النسبة هي في صالح مطلبنا الشعبي أكثر مما هي ضده! إذ أننا لو سألنا عن نسبة القراء بالإنجليزية فماذا ننتظر أن يكون الجواب؟ لاشك أن الجواب سيكون: أنهم أقل من ١٠ ٪، إذن فالمطالبة باعتبار العربية لغة رسمية ثانية فقط.. فيها كثير من التسامح لأن النسبة التي استند إليها سعادة السكرتير العام تقتضي- أن تكون الأولى لا الثانية، ومع ذلك فقد رضينا على أن نكون متسامحين.

ثم إن هناك **سؤالاً آخر** هو: كم هي نسبة الذين يفهمون العربية بمجرد السماع من غير القراء؟ وكم هي نسبة الذين يفهمون الإنجليزية من هؤلاء؟ **والرد** على هذا السؤال هو أيضاً في صالح ترسيم اللغة العربية فهل يقتنع المسؤولون بهذه الحقائق؟ ما زلنا نرجو ونأمل..

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٦٨)، السنة الثانية، الخميس: ١٨/ ٦/ ١٣٧٥هـ، موافق: ٣١/ ١/ ١٩٥٦م.

نفذوا هذه الضريبة(*)

قررت البلدية فرض رسومِها على الباعةِ المتجوّلين، ودعمت قرارها ذلك بالتنفيذ، كما تقرر أن تزيد في عوائد البيوت، ونفذت ما قررته بعد هذا بروح التصميم والحماس، عندما تقرر كل ذلك لم يجد الناس شيئا يقولونه، ما دام الهدف هو صالح البلاد. لكن الناس لاحظوا: أن هناك ضريبة تقررت، وتقررت منذ زمن قصير، منذ أكثر من عام، وانتظر الناس أن تشفع بالتنفيذ، وبنفس روح التصميم والحماس، غير أنهم فوجئوا - مع الأسف - أن الأمر كان على العكس بالنسبة إلى هذه الضريبة التي سيبلغ دخلها الشهري ما لا يقل عن ١٠ إلى خمسة من الجنيهات، وهو رقم لا يستهان به، والبلاد في أمس الحاجة إلى ما هو أقل منه.

هذه الضريبة: هي **ضريبة الملاهي** التي يربح أصحابها من ورائها الأرباح الطائلة، لا ينكر أحد وفرتها والتي تؤخذ من مالية هذا البلد الفقير، الذي يُطرد أبناؤه من المدارس، وتوصد في وجهه أبواب الاستزادة من العلم، بلاد كهذه لسنا أشد احتياجاً إلى الكماليات بمقدار ما يلزم الناس احتياجاً إلى الضروريات التي تلزمنا لزوم الماء للعطشان.

إن عدم التفكير في الاستفادة من هذه الملاهي لسد حاجتنا إلى الثقافة وإلى دور العلم، إن ذلك معناه أننا لا في هذه الناحية الخطيرة، التي لا يتوقف أمر مستقبلنا من العوامل، كما يتوقف على رعايتها والعناية بالحفلات التي يحييها حالياً الأستاذ فريد الأطرش

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٧٠)، الخميس: ٣/ ٧/ ١٣٧٥هـ ١٤/ ٢/ ١٩٥٦م.

في عدن والتي أفرغت من جيوب هذا الشعب مبالغ جسيمة. كان من الممكن أن تستفيد منها البلدية لمصلحة الشعب، لو أنها قد اهتمت بجعل ضريبة الملاهي سارية المفعول من حين قررتها، وكان مفروضاً أن تتحقق الإفادة منها لو أنها تقام في بلد آخر.

ضريبة الملاهي ضريبة مشروعة، معروف في كل البلدان، قد تقررت منذ عام ٥٥م، ولكن مفعولها لم يسر إلى الآن، ولسنا نعلم لماذا تبقى حبراً على ورق! ومهما يكن من عذر فإننا لا نملك سوى مطالبة المسؤولين في البلدية، بتنفيذها بكل حماس وإخلاص، خدمة لهذا الشعب وهذه البلاد.

* * *

نفذوا القوانين أو لا تسُنُّوها(*)!

ما قيمة القوانين التي تسن ولا تنفذ؟ وما جدوى أن يرهق رجال التشريع أنفسهم، ويضنوا أفكارهم وعقولهم، في إحاطة المجتمع بسياج سميك، من التشريعات الواقية؟ ما جدوى كل ذلك إذا كان كل ذلك أو بعضه على الأقل سيبقى معطلاً دون تنفيذ، وحبراً على ورق؟! أليس خيراً من ذلك أن يُعفى المشرعون من تعب البحث والتفكير ووجع الدماغ، ويخلدوا إلى الراحة والإجمام؟!

إن الغرض من سن القوانين غرض معروف، لا يكاد يختلف اثنان فيه، ومتى ضاع ذلك الغرض، فإن إيجاد القوانين أو بعضها على الأقل، قد يصبح هو في حد ذاته مشكلة من أوسع المشاكل، وأشدها خطورة، من حيث أنه لم يوضع إلا لعلاج المشاكل، والهيمنة على المجتمع عن طريق إسعاده، وحماية مصالحه.

لقد كان في مصر دستور مكتوب، سنته حكومات عهد فاروق، ولكنه كان دستوراً شكليا، وكان معطلاً لا ينفذ، إلا حيث تقضى أمزجة (دلاديل) الطغيان، فهل كان ذلك سوى رجعية بليدة صماء؟! أو هل كان سوى مثار للشكوى والأنين!

وفي بريطانيا يوجد دستور غير مسجل؛ ولكنه ـ حيث الشعب كله دستوري بطبيعته ـ مسجل على صفحات النفوس، ويكون جزءاً لا يتجزأ من حياة الشعب البريطاني وكيانه، ولهذا فإن الأساس الذي يلحظه كل فرد، نحو هذا الدستور غير المكتوب هو أن ينفذ تنفيذاً

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد ٧١، ١٩/ ٧/ ١٣٧٥هـ، ٢١/ ٢/ ١٩٥٦م.

دقيقاً لا هوادة فيه.

وهنا في عدن؛ توجد لدينا قوانين مسنونة، ولكن بعضها يوضع أحياناً في الأضابير والرفوف، نذكر منها على سبيل المثال: (قانون الهجرة)، وهو على جانب عظيم من الخطورة، بالنسبة لحياة شعب هذه البلاد، ولكننا ـ مع الأسف ـ لا نراه يطبق بدقة كما يراد منه، والدليل على ذلك: هو أن موجة هجرة الهنود، وأخيرا هجرة الإيطاليين، الذين يدخلون البلاد، في الغالب كفنيين مستوردين، من قبل الشركات، وبعض رجال الأعمال فإذا قضوا فترة من الوقت خرجوا إلى دنيا الأعمال، يزاحمون أبناء هذه البلاد، مزاحمة خطيرة، بدأت الشكوى ترتفع من جرائها، وبدأ الضرر يتطاير هنا وهناك لاحقاً ببعض أصحاب المهن من الوطنيين.

إننا لا نجد مطعناً في شكوى هؤلاء الوطنيين، ونحن معهم حين يطالبون بتنفيذ القوانين الواقية، إذ هم أولى بالعيش في بلادهم من الأجنبي المستورد. فنفذوا هذه القوانين ـ أيها المسؤولون ـ حمايةً للأفراد.. أولا تسنّوها.

* * *

من أجل الاستقلال التام(*)

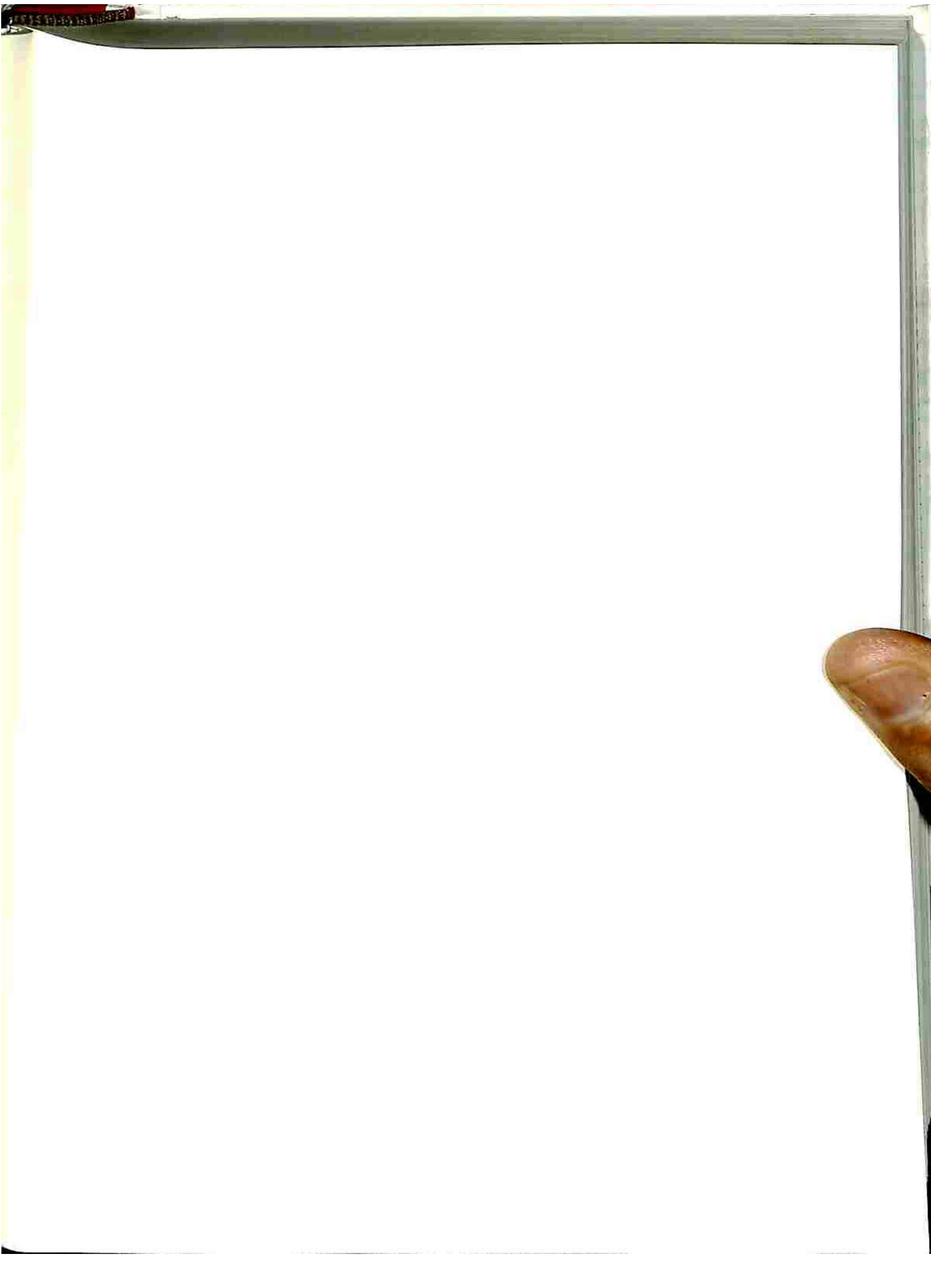
أذيع في هذا الأسبوع أن السر (وليم لوس) سيخلف (حاكم عدن العام) في منصبه، وقد كان السِّر (وليم لوس) يشغل منصب مستشار الحاكم العام للسودان في الشؤون الدستورية والخارجية، في الفترة الواقعة بين عامي (١٩٥٣ و ١٩٥٥م).

وفي السودان: كانت الفترة بين عامي (٥٣ و ٥٥) مرحلة ازدهار النضال الشعبي من أجل الاستقلال التام، وكان السير (وليم لوس) شاهد عيان لهذه المرحلة التي ناضل فيها شعب من أجل حريته، وظفر بثمرة نضاله، ظفر بالاستقلال التام.

وفي عدن: بدأت حركتنا الوطنية تزدهر، متبلورة في هذا التيار الشعبي الكاسح الهادف إلى الاستقلال التام! وليس ببعيد أن يكون السير (وليم لوس) أثناء وجوده في (عدن) شاهد عيان لحصول الشعب العربي في (عدن) على حقه في الاستقلال التام!

* * *

(*) «صحيفة الجنوب العربي»، العدد (٨٦)، الخميس ٤/ ١١/ ١٣٧٥هـ، موافق: ١٢/ ٦/ ١٩٥٦م.



خاتمة الكتاب

وبهذا أكون قد أتيت على عرض ما لدي من أخبار ونصوص تخص حياة الأستاذ المرحوم أحمد بن عمر بافقيه، أرجو أن يكون القارئ الكريم قد وجد فيها بغيته، بعد أن تنزه في رياضها، وجال في ذكرياتها، وأضع القلم راجياً من الله أن يعينني على تقديم شخصية أخرى من الأعلام الذين لم ينالوا حظهم من التعريف مع جليل ما قدّموا لأمتهم، على نهج هذا الكتاب الذي تتبعت فيه حياة الأستاذ بافقيه، وحاولت الإحاطة بها من جُلّ جوانبها ما وسعني ذلك،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

جدّة

في ١٠/ ٤/ ١٤٢٨ هجرية

* * *



قائمة بأهم المصادر والمراجع

١- إتمام الأعلام، نزار أباظة، ومحمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٢- إدام القوت (معجم بلدان حضرموت)، عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف (ت ١٣٥٧هـ)، تحقيق محمد أبوبكر باذيب ومحمد الخطيب، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣- الإسلام دين هداية، محمد نمر الخطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

٤- الإسلام في أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه، الدكتور رؤوف شلبي، مطبعة السعادة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.

٥- الإسناد من الدين، عبدالفتاح أبوغدة (ت ١٤١٧هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٦- الأعلام، خير الدين الزركلي (ت ١٣٦٩هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م.

٧- ١٠٠٠ ساعة حرب، السفير عبدالولي الشميري، الطبعة الثالثة، ١٤١٥- ١٩٩٥م.

٨- اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي (أسرار وحقائق تنشر لأول مرة)، محمد حسن عوبلي، منشورات العصر الحديث، بيروت، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٩- أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية، أحمد السقاف، بدون معلومات للنشر، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٢م.

١٠- إندونيسيا المعاصرة، محمود الشرقاوي، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، دون تاريخ.

١١- أوليات يمانية في الأدب والتاريخ، عبدالله محمد الحبشي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٢- بعثة زراعية إلى جاوة وسنغافورة وسيلان، إبراهيم عثمان، القاهرة، (مصورة).

١٣- تاج الأعراس على مناقب الحبيب صالح بن عبدالله العطاس، علي بن حسين العطاس (ت ١٣٩٦هـ)، مطبعة منارا قدس، جاكرتا.

١٤- تاريخ الشعراء الحضرميين، عبدالله محمد حامد السقاف، نشرة محمد سعيد كمال، الطائف، (مصور عن الطبعة المصرية الأولى).

١٥- تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى (مصورة)، ٢٠٠٠م.

١٦- التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، شاكر مصطفى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

١٧- الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، خالد بن إبراهيم بن عبدالله الدبيان، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٨- الجنوب العربي في هيئة الأمم المتحدة، رابطة أبناء الجنوب، بدون معلومات.

١٩- الجنوب العربي قديماً وحديثاً، صلاح البكري، دار العلم للطباعة والنشر، جدة.

٢٠- حركة القوميين العرب ودورها في التطورات السياسية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٦م، د. سعد مهدي شلاش، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٢١- حضرموت عبر أربعة عشر قرناً، سقاف علي الكاف، مكتبة أسامة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٢- حضرموت والاستعمار البريطاني ١٩٣٧-١٩٦٧م، أحمد عبيد بن دغر، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٢٣- ديوان «نسمات الربيع»، ضمن الأعمال الشعرية الكاملة، صالح بن علي الحامد، مصور عن الطبعة المصرية الأولى، ١٣٥٥هـ - (١٩٣٦م، منشورات مكتبة تريم الحديثة، ١٤٢٣هـ.

٢٤- السياسة البريطانية في مستعمرة عدن ومحمياتها ١٩٣٧-١٩٤٥م، شفيقة عبدالله العراسي، إصدارات جامعة عدن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٢٥- الشامل في تاريخ حضرموت، علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ)، مطبعة أحمد برس، سنغافورا، ١٣٥٩هـ.

٢٦- شجرة أنساب السادة آل بافقيه، (مخطوط).

٢٧- شهداء القصر، قصة أول انتفاضة شعبية ضد الحكم الإنجلو – سلاطيني، أحمد عوض باوزير، صدر عن دار الهمداني، المكلا، بدون معلومات، وتاريخ انتهاء التأليف: ٢٥ سبتمبر ١٩٧٧م بالمكلا.

٢٨- الشيخ عبد العزيز الرشيد (سيرة حياته)، يعقوب يوسف الحجي، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ١٩٩٣م.

٢٩- الصحافة اليمنية في المناطق الجنوبية ١٩٤٠-١٩٦٧م، د. محمد عبدالجبار سلام ود. محمد سعيد مقبل محمد، مركز عبادي للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

٣٠- الصحافة في عدن عشية إعلان الجمهورية في صنعاء يوليو- سبتمبر ١٩٦٢م، سيف علي مقبل، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٣١- صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصرة، محمد أسد شهاب، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.

٣٢- صلة الأخيار بالرجال الأئمة الكبار، عمر بن أحمد بافقيه (ت ١٣٥٥هـ)، مطبعة كرجاي، سنقافورا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٣- العالم الإسلامي، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٣٤- عدن من الريادة الزمنية إلى الريادة الإبداعية»، أحمد علي الهمداني، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٣٥- عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، محمد بن أبي بكر الشلي (ت ١٠٩٣هـ)، مكتبة تريم الحديثة، مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٦- علاقة سلطنة لحج ببريطانيا ١٣٣٧-١٣٧٨ = ١٩١٨-١٩٥٩م، د. دلال بنت مخلد الحربي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٧- الفرائد الجوهرية في جمع تراجم رجال الشجرة العلوية، عمر بن علوي الكاف (ت ١٤١٢هـ)، مخطوط.

٣٨- فيض الملك المتعالي في أخبار القرن الحادي عشر والتالي، عبدالستار الدهلوي، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف.

٣٩- **لوامع النور**، أبوبكر بن علي المشهور، دار المهاجر، اليمن، دون تاريخ.

٤٠- **المحاسن المجتمعة في مآثر الإخوة الأربعة**، محمد أبوبكر باذيب، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٤١- **محمد علي الجفري مسيرة شعب وزعيم**، عبدالرحمن علي الجفري، د.ن.

٤٢- **المختصر من نشر النور والزهر**، تأليف أحمد أبوالخير مرداد (ت ١٣٤١هـ)، اختصار: محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٤٣- **مذكراتي ومختاراتي**، محسن بن علوي السقاف، جمع ابنه طبيب العيون الدكتور علي محسن السقاف، توزيع دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٤٤- **المشرع الروي في تراجم السادة بني علوي**، محمد بن أبي بكر الشلي، دون تاريخ.

٤٥- **معجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٤٦- **المعجم اللطيف لأسباب الألقاب والكنى في النسب الشريف**، محمد بن أحمد الشاطري (ت ١٤٢٢هت)، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٤٧- **مكاتبات عبدالله بن حسين بن طاهر**، (مخطوط).

٤٨- **من تاريخ الحركة الوطنية اليمنية (منتصف الخمسينيات من القرن العشرين – ١٩٦٧م)**، د. سيف علي مقبل، مركز عبادي للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٤٩- **منحة الإله في الاتصال ببعض أولياه**، سالم بن حفيظ (ت ١٣٧٨هـ)، تحقيق: محمد أبوبكر باذيب، المقاصد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٥٠- **موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا**، الدكتور أحمد الموصللي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٥١- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٥٢- **الموسوعة اليمنية**، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

٥٣- **نظرات في قضية الجنوب**، رابطة الجنوب العربي، مصر، ١٩٦٣م.

٥٤- **وثائق الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت ١٩٠٠-١٩٦٣هـ** المنعقدة في كلية التربية بالمكلا في ٢٥-٢٦ فبراير ١٩٨٩م، جامعة عدن، دون تاريخ.

٥٥- **الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً**، خالد بن محمد القاسمي، منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (١٥)، الكويت، ١٤٠٥هـ.

٥٦- **اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة**، علي الصراف، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ـ قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

* * *



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقاريظ الكتاب	٧ - ٥٦
التقريظ الأول: بقلم فخامة السلطان علي عبد الكريم العبدلي	٧
التقريظ الثاني: بقلم الأستاذ المؤرخ السيد جعفر بن محمد السقاف	١٢
التقريظ الثالث: بقلم سعادة الدكتور محمد علي البار	٢٠
التقريظ الرابع: بقلم السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد	٣٤
التقريظ الخامس: بقلم سعادة الدكتور عمر عبد الله بامحسون	٤٢
كلمة: بقلم الدكتور (طبيب) حامد بن حسين بافقيه	٤٧
كلمة: بقلم الأستاذ زيد نجل السيد أحمد بافقيه	٤٩
كلمة: بقلم الأستاذ عمر نجل السيد أحمد بافقيه	٥٥
تمهيد	٥٧ - ٦٧
قصة معرفة المؤلف بالسيد بافقيه	٥٧
عاشق الهجرة	٥٩
مع التربوي الكبير السيد محسن باروم	٦٢
رحلتي مع هذا الكتاب	٦٤
الواجب الكبير	٦٤
القسم الأول: حياة السيد أحمد عمر بافقيه	٦٩ - ٣٥٩
الفصل الأول: أعلام أسرته وسيرة نشأته	٧١
١) أسرة صاحب الترجمة	٧٣

الموضوع	الصفحة

آل بافقيه ٧٣
عم الفقيه ٧٤
هجرة آل بافقيه إلى وادي دوعن ٧٥
ذكر بقية أجداد المترجم (عمود نسبه) ٧٥
السيد أحمد (المثنى) بن أحمد بافقيه (الجد الأدنى لصاحب الترجمة).. ٧٧
عمته: الشريفة فاطمة بنت أحمد المثنى بافقيه ٨١
والده: السيد عمر بن أحمد بن أحمد بافقيه ٨٢
٢) مولد صاحب الترجمة ونشأته ٨٧
شيوخ الإجازة ٩٠
٣) السفر إلى حضرموت لطلب العلم ٩٥
إلى دوعن؛ بلدة (القرَين) ٩٥
إلى (تريم) ٩٦
لقاؤه بالعلامة محمد بن عقيل ابن يحيى في المكلا ١٠٠

الفصل الثاني: عشرون عاماً .. في جزر جنوب شرق آسيا (أرخبيل الملايو) ١٠٣-٢٤١

١) من حضرموت إلى سيلان ١٠٥
في جزيرة سيلان ١٠٥
الهروب من سيلان ١٠٦
٢) في سنغافورا ١٠٨
العمل لدى السادة آل الكاف ١٠٩
٣) القفز إلى عالم الصحافة ١١٠
طلائع الكتابة الصحفية ١١٠
بافقيه مراسلاً لصحيفة البلاغ المصرية ١١٧
بافقيه مديراً لتحرير صحيفة «العرب» ١١٩

الموضوع	الصفحة
إصدار صحيفة «العرب»	١٢٠
افتتاحية العدد الأول	١٢١
بافقيه يصاب بكسر في يده	١٢٤
اضطراب في سير المجلة	١٢٥
إعادة نظر	١٢٦
الإعلان عن احتجاب «العرب» و أصداؤه	١٢٧
«العرب» في سنتها الثانية	١٣١
الأستاذ لقمان يهنئ «العرب» بدخولها سنتها الثانية	١٣٢
بافقيه صاحب امتياز «العرب»؛ ١٩٣٣م	١٣٤
موقف السيد عمر بافقيه من عمل ابنه في الصحافة	١٣٨
٤) الأستاذ بافقيه وعضوية النادي الأدبي بسنغافورا	١٤٠
من فعاليات جلسات النادي العمومية	١٤١
بافقيه في حفل تكريم الشيخ عفيفي	١٤٢
بافقيه يستقبل البعثة الزراعية المصرية؛ ١٩٣٣م	١٤٣
٥) صحيفة «العرب» والدور الريادي الذي اضطلعت به طوال فترة صدورها	١٤٥
(١) ملامح تأثير صحيفة «العرب» في المهجر الملايوي	١٤٥
السيد أبوبكر بن يحيى يشيد بـ«العرب»	١٤٥
باشراحيل يعرب عن فرحه بظهور «العرب»	١٤٦
احتفاء صحف الملايو بالعرب	١٤٧
قصيدة في تحية «العرب» وصاحبها	١٤٨
(٢) مدى تأثير صحيفة «العرب» في الوطن العربي	١٥٠
رسالة باكثير إلى بافقيه	١٥٢
تفاعل بافقيه مع مشاعر باكثير ولقمان	١٥٤

الموضوع	الصفحة

إحصاء للمشاركات الأدبية للأستاذ لقمان في صحيفة «العرب» ١٥٧
الصديق العزيز السيد جعفر البار ١٦٠
الأستاذ بافقيه يحلل أوضاع الحضارمة في المهجر ١٦٢
وينتهي دور مجلة «العرب» ١٦٨
٦) بافقيه وصحيفة «السلام» ١٧٠
تقديم العدد الأول بقلم الزعيم السيد إبراهيم السقاف ١٧٠
مسيرة «السلام» ١٧٣
٧) معاناة بافقيه أثناء الحرب العالمية الثانية ١٧٤
الانتقال إلى جُوهور ١٧٤
اندلاع الحرب ثم الاحتلال الياباني ١٧٥
العودة إلى سنغافورا؛ والملاحقة اليابانية ١٧٦
الفرار إلى فلمبان ١٧٧
السيد أبو بكر بن حفيظ العلوي ١٧٨
افتتاح مدرسة الثقافة العربية ١٧٩
الأديب الشاعر .. بائع السجائر! ١٨٠
الأستاذ محمد سعيد القاروتي، وقصيدته العصماء ١٨١
٨) ذكريات الأستاذ بافقيه في المعتقل الياباني: ١٨٥
الحلقة الأولى ١٨٥
الحلقة الثانية ١٨٨
الحلقة الثالثة (الصديقان اللذان أثرا على حياتي) ١٩١
الحلقة الرابعة ١٩٥
الحلقة الخامسة ١٩٧
الحلقة السادسة ٢٠٠
٩) السنوات الأخيرة في جزر جنوب شرق آسيا (الشرق الأقصى) ٢٠٣

الموضوع	الصفحة
عقب انتهاء الحرب	٢٠٣
المدرسة العربية بالصولو	٢٠٤
منظر مرعب!	٢٠٥
المدرسة العربية في الصولو، ومنهجها الدراسي	٢٠٥
متابعته لأحداث الأراضي المقدسة في فلسطين، رجب ١٣٦٥هـ	٢٠٦
تأبين السيد العيدروس؛ شعبان ١٣٦٥هـ	٢٠٧
السيد أحمد بن عبد الله السقاف	٢١٠
مهندس الساعات	٢١٠
الموت شوقاً على متن باخرة	٢١١
بافقيه في إذاعة جاكرتا	٢١٢
وتنتهي «السلام»	٢١٧
مع السيد علوي بن محمد الحداد، (بُوقُور)	٢١٧
١٠) قراءة سريعة لتاريخ عرب حضرموت السياسي في جنوب شرق آسيا	٢١٨
قضية المولدين العرب	٢١٨
مخاوف هولندا من عرب حضرموت	٢١٩
حركة الجامعة الإسلامية وتأثيرها في الأوساط العربية بإندونيسيا	٢٢١
بعد الحرب العالمية الأولى	٢٢٢
سياسة سنوك، بين النجاح والفشل	٢٢٣
رابطة عرب إندونيسيا؛ ١٩٢٩م	٢٢٤
اتحاد عرب إندونيسيا أو (حركة مواليد العرب)؛ ١٩٣٤م	٢٢٥
كيف دعم العرب حركة الاستقلال	٢٢٦
استغلال هولندا لبعض أبناء العرب	٢٢٦
مشاركة أبناء العرب في استقلال إندونيسيا	٢٢٧
الشيوعيون يصلون إلى السلطة؛ يوليو ١٩٤٧م	٢٢٨

الموضوع	الصفحة

بافقيه والحملة الطائشة ؛ مايو ١٩٤٧م ٢٢٩

الثورة الشيوعية عام ١٩٤٨م ٢٣٥

١١) الوداع الأخير لسنغافورا ٢٣٨

صحيفة «السلام» من جديد ٢٣٨

الفصل الثالث: العودة إلى الوطن وقضية الجنوب العربي ٢٤٣-٣٥٧

١) الأستاذ بافقيه في المكلا ٢٤٥

الحركات الإصلاحية في حضرموت ٢٤٦

الحزب الوطني في المكلا؛ ١٩٤٧م ٢٤٨

حزب الرابطة الحضرمية ٢٤٨

بافقيه مراسلاً لصحيفة النهضة ٢٤٩

رسالة حضرموت ٢٥٠

عندما يستثار بافقيه؛ نوفمبر ١٩٥٠م ٢٥٠

حادثة القصر؛ ربيع الأول ١٣٧٠هـ ٢٥٥

اعتقال بافقيه عقب حادثة القصر ٢٥٥

الإفراج عن بافقيه من معتقله ٢٥٧

تداعيات الاعتقال ٢٥٧

بافقيه يبرر موقف السلطان صالح ٢٥٨

بافقيه يغادر إلى عدن ٢٦٠

أصداء مغادرته المكلا ٢٦٠

٢) الأستاذ أحمد عمر بافقيه في عدن ٢٦٣

صحيفة النهضة ترحّب بقدومه ٢٦٣

تعريف بصحيفة النهضة ٢٦٥

الموضوع	الصفحة
الاستقالة من النهضة	٢٦٦
لماذا استقال بافقيه؟	٢٦٨
علاقة الإخوة (باذيب) بالأستاذ بافقيه	٢٦٨
بافقيه في بلاط الإمام أحمد حميد الدين	٢٧٠
٣) بافقيه ورابطة أبناء الجنوب العربي	٢٧٢
الوضع العام في الوطن العربي	٢٧٢
الأوضاع الداخلية في عدن (الجنوب العربي)	٢٧٣
المخاض الفكري والسياسي في عدن	٢٧٤
بروز فكرة توحيد الجنوب	٢٧٥
الأوضاع المحلية في عدن التي مهدت لظهور الرابطة	٢٧٦
الجمعية العدنية	٢٧٦
الجمعية الإسلامية	٢٧٧
ظهور رابطة أبناء الجنوب في عدن	٢٨٠
مراحل تأسيس (الرابطة) وأبرز أعضائها	٢٨١
أصداء تأسيس الرابطة	٢٨٢
الأساليب الإعلامية للرابطة	٢٨٣
أهم عوامل نجاحها في المرحلة الأولى (١٩٥١-١٩٥٦م)	٢٨٣
(الرابطة) وقضية اتحاد الجنوب، المرحلة الثانية (١٩٥٦م)	٢٨٥
الجبهة الوطنية المتحدة؛ ١٩٥٥م	٢٨٧
الحركة النقابية العمالية في عدن؛ ١٩٥٦م	٢٨٨
تطورات جديدة	٢٨٩
دحض مزاعم وافتراءات	٢٩٠
المناضل ابن عجرومة يحكي عن تاريخ نضال العوالق	٢٩٢
تطور وضع مؤتمر النقابات	٢٩٥

الموضوع	الصفحة
حزب (الرابطة) في نظر أديب يمني ـ كويتي؛ ١٩٥٥م	٢٩٦
٤) «صحيفة الجنوب العربي»	٢٩٩
دورها في خضم الأحداث السياسية	٣٠٠
ترحيب القراء بهذه الصحيفة	٣٠٤
همة قعساء، وظروف عصيبة	٣٠٥
الصدام المسلح بين بريطانيا والرابطة	٣٠٨
من اجتماعيات عدن؛ قصيدة للمحضار	٣٠٨
نفي شيخان الحبشي	٣١٠
إشاعة نفي بافقيه	٣١٢
نفي الجفري من الجنوب؛ يوليو ١٩٥٦م	٣١٣
عودة الجفري إلى لحج، وتطور الأحداث	٣١٤
محاولة اعتقال الجفري؛ الاحتكاك الثاني	٣١٤
السلطان العبدلي في لندن، وسحب الاعتراف	٣١٥
بافقيه وقحطان يغادران إلى اليمن؛ أبريل ١٩٥٨م	٣١٦
في بلاط ملك اليمن	٣١٧
رسالة لم تصل	٣١٧
تصفية مقر (الرابطة) ومتعلقاتها بعدن	٣١٨
٥) بافقيه في أرض الكنانة	٣١٩
المقر الجديد في القاهرة؛ ١٩٥٩م	٣١٩
حكومة عدن تطلب من الرابطيين العودة	٣٢٠
إذاعة صوت الجنوب	٣٢١
(الرابطة) في هيئة الأمم المتحدة ١٩٥٩م	٣٢١
قحطان والقوميون العرب	٣٢٢

الموضوع	الصفحة
بادرة أمل، ١٩٦١م	٣٢٣
في اجتماع مجلس جامعة الدول العربية؛ أبريل ١٩٦٢م	٣٢٣
مذكرة (الرابطة) إلى لجنة تصفية الاستعمار مارس ١٩٦٢م	٣٢٤
نشرة (الرابطة)	٣٢٥
(الرابطة) أمام لجنة تصفية الاستعمار؛ ١٩٦٣م	٣٢٧
القرار الأخير للجنة تصفية الاستعمار	٣٢٩
وضع (الرابطة) بعد عام ١٩٦٣م	٣٢٩
تغير الأوضاع في مصر؛ ١٩٦٦م	٣٢٩
بريطانيا تعدل موقفها تجاه الرابطة	٣٣٠
عودة سريعة إلى عدن؛ يوليو ١٩٦٦م	٣٣٠
أنشطة الأستاذ بافقيه في مصر	٣٣٢
صحيفة النضال	٣٣٢
فلسفة الصحافة عند الأستاذ بافقيه	٣٣٤
٦) المحطة الأخيرة للأستاذ بافقيه (مدينة جدة)	٣٣٥
مؤتمر المنظمات الإسلامية، مكة ١٩٧٤م	٣٣٦
اهتمام رابطة العالم الإسلامي بشأن الجنوب	٣٣٧
بافقيه يؤبن رفيق دربه السيد محمد علي الجفري؛ جدة ١٩٨٠م	٣٣٩
ندوة الأربعاء بجدة	٣٤٢
استقباله الباحثين في منزله بجدة	٣٤٤
الأستاذ بافقيه رئيساً للرابطة	٣٤٥
أسرة الأستاذ بافقيه وأبناؤه	٣٤٦
الأيام الأخيرة في حياة الأستاذ بافقيه	٣٤٨
نعيه وكلمات التأبين التي قيلت فيه	٣٤٩

الموضوع	الصفحة

تصحيح أخطاء تاريخية حول تاريخ الصحافة العربية الحضرمية في المهجر، وقعت لبعض الكتاب اليمنيين المعاصرين ٣٥٣

خاتمة القسم الأول من الكتاب ٣٥٩

القسم الثاني: المقالات الصحفية ٣٦١-٦٩١

أولاً: المقالات المنشورة في «صحيفة العرب» ٣٦٣

النادي الأدبي العربي تسجّل له مفخرة ٣٦٥

حضارة الإسلام ٣٦٨

هل فينا غيرة إسلامية؟! ٣٧٤

تعقيب ٣٧٧

حول تهجّم المستر (ب. د. نولس) على الإسلام ٣٨٠

عظات في الملاهي ٣٨٥

الأستاذ عبد العليم الصديقي ومجلة «الكويت والعراقي» الغرّاء ٣٨٩

عِبَر مما حولنا ٣٩٤

مثال أخلاق طلبة مدارسناالعربية ٣٩٦

حول مقال: (مثال أخلاق طلبة مدارسناالعربية) ٣٩٩

نقد علىٰ نقد مقال (مثال أخلاق طلبة مدارسناالعربية) ٤٠١

تعليق ٤٠٥

الحضرميون لا يمثلهم أحد في المؤتمر الإسلامي ٤٠٧

حكمة مشروعية الصيام ٤١١

كيف يجب أن نقضي أوقات فراغنا ٤١٦

خواطر عزب ٤٢٠

أمصر بلاد إسلامية؟! ٤٢٥

الموضوع	الصفحة
تعقيب	٤٢٩
حول «أمصر بلاد إسلامية؟»	٤٣١
الحد القاطع لمهزلة اتهام العلويين بالرفض	٤٣٥
الشغف بالسباب هو ما تقتضيه طبيعة الجهل	٤٤٠
كلمة بمناسبة قرب المولد النبوي	٤٤٤
لماذا صادرت الحكومة الهولندية كتاب «حياة الشرق» من جاوة	٤٤٩
نزر من آثار وخيرات السادة العلويين	٤٥١
صحف العلويين وصحف الدخلاء	٤٥٧
ماهية (الدخلاء) و(الأجانب) في عرفنا	٤٦١
بين بافقيه ولقمان، من رواء البحار إلى عرب جاوة	٤٦٥
إلى عرب جاوا أيضاً	٤٧٠
تعليق على مقال الأستاذ محمد علي لقمان (١)	٤٧٤
تعليق على مقال الأستاذ محمد علي لقمان (٢)	٤٧٨
تعليق على مقال الأستاذ محمد علي لقمان (٣)	٤٨٠
تعليق على تعليق بقلم الأستاذ محمد علي لقمان	٤٨٤
وفيات وتعازي	٤٨٩
(١) وفيات تريمية	٤٨٩
(٢) نعي شاعرين	٤٩١
ثانياً: المقالات المنشورة في «صحيفة السلام»	٤٩٣
جلالة الملك فاروق	٤٩٥
الموارد الاقتصادية بحضرموت	٤٩٧
اللغة العربية في بريد الجمهورية	٥٠٠
حول أجوبة سعادة القنصل المصري (١)	٥٠٣
حول أجوبة سعادة القنصل المصري (٢)	٥٠٥

الموضوع	الصفحة
لن تحل قضية فلسطين إلا في فلسطين!	٥٠٨
المرحلة الأخيرة في المفاوضات الهولندية الإندونيسية	٥١١
القوة تحكم	٥١٤
قضية إندونيسيا تنتقل من المعترك العسكري إلىٰ المعترك السياسي	٥١٨
ثالثاً: مقالات نشرت في صحيفة «النهضة» العدنية	٥٢١
(١) رسالة حضرموت	٥٢٣
(٢) رسالة حضرموت	٥٢٦
(٣) رسالة حضرموت	٥٣٠
(٤) رسالة حضرموت	٥٣٤
(٥) رسالة حضرموت	٥٣٨
(٦) رسالة حضرموت	٥٤١
ملحق بقلم الأستاذ جعفر السقاف: عالم اللاهوت البريطاني (أندرسن) ومقابلته مع مفتي حضرموت عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف	٥٤٥
(٧) رسالة حضرموت الثانية	٥٤٧
(٨) رسالة حضرموت	٥٥٢
(٩) رسالة حضرموت	٥٥٦
(١٠) رسالة حضرموت	٥٦٠
(١١) رسالة حضرموت	٥٦٤
(١٢) رسالة حضرموت	٥٧١
(١٣) رسالة حضرموت	٥٧٣
(١٤) رسالة حضرموت	٥٧٩
(١٥) رسالة حضرموت	٥٨٣
الموارد والإمكانيات الاقتصادية بحضرموت	٥٨٨
إندونيسيا وصلتها بالجنوب العربي (١)	٥٩٤

الموضوع	الصفحة
إندونيسيا وصلتها بالجنوب العربي (٢)	٥٩٧
الأدب الحضرمي العامي (١)	٦٠١
الأدب الحضرمي العامي (٢)	٦٠٥
صفحة من أمجاد عرب الجنوب في الشرق الأقصى (١)	٦١٠
صفحة من أمجاد عرب الجنوب في الشرق الأقصى (٢)	٦١٤
مفتي جوهور العلامة علوي بن طاهر الحداد يستكشف تاريخ الجنوبيين في الشرق الأقصى	٦٢٠
رابعاً: المقالات المنشورة في صحيفة «الجنوب العربي»	٦٢٧
الهجرة الخطرة إلى عدن	٦٢٩
ماذا وراء الإحصاء؟	٦٣١
دعوة إلى التحرر	٦٣٣
حول ولاية العهد في اليمن	٦٣٥
ثلاثة مواضيع تسترعي الانتباه	٦٣٧
حول انتخابات البلدية	٦٣٩
ما هذه العنصرية	٦٤١
حقائق مرة!	٦٤٣
كرامة العامل واختصاص الرئيس	٦٤٥
نظرات في المشروع بقانون العقوبات	٦٤٧
رحمة بأرواح الطلبة	٦٤٩
حول الانقلاب الأخير في اليمن	٦٥٢
هذا هو الطريق نحو الإصلاح	٦٥٤
أنقذوا هذه المدرسة اليتيمة	٦٥٦
هل من مصلحة الأمن تشجيع الحركات التبشيرية في الجنوب؟	٦٥٨
كذا فلتكن الخطب	٦٦١

الموضوع	الصفحة

هذا الجنوب أولى باهتمام مصر ٦٦٣
لا نريد لليمن هذه الأسطورة ٦٦٥
ضعي حداً لهذه التصرفات..يا سلطة الماء ٦٦٧
عالجوا هذه الحالة ٦٦٩
اليمنيون، والمجلس التشريعي ٦٧١
عتبٌ لا بد منه ٦٧٣
من أين نبدأ؟ ٦٧٥
إلى أعضاء المجلس التشريعي ٦٧٧
رجل ورجال ٦٧٩
الأوضاع السياسية في (سنغافورة) و(عدن) ٦٨١
الأرقام تتكلم! ٦٨٤
هل يقتنع المسؤولون؟ ٦٨٦
نفذوا هذه الضريبة ٦٨٧
نفذوا القوانين أو لا تسنوها! ٦٨٩
من أجل الاستقلال التام ٦٩١
خاتمة الكتاب ٦٩٣
قائمة بأهم المصادر والمراجع ٦٩٥
فهرس المحتويات ٧٠١

* * *

من آثار المحقق

١ ــ «القول المعروف في فضل المعروف»، أربعون حديثاً نبوياً، للعلاّمة الفقيه مرعي بن يوسف الكَرْمي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ) (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م.

٢ ــ «نشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف بمَنْ له ولايةُ عمارة ما سقطَ من البيت الشريف»، للعلاّمة المحدِّث الإمام محمد علي بن علاّن الصدِّيقي المكّي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ)، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.

٣ ــ «مجموعة الأدعية الأحمدية»، للشيخ العارف بالله أحمد بن عمر باذيب، (جمع وعناية وترتيب)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م.

٤ ــ «البلابل الصادحة علىٰ أغصان سورة الفاتحة»، للفقيه المقرىء العلاّمة عبد الله بن أبي بكر قَدْري باشُعَيب (ت ١١١٨هـ)، (تحقيق)، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جُدّة ــ السعودية، ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م.

٥ ـ «سِمْط العِقْيان شرح رياضة الصِّبْيان»، للإمام عبد الله بن أحمد باسَوْدان الكِنْدي الحضرمي (ت ١٢٦٦هـ)، (تحقيق)، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جُدّة ــ السعودية، ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م.

٦ ــ «ترياق القلوب والأبصار بالتنبيه علىٰ العلوم التي تضمّنها سيّد الاستغفار»، للإمام العلاّمة الحبيب أحمد بن زين الحبَشي (ت ١١٤٥هـ)، (تحقيق)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م.

٧ ــ «تحفة الإخوان شرح فتح الرحمن»، للعلاّمة الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصَهِي

الشبامي الحضرمي (ت ١٣٣٦هـ)، (تحقيق)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

٨ ــ «الأنوار اللامعة والتتمات الواسعة للرسالة الجامعة والتذكرة النافعة»، للإمام عبد الله بن أحمد باسَوْدان الكِنْدي الحضرمي (ت ١٢٦٦هـ)، (تحقيق)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

٩ ــ «القول الأغرّ في مدح سيّد البشر ﷺ»، قصيدةٌ شعريةٌ رائية، للعلاّمة الأديب الشيخ أحمد بن عمر بن سالم باذيب الشبامي الحضرمي، (تحقيق وشرح)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

١٠ ــ «إفادة النفس والإخوان فيما يجب تعلُّمه علىٰ كل إنسان»، للشيخ الفقيه عمر بن إبراهيمَ مِشْغان شَرَاحِيل الشبامي الحضرمي (ت ١٢٩٣هـ)، ويليه: «فتح الكريم المجيد» في التجويد، و«فتح الوهّاب» دعاءٌ، و«وصية»، كلُّها للمؤلف نفسه، (تحقيق)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

١١ ــ «إجازةٌ عامةٌ في الأسانيد والمرويات»، وهو الثَبَت المختصر للعلاّمة الشيخ عبد الله ابن أحمد الناخبي، (إعداد وعناية)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

١٢ ــ «أربعون حديثاً في فضل القرآن الكريم»، للإمام عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي (ت ١١٦٤هـ)، (تحقيق)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

١٣ ــ «القول المختار فيما لآل العمودي من الأخبار»، (نصوص مختارة) للعلاّمة الشيخ عبد الله بن أحمد بن محسن الناخبي، (تحقيق)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

١٤ ــ «من مقالات الأستاذ محمد بن هاشم العلوي»، (جمع وترتيب وعناية)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

١٥ ــ «العرف الوردي في مشيخة وأسانيد الشيخ وصفي المسدِّي»، (تأليف)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

١٦ ــ «المحاسن المجتمعة في مآثر الإخوة الأربعة: أحمد ومحمد وعبد الرحمن وعمر أبناء أبي بكر بن محمد باذيب»، (مع تحقيق أثباتهم وأسانيدهم وبعض مكاتباتهم، وتحرير تراجم شيوخهم وجماعةٍ من معاصريهم من أهل القرنين الثالث عشر

والرابع عشر الهجريين)، (تأليف)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

١٧ ــ «مجموعُ مواعظ وكلام الإمام العلاّمة الداعية الحبيب أحمد بن عمر بن سُمَيط»، جمعُ تلميذه: الشيخ دَحْمان بن عبد اللّه بن عمر لَعْجَم باذيب، (تحقيق)، نَشْر دارَي: (العلم والدعوة) بتريم حضرموت، و(الفتح للدّراسات والنشر) بعمّان ــ الأردن، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

١٨ ــ «عِقْد اليواقيت الجوهرية وسِمْط العين الذهبية»، للإمام عَيْدَروس بن عمر الحبشي، (تحقيق)، نَشْر دارَي: (العلم والدعوة) بتريم حضرموت، و(الفتح للدّراسات والنشر) بعمّان ــ الأردن، ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٧م.



دار الفتح للدراسات والنشر

من إصداراتنا

مجلة الأحكام العدلية

مصادرها
وأثرها في قوانين الشرق الإسلامي

تأليف
الدكتور سامر مازن القبج

دار الفتح للدراسات والنشر

من إصداراتنا

ديوان الفتاوى (١)

فتاوى ابن مزروع

للإمام العلامة الفقيه المفتي

عبد الرحمن بن محمد بن مزروع الشبامي الحضرمي

المتوفى سنة ٩١٣ هجرية
رحمه الله تعالى

جمع تلميذه

السيد القاضي أحمد شريف بن علي خرد باعلوي

المتوفى بتريم سنة ٩٥٧ هجرية
رحمه الله تعالى

حققها واعتنى بها

محمد بن أبي بكر بن عبد الله الأديب



دار الفتح للدراسات والنشر

من إصداراتنا

ديوان الفتاوى (٢)

فتاوى العلائي

المسماة

الفتاوى المستغربة

للإمام الحافظ الفقيه المتفنن

صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي الشافعي

ولد سنة ٦٩٤ هـ وتوفي سنة ٧٦٢ هـ

رحمه الله تعالى

قدم له وحققه وعلق عليه

عبد حسن القيام

AHMAD UMAR BAFAQIH

a pioneer of Arab Journalism in the 20th century
glimpses of his life and excerpts from his articles

قالوا في الكتاب والكاتب

لقد اطلعت على هذا المؤلَّف الرائع، وهو ترجمة لحياة صديق حميم، ومن أعز الأصدقاء الذين زاملتهم، وقد دامت زمالتنا هذه نيفاً وخمسين عاماً، ما وجدتُ فيها منه إلا الإخلاص والمودة والأمانة والصدق، والإيمان العميق بالمبادئ والمعتقدات التي اعتنقها، والتي عانى فيها الكثير من الجهد واحتمال المكاره... على أنني أود أن أنوِّه عن إعجابي الشديد بغزارة اطلاع المؤلف، واقتداره في اقتناص المعلومات وجمع الوثائق، والبحث الحثيث للحصول عليها، مع أمانة في النقل والتوثيق.

السلطان علي عبد الكريم العبدلي

كتاب قيِّم وضعه الباحث المحقق، الأستاذ الشيخ محمد أبوبكر عبدالله باذيب، عن حياة السيد أحمد بن عمر بافقيه، الحافلة بجلائل الأعمال في مجال الصحافة والتعليم والجهاد الوطني ضد الاستعمار البريطاني على مدار حياته الممتدة عبر ما يقرب من قرن من الزمان ... إنه لكتاب رائع، لا يؤرخ فقط لعلَم من أعلام حضرموت واليمن، وإنما يؤرخ لحقبة تاريخية، ولأحداث غابت عن كثير من المؤرخين، أو غيبوها عمداً ليغمطوا جهود رجالات (الرابطة) في الحركة الوطنية ...

الأستاذ الدكتور محمد علي البار

وهو بحاسة الباحث الفطن حرص على أن يقدّم للقارئ الصورة التي اختارها دون مقدمات لفظية متكلفة، يعتمد فيها على تزويق الكلمات، أو المبالغة في وصف الواقع، أو التهويل في سرد الأحداث، بل أطلق قلمه على سجيته يسجل بكل صدق وأمانة ما يدرك معه القارئ الجهودَ الجبارة التي سجلها التاريخ عن النخَب من الرواد الأوائل الذين جابوا البحار، وتنكّبوا الأخطار، انطلاقاً من وطنهم حضرموت، إلى الهند والفلبين وحدود الصين وماليزيا وإندونيسيا، وما يرويه من سيرهم ودعوتهم، وما أسهمت به عقولهم في نشر الوعي الذي رسَخ في النفوس روحَ الانتماء إلى القيم والمبادئ.

السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد

9789957230647

دار الفتح للدراسات والنشر
www.alfathonline.com